

التكامل في دلائل نبوة النبي

الأميِّ والمسيح المنتظر خاتم

النبين ﷺ

محمد أحمد صبرة

حقوق الطبع والنشر للجميع ولكل دور النشر

الطبعة الأولى الإلكترونية

للتواصل مع المؤلف :

<https://www.facebook.com/m.s.tartus>

m.s.tartus@gmail.com

٠٠٩٦٣٩٨٨٢٨٩٨٩٢

لم يعرف في تاريخ البشرية كله عمل أدق وأعقد، ومسؤولية أعظم وأضخم، من مسؤولية محمد صلى الله عليه وسلم كنبى مرسل ، كما أنه لم يعرف غرس أثمر مثل غرسه، وسعي تكليل بالنجاح مثل سعيه، إنها أعجوبة العجائب، ومعجزة المعجزات .

يقول الأديب والشاعر الفرنسي **Lamartine** في قوة ووضوح وصراحة : «إن إنسانا لم ينهض أبدا متطوعا أو غير متطوع لمثل هذا الهدف الأسمى، لأن هذا الهدف كان فوق طاقة البشر، لقد كان تحطيم تلك الحواجز من الأوهام والأحلام، التي حالت بين الإنسان وخالقه، والأخذ بيد الإنسان إلى عتبة ربه، وتحقيق عقيدة التوحيد النقية العقلية المعقولة الساطعة، في ضباب هذه الوثنية السائدة والآلهة المادية، هو ذلك الهدف الأسمى والأعلى، إنه لم يحمل إنسان مثل هذه المسؤولية الضخمة، والمهمة العظيمة الجليلة، التي تخرج عن طوق البشر، بمثل هذه الوسائل الحقيرة الضئيلة» إلى أن قال: «وأروع من ذلك أنه هز تلك الأصنام والآلهة، والأديان، والتصورات، والعقائد والنفوس الإنسانية هزة عنيفة، إنه بنى على أساس ذلك الكتاب الذي يعتبر كل كلمة منه مصدر التشريع، قومية ربانية، ألقت بين أفراد كل جيل، وسلالة، ولغة . . . إن الميزة الخالدة لهذه الأمة، التي كونها لنا محمد صلى الله عليه وسلم أنها شديدة المقت والتقزز من الآلهة الباطلة، شديدة الحب لله الواحد الذي يتنزه عن المادة وشوائبها، وهذا هو الحب الذي يدفعه إلى الثأر والانتصاف من كل إهانة توجه إلى الذات الإلهية، وهذا الحب يعتبر أساس سائر الفضائل عند هذه الأمة . . . لقد كان إخضاع ثلث العالم لهذه العقيدة الجديدة من مآثرته بلا ريب، لكن الأصح أنه كان معجزة العقل لا معجزة فرد واحد، إن الإعلان بعقيدة التوحيد في زمن كانت تن فيه الدنيا تحت وطأة أصنام لا حصر لها، كان معجزة مستقلة بذاتها، وما لبث محمد أن أعلن هذه العقيدة أمام الملأ، حتى أقفرت المعابد القديمة من عبادها فلا داعي فيها ولا مجيب، وتكهرب ثلث العالم بحجارة الإيمان» (١) .

آراء لبعض المعجبين بمحمد وتأثيره على مسيرة البشرية

برناردشو الإنكليزي : له مؤلف أسماه (محمد)، أحرقت السلطة البريطانية، ويقول في كتابه (الإسلام الحقيقي): "إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد، وإنّ رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجةً للجهل أو التعصّب، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قائمةً، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية، لكنني اطّلت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبةً خارقةً، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوًّا للمسيحية، بل يجب أن يسمّى منقذ البشرية، وفي رأيي أنّه لو تولى أمر العالم اليوم، لوقّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها. . . لقد درست محمداً باعتباره رجلاً مدهشاً ، فرأيتُه بعيداً عن مخاصمة المسيح ، بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية ، وأوربة بدأت في العصر الراهن تفهم عقيدة التوحيد ، وربما ذهبت إلى أبعد من ذلك ، فتعترف بقدرة هذه العقيدة على حل مشكلاتها بطريقة تجلب السلام والسعادة ! فهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي" "إذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس ، قلنا إن محمداً رسول المسلمين أعظم عظماء التاريخ ، فقد كبح جماح التعصب والحزافات ، وأقام فوق اليهودية والمسيحية ودين بلاده القديم ديناً

واضحاً قوياً ، استطاع أن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم".... " لم يسجل التاريخ أن رجلاً واحداً ، سوى محمد ، كان صاحب رسالة وباني أمة ، ومؤسس دولة ... هذه الثلاثة التي قام بها محمد ، كانت وحدة متلاحمة ، وكان الدين هو القوة التي توحدتها على مدى التاريخ" (١).

مايكل هارت في (المائة الأوائل) : "كان محمد الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح في مهمته إلى أقصى حد ، سواء على المستوى الديني أم على المستوي الزمني" (٢).

المؤرخ البريطاني (**أرنولد توينبي**) : "الذين يريدون أن يدرسوا سيرة النبي محمد يجدون أمامهم من الأسفار مما لا يتوافر مثله للباحثين في حياة أي نبي من الأنبياء" (٣).

يقول **فولتير** في موقفه من الذين يهاجمون القرآن ويكيدون لأتباعه: "كيف تحقرون كتاباً يدعو إلى الفضيلة والزكاة والرحمة؟ كتاباً يجعل الرضوان العلى جزءاً لمن يعملون الصالحات، وتتوفر فيهم الكمالات الذاتية إن الذين يهاجمون القرآن لم يقرأوه طبعاً، وقال: "عن أكبر سلاح استعمله المسلمون لبث الدعوة الإسلامية هو اتصافهم بالشيم العالية اقتداءً بالنبي محمد.. كما قال: " فجمال الشريعة الإسلامية وبساطة قواعدها الأصلية جذباً إلى الدين المحمدي أما كثيرة، والذين لا يقرأون التاريخ الإسلامي لا يستحقون الاحترام، والذين يسبون محمداً عليه الصلاة والسلام لا يستحقون الحياة."... "لقد قام الرسول بأعظم دور يمكن لإنسان أن يقوم به على الأرض ... إن أقل ما يقال عن محمد أنه قد جاء بكتاب وجاهد ، والإسلام لم يتغير قط ، أما أنتم ورجال دينكم فقد غيرتم دينكم عشرين مرة" (٤).

عالم اللاهوت السويسري المعاصر **د. هانز كونج** والذي يعتقد أن المسيح إنسان ورسول اختاره الله لا غير ، فيقول : "محمد نبي حقيقي بمعنى الكلمة ، ولا يمكننا بعد إنكار أن محمداً هو المرشد القائد على طريق النجاة" (٥)...

الكونت كاتيانى في كتابه (تاريخ الإسلام) : "أليس الرسول جديراً بأن تقدّم للعالم سيرته حتى لا يطمسها الحاقدون عليه وعلى دعوته التي جاء بها لينشر في العالم الحب والسلام؟! وإن الوثائق الحقيقية التي بين أيدينا عن رسول الإسلام ندر أن نجد مثلها ، فتاريخ عيسى وما ورد في شأنه في الإنجيل لا يشفي الغليل"

غوستاف لوبون : " نعرف ما فيه الكفاية عن حياة محمد ، أما حياة المسيح فمجهولة تقريباً ، وإنك لن تطمع أن تبحث عن حياته في الأناجيل" (٦). ويقول: "إذا ما قيسست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد

(١) - (الإسلام الحقيقي) برنارد شو المجلد الأول رقم ٨١٩٣٦ نقلًا عن الشيخ أحمد ديدات من كتابه "الاختيار بين الإسلام والنصرانية ج ٢ ، مكتبة العبيكان ترجمة

سنة ٢٠٠٤ ، أحمد عثمان عثمان ، محمد في الآداب العلمية للمنصفه ص ٣٣ سنة ١٩٩٦ بلا بيانات ، و مقارنة الأديان : قسم الإسلام د. أحمد شلبي ص ٢٩٤

(٢) - (المائة الأوائل) مايكل هارت (٣٣) . دار قتيبة للترجمة - دمشق، المترجم خالد عيسى وأحمد سبانو . عنوان الكتاب الأصلي : The 100: A Ranking of the Most Influential Persons in History

(٣) - (مدخل تاريخي للدين) توينبي . نقلًا عن كتاب رحمت محمداً وما حسرت المسيح ص ١١٨ ، مؤسسة الرسالة والشركة المتحدة للتوزيع - دمشق

(٤) - عن (غوته والعالم العربي) كاتيانا مومزن (١٨١ و ٣٥٥) ترجمة د. عدنان عباس ، مراجعة د. عبدالغفار مكاوي . سلسلة عالم المعرفة رقم ١٩٤

(٥) - عن (الإسلام نهر يبحث عن مجرى) الدكتور شوقي أبو خليل (١٥) . الناشر دار الفكر ١٩٩٦ .

(٦) - (حياة الحقائق) غوستاف لوبون ص(٥٣) . ترجمة عادل زعيتر سنة ٢٠١٣ . مؤسسة هندواي للثقافة والنشر - القاهرة .

من أعظم من عرفهم التاريخ ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمداً صلى الله عليه وسلم مع أن التعصّب أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله " (١)

ويلخّ ر. ف. بودلي على هذا المعنى فيقول : " لا نعرف إلا بعض الشذرات عن حياة المسيح بعد رسالته ولا نعرف شيئاً عن الثلاثين سنة التي مهدت الطريق للسنوات الثلاث ، لكننا نجد أن قصة محمد واضحة كل الوضوح ، ففي سيرة محمد نجد التاريخ بدل الظلال والغموض ، ونعرف الشيء الكثير عن حياة محمد . . فبين أيدينا اليوم كتاب معاصر فريد في أصلته وفي سلامته لم يشك في صحته كما أنزل أي شك جدي هو القرآن وهو اليوم كما كان يوم كتب لأول مرة تحت إشراف محمد . . وما كان هذا كما هو الحال في العهد القديم والعهد الجديد ... " (٢).

المستشرق هيل : " لقد أخرج محمد للوجود أمة ، ومكن لعبادة الله في الأرض ، ووضع أسس العدالة والمساواة الاجتماعية ، وأحل النظام والتناسق والطاعة والعزة في أقوام لا تعرف غير الفوضى " (٣).

ويقول بسمارك : " يا محمد أنا متأثر جداً إذ لم أكن معاصراً لك ! إن البشرية رأت قدوة ممتازة مثلك مرة واحدة ، وأنا أعظمك بكمال الاحترام " (٤) ...

المؤرخ كريستوفر داوسون : " إن الأوضاع العالمية تغيرت تغيراً مفاجئاً بفعل فرد واحد ظهر في التاريخ هو محمد " (٥)

العلامة شيريل ، عميد كلية الحقوق بفيينا : " إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها " (٦).

جون ويليام دراير : " بعد سنوات من موت جوستينيان سنة ٥٦٩ ولد بمكة في شبة الجزيرة العربية الرجل الذي من بين كل الرجال ترمس ليكون الأكثر تأثيراً على نسل الإنسانية محمد ﷺ ... " (٧)

الباحث الفرنسي كليمان هوارت : " لم يكن محمداً نبياً عادياً ، بل استحق بجدارة أن يكون خاتم الأنبياء ، لأنه قابل كل الصعاب التي قابلت كل الأنبياء الذين سبقوه مضاعفة من بني قومه ... نبي ليس عادياً من يقسم أنه " لو سرق فاطمة ابنته لقطع يدها " ! ولو أن المسلمين اتخذوا رسولهم قدوة في نشر الدعوة لأصبح العالم مسلماً " (٨)

(١) - حضارة العرب غوستاف لوبون Gustave Le Bon ص ١١٥ ترجمة عادل زعيتر الناشر مؤسسة هنداوي - القاهرة .

(٢) - (حياة محمد) للمستشرق ر. ف. بودلي ص(٨-٩) من مقدمة الكتاب . ترجمة محمد محمد فرج و عبد الحميد جودة السحار ، الناشر مكتبة مصر

(٣) - المستشرق دونالد روتليدج هيل (١٩٢٢ - ١٩٩٤ م) التقنية في الحضارة الإسلامية - تأليف أحمد يوسف الحسن ، دونالد هيل ؛ ترجمة صالح خالد ساري . مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، ٢٠٠١ م . والعلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية : لبنات أساسية في صرح الحضارة الإنسانية - تأليف دونالد ر. هيل ؛ ترجمة أحمد فؤاد باشا . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ٢٠٠٤ م .

(٤) - نقله د. عبدالمعطي الدالاتي في رحمت محمداً ولم أخسر المسيح ص ١١٩ ولم يعزه لأحد

(٥) - المؤرخ كريستوفر داوسون (١٨٨٩-١٩٧٠) في كتابه (قواعد الحركة في تاريخ العالم) . عن رحمت محمداً ولم أخسر المسيح د. عبدالمعطي الدالاتي ص ١١٩

(٦) - العلامة شيريل ، عميد كلية الحقوق بفيينا ، عن (هذا ديننا) محمد الغزالي (٢٥٤) .

(٧) - جون دراير ، تاريخ التطور الفكري في أوروبا " لندن ١٩٨٩ عن كتاب أحمد ديدات "الاختيار بين الاسلام والنصرانية" ج ٢ ص ١٥٠

(٨) - الباحث الفرنسي كليمان هوارت عن (محمد في الآداب العلمية للمنصفة) (١٤٢) محمد عثمان عثمان .

غاندي : في حديث له لجريدة "ينج إنديا" "YOUNG INDIA" عن محمد: " أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر.. لقد أصبحت مقتنعا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف."

الموسوعة البريطانية الطبعة / ١١ / : " محمد كان الأكثر نجاحا من بين كل الشخصيات الدينية "

توماس كارليل : "...ومما يبطل دعوى القائلين أن محمداً لم يكن صادقاً في رسالته.. أنه قضى عنفوان شبابه وحرارة صباه في تلك العيشة الهادئة المطمئنة [مع خديجة رضي الله عنها] لم يحاول أثناءها إحداث ضجة ولا دوي، مما يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه وسلطة.. ولم يكن إلا بعد أن ذهب الشباب وأقبل المشيب أن فار بصدره ذلك البركان الذي كان هاجعاً وثار يريد أمراً جليلاً وشأناً عظيماً" ..ويقول : " .. هل رأيتم قط .. أن رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً عجباً.. إنه لا يقدر أن يبني بيتاً من الطوب! فهو إذًا لم يكن عليماً بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك فما ذلك الذي بينه وبين بيت وإنما هو تل من الأنقاض وكثيب من أخلاط المواد، وليس جديراً أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن. وإني لأعلم أن على المرء أن يسير في جميع أموره طبق قوانين الطبيعة وإلا أبت أن تجيب طلبته.. كذب ما يذيعه أولئك الكفار وإن زخرفوه حتى تحيلوه حقاً.. ومحنة أن ينخدع الناس شعوباً وأممًا بهذه الأضاليل"

ونختم بقول الشاعر الروسي الشهير (بوشكين) : "شُقَّ الصدر ، ونُزِعَ منه القلب الخافق ... غسلته الملائكة ، ثم أثبت مكانه ! قم أيها النبي وطف العالم ، وأشعل النور في قلوب الناس". (٢)

(١) - توماس كارليل في كتابه " الأبطال " ص ٦٤ ، ٥١ ، ٤٣ . وعقد به فصلا رائعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم . ترجمة محمد السباعي ، سلسلة من الشرق والغرب ، عدد ١١ ، الدار القومية ، القاهرة .

(٢) - القصائد الشرقية ، ألكسندر بوشكين ص(٤٥) . دار علاء الدين - دمشق ط١/١٩٩٩ .

الفهرس العام للكتاب

- مدخل الكتابص ١٠
- الكتاب في مقدمتهص ١٧
- الفصل الأول من الأدلة المنطقية والعقلية على نبوة محمد بن عبدالله (ص ٢٩ - ١٤٢)
- المبحث الأول : هذه بعض الأعمال التي حثّ محمد بن عبد الله الناس عليها؟! ص ٢٩
- المبحث الثاني : الأنبياء الكذبة ، حياتهم ، أفعالهم ، دعوتهم ، "من ثمارهم تعرفونهم" والأسس المنطقية التي يمكن بها التفريق بها بين الرسل الصادقين والمتنبئين الكاذبين.....ص ٣٢
- المبحث الثالث: بعض الأدلة المنطقية التي تدل عقلا على تميّز هذا الإنسان (محمد بن عبدالله) وتفردّه والتي تتكامل مع بعضها لتشير لإرادة سماوية عليا تحمي هذا الإنسان وتقول أنه مبعوث منها..... ص ٣٦
- المبحث الرابع : حول أمية محمد النبيّ الأمي ورد شبهات زويمر وأتباعه.....ص ٨٤
- المبحث الخامس : مستشرقون ومفكرون وفلاسفة درسوا حياة محمد ، فقالوا !.....ص ٩٩
- المبحث السادس : والآن يامن لا يؤمن بنبوة محمد ﷺ ما رأيك في هذه الفرصة ذهبية؟.....ص ١١٧
- المبحث السابع : منح البعثة المحمديّة الستة ، وأثرها في تاريخ الإنسان ، ولادة عالم جديد ، وإطلالة على البلاد والأمم في القرن السادس المسيحيص ١٢٧
- الفصل الثاني : دلالة القرآن على نبوة محمد الأمي خاتم النبيين.....ص (١٤٣-٢٤٨)
- المبحث الأول : تحدي القرآن على مدى القرون ، وتأثيره ، والعلامات الإلهية الموجودة فيهص ١٤٧
- المبحث الثاني : علاقته بالكتب السابقة علاقة الهيمنة والتصحيح والحكم بينهم لا النقلص ١٦٧
- المبحث الثالث: دلالة القرآن الذاتية أنه من عند الله.....ص ٢٠٥
- المبحث الرابع: القرآن معجزة العصر يتكلم بلغة العصر :ص ٢٢٢
- الفصل الثالث: إخباره ﷺ بالغيوب وبالآتي لأمته وذلك بشكل دائم تقريبا !.....(٢٤٩-٢٧٠)
- المبحث الأول : اخباره بالنهايات وهو في البداياتص ٢٤٩
- المبحث الثاني : غيوب تحققت في حياته قالها لأصحابه وقومه فلو فشلت لفشل هو!.....ص ٢٥٣
- المبحث الثالث: إخباره ﷺ بالغيوب المستقبلية التي تحققت بعد وفاته زمن أصحابه وبعدهم.....ص ٢٥٤
- المبحث الرابع : إخباره ﷺ بكيفية ومكان وفاة بعض معاصريهص ٢٥٨

- المبحث الخامس : إخباره ﷺ بأخبار الفتن التي ستقع بأمته من بعده؟!.....ص ٢٦١
- المبحث السادس: إخباره ﷺ بفتوح أمته للبلدانص ٢٦٤
- المبحث السابع : إخباره ﷺ بأخبار آخر الزمان وعلامات الساعة.....ص ٢٦٨
- الفصل الرابع :القسم الرابع من دلائل النبوة - المعجزات الحسية المنقولة.....ص(٢٧١-٢٩٧)
- المبحث الأول: توثيق المعجزات في القرآن الكريم وفي دواوين السنّة النبوية.....ص ٢٧٣
- المبحث الثاني: من دلائل النبوة الخارقة للعادة انشقاق القمرص ٢٧٦
- المبحث الثالث : حادثة الإسراء والمعراجص ٢٨٠
- المبحث الرابع : خوارق ازدياد الطعام الذي لا يكفي عدة أشخاص فيطعم الجيش كله.....ص ٢٨٣
- المبحث الخامس :معجزات الرسول ﷺ في تكثير الماء القليل.....ص ٢٨٧
- المبحث السادس : معجزات شفاء المرضى وخوارقها.....ص ٢٩٠
- المبحث السابع : شهادة الشجر برسالة النبي صلى الله عليه وسلم:.....ص ٢٩٢
- المبحث الثامن : معجزات خارقة في شهادة الحيوان وانقيادهص ٢٩٣
- المبحث التاسع : معجزات خارقة متفرقةص ٢٩٥
- الفصل الخامس: وهو حول الدلائل المعنوية، كاستجابة الله دعاءه، وعصمته له من القتل وانتشار رسالته عليه الصلاة والسلام، فهذا النوع من الدلائل يدل على تأييد الله له ومعيته لشخصه ثم لدعوته ودينه، ولا يؤيد الله دعياً يفترى عليه الكذب بمثل هذا.....ص(٢٩٨-٣١٧)
- المبحث الأول: حمايته من كل ما يكاد به، ونجاته من كل محاولات الاغتيالص ٢٩٩
- المبحث الثاني : استجابة الله عز وجل لدعائه في كل المواطن.....ص ٣٠٦
- المبحث الثالث : جوابه الحاضر على أسئلة المشككين.....ص ٣٠٩
- المبحث الرابع: تأييد الله له في كل معاركة مع عدم التكافؤ لا في العدد ولا في العددص ٣١٢
- الفصل السادس : يدور حول وأخلاقه الفاضلة وآدابه وسجاياه وفطرته الحميدة فأخلاق النبي وأحواله الشخصية الدالة على كماله ونبوته إذ لم تجتمع فيه هذه الصفات وتلك الكمالات إلا من تأديب الله لهص (٣١٨-٣٣٣)
- المبحث الأول: أثر أخلاقه وتفردتها في الدلالة على صدق نبوته.....ص ٣١٨
- المبحث الثاني: لنأخذ خلق الصدق من أخلاقه الذي عرف بهص ٣٢٠

| | |
|--|-------|
| المبحث الثالث: وتعالیه وترفعه على فرص التعالي | ص ٣٢٣ |
| المبحث الرابع: انتفاء الغرض الشخصي | ص ٣٢٤ |
| المبحث الخامس: حلم النبي وزهده وبساطته وتواضعه وتعبده | ص ٣٢٧ |
| الدليل السابع: محمد في نبوءات الأسفار العالمية، وجاء خاتم النبيين الأمي المنتظر | |
| تمهيد | ص ٣٣٤ |
| نبوءات التوراة فهمها التلاميذ بشكل خاطئ وألبسوها خطأ بالمسيح | ص ٣٣٧ |
| كثرة معاتبات المسيح وتوبيخاته للتلاميذ على قلة فهمهم وإيمانهم | ص ٣٤٠ |
| المسيح لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر أو المستي بل كان دائم التهرب من هذه التهمة! | ص ٣٤٢ |
| يوحنا و "النبي" المرتقب | ص ٣٤٧ |
| فهل قال محمد ﷺ عن نفسه أنه النبي الموعود؟ بالتأكيد! | ص ٣٥٠ |
| أهم اكتشاف حديث! | ص ٣٥٣ |
| ذرية ابراهيم المباركة | ص ٣٥٦ |
| وعد الله لإبراهيم بمباركة اسماعيل ويجعله مثمرا وياكثر نسله وجعله أمة عظيمة | ص ٣٥٨ |
| مكة (بكة)، القبلة الجديدة وبيت الله الجديد | ص ٣٦٠ |
| أمة الملكوت القادم: الأمة الجديدة، وصفاتها؟ | ص ٣٧١ |
| النبي الأمي راكب الجمل-أشعيا | ص ٣٧٦ |
| موسى عليه السلام يبشر بظهور نبي ورسول مثله صاحب شريعة وملك | ص ٣٨١ |
| نبوءة موسى وحبقوق عن البركة الموعودة في أرض فاران | ص ٣٨٥ |
| المزامير تبشر بنبي موعود لآخر الزمان | ص ٣٨٨ |
| داوود يبشر بنبي من غير ذريته | ص ٣٨٩ |
| البشارة بالملكوت، الدين الجديد | ص ٣٩٠ |
| فما هو الملكوت | ص ٣٩١ |
| البشارة ب (محمد) مشتبه الأمم | ص ٣٩٦ |
| البشارة بإيلياء | ص ٣٩٨ |

| | |
|---|-------|
| المسيح يبشر بالبارقليط | ص ٤٠٢ |
| ترتيب مختلف للنبوءات وصفات النبي المنتظر في الكتب السابقة | |
| ١- النبي الخاتم هو النبي الأمي | ص ٤١٠ |
| ٢- اسم النبي القادم المحتفى به في الكتاب المقدس | ص ٤١١ |
| ٣- نسب النبي الأمي الخاتم | ص ٤١٤ |
| ٤- مكان بعثته صلى الله عليه وسلم | ص ٤١٥ |
| ٥- صفاته في كتبهم | ص ٤١٧ |
| ٦- وجاء في صفة الدين الذي يأتي به ما يأتي | ص ٤٢٠ |
| أفلا يؤمنون | ص ٤٢١ |
| بقايا أهل الكتاب ينتظرون النبي الأمي ،والذين أسلموا بالبشارات | ص ٤٢٢ |
| بعض القسس واللاهوتيين الذين أسلموا بالعصر الوسيط والحديث | ص ٤٢٤ |
| بعض النخب المعاصرة التي أسلمت بسبب البشارات والتناقضات /٢٧/ شخصية | ص ٤٢٨ |
| البشارة بالنبي الخاتم في كتب الهندوس والبوذيين والصابئة والجوس | ص ٤٦٥ |
| خاتمة الكتاب | ص ٤٧٩ |

مدخل الكتاب :

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، معلّم الناس الخير الذي وُسم بالكتب السابقة بالنبي الأمي والنبي المنتظر والمسيح المنتظر، والمبشّر به على لسان الأنبياء الأولين، حامل الرسالة العالمية الخاتمة لجميع الرسالات، اللبنة الأخيرة في صرح عقيدة التوحيد.

فمن الواضح أن أمتنا تعيش في معترك حام، تحت وطأة إعلام مبدع في التحريف والكذب جبار في طاقته وتغييره للمفاهيم وطمسه للحقائق، وفوق أرض وإمكانيات أصبحنا لا نملكها، وتنخر في أرضنا الطاهرة تمدّات سرطانية عابثة.

ولا شك أن هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الإنسانية تستحث المسلم لبذل وسعه وطاقته في خدمة دين الله الذي ارتضاه لسعادة الدنيا والآخرة و في إخماد وساوس الباطل وزبانيته، ولا شك أن حماية بيضة الدين وصيانة حوزة التوحيد هي أهم المهمات في زمن الملمات، لأجل كل ذلك كان هذا الكتاب في تكامل الدلائل العقلية الواضحة والمنطقية والجلية والبشارات بمحمد في الكتب المقدسة عند النصارى واليهود والهندوس والبوذيين والصابئة والمجوس، وليس علينا إلا أن نبسط القول في كشف دلائل الحق، وتسليط الأنوار عليها، وقمع الظلام الذي يريد طمس روعة الهدى وإطفاء جذوته الحارة، وقد كان رد فعل الأقوام المدعية إلى جنة عرضها السماوات والأرض متباينا:

فمن مهول إلى الحق.. ومتأن في مشيه بطيء في حركته.. ومتلثم متعثر قبل تخطي عتبة الباب.. ورافض مشتط في العواية نصب سيف الحرب على الوحي ليستعلن بباطله المنتفش انتفاشه الزيد الرابي سريع الزوال!! وقد كان لصدق دين الإسلام ووضوحه وكماله وسعته والجلد الذي أظهره من اعتنقه، أثر غير مسبوق في انتشاره في قلوب الناس وتمكنه من الصدور.. وقد شهد كبار الباحثين الغربيين لمعجزة سرعة انتشار الإسلام على حساب بقية العقائد والأديان، معربين عن عظيم دهشتهم من السرعة الفائقة التي اكتسح بها الإسلام الأراضي والنفوس.

فقال المؤرخ الهولندي راينهارت دوزي: " إن هذه الظاهرة تبدو لأول وهلة لغزا غريبا، لا سيما متى علمنا أن الدين الجديد لم يفرض فرضا على أحد" (١)، وقال ماركس مايرهوف في مؤلفه "العالم الإسلامي": " ويكاد يكون مستحيلا أن نفهم كيف أن أعرابا منقسمين إلى عشائر ليست عندهم العدد والعدة اللازمة يهزمون في مثل هذا الوقت القصير جيوش الرومان والفرس الذين كانوا أكثر منهم مرارا في الأعداد والعتاد وكانوا يقاتلونهم وهم كتائب منظمة" (٢)، أما لوثرروب ستودارد الأمريكي الذي ألف كتابه حاضر العالم الإسلامي كصيحة نذير لقومه قال: " فكلما زدنا استقصاء، باحثين عن سر تقدم الإسلام زادنا ذلك العجب العجاب بهراً فارتدنا عنه بطرف كسير.. عرفنا أن سائر الأديان العظمى إنما نشأت تسير في سبيلها سيرا بطيئا متلافية كل صعب،

(١) - راينهارت دوزي : في مقدمة كتابه ملحق و تكملة القواميس العربية.

(٢) - د . سامي عامري ، محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة ، مركز التنوير الإسلامي - القاهرة ط/١/٢٠٠٦ ص ٥

حتى قيض الله لكل دين من أراده من ملك ناصر وسلطان قاهر انتحل ذلك الدين ثم أخذ في تأييده والذب عنه حتى رسخت أركانه وضممت جوانبه. إنما ليس الأمر كذلك في الإسلام.. الإسلام الذي نشأ في بلاد صحراوية..... (١)

رجت هذه الحركة التوسعية السريعة الوثابة معاقل كثير من الأديان الوافرة الأتباع وجعلتها تتقلب في مواقفها وتتلحج في ردود أفعالها.. فقد بدأت في أول أمرها بالطعن الشديد والافتراء الفج والكذب السمج ، وقرأ كتاب د. عبد الرحمن بدوي " دفاع عن القرآن ضد منتقديه" لترى العجب العجاب وما يضحك الثكلى التي فقدت الأولاد، من الأباطيل السخيفة المدعاة على القرآن، وصار أقطابها اليوم يعلنون اعترافهم ب " ثورة موج الإسلام وأنه رقم صعب في معادلة العقائد، لكنهم لم يقبلوا الهدى ولم يعبروا المدى، وإنما غيروا "التكتيك" في التعامل مع دين الله الحق.. فطفت على الساحة آراء جديدة ومناهج طريفة في الصد عن الضد بأسلوب لبق خفي، من ذلك: إبطال الكنيسة الكاثوليكية في النصف الثاني من القرن العشرين ما سبق أن أعلنه أحد الرؤساء السابقين في نهاية القرن الحادي عشر، من اعتبار المسلمين كفارا (!؟) ، فهم لا كفار ولا مؤمنين - منزلة بين منزلتين!!، وذلك في بحوثها التي عرضت في المجمع الثاني للفتاوي، والذي عقد في فترة ١٩٦٣ - ١٩٦٥.

لقد صرحت الصحف الشهيرة في الغرب بأن الإسلام يشرق على العالم من جديد، فصحيفة "إيل جورنالي" الإيطالية تصرح أنها تتوقع أن تتخذ المجتمعات الأوروبية الإسلام ديناً لها بعد ٢٠٠ سنة، وأن الإسلام قد نفذ اليوم إلى قلب أوروبا، وأعلن الكثير من الباحثين ومراكز الإحصاء أن الإسلام هو أكثر الأديان انتشاراً في العالم كعمليات المسح الحديثة الصادرة عن مركز الأبحاث الاجتماعية في "جامعة جورجيا" الأميركية، إلى أن الإسلام أسرع الأديان انتشاراً في "الولايات المتحدة" اليوم. ، و دراسات مركز "رصد العقائد" في مدينة "برن" بسويسرا.. وقالت الباحثة الكهنوتية كارول أنوي: " الإسلام هو أسرع الأديان انتشاراً في أمريكا الشمالية"، وأعلن الدكتور هستون سميث أن: " الإسلام في هذا العصر كما في العصور السابقة أسرع الأديان إلى كسب الأتباع المصدقين!!" كما أظهرت دراسة حديثة أعدتها وزارة الداخلية الفرنسية، أن الإسلام ينتشر بسرعة كبيرة في البلاد..

حذرت دراسة بريطانية من تزايد نفوذ وتأثير الدين الإسلامي على الثقافة والحياة في بريطانيا خلال السنوات القليلة المقبلة، موضحةً أن عدد المسلمين الذين يقيمون شعائر صلاحهم بالمساجد سيفوق عدد النصارى من طائفة الروم الكاثوليك الذين يترددون على الكنائس في "إنجلترا" و"ويلز". وتوقعت الدراسة - بحسب جريدة "الوطن" الكويتية - حدوث انخفاض في عدد الروم الكاثوليك الذين يزورون الكنائس أيام الأحد إلى نحو ٦٧٩ ألف شخص بحلول ٢٠٢٠. وأشارت الدراسة التي أجرتها منظمات نصرانية إلى أنه في مقابل ذلك سيزداد عدد المسلمين الذين يصلون في المساجد أيام الجمعة إلى ٦٨٣ ألف شخص. واستندت

(١) - شهادة طويلة ورائعة في مقدمة كتابه حاضر العالم الإسلامي لوثروب ستودارد تحقيق وإضافة شكيب أرسلان ،ترجمة عجاج نويهض دار الفكر ١٩٧١ ط ٣

هذه التقديرات إلى بيانات ومعلومات حكومية وبحوث علمية أكاديمية أجريت في المملكة المتحدة التي يقدر البعض عدد المسلمين فيها بنحو ١.٨ مليون شخص^(١).

إن الإسلام يعود إلى البروز من جديد ، ولكن لا تزال طبائع النفوس الحائدة عن الحق كما كانت، ما بين نفس متعطشة للهداية لكن حولها إعلام مزل، ونفس مترددة بين الظلمة والنور وأخرى قد غلفها السواد واستوطنها الفساد فركبت الهوى، ومن ركب الهوى هوى، ومن رضي الهوان هان ! ولا زالت أصوات الدعاة إلى الحق تتردد في أجواء الكون أن أقبلوا على الله، أن فروا إلى الله، وأن لا ملجأ من الله إلا إلى الله، ولكن عبّاد الآباء لا يكفون عن الافتئات على الدين الحق، والتمسك بآثار الأولين ولو كانوا من عمار السعير وحصب الجحيم .

ولا يزال النهج العملي الواقعي (لا الرسمي النظري) لرسل الكنائس في مكاتبتهم ومحاضراتهم هو السب والتجديع ورش سهام والتعنيف، وغاية أمرهم التلبيس والتدليس، مما لا يخفى عمن خبر مواقفهم من الإسلام ، فالكنيسة الكاثوليكية أعلنت الحرب لتنصير المسلمين بدلا من تنصير بيتها الأوروبي الذي انحدر إلى الإلحاد واللا أدبية فرفعت شعار تنصير أفريقيا سنة ٢٠٠٠م فلما فشل فلم ترعوي فغيرت التاريخ لسنة ٢٠٢٠ وهي لا تستحي من الحديث عن التحدي الإسلامي والفتح الإسلامي الجديد لأوروبا فيقول مساعد بابا الفاتيكان ومسؤول المجلس الفاتيكاني للثقافة الكاردينال (بول بوبار) في حديثه لصحيفة (الفيجارو) الفرنسية : «إنَّ الإسلام يشكّل تحدياً بالنسبة لأوروبا والغرب عموماً وإنَّ التحدي الذي يشكّله الإسلام يكمن في أنه دين وثقافة ومجتمع وأسلوب حياة وتفكير وتطرّف في حين أن المسيحيين في أوروبا يميلون إلى تهميش الكنيسة أمام المجتمع^(٢) ، أما البروتستانتية الغربية فإنَّ (بروتوكولات قساوسة التنصير) فيها التي تبلورت في مؤتمر (كولورادو) بأمريكا سنة ١٩٧٨م ، قالت أن الإسلام " هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية، والنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيا وسياسيا.. ونحن بحاجة إلى مئات المراكز، لفهم الإسلام، و لاخرقه في صدق ودهاء. "!!!^(٣).

ومع التخطيط لاختراق الإسلام وثقافته بالاعتماد المتبادل مع الكنائس المحلية ومن خلال العمالة الأجنبية ، تعلن البروتستانتية بلا حياء ولا أخلاق أن صناعة الكوارث في العالم الإسلامي هي السبيل إلى تحويل المسلم عن الإسلام إلى النصرانية معتبرة أن هذه الكوارث هي إحدى المعجزات التي تحقّق لهم تنصير المسلمين فيقولون : «لكي يكون هناك تحول إلى النصرانية فلا بد من وجود أزمات تدفع الناس خارج حالة التوازن التي اعتادوها، إنَّ تقديم العون لذوي الحاجة قد أصبح أمراً مهماً في عملية التنصير وإنَّ إحدى معجزات عصرنا أن احتياجات كثير من المجتمعات الإسلامية قد بدلت موقف حكوماتها التي كانت تناهض العمل التنصيري فأصبحت أكثر تقبلاً للنصارى»^(٤).

(١) - http://www.alukah.net/world_muslims/0/2454

(٢) - صحيفة (الشرق الأوسط) لندن في ١٠/١٩٩٩م.

(٣) - التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي ص ٧٥٢ الترجمة العربية لوثائق مؤتمر كولورادو طبعة مركز دراسات العالم الإسلامي. مالطا سنة ١٩٩١م وراجع د. سامي عامري ، محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة ص ٤ - ٦

(٤) - المصدر السابق ص ٢٢٤ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ .

هكذا تتم العولمة والاجتياح الغربي للعالم الإسلامي على وجه الخصوص وعلى كل الجهات وفي مختلف
الميادين من الإقتصاد والسياسة إلى القيم والثقافة وحتى الدين مروراً بالعسكرية والتشريعات.

ولا ريب أن نبوة نبينا محمد أحد أهم مسألتين يحملهما المسلم إلى العالمين ، فالمسلمون يرون في إثبات
نبوته تمام الأصل الأول من أصول دينهم، لذا كان لزاماً عليهم أن يدفَعوا بحجتهم وبرهانهم في إثبات نبوته لقوله
ﷺ " والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي
أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار(١) " ولو لم يظهر محمد بن عبد الله لبطلت نبوة سائر الأنبياء، فظهور
نبوته تصديق لنبواتهم وشهادة لها بالصدق، وإرساله من آيات الأنبياء قبله (٢)، وقد أشار القرآن لهذا في
قوله: {بل جاء بالحق وصدق المرسلين} [الصفات: ٣٧] إن الذين يقدحون في محمد ، عليهم أن يعلموا أن
القدح فيه قدح في غيره من الأنبياء، وأن الشك فيه شك في غيره من الأنبياء، إن سيرة محمد أعظم من سيرة
غيره من الأنبياء. . وكذلك شريعته، ، والكتاب الذي أنزل إليه من ربه، ومعجزاته وهديه!! فمن كذب به
وتشكك فيه. . فتكذيبه لغيره، وشكك فيه أولى. . ! ومن آمن بغيره من الأنبياء، ونادى باتباعهم، فإن إيمانه
بمحمد واتباعه أولى، وأهدى إن محمداً قد أظهر دين الرسل قبله، وصدقهم ، ونوه بذكرهم وتعظيمهم ، حتى
يحق لنا أن نقول: إن من آمن بالأنبياء والرسل مثل موسى والمسيح وغيرهما، إنما آمنوا بهم عن طريقه بهم
الكفار، ويحق لنا أن نقول: إن كثيراً من الأمم، لولا محمد ، وما قصه عليهم من القصص الحق في أخبارهم
وآثارهم، لم يؤمنوا بهم!!(ولولا أن القرآن الكريم ذكر ما ذكر عن ولادة المسيح وآية الله فيه وفي أمه، لاعتبر
الناس هذا الموضوع أسطورة قديمة. . .) وهذا التعبير، قاله أحد الأدباء المسيحيين!! (٣) إن من ادعى النبوة
وكان صادقاً فهو من أفضل خلق الله تعالى، وأكملهم في العلم والدين. . . إذ لا شك أن رسل الله وأنبياءه هم
أفضل الناس، وأعدل الناس، وأبر الناس، وأهدى الناس. . . وإن كان بعضهم أفضل من بعض. . . أما من
ادعى النبوة وكان كاذباً فهو من أكفر خلق الله وأفجرهم وشهم، كما قال تعالى {ومن أظلم ممن افترى على
الله كذبا أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله} [الأنعام: ٩٣] .

والحق أن طرق إثبات نبوته ﷺ كثيرة ومتنوعة ومتكاملة باجتماعها ووضوحها لا مفر من الاعتراف
بنبوته ورسالته ، ومن أهم هذه الطرق: كتاب دعوته (القرآن) ، والبشارات التي صدرت عن الأنبياء السابقين ،
وهي تبشر بمقدم نبي خاتم يؤسس دين الله في الأرض والذي ارتضاه إلى قيام الساعة ديناً ، ونبوءاته التي تزيد
على الألف نبوءة واستشرافه لمستقبل أمته ودعوته وهو في ظل الخناق والحصار ، ومنها أخلاقه وأفعاله وقيم
دعوته وحماية الله له ونصرته له ، يقول الجلندي ملك غسان لما بلغه رسول النبي له يدعوه إلى الإسلام : (والله
لقد دلني على هذا النبي الأمي؛ أنه لا يأمر بحجر إلا كان أول آخذ به، ولا ينهي عن شر إلا كان أول تارك له،
وأنه يغلب فلا يبطر، ويغلب فلا يضجر، ويفي بالعهد، وينجز الوعد، وأشهد أنه نبي)(٤) . وقد شهد له هرقل

(١) - صحيح مسلم ح(٢٤٠)

(٢) - ابن القيم ، هداية الخيارى في أجوبة النصارى (٢/ ٥٢٥) طبعة دار القلم الشامية جدة ١٩٩٦

(٣) - كتاب مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية ص : ٣١٠ الناشر: الرئاسة

العامة لإدارات البحوث العلمية الرياض ط٢/ ١٩٩٢

(٤) - الشفلاين عياض ١ / ٤٨٤ دار الفيحاء ط ٢ ، الروض الأنف للسهيبي (٧/ ٥١٦) دار احياء التراث العربي ط١ / ٢٠٠٠ ، والاصابة لابن حجر

ملك الروم وكان من علماء النصارى بأنه نبي صادق وشهد له النجاشي بالنبوة وآمن به لم يراه وقال لقسوسه إن ما قاله وما قاله المسيح ليخرج من مشكاة واحدة.

الخلق العظيم هو جوهر رسالة النبي الأمي، فهو القائل: "بعثت لأتمم حسن الأخلاق (١)" عاش رسول الله أخلاقياً من طفولته إلى أن لقي ربه، فقد كان قومه ينادونه بصفة نادرة في ذلك الزمان وقبل أن يبعث؛ فقد نادوه وعرف بينهم بـ"الصادق الأمين"، طاف أبو جهل، بالبيت ذات ليلة، ومعه الوليد بن المغيرة، فتحدثا في شأن النبي، فقال أبو جهل: والله إني لأعلم أنه صادق، فقال له: مه، وما ذلك على ذلك؟ قال: يا أبا عبد شمس كنا نسمة في صباه "الصادق الأمين"، فلما تم عقله وكمل رشده نسمة الكذاب الخائن، والله إني لأعلم أنه صادق، قال: فما يمنعك أن تصدقه وتؤمن به؟ قال: تتحدث عني بنات قريش أني اتبعت يتيم أبي طالب من أجل كسرة، واللوات والعزى إن اتبعته أبداً، فنزلت: {وختم على سمعه وقلبه} [الجاثية: ٢٣] (٢) لهذا قال تعالى {أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون} [المؤمنون: ٦٩] والتقى الأخنس بن شريق وأبو جهل فقال الأخنس لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس هاهنا أحد يسمع كلامك غيبي؟ فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق وما كذب محمد قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابه والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فأنزل الله تعالى هذه الآية، وكذا ما أخرجه الواحدي عند مقاتل قال: كان الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب يكذب النبي في العلانية فإذا خلا مع أهل بيته قال: ما محمد من أهل الكذب ولا أحسبه إلا صادقاً فأنزل الله تعالى الآية، وعن علي كرم الله تعالى وجهه أن أبا جهل كان يقول للنبي ما تكذبك وإنك عندنا لصادق ولكننا نكذب ما جئتنا به فنزلت {فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون} [الأنعام: ٣٣] (٣)، وعظمة الرسول محمد ليست في أنه يمتاز بمجموعة من الأخلاق الإنسانية العالية فحسب، فهو الأمين إذا ذكرت الأمانة، وهو الصادق إذا ذكر الصدق، وهو الوفي الكريم، الزاهد، الشجاع، المتواضع، الرحيم، البار، الحكيم، الفصيح، البليغ، العابد، كان الرسول هذا كله وكان فوق هذا، فكانت أخلاقه فوق الصعاب وفوق كل الظروف والتقلبات التي تأتي بها الأيام، لقد كان قادراً على أن يلتزم الموقف الأخلاقي المناسب، مهما تكن اللحظة التاريخية حرجة وحاسمة، إنه نبي يشرع بسلوكة، وينطلق من منهج واضح، وليس من رد فعل؛ تمليه أو تفرضه أية ضغوط أو ظروف (٤).

"لقد تحدث بعض الكتاب معدداً الخوارق التي صاحبت الدعوة المحمدية فقال: "إن من أعظم الخوارق التي لمحمد ﷺ أخلاقه، فكانت في ذاتها أمراً خارقاً للعادة بين بني الإنسان، فهي أعلى من أخلاق الملائكة؛ لأن الملائكة حسنت أخلاقهم بمقتضى كونهم، {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}.. فمحمد بين الناس الإنسان الذي تتجلى فيه الإنسانية الكاملة (٥)".

(١) - مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٢٨١.

(٢) - القرطبي (١٧٠/١٦)، المراغي (١٥٧/٢٥) وغيرهم كثير وهي في معظم التفاسير.

(٣) - تفسير الألبوسي (٤ / ١٢٩). دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

(٤) - انظر في ذلك: البحث القيم الذي كتبه الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس بعنوان شخصية الرسول في كتاب: الجزيرة العربية في عهد الرسول والخلفاء الراشدين" ج ١ ص ٦٣ إلى ص ٩٣.

(٥) - الشيخ محمد أبو زهرة - خاتم النبيين ج ١ ص ١٧٧. نشر دار الفكر العربي القاهرة ط ١٤٢٥.

وقد كانت صفحة حياته كما نقلت إلينا بكل دقة وتوثيق أخلاقية إنسانية بلغت من السمو غاية ما يستطيع إنسان أن يبلغ، وكانت لذلك أسوة حسنة لمن هداه الله أن يحاول بلوغ الكمال الإنساني من طريق العمل الصالح، وأي سمو في الحياة كهذا السمو الذي جعل حياة محمد قبل الرسول مضرب المثل في الصدق، والكرامة، والأمانة، كما كانت بعد الرسالة كلها التضحية في سبيل الله وفي سبيل الحق الذي بعثه الله به، تضحية استهدفت حياته من جرائها للموت مرات، فلم يصدده عنه أن أغراه قومه -وهو في الذروة منهم حسبًا ونسبًا- بالمال والملك وكل المغريات" (١) .

والغريب أن هذه الإنسانية الأخلاقية قد طبقت على هذا النحو الخارق للعادة في أروع صور البساطة واليسر، فبدت -مع سموها- وكأن البساطة وعدم التقعر أو التكلف نسيجها الذي يجمع بين خيوطها المترابطة . فعن عائشة قالت: "ما لعن رسول الله مسلمًا من لعنة تذكر، ولا انتقم لنفسه شيئًا يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمت الله، ولا ضرب بيده شيئًا قط، إلا أن يضرب في سبيل الله، ولا سئل شيئًا قط فممنعه إلا أن يسأل مأثمًا، فإنه كان أبعد الناس عنه، و قالت: "ما خير رسول الله بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه" (٢)

يقول نصري سلهب "إن هذا النبي كان له في مجال الأخلاق شعون وشعون، فبالرغم من مهامه الجسام وانشغالاته الكثيرة المتنوعة، وبالرغم من الغزوات والسرايا والحروب، واضطلاعه بجميع المسئوليات وحده دون سواه، فلقد وجد الوقت الكافي ليلقي على المؤمنين -بأقواله وأفعاله- دروسًا في شعون لا ترمي بال مسئول كبير في مثل مستواه وخطورته ... فذلك العظيم الذي كان يحاول تغيير التاريخ، ويعد شعبًا يفتح الدنيا من أجل الله، ذلك الرجل وجد الوقت الكافي ليلقي على الناس دروسًا في آداب المجتمع وفي أصول المجالسة وكيفية إلقاء السلام، لكانه معلم حصر مهمته في تثقيف بضعة وعشرين تلميذًا، ولم يكن له مهمة سواها" ... ولقد نجح محمد -صلى الله عليه وسلم- نجاحًا باهرًا في كل عمل اضطلع به، من أكبر عمل -وهو تبليغ الرسالة- إلى أصغر عمل قام به (٣).

فالتاريخ قد عرفنا برجال حملوا رسالات سماوية وأدوها بنجاح، ورجال بنوا أممًا، ورجال آخريين أسسوا دولًا، لكن التاريخ لم يحدثنا عن رجل جاء برسالة سماوية من عند الله تعالى، ثم بنى أمة ثم أسس دولة، ونجح في كل ذلك وفي حياته وقبل موته سوى النبي العربي محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم، ولهذا جعله مايكل هارت على رأس قائمة الخالدين المائة من أبناء آدم وعلل ذلك حسب منهجه العلمي ومقاييس العظمة عنده، بأن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى، وبرز في كلا المستويين : الديني، والدنيوي، وأنه أسس ونشر أحد أعظم الأديان في العالم، وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظام. "وأنه بعد مرور أربعة عشر قرنًا لا زال تأثيره قويًا ومتجددًا" (٤) .

(١) - محمد حسين هيكل - حياة محمد ص ٣٦٠ . لا يوجد بيانات .

(٢) - صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٧٣ . طبعة دار إحياء التراث العربي

(٣) - نصري سلهب - في خطي محمد ص ٣٦٦-٣٦٧ ، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٠م .

(٤) - انظر: الخالدون مائة. تأليف مايكل هارت، ص ١٣ . مرجع سابق .

وبالقياس نفسه يشهد لمحمد ﷺ المؤرخ ول ديورانت فيقول: "وإذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا: إن محمدًا كان من أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقته به في دياجير الهمجية حرارة الجو ولهب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحًا لا يدانيه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله. وقلَّ أن نجد إنسانًا غيره حقق كل ما كان يحلم به، وقد وصل إلى ما كان يبتغيه عن طريق الدين، ولم يكن ذلك لأنه هو نفسه كان شديد التمسك بالدين وكفى، بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوة الدين، تدفع العرب في أيامه إلى سلوك ذلك الطريق الذي سلكوه، فقد لجأ إلى خيالهم وإلى مخاوفهم وآمالهم، وخاطبهم على قدر عقولهم، وكانت بلادُ العرب لما بدأ الدعوة صحراءَ جدباءً، تسكنها قبائل من عبدة الأوثان، قليل عددها متفرقة كلمتها، وكانت عند وفاته أمة موحدة متماسكة، وقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية، والمسيحية، ودين بلادته القديم، دينًا سهلًا واضحًا قويًا، وصرحًا خلقيًا قوامه البساطة والعزّة، واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم" (١).

بعد كل ما تقدم، وهو قليل من كثير من شخصية الرسول الخاتم محمد بن عبد الله ليس عجبًا أن تكون تلك الشخصية محور اهتمام كل الناس: مسلمين، وغير مسلمين، على مدى تاريخه كله وأظن أن هذا الاهتمام سيستمر ما استمرت الحياة، ولن يبلغ الكتاب والمؤلفون مهما كتبوا وألفوا جوانب العظمة في شخصية الرسول ﷺ، ونُدُر أن نجد في التاريخ البشري رجلًا عرفت حياته -الخاصة والعامة- بكل تفاصيلها ودقائقها كما عرفت ودرست حياة النبي محمد، فليس هناك أمة اعتنت بتاريخ وحياة نبيها -بكل تفاصيله ودقائقه- كما اعتنت الأمة الإسلامية، وذلك أن هذه الحياة حياة مثالية واقعية في جميع جوانبها ومستوياتها كما أن دراستها متعة روحية وذهنية؛ والإنسان يبحث دائمًا عن المثل الأعلى والقدوة الحسنة، وليس هناك حياة وسيرة يمكن أن يتعلم منها الناس أعظم من حياة وسيرة خاتم الأنبياء وصدق الله تعالى إذ أمرنا بالافتداء به، فقال: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: ٢١] ومن ثم كانت عنايتها بأحاديثه وأفعاله ومغازيه وأيامه، وتكاد تكون كل كلمة تلفظ بها الرسول، وكل حركة وكل فعل مرصودة من المسلمين، ويحفظونها عن ظهر قلب، ومدونة في صدورهم قبل أن تدون في الكتب عند بدء حركة التدوين مع نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني.

يقول المستشرق مونتينييه في وصف وضح حياة الرسول: "ولقد ندر بين المصلحين من عرفت حياتهم بالتفصيل مثل محمد، وإن ما قام به من إصلاح الأخلاق، وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للإنسانية" (٢).

لقد ملئت دعوته ودينه وقيمه أركان الأرض (١) قال الله تعالى: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}، إن محمدًا أكثر البشر ذكرا على سطح الكرة الأرضية، فلا يوجد من يُذكر أكثر منه، والأذان مستمر على مدار الساعة على سطح

(١) - ول ديورانت، قصة الحضارة ج ٢ ص ٤٧. ترجمة محمد بدران وآخرون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٤-١٩٦٧م.

(٢) - كتابه حاضر الإسلام ومستقبله عن محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية ٦٧/١، د. عماد الدين خليل وقالوا عن الإسلام ص ١١٩ والندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض ط ١، ١٤١٢هـ. هو أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف، من كتبه (محمد والقرآن)، له ترجمة جيدة للقرآن، وحاضر الإسلام ومستقبله

الأرض ، ولو تتبعنا خطوط الطول لرأينا ذكره طوال الأربع والعشرين ساعة ، فما أن ينتهي الأذان في مكان إلا ويبدأ في المكان الذي يليه وهكذا إلى أن يعود إلى نفس النقطة مرة أخرى ، لذلك فإن جملة أشهد أن محمد رسول الله تتردد بصوت عالٍ مرتفع على مدار الساعة في كل أنحاء الدنيا ، هذا غير الصلاة المستمرة عليه من مئات ملايين المسلمين من شدة حبه لهم في صلواتهم ومجالسهم وجميع أحوالهم ، وقراءتهم للقرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى عليه وكذلك قراءتهم لأحاديثه وسيرته وحرصهم على إتباع سنته وغير ذلك مما لا يُحصى .

ومن دلائل نبوته كتابه الذي بعث به القرآن المعجز بمعناه ومبناه وتأثيره وروحه وكل نصوصه فائقة الروعة والرهبة كقوله: {أنتم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم} [الأنبياء : ٩٨] فهل تصلح حجارة الدنيا التي كانت تصنع منها الأصنام والتماثيل كوقود أم لا تصلح ، من أين أتى النبي محمد بهذه العبارة في القرآن ، ولنا وقفة طويلة مع دلالة القرآن على نبوة خاتم النبيين .

ويسرني أن أتقدم للمكتبة الإسلامية بهذا الكتاب، في وقت كثر الافتراء واستطار التشكيك الظالم في شخصه ورسالته، راجياً أن يقوم ببعض الواجب تجاه حبيبنا وقلوبنا ﷺ والله ولي التوفيق.

الكتاب في مقدمته :

إن بعض أفراد أمثال البراهين التي ستذكر في هذا الكتاب شهدت لأنبياء الله من قبل بالنبوة، وأقامت للناس أعلاماً على صدقهم في دعواهم الرسالة، فما ذكر من دلائل لموسى هنالك أمثالها وأضعافها لمحمد بن عبدالله، بل هنالك تكامل بين الأدلة واجتماع لها لا مفر عند العقلاء من التزام نتائجها، وليس لنبي من الأنبياء من دلائل صدقه على دعواه النبوة كما لمحمد خاتم النبيين من دلائل في النوع والكمية والتكامل، فما من دليل لنبي سابق إلا هنالك أضعاف أمثاله لمحمد بن عبدالله وبراهين أخرى بجانبه، أوليس الصادق الأمين في قومه ، الذي ساق من الغيوب ما قارب الألف ، مما أطلعه عليه ربه؟ والذي دعا لفضائل الأعمال والأخلاق وكان مجسداً للفضائل بأعماله وهو المؤيد ومنصور على ضعف العدد والعدة وكان ربه سنداً وحامياً وحافظاً له طيلة مدته على كثرة أعدائه ، و الذي أطلعه الله على الغيوب التي يقيم بها حجته وبرهانه؟! أوليس رسول الله ذاك الذي تفتح لدعوته أبواب السماء، ويحيب الله دعوته ولا يخيب رجاءه؟! هل يجادل عاقل في نبوة من خرق الله له نواميس الكون ليؤكد صدقه في دعواه النبوة والرسالة؟ فكثير الله ببركته ﷺ قليل الطعام والشراب، وشق له القمر في كبد السماء، وشفى بنفته وريقه من شاء! إنه النبي الذي بشر بمقدمه الأنبياء، فهو دعوة أبيه إبراهيم، وبشارة أخيه عيسى، هو النبي المتألي من فوق جبل فاران، والذي امتلأت الأرض من تسبيحه، فكان إسلام

(١) - قال نيتشة : "يا للمهابة تليق بنذير يهب بالناس إلى مكارم الأخلاق ... إنها لروعة عندما أتيج لي أنا ابن أورية أن أجلس بين يديه تحت ظلال النخيل ، أنا قادم من أورية أشد العرائس جحوداً ، أصلحها الله إنه السميع المحيب ... إن الصحراء تتسع وتمتد ، فويل لمن يطمح إلى الاستيلاء على أسود الصحراء! ارتفع يا مظهر الجلال، ولتهب مرة أخرى نسمة الفضيلة. واليت أسد الفضائل يرأر أيضاً أمام غادات الصحراء فزير الفضيلة يا بنات الصحراء، أقوى ما يبه أوروبا ويحفز بها إلى النهوض هكذا تكلم زرادشت ، ها أنذا ابن أوروبا، لا يسعني إلا الخشوع والاتباه لدوي هذه الآيات البيئات. وقد توكلت على الله. إن الصحراء تتسع وتمتد، فويل لمن يطمح إلى الاستيلاء على الصحراء... " هكذا تكلم زرادشت : ٣٤١ - ٣٤٣ الناشر هنداوي للتعليم والثقافة -القاهرة سنة ٢٠١٤ وأما **جواهر لال نهرو** أول رئيس وزراء للهند فقال : " فاقت أخلاق نبي الإسلام كل الحدود ونحن نعتبره قدوة لكل مصلح يود أن يسير بالعالم إلى سلام حقيقي".

علماء أهل الكتاب صدقوا لذلك التسبيح {ويقول الذين كفروا لست برسلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب } (الرعد: ٤٣).

وقد يتمسك بعضهم بأحقية عيسى بلقب المسيح ، حيث لقب به فنقول: إن تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح تسمية اصطلاحية ليست خاصة به، حيث كان اليهود يسمون أنبياءهم وملوكهم، بل وملوك غيرهم بهذا الاسم، لعادتهم في مسح ملوكهم وأنبيائهم بالزيت، ثم اعتادوا تسميتهم بالمسيح، ولولم يمسخوا. فقد سمي كورش ملك فارس مسيحاً " يقول الرب لمسيحه لكورش " (إشعيا ٤٥ / ١) ، وكذا داود كانا مسيحاً "والصانع رحمة لمسيحه لداود" (المزمور ١٨ / ٥٠) ، وشاول الملك سمي مسيحاً، إذ لما أراد أبيشاي قتل شاول وهو نائم نجاه داود " فقال داود لأبيشاي: لا تهلكه فمن الذي يمد يده إلى مسيح الرب ويتبرأ" (صموئيل ١) ٢٦ / ٧ - ٩). وكذلك جاء في سفر المزامير "لا تمسوا مسحائي، ولا تسيئوا إلى أنبيائي" (المزمور ١٠٥ / ١٥ ، فهذا اللقب الشريف ليس خاصاً بالمسيح عيسى ابن مريم ، أما **المسيح المنتظر هو لقب يستحقه النبي القادم** لما يؤتيه الله من الملك والظفر والبركة والكتاب والشريعة التي فاقت بركة المسوحين بالزيت من ملوك بني إسرائيل.

والمسيح المنتظر لقب للنبي القادم الذي كانت تنتظره بنو إسرائيل، لذا تساءل اليهود لما رأوا يوحنا المعمدان إن كان هو المسيح القادم " فاعترف ولم ينكر، وأقر: لست المسيح المنتظر ولا النبي ! " ، يقول عوض سمعان: " إن المتفحصين لعلاقة الرسل والحواريين بالمسيح يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه إنسان ... كانوا ينتظرون المسيح، لكن المسيح بالنسبة إلى أفكارهم التي توارثوها عن أجدادهم لم يكن سوى رسول ممتاز - يقصد رئيس وحاكم وصاحب شريعة جديدة - يأتي من عند الله " (١).

إن التبصر بحقيقة النبي دفعت المنصفين من غير المؤمنين به للاعتراف له بسبقه وفضله وعظمة شخصه وروعة مبادئه، ونقتبس من بين عشرات الشهادات المنصفة قول غوته في كتابه "الديوان الشرقي للشاعر الغربي": "إننا أهل أوروبا بجميع مفاهيمنا، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد ... ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذه الإنسانية، فوجدته في النبي محمد ... وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمد الذي أحضر العالم كله بكلمة التوحيد" (٢) . أما الأديب الروسي (ليو تولستوي) والذي حرّمته الكنيسة بسبب آرائه : "أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد الذي اختاره الله الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه ، وليكون هو أيضاً آخر الأنبياء ... ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق ، وجعلها تجنح للسكينة والسلام ، وفتح لها طريق الرقي والمدينة"

(١) - النصرانية في الميزان، محمد عزت الطهطاوي، ص (٢٧ - ٢٩). دار القلم دمشق والدار الشامية بيروت ، هل بشر الكتاب المقدس بمحمد صلى الله عليه وسلم ، د. منقذ السقار ص ٩ دار الاسلام للنشر والتوزيع ط ١ / سنة ٢٠٠٧ .
(٢) - (الديوان الشرقي للشاعر الغربي) غوته ص(٣١) ويعتبر هذا الديوان أهم وصاياه للأجيال ، وقد قال فيه الفيلسوف هيغل : "إن أغانيه ليست تلهية دون معنى .. إنها أغاني شاعر ممتشٍ بالنسمة الشرقية ، منشرح الصدر تماماً بالسعادة غير المحدودة" راجع ربح محمد وما خسرت المسيح ص ١١٦ . (أفاق جديدة للدعوة) أنور الجندي (٨١) . (شمس الله تسطع على الغرب) هونكه (٤٦٥) .

وقول الشاعر الفرنسي لامارتين في كتابه "السفر إلى الشرق": "أعظم حدث في حياتي هو أنني درست حياة رسول الله محمد دراسة واعية، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود، ومن ذا الذي يجرؤ على تشبيه رجل من رجال التاريخ بمحمد؟! ومن هو الرجل الذي ظهر أعظم منه عند النظر إلى جميع المقاييس التي تُقاس بها عظمة الإنسان؟! إن سلوكه عند النصر وطموحه الذي كان مكرساً لتبليغ الرسالة وصلواته الطويلة وحواره السماوي، هذه كلها تدل على إيمان كامل مكّنه من إرساء أركان العقيدة. إن الرسول والخطيب والمرجع والفتاح ومصالح العقائد الأخرى الذي أسس عبادة غير قائمة على تقديس الصور هو محمد، لقد هدم الرسول المعتقدات التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق" (١).

ويقول الفيلسوف الإنجليزي جورج برناردشو: "لقد درست محمداً باعتباره رجلاً مدهشاً، فرأيت به بعيداً عن مخاصمة المسيح، بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية، وأوربة بدأت في العصر الراهن تفهم عقيدة التوحيد، وربما ذهبت إلى أبعد من ذلك، فتعترف بقدرة هذه العقيدة على حل مشكلاتها بطريقة تجلب السلام والسعادة! فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي" (٢).

"نعرف ما فيه الكفاية عن حياة محمد، أما حياة المسيح فمجهولة تقريباً، وإنك لن تطمع أن تبحث عن حياته في الأناجيل" (٣). ... "لا نعرف إلا شذرات عن حياة المسيح، أما في سيرة محمد فنعرف الشيء الكثير، ونجد التاريخ بدل الظلال والغموض" (٤). "لقد أخرج محمد للوجود أمة، ومكن لعبادة الله في الأرض، ووضع أسس العدالة والمساواة الاجتماعية، وأحل النظام والتناسق والطاعة والعزة في أقوام لا تعرف غير الفوضى.... فإنه لولا أنه أتاحت لي فرصة إجراء بعض الاتصالات بالعالم الإسلامي لبقيت بلا شك ككثير من الغربيين متمسكاً بهذه العقيدة التي تعلمناها منذ عهد الطفولة، والذي نسمع أحياناً ما يدعى باسم (الدين المحمدي) كان ينظر إليه كظاهرة اجتماعية ثقافية، وبناء على هذا يستبعد تماماً كل تلميح إلى ما يؤدي إلى التفكير في عدالته. (٥)

وأما المؤرخ ول ديورانت فيقول في موسوعته "قصة الحضارة": "إذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس، قلنا: إن محمداً رسول المسلمين أعظم عظماء التاريخ، فقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية ودين بلاده القديم ديناً واضحاً قوياً، استطاع أن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم". وينبه الكونت كاتيان في كتابه "تاريخ الإسلام" إلى خصلتين من خصال النبي يحاول البعض طمسهما، وهما المحبة والسلام، فيقول: "أليس الرسول جديراً بأن تقدّم للعالم سيرته حتى لا يطمسها الحاقدون عليه وعلى دعوته التي جاء بها لينشر في العالم الحب والسلام". ويقول المستشرق هيل: "لقد أخرج محمد للوجود أمة، ومكن لعبادة الله في الأرض، ووضع أسس العدالة والمساواة الاجتماعية، وأحل النظام والتناسق والطاعة والعزة في أقوام لا تعرف غير الفوضى". أما المؤرخ غوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب"، حيث

(١) - السفر إلى الشرق ص ٢٧٧. عن كتاب رحمت محمداً ولم أخسر المسيح د. عبدالمعطي الدلاوي ص ١٢٣، ١١٦.

(٢) عن (موسوعة مقدمات المناهج والعلوم) أنور الجندي (٨ / ٢١١).

(٣) (حياة الحقائق) غوستاف لوبون ص (٦٢). مرجع سابق.

(٤) (حياة محمد) المستشرق بودلي ص (٦). مرجع سابق.

(٥) - القرآن الكريم والعلم العصري ص ٢٤-٢٥. ترجمة فودي سوريا كمارا، دار المآثر، المدينة النبوية، ط ١، ١٤٢٠هـ.

يقول: "إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم؛ كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمداً مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله(١)" لقد دعانا القرآن الكريم للتأمل في دلائل نبوة النبي ﷺ في غير آية: {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد} [سبأ: ٤٦] ، فشهدنا :

١- اتفق محمد مع الرُّسل في الدعوة لوحداية الله فدعا إلى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة ما سواه موافقاً في ذلك جميع الأنبياء، ومن قارن بين ما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام وبين ما جاء به محمد ﷺ من العقيدة الصحيحة والشرائع المحكمة والعلوم النافعة علم أنها جميعاً تصدر من مُشكاة واحدة؛ هي مشكاة النبوة .

٢- وقد أظهر معجزات وآيات بينات لا يُظهرها إلا أنبياء الله (سيأتي الفرق بين الأنبياء الصادقين والمزيفين) ؛ فسنة الله تعالى أن يجري على أيدي الأنبياء السابقين خوارق العادات لتكون معجزة لهم، وبرهاناً على صدقهم، وسيلاً لإقامة الحجة على أقوامهم، فكانت معجزة كل نبي من جنس ما برع فيه قومه الذين أرسله الله إليهم؛ فكانت معجزة موسى عليه السلام مناسبة لما غلب على قومه وبرعوا فيه؛ وهو السحر، فأبطل الله سحرهم بما أجرى على يديه، وعجزوا عن معارضته مع خبرتهم وتفننهم في أنواع السحر، وكان قوم سيدنا عيسى عليه السلام ممن برعوا في فنون الطب والتداوي، فشفى الله على يديه ما استعصى عليهم من الأمراض، حتى أحيا الله على يديه الموتى، وهي معجزات حسية، كما أنها محدودة الزمان والمكان، فليست لها صفة العالمية والخلود، ومن معجزات محمد تلك المعجزات الحسية ؛ ومنها: نبع الماء من بين أصابعه ﷺ ، وتكثير القليل من الطعام بين يديه ﷺ حتى كان يأكل منه من معه من المسلمين، بل ويتبقى منه بقية، وتكثير الماء حتى يشرب منه جميع الجيش ويتوضؤون، وحنين الجذع إليه لما فارقه إلى المنبر، وتسليم الحجر عليه وهو في مكة، وانقياد الشجر إليه، وتسبيح الحصى بكفه، وإبراء المرضى بإذن الله، وغيرها، وقد سجل القرآن الكريم من تلك المعجزات معجزة الإسراء والمعراج؛ حيث أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عُرج به من المسجد الأقصى حتى جاوز السماوات السبع، وكذلك معجزة انشقاق القمر فقد طلب المشركون منه معجزة جليلة تدل على صدقه، وخصصوا بالذكر أن يَشُقُّ لهم القمر، ووعدوه بالإيمان إن فعل، وكانت ليلة بدر، أي: الليلة الرابعة عشرة؛ وهي التي يكون القمر فيها على أتم وأوضح صورة، فسأل رسول الله ربه أن يعطيه ما طلبوا؛ فانشق القمر نصفين: نصف على جبل الصفا، ونصف على جبل قيعان المقابل له، وبعد حصول هذه الآية العظيمة لم يصدق بها المشركين في قريش ، وإنما اعتبروها سحراً، فصاروا يسألون الركبان القادمون ويخبرون برؤيتهم القمر نصفين، ولم يؤمنوا له وهذه سنة المعرضين عن دين الله عندما يهدم الحق سلطاتهم ويطمس نور ضلالهم .

(١) - قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل، ص (١١٧ - ١٢٦) الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض ط١، ١٤١٢هـ. ، وكتاب: رحمت محمداً ولم أخسر المسيح، عبد المعطي الدلاي، ص (١٠٩ - ١١٠).

٣- وكان القرآن معجزته الباقية ليوم الدين ، فهو أعظم تلك المعجزات وأبقاها على مر العصور ، وهو معجزة باقية معنوية عقلية، وآية من آيات النبوة؛ لأنه أبلغ كتاب، أنزله الله على رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب، وتحدى الفصحاء أن يأتوا بمثله أو يمثل سورة منه؛ والإعجاز والتحدّي في القرآن لا ينكرهما إلا مُكابر؛ فهو معجز في فصاحته وبلاغته وتأثيره ونظمه وأسلوبه، وإعجازة يتجدّد في كل عصر، وما تضمّنه من الإخبار عن الماضي الغابر، والمستقبل البعيد، إضافة إلى ما فيه من الأحكام المحكمة، والآداب الرفيعة، والهدى والنور والبركة، كما أن الإعجاز العلمي الذي يكتشف اليوم فيه مطابقة أخبار الوحي للحقائق العلمية في الكون، والتي لم تكن معلومة من قبل من أيّين البراهين على صدق نبوة نبينا محمد ، كما اكتشف العلم الحديث مؤخرًا أطوار الجنين في البطن، ووجود الحاجز المائي بين العذب والمالح في البحر إلى غير ذلك، ومن أعظم دلائل كونه من عند الله بقاءه محفوظًا أكثر من أربعة عشر قرنًا من التحريف والتغيير والتبديل ، لم يُحرّف ولم يُبدّل، ولا يسأم منه قارئوه مهما كرروا تلاوته بل وحفظ بالقرآن العقيدة الصحيحة ، وضمنه أكمل شريعة، وبهذا يظهر لنا أن معجزة النبي محمد امتازت عن معجزات إخوانه من الأنبياء بعظمتها وعالميتها وخلودها واستمرارها، ولا يزال التحدّي قائمًا للجميع، وسيبقى العجز حاصلًا للجميع إلى يوم القيامة أن يأتوا بمثله هذا القرآن.

قال الطبيب الفرنسي موريس بوكاي(١) : "لقد قمتُ بدراسة القرآن الكريم؛ وذلك دون أي فكر مسبق، وموضوعية تامة، باحثًا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث؛ فأدركت أنه لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث ، وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والانجيل. اما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى ابعد من الكتاب الاول، اي سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين اكثر معطيات العلم رسوخاً في عصرنا. واما بالنسبة للانجيل ... فإننا نجد نص انجيل متي يناقض بشكل جلي انجيل لوقا " وان هذا الاخير يقدم لنا صراحة امرأ لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الارض. "...لقد اثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية. فلم اكن اعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقتها تماماً للمعارف العلمية الحديثة، ذلك في نص كتب منذ اكثر من ثلاثة عشر قرناً في البداية لم يكن لي اي ايمان بالإسلام وقد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق وموضوعية تامة. "... ..تناولت القرآن منتبها بشكل خاص إلى الوصف الذي يعطيه عن حشد كبير من الظواهر الطبيعية. لقد اذهلني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظواهر وهي تفاصيل لا يمكن ان تدرك الا في النص الاصلي. اذهلني مطابقتها للمفاهيم التي تملكها اليوم عن نفس هذه الظواهر والتي لم يكن ممكناً لأي انسان في عصر محمد صلى الله عليه وسلم ان يكون عنها ادنى فكرة. "... .. كيف يمكن لإنسان - كان في بداية امره امياً - ان يصرح بحقائق ذات طابع علمي لم يكن في مقدور اي انسان في ذلك العصر ان يكونها، وذلك دون ان يكشف تصريحه عن اقل خطأ من هذه الواجهة؟ " .

٤- أخبار محمد بالماضي والمستقبل ، فقد أخبر بحوادث جمة من حوادث الدنيا مثل فتح الشام والعراق

(١) - من الترجمة العربية لكتابه القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلوم. (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)، ص ١٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٠. وأصل الكتاب باللغة الفرنسية دار المعارف، القاهرة ١٩٧٨ م.

والقسطنطينية، كما أخبر عن الأمم الماضية وأحوالهم مع أنبيائهم ورسولهم، بدءاً من آدم عليه السلام، ومروراً بجميع الأنبياء والمرسلين كسيدنا نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، كما تنبأ بحدوث مستقبلية؛ فحدثت كما تنبأ بها، ومنها أنه لما انتصر الفرس على الروم.

٥- كما بشرت به الرُّسُل قبله ، فالأنبياء عليهم السلام قد تنبأوا به قبل ظهوره بدهر طويل، ووصفوا مبعثه، وبلده، وخضوع الأمم والملوك له ولأتمته، وذكروا انتشار دينه ولا يزال ذكره في كتب السابقين ككتب الهندوس وكتب الزردشتية والتوراة والإنجيل موجودا . كما شهد له بعض أهل الكتاب حال بعثته والذين لم يُعْمِهم التعصب؛ كبخيرا الراهب، وورقة بن نوفل، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن سلام، وزيد بن سعدة.

٦- إن انتصاره على الأمم التي حاربتة وتأييد الله له على قلة من معه آية من آيات النبوة؛ إذ يستحيل أن يدَّعي شخص أنه مرسل من الله . وهو كاذب . ثم يمده الله بالنصر والتمكين، وغلبة الأعداء، وانتشار الدعوة، وكثرة الأتباع، فإن هذا لا يتحقق إلا على يد نبي صادق، كما اتسم النبي محمد ﷺ بمكارم وحسن الأخلاق وأهمها الصدق والأمانة وانتفاء الغرض الشخصي طيلة حياته حتى مماته . انظروا التواتر الذي نُقلت به نبوته ومعجزاته وأميته ، فمن تأمل أحوال الأنبياء ودرس تاريخهم ؛ علم علماً يقينياً أنه ما من طريق ثبتت به نبوة نبي من الأنبياء إلا وثبتت نبوة محمد ﷺ بهذا الطريق من باب أولى، فإذا نظرت كيف نُقلت نبوة موسى وعيسى عليهما السلام، علمت أنها نُقلت بطريق التواتر، والتواتر الذي نُقلت به نبوة محمد أعظم وأوثق، وأقرب عهداً، وكذلك التواتر الذي نُقلت به معجزاتهم وآياتهم متماثل، بل هو في حق محمد أعظم؛ لأن آياته كثيرة، بل أعظم آياته هذا القرآن العظيم الذي لا يزال يُنقل نقلاً متواتراً صوتاً ورسماً.

٧- أمية النبي محمد من دلائل معجزاته؛ بل دلالة الأمية على أن القرآن الكريم مُوحى إليه من الله أعظم دلالة، خاصة وأنه قد عاش بين قومه أعواماً عديدة، ولو كان قارئاً كاتباً لادَّعى المشركون أن ما جاء به من اختراعه ومن بنيات أفكاره، هو (أمي) لم يذهب إلى مدرسة، ولم يجلس إلى معلم، ولم يهاجر في طلب علم، قال تعالى {وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه يمينك إذا لارتاب المبطلون} [العنكبوت: ٤٨]، وقال تعالى: {قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون} [يونس: ١٦] ، تأملوا قوله تعالى {فقد لبثت فيكم عمرا من قبله} وهذا العمر الذي لبثه فيهم، والذي بلغ أربعين عاماً!! لم يؤثر عنه في خلالها علم، ولا شعر، ولا بلاغة، ولا فصاحة. . . ! فلما بلغ الأربعين تحدث. . . وتحدث كثيرا بالعلم النافع، والهدي القويم، والخير العميم. !. وتحول (الأمي) إلى معلم. . . لا معلم مدرسة أو منطقة أو مدينة أو قبيلة أو دولة. . . وليس معلم زمان واحد، أو جيل فريد. . . ! وإنما أصبح معلماً للعالم بأسرها، بكل ألوانها وأجناسها، معلماً لكل العصور والدهور. !.

ولسوف نعرض للأدلة التي تشهد بنبوة النبي ﷺ، تثبيتها لإيمان المؤمنين، وخروجاً به من التقليد إلى البرهان والدليل، وهو أيضاً دعوة للبشرية التائهة عن معرفة نبينا وجوانب العظمة في حياته ودعوته، دعوة لهم للتعرف على هذا النبي الكريم، والإيمان به نبياً ورسولاً.

وعليه فدلائل النبوة الشاهدة بنوّة محمّد متنوعة وكثيرة وتكامل مع بعضها لتصبح نبوّته من
الوضوح بمكان لا يمكن للإنسان إلا التسليم لها، وجميعها أقسام سبعة :

القسم الأول: ما يمكن تسميته بالأدلة المنطقية والعقلية المستنبطة من سيرة وحياة هذا الإنسان التي تدل
بسياقها وتكاملها وعددها على أن هذا الشخص متميز متفرد ليس كالشخص العاديين فهو موصول بالسماء مؤيد
بها أرسل لدلالة الحائرين على طريق السماء والسلام، كما قال هانز كونج (عالم لاهوت سويسري) لا ينكره
إلا جاحد : "محمد نبي حقيقي بمعنى الكلمة، ولا يمكننا أبداً إنكار أن محمداً هو المرشد القائد إلى طريق
النجاة"^(١)، يقول توماس كارليل (كاتب ومؤرخ اسكتلندي) : "إني لأحب محمداً؛ لبراءة طبعه من الرياء
والتصنّع، ولقد كان ابن القفار هذا رجلاً مستقل الرأي؛ لا يعول إلا على نفسه ولا يدعي ما ليس فيه، ولم
يكن متكبراً؛ ولكنه لم يكن ذليلاً، فهو قائم في ثوبه المرقع كما أوجده الله وكما أراد، يخاطب بقوله الحرّ المبين
قياصرة الروم وأكاسرة العجم يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة، وكان يعرف لنفسه قدرها،
وكان رجلاً ماضي العزم لا يؤخر عمل اليوم إلى غد". ويقول : " .. ومما يبطل دعوى القائلين أن محمداً لم يكن
صادقاً في رسالته .. أنه قضى عنفوان شبابه وحرارة صباه في تلك العيشة الهادئة المطمئنة [مع خديجة رضي الله
عنها] لم يحاول أثناءها إحداث ضجة ولا دوي، مما يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه وسلطة .. ولم يكن إلا بعد
أن ذهب الشباب وأقبل المشيب أن فار بصدره ذلك البركان الذي كان هاجعاً وثار يريد أمراً جليلاً وشأناً
عظيماً" .. ويقول : " .. هل رأيتم قط .. أن رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً عجباً .. إنه لا يقدر أن يبني بيتاً
من الطوب! فهو إذاً لم يكن عليماً بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك فما ذلك الذي بينه وبينه بيت
وإنما هو تل من الأنقاض وكثيب من أخلاط المواد، وليس جديراً أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً يسكنه
مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن. وإني لأعلم أن على المرء أن يسير
في جميع أموره طبق قوانين الطبيعة وإلا أبت أن تحجب طلبته .. كذب ما يذيعه أولئك الكفار وإن زخرفوه حتى
تحتلوه حقاً .. ومحنة أن ينخدع الناس شعوباً وأمماً بهذه الأضاليل " (٢) .

القسم الثاني : أهم أنواع دلائل نبوته فهو أعظمها وأدومها، إنه القرآن الكريم معجزة الله التي لا

تبليها السنون ولا القرون، هذا الكتاب معجزة خالدة ودليل باهر بما أودعه الله من أنواع الإعجاز العلمي
والتشريعي والبياني، وغيرها من وجوه الإعجاز، يقول رسول الله ﷺ : ((ما من الأنبياء من نبي، إلا قد أُعطي
من الآيات، ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيتُ وحياً أوحى الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً
يوم القيامة(٣)).

(١) - (الإسلام نهر يبحث عن مجرى) الدكتور شوقي أبو خليل (١٥). مرجع سابق .

(٢) - توماس كارليل في كتابه " الأبطال " ١٩٤٠ ص ٦٤ ، ٥١ ، ٤٣ على التسلسل . وعقد به فصلاً رائعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم . ترجمة محمد
السباعي، سلسلة من الشرق والغرب، عدد ١١١، الدار القومية، القاهرة.

(٣) - رواه البخاري ح (٤٩٨١)، ومسلم ح (١٥٢)

قال فيليب حَيِّي (١): "ان الاسلوب القرآني مختلف عن غيره، ثم انه لا يقبل المقارنة باسلوب آخر، ولا يمكن ان يقلد. وهذا في اساسه، هو إعجاز القرآن.. فمن جميع المعجزات كان القرآن المعجزة الكبرى"

ان إعجاز القرآن لم يحل دون ان يكون اثره ظاهراً على الادب العربي. اما إذا نحن نظرنا إلى النسخة التي نقلت في عهد الملك جيمس من التوراة والانجيل وجدنا ان الاثر الذي تركته على اللغة الانكليزية ضئيل، بالاضافة إلى الاثر الذي تركه القرآن على اللغة العربية. ان القرآن هو الذي حفظ اللغة العربية وصانها من ان تتمزق لهجمات" وقال الدكتور جورج حنا (٢): " انه لا بدّ من الاقرار بان القرآن، فضلاً عن كونه كتاب دين وتشريع، فهو ايضاً كتاب لغة عربية فصحة. وللغة القرآن الفضل الكبير في ازدهار اللغة، ولطالما يعود اليه ائمة اللغة، في بلاغة الكلمة وبيانتها، سواء كان هؤلاء الائمة مسلمين ام مسيحيين. واذا كان المسلمون يعتبرون ان صوابية لغة القرآن هي نتيجة محتومة لكون القرآن منزلاً ولا تختمل التخطئة، فالمسيحيون يعترفون ايضاً بهذه الصوابية، بقطع النظر عن كونه منزلاً او موضوعاً، ويرجعون اليه للاستشهاد بلغته الصحيحة، كلما استعصى عليهم امر من امور اللغة"،

ويقول توماس أرنولد (٣): "..اننا نجد حتى من بين المسيحيين مثل الفار "A"va" الاسباني الذي عُرف بتعصبه على الاسلام، يقرر ان القرآن قد صيغ في مثل هذا الاسلوب البليغ الجميل، حتى أن المسيحيين لم يسعهم الاقراءته والاعجاب به..". .. أما نسيم سوسة (يهودي عراقي أسلم) فيقول(٤): "يرجع ميلي إلى الاسلام.. حينما شرعت في مطالعة القرآن الكريم للمرة الاولى.. فولعت به ولعاً شديداً.. وكنت اطرب لتلاوة آياته..". "ورد في القرآن انه جاء مهيمناً على ما بين يديه من الكتاب، ويستدل من ذلك ان التعاليم الالهية المقدسة الاصلية قد ضمن القرآن المحافظة عليها بما اوضحه من الحقيقة بإظهار الصحيح والدخيل في الكتب الرائجة في زمان نزوله، وعليه فيكون بهذا البيان والايضاح قد جاء خير مهيمن على كتب الله الحقيقية وخير حافظ اياها من التلاعب" ... "ان معجزة القرآن الكريم هي اكثر بروزاً في عصرنا الحالي، عصر النور والعلم، مما كانت عليه في الازمنة التي سادها الجهل والخمول.."

القسم الثالث : الغيوب التي أخبر عنها النبي ﷺ وتحققت حال حياته أو بعد وفاته كما أخبر عنها،
كإخباره أصحابه بفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق، وأن خبير تفتح على يد علي في غد يومه، وأن الأمن يظهر حتى ترحل المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف ، وأنهم يقسمون كنوز ملك فارس وملك الروم، وأن فارس، نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعد هذا أبداً وأن بنات فارس تخدمهم ، أما الروم ذات قرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن أهل صخر وبحر وهيئات آخر الدهر، وأن الله زوى له الأرض فرأى مشارقتها ومغاربها وسيلغ ملك أمته ما زوى له منها، ولا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم

(١) - في كتابه الإسلام منهج حياة ص ٦٣ ، ٢٨٧-٢٨٨ . تعريب د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٢م.

(٢) - في كتابه قصة الانسان ص ٧٩-٨٠ الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣م.

(٣) - في كتابه "الدعوة إلى الإسلام" بحث في نشر الدعوة الإسلامية ص ١٦٢ ، سير توماس أرنولد، ترجمة وتعليق د. حسن إبراهيم حسن ورفاقه، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١م.

(٤) - في كتابه في طريقني إلى الإسلام ص ٥١/١ ، ١٨٢/١-١٨٣ ، ١٨٥/١ وتسمى لاحقا ب أحمد نسيم سوسة . الجزء الأول، المطبعة السلفية، القاهرة ١٩٣٦م، الجزء الثاني، مطبعة الغرى، النجف ١٩٨٣م.

حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى، وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا، وأن عثمان يقتل وهو يقرأ في المصحف، وأن أشقى الآخرين من يصيب هذه من هذه يعني: لحية علي من دم رأسه، وأن عمارا تقتله الفئة الباغية، أي الوباء والطاعون يكون بعد فتح بيت المقدس، وكان هذا الوباء في خلافة عمر رضي الله عنه بعمواس من قرى بيت المقدس، وبها كان عسكره، وهو أول طاعون وقع في الإسلام مات به سبعون ألفاً في ثلاثة أيام. وأن الخلافة بعده في أمته ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا بعد ذلك، وأن أمته يغزون في البحر كالمملوك على الأسرة، وأن فاطمة رضي الله عنها أول أهله لحوقا به، فماتت رضي الله عنها بعد ستة أشهر من وفاته، وقال عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين» ووقع كما أخبر، فأصلح الله به بين أتباعه وأهل الشام، وأن أبا ذر، يعيش وحيدا، ويموت وحيدا، وأن أسرع أزواجه لوحقا به أطولهن يدا، فكانت زينب بنت جحش رضي الله عنها أسرعهن لحوقا به لطول يدها بالصدقة، وأن سراقة بن جعشم سيلبس سواري كسرى، وقال لخالد رضي الله عنه حين وجهه لأكيدر: إنك تجده بصيد البقر وكان كما قال، وأن الحسين بن علي رضي الله عنهما يقتل بالطف على شط نهر الفرات (١) . . . ووالخ.

ومن هذا النوع أيضاً ما أخبر به عليه الصلاة والسلام من الإعجاز العلمي الذي شهد بصحته العلم التجريبي الحديث.

القسم الرابع: الدلائل المعنوية، فقد انتصب مع ضعفه وقره وقلة أعوانه وأنصاره، مخالفاً لجميع أهل الأرض آحادهم وأوساطهم وسلطينهم وجبارتهم، فضلل آراءهم وسفه أحلامهم وأبطل مللهم وهدم دولهم، وظهر دينه على الأديان في مدة قليلة شرقاً وغرباً، وزاد على مر العصور والأزمان، ولم يقدر الأعداء مع كثرة عددهم وعددهم وشدة شوكتهم وشكيمتهم، وفرط تعصبهم وحميتهم وبذل غاية جهدهم في إطفاء نور دينه وطمس آثار مذهبه.

كذلك استجابة الله دعاءه، كدعاء النبي على كسرى حين مرق كتابه أن يمزق الله ملكه، فلم تبق له باقية. . . وو، وعصمة الله له من القتل، وانتشار رسالته عليه الصلاة والسلام، فهذا النوع من الدلائل يدل على تأييد الله له ومعيته لشخصه ثم لدعوته ودينه، ولا يؤيد الله دعياً يفترى عليه الكذب بمثل هذا، فهل يكون ذلك إلا بعون إلهي وتأييد سماوي، ولنعم ما قال غملائييل معلم اليهود لهم في حق الأنبياء الكذبة: (التصق به عدد من الرجال نحو أربعمائة، الذي قتل وجميع الذين انقادوا إليه تبددوا وصاروا لا شيء) ٣٧. . (بعد هذا قام يهودا الجليلي في أيام الاكنتاب، وأزاغ وراءه شعباً غفيراً، فذاك أيضاً هلك وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا). ٣٨ (والآن أقول لكم تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم لأنه إن كان هذا الرأي وهذا العمل من الناس فسوف ينتقض) ٣٩ (وإن كان من الله فلا تقدر أن تنتقضوه لثلاثاً توجبوا محاربتين لله أيضاً) كما هو مصرح به في الباب الخامس من كتاب الأعمال، والآية السابعة من الزبور الأول: (لأن الرب يعرف طريق الصديقين وطريق المنافقين تهلك) والآية السادسة من الزبور الخامس: (وتهلك كل الذين يتكلمون بالكذب، الرجل السافك الدماء والغاش يرذله الرب)، والآية السادسة عشرة من الزبور الرابع والثلاثين: (وجه الرب على الذين يعملون

المساوي لبيد من الأرض ذكرهم) وفي الزبور السابع والثلاثين ١٧ : (لأن سواعد الخطاة تنكر، والرب يعضد الصديقين) ٢٠ (الخطاة فيهلكون، وأعداء الرب جميعاً إذ يمجدون ويرتفعون، يبيدون، وكالدخان يفتون) ، فلو لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم من الصديقين لأهلك الرب طريقه ورذله وأباد ذكره من الأرض، وكسر سواعده وأفناه كالدخان. لكنه لم يفعل شيئاً منها، فكان محمد صلى الله عليه وسلم من الصديقين(١).

وخامس أقسام دلائل النبوة إخبار النبوات السابقة وتبشيرها بمقدمه ﷺ ، فهو النبي الذي أخذ الله الميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه حال بعثته: {وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلکم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين} [آل عمران: ٨١]، لنا مع هذا النوع وقفة طويلة ومهمة... فوجود اسمه حتى اليوم في الأسفار الهندوسية كالفيدا وغيرها وفي الجوسية والبوذية وأسفار التوراة والمزامير والأنجيل ووجود صفاته ومكان بعثته وصفات الدين الذي سببته به والقبلة الجديدة التي ستكون قبلة الله الجديدة وغير ذلك مما سيذكر لا يدع مجالاً للشك .

سادس أنواع دلائل النبوة : فأخلاق النبي ﷺ وأحواله الشخصية الدالة على كماله ونبوته، إذ لم تجتمع فيه هذه الصفات وتلك الكمالات إلا من تأديب الله له، فقد اجتمع فيه من الأخلاق العظيمة، والأوصاف الجزيلة، والكمالات العلمية والعملية، والمحاسن الراجعة إلى النفس والبدن والنسب والوطن، ما يجزم العقل بأنه لا يجتمع في غير نبي، فإن كل واحد منها وإن كان يوجد في غير النبي أيضاً، لكن مجموعها مما لا يحصل إلا للأنبياء، فاجتماعها في ذاته صلى الله عليه وسلم من دلائل النبوة وقد أقر المخالفون أيضاً بوجود أكثر هذه المحاسن في ذاته صلى الله عليه وسلم، كما نقل سيل قوله في مقدمة ترجمة القرآن في الصفحة السادسة من النسخة المطبوعة سنة ١٨٥٠ هكذا: (أنه كان حسن الوجه وركباً وكانت طريقته مرضية، وكان الإحسان إلى المساكين شيمته، وكان يعامل الكل بالخلق الحسن، وكان شجاعاً على الأعداء، وكان يعظم اسم الله تعظيماً عظيماً، وكان يشدد على المفتريين، والذين يرمون البراءة، والزانيين، والقاتلين، وأهل الفضول، والطامعين، وشهود الزور، تشديداً بليغاً، وكانت كثرة وعظه في الصبر والجود والرحم والبر والإحسان وتعظيم الأبوين والكبار وتوقيرهم وتكريمهم، وكان عابداً مرتاضاً في الغاية ٢) .

القسم السابع : المعجزات الحسية التي وهبها الله النبي صلى الله عليه وسلم مثل تكثير الطعام في حوادث ومواطن كثيرة، وشفاء المرضى وانشقاق القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه في مواطن متعددة، وهذه المعجزة أعظم من تفجر الماء من الحجر كما وقع لموسى عليه السلام ، فإن ذلك من عادة الحجر في الكثير الغالب، وأما أن يحدث ذلك من أصابع هي لحم ودم، فلم يعهد من غيره صلى الله عليه وسلم، عن أنس بن مالك أنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الإناء، وأمر الناس أن يتوضأوا منه، قال فرأيت

(١) - إظهار الحق لرحمة الله الهندي (٤ / ١٠٧٥) ، الناشر : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية ط١٩٨٩/١

(٢) - إظهار الحق ص : (٤ / ١٠٧٣) . مرجع سابق .

الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضأوا عن آخرهم» وهذه المعجزات صدرت بالزوراء عند سوق المدينة، وعن جابر رضي الله عنه قال: «عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه، وقالوا: ليس عندنا ماء إلا في ركوتك فوضع النبي يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون " وكان الناس ألفا وأربعمائة» . عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «أن عين قتادة ابن النعمان أصيبت حتى وقعت على وجنته، فردها رسول الله فكانت أحسن عينيه» ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «قالت أمي: يا رسول الله، خادملك أنس، ادع الله له، فقال: اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته. قال أنس: فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم نحو المائة.»^(١).

وكذلك اسراؤه ومعاجزه قال تعالى في سورة الإسراء { سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير } ، ولا يحق لأحد من النصراري أن ينكر إسرائ النبي ومعاجزه، فمثله ثابت في كتبهم لإيلياء وغيره، ففي العهد القديم: " وكان عند إصعاد الرب إيليا في العاصفة إلى السماء أن إيليا واليشع ذهبا من الجلجال " (سفر الملوك الثاني، ٢: ١) ، " وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار فصلت بينهما فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء " (سفر الملوك الثاني، ٢: ١١) .

فإن قال قائل: إن ما ذكرته وما نقلته من هذه المعجزات الحسية، لم نره، ولم نشاهده، ولم نحس به، فلا يكون حجة علينا!! قلنا له: وكذلك معجزات المسيح وغيره من الأنبياء لم نرها، ولم نشاهدها، ولم نحس بها!! فإن قال قائل: لكن تواترت روايات الثقات بهذا؟

قلنا له: إن (الرواية الإسلامية) هي أدق الروايات وأضبطها على الإطلاق، أما (الرواية المسيحية) فهي رواية يعترها الشك من كل أقطارها! ثم إن (المعجزة الحسية) هي كل شيء بالنسبة لهذه الديانات، . فإن ثبتت صحت هذه الديانات، وإن انتقت أو دخلها الشك، بطلت هذه الديانات! أما الإسلام. . . الدين الخاتم. . الذي جاء به النبي الخاتم محمد. . فإنه لم يركز على المعجزة الحسية وحدها. . وإنما ركز على المعجزات المعنوية. . . وفي قمتها القرآن الكريم. . والقرآن الكريم معجزة عقلية معنوية باقية لا يهون من جلالها مرور الزمان، وتقدم الأيام، بل إن الزمان كلما تقدم زاد هذا القرآن حدة وقوة وإعجازا، فالزمان عنصر من الإعجاز في القرآن. . .!

إن الإسلام دين معجز، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان ومجالات واتجاهات! فهو معجز في تشريعه. . . وهو معجز في تاريخه. . . وهو معجز في دائرة معارفه. . . وهو معجز في فتوحاته وانتصاراته. . . ! فإن قال قائل: إن القرآن ينفي (المعجزات الحسية) عن النبي كما جاء في سورة الإسراء { وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا } { أو تكون لك جنة من نخيل وعناب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا } { أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبلا } { أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى

(١) - راجع تفهيم الأحاديث في بابي المعجزات الحسية والمعنوية

في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا { [الإسراء: ٩٠-٩٣] ، قلنا له: الذي يُفهم من هذه الآيات، وما شاكلها، نفي المعجزات المقترحة، ولا يلزم من نفي المعجزات المقترحة نفي المعجزات مطلقا، إذ أنه ليس حتما على الأنبياء أن يظهروا معجزة كلما طلبها المنكرون!! بل على العكس فهم لا يظهرون المعجزة إذا كان طلبها منطويا على العناد والامتحان والاستهزاء .

ولهذا نظائر في الكتاب المقدس: " فخرج الفريسيون وابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكي يجربوه، فتنهد بروحه، وقال: لماذا يطلب هذا الجيل آية. الحق أقول لكم لن يعطي هذا الجيل آية " (مرقس: ٨: ١١، ١٢) ، طلب الفريسيون معجزة من عيسى عليه السلام على سبيل الامتحان، فما أظهر معجزة ، ولا أحوال- في ذلك الوقت- إلى معجزة ولا وعد بإظهار معجزة فيما بعد. . ! بل قال: (لن يعطي هذا الجيل آية) وهذا يدل على أنه لن تصدر عنه معجزة إطلاقا. . ! لأن لفظ الجيل يشمل جميع الذين كانوا في زمانه! وفي إنجيل لوقا: " وأما هيرودس فلما رأى يسوع فرح جدا لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة، وترجى أن يرى آية تصنع منه وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشيء ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد ، فاحتقر هيرودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباسا لامعا ورده إلى بيلاطس " (لوقا، ٢٣: ٨-١١) وفي (لوقا ٢٢: ٦٣-٦٥) : " الرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه، وغطوه وكانوا يضربون وجهه، ويسألونه قائلين: تنبأ من هو الذي ضربك. وأشياء أخرى كثيرة كانوا يقولون عليه مجدفين " وفي متى: " وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين: يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك. إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب. وكذلك رؤساء الكهنة أيضا وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ، قالوا: خلص آخرين، وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به، قد أتكل على الله فلينقذه الآن إن أراد. لأنه قال: أنا ابن الله. وبذلك أيضا كان اللسان اللذان صلبا معه يعيرانه " (متى، ٢٧: ٣٩-٤٤) .

وفي إنجيل متى أيضا: " فتقدم إليه الجرب، وقال له: إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل، وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب أنه يوحي ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصطدم بحجر رجلك. قال له يسوع: مكتوب أيضا لا تجرب الرب إلهك " (متى ٤، ٣٠، ٧) ، ففي هذا النص نرى أن إبليس طلب من عيسى عليه السلام -على سبيل الامتحان- معجزتين، فما أجاب إلى واحدة منهما(١)!!

الفصل الأول: من الأدلة المنطقية والعقلية على نبوة محمد بن عبد الله خاتم النبيين .

المبحث الأول : هذه بعض الأعمال التي حثّ محمد بن عبد الله الناس عليها !؟

هل يأمر بها نبي كذاب ثم يوفق كل التوفيق ويؤيد، أو صاحب عصابة يحب أن يجمع الناس حوله ؟ أمرهم بالصدق وصلة الرحم وبر الوالدين واجتناب الربا والزنا وشرب الخمر وأمر بغض البصر وحث على الصدقة وأن يتبسم المسلم في وجه أخيه وأن يكظم الغيظ ونهى عن التجسس والغيبة والنميمة والسخرية والاستهزاء والتنازب بالألقاب والهمز واللمز وأمر باتقاء الشبهات وأوصى باليتيم والأرملة وحث على الرحمة بالحيوان وإطعامه وسقايته وحث أمته على العفو عند المقدرة وعدم مقابلة الإساءة بالإساءة بل بالإحسان ... وحث أمته كذلك على الحلم والأناة وعدم العجلة – ونهى عن سوء الظن وأيضا حثهم على الصبر على المعسر

الذي لا يستطيع تسديد ديونه.... وطلب من أمته أن تفشي السلام على من تعرف ومن لا تعرف وأن تُطعم الطعام ... وحث الوالدين على أن يعدلوا بين أبناءهم وحث على توقير الكبير والرحمة بالصغير ونهى عن الغضب والجدال فيما لا ينفع وطلب من المسلم أن يلتزم الأعداء لأخيه وأمر بالاستئذان ... وأمر بالتيين والتثبت والتيقن والتأكد قبل إصدار الأحكام على الناس وحث على الإصلاح بين الناس وذكر عظم أجر الذي يُصلح بين الناس وحث أمته على حفظ المال والوقت والوفاء بالعهود والمواثيق ... ونهى عن الكلام الفاحش البذيء وأمر بالكلام الطيب الحسن ونهى كذلك عن ترويع المسلم وإخافته وأمر بإكرام الجار والسؤال الدائم عن أحواله وحث على رد التحية بأحسن منها وعلى زيارة المريض وعلى إعانة من توفي لهم أحد ونهى المسلم عن الكلام فيما لا يعنيه ونهى عن الطعن والقذف والبهتان والافتراء على الناس بالباطل وحث على النصيحة والتناصح بين المسلمين وشدد على أن الدين المعاملة بأن يتعامل الناس مع بعضهم بأفضل أنواع التعامل ونهى عن الحسد والتحاسد وتمني زوال نعمة الغير وأمر بالتواصي والتعاون على الخير وحث على إخلاص العمل لله وعدم ابتغاء الأجر من الناس وحث على التفاؤل ونهى التشاؤم ... ودعا إلى أداء الأمانة وحث على عدم تتبع العورات وأمر بالسُّتر على المسلمين وعدم فضحهم وحث على التوازي عند قرع الباب والوقوف بجانب الباب وليس امامه حتى لا يكشف عورات البيت ودعا إلى السخاء ونهى عن البخل والشُّح .. وحث المسلم أن يتمنى لأخيه ما يتمناه لنفسه ... وحث على الصبر عن البلاء وعدم التجزع والتسخط وأمر أمته بالطهارة والنظافة والمظهر الحسن ونهى عن التفاخر والغرور والتباهي والتعالي على الناس ونهى أن يرفع المسلم صوته عند الحديث حتى لا يُزعج إخوانه وحث على المشي الهادئ ونهى عن الإسراف في الطعام والشراب وحث أمته على التأمل والتدبر وعدم الغفلة ... وحث على النشاط ونهى عن الكسل والتكاسل وحث أمته على إتقان العمل وحث امته على الوحدة وعدم التفرق والتشردم ونهى ان يخطب الرجل امرأه مخطوبة لرجل آخر قبله ونهى عن قيل وقال وكثرة السؤال عن ما لا ينفع ... وذكر فضل الحياء وأنه من الإيمان وأن الحياء لا يأتي إلا بخير ودعا إلى إماطة الأذى عن الطريق وحث على العدل والقسط بين الناس وانه لا فرق بين المسلمين إلا بالتقوى وحث على إعطاء الأجير أجره قبل ان يجف عرقه وعدم تأخير دفع الأجر للعامل ونهى أن يتناجى اثنان دون الثالث وذلك عندما يكون في مجلس ثلاثة أشخاص فيتحدث اثنان منهم بالسر دون ان يسمعهم الرجل الثالث .. وحث على ان يصل الرجل أصحاب أبيه وغير ذلك من الفضائل العظيمة التي أمر بها سيد الخلق محمد ﷺ إن الشجرة الطيبة ثمارها طيبة والشجرة الخبيثة ثمارها خبيثة ... فهل هذه الثمار التي ذكرناها طيبة ام خبيثة ؟

عن ابن مسعود قال: بعثنا رسول الله إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلا، فيهم وجعفر بن ابي طالب، ، فأتوا النجاشي ليحتموا بأرضه ، وبعثت قريش عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد، بمهدية فلما دخلا على النجاشي سجدا له، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثم قالوا له: إن نفرا من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا

عنا وعن ملتنا. قال: فأين هم؟ قال: هم في أرضك فابعث إليهم. فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه فسلم ولم يسجد ، فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله عز وجل قال: وما ذاك؟ قال: إن الله عز وجل بعث إلينا رسوله ، وأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل، وأمرنا بالصلاة والزكاة وقال: أيها الملك! كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيئ الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته و عفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجاره والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصله الرحم...فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردوننا إلى عبادة الاوثان وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث... الخ قال: عمرو بن العاص: فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم. قال: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قالوا: نقول كما قال الله عز وجل؛ هو كلمة الله وروحه، ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسهما بشر ولم يفرضاها ولد ، قال: فرجع عودا من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يسوى هذا -يعني العود- مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، فإنه الذي نجد في الإنجيل، وإنه الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم، انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك، لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه و أوضئه. وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما^(١)...

قد يقول قائل هذا الكلام صادر من رجل معجب بالنبي متعصب له يحاول أن يبرر موقفه ويريد أن يستدر عطف الملك الحبشي ، فلنترك رجلا معروفا بعداوتة الصريحة للإسلام يحدثنا عن رأيه في هذا القول ألا وهو السير (وليم موير) حيث يقول: جاء محمد بدين يمتاز باليسر والإيجاز وكان له من التأثير القوي ما يدهش الألباب ، ولم يحدث منذ عهد المسيحية الأولى التي نبهت العالم من رقاده وشتت حربا شعواء على الوثنية أن رأى العالم مثيلا لهذه اليقظة الروحية وهذا الإيمان الذي حمل المسلمين على بذل النفس والنفيس في سبيل دينهم طيبة به نفوسهم .. كانت مكة والجزيرة العربية كلها غارقة في سبات روحي عميق منذ أقدم العصور ، ولم يكن تأثير المسيحية واليهودية والمذاهب الفلسفية في العرب إلا تأثيرا عابرا سطحيا كما صافح النسيم الماء يؤثر في السطح ولا يصل إلى القاع وكان العرب يتمرغون في حمأة الخرافات والقسوة والذليلة وكان من عاداتهم الشائعة أن يرث أكبر الأبناء نساء أبيه فيما يرثه من ملكه ومنها وأد البنات خشية الإملاق والعار (كما كان الحال عند الهندوس) وكان دينهم قائما على عبادة لأوثان البغيضة ... وكانت مكة قبل الهجرة قد تردت في هذه الهوة فما أعظم التغيير الذي طرأ عليها الآن خلال ثلاث عشرة سنة... ولم يمض عامان أو ثلاثة على هذه الهجرة حتى تألفت في المدينة بتأثير تلك الجاذبية العجيبة جماعة من الأخوة يقدون النبي بأرواحهم ولقد طالما دوت الدعوة اليهودية في آذان أهل المدينة ، ولكنهم ما كادوا يسمعون صوت النبي العربي الذي حرك أوتار قلوبهم حتى هبوا من سباتهم وبدؤوا فجأة صفحة جديدة في تاريخ حياتهم...^(٢))

(١) - أخرجه الإمام أحمد في المسند (رقم: ٤٣٨٦) ، ابن هشام ٢٩٠/١ ، الطبري ٣٣٥/٢ ، البداية والنهاية ٦٦/٣
(٢) - كتاب (المثل الأعلى في الأنبياء) ل خوجة كمال الدين، تقدم اللورد هبلي تعريب أمين الشريف ص ١٤٤-١٤٥، دار الفكر بيروت ط ١٩٨٩/١، نغلا عن كتاب (حياة محمد) لوليم موير النسخة الإنجليزية.

ويقول : بعد أن ذكر طائفة من صفاته ﷺ: وباختصار فإنه مهما ندرس حياة النبي محمد نجد لها على الدوام عبارة عن كتلة فضائل مجسمة مع نقاء سريرة وخلق عظيم، وستبقى تلك الفضائل عديمة النظير على الإطلاق في جميع الأزمان في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل. وقال شهادة الحق فيما لا يمكن تجاهله : "ومن صفات محمد الجليلة الجديرة بالذكر ، والحرية بالتنويه ، الرقة و الاحترام ، اللذان كان يعامل بهما أصحابه ، حتى أقلهم شأنًا ، فالسماحة والتواضع والرأفة والرقة تغلغلت في نفسه ، ورسخت محبته عند كل من حوله" ، ووصف سماحة النبي حين دخل مكة فاتحاً فقال: "على الرغم من أن البلدة رحبت بسلطانه ترحيباً بهيجاً ، فلم يكن جميع سكانها قد اعتنقوا الدين الجديد ، ولم يكونوا قد اعترفوا رسمياً بصحة دعواه بأنه نبي ، ولعله عقد العزم على أن يسلك ههنا ذلك النهج الذي سلكه في المدينة ، ويدع الناس يدخلون في الإسلام ، شيئاً بعد شيء، من غير إكراه". و قال أيضا: "امتاز محمد بوضوح كلامه، ويُسّر دينه، وأنه أتم من الأعمال ما أدهش الألباب، لم يشهد التاريخ مُصلحاً أيقظ النفوس وأحيى الأخلاق الحسنة، ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد" (١) .

المبحث الثاني: الأنبياء الكذبة ، حياتهم ، دعوتهم ، أسس تمييز الرسل : " من ثمارهم تعرفونهم "

يقول السيد المسيح : (احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون في الشوك عنباً أو من الحسك تيناً، هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة، وأما الشجرة الرديئة، فتصنع أثماراً رديئة، لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً رديئة، ولا شجرة رديئة أن تصنع أثماراً جيدة، كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار، فإذا من ثمارهم تعرفونهم (إنجيل " متى (١٥: ٧-٢٠). هذا كلام بليغ من المسيح عليه السلام ، يستشف منه أولاً أنه ينبئ نبي بعده ليس بكاذب، وسوف يأتي بعد عيسى كذلك أنبياء كذبة. وكأن أصحابه سألوه: وكيف نفرّق بين النبي الكاذب والنبي الصادق؟ فقال لهم: من ثمارهم تعرفونهم، من نتاج عمله ودعوته يظهر، فالنبي الصادق لا بد أن تكون ثمرته طيبة كعمل صالح لأتباعه وغير ذلك، أما الأنبياء الكذبة بعد عيسى، فقد ذكر التاريخ العديد منهم، خاصة مع نهاية القرن الأول الميلادي.

من أهم مدعي النبوة بعد المسيح، "سيمون" الملقب بالساحر، إنه لم يدع النبوة فقط، بل ادعى الألوهية أيضاً خرج هذا الرجل من بعض قرى " السامرة" بفلسطين في عهد القيصر كلوديوس، وأتى ببعض أعمال السحر العجيبة، وتابعه عدد كبير من أهل السامرة وغيرها ، بل لقد صنع له في روما تمثال أقيم فوق نهر "التبير" نقش عليه " إلى سيمون الإله القدوس "ورغم الأعمال الخارقة لسيمون هذا، فقد كانت أخلاقه وضيعة؛ إذ كان يعاشر عاهرة تدعى " هالانة" سماها " الفكرة الأولى " التي انبثقت منه، وسجد أتباعه أمام أصنامها هو وعشيقته ويعبدونها بالبخور والذبائح . هنالك اليهودي المصري مدعي النبوة الذي خرج في القرن الأول الميلادي، وقد اقتاد جيشاً مكوّناً من ٤٠٠٠ من اليهود لدخول القدس لكن الحامية الرومانية قضت عليهم(٢).

(١) - الشيخ رشيد رضا ، الوحي الحمدي (ص ٩٦) دار الكتب العلمية بيروت ط٢٠٠٥ ، هامش الصفحة ، ولیم مویر : حياة محمد (نقلا عن كتاب مولانا محمد علي ، ص ٢٠٨). ، ولیم مویر : حياة محمد (نقلا عن كتاب "بطل الابطال" ، عبد الرحمن عزام ، ص ٤٤-٤٥).
(٢) - "تاريخ الكنيسة" يوسايوس القيصري - مكتبة الخبة ص ٨٥ ، ٨٤ ، ٩٩ .

ولقد تكلم العهد القديم نفسه عن العديد من الأشياء الكاذبة مثل "أجابوس" وغيره، الذين شكلوا ظاهرة خطيرة بنهاية القرن الأول . ذكر التاريخ أيضا من أوائل مدعي النبوة "ميناندر خليفة سيمون الساحر الذي قال إنه العراف نفسه" المخلص "الذي أرسل من الدهور غير المنظورة لخلص البشر وقد أتى بأعمال سحر عظيمة وأقنع أتباعه أنهم لن يموتوا (١) . أما أخطر النبوات الكاذبة بعد عيسى التي ذكرها التاريخ المسيحي، فهي نبوة "مونتانوس" الذي أعلن عام ١٥٦ م أن الروح القدس يتكلم إليه مباشرة . . وأن أتباعه أداة توصيل للروح القدس "البراكليت" (٢) . . وكان ينطق بعبارات مثل : هو ذا الإنسان وكأنه قيثار وأن الله لعب على أوتارها . . انضمت إلى مونتانوس نبيتان أعلنتا نهاية العالم ورجوع المسيح السريع إلى "فريجيا" (موطن مونتاس في تركيا الحالية) وأن أورشليم الجديدة سوف تنزل من السماء . . . وقد رحب الكثيرون بكل قوة بهذه الدعوة، لأن الانتظار) انتظار عودة المسيح (قد ضعف منذ نهاية القرن الأول . . وقد امتدت المونتانية حتى إلى الغرب، بل وتبعها العديد من الآباء الكبار مثل "ترتليان القرطاجي" وعاشت المونتانية حتى القرن الخامس رغم محاربة السابقة لها، ذلك لرفعها صوت النبوة في وجه السلطان الكهنوتي. وقد عاب المونتانية أخذها من بيثة مدينة "فريجيا" التي عادت الإلهة "سبيل" أخذت منها الرقصات المتوحشة وخصي الذات والاستحمام في دماء الثور الذي يقدم ذبيحة لها (٣) "

هذه بعض النبوات الزائفة التي ظهرت بعد المسيح عيسى ، ماذا كانت ثمراتها؟ نطبق عليها معادلة قول المسيح . . النبي الصادق له ثمرة طيبة . يجمع بين تلك الدعوات أن ثمراتها جميعها خبيثة، كالدعوة للزنى والذبح للأصنام وادعاء الألوهية، كما أن هذه الدعوات ماتت ولم تعد لها أية ثمرة . بالرغم من وجود بعض الخوارق لأصحابها. أما النبي محمد فثمرته باقية ودعوته خالدة، وهي ثمرة الصدق والحق والفضيلة، فأتمته هي الأمة الوحيدة التي توحد الله توحيدا خالصا، وهي الأمة الوحيدة التي تصلي لله خمس مرات في اليوم والليلة، وتصوم صوما كاملا شهرا كاملا في العام، وهي كذلك أقل الأمم في الانغماس في الزنى وشرب الخمر وسائر الرذائل، ولا يقدر في دعوته أن أتمته اليوم تخلقت حضاريا، فتلك دورة الحضارات. (٤)

وهذه أمثلة معاصرة للنبي الأمي محمد :

أ - ابن صائد : ابن صائد كان يهوديا من يهود المدينة في زمان النبي ﷺ و كان حاله كحال الكهان يصدق مرة ويكذب مرارا، و كان غاية أمره أنه ادعى النبوة لرسول الله و لم يبق عليها دليلا من إعجاز أو علم أو خلق كريم و انتهى أمره بعدها.

ب - مسيلمة كذاب اليمامة : لنرى أين دعا إلى الله الواحد الأحد و بأي أسلوب دعا : "لَمَّا قَدِمَتْ وفودُ بني حنيفة على الصَّدِّيقِ أبي بكرٍ قال لهم : أَسْمِعُونَا شَيْئًا من قرآنِ مُسَيْلِمَةَ فقالوا: أَوْ تُعْفِينَا يا خليفةَ رسولِ الله؟ فقال: لا بُدَّ من ذلك ، فحين أراد مسيلمة معارضة القرآن فضحه الله وأخزاه، فكان قوله محلاً لسخرية العقلاء وإعراض البلغاء، فمما قال : يا ضفدع بنت الضفدعين نقى لكم نقين، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين، رأسك في الماء، وذنبك في الطين، وكان يقول: والمبذرات زرعا، والحاصدات حصدا، والذاريات قمحا،

(١) - د. ت. فرانس. التفسير الحديث للكتاب المقدس - إنجيل متى . ص ١٥٥ و ١٥٤ .

(٢) - j (The early christian doctrines) 5th edition P. 59 . n.s.kelly .

(٣) - جون لوريمر" . تاريخ الكنيسة "جزء ١ ص ١٢٠ . دار الثقافة .

(٤) - الباحث هشام طلبة ، محمد في الترجوم والتلمود والتوراة (ظهور نصوص احتفت ألفي عام) ص ٢١٢-٢١٦ لا يوجد بيانات تقدم د. علي جمعة

والطاحنات طحنا، والخابزات خبزاً، والشاردات ثرداً، واللاقمات لقماً، إهالة وسمناً، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، رفيقكم فامنعوه، والمعتر فأووه، والناعي فواسوه، وذكروا أشياء من هذه الخرافات التي يأنف من قولها الصبيان وهم يلعبون، فيقال: إن الصديق قال لهم: ويحكم، أين كان يذهب بقولكم؟ إن هذا الكلام لم يخرج من إل، وكان يقول: والفيل وما أدراك ما الفيل، له زلوم طويل، وكان يقول: واللبل الدامس، والذئب الهامس، ما قطعت أسد من رطب ولا يابس. (١)

إن دعوة نبوة مسيلمة كانت لنفسه ورياسته وليس إلى توحيد الله؟ متنبئ يهذي و يهرف و يتحامق على الناس بكلام ساقط بين سقطه و ابتذاله؟؟؟

ج - الأسود العنسي كذاب اليمن: إن الأسود اسمه عبهلة بن كعب، وكان كاهناً مشعوذاً... وكان يستعمل السحر لإقناع أتباعه، ويغطي وجهه بخمار فلا يرى منه شيء، وله شيطان يأتيه بالأخبار يسمى الملك. كان العنسي على حذر شديد وحراسة كبيرة، وكانت عملية قتله تحتاج إلى مساعدة من داخل بيته، من امرأته «إزاد» التي اغتصبها من زوجها، وفي ليلة سقته الخمر حتى غرق في النوم من السكر، ودخل الثلاثة وهجموا عليه، وقام فيروز بقطع رأسه، فخار الأسود كأشد حوار ثور، فلما سمع الحراس الصوت أقبلوا مسرعين، فقالت «إزاد» لهم إنه يوحى إليه فرجعوا، وانهمز رجال الأسود، وانتهت فتنة العنسي، وكان من أول خروجه إلى أن قتل أربعة أشهر (٢).

أين هذا من دعوة التوحيد و أخلاق دعوة التوحيد والشريعة التي دعا إليها رسول الله محمد وتأيد الله له وعصمته سبحانه له وهذه لائحة بالمدّعين، ولحسن الحظ أنها أمثلة كثيرة احتفظ التاريخ بذكراهم وسيرهم:

د - سجاح التميمية.. هـ - لقيط بن مالك الأسدي .. ع - طليحة بن خويلد الأسدي

ف - المختار بن أبي عبيد الثقفي .. ق - الحارث بن سعيد مولى أبي الجلاس

ث - بيان بن سمعان المرتد شيخ البيانية الراضية الخارجة عن الإسلام

ص - المغيرة بن سعيد العجليش .. ش - أبو منصور المستنير العجلي س - الحسين بن أبي منصور العجلي .. ي - عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي

ل - أبو الخطاب الأسدي زعيم الخطابية. ت - بزيغ الحائك زعيم البيغية

ن - معمر باع الحنطة، دجال "المعمرية". م - عمير بن بيان الثبان العجلي

ك - عمار بن موسى الساباطي، الملقب "بخدّاش" .. ط - أحمد بن خابط، والفضل الحُدثي، وأحمد بن نانوس ثالوث الكفر والزندقة و اللائحة تطول ...

ثانياً: أسس منطقية للتفريق بين الرسل الصادقين والكاذبين وتتلخص ؟:

١ - بشارات الأديان السابقة بالنبي القادم، صفاته مكان خروجه، بما سيبعث، اسمه، نسبه، وغير ذلك مع العلم أنها من الأمور الضرورية لكنها غير كافية دون النظر لصفاته وأفعاله على الأرض.

(١) - ابن كثير، البداية والنهاية (٦/ ٣٥٩) دار احياء التراث العربي ط ١ / ١٩٨٨ وراجع لماذا أسلم صديقي، إبراهيم خليل (ص ٥٠ - ٥٤)

(٢) - ابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٤ / ٢٠) دار الكتب العلمية بيروت ط ١ / ١٩٩٢ .

٢ - النظر في الرسالة نفسها :بمعنى قبل النظر في الإعجازات الرسالية النظر إلى المبادئ والأفكار التي دعوا إليها، من تمجيد للفضيلة ، رسالة محكمة الأركان ،سليمة المنطق ،لا تناقض فيها بعكس أديعاء النبوة، فلو نظرت إلى ما جاء به القادياني على سبيل المثال من شطحات وغرائب وعجائب مبكيات مضحكات وتناقضات سافرات بائنات لاستخسرت الوقت الذي ضيعته في قراءتها .

٣- تأمل سيرة الداعي قبل الرسالة وبعدها، صفاته وتعامله مع البشر، هل هو محب للرياسة والملك والظهور والاستبانة وغيرها، أي الصفات الخلقية فلا يعقل أن يكون الرجل بين قومه أربعين عاما محمود الصفات صدوق الحديث متواضعا بين الناس وفي الكلمة صادق الوعد، لا يجب رياسة ولا ظهورا ينقلب حاله بين عشية وضحاها إلى شخص يدعي النبوة كاذب على الله والناس خائنا متملصا منافقا، فهذا يستحيل عند العقلاء ، مثال: السياسي قبل دخوله غمار السياسة تجدد عنده انتماءات فكرية وحزبية قبلها، فتجدد منذ صغر محبا للتصدر خطيبيا في الناس يشترك مع عدد من الحركات، مناضلا أيام طلبه للعلم سواء نقابيا أو حركيا، إلى أن يدخل للسياسة، وكل سياسي يصبو لمركز أو رياسة وملك، فتجد أهدافه واضحة فتقول هذا الرجل كان يهدف للمركز الفلاني طوال حياته . أما والحال أن النبي ﷺ كان راعيا أول حياته، ثم تاجرا ناجحا في حياته متصفا بكل الصفات المحمودة بشهادة كفار قريش، لا يعرف له خطابة ولا شعر ولا تصدر ولا نقض لمعتقدات قومه فينقلب حاله في يوم ويقول لأقربائه أن ملاكا فلانيا جاءه وقال له كذا وكذا وكيت وكيت فيشتري عداوة قومه ويشرد ويحاصر ويسلبه الكفار كل ما يملك ويموت ﷺ وليس في رأس ماله إلا حمار ودرع مهونة عند يهودي حتى يأكل عائلته من ثمن رهنها، مثل هذا لا يمكن إلا أن يكون نبيا مرسلا، وإلا ما الداعي إلى أن يخوض كل ما خاضه وكان الأسلم له أن يبقى في حياته تاجرا له مكانته بين قومه ويعيش حياة رغدة؟! أرجل طيب الخلق محمود الصفات سيفعل كل هذا من أجل دعوة كاذبة؟

على سبيل المثال مدعي النبوة قبل الإسلام وبعده، لن تجدهم خارجين عن كونهم كانوا قتلة أو لصوصا أو قطاع طرق، فهذا بولس كان من أشد الناس عداوة ومكرا وخبثا بين اليهود فادعى النبوة والصلاح، وذاك مسيلمة الكذاب منحل الأخلاق يتبع شهواته فادعى النبوة، وتلك سحاج امرأة لعوبة كذوبة بين العرب ادعتها، وتلك زهرة التونسية معروفة بأخلاقها السمجة واتباعها للفواحش ، وذاك القادياني الذي خان أمته من أجل الانجليز ومن عائلة معروفة بالسمر وخوارم المروءة وغيرهم، كلهم كانوا فصاروا، أما نبينا عليه السلام وأنبياء الله تعالى صلوات ربي وسلامه عليهم كلهم كانوا فظلوا، بل كانوا فصاروا أكثر أدبا وأحمد خلقا

٤ - الاستفادة الدنيوية : أي ماذا سيستفيد مدعي النبوة من دعوته تلك، كل الأديعاء كانوا يصبون إلى

الملك والثراء الفاحش، يبيتون في أفخم المناطق وعلى أفضل الأسرة في حين أن النبي ﷺ كان يبيت على الحصير ويؤثر على جنبه لحشونته فقيل له ألا نأتيك بشيء يقيك منه فقال : ما لي والدنيا إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها، وتكررت الواقعة فدخل عليه صحابي آخر فرآه فبكى لحاله فقال يا رسول الله كسرى ، وقيصر ينامون على الديباج والحريز ، وأنت نائم على هذا الحصير قد أثر بجنبك ، فقال : لا تبك ، فإن لهم الدنيا ولنا الآخرة .. ودخلت امرأة على عائشة رضي الله عنها فرأت فراش رسول الله عباءة

مثنية فبعثت إلي بفراش حشوه صوف فدخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرآه فقال : رديه يا عائشة والله لو شئت أجرى الله معي جبال الذهب والفضة ! والملوك كما أدعياء النبوة لا يأكلون إلا أفخم المأكولات وأروع الوصفات في حين أن نبينا لا توقد في بيته نار الطعام لثلاثة أيام في مناسبات مختلفة حتى أن ابنته كانت تأتيه وهي فقيرة كذلك بكسرة خبز لمعرفة أن والدها لم يذق الطعام لأيام . كل أدعياء النبوة ماتوا ولهم ثروات في حين أن النبي مات فقيرا لا يملك قوت يومه، بل كان الصحابة من الأغنياء يريدون صرف زكاة أموالهم له وهو لم يكن يقبلها لتحريم الله تعالى لنيبه أن يأكل منها، ومنهم من أراد التبرع بكل ماله له فيرفض عليه السلام، فهل مثل هذا مدع للنبوة؟ فبأي مصلحة ولأي شيء؟

من المنطق الرجل حين ادعاه النبوة يعرف أن مصيره إلى النار لأنه سيضل خلقا كثيرا فيغتنم الفرصة فيبيع آخرته بدنياه يريد ان يعيش سنوات الرغد وطيب العيش والتمجيد في حين أن الأنبياء لم يكونوا طلاب دنيا، فلأي شيء سيدعي مثل هؤلاء النبوة؟ هل ليخلدوا أساميهم فكان الأجدد أن يدعوا الألوهية ليعبدوا في الأرض فيكون صيتهم أكبر من صيت النبوة بل هم ما فتؤوا على دعوة الناس للإله العظيم وأنهم بشر مثلنا لا يستحقون الإطراء ويفخرون بعبوديتهم لله تعالى؟

٥ - النظر إلى الكتاب الموحى به أي كتاب الرسالة وإلى إعجازات الرسالة، والأخبار الغيبية المستقبلية التي تحدث في زماننا، وإلى حكم التشريع ونجاحاته (١) .

٦ - النظر في مآلات النصر والتمكين الرباني له، واختصاص السماء به وحمايته ونصره مقارنة مع المعادلات الأرضية الموجودة في زمنه .

هذه أهم الأفكار التي يمكن بها أن نميز الأنبياء الكذبة من الصادقين مع العلم وجوب تكامل واجتماع الأفكار السابقة في الشخصية المدروسة، فإنه قد يوجد بند منها وقد تشبهه لكن بتواجدها كلها بل وأكثر من ذلك بكثير في شخصية محمد بن عبدالله كما سنرى يثير عند العقلاء الخيال والفكر للبحث في حقيقة هذه الإنسان ورسالته والكتاب الذي أرسل به .

المبحث الثالث : هذه بعض الأدلة المنطقية التي تدل عقلا على تميز هذا الإنسان (محمد بن عبدالله) وهجرته، وباجتماعها وتكاملها تدل على تأييد السماء لهذا الإنسان، ثم تتكامل الأدلة وتتعالى مع بعضها في وحي السماء (بالقرآن دليل نبوة محمد) وتتساند لتتصل ببشارات النبوات الأولى به وبصفاته وأسمه ونسبه ثم تصبح الأدلة بمعجزاته ونبوءاته وأخلاقه وصفاته قاب قوسين أو أدنى فتقول لا مفر من الاعتراف بي إلا بالجحد .

إليك / ٣٧ / بند يستفسر عن محمد منطقيا ويتساءل عقليا ما معنى كل هذا ثم تكتمل بكتابه القرآن المعجز ثم تتعاضد بنبوءات الكتب السابقة ومعجزاته التي تزيد على الألف .

(١) - منقول عن بعض أندية ومواقع الدفاع عن نبوة رسول الله ، بمجرد بحث بسيط في غوغل تظهر نتائج كثير منها هذا النص المقتبس دون ذكر صاحبه . مثل منتدى التوحيد ومنتدى كلمة سواء وغيرهما كثير .

١ - خالف أهواء قومه ودعا إلى دين جديد عليهم وعلى أهل الكتاب، وكان في خطر أكيد محتم من هذه الدعوة فقد سقّه أو ثأنهم ، خالف أهواءهم ، وأهواء أهل الأرض جميعاً بدعوة بل بدين يناقض به دين قومه و أديان الأرض ، وأخبر بأن أهل الكتاب حرّفوا دينهم وكتائبهم فكان على خطر مؤكد ومحقق بعد حياة الهدوء السكينة والطمأنينة والعرفان ، كتب السير وليم موير عن الوضع العالمي أبان الدعوة المحمدية فقال : ((في القرنين الخامس و السادس، كان العالم المتمدين، على شفا السقوط في هاوية الفوضى، لان العقائد التي تعين على إقامة الحضارة كانت قد انهارت، و لم يكن ثمة ما يعتد به مما يقوم مقامها و كان يبدو وقتئذ أن المدينة الكبرى التي تكلف بناؤها أربعة آلاف سنة مشرفة على التفكك و الانحلال ، و أن البشرية توشك أن ترجع ثانية إلى ما كانت عليه من الممجية إذ أن القبائل تتحارب و تتناحر، فلا قانون و لا نظام. أما النظم التي خلفتها المسيحية فكانت تعمل على التفرقة و الانهيار، بدلا من الاتحاد و النظام فكانت المدينة التي تشبه شجرة ضخمة متفرعة، امتد ظلها إلى العالم كله، واقفة تترنح، و قد تسرب إليها العطب حتى اللباب ، و بين مظاهر هذا الفساد الشامل ولد الرجل الذي وحد العالم المعروف جميعه))(١)

٢ - من المعروف أن سمات و دلائل النبوغ تظهر لدي الشخص في سنيّ حياته الأولى و بداية شبابه، لو كان القرآن من تأليف محمد لظهرت عليه دلائل هذا النبوغ في بداية حياته و واهتمّ قومه به وتحدث به العرب لاهتمامهم بهذه الظاهرة، و لاشتهر في سوق عكاظ الذي كان في مكة مأوى الحجاج وكانوا يقيمون مسابقات شعرية وبلاغية به، و لاكتسب مكانة مرموقة بين قومه وافتخر به أهله و عشيرته واهالت عليه الهدايا والعطايا خصوصاً مع ما عُرف عن كفيhle أبي طالب من الفقر. ولعل الآية الكريمة تشير إلى ذلك بقوله تعالى: {قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون} [يونس: ١٦] ، لم يُعرف عن الرسول محمد اهتمامه بالتعلم و الدراسة. فقد صدر القرآن الكريم من شخص غير متعلم . قال تعالى: {و ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه يمينك إذا لارتاب المبتلون.} [العنكبوت: ٤٨] ، كان الشعراء أمثال امرئ القيس و النابغة و الأعشى وغيرهم، يُحسنون في قول ما و في آخر نجد لديهم ضعفاً والشواهد كثيرة. أما القرآن فإنه بليغ في كل المجالات و المواضيع وهذا ما ينفي كونه إبداعاً بشرياً.

نزلت الكثير من الآيات من دون تهيئة سابقة أو تبعاً لحدث طارئ أو سفر أو حرب أو نحو ذلك مما لا يسمح بالتمعن ومراجعة النص السابق تجنباً للوقوع في التناقض. {أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً} [النساء: ٨٢] فقد تكرر الحديث عن نفس المواضيع التي سبق التعرض لها في فترات زمنية متباعدة مما يجعله معرضاً للإضطراب و التناقض -لو كان نتاجاً بشرياً- فلو كان نتاجاً بشرياً لاقتصر الحديث عن الموضوع مرة واحدة. هذا دليل عقلي لأن الكاذب يتجنب ذكر كذبه أو جزء من كذبه مرة أخرى كي لا ينكشف إذا نساها أو إذا قال شيئاً مخالفاً لما قاله في كذبه، ولا ننسى اختلاف اللغة بين القرآن والسنة من حيث البلاغة و الفصاحة و نبرة الخطاب وعلوه. لا يمكن أن يأتي الخطابان من تأليف شخص واحد أحدهما علوي فوقي إلهي والآخر بشري تعليمي، بالإضافة إلى الأخلاق العالية في القرآن في كل مواضيعه

وطروحاته فهل هي نتاج شخص كاذب دجال؟. الكاذب الدجال لا بد أن تكون أخلاقه سيئة ولا يمكن أن يؤلف كتاباً كاملاً عن الأخلاق والسموات والخلود والنعيم والإيعاد بالعذاب للكاذبين الدجالين!. ولا يمكن أن يتميز النبي بالأخلاق و الأمانة والصدق كما شهد له بهذا أعداؤه إن كان شخصاً كاذباً محتملاً. لا بد أن يظهر هذا الجانب من شخصيته ولكن النبي لطلما كان خلوقاً أميناً صادقاً، ولا ننسى رفضه لكل إغراءات المال والمناصب التي قدمتها قريش لكي يتنازل و يتوقف عن دعوته. قدموا له عروض بالمال والفتيات الجميلات، ولكنه رفض كل هذه العروض. لو كان كاذباً يسعى إلى مال و منصب، لقبل عروضهم ولأصبح سيد قريش. ثم هددوه بالقتل و طردوه من مكة و ذهب إلى الطائف فطردوه بالحجارة حتى تدمى جسده، و لم يخف من كل التهديدات ولم يتوقف عن دعوته إلى توحيد الله تعالى. فهل هذا شخص كاذب مخادع؟

٣- كان محور دعوته عبادة الله الخالق و نبذ كل ما يعبد من دونه كأصنام الجاهلية وخرافاتها وتسخيف أهواء قومه وبالتالي وإضعاف قيمتهم الدينية_ الاجتماعية عند العرب وهو من أشرافهم يهمله ما يهمهم دافع عن قومه وبلده في "حرب الفجار" التي قامت في الاشهر الحرم ، فلم يدع إلى عروبة مثلاً أو إلى مجرد أخلاق و معاملات يستدرج بها الناس إلى إتياعه كما زعموا ؟ فهل من خصائص وشأن كل مدعي النبوة الدعوة إلى توحيد الله عبادته وحده ، فأين مدعي النبوة من دعوى النبي محمد و دعوته ، و بضدها تتميز الأشياء .

٤- ثم كيف له كإنسان يبني أمة ويؤسس لدين الله بين قومه البسطاء، أن يدعو الملوك والرؤساء والعظماء في عصره في بادئ أمره للتوحيد والإسلام ، كقيصر، وكسرى و ملوك العرب ولما يُستجاب له بعد في قومه ، و هو يعلم شدة الملوك و حرصهم على دينهم مع شعوبهم و يعلم ضعف عشيرته و قومه حيالهم ، أليس لأنه رسول من الله يبلغ ما يأمر به و يعلم أنه مؤيد من عند الله وأنه مأمور ؟

٥- إن محمداً لم يتصف بالنقائص، فلم يُؤثر عنه أنه كذب، أو خان، أو أخلف وعدا، أو غدر، أو زنا، أو قطع رحماً، أو تكبر، أو سبّ و شتم و ظلم، أو تعاطى الشعر و الموسيقى و الغزل و السهرات ، و قد لبث في قومه ٤٠ عاماً، ألا يفترض أن تكون تلك صفات الكذابين ؟ مع العلم السيرة الذاتية للشخص دليل قوي على صدقه من كذبه فمثلاً عند التحقيق في الجرائم أول ما تبدأ الشرطة في البحث عن أصحاب السوابق فالذي أمضى ٤٠ سنة من حياته صادقاً سيبقى صادقاً . -نحن نقول الأدلة تساند بعضها وتتعاقد وتتكامل فكل جزئية قصيرة تدعم الأخرى فالأدلة كثيرة والقرائن أكثر .

٦- إنه اختار جوار الضعفاء على الأقوياء و الفقراء على الأثرياء و العبيد على السادة و الكرام على اللثام مع أن سادة قومه طالبوه بإبعاد العبيد والفقراء عنه حين أرادوا الاجتماع به لسماع القرآن الذي يتلوه فوعدهم بمجلس خاص فجاءه أعمى يسأله عن القرآن فأدار بوجهه عنه فنزل الوحي عليه يؤنبه إلى قيام الساعة كيف تعبس بوجه أعمى يبحث عن الحقيقة : {عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى} [عبسى:٣]؟ كما أن قومه طالبوه بترك تسفيه أصنامهم على أن يزوجه أجمل الفتيات ويعطوه أكرم أموالهم حتى يصبح أغناهم ويسلموه الزعامة والرياسة عليهم! فما رضي إلا قولهم لا إله إلا الله قولها تدين لكم بها العرب والعجم !

٧- من القضايا التي نُقلت إلينا نقلها الكافة عن الكافة أن إسلام أهل اليمن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم جرى بمعجزة شهيرة.

وكانت بداية القصة أن النبي أرسل رسالةً إلى كسرى ملك الفرس (خسرو الثاني) يدعوه فيها للإسلام، وكان حامل الرسالة عبد الله بن حذافة السهمي فلما قُرئت الرسالة على كسرى أخذها ومزقها ورمى بها، وأرسل رسالةً عاجلةً إلى (باذان) عامله على اليمن في صنعاء يقول له فيها: ابعث برجلين جلدتين حقويين - إلى الحجاز فليأتيا بهذا الرجل، فاختر باذان في سذاجةٍ نادرة رجلين من عنده ليأتيا برسول الله ، فلما قدم الرجلان إلى المدينة قابلا رسول الله ، ودخلا عليه وقد حلقا لحاهما وفتلا شواربهما، فكره النبي النظر إليهما، وقال من أمركما بهذا : قالوا: ربنا. يقصدان كسرى، فقال الرسول لكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي فقال أحدهما: يا محمد إن شاهنشاه يعني ملك الملوك -يقصد به كسرى- قد كتب إلى الملك (باذان) يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك وبعثني إليك لتنتقل معي، وقالوا قولاً فيه تهديد لرسول الله فلم يرد عليه النبي وأمرهما أن يلاقياه غدًا. وفي اليوم الثاني جاء الرجلان إلى النبي فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم : "أبلغا صاحبكما أن ربي قتل ربه كسرى في هذه الليلة" وفي رواية " إن ربي تبارك وتعالى قد قتل ربه الليلة " وفي رواية " اذهبوا إلى صاحبكم فأخبروه أن ربي قد قتل ربه الليلة (١)" أي أن الله عز وجل أهلك كسرى في تلك الليلة، وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى وينتهي إلى منتهى الخف والحافر .

فعاد الرجلان إلى باذان يخبرانه بالأمر، فعجب وانتظر الخبر من بلاد الفرس، فجاء الخبر بعد أسابيع بمقتل كسرى في تلك الليلة التي حددها النبي فعلاً ، فأسلم باذان من هول المفاجأة، وأسلمت حكومته الفارسية ، وأسلم أهل اليمن بإسلامهم، وجاء وفدٌ من أهل اليمن يتعلمون الإسلام وأرسل فيهم رسول الله إلى اليمن أحد عشر معلماً ، منهم علي بن أبي طالب الذي أرسله الرسول إلى همدان بن زيد ، ومنهم معاذ بن جبل أرسله الرسول مخلاف الجند، ومنهم أبو موسى الأشعري أرسله الرسول إلى تهامة ، ومنهم وبر بن يُحَنَس الخزاعي الذي أرسله الرسول إلى صنعاء وأمره أن يبني لهم =مسجدا ، قال وبر بن يحسن الخزاعي: قال لي رسول الله: "إذا بنيت مسجد صنعاء فاجعله عن يمين جبل يقال له ضين" (٢).

وقال الحافظ الرازي في كتابه "تاريخ صنعاء" أن رسول الله عندما أرسل وبر بن يحسن إلى صنعاء في العام السادس الهجري قال له : "مرهم ببناء مسجد لهم في بستان باذان من الصخرة التي في أصل غمدان ، واستقبل به الجبل الذي يقال له ضين" وهاتان الروايتان تفيدان أن الرسول حدد للصحابي وبر بن يحسن الموضوع الذي يبني فيه المسجد بقوله: "واستقبل به الجبل الذي يقال له ضين" وإذا أخذنا هذه الروايات واستفدنا مما

(١) - رواه أحمد ٤٣/٥ رقم: ٢٠٤٥٥ وصححه الأزرؤوط السلسلة الصحيحة ٤١٤/٣، وروى نحوه ابن أبي شيبه ٣٤٦/٧ رقم ٣٦٦٥٦ ، كما وردت القصة مطولة في كتب السير والتاريخ انظر سيرة ابن هشام ٦٩/١ والسيرة النبوية لابن كثير ٥٠٩/٣ وتاريخ الرسل والملوك للطبري ٣١/٢ والكامل في التاريخ لابن الأثير ٣١٨/١ ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور وسبل الرشاد ٦٧/١٠ والروض الأنف ١٤٦/١ والسيرة النبوية للصلاحي ١١٢٠/٢ .
(٢) - أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٢٥٣/١ رقم ٨٣ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .
وراجع وفود أهل اليمن في : أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ٢٧٧/٢ رقم ٧٧٠٩ وقال الأزرؤوط إنسانه على شرط الشيخين ، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة ١٤٩/٩ رقم ٣٣٦٩ والدارمي في سننه عن ابن عباس رضي الله عنه ٥١/١ رقم ٧٩ واللفظ له والطبراني في المعجم الأوسط ٢٨٤/٢ رقم ١٩٩٦ والنسائي في السنن الكبرى ٥٢٥/٦ رقم ١٧١٢ الحديث في صحيح مسلم عنه ك/ الإيمان ب/ تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن ٧١/١ رقم ٥٢ .

كشفه العلم الحديث اليوم ، وما تيسر لنا من إمكانيات جاءت بها الأقمار الصناعية التي قامت بتصوير الأرض على مستويات متفاوتة ، فهي تصور المكان عن قرب واضح يبين تفاصيل بيت أو سيارة كما تصور عن بعد يبين أطراف دولة أو دول أو قارة أو قارات ، وبهذه الإمكانية التي أتاحتها نظام "Earth Google" للباحثين استطعنا أن نثبت الدقة المساحية والجغرافية للتوجيهات النبوية التي قالها للصحابي وبر بن يحنس في وقتٍ ما كان الناس يعرفون شيئاً عن جغرافية أرض محدودة فضلاً عن مساحة تصل إلى ما يزيد عن ألف كيلومتر من المدينة المنورة إلى صنعاء ، ومن اطلع على أول خريطة رسمت للجزيرة العربية بعد هذا التوجيه النبوي بقرون يعرف صعوبة تحديد الملامح الكبرى للجغرافيا كالبهار والجبال والصحراء فضلاً عن المدن والمساحات الدقيقة والإحداثيات بالغة الدقة كما هو الحال في موضوعنا هذا حول توجيهات النبي التي تحدد قبلة مسجد صنعاء وقد حافظ اليمنيون على المسجد الذي بناه الصحابي الجليل وبر بن يحنس في زمن الرسول وتوجيهاته على حدوده إلى يومنا هذا ، وجعلوا لحدوده دعامتين مميزتين إحداهما تسمى المسمورة والثانية تسمى المنقورة ، وحتى بعد بنائها بالحجر الآن حافظ اليمنيون على موضع الدعامتين وكتبوا على الدعامتين : المسمورة والمنقورة وهذا المكان المحدد بدعامتي المسمورة والمنقورة موجود معلوم طوال التاريخ الإسلامي لليمن وإلى يومنا هذا في مؤخرة الجامع الكبير بصنعاء ، راجع رابط الفيديو في الهامش وهو يريك السهم وقد خرجنا به من قبلة المسجد الذي أمر النبي وبر بن يحنس ببنائه واتجهنا به إلى قمة جبل ضين كما أمر النبي بجعل قبلة المسجد إليه ، ثم واصلنا امتداد الخط المستقيم فإذا به يدخلنا مكة المكرمة ويصل بنا إلى الحرم الشريف ويستقر في وسط الكعبة ، وإذا كانت أغلب مساجد المسلمين في العالم تتجه في تحديد القبلة إلى الجهة التي فيها الكعبة كما قال تعالى : (قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) (البقرة: من الآية ١٥٠) ، إلا أن توجيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوبر بن يحنس مكّنه من تحديد القبلة إلى عين الكعبة مباشرةً ، وهذا هو الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا هو الفرق بين العمل البشري والتوجيه النبوي ، فمن علّم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم تحديد موضع الكعبة وجهة القبلة ، وزاوية ميلها التي لا تيسر إلا بأدق الأجهزة العلمية في عصرنا الحاضر وباستعمال الأقمار الصناعية والطائرات والخراط الدقيقة؟! (١)

فهذه معجزة مكتملة الأركان... اشتملت على:

- ١ - إسلام أهل اليمن خلال أيام من حدوث المعجزة.
- ٢ - خبر مثل هذا ليس بالذي يحتاج إلى التثبت منه، فهو منقول نقل الكافة عن الكافة.
- ٣ - أدلة الخبر موجودة إلى يومنا هذا.
- ٤ - إسلام أهل اليمن ليس بالشيء الذي يتم التشكيك في صحة روايته، فأنت لا تتحدث عن قصة فردية وإنما قصة مجتمع بأكمله وتاريخ أمة من الأمم -ولو أنك كتبت في الجوجل إسلام أهل اليمن لأنتك من تفاصيل هذه الحادثة ما يطمئن له قلبك بعجائبها- وترتب على هذه القصة أحداث كثيرة في السيرة النبوية مثل أحاديث معاذ بن جبل فترة إعداده للذهاب إلى اليمن لتعليم الناس الإسلام.

٥ - إمكانية التثبت من بعض تفاصيل القصة في يومنا هذا بأدلة مادية رصدية كما هو موضح في الفيديو السابق، هذا خبر أسلمت على مثله أمة فهل يُسلم قلبك يا صاح (١) ؟!

٨- كان يفعل كل ما يقول بل أضعاف ما يقوله ، و يوصي به ، فكان أبر الناس برحمه، أجود الناس بماله، خير الناس لأهله، أظهر الناس من الدنس، أكثر الناس صلاة و دعاء و ذكرا لربه و عبادة له، أكمل الناس صوما و حججا، أحلم الناس على المسيء بحكم أنه سيد أصحابه ، أظهر الناس لسانا و جنانا ؟

٩- كان عادلا في حكمه بين السيد والعبد والغني والفقير فقال يقيم الحدود والأحكام على السيد والعبد سواء ولا يميّز طبقة الاغنياء ليرضاهم ليسندوه فاقتص من المخزومية القرشية بعد الترجي ألا يفعل فغضب واحمر وقال : لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها، و قال لها أنقذي نفسك من النار فليست أغني عنك من الله شيئا (لا يعطي صكوك غفران لأحد من أصحابه أو لأهله) وكما يقول الباحث الفرنسي كليمان : " لم يكن محمداً نبياً عادياً ، بل استحق بجدارة أن يكون خاتم الأنبياء ، لأنه قابل كل الصعاب التي قابلت كل الأنبياء الذين سبقوه مضاعفة من بني قومه ... نبي ليس عادياً من يقسم أنه "لو سرقت فاطمة ابنته لقطع يدها" ! ولو أن المسلمين اتخذوا رسولهم قدوة في نشر الدعوة لأصبح العالم مسلماً" (٢). ؟ إنه يحكم لليهودي على أصحابه وهم جاءوه يترجونه أن يحكم لصاحبهم السارق على اليهودي المتهم ! فشرعه ينادي ب { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ } [النساء : ١٣٥] ، ملخص القصة التي تدل على نبوته : طُعمة كان رجل مسلم مسكين، سرق درعاً من جاره وخبأها عند يهودي، فوجد الناس الدرع عند اليهودي، فتحركت العصبية !! . وقال اليهود أن المسلم "طعمة" هو سارق الدرع ، وقال المسلمون إنها مكيدة يهودية للإسلام ، فنزل الوحي بكشف طعمة وتبرئة اليهودي ، فاستسلم طعمة واعترف : { ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً (١١١) } ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً (١١٢) ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً (١١٣) } [النساء]. فالذي كسب الخطيئة طعمة، والبريء هو اليهودي ، بل إن القرآن يعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لظنه السوء باليهودي : { واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً (١٠٦) } وإن كان معذوراً صلى الله عليه وسلم، لكن ما صدر منه بالنسبة إلى مقامه المحمود - صلى الله عليه وسلم - يوشك أن يكون كالذنب. { ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً (١٠٧) } فما أحكم القرآن وما أعدله حتى مع اليهودي. وما كانت هذه الآيات إلى من دلائل نبوته - صلى الله عليه وسلم - إذ كيف يهيم النبي صلى الله عليه وسلم باتهام اليهودي

(١) - د. هشام طلعت ، شفاء لما في الصدور ، جرعات علمية وفكرية للملحمين ص ١٠٩ وما بعدها ، ط ١ ، وبعض متلدبات اليمنية .

(٢) - الباحث الفرنسي كليمان هوارت عن "محمد في الآداب العالمية المنصفة" ص : ١٤٢ مرجع سابق .

مع اجتماع القرائن على تهمته، وفجأة تنزل الآيات التي تُبرئه وتدافع عنه وتنقل التهمة إلى طُعمة، فالحمد لله رب العالمين(١)!

١٠- السيرة الذاتية الماضية للداعي تعطي مؤشر قوي عن صدقه أو كذبه لكنها لا تكفي بمفردها بل لا بد من قرائن أخرى ، فقد كان لمحمد ﷺ قرائن حاضرة كثيرة بالإضافة لصلاح أخلاقه وصدقه وأمانته ببساطة إنه ما دعا إلى نفسه و لا لقومه بل إلى شكر الخالق علي نعمة ، و ما تركه الله بلا تأييد و لكن أيده بالكثير من المعجزات والمعيبات فقد أخبر عن أحداث كثيرة لأصحابه وقعت لهم كما أخبرهم عنها وأخبار قالها لهم ستقع فوقعت كما قال مثل فتح فارس و الروم و مدة الخلافة بعده و النار التي خرجت من الحجاز و غيرها، مما ذكر مفصلاً في كتب الحديث وله فصله القادم؟

١١- إنه الشخص الوحيد الذي استطاع أن يغير طبيعة الشعوب من شعب يعبد الحجر و الجن و يؤمن بالحزافة إلى شعب يعبد الله الواحد الأحد خالق كل شيء ليس كمثلته شيء ، من شعب يشرب الخمر كالماء الى شعب لا يشرب الخمر ويحرمه على نفسه أما أمريكا فحاولت بالقوانين والعقوبات الجزائية فلم تستطع وتكلفت المليارات على مشروعها وفشل، من شعب كانت تنتمي إليه صاحبات الرايات الحمر و كان أمراً طبيعياً إلى شعب يلتزم بالأخلاق ويحرم الزنا والفاحشة بل و مجرد النظر ، من شعب يعمل بالربا واستضعاف الآخرين ويستترزق منه الى شعب يحرم الربا ويمنعه حتى وان كان سيدر أرباح عديدة ، من قبائل متقاتلة متناحرة الى مجموعة واحدة مهما اختلفت ألوانهم وأعراقهم ولغتهم فهم واحد على قلب واحد ، من شعب لا يهتم فيه كل انسان إلا نفسه الى مجتمع يهتم كل عضو من أعضائه بباقي الأعضاء ، من شعب يقتل الاناث وهن أطفال بدون أي رحمة أو شفقة و يبيع و يشتري فيهن و لا يورثنهن الى شعب يعظم حرمة النساء و يستهجن المساس بالإناث سواء كن أطفالاً أو كباراً وغير هذا كثير من تأثير النبي الأمي والتعاليم التي جاء بها و دعا إليها متفرقة خلال ٢٣ سنة فقط. بينما هناك آخرون كثيرون وفي أوقات زمنية أكبر من ذلك لم يستطيعوا تغيير طبيعة فرد أو بضعة أفراد إلى أعلى مستويات الرقي الإنساني الفكري و السلوكي وليس شعب بأكمله

لم تقتصر أوضاع شبه الجزيرة على سيطرة الوثنية و عبادة الأصنام فيها، بل في كونها خاضعة للنظام القبلي الذي فرض حالة الانقسام السياسي و التمزق الداخلي ، بسبب كون كل قبيلة تشكل وحدة سياسية و اقتصادية - اجتماعية مستقلة، مما قاد إلى نشوب صراعات قبلية حالت دون توحيد الجزيرة العربية و جمع كلمة العرب، حتى إذا جاء الإسلام قضى على الوثنية المخزية و القبلية الخطرة ، بقيادة محمد ﷺ يقول وليم موير في كتابه حياة محمد : ((كانت أولى الخصائص التي تلفت انتباهنا ، إذاً هي انقسام العرب إلى جماعات لا تعد ولا تحصى، خاضعة لقانون في الشرف والأخلاق واحد، و متمسكة بأهداب عادات واحدة ، و متحدثه في الأعم الأغلب بلغة واحدة، و لكن كلاً منها مستقلة عن الأخرى. كانت تلك الجماعات لا تعرف طمأنينة و لا استقراراً و كثيراً ما نشبت الحروب بينهما و حتى لو اتفق أن جمعتهما رابطة الدم أو رابطة المصلحة فسرعان

(١) - راجع تفاسير القرآن الطبري وابن كثير والقرطبي والألوسي والزمخشري والبيضاوي... لتضح القصة بشكل أوسع. فما نقلت هو ملخص للقصة .

ما كانت تتفرق لاتفه الأسباب وتستلم لعداوتها الحقود. و هكذا كان خليقاً بمن يرجع البصر، قبيل بزوغ الإسلام إلى التاريخ العربي ، أن يرى .. ، حالة من التمازج و التنافر لا تفتأ تتغير و تتقلب، مما أدى إلى إجهاض أيما محاولة من محاولات الوحدة الشاملة .. و كان لابد لهذه المشكلة من أن تحل عن طريق أيما قوة توفق إلى إخضاع العرب أو جمع شملهم ، و لقد حل محمد المشكلة)) (١).

هذا الرسول الذي تمكن بفضل كفاحه الإنساني المرير أن يحقق ذلك النجاح العظيم و التحول الكبير ليس في الجزيرة العربية وحسب، بل على الصعيد العالمي أيضا فمن حضيض الوثنية المخزية انتشل الرسول محمد (عليه السلام) بلاد العرب كلها في فترة من الزمان القصير لا تعدوا عشرين عاماً. انه لم يستأصل الوثنية من بلاد العرب استئصالاً نهائياً فحسب، بل أضرم في قلوب أولئك العرب أنفسهم شرارة من الحماسة لوحداية الله دفعتهم إلى الانطلاق بعيدا في كل رجاً من إرجاء العالم المعروف آنذاك لرفع راية الإله الواحد، أيضا. و هذا الفطام لبلد برمته - يمتد على مساحة هائلة مقدارها مليون و مئتا ألف ميل مربع - عن لعنة الوثنية التي كانت تهيمن عليه هيمنة مطلقة نتيجة الإرث و التقاليد الراسخة، في مدة لا تتجاوز خمس قرن، بحيث اكتسبت ذلك البلد لقب (محطم الأوثان) المشرف، أقول أليس هذا الفطام هو أعظم معجزة قدر للعالم أن يشهدها في تاريخه كله؟ إلا يستحق الرجل الذي أحدث هذا التحول التقدمي لقب (خير الأنام) استحقاقاً لا مرء فيه . (٢).

فالقدر على جمع كلمة العرب قاطبة بقباثلها المتنافرة، وإسقاط ما في نفوس بعضهم لبعض من البغض والثأر من رجل واحد، أمر يكاد يصل إلى حد الإعجاز (٣)، قال تعالى ممتنا على هذه الأمة بهذه النعمة: {واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها } [آل عمران: ١٠٣] وقال سبحانه مبينا صعوبة تأليف القلوب: { وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم } [الأنفال: ٦٢، ٦٣] ، فكانوا بعد هذا التآلف قوة ضاربة أسقطت فارس والروم، وقد تلمح بعض الشعراء هذا المعنى فقال : هل تطلبون من المختار معجزة يكفيه شعب من الأحداث أحياء فكانوا يدا في الحرب واحدة من خاضها باع دنياه بأخراه . (٤)

١٢- هجر متع الحياة ولم يتخذ لنفسه قصرا وعبيدا وحرثا وجواري حسانا و بذخا و سفورا و أموالا و ذهباً و فضة و خيولا و بساتين و أراضي شاسعة ... بل كل ما جاءه تصدق به وتوفي ودرعه مرهونة عند يهودي بطحين لأهله ، لماذا ارتضى لنفسه الوعد بالآخرة ، وقلده على هذا النهج أصحابه من بعده فكانوا على سيرته؟ لماذا يأمر بكل خير و صلاح و ينهى عن كل شر و فساد يقيد حرية الناس عما يشتهون من الفسق بدل أن يطلقها و يحملهم على طاعات عظيمة بدل أن يريحهم منها و يحث على التيسير و يمقت التعسير و التنفير، و يبشر على ذلك و ينذر ؟ لماذا عامل أهل الكتاب بالحسنى و ضمن حقوق الأسرى و

(١) - وليم مور : حياة محمد ، نقلا عن الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، محمد شريف الشيباني ص ٨ بلا بيانات

(٢) - مولانا محمد علي : حياة محمد ورسائله ، ص ٢٣-٢٤ . مرجع سابق .

(٣) - للمعجم المفصل في الأدب، د. محمد التونجي (١/١٨٧) ، ودار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م. (٤٣٠/٢) .

(٤) - د. عبدالحسن المطيري ، الأدلة الجلية على صدق خير البرية ص ١٢٤ ، مجلة البيان ١٤٢٩

أهل الذمة و حقوق الضعفاء من الولدان و الشيوخ و النساء في الحرب و السلم ، نبه إلى كل صغير و كبير حتى نبه إلى إمطة الأذى عن الطريق و إلى الإبتسامة و آداب الطعام و الشراب و الإستئذان و غير ذلك كثير، هل كان لكاذب وقت لكل هذا ؟ يقول المفكر المسيحي نصري سلهب : "إن محمداً كان أُمياً لا يقرأ ولا يكتب، فإذا بهذا الأُمِّي يهدي الإنسانية أبلغ أثر مكتوب حلمت به الإنسانية، منذ كانت الإنسانية، ذاك كان الكتاب الذي أنزله الله على رسوله... ذلك العظيم الذي كان يحاول تغيير التاريخ، ويعدّ شعباً لفتح الدنيا من أجل الله.. ذلك الأُمِّي اليتيم الفقير الذي خاطب الأباطرة والملوك والأمراء من نَدَّ إلى نَدِّ، بل كمن له عليهم سلطان.. ذلك الملهم الذي كان همّه أن يعيد الصلة بين الأرض والسما. ذلك الرجل وجد الوقت الكافي ليلقي على الناس دروساً في آداب المجتمع، وفي أصول المجالسة وكيفية إلقاء السلام!..." هذا الرجل الذي ما عرف الهدوء ولا الراحة ولا الاستقرار، استطاع، وسط ذلك الخضمّ الهائج، أن يرسى قواعد دولة، وأن يشرّع قوانين، ويسن أنظمة، ويجود بالتفاسير والاجتهادات، ولم ينسَ أنه أب وجدُّ لأولاد وأحفاد فلم يجرهم عطفه وحنانه. فكان بشخصيته الفدّة، الغنيّة بالقيم والمعطيات والمؤهلات ، المتعددة الأبعاد والجوانب الفريدة بما أسبغ الله عليها من نعم وصفات، وبما حباها من إمكانات، كان بذلك كله عالماً قائماً بنفسه".

" لم يكن النبي رسولاً وحسب، يهدي الناس إلى الإيمان، إنما كان زعيماً وقائد شعب، فعزم على أن يجعل من ذلك الشعب خير أمة أخرجت للناس. وكان له ما أراد"... "إن هذا النبي كان له في مجال الأخلاق شئون وشئون، فبالرغم من مهامه الجسام وانشغالاته الكثيرة المتنوعة، وبالرغم من الغزوات والسرايا والحروب، واضطلاعه بجميع المسؤوليات وحده دون سواه، فلقد وجد الوقت الكافي ليلقي على المؤمنين -بأقواله وأفعاله- دروساً في شئون لا تمر ببال مسئول كبير في مثل مستواه وخطورته... فذلك العظيم الذي كان يحاول تغيير التاريخ، ويعد شعباً يفتح الدنيا من أجل الله، ذلك الرجل وجد الوقت الكافي ليلقي على الناس دروساً في آداب المجتمع وفي أصول المجالسة وكيفية إلقاء السلام، لكأنه معلم حصر مهمته في تثقيف بضعة وعشرين تلميذاً، ولم يكن له مهمة سواها"... ولقد نجح محمد -صلى الله عليه وسلم- نجاحاً باهراً في كل عمل اضطلع به، من أكبر عمل -وهو تبليغ الرسالة- إلى أصغر عمل قام به (١) .

١٢ - يقول الفيلسوف زكي نجيب محمود : " ليس مدار التسليم برسالة النبي على ما يقدمه من برهان عقلي، بقدر ما يكون مدار التسليم مبنياً على صدق صاحب الرسالة وأمانته"(٢) (فمدعي الرسالة إما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم -لأنه رسول من عند الله-، وإما أن يكون من أنقص الخلق وأذلهم لأنه ادعى بهتاناً عظيماً، فكيف يشبه أفضل الخلق وأكملهم بأنقص الخلق وأذلهم؟ وما أدق وأبلغ ما قاله ابن تيمية : "كل شخصين ادعيا أمراً من الأمور أحدهما صادق في دعواه والآخر كاذب، فلا بد أن يبين صدق هذا وكذب هذا من وجوه كثيرة، إذ الصدق مستلزم للبر والكذب مستلزم للفجور (٣)" وقال : " ليست المعجزة هي الشرط الأوحد للنبوة فمدعي النبوة إما أن يكون أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين ، ولا يلبس هذا بهذا إلا على

(١) - مقتطفات من كتاب نصري سلهب ، على خطى محمد ص ٣٦٦ ، ٣٧٧ وما بعدها . مرجع سابق

(٢) - من وحي كتاب موقف من الميثاق، زكي نجيب محمود دار الشروق القاهرة ط ١٩٩٣ .

(٣) - شرح العقيدة الاصفهانية ص ١٣٨ المكتبة العصرية - بيروت ط ١/١٤٢٥ .

أجهل الجاهلين. وقد أسلم السابقون الأولون أمثال أبي بكر الصديق وخديجة والمبشرين قبل انشقاق القمر والإخبار بالغيب والتحدي بالقرآن... وكثيرٌ من الناس يعلم صدقَ المخبر بلا آية البتة... وموسى بن عمران لما جاء إلى مصر وقال لهم إن الله أرسلني علموا صدقه قبل أن يُظهر لهم الآيات، وكذلك النبي لما ذكر حاله لخديجة وزهبت به إلى ورقة بن نوفل، قال هذا هو الناموس الذي يأتي موسى، وكذلك النجاشي وأبو بكر علموا صدقه علماً ضرورياً لما أخبرهم بما جاء به وما يعرفون من صدقه وأمانته. مع غير ذلك من القرائن يوجب علماً ضرورياً بأنه صادق، وخبر الواحد المجهول من آحاد الناس قد تقتزن به قرائن يُعرف بها صدقه بالضرورة فكيف بمن عُرف بصدقه وأمانته وأخبر بمثل هذا الأمر الذي لا يقوله إلا مَنْ هو أصدقُ الناس أو أكذبهم وهم يعلمون أنه من الصنف الأول دون الثاني^(١)"

فالاستدلال على صحة دعوى الرسالة أمرٌ يسير. والنبي محمد لم يدع أحد أنه كذب ولو لمرة واحدة! فقد عجز البشر عن إظهار كذبةٍ واحدة في جميع عمره على تعدد مواقفه وكثرة أخباره. "ما عهدنا عليك كذبا قط"... "ما جربنا عليك كذبا"^(٢) "ألم تكن هذه الجملة هي أول رد من المشركين في أول حوارٍ بينه وبينهم بشأن رسالته؟"

بل ما اشتهر محمد إلا بالصادق الأمين، ولذا فقد أخبر القرآن العرب أنهم ماكرين حين ينتكرون لرسالته صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون حاله قبل بعثته وأنه صادق أمين {أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون} [المؤمنون : ٦٩] ولو تبصرت الكتب السابقة لما ازددت إلى يقين! فقد عُرف النبي - صلى الله عليه وسلم - أيضاً بالصادق الأمين في كتب الأسبقين. ينقل سفر الرؤيا - آخر أسفار الكتاب المقدس - وهو السفر الخاص بنبوءات آخر الزمان، ينقل لنا صورة النبي محمد ونعته فيقول: "ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أمينا وصادقا، وبالعدل يحكم ويحارب"^(٣) "من هو الذي ركب الفرس وبالعدل كان يحكم ويحارب، وكان لقبه "الصادق الأمين"، وكان مبتعثا من السماء - السماء مفتوحة - غيره - صلى الله عليه وسلم؟ - إن حجة الرسالة وحجة صدق الرسول هي من الحجج العقلية التي لا تتطلب من المرء أكثر من التسليم والإسلام!

١٤ - ونبوة محمد لم تكن بدعا من النبوات {قل ما كنت بدعا من الرسل} [الأحقاف : ٩] فنبوة محمد جاءت بتسيخ التوحيد واستمرار الشريعة وحفظ المصادر، واستقرار موازين الفضيلة وظهور الدين. بل كان لنبينا محمد من كل هذا الحظ الأوفر والجناب الأسمى والمقام الأرفع! فلن يجد الملحدة لأحدٍ مثل الذي لحمد في الأعجوبة والرفعة. وشريعته لم يعترها ما اعترى سائر الشرائع بل هي في كل عصرٍ غضة طرية، ومنذ موته وحتى الآن لم تلزم الحاجة لمبعث رسولٍ آخر فالأحكام تُقرأ ليل نهار كأنها للتو خرجت من فم رسول الله فمن يُقر بجنس الأنبياء لا يبقى عنده أدنى شك في نبوة محمدٍ والذي يُكذب بنبوة محمدٍ هو بالأحرى يكذب بنبوة كل نبيٍ آخر. يقول ابن تيمية: "الذي يُكذب بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم يُكذب بالطريق الذي

(١) - نبوت النبوات عقلا ونقلا، شيخ الإسلام بن تيمية، دار ابن الجوزي، ص ٣٩٣، ومعه في نفس المصدر ص ٣٧٣

(٢) - انظر الأقوال في تفسير الطبري على قوله تعالى { وأنذر عشيرتَك الأقرين } [الشعراء : ٢١٤]

(٣) - سفر الرؤيا لإصحاح ١٧ عدد ١ .

عرفنا من خلاله صدق الأنبياء وصحة نبوتهم. فإن الطريق الذي يعلم به نبوة موسى وعيسى علم به نبوة محمد بطريق الأولى، فإذا قالوا علمت نبوة موسى والمسيح بالمعجزات وعرفت المعجزات بالنقل المتواتر إلينا، قيل لهم معجزات محمد صلى الله عليه وسلم أعظم وتواترها أبلغ والكتاب الذي جاء به محمد أكمل، وأتمته أفضل وشرائع دينه أحسن. وموسى جاء بالعدل وعيسى جاء بتكميلها بالفضل وهو صلى الله عليه وسلم قد جمع في شريعته بين العدل والفضل.

فإن ساغ لقائل أن يقول هو مع هذا كاذب مفتر كان على هذا التقدير الباطل غيره أولى أن يقال فيه ذلك فيبطل بتكذيبهم محمدا جميع ما معهم من النبوات، إذ حكم أحد الشيئين حكم مثله فكيف بما هو أولى منه. فلو قال قائل إن هارون ويوشع وداوود وسليمان كانوا أنبياء وموسى لم يكن نبيا أو أن داوود وسليمان ويوشع كانوا أنبياء والمسيح لم يكن نبيا، أو قال ما تقوله السامرة أن يوشع كان نبيا ومن بعده كداوود وسليمان والمسيح لم يكونوا أنبياء، أو قال ما يقوله اليهود إن داوود وسليمان وأشعيا وحبوق وميخا وعموص ودانيال كانوا أنبياء والمسيح بن مريم لم يكن نبيا، كان هذا قولاً متناقضا معلوم البطلان. فإن الذين نفى هؤلاء عنهم النبوة أحق بالنبوة وأكمل نبوة ممن أثبتوها له، ودلائل نبوة الأكمل أفضل فكيف يجوز إثبات النبوة للنبي المفضول دون الفاضل، وصار هذا كما لو قال قائل أن زفر وابن القاسم والمزني والأثرم كانوا فقهاء وأبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد لم يكونوا فقهاء، أو قال إن الأخفش وابن الأنباري والمبرد كانوا نحاة والخليل وسيبويه والفراء لم يكونوا نحاة، أو قال إن صاحب الملوكي والمسيحي ونحوهما من كتب الطب كانوا أطباء وبقراط وجالينوس ونحوهما لم يكونوا أطباء، أو قال إن كوشيار والخزقي ونحوهما كانوا يعرفون علم الهيئة وبطليموس ونحوه لم يكن لهم علمٌ بالهيئة. ومن قال إن داوود وسليمان وميخا وعموص ودانيال كانوا أنبياء، ومحمد بن عبد الله لم يكن نبيا فتناقضه أظهر وفساد قوله أبين من هذا جميعه، بل وكذلك من قال إن موسى وعيسى رسولان والتوراة والإنجيل كتابان منزلان من عند الله ومحمد ليس برسول والقرآن لم ينزل من الله فبطلان قوله في غاية الظهور والبيان لمن تدبر ما جاء به محمد وما جاء به من قبله، وتدبر كتابه والكتب التي قبله وآيات نبوته وآيات نبوة هؤلاء، وشرائع دينه وشرائع دين هؤلاء، وهذه الجملة مفصلة مشروحة في غير هذا الموضوع لكن المقصود هنا التنبيه على مجامع جواهرهم، وهؤلاء القوم لم يأتوا بدليل واحد يدل على صدق من احتجوا به من الأنبياء، فلو ناظرهم من يكذب هؤلاء الأنبياء كلهم من المشركين والملاحدة لم يكن فيما ذكروه حجة لهم، ولا حجة لهم أيضا على المسلمين الذين يقرون بنبوة هؤلاء، فإن جمهور المسلمين إنما عرفوا صدق هؤلاء الأنبياء بإخبار محمد أنهم أنبياء فيمتنع أن يصدقوا بالفرع مع القدح في الأصل الذي به علموا صدقهم. وأيضا فالطريق الذي به علمت نبوة هؤلاء بما ثبت من معجزاتهم وأخبارهم فكذلك تعلم نبوة محمد بما ثبت من معجزاته وأخباره بطريق الأولى، فيمتنع أن يصدق أحد من المسلمين بنبوة واحدٍ من هؤلاء مع تكذيبه لمحمد في كلمةٍ مما جاء به "

ويقول في موضعٍ آخر "فما من جنسٍ من الأدلة يدل على نبوة موسى والمسيح إلا ودلالته على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أقوى وأكثر، فيلزم من ثبوت نبوة موسى والمسيح ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه

وسلم، ومن الطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الطعن في نبوة موسى والمسيح " فلا يمكن التصديق بنبوة نبي من الأنبياء مع التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم. والطريق الذي بها تثبت نبوة الأنبياء بمثلها وبأعظم منها بكثير تثبت نبوة محمد.

بل إن التصديق بنبوته أولى من التصديق بنبوة غيره، وكل دليل يُستدل به على نبوة نبي، فمحمد- صلى الله عليه وسلم -حاز منتهى جنس ذلك الدليل. وما ترتب على بعثته من تحقيق التوحيد ووضع شرائع العدل وغيرها من مقاصد الرسل أعظم من غيره وأجل وأكثر. وبذلك يجب القطع بأن رسالته أتم وأعظم. فلم يأت- صلى الله عليه وسلم - بنسبٍ خارجٍ على نسق الأنبياء قبله {بل جاء بالصدق وصدق المرسلين} [الصفات ٣٧]

وإلا فمن علمه بطلان عبادة الأوثان؟

من علمه بطلان عبادة الآلهة البشرية؟ مع أن العرب ما عرفوا التقرب إلى الله إلا بوثنٍ أو ببشر-!

ومن علمه عصمة الأنبياء حتى يطهر مقامهم الشريف مما ألصقه به أتباعهم؟

من علمه فضيلة ترك الزنا والخمر والربا وفواحش الأعمال- مع أن مدار أشعار العرب ومعلقاتهم التي بها يتباهون على الخمر والنساء والغزل-؟

من علمه- صلى الله عليه وسلم -التقرب إلى الله بالطاعات؟ أليس كل هذا كان طريق الأنبياء قبله؟

{ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم} [فصلت: ٤٣] فلم يكن- صلى الله عليه وسلم -بدعا من الرسل. ولذلك من آمن بأحد الأنبياء وقرر في نفس الوقت أن يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو ضالٌّ مفترٌّ

فالذين وصلتهم البيئات الظاهرات على صدق النبي- صلى الله عليه وسلم-، وهم يعرفون حال الأنبياء من قبله ثم شهدوا حاله، وبعد ذلك أنكروا رسالته فأولئك هم الظالمون .

وقد جاء وفدٌ من النصارى إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- وهم وفد نجران، وأرادوا مباهلته. لكن لما شهدوا حاله وحال رسالته ومشابقتها لرسالات الأنبياء من قبله نكصوا عن المباهلة وخافوا. وفيهم نزل قول الله تعالى {فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكافرين} [آل عمران: ٦١] والمباهلة أن يقولوا: اللهم العن الكاذب في شأن عيسى وقد وافقهم- صلى الله عليه وسلم، وبالفعل خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي، وقال لهم: إذا دعوت فأمنوا، فقالوا: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك فقال ذو رأيهم: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدا نبي مرسل، وأنه ما باهل قومٌ نبى إلا هلكوا، فأبوا أن يلاعنا وصالحوه على الجزية! تخيل صالحوه على الجزية، في مقابل ألا يدعو عليهم؟ أي حجج من المكابرة والعناد وصل إليه هؤلاء! وعن ابن عباس قال: لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون ما لا ولا أه لا! فهؤلاء الذين شهدوا صدق الرسالة لا حجة لهم في

كفرهم { يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون } [آل عمران: ٧٠] فلا يستقيم إيمان عبدٍ يرفض رسالة ربه ويمتنع عن قبول بعض الرسل، بينما يرض بأخرين. قال تعالى { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأمنوا برسوله } [الحديد: ١٧] (يا أيها الذين آمنوا) يعيسى (اتقوا الله وأمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى فدعوة الإسلام دعوة لا يمكن لعاقلي أن يردّها!.

١٥ - الذي يظن أن إقناعا لعقول الناس تم بالسيف، أو أن ترك هؤلاء الناس لدينهم كان رغبة فقط أو رهبة من أمرٍ دنيوي، هو واهمٌ جاهل. فأى أمةٍ هذه التي تركت ما ينعقد عليه قلبها - دينها - من أجل خوفٍ طارئ؟ وأي جيلٍ هذا الذي يستسلم عن بكرة أبيه ويتحول إلى عاملٍ مخلصٍ في خدمة دينٍ جديدٍ مجرد تلويحٍ بسيفٍ؟ إن هذه الفروض التي يطرحها الملحدة الجدد لتبرير تحول حضارات الأرض في ظرف جيلٍ واحد - جيل الصحابة - إلى الإسلام، وذوبان عقائد الكفر من القلوب بشواهد الحق لهي فروضٌ تسيء لأصحابها أكثر مما تحفظ لهم كفرهم!

وقد آمن بمحمدٍ أهل مكة وأهل المدينة وأهل البحرين وأهل اليمن ولم يعط واحدا منهم درهما، ولا كان معه ما يخيفهم. وقد أسلم الجلندي ملك عمان زمن رسول الله لا خوفا من سيفٍ ولا حبا في رياسة. بل كان إسلامه لأن رسول الله يأمر بالخير ويفعله، وينهى عن الباطل ويجتنبه؛ قال الجلندي: "لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخيرٍ إلا كان أول آخذٍ به، ولا ينهاه عن شرٍ إلا كان أول تاركٍ له... وأنه يفني بالعهد وينجز الوعد وأشهد أنه نبي" وأسلم النجاشي ملك الحبشة حين سمع جعفر بن أبي طالب يتلو شيئا من سورة مريم. فقال: "إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاةٍ واحدة"؛ ثم بكى حتى اخضلت لحيته (٢)؛ أما باذان عامل كسرى على اليمن فقد أسلم بعد أن شهد معجزة حية لرسول الله وذلك أن النبي أخبر رُسل باذان بهلاك كسرى بعد أن مرَّق رسالة رسول الله ولم يصدقا فعادا إلى باذان، وانتظر باذان الخبر من بلاد الفرس، فجاء الخبر بعد شهرٍ بمقتل كسرى في تلك الليلة التي حددها النبي، فأسلم باذان، وأسلمت حكومته، وأسلم أهل اليمن بإسلامهم، وجاء وفدٌ من أهل اليمن يتعلمون الإسلام وهم الذين أرسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل (٣).

فالذي يظن أن سيفا رُفع لإسلام تلك الأمم فقد أبعث النُّجعة، بل ما رُفع السيف أولا إلا في وجه الإسلام ولم يكن ينشغل المكذبون برسول الله إلا بشيءٍ للتخطيط لهدم الدعوة وقتل قائدها صلى الله عليه وسلم بأي ثمن. فقد حوربت الدعوة منذ اللحظة الأولى بالسيف تارة وبالمكر تارات، والنبي كان يعلم من شأن الأنبياء قبله أن كثيرا منهم قد قُتل. فلم يرد ذلك ولم يجعله يجزع بل صبر وصابر ودعا وأصلح وهادن ورفق بهم ودعا لهم. وقد أقام بقلّةٍ قليلةٍ من أصحابه طيلة ثلاثة عشر عاما بين قومٍ يريدون استئصال شأفته هو أتباعه. فقد جاءهم بدينٍ يخالف فيه عهدهم ويسفه أحلامهم. وكان يقرأ في مجامعهم القرآن وفيه عيبهم وعيب آلهتهم.

(١) - بتمامه في الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر والشفاء للقاضي عياض
(٢) - انظرها في كل كتب السيرة وأكثر كتب الحديث وراجع مسند أحمد (١/٢٠٢) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح
(٣) - انظر تفاصيل الحادثة في تاريخ الطبري والمتنظم لابن الجوزي والبداية والنهاية لابن كثير .

وكان يخرج إلى المواسم ويقوم في المحافل ويبرز إلى القبائل يدعو لتوحيد النبيين من قبله ويجذر من الشرك وأهله، كل هذا وقريش ترصده وتتبعه برجالها ودهانتها ، ويصدون الناس عن دعوته بل ويأمرون الحجيج أن يضعوا الكرسف- القطن - في آذانهم حتى لا يسمعون للقرآن وهو يتلوه لئلا يتأثر العرب به. ! وظلوا يمحرون به ويحاولون اغتياله المرة تلو المرة ويمكرون بصاحبته ويقتلونهم ويعذبون من آمن معه، وحبسوه في شعب أبي طالب أربع سنوات، وحاصروا داره وألقوا على كتفه القدر ومكروا به كل مكرٍ وقد تضرع أهله إليه أن يلين لقومه من قريش، وأن يتوقف عن عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم فلا يزداد إلا إبطالا للباطل وإحقاقا للحق .

وقد تلونت الأحوال عليه من غنى وفقيرٍ وسلمٍ وخوفٍ وأمنٍ وإقامةٍ وقتلٍ أحبائه وأوليائه بين يديه، وأذى الكفار له بالحبس والتجويع والقهر والإغراء ومحاولة القتل، فهو في مجموع التعذيب والأذى لم يُعذب نبي ولم يؤذ نبيٌّ مثل ما أؤذي (١) ، وللمرء أن يتساءل : لماذا مع الترهيب الذي تعرض له في بداية دعوته لا يتوقف عن الدعوة؟ فضرَّ به الصبيان في الطائف حتى أُدمي رأسه ورجله الشريفة، ودخل مكة في جوار مطعم بن عدي ثم رد جواره ، ورُمي أمعاء الجزور عليه ، وعانى وأتباعه الجوع والحصار لمدة ثلاث سنواتٍ في شعاب مكة حتى أنه كان يربط الحجرين على بطنه من شدة الجوع. وقال صلى الله عليه وسلم " : لقد أُخفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أؤذيت في الله وما يؤذى أحد ، ولقد أتت علي ثلاثون من بين ليلة ويوم ، وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد ، إلا شيء يواريه إبط بلال(٢)" ، كل هذا يجري في الوقت الذي يعرض عليه الكفار الرياسة والمال، لا مقابل أن يتنازل عن دعوته، بل مقابل أن يتركهم وآلهتهم وألا يُسفه عقيدتهم! لكن دعوته كانت وحيي يوحى ليست من قبل نفسه حتى يتركها لأفضل العروض المتاحة! فكان- صلى الله عليه وسلم -أمام كل هذه الفتن قويا في الحق لا يخش لومة لائم. وظل طيلة حياته ثبثا حين الكرب الشديد، لا يفر ولا يجزع. يقول علي بن أبي طالب: كنا إذا حمي الوطيس واحمرت الخدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون أحد أقرب من العدو منه، ولقد رأيتنا يوم بدرٍ ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا للعدو(٣)"

أما عبادته وذكره لربه على كل أحواله، وقيامه حتى تنفطر قدماه، ووصاله الصوم وتصدقه بكل ماله وإحسانه إلى أهل بيته وإلى جيرانه، وتفقد أحوال أصحابه؛ فهذا مما سارت بأحاديثه ومروياته الركبان . فكيف يستقيم في عقلٍ زهده في الدنيا ؛ وتصور الملحدة أنه طلب الدنيا بالسيف! وكان زهد النبي في الدنيا زهد من ملكها وهي راغمة لا زهد من عجز عنها. فلم يشبع من خبز الشعير ثلاثة أيامٍ تباعا حتى فارق الدنيا (٤) .

ولم ينم على الفرش الناعمة؛ وقد دخل ابن مسعودٍ يوما على رسول الله وأثر الحصر بأحد جنبه فبكى على حال محمدٍ- صلى الله عليه وسلم. فقال : ما يبكيك يا عبد الله؟ قال : يا رسول الله كسرى وقيصر في الحرير والدياج .فقال- صلى الله عليه وسلم : -لا تبك يا عبد الله فإن لهم الدنيا ولنا الآخرة ، وما أنا والدنيا ومثلي ومثل الدنيا إلا كراكبٍ نزل تحت شجرةٍ وتركها(٥) فقد كان ينام على جلدٍ حشوه الليف ومات ودرعه

(١) - من وحي كتاب "رسالة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم" د. ثامر بن ناصر مكتبة الرشد

(٢) - رواه الترمذي (٢٤٧٢)

(٣) - رواه الإمام أحمد في مسنده وغيره

(٤) - متفق عليه تفاصيل التحريج في الأبحاث القادمة .

(٥) - متفق عليه

مرهونةً عند يهودي (١) فعندما يتهمه الملحدة بطلب الدنيا فاعلم أنهم لا يعرفون شيئاً عن سيرته . فكيف يرضى بالعيش الكدر وكانت الدنيا تحت يده ولم يمت إلا وجزيرة العرب تدين بالإسلام .

أما عن رحمته بأمته؛ فانظر إلى رواية معاوية بن الحكم السلمي، حين يقول: بينا أنا أصلي مع رسول الله: إذ عطس رجلٌ من القوم، فقلتُ: يرحمك الله، فرماني القومُ بأبصارهم، فقلت: واأكل أميَّاه! ما شأنكم تنظرون إلي؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما صلى رسول الله فبأبي هو وأمي، ما رأيتُ معلماً قبله ولا بعده أحسنَ تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: " إنَّ هذه الصَّلَاةَ لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنما هو التسبيحُ والتكبير، وقراءة القرآن (٢) " ، وقد جذبه أعرايي من ثيابه جذبة أثرت في صفحة عنقه وقال له: يا محمد مر لي من مال الله الذي عنده فإنه ليس مالك ولا مال أبيك فالتفت إليه وضحك وأمر له بالعطاء (٣) فقد كان صلى الله عليه وسلم حكيماً في معالجة الأمور. دائم البشر سهل الخلق سمح الوجه، يوازن لسانه لإحقاق الحق وإبطال الباطل، عظيم الكرم سخي الروح، فيجيب دعوة العبد ويأكل مع المجذوم ويحلب شاته ويخدم نفسه صلى الله عليه وسلم.

وقد أوتي من الحكمة البالغة والعلوم الكثيرة وعلوم التشريعات الشاملة الجامعة في كل صغيرة وكبيرة في أمور الدنيا والدين وهو أُمِّي من بيعة أمية ، فُبُعْثَ بأفضل الكتب إلى أفضل الأمم بأفضل الشرائع وجاء القرآن لا على مقاسه هو ولا على مقاس بيئته ولا نزولاً على رغبات أصفياؤه وصحابته، وإنما كان يأتي معاتباً ومصححاً ومفسراً ومعلماً وهادياً. فالمدعون من البشر والراغبون في العلو في الأرض يحاولون قدر الإمكان إخفاء عيوبهم لستر حقيقة أمرهم على الناس، أما النبي فما أكثر الآيات التي تصحح وتعاتب على مواقفه مثل أول سورة عبس والتحريم والآيات في أسارى بدر ، أيضاً لو تبصرت إلى حاجته الماسة - صلى الله عليه وسلم - لنزول الوحي في لحظاتٍ عصيبة ليقطع ألسنة المشركين والمشككين وإذا بالآيات تتأخر جدا ولو كانت من عند نفسه لما تأخرت . صلى الله عليه وسلم!

وفي الأخير: أخبر الله عز وجل بنصر نبيه، وأخبر بسيادة دينه وانتشاره، وديانات العرب قائمة وملوكهم على جزيرة العرب مستولية، وكانت ممالك الهند وكسرى والقسطنطينية مما لا يحلم العرب أن يروه فضلاً عن أن تنتشر كلمتهم فيه. فركب جيله - صلى الله عليه وسلم - البحار وأخرجوا الروم من مصر والشام وأرض المغرب. وكانت العرب قبلها بقليل تسخر حين تسمع أن هذا الرجل سينتصر ويبطل الباطل في شرق الأرض وغربها، وكانوا يعتبرون انتصاره من قبيل هدم الجبال الشم الرواسي بريشةٍ تطير بل أخبر الله في كتابه أن نصر نبيه وانتشار دينه حقٌّ قادم، وأن من ظن خلاف ذلك فليشقق نفسه ليهداً غيظه } من كان يظن أن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فليظن هل يذهبن كيده ما يغيظ } [الحج: ١٥] فقد أخبرت الآيات أن نصره - صلى الله عليه وسلم - قادمٌ لا محالة، وهو ما وقع بتمامه!

(١) - متفق عليه البخاري (٢٩١٦) ومسلم (١٦٠٣) .

(٢) - مسلم (٨٤١)

(٣) - النسائي (٤٧٧٦) وأبو داود (٤٧٧٥)

١٦- كان يتحدث عن أمور غيبية كثيرة جدا وعظيمة لزمه ولزمن أصحابه من بعده ولأعصر اللاحقة قد تدعو عند فشلها وثبات عكسها إلى تكذيب المكذبين أو استهزاء المستهزئين أو انقلاب الموالين وهنالك حديث طويل لها في الدليل الثالث مع العلم أن حديث النبي حولها كان في أشد الأوقات حلقة وظلاما لمستقبل الإسلام في مراحل تشير لحالات الفناء والنهاية لهذه المجموعة المؤمنة؟

ثم كيف يترك كل كذب و كل فحش ثم يكذب على الله ثم يحفظه الله و يحفظ الكتاب الذي جاء به كما حفظ السماوات و الأرض إلى يوم القيامة وتأتي نبوءاته يقينا، و قد أخبر أن كتب النصارى و اليهود حُرفوا وُبدلوا كما أثبت ذلك أهلها اليوم، و أن كتابه الذي أنزل به لن يُحرف و مازال الحجة على الخلق يُتلى آناء الليل و آناء النهار؟

١٧- أثر النبيل و الاستقامة كان ظاهرا على ذاته وعلى صحابته و أتباعه بحق، خشوعا و خضوعا لله و صدقا و طهارة و أخلاقا و محبة و كرما و إنسانية ونبلا وحرصا على الخير و نبذا للشر و بعدا عن الأباطيل و الفواحش سرا و علنا و قضاء بالحق و كفا عن الظلم باللسان و اليد و عن الزور و البهتان و حياء و عفة و عزة و كرامة، و يظهر عكس ذلك في كل من خالف سنته؟ كان و لم يزل أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أحب إليهم من أولادهم، حتى قال قائلهم : (ما رأيت أحدا يجب أحدا كحب أصحاب محمد (ص)؟) جاء عروة بن مسعود الثقفي في مفاوضات الصلح في الحديبية مندوبا عن قريش ، فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل عروة يرمق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما تنخم نخامة «بصقة تخرج من الخلق» إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بما جلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يجدون إليه النظر تعظيما له، فرجع عروة إلى أصحابه وقال: أي قوم! والله لقد وفدت على الملوك: "على كسرى وقيصر والنجاشي، والله ما رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد (ص) محمد (ص) ما رآه، وقد عرض عليكم خطبة رشد فاقبلوها (أ). وكذلك الصلاة والسلام عليه فإن مئات الملايين تلهج ألسنتهم بذلك، وأما الشعراء والأدباء فقد تغنوا بذكره ودججوا القصائد والمدائح، ومن شدة حبه وتقديره فإن الأمة قد أجمعت على حب وتقدير أهل بيته الشريف فلهم مكانة كريمة وخصائص عظيمة، كل ذلك من أجل تعظيم قدر نبي الرحمة ﷺ.

١٨- لم يتكلم عما يراه ويسمعه حوله من الإرث الجاهلي الضخم من الأشعار والحروب والقصص التي لا تحصى في الجاهلية مع العلم أن الإنسان ابن بيئته!... لم يذكر القرآن شيئا منها!! أين حديث النبي ﷺ عن نفسه في القرآن؟ لم يذكر شيئا عن طفولته ولا عن مراهقته ولا عن شبابه ولا عن ما حدث له في الأربعين سنة التي سبقت نزول الوحي! لم يذكر فيه أصحابه من أمثال الصديق ﷺ ولو مرة واحدة بالاسم؟ و هو

(١) - السيرة لابن هشام (١٧٢/٢)، عيون الأثر لابن سيد الناس (٦٢/٢)، السيرة النبوية لابن كثير (١٢٨/٣)
(٢) - ابن القيم زاد المعاد (٣٨٢/١) و السيرة النبوية للنسفي (ص ٣٨١)، تاريخ الطبري (٦٢٧/٢) والكامل لابن الأثير (٨٤/٢)

صاحبه من قبل الإسلام ومع ذلك لم يذكره بالاسم في القرآن ولا مرة واحدة !! أين ذكر السيدة خديجة ﷺ عنها التي وقفت معه في أشد الأوقات صعوبة وتحملت في سبيل ذلك الأذى والحصار والجوع ؟ لماذا لم يذكرها ولا مرة واحدة لو كان هو مؤلف القرآن ؟! أين ذكر بناته ﷺ ؟ لماذا لم يذكر أيا منهن أبدا ؟ أين ذكر والدته ﷺ آمنة بنت وهب ؟ لم يُشر لها بأي إشارة ! الخلاصة كتابه ليس كتاب شخصي .!

بل العجيب أن هناك سورة كاملة باسم مريم عليها السلام والددة عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام !! عجيب فعلا أن تجد كتابا يقول المشككون أنه من تأليف محمد ﷺ ثم لا تجد فيه سورة آمنة أو سورة خديجة أو سورة عائشة أو سورة فاطمة ولكن تجد سورة مريم ! لو كان محمد ﷺ هو مؤلف القرآن الكريم أليس من المنطقي أن يقوم بتجاهل ذكر أقرب الأنبياء زنيا إليه - عيسى عليه الصلاة والسلام - حتى ينساه الناس ؟ عيسى عليه السلام دُكر في القرآن ٢٥ مرة ، ومحمد ﷺ لم يُذكر سوى خمس مرات !! ... اربع مرات محمد ومرة واحدة أحمد ، يقوله الدكتور غاري ميلر مؤلف كتاب " القرآن المذهل " : " عندما قرأت القرآن لأول مرة كنت أتوقع أن أجد كلاما عن الصحراء وعن العادات والتقاليد المحلية في تلك البيئة الصحراوية البسيطة ... كنت أتوقع أن أقرأ عن بعض الأحداث العصبية التي مرت على النبي محمد صلى الله عليه وسلم مثل وفاة زوجته خديجة رضي الله عنها أو وفاة بناته وأولاده..... لكنه لم أجد شيئا من ذلك .. بل الذي جعلني في حيرة من أمري أنني وجدت أن هناك سورة كاملة في القرآن تُسمى سورة مريم وفيها تكريم لمريم عليها السلام لا يوجد له مثل في كتب النصارى ولا في أناجيلهم !! وفي نفس الوقت لم أجد سورة عائشة أو سورة فاطمة ! وكذلك وجدت أن عيسى عليه السلام دُكر بالاسم ٢٥ مرة في القرآن في حين أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يذكر إلا ٥ مرات فقط فزادت حيرتي !! " ويقول لينظر المرء ماهي هذه الأشياء التي كان يعايشها رسول الله وكان لها انعكاسا في القرآن ، من المعروف أن حياته كانت صعبة وكل أولاده وبناته قبضوا في حياته ما عدا فاطمة ، وكانت له زوجة لعدة سنين السيدة خديجة لها مكانة كبيرة في قلبه وحياته لم تمت فقط في حياته بل ماتت في أصعب ظروف حياته في الواقع كانت زوجة عظيمة لأنه في بداية الوحي لجأ إليها خائفا يرتعد فواسته وثبته وأيدته وأنت لا تجد حتى في أيامنا هذه أحدا من العرب حينما يكون خائفا يذهب إلى زوجته ليعلمها بهذا الخوف بالرغم من أن هذه بعض الأمثلة فقط التي كانت تدور في ذهن الرسول لكن القرآن لم ترد فيه مثل هذه الأشياء لا موت بنيه ولا موت بناته ولا موت زوجته لا انفعالاته في بداية نزول الوحي عليه ولا تصرف زوجته لا شيء من هذا بالرغم من أن هذه الأمور آلمته وشغلته وأخذت جزء كبيرا من انفعالاته ولو كان القرآن من نتاجه الشخصي لظهرت انفعالاته النفسية في نصوصه (١) "

وتُضيف أيضا أن موسى عليه الصلاة والسلام يُذكر في القرآن أكثر من ١٣٠ مرة !! ما شأن رجل يعيش في صحراء مكة بموسى المصري الذي عاش قبله بألفي عام ليذكره ١٣٠ مرة !؟ كان يكفي محمدا عليه الصلاة والسلام أن يذكر موسى مرة أو مرتين ثم يترك باقي القرآن للحديث عن نفسه وأهله وأصحابه وتاريخ مكة وتراثها وعن شعراء الجاهلية العباقره ومُعلقاتهم من أمثال إمروء القيس وعنترة تلك الأشعار كانت مُعظمة عند

أهل الجاهلية حتى أطلقوا عليها اسم المعلمات لتعلق قلوب أهل الجاهلية بها مع ذلك لم يُشر لها القرآن الكريم بأي إشارة ! طبيعة النفس البشرية هي أن تتحدث عن ما تراه وتسمعه ولكن ما جاء به محمد ﷺ مخالف لما رآه وسمعه ! إن القرآن الكريم هو من خارج محمد ﷺ وليس من عند محمد ﷺ ...

١٩ - لا يوجد كتاب نزه الخالق و قدسه وأمر بالتوحيد والتصديق بالرسول وتنزيههم عن كل نقیصة، والحث على الصالحات الباقيات مثل القرآن؛ منذ كانت الدنيا فالقرآن منسوخ بالتوحيد والنبوات والغيبيات والحكم والفقه والتشريع والآداب، كل هذا بجبكية لغوية ونسج لم تعهده العرب وكم من ملايين القناطر المقتطرة من الذهب والفضة دُفعت لحو القرآن، وإذهاب أثره عن القلوب، وتشنيت أتباعه وتشويه مراده عبر الأزمان، طمعا أن يُفعل به ما فعل بالكتب من قبله (١). فبقي رغم كل المحاولات رافعا أعلامه حافظا أحكامه. { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ } [الأنفال: ٣٦] ، وإذا أنعمت النظر في دين النصارى وجدت أن كل شرائعهم مبدلة محرفة محدثة، فلم يكن المسيح عليه السلام يعرف كنيسة فضلا عن أن يبينها فضلا عن أن يضع قوانينها، ولم يكن يعرف ناقوسا ولا صليبا ولا أسرا را ولا مطانيات- السجود للقساوسة-، ولا أيقونات- صور قديسين-، ولا مراتب كنسية ولا طقوس كهنوتية . وليس في الإنجيل الذي بين أيدي النصارى اليوم شيء من ذلك! فهي تشريعات ما أنزل الله بها من سلطان.

ولو انتقلت إلى التوراة لوجدت أن العمل بها صار من الصعوبة بمكان، حيث شدد اليهود على أنفسهم فما أطاقوا؛ وطقوس التطهر والنجاسة عندهم تحتاج إلى قرابين وانعزالية تامة عن الحياة! وقد تعلق أحكام التوراة بالهيكل السليماني والمذبح وقد خرب الهيكل ولا أحد يعرف له مكانا، وهُدم المذبح وزال أثرهما من الوجود وهذا برهان واضح على نسخ الشريعة. أما الهندوس الذين يتردون من الجبال ويجرقون الأجساد ويغرقون في الماء من أجل التطهر فلم يتعدوا كثيرا عن طقوس اليهود، ولو أراد الله بعباده الهلكة للتطهر ما أذن لهم في صنعة لبوسٍ لتحصنهم من بأسهم . ولما أوجد لهم سراويل تقيهم الحر (٢) ! "فليس في التوراة ولا الإنجيل مماثلا لمعاني القرآن: لا في الحقيقة. ولا في الكيفية. ولا الكمية. بل يظهر التفاوت لكل من تدبر القرآن وتدبر الكتب (٣)" ، فالقرآن رسالة "اليسرى" للأمم؛ يقول تعالى { ونيسرك لليسرى } [الأعلى: ٨] أي: للشرعية السهلة وهي الإسلام. ولو انتقلت إلى معاني القرآن لوجدتها غير محدودة. وعلومه غير محصورة ولا معدودة.

فقد اتسع مجاله لكل فن : " فأنت تجد في كتاب الله أخبارا وأحكام ومواعظ وأمثال وأخلاق وآداب، وترغيب وترهيب ومدح الأخيار وذم الفجار، وتدبير السياسات ومجادلة الأخصام وإقامة الدلائل على أصول الاعتقاد وإزالة الريب، ووصف الغيب ووصف عوالم الأرض والسماوات، خارجا بكل ذلك في حسن نظمه عن كل أسلوب فلا هو من الأراجيز البدوية ولا القصائد العربية فكلما تكرر حلا، وسمعت من أي الأفواه غلا مع اقتران معانيه المتغايرة فينقلك من الوعد إلى الوعيد ومن ماضي إلى حاضرٍ ومستقبل ، ومن حكم إلى جدل،

(١) - الفقرة من وحي كتاب: رسالة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، د. ثامر بن ناصر، مكتبة الرشد

(٢) - الإعلام بمناقب الإسلام، أبو الحسن العامري، ص ١٣٩ .

(٣) - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٥/ ٤٣٥ دار العاصمة، السعودية الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م

فلا ينبو ولا يتنافر بل تتجانس معانيه في بنيةٍ نظميةٍ بديعة (١) "فإعجاز القرآن ليس في بلاغته فقط كما يظن الملحده. ولا في لفظه فقط. ولا في معانه فقط. بل إعجاز القرآن يشمل اللفظ والمعنى والبلاغة، وينتقل إلى العلوم والأحكام والتشريعات وتحليل النفس وسير أغوارها وإشباع مرادها. وكما يقول ابن تيمية: "فالإعجاز في معناه أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه، وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه (٢)" وانظر إلى عبارته الأخيرة " وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه."

فالنظم البلاغي القرآني جاء جاء بأفصح الألفاظ . في أحسن نظوم التأليف . مضمنا أصح المعاني . فاللفظة الواحدة من القرآن لو أخذتها وأدرت لغة العرب كلها لتحصل على لفظةٍ أحسن منها ما استطعت ولو أردت أن تؤلف بكلماتٍ أخرى غير كلمات القرآن لتوازي حسن تأليفه وحبكته ورونقه لشهدت له بالنصر وعلى نفسك بالعجز . انظر إيجاز اللفظ مع دقة المعاني وكثرتها وتلاؤم الكلام في قوله تعالى: { وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيَضَ الْمَاءَ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } [هود: ٤٤] وانظر إلى الإيجاز القرآني المعجز في قوله تعالى {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} [الصفافات ١٠٣] (فلما أسلما) خضعا وانقادا لأمر الله تعالى (وتله للجبين) صرعه عليه ولكل إنسان جبينا بينهما الجبهة وكان ذلك بمعنى وأمر السكين على حلقه فلم تعمل شيئا بمانع من القدرة الإلهية هل تستطيع أن تأتي بهذا المعنى المطلوب بنفس هذا العدد من الكلمات في إطار حبكةٍ بلاغيةٍ لا تنبو عن سير الآيات قبلها وبعدها؟ ولو انتقلت عن لغة العرب وأردت أن تترجم كلمة مثل " أنلزمكموها " في قوله تعالى {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} [هود: ٢٨] فأنت تترجمها بعد أن تنفكك ويخفت رونقها إلى سبع كلماتٍ بالإنجليزية Shall we compel you to accept it وحبكة اللفظ القرآني واستيعابه للمعنى التام مما سارت بأمثاله الركبان . أنظر إلى كلمة " فأسقيناكموه " في قوله تعالى { وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ } [هود: ٢٢] لفظة واحدة بها حرف عطف ، وفعل وفاعل، ومفعول أول ومفعول ثانٍ . ولذا عندما سمع العرب الأفتاح كتاب الله عز وجل خطف أسماعهم بقوة تأثيره ورقاق بلاغته؛ فعن جبير بن مطعم عن أبيه حين سمع قوله تعالى { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ } (٣٥) أَمْ خُلِقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِرُ رَيْكٍ أَمْ هُمْ الْمُصْطَبُونَ } [الطور: ٣٥] قال : كاد قلبي أن يطير! إن كل هذا ليقطع بأن الظاهرة القرآنية ما جاءت إلا لتتحدى وتهدي وتصلح!

لم يزل القرآن يقرع المشركين البلغاء أشد التقرع، ويؤسفهم، ويذم آهتهم، ويتحداهم أن يأتوا بمثله أو بسورةٍ من مثله، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته، محجمون عن مماثلته. بل لقد قال الله عز وجل للمشركين : { لم تفعلوا ولن تفعلوا } [البقرة: ٢٤] فما فعلوا، ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم

(١) - الدلائل العقلية للألوسي مخطوط

(٢) - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٥ / ٤٣٤

كمسيلمة كُشف عواره لجميعهم، فقد ولوا عنه مدبرين وللإنسان أن يتسائل: كيف يجرؤ رجلٌ أن يتحدى أناس في جنس ما يحسنون ويبدعون، ثم يتركهم على مضى السنين وقد علاهم الوجيب والخزي والسكون؟ يقول د. عبد الله دراز: "ألم يكن يخشى الرسول بهذا التحدي أن يثير حميتهم الأدبية؟ فيهبوا لمنافسته وهم جميعٌ حذرون؛ وماذا عساه يصنع لو أن جماعة من بلغائهم تعاقدوا على أن يضع أحدهم صيغة المعارضة، ثم يتناولها سائرهم بالإصلاح والتهديب كما كانوا يصنعون في نقد الشعر، فيكمل ثانيهم ما نقصه أولهم، وهكذا. حتى يُخرجوا كلا ما إن لم ييزه فلا أقل من أن يساميه ولو في بعض نواحيه! ثم لو طوعت له نفسه أن يصدر هذا الحكم على أهل عصره فكيف يصدره على الأجيال القادمة إلى يوم القيامة، بل على الإنس والجن؟ إن هذه مغامرة لا يتقدم إليها رجلٌ يعرف قدر نفسه إلا وهو مألئٌ يديه من تصاريف القضاء، وخبر السماء، وهكذا رماها بين أظهر العالم، فكانت هي القضاء المبرم، فلم يهتم بمعارضته إلا بآء بالعجز الواضح، والفشل الفاضح، على مر العصور والدهور^(١)"

فتحدى القرآن أهل البيان في عباراتٍ محرجة، أن يأتوا بمثله أو بسورةٍ منه، فما فعلوا فلم يأت العرب جميعاً ولا الأمم التي نُقل لها التحدي بشيءٍ يستريح له الملحدة ويريجون به غيرهم! يقول الألوسي رحمه الله: "فلم ينطق أحد منهم إلى يومنا هذا ببنت شفاه ولا أعرب عن موصوفٍ أو صفة، وأظهر الكل العجز عن المعارضة في كل وقتٍ وحين، بل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين! فكأن محمداً صلى الله عليه وسلم موجودٌ كل عصر بين أظهرنا والوحي غير منقطعٍ منا، لأن دليل نبوته وحجته يُذكر الناس بصحة نبوته في سائر الأقطار آناء الليل وأطراف النهار^(٢)" فقد رأى هؤلاء الذين يتحداهم القرآن أن تجميع الجيوش وتحزيب الأحزاب لمحاربة رسول الله أهون وأيسر من معارضة القرآن وقبول التحدي فهذا بالغ جهدهم } وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ } [فصلت: ٢٦]

٢٠- قال المستشرق (هاملتون جب): (إن المواقف الدينية التي عبر عنها القرآن ونقلها إلى الناس تشمل بناءً دينياً جديداً متميزاً... ومن هذه الوجهة يغدو التساؤل عن مصادر الدين الذي جاء به محمد أمراً غير وارد بالمرة). (٣) أما نظريات بعض المستشرقين وأتباعهم الذين يقولون نقل محمد عن الكتاب المقدس، فهل كان الكتاب المقدس مترجماً للعربية زمن النبي؟ وهل ثبت أن محمداً كان قارئاً؟ تفصيله في بحث القرآن! وقد صدق الدكتور عبد الرحمن بدوي في قوله: ((ولكي نفترض صحة هذا الزعم - نقل الرسول عن أهل الكتاب -، فلا بد أن محمداً كان يعرف العبرية والسريانية واليونانية، ولا بد أنه كان لديه مكتبة عظيمة اشتملت على كل نصوص التلمود، والأنجيل المسيحية، ومختلف كتب الصلوات، وقرارات المجامع الكنسية، وكذلك بعض أعمال الآباء اليونانيين، وكتب مختلف الكنائس - والمذاهب المسيحية.)) (٤)!!

(١) - راجع الشفا للقاضي عياض ١/ ٣٦٥، والنبأ العظيم للدكتور عبدالله دراز ص ٤٤-٤٥ .

(٢) - الدلائل العقلية للألوسي مخطوط

(٣) - هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ت/ إحسان عباس وآخرين. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٤، ص ٢٥٤-٢٥٥

(٤) - عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضد متقديه، ت/ كمال جاد الله، القاهرة: الدار العلميّة للكتب والنشر، ١٩٩٩م، ص ٢٤، وانظر ((هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى؟)) للدكتور سامي العامري فإنه رائع ومميز في هذا المجال .

ومن أوضح الأدلة على رد دعوى النقل من ، غيره التحدي أن يأتي بمثله، فلو كان القرآن مأخوذاً من التوراة والإنجيل والكتب السابقة ، لما استطاع محمد أن يتحدى الناس ويقدم على هذا الخطأ الفادح؛ لأن هذه الأصول المنقول عنها موجودة في متناول أيدي الجميع، فلماذا يتحدى الناس بشيء موجود، ألا يخشى أن يقوم بعض الناس بالرجوع إلى مراجعه والعمل مثل عمله، فينكشف؟ ، ثم هذه الأساطير والمراجع ليست خاصة بمحمد ، بل هي كتب متداولة بيد الجميع ، إن افتراض تعلم النبي من نصارى الشام ويهود المدينة وغيرهم، لا يتفق مع الحقيقة التاريخية التي تحدثنا عن الحيرة والتردد في موقف المشركين من رسول الله في محاولتهم لتفسير ظاهرة الرسالة؛ لأن مثل هذه العلاقة مع النصارى أو اليهود لا يمكن التستر عليها أمام أعداء الدعوة من المشركين وغيرهم، الذين عاصروه وعرفوا أخباره وخبروا حياته العامة بما فيها من سفرات ورحلات (١) ، وإن وجود بعض الشرائع في القرآن ، التي تتفق مع ما في التوراة والإنجيل ، أو حتى ما عند العرب ليس في هذا دليل على أنه مأخوذ منها، فالقرآن لم يأت لهدم كل شيء ، بل لتصحيح الخطأ وإقرار الحق، فالصدق والشجاعة والكرم والحلم والرحمة والعزة كل هذه المعاني موجودة عند كفار مكة ومع هذا جاء الإسلام ولم يغير منها شيئاً بل باركها وحث عليها، لذلك قال النبي: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (٢) . ولم يقل: لأنشئها ، إذن ليس من الضروري لكتاب هداية من هذا القبيل، أن يشجب كل الوضع الذي كانت الإنسانية عليه قبله حتى يثبت صحة نفسه، فمن الطبيعي أن يقر القرآن بعض الشرائع، سواء في الكتب السابقة السماوية ، أو في عادات الناس وأعرافهم، وأما الخطأ فإنه لا يقره (٣) ، وقد نص القرآن على هذا المعنى في مثل قوله تعالى: ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ [يونس: ٣٧] .

كيف يمكن اعتبار التوراة والإنجيل من أهم مصادر القرآن مع أن القرآن، خالفها في كثير من الأشياء؛ ففي بعض الأحداث التاريخية نجد القرآن يذكرها بدقة متناهية، ويتمسك بها بإصرار، في الوقت الذي كان بإمكانه أن يتجاهل بعضها، على الأقل تفادياً للاصطدام بالتوراة والإنجيل) ، ففي قصة موسى يشير القرآن إلى أن التي كفلت موسى هي امرأة فرعون، مع أن سفر الخروج يؤكد أنها كانت ابنته، كما أن القرآن يذكر غرق فرعون بشكل دقيق ، لا يتجاهل حتى مسألة نجاة بدن فرعون من الغرق مع موته وهلاكه، في الوقت الذي نجد التوراة تشير إلى غرق فرعون بشكل مبهم، ويتكرر نفس الموقف في قضية العجل؛ حيث تذكر التوراة أن الذي صنعه هو هارون، وفي قصة ولادة مريم للمسيح وغيرها من القضايا(٤) ، ومن المعلوم أن في القرآن ما لا وجود له في كتب اليهود والنصارى، مثل: قصة هود وصالح وشعيب، فكيف أتى بها النبي (صلى الله عليه وسلم)؟ (٥)

(١) - المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن، لمحمد باقر الحكيم (ص: ٤٣) .

(٢) - أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة (٨٧٢٩) ، رواه الإمام مالك في الموطأ بلاغا من غير إسناد (كتاب الجامع، باب ما جاء في حسن الخلق) بلفظ (بعثت لأتمم حسن الخلق) ، وأخرجه البزار بلفظ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (انظر فتح الباري (٦/٦٦٥) .

(٣) - المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن (ص: ٤٦) .

(٤) - المرجع السابق ص : ٤٧

(٥) - الوحي القرآني من المنظور الاستشراقي ونقده، لماضي (ص: ١٤٨) ، الجواب الصحيح لابن تيمية (٢٥/٣) ، (٥٧/٤) .

والأهم لو كان محمدٌ هو مؤلف القرآن الكريم لاحتاج إلى جيوش من المترجمين والنقاد وخبراء المخطوطات والجيولوجيين وعلماء يهود ونصارى من جميع الطوائف اليهودية والنصرانية !! والسبب أنه كما يقول الباحث هشام طلبة في كتابه " محمد في التوراة والترجوم والتلمود " أن بعض القصص التي ذُكرت في القرآن الكريم تشبه القصص الموجودة في كتب اليهود والنصارى ، وسنُطلق على هذه التشابهات اسم " **الشواهد القرآنية** " وهذه الشواهد القرآنية أو التشابهات تتضمن مفاجأة كبرى وهي كالتالي : " سنجد دائما هذه الشواهد القرآنية في كتب اليهود والنصارى مع ان عدد هذه الكتب كبير جدا ... كما ان الكتاب الواحد له أكثر من نص التوراة نفسها سينية لها ستة نصوص اساسية (البشتيا - الفولجاتا - الشعبينية - السامرية - الترجوم - القياسية) : النسخة القياسية لها ثلاث نصوص فرعية (الالوهيمي - اليهودى - الكهنوتى) هذه هي النصوص الاساسية عدا العديد من النصوص الفرعية ، وأي ناشر للكتاب المقدس يجب ان يستخدم أكثر من نص من هذه النصوص مستعينا بعلم يسمونه " علم نقد النصوص " ليصلوا لنص اقرب ما يكون للنص الأصلي المفقود ، سنجد دائما هذه الشواهد القرآنية مع ان هذه الكتب المذكورة كُتبت بلغات مختلفة العبرية ، السامرية ، اللاتينية ، اليونانية ، الآرامية ، السريانية ، القبطية الحبشية ، المندائية ، وغيرها ما عدا العربية .

مع ان هذه الكتب لم نجدها مرة واحدة بل لقد جُمعت على مر قرون طويلة منذ القرن الرابع الميلادي وحتى الان أغلب هذه الكتب وجدناها بعد وفاة محمد ﷺ وآخر ما وجدناه كانت مخطوطات البحر الميت (١٩٤٧-١٩٥٦) ، سنجد دائما هذه الشواهد القرآنية في كتب السابقين مع أن هذه الكتب لم نجدها في مكان واحد بل في اماكن متعددة كسيناء و نجع حمادي والقاهرة ، كهوف البحر الميت ، الحبشة ، الفاتيكان ، مكتبات نبلأ اوروبا .. ومع ان هذه الكتب كانت نادرة في عهد النبي ﷺ لأن النسخ كان يدويا و لم تكن هناك طباعة و كذلك بسبب حرق كُتب اتباع الأديان المضطهدة خصوصا النصارى ... سنجد دائما هذه الشواهد القرآنية مع ان حجم الكتب أيامه ﷺ كان كبيرا و كانت على هيئة قراطيس من العسير تداولها سرا سوف اعطى مثلا لهذه الخاصية " الشواهد القرآنية في اسفار السابقين " :

من المعروف ان قصة يوسف عليه الصلاة والسلام هي الوحيدة التي نجدها في القران متتالية في موضع واحد . هذه القصة لا نجدها كما هي في أي كتاب من كتب اليهود او النصارى - سنجد قسما منها في التوراة التي بين ايدينا الان (قياسية - سبعينية) مع وجود تفاصيل في الرواية التوراتية لا نجدها في القران كقطع التوراة لسرد قصة يوسف دون اي مناسبة لتروى لنا قصة أخرى و هي مضاجعة يهودا لزوجة ابنه ! - اما القسم الثاني من رواية يوسف في القران فسنجده في عدد كبير من كتب اهل الكتاب غير التوراة و سنجد هذا القسم مشتتا تماما ، فجزئية إخبار يوسف رؤياه لأبيه اولا نجدها في كتاب " العاديات اليهودية " للمؤرخ يوسيفوس ...

و جزئية ((أَرْسَلُهُ مَعَنَا عَدَاً يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ)) في كتاب (بسكيتارباتى و سيفر عدد) - هذان الكتابان اتفقا مع القران في ذلك و اختلفا فيها مع التوراة نفسها - و جزئية " وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا " في كتاب . و جزئية " وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ " في كتاب آخر و جزئية " وَجَاؤُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ " في

كتاب (عهود الاسباط و هو من كتب الاسرار) و جزئية " فَأَكَلَهُ الدُّبُّ " في كتاب " yashar wa yesheb" و هكذا اكثر من ٢٦ جزئية كذلك التي ذكرناها انفا في اكثر من ٣٠ كتابا ... كل هذه الكتب سالفة الذكر وجدنا لها تفاصيل عديدة غير منطقية لا تُذكر في القرآن الكريم كذكر كتاب " تنهوما " أن يهودا حين أخذ منه بنيامين دخل في صراع مع يوسف و نزلت الملائكة لتشاهد الصراع بين يوسف " الثور " و يهودا " الاسد " !! و يضيف كتاب br و التلمود هنا أيضا ان رجال يوسف الأقوياء فقدوا اسنانهم بسبب صرخة يهودا !! و يذكر الكتابان في موضع آخر ان ملاك العاطفة هو الذي حث يهودا على مضاجعة زوجة ابنه المذكورة في التوراة ! هذا عن القسم الثاني في الرواية القرآنية اما القسم الاخير فلا نجد في التوراة او غيرها فلا بد إذن أن محمدا ﷺ كانت لديه مخطوطات أخرى إضافة لكل ما ذكر من مصادر لم نجدها حتى الان وهذا مستحيل بكل المقاييس!! هذه الخاصة - الشواهد القرآنية في كتب السابقين - نستنتج منها أنه من المستحيل على رجل مثل محمد صلى الله عليه و سلم أن يقرأ كل صحيفة في كل كتاب من كتب لم نعرف نحن الان أكثرها إلا متأخرا جدا (١).... ثم يستبعد التفاصيل غير المنطقية ثم يأخذ من هذا ما يتناسب مع ذلك ثم يقدم هذا النتاج في صورة بيانية رائعة و لا بد أنه قد فعل كل هذا في السر ايضا !

إن هذا هو المستحيل بعينه خصوصا إذا أضفنا لذلك معرفته واطلاعه على كتب الأسرار apocrypha الخاصة بكل طائفة!! فكثير من طوائف اليهود والنصارى لديهم كتب لا يطلع عليها إلا كبار رجال الدين عندهم ، فهل اطلع محمد ﷺ على تلك الكتب أيضا ليؤلف القرآن الكريم؟! ومن أيسر سبيل لتبيّن أصالة النصّ القرآني واستقلاله عن دعوى الاقتباس من (الكتاب المقدس) النصراني؛ هو النظر المباشر في كلا الكتابين، والمقارنة الصارمة بينهما لينجلي عن الحقّ غبارُ الشبهة ، ومن أهم ما يكشف الأوجه التي توضّح أنّ القرآن الكريم لم يقتبس من أسفار اليهود والنصارى، تصحيح القرآن الكريم لأخطاء أسفار أهل الكتاب، وفصله بين أصيل الوحي ودخيل التحريف.. وتفصيله في بحث القرآن ..

٢١ - وللمتدبر أن يسأل: أنى لمحمدٍ أن يضع مثل هذا الكتاب الذي حوى أخبار الأولين وتاريخ الأقدمين؟ وأنى له أن يسبك عبارات القرآن ويلقيها لكتبة الوحي بلا إعادة ضبطٍ وتقنين؟ وأنى له أن يُصلح بها مسالك وضروب ما نزلت بسببه؟ وأنى له بعد أن تنزل آيات الله لتضبط نازلة أو تصحح الحُكم في واقعة، إذا به يأمر كتبة الوحي أن يضعوا هذه الآيات في سورة كذا بين كذا وكذا. فتأتي في موضعها بين سابقها وتاليها من الآيات دون أن تنبو معهم أو تتنافر عنهم، بل وكأنها نزلت في جملتهم ولحمتهم؟ يقول د. عبد الله دراز في هذه القضية المذهلة " : في وقت نزول القرآن كانت بعض المواضيع تتزايد بمعزل عن مواضيع أخرى، وتُكوّن تدرّج يا وحدات مُستقلة بعد أن تنضم إليها آيات أخرى نزلت بعدها، وأن بعضها كانت تُضاف هنا، والأخرى تتداخل مع غيرها هناك، بحسب أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- الذي كان يلتقيه بدوره من الروح القدس فإذا أخذنا في اعتبارنا التواريخ التي لا حصر لها - تواريخ نزول آيات القرآن الكريم - والتفتيت المتناهي في نزول الآيات، ولاحظنا أن هذا الوحي كان بوجه عام مرتب طا بظروف ومناسبات خاصة، فإن ذلك

يدعوننا إلى التساؤل عن الوقت الذي تمت فيه عملية تنظيم كل سورة على شكل وحدة مستقلة. وكان القرآن كان قطعا متفرقة ومترجمة من بناء قديم، كان يُراد إعادة بناؤه في مكان آخر على نفس هيئته السابقة، وإلا فكيف يمكن تفسير هذا الترتيب الفوري والمنهجي في آن واحد، فيما يتعلق بكثير من السور؟ ولكن أي ضمان تاريخي يستطيع أن يتحصل عليه الإنسان عند وضع مثل هذه الخطة إزاء الأحداث المستقبلية، ومتطلباتها التشريعية، والحلول المنشودة لها، فضلا عن الشكل اللغوي الذي يجب أن تُقدم به هذه الحلول، وتوافقها الأسلوبية مع هذه السورة بدلا من تلك؟ ألا نستنتج ان اكتمال هذه الخطة وتحققها بالصورة المرجوة، يتطلب تدخلا من قوة عظمى، تتوفر فيها القدرة على إقامة هذا التنسيق المنشود(١)؟"

فأثر القرآن في الفطر والأنفس عجيب، فالقرآن يُذيب جبال الغلظة ويشرح الصدور في توهٍ ويخطف الألباب في نحوه ولفظه. وقد كان نساء المشركين وأطفالهم يتقصفون - يزدحمون - حول بيت أبي بكرٍ في بداية الدعوة حين يقرأ القرآن من فرط انجذابهم وتأثرهم. روى البخاري في صحيحه: "ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وبرز فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيتقصف عليه نساء المشركين وأبنائهم يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك دمه حين يقرأ القرآن، فأفرغ ذلك أشراف قريش من المشركين فسطوة القرآن على القلوب عجيبة فهو يزرع اليقين في القلب الصديا ويغرس الإيمان في الكافر الحقيق. وقد نبهنا الله تعالى إلى هذه الحقيقة وأمرنا أن نستغل سطوة القرآن على القلوب. فأخبرنا أن الكافر في قلب معمعة القتال واشتداد رحي السيوف قد يرجى منه خيرٌ حين يستمع القرآن { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ } [التوبة: ٦] سبحان الله! كيف ينكسر كافر في لحظة احتدام قتالٍ لصوت كتاب عدوه؟ إنها أسرار القرآن! وكم من عدوٍ لرسول الله أراد اغتياله فما أن سمع آيات القرآن حتى انفطر قلبه وتشدق الإيمان من عينيه! فللقُرآن سلطانٌ قاهرٌ على النفوس ولا يزال غضا طريا على كثرة الترداد مع ما فيه من قوانين وتشريعات، وهو الأنيس في الخلوات وتقفو إليه النفوس في الأزمات ويزيل الوحشة عن أي مكانٍ وجد فيه. { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَتَشَعَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } [الزمر: ٢٣] فتستبشر لكتاب الله النفوس وتنشرح له الصدور حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، ولما سمع الوليد بن المغيرة من النبي قوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [النحل: ٩٠] قال: "والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر وما هو بقول بشر. فقد رق قلبه وقال والله ما يشبه الذي نقول شيئا من هذا. ولذا اجتمعت كلمة وفود العرب على ألا يسمعوا للقرآن ولا يُسمِعوه أهلهم، فهذا هو السبيل الوحيد لمقاومة التحدي بمثل هذا القرآن، فأنى للعرب أن يتحدوا كتابا جاء بأفصح ما تسمو إليه لغة العرب في جزالتها ودقة أوضاعها وإحكام نظمها واجتماعها. كل هذا ومحمد كان أميا لا يعرف القراءة والكتابة. { وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحِطُوهُ بِبَيِّنَاتٍ إِذَا لَا تَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ } [العنكبوت: ٤٨]

(١) - في كتابيه مدخل إلى القرآن الكريم دار القلم، الكويت ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م. ؛ والبا العظيم والنص بتصرف وإلا هو عنده بتفصيل كبير مع أمثلة كثيرة

٢٢ - لم تكن الظاهرة القرآنية مرغمة بلاغتها فحسب، ولا مرغمة ببيانها لأصول الدين ومعتقد الأنبياء الأسبقين فقط، ولا توقفت على إصلاح تحريف المفترين، وإنما الظاهرة القرآنية تتخطى كل ذلك . وتتجاوز ما كُتب فأنت تقرأ في كتاب الله مغيباتٍ تحدث دون أن تتخلف، وأخبار أقوامٍ لا يزيد بحث الزمان وتحريه إلا تصديقا لوقوعها، وتقرأ تحلي لا بديعا لطبائع الأنفس وأهوائها وميولها وما يصدها ويردعها ويعيدها. فتجد عبر سبك الأيام وخبراته وتراكم مشاهدة أحوال الناس تحقيقا لكل ذلك! ولو أردنا الشروع في بسط كل عجيبة أتى بها القرآن لما كفانا الزمان. وحسبنا هنا أن نرصد شيئا آخر عرضته الظاهرة القرآنية بسلاسة وجاء هذا الشيء تضمينا لا قصدا لتحدٍ ولا إظهارا للمعجز فقد عرضت الظاهرة القرآنية موت أناسٍ بأعيانهم على الكفر: فحدث ذلك دون أن يُسلم منهم أحد . ولو أن واحدا منهم أسلم لانتهدت الرسالة من فورها! ومن هؤلاء: أبو لهب [سيصلى نارا ذات لهب {المسد: ٣} و الوليد بن المغيرة : {سأصليه سقر} {المدثر : ٢٦} .

بل إن الظاهرة القرآنية أخبرت بأن الوليد ابن المغيرة قد رُزق بينين كُثر وأنه يطمع في المزيد . لكن كلا! { وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَيِّنَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا! {المدثر: ١٢} يقول البغوي في تفسير الآية: "فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصانٍ من ماله وولده حتى هلك." وأخبر القرآن أن شدة عناد الوليد ابن المغيرة وبسبب منعه الخير وكثرة إثمه وافترائه على آيات الله عز وجل بسبب كل ذلك سيخطم بالسيف على أنفه فيُعرف بذلك! { أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَيِّنَ (١٤) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ (١٥) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطوم {القلم: ١٤} قال ابن عباس: وقد فعل ذلك يوم بدر- خُطم على أنفه بالسيف- بل لقد انتقلت الظاهرة القرآنية إلى منحى آخر عظيما . إذ أكدت منذ بداية الدعوة أن هناك سجلا حريبا سيجري بين حزب محمد وحزب مشركي قريش وهذا قطع إعجازي بأن قريش لن تُسلم بسهولة ويسر كما ستسلم المدن البعيدة كيثرب وعمان واليمن والبحرين بل ثمة سجالات وسجالات ستجري . كل هذا في بدايات الدعوة . ولا أحد يستطيع التنبؤ بما سيكون بعد ساعات فضلا عن عقود من الزمان . فقد قال الله تعالى مخبرا عن هزيمة قريش قبل الهجرة {سيهزم الجمع ويولون الدبر} {القمر: ٤٥}

بل لقد تكررت هذه الآيات وهذا الوعيد في أغلب السور التي نزلت في بداية الدعوة مثل [مریم: ٧٥] أي سيهلك كفار قريش في معارك فاصلة ومن يموت منهم قبل ذلك فالساعة موعده أي استشراف للمستقبل هذا الذي يقطع بأن عناد هؤلاء سيطول حتى تكون الحرب؟ أي استشراف للمستقبل هذا الذي يضع الدعوة ككل تحت مقصلة نبوءة لو أسلم سادات قريش في الحقبة المكية لسقطت النبوءة وانتهت الدعوة؟ وكم من بوادي العرب وكم من القرى أسلمت سلما ودون حرب وفي يومٍ وليلة؟ ماذا لو استيقظ كفار قريش وساداتهم وأعلنوا إسلامهم؟ تخيل! ثم انظر كيف جهز كفار قريش الجيوش وعادوا القبائل ودفعوا أنفوس أموالهم ورجالهم لمحاربة الدعوة الناشئة، ولم يتفطنوا لمسألة كهذه- إظهار أنهم أسلموا كذبا -تريحهم وتريح أبنائهم أبد دهرهم؟ فإذا لم يكن القرآن موحى به من عند الله فأى تأويلٍ آخر يمكن أن يطرحه الإنسان المتعقل لثقة النبي صلى الله عليه وسلم بما سيحدث في مقلب الأيام؟

أيضا تحدث الظاهرة القرآنية أن اليهود لن يتمنوا الموت فلم يفعلوا: { قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) } [الجمعة] فما تمنوا الموت أبداً - لأنهم يعلمون أنهم لو تمنوه لماتوا من ساعتهم - مع الاقتضاء والمطالبة التي تدفع لجواب التحدي. يقول القاضي عبد الجبار: "لا يتمنون ذلك مع خفته وسهولته ومع علمه - صلى الله عليه وسلم - بشدة حرصهم على تكذيبه وفضيحته تعجب؟ ولم يقل هذا من عندي بل قال هذا من عند ربي وإلهي وإلهكم الذي يعلم سرهم وجهرهم، وهذا أشد على اليهود من تحديه للعرب بمثل القرآن، وهذا مقام لا يديه النبي صلى الله عليه وسلم إلا مع اليقين. وقد تحيرت الملحدة وأعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم لماذا لم يتمن اليهود الموت زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكذبوه بذلك فيستريحون ويريحون (١)"

وأخبر القرآن بالانتصار يوم بدر قبل أن تبدأ المعركة والحسابات المادية في صالح الكفار قولاً واحداً { إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَيِّي مَعَكُمْ فَتُنَبِّئُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ } [الأنفال: ١٢] يقول الشيخ السعدي في تفسيره للآية " وهذا خطاب... للمؤمنين يشجعهم الله، ويعلمهم كيف يقتلون المشركين. "وأخبر القرآن أن المنافقين سيكذبون على يهود بني النضير ولن ينصروهم، قال الله تعالى { أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ } [الحشر] وحدث ما أخبر به فإن يهود بني النضير أخرجوا ولم يخرج المنافقون لنصرتهم بل تركوهم؛ وقوتلوا فلم ينصروهم. ففي النهاية واجه يهود بني النضير وحدهم مصير خيانتهم ولم يتلقوا أي عونٍ من المنافقين! وكانت هذه بشارة - من القرآن الكريم - مستقلة بنفسها كما يقول ابن كثير في تفسير الآية.

وتبأ القرآن بهزيمة الفرس وانتصار الروم في بضع سنين؛ قال الله تعالى: { وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّغَلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ } [سورة الروم] مع أن التاريخ في ذلك الوقت كان يكتب نهاية إمبراطورية الروم. وقد سحقت حملات أبرويز الفارسية كل أمل للروم في النصر حتى أخذ أبرويز صليب الصليبوت إهانة للروم! ومع ذلك وفي لحظة تاريخية فاصلة يفيق هرقل وينتصر على أبرويز في معركة فاصلة وتتحقق الآية والمعجزة! وأخبر القرآن أنه في يوم نصر الروم على الفرس سينتصر المسلمون أيضاً { ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله } وبالفعل فقد جاءت أخبار نصر الروم في غزوة بدر الكبرى (٢)!

وأتلج القرآن صدور الصحابة الكرام وطمان قلوبهم بأنهم سيدخلون المسجد الحرام. وذلك بعد أن صددهم المشركون عن البيت. قال الله تعالى { لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُخَلَّفِينَ رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا } [الفتح: ٢٧] يصف د. عبد الله دراز الحدث

(١) - تبييت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار (٤١٥) ص: ٢ / ٤١٢ وما بعدها دار المصطفى - شبرا - القاهرة

(٢) - راجع <http://www.angelfire.com/nt/Gilgamesh/sasanian.html> و <https://goo.gl/GWGDYr>

العجيب كالتالي " :مُنِعَ المسلمون من دخول مكة عام الحديبية، واشترطت عليهم قريش إذا جاءوا في العام المقبل أن يدخلوها عز لا من كل سلاح إلا السيوف في الثُّرْب، فهل كان لهم أن يثقوا بوفاء المشركين بعقدهم وقد بلوا منهم نكث العهود وقطع الأرحام وانتهاك شعائر الله؟ أليسوا اليوم يجسسون هديهم أن يبلغ محله؟ فماذا هم صانعون غدا؟ على أنهم لو صدقوا في تمكين المسلمين من الدخول فكيف يأمن المسلمون جانبهم إذا دخلوا عليهم دارهم مجردين من دروعهم وقوتهم، ألا تكون هذه مكيدة يراد منها استدراجهم إلى الفخ؟ وآية ذلك اشتراط تجردهم من السلاح إلا السيف في القراب، وهو سلاح قد يطمئن به المسلمون إلى أنهم لن ينالوهم بأيديهم ورماحهم، ولكنه لا يأمنون معه أن ينالوهم بسهامهم ونبالهم، في هذه الظروف المريبة يجيءهم الوعد الجازم بالأمر الثلاثة مجتمعة: الدخول، والأمن، وقضاء الشعيرة .. فدخلوها في عمرة القضاء آمنين، ولبثوا فيها ثلاثة أيام حتى أمّوا عمرتهم وقضوا مناسكهم(١) .

وتنبأ القرآن بأنه سيأتي اليوم الذي يظهر فيه الإسلام على كل الديانات؛ قال الله تعالى في سورة التوبة { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣) } فجاء ذلك اليوم وظهر الإسلام على الدين كله! بل إنه في اللحظات التي كانت تعاني فيها الدعوة الأمرين .تقرر أن الإسلام سيبقى إلى قيام الساعة {لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث} [الروم ٥٦] وبين القرآن أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - سيعود إلى مكة بعد خروجه منها مهاجرا {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد} [القصص: ٨٥] ومعاد الرجل هي بلده. وأن الله عز وجل سوف يغني قريشا {فسوف يغنيكم الله من فضله} [التوبة: ٢٨] وقد كان كل هذا! وغير ذلك الشيء الكثير!

إن ظاهرة الإخبار القرآني للمغيبات التي تأتي بسلاسة وتقع كما أخبر لحي تقطع في كل جانبٍ من جوانبها بصدق صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم. الظاهرة القرآنية هي الظاهرة المستحيلة! مستحيلة التكرار. مستحيلة التحدي. مستحيلة المقابلة. مستحيلة المقارنة بغيرها. ومجرد إتيان الرسول -صلى الله عليه وسلم - الأمي بهذا الكتاب في دلائله وتشريعاته ومعجزاته وبيانه لمن أكبر الآيات على صدقه. ثم عجز المشركين عن معارضته أو حتى مجاراته؛ ثم إصلاح هذا الكتاب لأكثر مشكلتين في الوجود وهما "المعرفة والسلوك" مع المحافظة على النسق البياني البلاغي البديع؛ ومطابقة كل أمرٍ ونهيٍ في الكتاب للعدل والميزان والفطرة ومنهج الأنبياء قبله؛ لحي حججٌ بعضها فوق بعض لمن تدبر. وقد أوجدت الظاهرة القرآنية من الهباء أمة ضخمة واستبقت على القرون جيلا من الناس ما كانوا ليدخلوا التاريخ أبدا لولا نهوض هذه الظاهرة بهم! وقد تفرقت هذه الحقيقة في اللحظات التي كانت فيها الدعوة على المحك {وإنه لذكر لك ولقومك} [الزخرف: ٤٤] ولم يستطع ملاحدة العصر أن يواجهوا الظاهرة القرآنية إلا بسخافاتٍ، كان صمتهم أفضل وأكثر تعقلا من التصريح بها!

٢٣ - ويأتي زعم آخر أن القرآن من حديث نفس محمدٍ حيث أفاضت نفسه هذه المعارف، ويرد د.عبد الله دراز على هذا الادعاء المضحك فيقول " :نعم؛ إنها لعجبية حقًا :رجلٌ أمي بين أظهر قومٍ أميين،

يحضر مشاهدتهم- في غير الباطل والفجور- ويعيش معيشتهم مشغولا برزق نفسه وزوجه وأولاده، راعيا بالأجر، أو تاجرا بالأجر، لا صلة له بالعلم والعلماء؛ يقضي في هذا المستوى أكثر من أربعين سنة من عمره، ثم يطلع علينا فيما بين عشية وضحاها فيكلمنا بما لا عهد له به في سالف حياته، وربما لم يتحدث إلى أحدٍ بحرفٍ واحد منه قبل ذلك، وييدي لنا من أخبار تلك القرون الأولى مما أخفاه أهل العلم في دفاترهم وقماطهم. أفي مثل هذا يقول الجاهلون: إنه استوحى عقله واستلهم ضميره؟ أي منطقي يسوغ أن يكون هذا الطور الجديد العلمي نتيجة طبيعية لتلك الحياة الماضية الأمية؟ إنه لا مناص في قضية العقل من أن يكون لهذا الانتقال الطفري سرٌّ آخر يلتمس خارجا عن حدود النفس وعن دائرة المعلومات القديمة. وإن ملاحظة الجاهلية وهم أجلاف الأعراب في البادية كانوا في الجملة أصدق تعليلا لهذه الظاهرة وأقرب فه ما لهذا السر من ملاحظة هذا العصر، إذ لم يقولوا كما قال هؤلاء: إنه استقى هذه الأخبار من وحي نفسه، بل قالوا: إنه لا بد أن تكون قد أملت عليه منذ يومئذٍ علومٌ جديدة، فدرس منها ما لم يكن قد درس، وتعلم ما لم يكن يعلم {وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون} [الأنعام: ١٠٥] ولقد صدقوا؛ فإنه درسها، ولكن على أستاذه الروح الأمين، واكتتبها، ولكن من صحفٍ مكرمةٍ مرفوعةٍ مطهرةٍ، بأيدي سفرة، كرامٍ برة. {قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون} [يونس: ١٦] ذلك شأن ما في القرآن من الأنباء التاريخية، لا جدال في أن سبيلها النقل لا العقل، وأنها تجيء من خارج النفس لا من داخلها (١).

والظاهرة القرآنية بُعيد كل هذا هي في استقلال تام عن ذات موضوع النبي، فالنبي يتعرض لنكباتٍ ونكبات مثل موت خديجة وعمه أبي طالب، ولا نجد لذلك أثرا في القرآن. أيضا لا نجد أسماء زوجاته في القرآن الكريم مع تعلقه بخديجة إلى آخر لحظة في حياته؛ وفي المقابل نجد اسم السيدة مريم تكرر قرابة 30 مرة. وأيضا لو نظرت إلى المجاز القرآني لوجدته بعيدا تماما عن خيال العربي الذي ينشد في معلقاته وأشعاره الغزل ووصف المرأة والخمر، فالجهاز القرآني لوحة شاملة رائعة تختلط فيها الأنهار التي تجري في المروج الخضراء مع الظلمات التي في البحار اللجية وداخل هذه الوحدة الأدبية تتوافر الدقة العلمية والدقة المعرفية لأنه كتابٌ موحى به من خالق السماء والأرض. وفي إطار حديثنا عن الدقة العلمية. فالقرآن الكريم هو الكتاب المقدس الوحيد على وجه الأرض الذي يخلو من خطأ علمي وهذا مجد ذاته أعظم إعجاز علمي على الإطلاق. في المقابل أعطني كتيب أو مطوية صغيرة مكتوبة منذ مائتي عام فقط تصف أية مسألة علمية وسأخرج لك منها أخطاء صريحة. فقد كتب أرسطو ثلاثة كتب علمية في الطبيعيات، في السماوات، في الأرض "هذه الكتب الثلاثة لا توجد اليوم فيها جملة واحدة صحيحة علميا، فقد كان أرسطو طبقا لهذه الكتب يرى أن: أسنان المرأة تختلف في العدد عن أسنان الرجل! وأنه يوجد في صدر المرأة ثلاثة ضلوع فقط! وأن وظيفة المخ تبريد الدم بينما وظيفة القلب تسخينه (٢)! وكان أرسطو يرى أن المياه الجوفية تتكون نتيجة فجوة في قلب الأرض تنقل مياه المحيط إليها! وما إلى ذلك من الخرافات العلمية التي تملأ كتبه. بينما يقول القرآن في هذه المسألة الأخيرة مثلاً- تكون المياه

(١) - النبي العظيم ، د. عبدالله دراز ص ٤٠ .

(٢) - <http://chsi.harvard.edu/bok/42.html>

الجوفية - خلاصة ما توصل له العلم منذ عقود قليلة فقط، وهو أن المياه الجوفية مصدرها مياه الأمطار { ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض } [الزمر: ٢١] فمصدر المياه الجوفية هو الينابيع المتكونة من الأمطار، وليس فجوة أرسطو التي في عمق القارة. فمعجزة الضبط العلمي للقرآن الكريم هي أعظم معجزة علمية على الإطلاق! وطبقاً للمبدأ البوكيلي (Bucallism) الذي قام بصكه موريس بوكاي منذ عقود قليلة فإن القرآن الكريم بعد مراجعة علمية دقيقة هو الكتاب الوحيد الذي لا يوجد به خطأ علمي واحد رغم أن عمره ١٤٠٠ عام (١)

مع أن القرآن كتاب إصلاح للمعرفة والسلوك في المقام الأول. ولو ترحلت عن القرآن الكريم إلى غيره من الكتب فأنعمت النظر في منحنى الدقة العلمية في تلك الكتب. لوجدت نصوصاً تقطع بالوضع - التحريف - في تلكم الكتب! فلك أن تتخيل! لو أن نصاً واحداً من كتاب مثل الفيدا - الكتاب المقدس للهندوس - كان موجوداً في كتاب الله؟ وسأعرض الآن بين يديك شيئاً من نصوص كتب الأسبقين: تقول الفيدا أن: الأرض ثابتة لا تتحرك (الريج فيدا ١٢١) ، وخلق الله الأرض ثابتة (ياجور فيدا ٣٠) ، والشمس تدور حول الأرض داخل عربة ذهبية يقودها سبعة أحصنة (ياجور فيدا ٣٣ - ٣٤) ، والثور يُثبِت السماء (ياجور فيدا ٣٠) ، والياجور فيدا هي أحد الكتب الأربعة القانونية المقدسة لدى الهندوس ويقول الفيشنو بارانا أن الشمس تبتعد عن الأرض ٨٠٠ ألف ميل، بينما المسافة علمياً ٩٣ مليون ميل. ويقول الآثارفا فيدا: وفي خضم الماء يدور القمر (الآثار فيدا ١ ٨٩) وغيرها الكثير؛ فالحمد لله على الدين الخاتم المعصوم المحفوظ، الذي بلغه لنا أشرف الخلق محمداً صلى الله عليه وسلم، كاملاً غير منقوص.

٢٤ - هل رأيتم رجلاً كاذباً يريد أن يجمع الناس حوله يطلب أشياء صعبة على النفس البشرية يقولوا لهم انهضوا في الفجر للصلاة و في وقت النوم وعند العشاء كي يهربوا عنه، ويفرض عليهم الصيام وترك الطعام والشهوات ، وبذل الأموال زكاة على الضعفاء واليتامى فريضة ، الكاذب يسهل الامور للناس ليجمعهم حوله. مثل الصيام والاستيقاظ يومياً لصلاة؟؟ لو كان ﷺ مُدعياً للنبوّة لطلب أشياء سهلة حتى لا يخسر أتباعه.... فبدلاً من أن يطلب منهم الحج إلى مكان حار بعيد مثل مكة كان بإمكانه أن يجعلهم يحجون إلى مكان بارد مثل جنوب الجزيرة العربية أو لقال لهم حُجوا إلى بلاد الشام بعد أن تفتحوها، وكذلك الصلاة... كان بإمكانه أن يجعلها صلاة واحدة في الاسبوع مثلاً حتى يكسب رضا الناس.. فطلبه هذه الأمور من أمته رغم أن فيها مشقة على النفس البشرية دليل واضح على أنها ليست منه واستمرار الناس على أداء هذه الشعائر رغم مشقتها طوال ١٤٠٠ سنة بعد وفاته هو دليل آخر على نبوة محمد يقول فولتير: " نحن وبلا انقطاع نؤلف عنهم كتباً سيئة لا يعرفون منها شيئاً ، ونصرخ أن دينهم اعتنقته الأمم لأنه دين شهوات ، لكن أي شهوة في الامتناع عن خمر نحن من غرق فيها؟ أو في زكاة واجبة؟ أو صوم صارم؟ أو ختان أول البلوغ؟ أو حج بعيد فوق الرمال القاحلة؟ أو خمس صلوات يومياً حتى في أرض المعركة

(١)!

كان يُلزم نفسه بأمر صعبة هو في غنى عنها؟ يقوم الليل حتى تتورم قدماه يصل الصيام لثلاث إيام متواصلة يكون في مقدمه الجيش في الحرب والشجاع من يقتدي به ويحاذيه وووو لماذا لا يخالف أقواله أفعاله؟ لماذا لا يكون في السر غير العلن؟ فلماذا يُجبر النبي نفسه على هذه المشقة العظيمة؟ لماذا يُلزم النبي نفسه بأمر صعبة هو في غنى عنها؟ مثلاً قيام الليل (واجب) عليه وفي المقابل فإن قيام الليل سُنة للمسلمين يعني (يجب) عليه أن يقوم الليل يومياً بينما لا شيء على المسلم لو لم يقم الليل سوى أنه فُرط في الأجر لكن لا إثم عليه عن عائشة . رضي الله عنها . أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً” رواه البخاري فالنبي كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه وتتفطر من طول القيام ، أي يتحجر الدم فيها وتنشق . وقد قام معه شباب من الصحابة . رضي الله عنهم ولكنهم تعبوا فابن مسعود يقول : صليت مع النبي ذات ليلة ، فقام طويلاً حتى هممت بأمر سوء ، قالوا : بما هممت يا أبا عبد الرحمن؟ قال : هممت أن أقعد وأدعه (رواه البخاري) أي يجلس ، لعجزه عن أن يصبر كما صبر النبي وحذيفة بن اليمان . رضي الله عنه . قام معه ذات ليلة فقراً النبي ﷺ البقرة والنساء وآل عمران خمسة أجزاء وربع تقريباً يقول حذيفة : كلما أتت آية رحمة سأل ، وكلما أتت آية تسبيح سبّح ، وكلما أتت آية وعيد تعوذ . رواه مسلم فلماذا يُجبر النبي ﷺ نفسه على هذه المشقة العظيمة لو لم يكن نبياً يوحى إليه من الله سبحانه وتعالى؟

٢٥ - كيف علم النبي ﷺ أن زمزم لا تجف إلى يوم القيامة؟ فقال : ” لا تنزف أبداً ولا تُذم ” رواه الدار قطني ، لا تنزف أي لا تجف وقد رأى العالم بأسره هذا الكلام واقعا لا يجادل فيه أحد ، زمزم هو مجرد بئر صغيرة بجانب الكعبة يشبه تلك الأبار الصغيرة التي توجد في القرى والهجر ، ومعروف أن أي بئر من هذا النوع فإن عمرها لن يتجاوز في أكثر الأحوال ١٠٠ عاما لو كان عدد من يستهلكه لا يزيد عن عدد سكان قرية صغيرة ، لكن زمزم فأمرها عجب !

١٤٠٠ سنة من الاستهلاك المتواصل على مدار الساعة ولا زالت تنضح الماء بدون أي انقطاع ! وعاما بعد عام يزيد الاستهلاك ولكن لم تتوقف ، بل أصبحت يُعبئونها في عبوات ويصدرونها للدول الأخرى ! كيف عرف النبي صلى الله عليه وسلم أن تلك البئر الصغيرة بجانب الكعبة ستبقى متدفقة ويشرب منها عشرات

(١) - فولتير (فيلسوف عصر التنوير الفرنسي)؛ والذي انتقد التسلط الكنسي في عصره، كان قد ألف مسرحية نُشرت عام ١٧٤١م بعنوان (التعصب)، ذم فيها الإسلام والنبي محمدًا (عليه الصلاة والسلام) وقدمهما كمثل للتعصب والكذب، و سرعان ما أحسَّ بعض المتمردين للكنيسة الكاثوليكية أنها انتفاذٌ مبطلٌ لها؛ فتم إيقاف المسرحية.

- لكن فولتير درس الإسلام بتأنٍ بعدها؛ فسجل موقفه تحولاً تدريجياً عبر السنين من عدوٍ إلى مُدافعٍ عن الإسلام. فكتب في رسالته للملك فيدريك في أول عام ١٧٤٢م ما يلي: ((ربما يظهر لي أنني أقدمتُ مُحمداً - بمسرحية التعصب الرائد للمساوية هذه - بجرمة لا يمكنه ارتكابها. إن الكونت بولانفير قد كتب سابقاً عن حياته كرجلٍ عظيمٍ؛ عبَّه الإله ليعاقب العالم المسيحي (حسب نظرة فولتير) ويفيِّر وجه نصف الكرة الأرضية، وإن السير سيل Mr. Sale الذي أعطانا ترجمة ممتازة للقرآن بالإنكليزية؛ سيَقِينَا بأن محمداً رجلاً جديرٌ بالاحترام سواء كان ملكاً أو حَكَم بلسان الشعب، وهو يشبه بهذا (نوما) الذي شرَّع قوانيناً مفيدةً وسليمةً، أو (ثيسوس) الذي دافع عن شعبه)).

- وبالعكس ما يحاول ترويجه بعض العلمانيين والملاحدة؛ توالى بعدها مقولاته التي تمدح في الإسلام؛ كما في قاموسه الفلسفي أو مسرحياته

المليارات من البشر على مدى ١٤٠٠ سنة بدون أن تجف؟! هذا النوع من الآبار لا يمكن أن يصمد ((ساعة واحدة)) في ظل الاستهلاك الحالي الهائل ، لكن زمزم يشرب منها الملايين يوميا ولم يتغير فيها شيء ! في مكة وفي ضواحيها كلها الآن آبار جافة ولا يوجد إلا الآبار الحديثة التي بها ماء... وحتى الآبار الحديثة تجف من فترة إلى أخرى رغم أن كمية الاستهلاك منها بسيطة جدا مقارنة ببئر زمزم ولا يكون فيها ماء إلا حين هطول الأمطار.... أما داخل مكة فالمياه الجوفية لا تستفيد من مياه الأمطار بسبب البناء وتوسع العمران وانغلاق الأودية... والعجيب أن أي بئر موجودة الآن في المنطقة مخزونها لا يفي ولو بنسبة ضئيلة مما يؤخذ ويُسحب من بئر زمزم يوميا... حيث كانت أقل كمية تُضخ تساوي ٨٠٠٠ لتر في الدقيقة بواسطة عدد من المضخات المركزية هذا بالإضافة إلى أكثر من ٤٠٠ الف متر مكعب من مياه زمزم يذهب في صهاريج إلى المدينة المنورة!! وأيضا خمسة ملايين لتر يوميا لمشروع سُقيا والذي يعبأ منه مبدئيا ٢٠٠ الف عبوة يوميا !!

هذا غير الاستهلاك الهائل من زوار المسجد الحرام! فأبي بئر طبيعية يمكن ان تصل طاقتها الانتاجية الى هذه الارقام؟ " لا تنزف أبداً ولا تدم " رواه الدار قطني هذا دليل أن الله سبحانه وتعالى الذي يعلم الغيب هو من أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الخبر الذي لا يمكن أن يتنبأ به بشر من تلقاء نفسه... فلو كان كاذباً لماذا يتنبأ بأشياء في المستقبل كثيرة وهو يعلم أنه يقدم الأدلة على كذبه وبهذا سيهدم رسالته؟

لاحظ كذلك إشارة النبي ﷺ إلى الأمراض الفتاكة في هذا العصر عندما يتهاوى الناس في وهدة الفواحش والردائل من أنواع الشذوذ الجنسي المدمر في قوله : " لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها؛ إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا (١) " وفي هذا المجال نلاحظ ما يذكره الطبيب الدكتور محمد على البار في كتابه - الأمراض الجنسية - حيث يقول: " ولا شك أن الهربس لم يكن منتشراً بهذه الصورة ولا قريباً من عشرين أو واحد بالمائة منها منذ عشرين عاماً فقط " ، إن إحصائياً كبيراً ومشهوراً في الأمراض التناسلية لم يستطع هو وصحبه أن يكتبوا للجمهور أكثر من ثمانية أسطر عن مرض هربس التناسل وكذلك كان الإيدز غير معروف فهو مع الإيدز يصدقان حديث رسول الله ؛ إذ ظهرت الفاحشة، واستعلن الناس في أوروبا وأمريكا ودول شرق آسيا بها، فأصابهم الله بهذه الأوجاع والأمراض التي لم تكن معروفة في أسلافهم. ولفظ الطاعون هنا يعني البوء والمرض الخطير. وهو كثيراً ما يستعمل بهذا المعنى.

تحقق شرط حديث رسول الله في المجتمع الغربي في ظهور الفاحشة والاستعلان بها، فكان لزاماً أن يتحقق جواب الشرط في حديث رسولنا العظيم من تفشي الطواعين والأوجاع في هذه المجتمعات، إن الشواذ جنسيا هم أكثر فئات المجتمع تعرضاً للأمراض التناسلية كالزهري وغيره. وها هو (إيدز) قد اختصهم الله به ليتحقق المقطع الثالث من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع " ويبقى أن نسأل هل الإيدز بصفاته الإكلينيكية ومسبباته الفيروسية كان معروفاً من قبل؟

إن المرض نفسه اكتشف فقط في عام ١٩٨١ م. والفيروس المسبب له لم يكتشف إلا عام ١٩٨٣ م. وهو نوع جديد من الفيروسات ، كذلك فإن أحداً من العلماء لم يسبق له وصف هذا المرض أو الطاعون من

(١) - أخرجه ابن ماجه في سننه رقم (٤٠١٩) وغيره وصححه الشيخ الألباني (اللسلسلة الصحيحة رقم ١٠٦)

قبل وهو ما ختم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه الشريف في قوله: " ... التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا " فانظر إلى خبر رسول الله الواثق في الله تعالى.. إن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم يخبر عن حال أهل الفاحشة في كل زمان ومكان بثقة المتكلم عن الله وما كان أغناه أن يصف الطواعين والأوجاع بأنها لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، هذا لو كان بشرا عاديا حتى يضمن كلامه في المستقبل... ولكن رسولنا الكريم يثق في الله تعالى ويتكلم عن الله، فأنبأ أن هذه الطواعين والأوجاع سيصيب الله بها أهل الفاحشة، وستكون جديدة وغير معروفة. وهكذا نرى في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إعجازين: الأول: إخباري..تحديد لأهل الفاحشة بقوله: إن الله سيبتليهم بأمراض ، الثاني: طبي إعجازي... تحديد نوعية هذه الطواعين بأنها لم تكن في أسلافهم الذين مضوا . (١) " ومن هذه الأمور التي تحدث عنها النبي هنالك المئات في كتب اعجاز السنة النبوية

كذلك لماذا يأتي بقرآن يتكلم عن بعض الاكتشافات العلمية القطعية؟! لماذا يتكلم عن الغيب ولماذا كل الأدلة النقلية على صدق النبوة صحيحة ! الصدفة قد تكون في اكتشاف أو اثنين أو ثلاثة ولكن ليس في كل العدد الكثير هذا ، و ليس كل العلم متغير بل العلم منه ثابت ومنه متغير وأنا أتكلم عن الاكتشافات ، وليس كل القرآن كلامه حمال أوجه و التفسير والعبرة بصحة التفسير الموافق للقواعد والشروط عند أهل التخصص ، بل تحدى قدرات البشر بأبناء الغيب التاريخية و المعاصرة و العلمية في الآيات و الأنفس و التي لم يحط بها بشر و لا أحد استطاع تكذيب نبأ منها حتى الآن، و لا تزال أنبائه تترى متتابعة متحققة متمثلة في أحداث الفتن و أشراف الساعة وهذا صدق قول الله لمحمد { تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا } [هود:٤٩]

٢٦- لاحظ الثقة العجيبة التي أظهرها النبي في غار حراء... عندما وصل المشركون إلى فتحة الغار وكادوا أن يروا النبي ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه... فقال النبي لأبي بكر: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}... يقول أبو بكر رضي الله تعالى عنه: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم علي رؤوسنا فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: ((ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما)) رواه البخاري ومسلم... قال الدكتور غاري ميلر وهو مُنصِّر سابقٍ إعتنق الإسلام... يقول في كتابه القرآن المذهل: لو كنت في موقف الرسول صلى الله عليه وسلم وهو وأبو بكر مُحاصران في الغار، بحيث لو نظر أحد المشركين تحت قدميه لرآهما. ألن يكون الرد الطبيعي على خوف أبي بكر: هو من مثل " دعنا نبحث عن مخرج خلفي " ، أو " أصمت تماما كي لا يسمعك أحد " ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قال بهدوء: " لا تحزن إن الله معنا " ، " الله معنا ولن يضيعنا " . هل هذه عقلية مُدَّعي كاذب ، أم عقلية نبي ورسول يثق بعناية الله تعالى له؟!

٢٧- مدة نزول الوحي هي ٢٣ سنة ، فكل ما جاءنا عنه ﷺ فإنه بلغه للصحابة رضي الله تعالى عنهم في ٢٣ سنة فقط !! فالقرآن والأحاديث الشريفة التي نرويها عن الرسول والعلوم الكثيرة النابعة عنها

كالعقيدة والفقهاء والسياسة والاقتصاد والتشريع والقضاء والمواريث والأخلاق ووصف الأرض والسموات والبحار والإنسان والتفاصيل الدقيقة ليوم القيامة والجنة والنار وما يكون في القبر وغير ذلك مما جاء به الوحي كله في مدة ٢٣ عاما فقط ، في زماننا العجيب الذي توفرت فيه الإمكانيات العلمية وأدواتها والبحوث المدعومة واتساعها ، لا يستطيع عالم أن يأتي بما أتى به الرسول محمد رغم أن بعض العلماء يقرأ بحدود ١٥ ساعة يوميا ، ويعيش ثمانين أو تسعين سنة ، وهو قد ابتداء النبوة في سن الأربعين ومات في سن الثالثة والستين ، ونحن نرى أن كل عالم يتخصص في فرع من فروع الشريعة ، فهناك من يتخصص في العقيدة ويظل يقرأ بها ٦٠ أو ٧٠ عاما ، وهناك من يتخصص في الفقه ويُفني عمره كله فيه ، وهناك من يتخصص في الحديث ويُضي عمره كله في دراسة الأحاديث ، وهناك من يتخصص في الإقتصاد الإسلامي ويُضي عمره في دراسته ، وهكذا كل عالم يُفني عمره في دراسة جزء صغير مما جاء به محمد ﷺ ، والعجيب أن النبي صلى الله عليه وسلم الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب أتى بكل هذه العلوم في فترة قصيرة جدا وفي ظروف بالغة الصعوبة من الحصار والحروب والجوع والفقر ، أمي يعيش في بيئة صحراوية بسيطة يأتي بهذا الكم المعرفي الهائل في فترة قصيرة وفي ظروف بالغة الصعوبة والخطورة كالتالي مرت على نبينا محمد ﷺ ! كيف لرجل أمي أن يأتي بهذا الكم الهائل من المعلومات والتشريعات ؟! فكيف برجل لا يقرأ ولا يكتب ولم يُعرف بالعلم طوال حياته ؟ كيف لرجل أمي أن يُسأل في أي مسألة ثم يُجيب ويُناظر فينتصر ، ويُجادل فيُقيم الحجة ، لو كان الكلام الذي أتى به ﷺ من صنع البشر لكان فيه كثير من التناقض و الإختلاف بحيث لا يمكن الجمع بين كلامه كما قال تعالى : { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } النساء ٨٢

فلو كان ما جاء به ﷺ من صنعه لرأينا تأثير الحصار والحروب والجوع والتهديد على ما جاء به ، ولرأينا ضَعْفًا في البيان هنا وقوة هناك وعمقا في الوصف هنا و سطحية في الوصف هناك حسب الظرف الذي يمر به محمد ﷺ ولكن ما جاء به محمد ﷺ كان عميقا بليغا متناسقا لم يستطع أعظم أدباء العرب على أن يأتي بشيء يشبهه ولو بشيء بسيط ، هذا التناسق والتوافق والعمق والبلاغة والجزالة في اللفظ والمعنى لا تتفق مع تلك الظروف الخطيرة التي كان يمر بها نبينا ، من يقرأ القرآن لن يجد فرقا في القوة والبلاغة والبيان في أول سورة نزلت عندما كان النبي ﷺ في الأربعين من عمره وآخر سورة نزلت وهو في ال ٦٣ من عمره ، ونعلم جميعا أن العطاء البشري يتأثر بالظروف المحيطة ، فإن أي مؤلف مشهور لن يكون عطاءه خلال الأحداث العصبية التي يمر بها مثل عطاءه وهو في راحة وطمأنينة ، وأيضا لن يكون إنتاجه الفكري متناسقا خلال ٢٣ سنة بدون ضعف هنا و تراجع هناك ، لم يحدث هذا أبدا في تاريخ البشر ، الاستثناء الوحيد هو محمد ﷺ الذي كان ما جاء به في أول يوم مطابقا لما جاء به في آخر يوم ، وهذا دليل على أن ما جاء به ﷺ هو من عند الله تعالى .

٢٨ - تعرض كتابه (القرآن) لتفاصيل وإشارات علمية جيولوجيا وبيولوجية وفلكية وبحرية كثيرة في معرض التدليل على قدرة الله وحكمته وفضله ومنته على مخلوقاته وأن كل شيء تم خلقه بقدر وإحكام ولغاية وليس عبثا ولعبا ، فكانت إشارات العلمة متقدمة على البيئة النبوية العربية الأمية تقدا كبيرا جدا وبعيدة عن

معارف عصره وهذه الإشارات متوافقة مع تقدم العلوم المعاصرة ومدللة عليها فكانت إثباتا لقوله: {سُنِرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَا لَهْمُ أَنَّهُ الْحَقُّ} [فصلت: ٥٣] .

أ- فمثل يذكر القرآن أن الكون كله نشأ من أصل واحد، وهذا الذي يسمونه "السديم" اليوم، وهو أقرب ما يكون في التصوير إلى دخان مركز كثيف ساخن وقد سماه القرآن بالدخان فعلا . { أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا } [الأنبياء: ٤٠] وقال: { ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ } [فصلت: ١١] لنرجع في ذلك لأية دائرة معارف باب : Nebula .

ب - يؤكد لنا العلم الحديث أن السماء بناء محكم تملؤه المادة والطاقة، ولا يمكن اختراقه إلا عن طريق أبواب ولا يمكن لأي جسم مادي مهما بلغت كتلته أو تضاءلت لا يمكنه التحرك في الكون إلا في خطوط منحنية (حتى الأشعة الكونية على تناهي دقائقها، وهذه "الحركة غير المستقيمة يحكمها قانون" العروج" . وأن حزام النهار في نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس لا يتعدى سمكه مائتي كيلو متر فوق سطح البحر، وإذا ارتفع الإنسان فوق ذلك، فإنه يرى الشمس قرصا أصفر في صفحة سوداء، وهذا ما نجده في القرآن الكريم { وَكُو فُتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ } الأنعام، وقال: { وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (٣٧) } سورة يس (التعبير "نسلخ" يدل على رقة غلالة النهار الشديدة، كما أسلفنا، فشبّه هنا برقة جلد الذبيحة.) ، وقد اكتشف حديثًا أن للشمس توءمًا مظلمًا تدور حول المجموعة الشمسية، وتحدد طريقها ودخولها للمجموعة الشمسية [الأهرام: ٢٧/٣/٢٠٠٠] [نقلا صانداي تيمز البريطانية] ألا يذكرنا ذلك بأبواب السماء التي ذكرتها الآية ، كما تذكرنا سحابة الشهب المحيطة بالمجموعة الشمسية بقوله تعالى في سورة الجن: { وَأَنَّا كَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثًّا هَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا (٨) } .

ج - كروية الأرض شيء مسلم به عند علماء المسلمين قديما ، وقد ذكرها القرآن في قوله تعالى: { يُكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ } [يونس: ٥] يقال في العربية: "كور العمامة" أي لفها حول رأسه على هيئة حلزونية، وهو الذي نعلمه في حديث النبي أن الأرض كروية، وأن نصفها ليل ونصفها نهار، وبدوران الأرض يلف الليل على النهار وبالعكس وقال بذلك ابن حزم وابن تيمية والبيروني وابن سينا والكندي والكثير غيرهم ، وقد قيس محيط الأرض في زمن المأمون (توفي ٢١٨ هـ) فكان ٤١٠٢٤٨ كم ، وحسب قياس الأقمار الصناعية ٤٠٠٠٧٠ كم ، نسبة خطأ لا تتجاوز ٣% رغم فارق التكنولوجيا! .

د - اكتشف العلم أن مواقع النجوم قاصية جدا وليس كما تشاهد العين قريبة من رؤوس الجبال كما أننا في الواقع نتيجة هذا البعد لا نرى النجم، ولكننا نرى صورته أو موقعه منذ بضع ألاف أو ملايين السنين الضوئية، لأن رحلة الضوء حتى يصل من النجم إلينا طويلة جدا على سرعته قال تعالى في سورة الواقعة: { فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) } .

ق - ظهرت في عام ١٩٥٥ م نظرية في نشأة الكون " Big Bang الانفجار العظيم والتي وقضت نهائيا على النظرية "steady state theory" نرجع في ذلك إلى "van Nostrand's scientific Encyclopeida" باب Cosmology صفحة ٨٠٠ ذلك لأنه أمكن في عام ١٩٦٥ رصد بقايا موجات الميكروويف المصاحب أو اللاحق للانفجار الأعظم عمليا نرجع في ذلك إلى دائرة المعارف البريطانية باب "Big Bang Model" تقول النظرية أن الكون بدأ بكرة نارية شديدة الكثافة والحرارة، ثم انفجرت هذه الكرة وتمددت وتكونت المجرات. ولا زال هذا التمدد قائم وتلك حقيقة علمية لا نظرية (ولا زالت الأجرام تتباعد، ومن الممكن أن يستمر ذلك التمدد إلى حد أقصى) حين ينتهي أثر الانفجار الأعظم وتبقى قوة الجاذبية (ويقع تصادم عظيم بين المجرات، ويعود الكون كما بدأ كرة نارية. "Dictionary of geological terms", 3rd ed. Big Bang hypothesis وقد أمكن لاحقًا عن طريق دراسات أخرى غير الميكروويف الذي ذكرناه، أولا: إثبات تباعد المجرات مثل الأشعة تحت الحمراء وموجات الراديو، وقد قام بهذه الدراسات علماء جامعات هارفارد، واشنطن وأريزونا. P. 801 van Nostrand's scientific Encyclopedia. 6th ed.

فتقول النظرية الكون أصله كرة نارية و ثبت عمليا أن الكون يتسع والمجرات تتباعد، ثم بقى اعتقاد نظري أن لهذا التباعد نهاية تبقى عنده قوة الجاذبية وحدها. عندئذ تلتحم المجرات كلها، ليعود الكون كما بدأ كرة غازية أو نارية، ويبدو أن هذه النهاية لم تعد الآن اعتقادا نظريا، لأنه باستخدام تلسكوب " بالمار"؛ تبين أن هناك حيودا في الخط المستقيم الموافق لقانون " هابل" مما يعني أن هناك تباطؤا في (تباعد المجرات عن ذي قبل). المرجع السابق ص ٨٠١ وهذا الذي ذكرناه يقره القرآن؛ حيث يذكر أن الكون ينتهي بقبضة) حيث تطوي الأجرام السماوية وتلتحم التحاما اندماجيا (ويذكر القرآن كذلك أن الكون ينتهي كما بدأ. أي أنه بدأ بقبضة أي ضا. وقبل هذه النهاية يكون الكون في حالة اتساع. قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر: ٦٧] وقال: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧]

ص - كان سطح القمر ملتهدا يوما ما في وقت كانت فيه الأرض في حالة صلبة هذا ما يقوله العلم، ذلك لأن كل المجموعة الشمسية كانت عبارة عن كرات نارية ثم تصلبت منذ حوالي ٦,٤ بليون سنة، لكن هذه الأجرام لم تتصلب في آن واحد، بل كان هناك تتابع في هذه العملية، ومن تلك الأجرام ما بقى كما هو ملتهدا (الشمس)، والأجرام التي تتصلب أولا هي الأعلى كثافة وقد تبين أن كوكب الأرض هو الأعلى كثافة ٥٢,٥ يتبعه عطارد ٤,٥ ، أما القمر فكثافته ٣,٣ جم /س ٢. إذا فقد تكثفت الأرض قبل القمر وكانت الشمس ولا زالت ملتهدة، كما أن هناك ظاهرتان ساهمتا في تأخير تصلب القمر. الأولى: أن القمر لم يتكثف مثل الأرض ذرة بذرة وطبقة طبقة، بل إنه عبارة عن تجميع لأجزاء متكثفة من السديم. أما الظاهرة الثانية وهي الأهم: فهي نمو جاذبية القمر مع تصلبه نتيجة زيادة حجمه، مما جعل سرعة اصطدام النيازك المتصلة به عالية جدا، فولد ذلك درجة حرارة عالية جدا، مما أوجد ظاهرة فريدة؛ إذ صارت الطبقة الخارجية (١٥٠ ٢٠٠ كم)

ملتهبة بينما داخل القمر متصلب . مستخلص من كتاب: ["Physical geology" 2nd edition – Flint & Skinner – editor: John Wiley & Son.s Library of congress cataloging in publication data: Flint, . 460 – 463 – 467 – 472 . [Richard Foster, 1902 – 1976. Physical Geology p. 460 – 463 – 467 – 472 .] ، يقول تعالى: { وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً } [الاسراء: ١٢] آية الليل القمر ، وآية النهار: الشمس، ذلك كما روى ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس وكذلك قال الشوكاني: إذ يقول القرآن إن القمر كان يوما كالشمس الآن (ملتهبة ترسل ضوءها وحرارتها إلى الأرض المتصلبة)، ثم تصلب وهذا ما استعرضناه توا. والعجيب أن بعض كتب اليهود السابقة للقرآن ("Apocalypse of Baruch") تذكر هذا لكنها تخلطه بجرافة؛ إذ تذكر أن السماوات والشمس والنجوم حزنوا لخروج آدم من الجنة إلا القمر الذي ضحك عليه، فعاقبه الله بطمس ضوئه!!! نقلنا عن كتاب "The Legends of the Jews" .

Adam 92

ع – ما ذكر سابقا هو إشارات قرآنية في باب الكون والفلك ، وهنالك في باب علوم الارض وتكوينها والجيولوجيا مئات الآيات وفي علوم البحار والأنهار والجبال وفي صحة الانسان وفي خلقه وتكوينه وفي علوم الحيوان الكثير من الإشارات العلمية والدلائل ، والقصد من ذلك هو أن ما في هذا الكتاب لا يشابه البيئة النبوية الأمية وعلومها وأن محمدا تلقاه وحيا ممن خلق الأرض والسماوات وفي بحث القرآن هنالك المزيد مما ذكر .

٢٩ - لاحظ استعداده للملاعنة والمباهلة على من خالفه، غير وجل ولا خائف أن يحقق به شيء، والمباهلة: أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا والكاذب وأن يحقق بالظالم الكاذب وبأهله وولده سخط الله وبلاؤه، قال تعالى له: { فمن حاجك فيه (أي المسيح) من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين } [آل عمران: ٦١] ودلالة هذا على النبوة من وجهين: ١- ثقة النبي الكاملة في دينه ومن أرسله جل وعلا، إذ من كان في قلبه أدنى شك في معتقده لا يمكن أن يقدم على مثل هذا المهلكة إلا أن يعتقد اتقادا جازما في صدق ما يقول . ٢- نكوص النصارى عن المباهلة، مما يدل على تصديقه في قلوبهم ولكنهم يعاندون.(١)

فقد جاء النبي بابتته وزوجها وأحفاده ونفسه للمباهلة ضد ركب نصارى نجران الذين ألحوا وتشددوا في بنوة المسيح لله وأنه الله ، فتردد الركب و لم يباهلوا النبي على أنفسهم وأبناءهم وأهاليهم وخافوا وتراجعوا وهذه خلاصة ما جرى: (فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله: «أسلما» . قالوا: قد أسلما. قال: «إنكما لم تسلما، فأسلما» . قالوا: بلى قد أسلما قبلك. قال: «كذبتما بمنعكما من الإسلام ادعوا كما لله ولدا، وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير» .

(١) - وتثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار (٤٢٦/٢) ، مختار الصحاح (٢٧/١) ، لسان العرب (٧/٢٢/١١) ، (٨) فتح الباري (٧/٦٩٧) .

قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت رسول الله عنهما فلم يجبهما، فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران فلما أتى رسول الله الخبر من الله والفصل من القضاء بينه وبينهم، وأمر بما أمر به من ملاعتهم، فقالوا: يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه، ثم انصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم فقالوا: يا عبد المسيح (لقب العاقب) ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمدا لني مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم أنه ما لآعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم. فأتوا النبي فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك، ونتركك على دينك ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا، فإنكم عندنا رضا فدعى أبا عبيدة فقال: «أخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه» (ورضوا بالجزية !!، قال ابن عباس : ولو خرج الذين يباهلون رسول الله لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا» ، فكيف لرجل كاذب أن يقحم نفسه في هذه المزلّة، ويرضى أن يكون ملعونا بلعنة الله، مطرودا من رحمة مستوجبا الهلاك ومستعجلا انتقام الله منه، إلا إن كان صادقا، عالما من صدق نفسه، واثقا بمن أرسله. (١)

٣٠ - عدم استغلاله فرص التعالي وهي كثيرة : في بعض المواقف تحصل فرصة عظيمة للتعالي والتكبر والفخر، ولكنه يأبى أن يفعل ذلك، ولو كان كاذبا لاستغلها أعظم استغلال : يقول المستشرق إميل درمنغم : (ولد لمحمد ابنه إبراهيم فمات طفلا، فحزن عليه كثيرا ولحده بيده، ووافق موته كسوف الشمس، فقال المسلمون: إنها انكسفت لموت إبراهيم. ولكن محمدا كان من سمو النفس ما رأى به رد ذلك، فقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته..» ؛ فقول مثل هذا لا يصدر عن كاذب دجال..) (٢) . بل أصدق الصادقين من يريد تحرير العباد من الوهم والاستبداد وتحرير العقل من السقوط والفضل . ومثله حديث أنس بن مالك، قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل "يسقون" عليه، وإن الجمل استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وإن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ، فقالوا: إنه كان لنا جمل نسقي، عليه وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل. فقال رسول الله لأصحابه: «قوموا» . فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية، فمشى النبي نحوه، فقالت الأنصار: يا نبي الله إنه قد صار مثل الكلب الكلب (أصابه داء الكلب) وإنا نخاف عليك صولته. فقال: «ليس علي منه بأس» . فلما نظر الجمل إلى رسول الله أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه، فأخذ رسول الله بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك! ونحن نعقل، فنحن أحق أن نسجد لك. فقال: «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر!!» (٣) . فلم يستغل النبي سجود الجمل له ليعظم نفسه أو يرفعها، بل قال: "لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر".

(١) - راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٨/١) و البخاري ح(٤١١٩) ومسلم ح(٢٤٢٠) ، وأحمد ح(٢٢٢٦) والدلائل العقلية
(٢) - حياة محمد لإميل درمنغم (ص:٣١٨) ، ترجمة عادل زعيتر، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٤٩م. والحديث في البخاري ح(١٠١٢) ومسلم ح(٩٠١)
(٣) - أخرجه الإمام أحمد (١٢٢٠٣) وإسناده حسن. (صححه الألباني في صحيح الترغيب، رقم: ١٩٣٦)

٣١- وهو دليل الإلزام ، يعني أن نُلزم اليهود والنصارى بما ألزموا أنفسهم به ،مثلا اليهود والنصارى ألزموا أنفسهم بالإيمان بموسى عليه الصلاة والسلام على أنه نبيٌّ من عند الله تعالى فإذا قلنا لهم لماذا آمنتم بنبوته ؟ سيقولون بسبب المعجزات التي تحققت على يديه وبما رآه الناس من كمال أخلاقه وتأيد الله تعالى له ونصرته له والتشريع الذي أتى به وبسبب عدم رغبته في المصلحة الذاتية وغير ذلك من الأدلة نقول لهم : كل ما ذكرتموه مُتحقق في نبينا محمد ﷺ وبأضعاف مُضاعفة من الأدلة إضافة لأنه ذكر في كتبكم كما قال الكثير من القسس واللاهوتيون وألّفوا بذلك الكتب والنشرات فلماذا لم تؤمنوا به؟! لن تجدوا منهم جوابا ، ودليل الإلزام لا يختص به موسى عليه الصلاة والسلام فقط بل كل الأنبياء الذين آمن بهم اليهود والنصارى أدلة نبوتهم موجودة ومتحققة في نبينا محمد ﷺ .

فإن قالوا: لأنه قد ذكره لنا عيسى. قلنا: هل هناك دليل آخر؟ إن قالوا: لا يوجد دليل آخر على نبوة موسى عليه السلام. قلنا: إذن أنتم صححتهم مذهب من كفر بموسى عليه السلام من قومه؛ حيث إن موسى عليه السلام لم يأت بدليل على رسالته، ولم ينزل عيسى عليه السلام في ذلك الوقت، وأثبتتم لمن آمن به أنه آمن بغير بينة ولا علم ولا دليل، وأن رسالة موسى علفت عن التصحيح قرونا متطاولة حتى بعث الله عيسى عليه السلام ، فإن قالوا: نعم، هناك أدلة أخرى على رسالة موسى عليه السلام ، قلنا: كل دليل استدللتم به على نبوة موسى عليه السلام هو موجود في محمد ﷺ ، وبعد هذا فلا حجة لرجل لا يؤمن بالنبى ﷺ ، ولكن صدق الله إذ يقول: {وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون} [الأعراف: ١٩٨] ، يعني ينظرون إلى النبي ودلائل صدقه، ثم لا يبصرون كأهم عميان.(١)

لابن القيم رحمه الله تعالى له حوار قصير مع أحد كبار علماء اليهود حول نبوة محمد يقول : وقد جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يُشير إليه اليهود بالعلم والرئاسة، فقلت له في أثناء الكلام: أنتم بتكذيبكم محمداً ﷺ قد شتمتم الله أعظم شتيمة، فعجب من ذلك وقال: مثلك يقول هذا الكلام؟ فقلت له: اسمع الآن تقريره ، إذا قلت: إن محمداً ملك ظالم، وليس برسول من عند الله، وقد أقام ثلاثاً وعشرين سنة يدّعي أنه رسول الله أرسله إلى الخلق كافة، ويقول أمرني الله بكذا ونهاني عن كذا، وأوحى إليّ كذا؛ ولم يكن من ذلك شيء، وهو يدأب - مستمر - في تغيير دين الأنبياء، ومعاداة أممهم، ونسخ - تغيير - شرائعهم ، فلا يخلو إما أن تقولوا: إن الله سبحانه كان يطّلع على ذلك ويشاهده ويعلمه، أو تقولوا: إنه خفي عنه ولم يعلم به. فإن قلت: لم يعلم الله به فقد نسبتموه إذن إلى أقبح الجهل، وكان من علم ذلك أعلم من الله!. وإن قلت: بل كان ذلك كله بعلم الله ومشاهدته واطلاعه عليه، فلا يخلو الأمر من أن يكون الله إماماً قادراً على تغييره والأخذ على يديه ومنعه من ذلك أو لا فإن لم يكن الله قادراً فقد نسبتموه إلى أقبح العجز المنافي للربوبية .

(١) - وهذا أحد معان الآية، فيعض رأى أن المقصود بالآية هم الأصنام، فهي كأنها تنظر ولكنها لا تبصر، وبعضهم قال: إن المقصود بالآية هم المشركون - كما روى عن مجاهد وغيره - أي وإن كانوا ينظرون إليك يا محمد (صلى الله عليه وسلم) ولكنهم لا ينتفعون بالنظر والرؤية. انظر: "محاسن التأويل"، للقاسمي (٦٨٣/٣)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤. وراجع د. عبد المحسن بن زين المطيري "الأدلة الجلية على صدق خير البرية ﷺ" وما بعدها . ١٣٥

وإن كان الله قادرا وهو مع ذلك يُعززه وينصره، ويؤيده ويُعليه ويُعلي كلمته، ويجيب دعاءه، ويمكنه من أعدائه، ويُظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد على الألف، ولا يقصده أحد بسوء إلا أظفرو به ، ولا يدعو بدعوة إلا استجاب لها، فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لا يليق نسبته إلى آحاد العقلاء، فضلا عن رب الأرض والسماء، فكيف وهو يشهد له بإقراره على دعوته وبتأييده وبكلامه ، فلما سمع ذلك قال معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر بل هو نبي صادق من اتبعه أفلح وسعد. قلت : فما لك لا تدخل في دينه ؟ قال : إنما بُعث إلى الأميين الذين لا كتاب لهم، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه، قلت له : عُلبت كل الغلب ، فإنه قد علم الخاص والعام أنه أخبر أنه رسول الله إلى جميع الخلق، وإن من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم، وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل كتاب، وإذا صحت رسالته وجب تصديقه في كل ما أخبر به، فأمسك ولم يجر جواباً. (١)

٣٢ - ماذا يعني قولهم إن محمدا مدعيا للنبوّة، مؤلّفا للقرآن، كما قال مستشرقوا الغرب؟ أخذ مصادر القرآن من الشعر الجاهلي كما قال بذلك " تسدال " و " شيوخ " و " شيرنجر، و من الحنفاء كما قال غيرهم ومن الصابئة والزرادشتية والهندية القديمة ومن اليهودية والنصرانية المحرفة كما يقول " سميث " و " حداد " اللبناي وغيرهم وأخذ عن " ورقة " و " بحيري "؟. وأن الوحي مجرد " إلهام نفسي "؟ مثل " جان دارك " الفتاة التاريخية الفرنسية في القرن الخامس عشر الميلادي كما قال المستشرق " جب (٢). هذه الأسئلة أو هذه الافتراضات حتى تكون قد حدثت، بعضها أو حتى مجتمعة لا بد أن يكون محمدا قد فعل الآتي...

أ - تعلّم القراءة سرا : إذ أنه كان أميا واشتهر عنه ذلك بين العرب : { وما كنت تتلوا من كتاب ولا تحطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون } [العنكبوت: ٤٨] .

ب - تعلم لغات كتب أهل الكتاب، على كثرتها، سرا . وكما ذكرنا سابقا قول د. عبد الرحمن بدوي في قوله: ((ولكي نفترض صحة هذا الزعم- نقل الرسول عن أهل الكتاب-، فلا بد أن محمداً كان يعرف العبرية والسريانية واليونانية، ولا بد أنه كان لديه مكتبة عظيمة اشتملت على كل نصوص التلمود، والأناجيل المسيحية، ومختلف كتب الصلوات، وقرارات المجامع الكنسية، وكذلك بعض أعمال الآباء اليونانيين ، وكتب مختلف الكنائس- والمذاهب المسيحية.))

ج - لم يدع صحيفة من صحف أهل الكتاب وغيرهم ..إلا وقرأها سرا ،

- مع أن هذه الكتب لم نجد لها مرة واحدة ولا في مكان واحد .

- مع العلم أن عدد هذه الكتب كبير جدا يستحيل الاطلاع عليها كلها من شخص واحد.

- مع أن حجم الكتب أيامه كبيرا جدا و في قراطيس . يستحيل تداولها سرا.

(١) - ابن القيم ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/٣٨٥) دارالقلم -الدارالشامية جدة ط١٩٩٦
(٢) - د/عمر بن إبراهيم رضوان" آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره - "دار طيبة - الرياض جزء ١ ص ٢٥٥، ٣٩٨، ٣٨٢ .

- مع أن عدد النسخ من الكتاب الواحد كان قليلا، لأن النسخ كان يدويا ولحرق كتب أصحاب الديانات والفرق من الأباطرة.

- مع أن جزء كبيرا من هذه الكتب كان أسرارا لا يسمح بتداولها إلا بين علماء كل طائفة. هذا عدا المخطوطات التي لم نجدها إلا في القرن الحالي. فهل كان لديه علماء للتنقيب عن المخطوطات {يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير} [المائدة: ١٥]

ث - استبعد التفاصيل غير المنطقية من كل كتاب : بالرغم من أن هذه التفاصيل تعج بها تلك الكتب . فلم يحدث أن اتفق القرآن مرة في جزئية غير معقولة مع وجود تفاصيل كثيرة مشتركة بين القرآن وتلك الكتب ، أي أنه ﷺ قد أدرك أن هناك أناسا متعلمين في القرن العشرين وما بعده سيقروا الكتاب (القرآن) وأدرك أنهم لن يستسيغوا إلا المنطقي، فاستبعد من القرآن كل ما يتناقض مع العقل و المنطق {أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} [النساء: ٨٢]

ج - أخذ يجمع التفاصيل من كل كتاب ما يستقيم مع الكتاب الآخر، ثم عرض كل قصة في موضوع محدد ولغرض معين، ثم عرضها في صورة بيانية معجزة بعد إضافة تفاصيل أخرى من عنده ثم وضعها في موضعها المناسب في القرآن بل وتحكم في مشاعره الإنسانية؛ حيث تختلف الحالة الوجدانية لكثير حال نزولها، مع حالته النفسية حال نزولها مثل سورة النور التي نزلت في حادث الإفك حيث اتهم في عرضه ، كان المتوقع أن يكون جو السورة حزن وغضب، فإذا بها تسبح بقارئها وسامعها في جو من السلام والروحانية والنور.

د - أضاف ﷺ إلى كتابه (القرآن) نبوءات بالغيب في أمور عدة مثل أدائه وأصحابه لعمرة القضاء وضمن تحقيقها وكالتنبؤ بانتصار الروم مثلا على الفرس (سورة الروم)!! (في وقت كانت هذه النبوءة أبعد ما تكون عن التحقيق وخاطر بدعوته مخاطرة حاسمة، مثل ذلك أيضا التنبؤ بانتصار الإسلام وتمكينه من أكبر قوى الأرض في ذروة الضعف والاضطهاد للمسلمين.

هـ - أضاف تفاصيل من العلوم الكونية لم نعلم نحن أغلبها إلا متأخرا جدا، كما سيرد في بحث القرآن

ف - لاحظ كيف اضطهدت المرأة - وغيرها من الضعفاء - وعلم أن أناسا سيأتون في القرن العشرين وما بعده ينادون بتحريرها، فأراد سبقهم وفعل ذلك .

ق - علم صفات وألقاب النبي المنتظر عند أهل الكتاب فخطها في القرآن لنفسه، ثم تحكم في مسار حياته حتى تطابق صفاته صفات ذلك النبي!!

إن هذا هو المستحيل بعينه... فالكاذب مدعي النبوة رجل شرير فاجر، شره المطامع، دنيء المطالب مثل مدعو النبوة في القرن الأول الميلاد... لذلك فإنه إذا تظاهر في البداية بالتدين والصلاح للتغريب بالبعث فإنه لا يطبق في البقاء عليه صبرا... ولا يلبث أن يفتضح أمره وتظهر حقيقته لأعين الملائم^(١).

(١) - هشام طلبة ، محمد في الترجوم والتلمود و التوراة ص ٤٥٥ - ٤٦١ .

٣٣- منذ فجر الحياة البشرية والأرض تستقبل الانبياء والمصلحين في أعصار مختلفة وكان آخرهم هو الرسول الكريم محمد بن عبد الله، لم يخالف أحد قبله من الأنبياء النجاح المذهل الذي حققه في رسالته، والذي سلّم به الاصدقاء والأعداء على حد سواء. وثمة جملة مفردة في دائرة المعارف البريطانية، الطبعة الحادية عشرة، تحت مادة «القرآن»، كافية في هذا، فقد جاء في دائرة المعارف تلك قولها: «كان محمد، بين شخصيات العالم الدينية جميعا، أوفرهم حظا من النجاح.» والواقع ان أيما مصلح لم يجد قطّ شعبه غارقا في الدرك الاسفل من الجهالة بقدر ما كان العرب غارقين عند ظهور الرسول.

كانوا يجهلون المبادئ الحقّة في الدين والسياسة والحياة الاجتماعية على حد سواء. ولم يكن لديهم فنّ عظيم أو علم وافر يتباهون بهما؛ لا ولم يكن لهم أيّ اتصال بسائر أجزاء العالم. وكان التماسك القومي شيئا مجهولا لديهم، إذ كانت كل قبيلة من قبائلهم تشكل وحدة مستقلة بينها وبين زميلاتها ما صنع الحداد، بعث الرسول الكريم لانتشال شعب كهذا الشعب الضائع من وهدة الجهالة فما هي غير سنوات معدودات حتى محا جميع ضروب الفساد الديني والاخلاقي والاجتماعي الراسخة الاصول في بلاد العرب، وحتى خلق تربة تلك الديار- إذا جاز التعبير- خلقا آخر. لقد حلّ أصفى شكل من أشكال الوجدانية محل صنوف الخرافات وأشكال الوثنية المنحطة. فاذا بأبناء الصحراء نصف البرابرة أنفسهم يفعمون بحميّة جديدة لقضية الحق إفعاما حملهم إلى أقاصي العالم ليؤدوا رسالة الله. وفي ما يتصل بعبادة الخالق، برّوا أعظم الزهاد والنسّاك، من غير أن يرفضوا العالم أو يتخلوا عنه. فما إن يطرق الأذان مسامعهم، في غمرة من حياتهم اليومية الناشطة، حتى يطرحوا همومهم الدنيوية ويسجدوا خاشعين للرب. وكانوا ينفقون معظم لياليهم في عبادة الله. وهكذا فقد كانوا، برغم وجودهم في هذا العالم، منفصلين عن هذا العالم.

وبالتالي فأن صلواتهم كان يلازمها دائما إيمان حيّ لم يعرفه أيما ناسك معتزل في صومعته البتة. ولئن كان العرب قد بلغوا هذه المرتبة من السمو الروحي فأن منجزاتهم الدنيوية لم تكن أقلّ عظمة بحال. لقد احتلوا مقام الصدارة بين فاتحي العالم الكبار كانت الامبراطوريات العظيمة تذوب كالثلج أمام جحافلهم، وبكلمة موجزة، كانوا أتقى عابدي الله وأكثر الفاتحين حظا من النجاح، على حد سواء. وبالإضافة إلى منجزاتهم في هذين الحقلين طوّروا فروعاً من العلم مختلفة نوّرت العالم، الغارق آنذاك في ظلام دامس، بل إن ثمة ما هو أعجب من ذلك، وهو ان هذا كله أنجز في عقدين من الزمان ليس غير. وهكذا يتضح أن تعاليم الرسول كانت تتسم بطابع الشمول الكلّي، وانها كانت معدّة لتطوّر ملكات الانسان تطورا كاملا. فليس ثمة أيما علة بشرية إلا وفي تلك التعاليم علاج لها.

وكما ان أعظم الاطباء ليس هو ذلك الذي يدّعي هذا ولكن الذي يشفي أشدّ الامراض استعصاء في أكبر عدد من الحالات، كذلك فان أعظم المصلحين ليس هو ذلك الذي قد يدّعي هذا،

ولكن الذي يحدث اعظم قدر من الاصلاح. وهذا هو المحك الذي يرفع الرسول الكريم مقاما عليا في عين أصحاب الحصافة والعقل الراجح (١).

٣٤- والنقطة المهمة التي تميّز محمدا من سائر المصلحين الروحانيين العظام وأنبياء العالم تتصل بعالمية رسالته. فقد كانت رسالة كل من اولئك الانبياء مقصورة على شعب بعينه. فقد حمل كل نبي رسالة النور والهداية إلى أمة مخصوصة أو بلد مخصوص. وليس من ريب في أن تطهير النفس البشرية كانت هي رسالة كل منهم، ولكن هذه الرسالة كانت محدودة دائما. أما رسالة محمد فكانت كونية، ونوره كان علميا، ونطاق مشاركته الوجدانية كان يستغرق البشرية كلها. قال: تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [الأنبياء: ١٠٧] وقال: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [سبأ: ٢٨] وقال: { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } [الفرقان: ١] وقال: { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } [الأعراف: ١٥٨] والواقع ان هذه الآيات على أن الرسول قد بعث للنهوض بالجنس البشري كله. وفوق هذا، فإن القرآن الكريم يتحدث عن محمد فيقول: { وَمَا تَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، إِنْ هُوَ إِلَّا دِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ } [يوسف: ١٠٢]

لقد أتى على الانسانية حين من الدهر كانت مجرأة فيه إلى عدة «مقصورات» كتيمة، إذا جاز التعبير. كانت كل أمة منكمشة على نفسها ضمن تخوم وطنها، منعزلة كل الانعزال عن سائر الأمم. كانت وسائل المواصلات محدودة. وطبيعي ان لا يتوقع المرء في مثل هذه الاحوال اتساعا في العقلية كبير. فقد كان استشراف كل أمة مقصورا على بيعتها المباشرة، فهي تحسب نفسها الكل في الكل. وهكذا لم يكن في استطاع الحكمة الالهية الا ان تبعث إلى كل أمة بنبي مستقل كيفت رسالته وفق حاجاتها وأحوالها الخاصة. ولقد أدى هؤلاء الانبياء المختلفون مهمتهم المخصوصة: أعني احياء أمة بعينها. ولكن طاقتهم الروحية كانت، مثل حقل رسالتهم، محدودة النطاق. فكانت الشعلة

توهج فترة من الزمان ثم تخبو شيئا بعد شيء، حتى انطفأت آخر الأمر انطفاء كاملا. وعندئذ كانت الحاجة تنشأ إلى مصلح روحي ينير العصر المظلم، ومن ثم إلى بعثة نبوية اثر بعثة نبوية. ولكن بينا حققت العناية الالهية مصلحة الانسان الروحية، باختيارها الرسل حينما بعد حين من بين مختلف الأمم، أدى ذلك إلى نشوء انطباعة شديدة الأذى.

فقد شرعت كل أمة، لجهلها بما أغدق الله على الأمم الأخرى من أفضال مماثلة، تعتقد انها هي شعب الله المختار. وهذا ما غدى الفكرة الضارة القائلة بالمحاباة الالهية وما رافق ذلك من شرور ملازمة. ولتقوم هذا الشعور بالتمييز العنصري، وإزالة الأحقاد التي خلقتها التخوم الجغرافية والاجتماعية وبعض الحواجز المصطنعة، ولصهر الانسانية في كل واحد متراص، شاءت الحكمة الالهية ان تبعث نبيا علميا ذا رسالة إلى الجنس البشري كله، نبيا لا تتخطى قوته الروحية كل تخم فحسب، بل تحتفظ فوق ذلك بفعاليتها إلى آخر

(١) - كتاب "حياة محمد ورسالته"، محمد علي اللاهوري ت ١٩٥١ م ترجمه إلى العربية: منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين بيروت ط/٢، ١٣٩٠ هـ ص (٢٧٨ - ٢٨٨)

الدهر أيضا. وهكذا ما إن تَمَّت سلسلة الأنبياء المَلَّين بظهور حلقتها الاخيرة، يسوع، الذي أرسل - ونحن نستعمل هنا كلماته نفسها - «إلى خراف الاسرائيليين الضالة» حتى آن الأوان لأن تشرق شمس الروحانية على الافق الديني. لتضيء العالم كله. وهكذا ظهر الرسول الذي كان «رحمة للعالمين» ، وحزّر الانسانية من أصفاد الجهل والخرافة والفساد. وإنما كان الأنبياء السابقون أشبه بمصاييح مختلفة تطابق مختلف المناطق الجغرافية والقومية. لقد سفحت نورها تلك، ومن هنا مسّت الحاجة إلى مصاييح مختلفة تطابق مختلف المناطق الجغرافية والقومية. لقد سفحت نورها حولها، فاذا بكل ما هو واقع ضمن نطاقها مشرق متألق. ولكن ما إن بزغت الشمس من رمال بلاد العرب حتى أمست البشرية في غير ما حاجة إلى تلك المصاييح. ولكن ضياء الشمس لا يمكن أن يحل محلّه إما ضياء آخر، وهو كاف لأنارة العالم إلى يوم يبعثون.

وإنه لمن الأمور المعروفة بالتجربة العامة أننا لا نستطيع تحقيق أيما ضرب من التقدم في أي حقل من حقول الحياة إلا وضعنا نصب أعيننا هدفا محددًا، ومثلاً أعلى واضحًا، لكي يستحثنا ذلك على بذل أقصى الجهد وأشقّه. والواقع ان كل رسول من الرسل السابقين أقام نصب عينيه مصلحة شعبه هو، على اعتبار ان خدمة تلك المصلحة كانت رسالة حياته المحدّدة. ولو قد حذا الرسول الكريم حذوهم فجعل من مصلحة بلاد العرب هدف حياته الأوحد إذن لأحبط الهدف نفسه الذي من أجله بعث. كان عليه أن يحو جميع هذه الاحقاد القومية والجغرافية، وان يضع الاساس «لدين كونيّ» ، ويصهر الجماعات المتعددة في كلّ متناغم - في اخوة انسانية شاملة. لقد كافحت الاديان السالفة لصهر الافراد في جماعات - وهو صنيع يشكّل في ذات نفسه خدمة جليلة - ولكن الاسلام، دين الفطرة، إنما جاء ليصهر هذه القوميات الصغيرة في أخوة كونية عريضة. وهكذا، بينا قصر الانبياء المتعددون الذين ظهروا قبل البعثة المحمدية رسالتهم على هذه الطائفة من الناس أو تلك قيّض للرسول الكريم شرف صهر هذه المجموعات المتنافرة من الكائنات البشرية في اخوة متناغمة واحدة. وهكذا فإن **ميزة الرسول تقوم على هذه الحقيقة: وهي أنه فيما جاء الانبياء الآخرون ليعلموا الناس سرّ الوحدة والتقدم القوميين فصّل هو الحقيقة العظمى القائلة بوحدانية الجنس البشري كله، ورسم سبل الحياة الرئيسية والفرعية كلها للذرية، لا ذرية هذه الامة أو تلك، ولكن للذاري الجنس البشري برمته.**

وإلى هذا، فان رسالة كل من الانبياء السالفين كانت مقصورة على تنمية وجه بعينه من وجوه الخلق البشري. وهكذا فإن حياة كل منهم تعتبر نموذجًا لهذا الجانب من جوانب الاخلاق الانسانية أو ذاك. ولكن الرسول الكريم بعث لتطوير الفطرة البشرية بوصفها كلاً كاملاً، ولأبراز كل ملكة من ملكاتها المتعددة وتثقيفها. فقد تجلّت في حياته جميع مظاهر الاخلاق الانسانية تجلياً كاملاً. ومن هنا كان هو القدوة الكاملة للانسانية. ففي ما يتصل بالبعثة الموسوية ظهر الأنبياء واحداً إثر آخر، ولكن كلا منهم كان نموذجاً يحتذى في ناحية بعينها. أما الرسول محمد فجمع في شخصه هو، وعلى نحو أسمى بكثير، جماع فضائل الانبياء الاسرائيليين كافة: - رجولة موسى، ورقة قلب هارون، وبراعة يشوع في قيادة الجيوش، وصبر أيوب، وجرأة داود، وعظمة سليمان، وبساطة يوحنا، ووداعة يسوع. وكان أول الانبياء الاسرائيليين - موسى - هو تجسيد

القوة والمجد، وكان آخرهم - يسوع - هو تجسيد التواضع والوداعة. أما محمد فعبر في شخصه عن هذين المظهرين جميعا. وهكذا فإن كل كوكب من كواكب الروح تلك كان يرسل شعاعا واحدا ليس غير في ناحية بعينها، على حين كان الرسول هو المركز الذي انبعثت منه الأشعة في كل ناحية^(١).

٣٥- وبينما نجد منجزات كلّ رجل عظيم مقصورة على حقل معيّن، نلاحظ ان منجزات الرسول الكريم تستغرق حقول النشاط الانساني كلها. فاذا كانت العظمة، مثلا، تقوم على اصلاح شعب متردّ في مهاوي الانحطاط، فمن ذا الذي يستطيع أن يدعي حقّ احتلال مقام الصدارة في هذا الميدان أكثر من ذلك الذي نهض بأمة كالأمة العربية من حضيض الجهالة وجعل منها حاملة مشعال الحضارة والمعرفة؟ وإذا كان قوام العظمة توحيد عناصر المجتمع المتنافرة وصهرها في كلّ متساق فمن أجدر بهذا اللقب من ذلك الذي صهر أمة كالعرب كانت ممزقة قبائل متقاتلة بسبب من تارات متوارثة منذ أجيال وأجيال؟ كان العرب متناثرين، مثل رمال الصحراء، عندما ظهر الرسول، فجمعهم في وحدة مترابطة مزوّدة بالقوة على تحدي أشدّ الصدمات وأقساها. وإذا كان قوام العظمة إقامة مملكة الله على الارض فإن الرسول يتمتع حتى ههنا بمركز لا سبيل إلى مضاهاته. لقد محا الوثنية والشرك من بلاد العرب كلها وأضاءها بالنور الالهي. وإذا كان قوامها التخلّق بالاخلاق السامية فمن ذا الذي يستطيع ان يبرز ذلك الذي أقرّ العدوّ والصدّيق بأنه «الأمين»؟ وإذا كانت عظمة الانسان كامنة في الفتح فليس من ريب في ان التاريخ لا يستطيع أن يفخر بنظير للرسول الذي ارتفع من منزلة يتيم بائس لا حول له ولا طول إلى منزلة فاتح جبار، بل إلى منزلة ملك أسس امبراطورية عظيمة صمدت طوال ثلاثة عشر قرنا لمحاولات عالمية متحدة هدفت إلى تقويضها والقضاء عليها؟ وإذا كانت الروح الدافعة الحية التي ينفخها زعيم في أتباعه هي محكّ العظمة فان اسم النبي لا يزال يفعل، حتى في يوم الناس هذا، مثل فعل السحر في نفوس ملياري انسان منتشرين في أرجاء العالم كله، فهو يشدّهم جميعا برباط قوي من الاخاء، بصرف النظر عن الطبقة الاجتماعية، أو اللون، أو المنطقة.

٣٦- إن محمد لم يكن ثمرة بيئته. والواقع ان حالة المجتمع السائدة هي التي تخلق رجله العظيم. فكلما استبدّ بشعب ما، مثلا، توق عام إلى الحقيقة الماورائية (الميتافيزيقية) ظهر فيهم بالضرورة فيلسوف من الفلاسفة. وإذا ما عصفت بجماعة ما حبّ الفتح كان ظهور الفاتح أمرا محتوما. وكذلك يبرز المعلمون الاخلاقيون، والشعراء، والنحاتون، وبكلمة مختصرة، النوابع في كل حقل من حقول الحياة، في كل بيئة تتطلب بروزهم لاداء هذه المهمة أو تلك تطلّبا عاما. وإنما يجسّد هؤلاء الزعماء في ذواتهم روح العصر نفسها. وبكلمة أخرى، انهم يظهرون، إذا جاز التعبير، في سياق التطور العادي. أما الرسول محمد فقد مثّل كل ما كان متناقضا أكمل التناقض مع حالة المجتمع العربي آنذاك. لقد تعين عليه أن يؤدي رسالته في غمرة من الأفكار السائدة لعهدده. كانت الوثنية والشرك هما القاعدة الغالبة في تلك الايام. ولكن الرسول تكشّف، وهو بعد في السادسة عشرة من عمره، عن مقت شديد للاصنام. وكانت الخرافة تحجب ضياء العقل. ومن ثمّ كان المجتمع مغلّقا بطبقات من الجهل كثيفة. فهل في مستطاع جوّ كهذا أن يخلق عقلا فلسفيا كعقل الرسول محمد؟ وفي طول بلاد

(١) - كتاب "حياة محمد ورسالته" محمد علي اللاهوري ت ١٩٥١ م ترجمه إلى العربية: منير بعلبي الناشر: دار العلم للملايين بيروت ط/٢، ١٣٩٠ هـ ص (٢٧٨ - ٢٨٨)

العرب وعرضها كان الافراد يفتخرون بالثورة على قبائلهم، في حين كانت هذه القبائل تكره، بدورها، فكرة السلطة المركزية. وليس بإمكان المرء أن يتوقع - في ظل هذه الاحوال، وخلال سير الأحداث العادي - ظهور رجل ينادي بمبدأ التناغم والوحدة. وكانت الخمر، والميسر، والزنا مألوفة عند العرب ينفقون فيها أوقات فراغهم كلها. وكان قتل الأولاد (الوآد) شائعا بينهم أيضا، وكانت المرأة تعامل معاملة المتاع، وواضح ان هذه الأوضاع كانت عاجزة في ذات نفسها عن إقامة قلعة أخلاقية أو إطلاع محرر للمرأة. والحق أن اليد الالهية نفسها، التي تعدّ الجوهرة الصافية في أشد الاعماق ظلاما، هي التي ابدعت واحتضنت هذا النور بعنايتها المباشرة لكي ينفذ خلل تلك السحب الكثيفة من الفساد الغامر، ويضيء كل بقعة على ظهر الارض.

أما ميزة الرسول العظمى فهي انه وضع الاساس لسلم كوني. انه لم يكتف بتعليم الناس كيف يستطيع المرء ان يحيا في سلام مع امرئ آخر، بل علّمهم أيضا كيف تستطيع الأسر المختلفة وشعوب الجنس البشري المتباينة ان تحيا في سلام وتناغم بعضها مع بعض، وعلّمهم فوق هذا كله ما لم يحاوله أيما رجل آخر في العالم مجرد محاولة، اعني كيف يمكن اشاعة الوثام بين أديان العالم المتنازعة.

فعلى الرغم من انه كان، بأقرار الجميع، أعظم البشر فقد اعتبر نفسه مجرد عضو عادي من أعضاء الجنس البشري بعامة: «إن أنا إلا بشر مثلكم». فللرجل والمرأة، والسيد والخدام، والملك والرعية، لهؤلاء جميعا حقوقهم المتبادلة. وهذه المساواة بين الانسان والانسان لم تشكّل موضوعا للعظات اللفظية فحسب، بل طبقت بكثير من الدقة «الحنبلية» في الحياة اليومية أيضا. ففي الصلوات التي تؤدى خمس مرات كل يوم يقف الملك والفلاح كتفا إلى كتف في حضرة ربهما المشترك الذي في السماء. والعبد الرقيق يجب ان يتمتع بنفس الحقوق المدينة التي يتمتع بها الرجل ذو المحتد الكريم، وهو مبدأ حرص الرسول على إظهاره فأمر زيدا، عبده المعتق، على جمهرة من القرشيين المعتزين بأحسابهم. وفي ما يتصل بالمساواة بين القبائل والأمم لم يجعل الله الناس شعوبا وقبائل لكي تكون لبعضها أية أفضلية على بعضها الآخر. لا، لقد جعلهم كذلك ليتعارفوا. فالقومية، كما علّم الرسول، ليست هي محك العظمة، إذ أن «أكرمكم عند الله أتقاكم». ليس هذا فحسب، بل لقد وُقِّف فوق ذلك كله إلى إيقاع الانسجام بين أديان العالم المتعارضة بأن جعل في جملة مبادئ الايمان الأساسية المفروضة على كل مسلم أن يؤمن بأنبياء العالم كلهم، أيا ما كان الاقوام الذين بعثوا اليهم، إيمانه بمحمد نفسه. لقد علّم الناس - وهذه الحقيقة لم تجد تعبيرها عند أيما نبي آخر - أنه ليس من أمة على وجه الارض إلا ولها من أبنائها رسول الهي. والواقع، ان الايمان بجميع المصلحين الدينيين، الذين بعثوا بين حين وآخر، هو المبدأ الوحيد الذي يستطيع ان يكون «حقل لقاء» بين أنظمة العالم الدينية على اختلافها. كذلك علّم اتباعه ان يجمعوا عن الطعن حتى بألّهة الآخرين الذين لا يخفى زيفهم على كل ذي بصيرة. قال تعالى: {«وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» [الأنعام: ١٠٨]} وهذه خطوة عملية أخرى نحو خلق روح من الوثام والمحبة بين الأديان. ليس هذا فحسب، بل لقد قدّم القرآن الكريم أيضا طريقة، أكثر وضوحا وتحديدًا، لتسوية جميع الخلافات الدينية عندما قال: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} [آل عمران: ٦٤]

وبكلمة أخرى، إننا بأخذنا ما هو مشترك بين مختلف الأديان كأساس، نستطيع ان نتقدم إلى إقامة بنية فوقية جامعة. وهكذا يمسي في امكاننا ان نقيم ديننا مشتركا.

وباختصار، فإن الرسول الكريم لم يدخر وسعا في إقامة وحدانية الله ومجده، من ناحية، وإقامة الاخوة الانسانية الشاملة في ظل عناية الاله الواحد الكلّية، من ناحية أخرى. فليغدق الله عليه أطيب تحياته وخير بركاته^(١)!

٣٧ - حوار مميّز تم بين هرقل ملك الروم وبين سيد مكة ابي سفيان وكان حينها قائد المشركين وعدو محمد وكبير تجارهم- وهذا الحوار حصل قبل فتح مكة بأكثر من سنة وكان وقت وصول رسالة رسول الله له "أسلم تسلم" ! ، وهرقل بالإضافة إلى كونه حاكما للدولة الرومانية في الشام كان أيضا عالما بدين النصرى وبالنبوءات التي تُبشر بخاتم النبيين والنبي الأمي الذي حان وقت ظهوره، وهذه القصة المعبرة التي حدثت بين هرقل وأبي سفيان وردت في معظم كتب السنة، وفيما يلي نص هذه القصة كما جاءت في صحيح البخاري :

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (أن رسول الله، كتب إلى قيصر يدعو إلى الإسلام، وبعث بكتابه إليه مع دحية الكلبي، وأمره رسول الله أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر، وكان قيصر لما كشف الله عنه جنود فارس، مشى من حمص إلى إلباء شكرا لما أبلاه الله، فلما جاء قيصر كتاب رسول الله، قال حين قرأه: التمسوا لي ها هنا أحدا من قومه،...، قال ابن عباس، فأخبرني أبو سفيان بن حرب أنه كان بالشام في رجال من قريش قدموا تجارا في المدة التي كانت بين رسول الله وبين كفار قريش، قال أبو سفيان، فوجدنا رسول قيصر ببعض الشام، فانطلق بي وأصحابي، حتى قدمنا إلباء، فأدخلنا عليه، فإذا هو جالس في مجلس ملكه، وعليه التاج، وإذا حوله عظماء الروم، فقال (هرقل) لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسبا إلى هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، قال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم إليه نسبا، قال: ما قرابة ما بينك وبينه؟ فقلت: هو ابن عمي، وليس في الركب يومئذ أحد من بني عبد مناف غيري، فقال قيصر: أدنوه، وأمر بأصحابي، فجعلوا خلف ظهري عند كتفي، ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه: إني سائل هذا الرجل عن الذي يزعم أنه نبي، فإن كذب فكذبوه، قال أبو سفيان: والله لولا الحياء يومئذ، من أن يأتُر أصحابي عني الكذب، لكذبتني حين سألتني عنه، ولكني استحييت أن يأتروا الكذب عني، فصدقته، !!! ثم قال لترجمانه: قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب،

قال: فهل قال هذا القول أحد منكم قبله؟ قلت: لا،

فقال: كنتم تتهمونه على الكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا،

قال: فهل كان من آباءه من ملك؟ قلت: لا،

قال: فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم،

قال: فيزيدون أو ينقصون؟ قلت: بل يزيدون،

قال: فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا،

(١) - كتاب " حياة محمد ورسالته "، محمد علي اللاهوري ت ١٩٥١ م ترجمه إلى العربية: منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين بيروت ط/٢، ١٣٩٠ هـ ص (٢٧٨ - ٢٨٨)

قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن الآن منه في مدة، نحن نخاف أن يغدر، - قال أبو سفيان: ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئا أنتقصه به، لا أخاف أن تؤثر عني غيرها -،

قال: فهل قاتلتموه أو قاتلكم؟ قلت: نعم،

قال: فكيف كانت حربه وحربكم؟ قلت: كانت دولا وسجالا، يدال علينا المرة، وندال عليه الأخرى، قال: فماذا يأمركم به؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة،

فقال لترجمانه حين قلت ذلك له: قل له: إني سألتك عن نسبه فيكم، فزعمت أنه ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها،

وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول قبله، فزعمت أن لا، فقلت: لو كان أحد منكم قال هذا القول قبله، قلت رجل يأتي بقول قد قيل قبله،

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله،

وسألتك: هل كان من آباءه من ملك، فزعمت أن لا، فقلت لو كان من آباءه ملك، قلت يطلب ملك آباءه، وسألتك: أشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم، فزعمت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل،

وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون، فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم،

وسألتك هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فزعمت أن لا، فكذلك الإيمان حين تخلط بشاشته القلوب، لا يسخطه أحد،

وسألتك هل يغدر، فزعمت أن لا، وكذلك الرسل لا يغدرون،

وسألتك: هل قاتلتموه وقاتلكم، فزعمت أن قد فعل، وأن حربكم وحربه تكون دولا، ويدال عليكم المرة وتدالون عليه الأخرى، وكذلك الرسل تبلى وتكون لها العاقبة،

وسألتك: بماذا يأمركم، فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، ويأمركم بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة،

قال: وهذه صفة النبي، قد كنت أعلم أنه خارج، ولكن لم أظن أنه منكم، وإن يك ما قلت حقا، فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين ولو أرجو أن أخلص إليه، لتحشمت لقيه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه،

قال أبو سفيان: ثم دعا بكتاب رسول الله، فقرأ، فإذا فيه: " بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فأني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فعليك إثم الأريسيين و: { يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا، فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون } [آل عمران: ٦٤] "، قال أبو سفيان: فلما أن قضى مقالته، علت أصوات الذين حوله من عظماء الروم، وكثر لغظهم، فلا أدري ماذا قالوا، وأمر بنا، فأخرجنا، فلما أن خرجت مع

أصحابي، وخلوت بهم قلت لهم: لقد أمر (عظم) أمر ابن أبي كبشة (زوج حليلة السعدية الذي تربى محمد عنده)، هذا ملك بني الأصفر يخافه، قال أبو سفيان: والله ما زلت ذليلاً مستيقناً بأن أمره سيظهر، حتى أدخل الله قلبي الإسلام وأنا كاره)

هذا حوار في الأدلة العقلية الواضحة على نبوة محمد ﷺ ما لا تخفى على أحد وقد كان سبباً في إسلام كبير قريش أبو سفيان بن حرب ، وهرقل كان يُريد بأسئلته تلك أن يعرف هل محمد هو المذكور بكتبهم أم مدعي للنبوة وقد اتضح له بجلاء من أجوبة أبي سفيان - الذي كان مشركاً حينها - أنه نبي آخر الزمان وأن دعوته ستنتشر في الأرض وأن ملك أمته سيبلغ قصره الذي هو فيه وقد حدث ذلك في عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عندما فتح المسلمون بلاد الشام هل الصفات التي سمعها هرقل هي صفات صادق أمين أم مُدعٍ للنبوة كما يزعمون المخالفون ؟

الحوار دليل بين بأنهم كانوا يعرفون وقت خروجه ومكانه وأوصافه ، لكن حب الدنيا وحب الملك وخوف القتل صدت هرقل عن قبول الحق ، والإيمان به ، فأعلن رفضه له ، ولم يقف موقف الثبات الذي وقفه الأسقف الأكبر في مملكته - معنى الأسقف : رئيس دين النصارى - والذي أقر هرقل بأنه صاحب أمرهم ، فقد أرسل هرقل بالكتاب إلى الأسقف واسمه (ضغاطر) ، فقال الأسقف: هذا الذي كنا ننتظر ، وبشرنا به عيسى ، أما أنا فمصدقته ومتبعه . فقال له قيصر: أما أنا إن فعلت ذلك ذهب ملكي . ثم قال الأسقف لرسول النبي ﷺ دحية رضي الله عنه : خذ هذا الكتاب واذهب إلى صاحبك فأقرئ عليه السلام ، وأخبره أنني أشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ، وأني قد آمنت به وصدقته ، وأنهم قد أنكروا على ذلك . ثم خرج إليهم فقتلوه . فلما رجع دحية إلى هرقل قال له : قد قلت لك إنا نخافهم على أنفسنا ، فضغاطر كان أعظم عندهم مني (١).

ومن هذا الحديث نقف على أمرين مهمين :

أولاً : أن بعث نبينا محمد بكتاب إلى قيصر دليل على عموم رسالته لجميع الناس ، عربهم وعجمهم ، أبيضهم وأسودهم ، قال تعالى : { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً } [الأعراف : ١٥٨] وحياته ﷺ منذ بعثته ، وحتى وفاته شاهدة على عموم رسالته لجميع الناس ، فقد دعا اليهود في المدينة للإسلام ، وجاهدهم فأخرج بعضهم منها ، وقتل بعضهم ، وفي ذلك دليل على عموم رسالته ، ثم إنه دعا النصارى ، فناظر نصارى نجران ، ودعاهم للمباهلة ، وخرج لقتال النصارى في تبوك ، وبعث الكتب لكسرى ، وقيصر ، والمقوقس ، وغيرهم ، إنه لم يفعل ذلك كله إلا لأنه رسول لكل الشعوب على اختلاف ألسنتهم وألوانهم قال ابن تيمية : إنه كان يكفر اليهود والنصارى الذين لم يتبعوا

ما أنزل الله عليه ، كما كان يكفر غيرهم ممن لم يؤمن بذلك ، وأنه جاهدهم وأمر بجهادهم (٢).

(١) - الإمام ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤٢/١-٤٣ ، رواه الإمام البخاري ح/٤٢٧٨

(٢) - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/٣

الأمر الثاني: أن هرقل فقه مسألة مهمة ، وهي مسألة يتخذها المعاندون من أهل الكتاب ذريعة لصد الناس عن إتباع الحق ، وهي أن وصول كتاب النبي إليه هو بلاغ لرسالته وإن كان بلغة العرب، فلم يردده ، ولم يرفضه ، بل بادر بترجمته ، وفهم معانيه ، وتحري الحق بجواره مع أبي سفيان ، وعرضه على علماء النصرارى في مملكته ، وكذلك كان موقف ضغاطر أكبر علماء بلاده ، فلم يرفض الدعوة بحجة أن النبي عربي اللسان ، وهو للعرب خاصة دون غيرهم ، وإن المتأمل اليوم لكثرة المسلمين في شتى بقاع الأرض ، ومن كل اللغات ، ومن كل الأجناس ليعلم أن هذه الرسالة عامة لكل العالمين ، وأن من يقول بخصوصيتها لأهل اللسان العربي ليعارض النصوص من الكتب السماوية الصريحة ، ويغعض عينيه عن ما يشهد به الواقع البشري اليوم ومن قبل ، منذ بعثة نبينا محمد حتى يومنا هذا .

يقول ابن تيمية: أنزل عليه القرآن باللسان العربي ، كما أنزلت التوراة باللسان العبري وحده ، وموسى لم يكن يتكلم إلا بالعبرية ، وكذلك المسيح لم يكن يتكلم بالتوراة والإنجيل وغيرهما إلا بالعبرية ، وكذلك سائر الكتب لا ينزلها الله إلا بلسان واحد ، بلسان الذي أنزلت عليه ولسان قومه الذين يخاطبهم أولاً ، ثم بعد ذلك تبلغ الكتب وكلام الأنبياء لسائر الأمم : إما بأن يترجم لمن لا يعرف لسان ذلك الكتاب ، كما حدث في قصة الكتاب لهرقل وغيره من الملوك ، وإما بأن يتعلم الناس لسان ذلك الكتاب فيعرفون معانيه ، وإما بأن يبين للمرسل إليه معاني ما أرسل به الرسول إليه بلسانه ، وإن لم يعرف سائر ما أرسل به ، فالحجة تقوم على الخلق ويحصل لهم الهدى بمن ينقل عن الرسول تارة المعنى ، وتارة اللفظ، ولهذا يجوز نقل حديثه بالمعنى ، والقرآن يجوز ترجمة معانيه لمن لا يعرف العربية باتفاق العلماء ، وأبناء فارس المسلمون لما اعتنوا بأمر الإسلام ، ترجموا مصاحف كثيرة ، فيكتبونها بالعربي ، ويكتبون الترجمة بالفارسية، وكانوا قبل الإسلام أبعد عن المسلمين من الروم والنصارى ، فإذا كان الفرس المجوس قد وصل إليهم معاني القرآن بالعربي وترجمته ، فكيف لا يصل إلى أهل الكتاب وهم أقرب إلى المسلمين منهم؟! وعامة الأصول التي يذكرها القرآن عندهم شواهدها ، ونظائرها في التوراة والإنجيل والزبور ، وغير ذلك من النبوات، بل كل من تدبر نبوات الأنبياء ، وتدبر القرآن ، جزم يقينا بأن محمدا رسول الله حقا (١).

المبحث الرابع : حول أمية النبي الأمي (٢)

إنَّ المنصرين إذا ما وُلوا أمرهم إلى الطعن في الإسلام، فإنهم يصنعون من الخاطر العابر أسطورة شائكة، ومن الأثر الساقط رواية متواترة، ومن الظنَّ المرجوح حقيقة قاطعة.. والذي يعجب له الناظر في مصنّفات الدفاعيين النصرارى يرى أنّ هؤلاء الكتاب إذا كانوا بصدد الردّ على الطعون في أسفارهم وعقائدهم؛ يعمدون إلى أبعد الفروض وأغرب الاحتمالات لدفع التناقض وردّ الزلل عن مقدساتهم، لكنهم إذا ما أنشؤا أقلامهم في صحائف القرآن الكريم، تبدّل الحال وتهيّجت النفوس؛ فينكر القوم على المسلمين أوضح البراهين، وأصحّ الأسانيد، وأنقى المتون، متشبّثين بأوهى اعتراض، وأوهن شبهة، وأرق احتمال.. إنّ أصول شبهة المنصرين

(١) - انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٥٢/٢، ٥٤، ٧٤، ٧٨

(٢) - راجع د . سامي عامري : ((هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى؟)) وتحت عنوان جانبي (نقض شبهة المنصرين والمستشرقين، وإثبات إعجاز القرآن الكريم في ضوء حقائق التاريخ والعلم). ص ٤٠ - ٨٧ ناقش الكتاب أكثر دعاوى المنصرين وشبهاتهم أن القرآن مأخوذ من كتب اليهود والنصارى .

وعناصرها، نلاحظ أنها مبنية على عدة دعاوى .. وهي بالإسناد تعتمد على إنكار أمية محمد صلى الله عليه وسلم. وأن الأسفار النصرانية كانت متاحة بين يدي محمد للنقل عنها. وأن مكة كانت مرتعاً تعليمياً راقياً للدراسات الدينية المقارنة.

وقد فئدنا امتلاك محمد صلى الله عليه وسلم للأدوات العلمية المكتسبة للاطلاع المباشر على الأسفار المقتبس منها في الكتاب . ونبحث هنا في التأكيد الإسلامي على أمية الرسول صلى الله عليه وسلم وأنها عقبة تقف دونها ركائب المنصرين وعامة المستشرقين، ، ولا يمكنهم إثبات ما سبق إلا بإبطال حقيقة هذه الأمية!

وأول ما يواجه المنصرين والمستشرقين في هذا الشأن هو أنّ مصنفات الحديث والسيرة بالإضافة إلى القرآن الكريم، هي المصادر التاريخية الوحيدة المعتبرة لمعرفة خبر محمد صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بكل أمره .. وليس للمنصرين والمستشرقين مدخل آخر لهذا الموضوع ولا أدوات أخرى موضوعية حاسمة للبحث فيه .. والناظر في منهج هؤلاء المخالفين؛ يرى بوضوح أنهم يعمدون إلى الضعيف من النقول، أو إلى المتشابه من الأقوال، أو البعيد من الاحتمالات التي لا تطبقها النصوص .. ويتركون في مقابل ذلك نصوص صريحة، صحيحة، محكمة، مباشرة ..

ويبدو أنّ من أسباب هذا النهج أمرين؛ أولهما: الرغبة المستحكمة في الوصول إلى النتيجة المرادة التي هي إدانة محمد صلى الله عليه وسلم وإنكار رتانية القرآن الكريم.. وثانيهما: التأثير بالمنهج الغربية في نقد النصوص الدينية حيث يرفض الباحث النصوص الدينية منطوقاً ومفهوماً ويتعلق بجوامش تاريخية ولغوية يبيّن عليها فهمه للشأن الديني والتاريخي كلاًه. ولئن كان الناقد الغربي له شيء من العذر في نصح ذلك المسلك مع تلك الأسفار التي ثبت قطعاً أنها ساقطة تاريخياً وأنها كتابات ظرفية متشعبة بالكثير من المعائب العلمية والأدبية، حتى اختفت معالم الوحي فيها وراء الدخيل الكثيف، فإنّ الأسفار الإسلامية (قرآناً وسنة) لا تحمل من تلك الأضرار شيئاً، وإنما هي في طهرها التاريخي ناصعة نقيّة ..

لقد جاء أمر نسبة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الأمية في الكتاب والسنة في مواضع عدة، والمنصرون ومن شايعهم من المستشرقين، يعمدون أمام هذه النصوص إلى أحد نهجين:

- أ- ردّ النصوص واعتبارها افتعالاً إسلامياً لا حقيقة تاريخية. وهو موقف أيسر تكلفة من ناحية ترتيب المصادر والتوفيق بينها، لكنه الأعمس في نفس الآن من حيث علمية المنهج وحجية المصادر ..
- ب- قبول مجمل النصوص التاريخية (الإسلامية)، ولكن مع رفض مضمونها المباشر، وأما استنطاقها خارج الحقل الدلالي النبوي، والأثري عامة.

ولما كان النزاع مع المنصرين هو في فهم عبارة (الأمية)؛ فإنه علينا أن نفسر هذا الاصطلاح في إفراده اللغوي، ثم في سياقه القرآني والنبوي؛ حتى نكون قد استنتقنا بحق وعدل المرجع العلمي الوحيد في هذا الشأن.

شهادة اللغة

لا يسلم التعريف اللغوي للفظ العربي من الخطأ، إلا أن نعود إلى أهل اللغة الذين تتبوعوا استعمالات العرب للألفاظ المراد تبين معناها؛ لاستخراج نقشها الدلالي في الذهن الجماعي زمن الخطاب. وقد شطّ في

الطرح وتكلف في الاستدلال، من جنح إلى تفسير اللفظ العربي خارج سياقه بين أهله؛ وإنما بالعودة ابتداءً (١) إلى مقابله الكتابي -متجاهلاً تمايز الدلالة الاصطلاحية حين وجودها- أو استنطاقه في مشتركة السامي، بالعودة أساساً إلى اللغة السريانية أو العبرية اللتين تشاركان اللغة العربية الجذر السامي الأول، حال وجود تمايز دلالي محكم.. (٢)

وفي ما يتعلق بمبحثنا هنا، نلاحظ ربط الكتابات الاستشراقية/ التنصيرية بين الكلمة القرآنية ((أمي)) والكلمة الكتابية ((أمي))؛ إذ يتم في الأغلب رد هذه الكلمة العربية القرآنية إلى المصطلح اليهودي العبري: ((جويم)) الذي يطلق على غير اليهود؛ بمعنى ((أمم)) كقابل ((لأمة بني إسرائيل)) المصطفاة، ومفردها ((جوي)) أي ((أمة غير يهودية)). وظاهر من استعمال هذا اللفظ، دلالة السلبيّة على (غير الإسرائيليين)؛ فهم ((أمم)) في مقابل الإسرائيليين ((الأمة))، ولنا نجد هذا المعنى في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم لنفسه أو وصف القرآن له، وإنما قد وضع وصف الأميين للعرب باعتبارهم أمة لا تعرف الحق والهدى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَمَيِّ ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [الجمعة: ٢]

{فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بِالصِّيرَةِ بِالْعِبَادِ} [آل عمران: ٢٠]

فضبط الدلالة القرآنية ((للأمي)) و((الأميين)) بمعنى من ليسوا من أمة (الإسرائيليين) أي الأعيان، لا تستنسخ له الآيات القرآنية التي تأتي سياقاً حصر معنى هذا اللفظ ضمن إطار الدوتية الدينية أو العرقية. وهو ما أكده ((كيرلس جلاسي)) ((Cyril Glasse)) (٣) في موسوعته ((موسوعة الإسلام الموجزة)) ((The Concise Encyclopedia of Islam)) بقوله في مقالة (أمي): ((لقب للنبي. رغم أن كلمة أمي قد فهمت من المسلمين على أنها تشير إلى أن النبي كان أمياً، فإن بعض النقاد الغربيين نازعوا في إيمولوجية الكلمة لزعمهم أنها تعني (gentile) وذلك يربط كلمة أمي بكلمة أمة، ويقولون إن ذلك بسبب أن محمداً قد دعى إلى الوحي الإبراهيمي ال (gentiles) أو غير اليهود. إن كلمة أمة لا تعني (nation) بالمعنى العبري لكلمة ((جوي))، وليس الإسلام ديانة منبثقة من اليهودية، على خلاف المسيحية... وليس فهم المسلمين لكلمة أمي كفهم المستشرقين لها. (٤)

(١) - اللغات السامية مفيدة في فهم ما غمض من الألفاظ العربية، إذا كانت هذه الألفاظ دخيلة على اللسان العربي أو كانت من المشترك السامي، لكنها غير معتبرة إذا ثبت لنا من خلال التصريح أو الاستقراء معنى محكم في العرف اللساني البياني العربي ضمن السياق الزمني المقصود.

(٢) - لعل هذه (الموضحة) هي الأكثر رواجاً هذه الأيام في المكتبة الاستشراقية بين أصحاب (الفانتازيا) الفكرية و(التقليعات) النقدية الحديث؛ ولو كان رصيدها من الواقع شديد الهزال؛ ولذلك لا نستغرب أن نقرأ قول ((جبرائيل صاوما)) ((Gabriel Sawma)) في كتابه: ((The Qur'an: Misinterpreted, Mistranslated and Misread: the Aramaic Language of the Qur'an)) ص ١٠٣، مخاطباً (الكائن العربي) في سبيل إثبات أن القرآن كتاب (سرياني اللفظ والدلالة) (!): ((اليوم، من يتكلمون السريانية أقدر على فهم معاني القرآن أكثر من يتكلمون العربية؛ رغم أن الكثير من الألفاظ القرآنية قد تم تعريبها على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية.. لا شك أنه لا يمكن أن يجهر هذا المؤلف بمثل هذه الدعوى (المؤودة) في بيئتنا العربية.. علماً أن هذا الكاتب الذي زعم أنه يفسر القرآن بالسريانية (!) والذي يحسن فهم لغة القرآن أكثر من أصحاب اللسان العربي(!)، قد عجز في بعض الأمثلة التي عرضها، عن قراءة اللفظ العربي أو نحره (transliteration) الآيات وأسماء الأعلام.. (إلا الحماسة أعيت من يداويها!!)

(٣) - كيرلس جلاسي (ولد سنة ١٩٤٤م): مستشرق أمريكي من أصل روسي. اهتم إلى الإسلام في شبابه. تخرج في كلية كولومبيا. درس مقارنة الأديان في العديد من البلاد (نيويورك، وموسكو، ولاهور...)

(٤) - Cyril Glasse, *The Concise Encyclopedia of Islam*, San Francisco: Harper and Row, 1989, p.409-

إنّ نكارة الأمر من الناحيتين الإيمولوجية^١ والفيلولوجية^٢ ترجع إلى:

- التجاهل المتعمّد للعرف اللغوي للكلم العربي .
 - اللجوء إلى اللغة العبرية لتحقيق الدلالة المعنوية للفظ القرآني، مع وجود ثروة لسانية هائلة من الشعر والخطب والأمثال العربية السابقة للإسلام.
 - الإعراض عن تفسير اللفظ القرآنيّ من خلال (العرف) القرآني والنبوي لنفس الكلمة!
 - تجاهل نظرة العرب إلى اللغة العبرية على أنّها لغة أجنبية يُعامل معها عن طريق الترجمة.
- إنّ استكشاف البيان العربي، يحتاج إلى استنطاق العرف اللغوي العربي القديم، خاصة الجاهلي منه الذي شكّل المعجم اللساني في القرن السابع ميلاديًا.. وقد جمع علماء اللغة في معاجمهم الموروث اللغوي القديم، وقدموا لنا ما يلي:

قال ((ابن منظور)): ((معنى الأمي المنسوب إلى ما عليه جَبَلَتْه أمه أي لا يكتب فهو أُمّي لأن الكتابة مكتسبة؛ فكأنه نسب إلى ما يولد عليه أي على ما ولدته أمه عليه.))^(٣)

وقال ((أبو حيان)): ((الأمي هو الذي لا يكتب ولا يقرأ في كتاب، أي لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحقّقوا ما فيها.))^(٤)

أما ((ابن قتيبة)) فقد نسب كلمة أُمّي إلى أمة العرب التي لم تكن تقرأ أو تكتب، فقال: ((قيل لمن لا يكتب أُمّي، لأنه نسب إلى أمة العرب أي جماعتها، ولم يكن من يكتب من العرب إلّا قليل؛ فنسب من لا يكتب إلى الأُمّة...))^(٥)

ومن الشهادات المبكّرة في تفسير معنى كلمة ((أُمّي))؛ قول المؤرّخ ((محمد بن إسحاق بن يسار المديني)) (ت ١٥١ هجرية) صاحب السيرة النبوية المشهورة: ((كانت العرب أُميين لا يدرسون كتابًا، ولا يعرفون من الرسل عهدًا.))^(٦).. ووقول الحافظ ((يحيى بن معين)) (ت ٢٢٣ هجرية): ((كان جعفر بن برقان أُميًا، لا يكتب و لا يقرأ)). وقال أيضًا: ((كان أبو عوانة أُميًا يستعين بإنسان يكتب له.))^(٧)

لقد كانت كلمة ((أُمّي)) بين أهل اللسان العربي مرادفة للعجز عن القراءة والكتابة، وكان العرب (أُميين) لغلبة الجهل بالقراءة والكتابة عليهم ..

شهادة القرآن الكريم

قال تعالى: { وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأْتَبَاتِ الْمُبْطِلُونَ } .
[العنكبوت: ٤٨] تنفي هذه الآية الشريفة المحكمة عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دراسة أسفار أهل

(١) - اصطلاحًا: نسق علمي تاريخي في اللسانيات لدراسة أصول الكلمات يعتمد أساسًا على ملاحظة التطور الصوتي للكلمات في اللغات المختلفة ودلالاتها.

(٢) - اصطلاحًا: علم يهتم بدراسة اللغة من ناحية تاريخية انطلاقًا من النصوص المكتوبة بالنظر إلى التعبير اللساني شكلاً ومضمونًا. (وهذا من أوسع التعريفات)

(٣) - ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر، د.ت، ٣٤/١٢.

(٤) - أبو حيان، تفسير البحر المحيط، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ٤٤٢/١

(٥) - ابن قتيبة، غريب الحديث، ت/ عبد الله الجبوري، بغداد: مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ، ٣٨٤/١

(٦) - ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ت/ محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث، د.ت، ٦٢/٢

(٧) - ابن معين، تاريخ ابن معين، رواية الدوري، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٠هـ، ٤١٩/٣

الكتاب.. كما تنفي عنه نسخ هذه الكتب -وبدلالة التضمّن، تداولها-؛ وفي هذا ردّ صريح مباشر على الزعم أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم كان على علم واطلاع عميقين بأسفار القوم.. إنّ هذه الآية تقرّر أنّ محمّداً صلّى الله عليه وسلّم لا علم له بأسفار أهل الكتاب، وجعلت سكوت مخالفيه دليلاً على صحة هذه الحقيقة وصواب هذه الدعوى.. ولكن يأبي (المولّدون) إلا الجدال في ما لم يجادل فيه ألدّ خصوم هذا النبي صلّى الله عليه وسلّم من المعاصرين له، ممن لم يتورعوا عن محاولة سفك دمه وإهدار عرضه!! وتؤيّد آيات أخرى علم أهل مكّة بعدم دراية محمد صلّى الله عليه وسلّم بأسفار أهل الكتاب، كقوله تعالى: {مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ} [الشورى: ٥٢] وقوله: {قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَأَكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [يونس: ١٦]

وفي مقابل جحد المعاندين لمنطوق هذه الآيات التي تبطل أصل دعاويهم، يقول من استقام عندهم منطلق الاستدلال، أمثال الإمام ((النحاس)): ((وذلك دليل على نبوته، لأنه لا يكتب ولا يخالط أهل الكتاب؛ فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم وزالت الريبة والشك.))^(١)

شهادة السنة

شهادة السيرة: تعددت الوقائع والأحداث الثابتة في السيرة، المظهرة لأميّة الرسول صلّى الله عليه وسلّم، كما غابت المواقف التي تكشف ارتياد الرسول صلّى الله عليه وسلّم مجالس التعلّم والكتابة، أو استعماله للقرطاس والقلم، وهي مواقف لا يمكن أن تغيب عن حياة رجل يحسن القراءة والكتابة في بيئته عمّها الجهل واستوطنتها الأميّة.

وقد كانت المرحلة المدنيّة من الدعوة متميّزة بالحاجة إلى الكتابة بصورة خاصة، مع ظهور مراسلات الملوك، وتنظيم الجيش، والدولة، حتّى إنّ كان للرسول صلّى الله عليه وسلّم واحدٌ وستون كاتباً^(٢)، ومع ذلك لم تظهر في هذه المرحلة (المعرفة المزعومة) للرسول صلّى الله عليه وسلّم بالقراءة والكتابة.

كما أنّ طفولة الرسول صلّى الله عليه وسلّم كانت على درجة كبيرة من الشدة والقسوة ممّا يمنعه من تقصّي أسباب التعلّم بما تتطلبه من تفرّغ ولين عيش في تلك البيئة القاسية والحياة المرهقة.

وهل التعلّم يكون من غير معلّم؟ فأين سيرة من علّم الرسول صلّى الله عليه وسلّم في أخبار الصحابة عن نبيّهم، وقد علّم أنّهم كانوا يعظّمون كلّ أمره، ويبحّلون كلّ من كان عظيم الصلّة به؟ أليس معلّم الرسول صلّى الله عليه وسلّم أخرى الناس بالتعظيم!!؟

والأمر كما قالت المستشرقة ((كارن أرمسترونج)) ((Karen Armstrong))^(٣): ((يبدو أنّه من الانحراف في الرأي تحديّ التراث الإسلامي التفسيري لكلمة (أمّي). لا توجد أيّة إشارة في المصادر الأولى إلى ممارسة محمّد للقراءة أو الكتابة. كان محمد يملي كلامه على غيره، كعَلِيّ المتعلّم، إذا ما أراد إرسال رسالة. إنّها لخدعة كبيرة أن يكون محمد قد أخفى طوال حياته قدرته على القراءة والكتابة. بعيداً عن أنّ ذلك ليس من

(١) - الشوكاني، فتح القدير، بيروت: دار الفكر، د.ت، ٢٠٧/٤

(٢) - حَقَّق أمر هذا العدد من الكتاب، الدكتور ((محمد مصطفى الأعظمي)) في كتابه: ((كتاب النبي صلّى الله عليه وسلّم)) (انظر؛ محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسيّة للعهد النبوي والخلافة الراشدة، بيروت: دار النفائس، ط٦، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص ٨)

(٣) - كارن أرمسترونج (ولدت سنة ١٩٤٤م): كاتبة بريطانيّة لها عناية بالحضارات الشرقيّة والأديان الكبرى. تعتبر عاثة كتبها من أهم المؤلفات مبيّعا في الغرب.

الأُمور المعهوده، فإنه يبدو من العسير جدًّا المحافظة على هذا الغش؛ نظرًا للتقارب الشديد في المعيشة بين محمد وقومه.))^(١)

وقد أقرَّ بأُمِّيَّة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدد من المستشرقين مثل ((مرتشي)) ((Marraci))^(٢) و((بريدو)) ((Prideaux))^(٣) و((أوكلبي)) ((Ockley))^(٤) و((جروك)) ((Gerock))^(٥) و((أرمون-بيير كوسن دو برسفال)) ((Armand-Pierre Caussin de Perceval))^(٦) و((ج. م. أرنولد)) ((J. M. Arnold))^(٧) و((بالمر)) ((Palmer))^(٨).

شهادة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا وهكذا وعقد الإبهام في الثالثة والشهر هكذا وهكذا يعني تمام ثلاثين.))^(٩) قال ((المباركفوري)): ((قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أُمَّة أُمِّيَّة لَا نَكْتُب وَلَا نَحْسَب؛ أَرَادَ أَنَّهُمْ عَلَى أَصْلِ وِلَادَةِ أُمَّهُمْ؛ لَمْ يَعْلَمُوا الْكِتَابَةَ وَالْحِسَابَ؛ فَهَمَّ عَلَى جِبَلَّتِهِمُ الْأُولَى.))^(١٠) ، لقد ورد هاهنا الشرح المحكم لمعنى الأُمِّيَّة على لسان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما يمنع من الدخول في مباحكات تأويلية، وبما يدفع عن هذا اللفظ أيَّ غموض أو اشتراك دلالي موهم .. إنَّ الأُمِّيَّة التي كان عليها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي عدم الدراية بالكتابة والحساب ..

اتِّخَاذُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا لِلْوَحْيِ وَلشؤونه الأخرى: كان للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدَّة كُتَّاب ((كأبي بكر)) و((عمر)) و((عثمان)) و((علي)) و((زيد)) و((معاوية)) -رضي الله عنهم- يكتبون الوحي، ويكتبون العهود، ويكتبون كُتُبَه إلى مَنْ بعثه اللهُ إليهم من ملوك الأرض ورؤوس الطوائف، وإلى عُمَّالِه، وولاته، وسعاته. ولم يذكر التاريخ الصادق أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام بكتابة الوحي بنفسه أو أنه تولى كتابة أيِّ من رسائله ..

الاصطلاح في البيئة العربية زمن البعثة النبوية: قال المؤرِّخ ((ابن خلدون)) إنَّ الكتابة في العرب كانت أعزَّ من بيض الأنوق، وإنَّ أكثرهم كانوا أميين، ولاسيما سكان البادية، لأنَّ هذه الصناعة من الصنائع

(١) Karen Armstrong, Muhammad: a biography of the prophet, New York: HarperCollins, 1993 , p.88 - (٢) - لودفيجيو مرتشي (١٦١٢م-١٧٠٠م): قسيس كاثوليكي إيطالي. دَرَس اللغة العربيَّة في جامعة ساينزا بروما. ترجم القرآن الكريم إلى اللاتينية. صاحب نزعة عدوانية اتجاه الإسلام.

(٣) همفري بريدو (١٦٤٨م-١٧٢٤م): ناقد وأستاذ دين. ألَّف كتاب ((حياة محمد)) ((Life of Mahomet))، وهو مؤلَّف مشحون بالافتراء والظن.

(٤) - سيمون أوكلبي (١٦٧٨م-١٧٢٠م): مستشرق بريطاني. دَرَس اللغة العربيَّة في جامعة كامبردج. اشتهر بكتابه ((The History of the Saracen Empires))

(٥) - ك. ف. جروك: مستشرق. صاحب كتاب ((Versuch einer Darstellung der Christologie des Koran)) في التصرُّو القرآني لطبيعة المسيح.

(٦) - أرمون-بيير كوسن دو برسفال (١٧٩٥م-١٨٧١م): مستشرق فرنسي. دَرَس اللغة العربيَّة في (كوليج دو فرانس). أشهر مؤلِّفاته: ((بحث عن تاريخ العرب قبل الإسلام وأثناء عصر محمد)) ((Essai sur l'histoire des Arabes avant l'Islamisme, pendant l'époque de Mahomet))

(٧) - ج. م. أرنولد (توفي ١٨٨٢م): منصِّر إنجليكاني.

(٨) - إدوارد هنري بالمر (١٨٤٠م-١٨٨٢م): مستشرق بريطاني. دَرَس اللغة العربيَّة في جامعة كامبردج. تعتبر ترجمته الإنجليزية للقرآن الكريم أشهر أعماله.

(٩) - انظر؛ Samuel Marinus Zwemer, The Muslim Doctrine of God: an essay on the character and attributes of Allah according to the Koran and Orthodox tradition, New York: Young People's Missionary Movement, 1905, p.92

(١٠) - رواه البخاري، كتاب الصوم، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا نكتب ولا نحسب، ح/ (١٩١٣)، ومسلم، كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والظن لرؤية الهلال، ح/ (١٠٨٠)

(١١) - المباركفوري، تحفة الأحوذى، بيروت: دار الكتب العلميَّة، د.ت، ٢١٢/٨

التابعة للعرمان (١)، ولذلك ما كان العرب يشيرون على الأمي بالأميَّة، وإنما كانوا يشيرون على من يعلم القراءة القراءة والكتابة، بالعلم في هذا الأمر؛ إذ إنّ علم القراءة والكتابة كان الاستثناء لا الأصل في الناس؛ وصمّت نصوص الوحي وكتب التاريخ الإسلامي عن وصف محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقراءة والكتابة يكفي لإلزام الباحث أن يستصحب الأصل في ذلك الزمان؛ وهو أنّ هذا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقرأ ولا يكتب. (٢)

حجم المعرفة العلميّة المشترطة: إنّ دفع الأميَّة عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يجدي - في حقيقته - المنصرين والمستشرقين في شيء؛ لأنّ العلم بخط الحروف ووصف الكلمات لا يثبت شيئاً من دعاوى الاقتباس؛ إذ إنّ إثبات علم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدقائق الأسفار المقدّسة السابقة لا يستقيم إلاّ بإثبات (ثقافة موسوعية) للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أسفار أهل الكتاب وعقائدهم وفرقهم ولغاتهم .. وقد صدق الدكتور ((عبد الرحمن بدوي)) في قوله: ((ولكي نفترض صحة هذا الزعم، فلا بد أنّ محمداً كان يعرف العبرية والسريانية واليونانية، ولا بد أنه كان لديه مكتبة عظيمة اشتملت على كل نصوص التلمود، والأناجيل المسيحية، ومختلف كتب الصلوات، وقرارات المجامع الكنسية، وكذلك بعض أعمال الآباء اليونانيين، وكتب مختلف الكنائس - والمذاهب المسيحية.)) (٣)!!

إنّ التاريخ يخبرنا أنّ ذلك الزمان لم يعرف رجلاً من أهل الكتاب أنفسهم، يحمل هذه العلوم الجمة، بسعته ودقّتها وتلوّنها!

شبهة:

روى ((البخاري)) في قصّة الحديدية عن ((البراء)) رضي الله عنه قال: ((لما اعتمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذي القعدة، أبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله.

قالوا: لا نفر لك بهذا، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً، ولكن أنت محمد بن عبد الله!

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله!

ثم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((امح رسول الله!))

قال علي: لا والله لا أحوك أبداً.

فأخذ رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكتاب وليس يحسن يكتب، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، لا يدخل مكة السلاح إلاّ السيف في القراب.))

الرد:

أولاً: ليست كلمة ((كتب)) في هذا الحديث قاطعة في الدلالة على أنّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد كتب الكلام التالي بنفسه؛ فإنّ العرب كانت تنسب الفعل إلى الرجل، إذا كان قد جاء به من ائتمر بأمره فيه؛ من

(١) - أحمد بن حجر آل بوطامي البعلبي، الرّد الشافي الوافر على من نفى أميّة سيّد الأوائل والأواخر، ضمن مجموعة الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي البعلبي رحمه الله، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ٢٤٨/٦

(٢) - انظر في شأن الأميّة في الأمم القديمة؛ William Harris, *Ancient Literacy*, MA: Harvard University Press, 1989

(٣) - عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضدّ متفديه، ت/كمال جاد الله، القاهرة: الدار العلميّة للكتب والنشر، ١٩٩٩م، ص٢٤

ذلك ما رواه ((أنس بن مالك)) رضي الله عنه أنّ النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم اتخذ ((خاتماً من فضّة، نقشه محمد رسول الله.))^١، ومعلوم أنّ الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلّم لم يباشر ذلك بنفسه، وإنّما باشره غيره بطلبه صَلَّى اللهُ عليه وسلّم.

ثانياً: جاءت الرواية عن ((البراء)) في صحيح ابن حبان مصرّحة أنّ الرسول كان أمراً بالكتابة لا مباشراً لها: ((فأخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم الكتاب وليس يحسن يكتب فأمر فكتب مكان رسول الله محمداً، فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله.))

ثالثاً: روى هذا الحديث ((المسور بن مخزّمة)) و((مروان)) و((أنس بن مالك)) رضي الله عنهم أجمعين، واتفقت تلك الروايات كلها على أمر النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم لعلي بالكتابة، فقد روى البخاري عن ((المسور بن مخزّمة)) و((مروان)) يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالوا: ((..فقال النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم: والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني، اكتب محمد بن عبد الله))^٢، وكذلك قال ((أنس بن مالك)) رضي الله عنه في صحيح مسلم ما نصّه: ((فقال النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم: اكتب من محمد بن عبد الله.))^٣

أما رواية ((البراء)) رضي الله عنه، فنلاحظ أن الرواة الذين نقلوها قد اقتصروا على بعض الألفاظ دون بعض، ومن هنا حصل اللبس والإيهام في هذه الرواية.^٤

رابعاً: جاء في رواية البخاري أنّ الرسول قد قال: ((فأرنيه))؛ وفي ذلك دلالة على أنّه لم يكن يعرف القراءة، فكيف سيحيد الكتابة؛ إذ إنّ من لا يقرأ لا يكتب!؟

خامساً: نفس الحديث الذي يحتجّ به المنكرون لأميّة الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلّم، قد جاء فيه قول الراوي: ((وليس يحسن يكتب))؛ وهو مثبت -بدلالة قاطعة- لأميّة الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلّم.

سادساً: لو قبلنا الزعم أنّ الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلّم قد باشر في هذه القصّة الكتابه بنفسه، فإنّ ذلك لا يرفع عنه الأميّة؛ قال الإمام ((العيني)): ((الأمي من لا يحسن الكتابة لا من لا يكتب))^٥، وقال الإمام ((ابن حجر)): ((وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة أن يصير عالماً بالكتابة ويخرج عن كونه أمياً، فإن كثيراً ممن لا يحسن الكتابة يعرف تصور بعض الكلمات ويحسن وضعها وخصوصاً الأسماء، ولا يخرج بذلك عن كونه أمياً ككثير من الملوك.))^٦ أمّا عامة الأحاديث الأخرى التي استدلّ بها لردّ أميّة الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلّم، فهي لا تصحّ، قال الإمام ((ابن حجر)) بعد أن أوردّها: ((وأجاب الجمهور بضعف هذه الأحاديث.))^٧

(١) - رواه البخاري، كتاب اللباس، باب نقش الخاتم، ح/ (٥٨٧٢)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب في اتخاذ النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم خاتماً لما أراد أن يكتب إلى العجم، ح/ (٢٠٩٢).

(٢١) - رواه البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ح/ (٢٧٣١).

(٢) - رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، ح/ (١٧٨٤).

(٤) - خالد كبير علّال، أباطيل وخرافات حول القرآن الكريم والنبي محمد صَلَّى اللهُ عليه وسلّم، دحض أباطيل عابد الجاهلي وخرافات هشام جعيط حول القرآن ونبي الإسلام، دار المختص، نسخة الكترونية.

(٥) - العيني، عمدة القاري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٧/٢٦٣.

(٦) - ابن حجر، فتح الباري، ٧/٥٠٤.

(٧) - ابن حجر، فتح الباري، ٧/٥٠٣-٥٠٤.

الأحاديث هي: - ما مات رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم حتى كتب وقراً.

وقفات مع دعاوى ((زويمر))

((صاموئيل زويمر))^(١)، عمل على تأكيد الارتباط بين (العمل الأكاديمي) و(العمل التنصيري) من خلال مجلته الشهيرة ((العالم الإسلامي)) التي استقطب لفريق الكاتيبين فيها أئمة الاستشراق .. وإن مقاله : ((النبى "الأمي"، هل كان محمد قadrًا على القراءة والكتابة؟)) الذي صدر في مجلة العالم الإسلامي سنة ١٩٢١م، ورغم قَدَمه إلا أنه لم يستجدّ عند المستشرقين بعده جديد في هذا الموضوع؛ فهو نفس الكلام المكرّر وذات الاستدلالات المستنسخة قديمًا وحديثًا؛ لمقام صاحبه بين المنصّرين، ولأنّ أسلوب كاتبه يمثّل الخط (الكلاسيكي) (الكنسي) المتجدد في تناول هذا الموضوع، بالإضافة لما تميّز به هذا المقال من استفادة من الأبحاث الاستشراقية السابقة وحشد للأدلة المتراكمة. وهو مقال ذائع بين المستشرقين، بل هو من أهم ما كُتِب في هذا الموضوع مع العلم أن مقاله امتد على مساحة عشرين صفحة .

ردّ على هذا المقال السابق (د. سامي عامري) ردّ مفصل فأتى على قواعده وأسسها في كتابه(((هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى؟)) وتحت عنوان جانبي (نقض شبهة المنصّرين والمستشرقين، وإثبات إعجاز القرآن الكريم في ضوء حقائق التاريخ والعلم). ص ٥٠-٨٧)) وقد نقلت منه بعض الشذرات الهامة في النقد على المقالة السابقة ومن يريد التوسع فليرجع للكتاب المذكور.

استشهد زعيم المنصّرين زويمر بمن خالف من أهل العلم (وهم قلّة شاذة) كما أن فهمهم وقولهم يختلف عن مقصوده، فإنهم لم يثبتوا ما تُوهمه عبارة ((زويمر)) من أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم كان يحسن القراءة والكتابة من أول أمره، وإنما قالوا إنّه اكتسب القراءة والكتابة في آخر سنّي عمره، وكانوا في ذلك على قولين؛ (الأول) أنّه اكتسب ذلك بالطريق البشري المألوف، و(الثاني) أنّه اكتسب ذلك على سبيل الخارقة دون جهد تعلم^(٢)؛ والحجّة الأساسية لأصحاب هذين القولين هي حديث الحديبية، وقد دفعنا هذا الفهم من هذا الحديث في ما مضى؛ فقولهم إذن لا يلتقي مع زعم المنصّرين أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم كان يحسن القراءة والكتابة بما أهله للاطلاع على الكتب الدينية الأخرى قبل أن يخرج على الناس معلنًا نبوّته؛ فقول هؤلاء غير قول أولئك!

كما أن إثبات معنى (الأمي) بأنه من كان من مكة أمّ القرى لقوله تعالى: {لتنذر أم القرى ومن حولها} [الشورى: ٧] يعارضه القرآن الكريم إذ يقول: {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمَنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [البقرة: ٧٥]؛ فلا سبيل هنا لربط

- أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر معاوية أن يكتب للأفرع وعيينة، فقال عيينة: أتراي أذهب بصحيفة للتلمس؟ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة فنظر فيها فقال: قد كتب لك بما أمر لك.

- ضع القلم على أذنك فإنه أذكرك لك. ، - ألقى الدواة، وحرف القلم، وأقم الباء، وفرق السين، ولا تعور الميم. ، - لا تمد بسم الله.

(١) - صاموئيل زويمر (١٨٦٧-١٩٥٢م): منصّر أمريكي، مؤسس العمل التنصيري البروتستانتي في العالم الإسلامي، في صورته الحديثة. عمل في التنصير في عدد من البلاد الإسلامية. له عدد كبير من المؤلفات - كتب ومقالات - حول الإسلام وتنصير المسلمين. درس تاريخ الأديان في (Princeton Theological Seminary).

(٢) - انظر في عرض هذين القولين؛ فحطّان الدروري، أمية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ص ٣٣-٦١

(الأمّية) بالسكن في ((مكة)) أم القرى؛ إذ هو وصف لفريق من اليهود بأنهم أميين على خلاف الطائفة الأخرى من اليهود التي أوتيت العلم^(١)، كما أنّ هذ الآية ترد على الذين يقولون إنّ ((الأميين)) هم من كانوا من غير ((أمّة اليهود))

وادّعى زويمر أن التجارة التي مارسها النبي علمته القراءة، لكن لم يمارس الرسول صلّى الله عليه وسلّم التجارة إلّا لفترة قصيرة، ولم يثبت لنا من طريق واضح أنّ التجارة التي مارسها الرسول صلّى الله عليه وسلّم كانت تحتاج معرفة بالقراءة والكتابة، بل لم يثبت لنا من النظر التاريخي أنّ التجارة التي كان يمارسها أهل مكة في الداخل والخارج كان تقتضي تعلّم القراءة والكتابة .. فهو إذن احتجاج (عائم) (مائع) (سائل)!

وخطب بحديث ((عبيد الله بن مسلم)): ((كان لنا غلامان فكان يقرآن كتابًا لهما بلسانهما، فكان النبي صلّى الله عليه وسلّم يمرّ عليهما، فيقوم يستمع منهما.. الحديث)) ليس بحجّة؛ لأسباب:

(١) الحديث مروي عن ((عبيد الله بن مسلم الحضرمي))، وهو من المختلّف في صحبته؛ قال فيه الحافظ ((مغلطاي)) في كتابه ((الإنباء إلى معرفة المختلّف فيهم من الصحابة)): ((عبيد الله الحضرمي تابعي روى عن: معاذ ابن جبل))^(٢)؛ فالحديث بذلك مرسل لا يصح!

(٢) صغر سن الغلامين^(٣) وعجمة لسانهما ينفيان أن يكون لهما فضل أو أثر على النبي صلّى الله عليه وسلّم.

(٣) قال الشيخ ((ابن عاشور)): ((كان في مكة غلام روميّ كان مولى لعامر بن الحضرمي اسمه جبر كان يصنع السيوف بمكة ويقرأ من الإنجيل ما يقرأ أمثاله من عمارة النصارى من دعوات الصلوات، فاتخذ زعماء المشركين من ذلك تمويهًا على العامة، فإن معظم أهل مكة كانوا أميين فكانوا يحسبون من يتلو كلمات يحفظها ولو محرّفة، أو يكتب حروفًا يتعلّمها، يحسبونه على علم، وكان النبي صلّى الله عليه وسلّم لما جانيه قومه وقاطعوه يجلس إلى هذا الغلام، وكان هذا الغلام قد أظهر الإسلام؛ فقالت قريش: هذا يعلم محمدًا ما يقوله))^(٤)

(٤) لا تعلق لهذا النص بمعرفة الرسول صلّى الله عليه وسلّم القراءة والكتابة.

نقل ((زويمر)) خلاصة دراسة ((نولدكه))؛ وهي أنّ: (١) الرسول صلّى الله عليه وسلّم كان يخادع قومه موهمًا إياهم أنه لا يقرأ ولا يكتب، بل وكان يجعل كتابه يقرؤون ما تأتيه من مراسلات، لنفس الغرض. (٢) لم يُنح للرسول صلّى الله عليه وسلّم الاطلاع على الأسفار المقدسة للنصارى. (٣) استعمل الرسول صلّى الله عليه وسلّم التراث اليهودي- النصراني الشفوي المتداول بين قومه.

(١) - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ت، ١/٧٣٥

(٢) - مغلطاي، الإنباء إلى معرفة المختلّف فيهم من الصحابة، ت/ محمد عوض المنقوش ومن معه، الرياض: مكتبة الرشد، د.ت، ٢/٤٤

(٣) - قال الطبري: حديثي المثنى، قال: حدثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن خصّين، عن عبد الله بن مسلم الحضرمي: أنه كان لهم عبدان من أهل عبر اليمن، وكانا طفلين، وكان يقال لأحدهما يسار والآخر جبر، فكانا يقرآن التوراة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جلس إليهما، فقال كفار قريش: إنما يجلس إليهما يعلم منهما، فأزل الله تعالى: لسان الذي يُلجِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيّ مُبِينٌ.

(٤) - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٧/٢٨٦

نقل ((زويمر)) اتهام الكفار للرسول الله صلى الله عليه وسلم الوارد في القرآن: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } [الفرقان: ٤-٥]، وأحال أيضًا إلى سورة النحل، الآية (١٠٥)، ويبدو أنه يقصد الآية (١٠٣): { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ }، وعقب على ذلك بقوله إنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يرد على أيِّ من التهمتين بالقول إنه لا يحسن القراءة والكتابة. استدلت بمجموعة من الروايات هي:

حديث: ((ألق الدواء، وحرف القلم، وانصب الباء، وحسن الله، ومد الرحمن الرحيم))

حديث رواه ((ابن أبي شيبه)): ((ما مات النبي حتى كتب وقرأ. سمعت أشخاصًا أكدوا ذلك.))^(١)،

وأضاف أنه إذا كان هذا الأثر صحيحًا فلا بدَّ أن يولى أهمية كبيرة لأنَّ ((ابن أبي شيبه)) قد توفي سنة ١٠٥ هـ. ما نسبه المستشرق ((موير)) إلى ((الواقدي)) من أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد كتب في أسفل صحيفة صلح الحديبية كلامًا من عنده.

قول الرسول صلى الله عليه وسلم عند مرضه الذي قبض فيه: ((هلمَّ أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده.))

حديث بدء الوحي وقول جبريل للرسول صلى الله عليه وسلم: ((اقرأ))، وردُّ الرسول صلى الله عليه وسلم: ((ما أنا بقارئ))؛ فقد ادعى ((زويمر)) أنَّ هذا النص ليس إلا صياغة عربية لنص سفر التكوين ١٢/٨ مع وصله بنص تكوين ٤/٢٦، كما أنَّ ((ابن إسحاق)) و((البغوي)) و((البيضاوي)) وغيرهم قد اعتبروا هذه الحادثة مجرد منام! وأضاف ((زويمر)) أنَّ قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((ما أنا بقارئ!)) لا يعني أنه لا يحسن القراءة وإنما يعني: ((أنا لا أقرأ الآن!)).

النقد:

أولاً: الزعم أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخادع قومه؛ موهماً إياهم أنه أمي لا يحسن القراءة والكتابة، لا يستند إلى دليل نقلي ولا يركن إلى اشتباه عقلي، وإنما هو تعبير عن حالة مرضية تسمى في علم النفس (بالوسواس القهري) (Obsessive-compulsive disorder)، وهو مرض كثيراً ما يصيب المستشرقين دافعاً إياهم إلى البحث عن كلِّ احتمال -دون النظر إلى ثقافته أو ثقافته- لردِّ ربانية القرآن الكريم^(٢)؛ وإنَّنا لو فتحنا الباب لمثل هذه الفرضيات؛ فلن يبق في عالم الناس (يقين) ولا (حقيقة)؛ فكل (شيء) يحتمل عندها أن يكون على غير (كينونته)؛ ليستقر بنا المقام في بيدا (اللاأدرية) البائسة ..

(١) - عرّيت الصيغة التي أوردها ((زويمر)) ولم أنقل الحديث كما رواه ((ابن أبي شيبه))؛ لغرض سببتي لك لاحقاً.

(٢) - العرض المرضي الوحيد للوسواس القهري الذي لم يتلبس به عامة المستشرقين هو (نفرة المريض من هذا الشعور المرضي)؛ إذ يُعتبر هذا الشعور المرضي -في المقابل- من أهم الدوافع (العلمية) للكتابات الاستشراقية!

السؤال (الجداد) هو: هل في السيرة ما يفتح الباب للقول إنّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يخفي عن أصحابه تمكّنه من القراءة والكتابة؟ الإجابة: ليس في السيرة شيء من ذلك!

ثانياً: ما قيمة كلّ ما سرده ((زويمر)) من (أدلة) لصالح الزعم أنّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يحسن القراءة والكتابة ويفعلهما بمحض من أصحابه، إذا كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مع ذلك) يخفي علمه بالقراءة والكتابة عن أصحابه!!؟

ثالثاً: جلّ الذين اتهموا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه افترى القرآن من عنده، أسلموا بعد ذلك وفتحوا الأمصار .. فكيف لم ينسخ إيمانهم تهمتهم القديمة للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!؟

رابعاً: الآية التي نقلها ((زويمر)) هي نفسها ترد على دعواه: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } [الفرقان: ٤-٥] .. إنّ هذه الآية لم تنسب إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إتقان القراءة فضلاً عن أن تنسبه إلى إجادة الكتابة؛ إذ هي تخبرنا أنّ المشركين قد قالوا إنّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد (اكتتب) ما أورده في قرآنه؛ فهو لم يكتبه، وإنما كُتِبَ له. كما أنّ آية سورة النحل لا علاقة لها بتهمة معرفة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القراءة والكتابة؛ فإنّ التهمة في هذه الآية قائمة على الزعم أنّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان (يسمع) أو (يستمع) إلى أعجمي يرطن بلغته وليس فيها نسبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى القراءة أو الكتابة.

خامساً: لم يكن كفّار مكّة يرمون الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتهمة (قراءة الكلمات أو رصفها)، وإنما كانوا يريدون إثبات معرفته (الكسبيّة) بما جاء في الكتب المقدسة للسابقين؛ ولذلك جاءهم الرد القرآني الحاسم الذي يليق بسياق الأحداث: { وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُؤْمِنُونَ } [العنكبوت: ٤٨] .. لم يكن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ الكتب السابقة، ولم يعهد الناس عنه نسخها بيده .. فما جاء في القرآن من خبر السابقين إنّما هو -إذن- وحي من ربّ العالمين!

سادساً: حديث: ((ألق الدواة، وحرف القلم، وانصب الباء، وحسن الله، ومد الرحمن الرحيم)) ضعيف؛ ففي إسناده من لا يُعرف بتعديل، وفيه أيضاً ((الوليد بن مسلم)) وهو مدلس، وفي السند انقطاع بين ((مكحول)) و((معاوية)) رضي الله عنه^(١)، وقد قال فيه الإمام ((ابن حجر)): ((باطل)).^(٢)

سابعاً: حديث ((ابن أبي شيبه)) أنّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما مات حتى قرأ وكتب:

١ - ضعيف؛ ففيه ((مجالد بن سعد بن عمير الحمداني))، وقد ضعفه أئمة علم الرجال ك((ابن معين)) و((يحيى القطان))...^(٣)

٢ - توفي ((ابن أبي شيبه)) سنة ٢٣٥ هـ وليس سنة ١٠٥ هـ، وهو إمام شهير من أئمة الحديث، بل ولقّب (بإمام الحقاظ)؛ فكيف يجهل منصرّ سخر حياته لدراسة الإسلام خبر هذا الإمام!!؟

(١) - انظر؛ عبد الله الجديع، المقدمات الأساسية للقرآن الكريم، ليدن: مركز البحوث الإسلامية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ص ١٥١

(٢) - ابن حجر، لسان الميزان، ت/ عبد الفتاح أبو غدة، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ١٣٨/٧

(٣) - انظر؛ ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ٢٤١٤/٦-٢٤١٧

٣- لم يكن ((ابن أبي شيبة)) - في هذا الأثر - هو من قال إنَّ الناس قد أكَّدوا له أنَّ الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قد مات وهو يعرف القراءة والكتابة، وإنما هو في هذه الرواية ((الشعبي)) - وهو الذي قيل إنه قد مات سنة ١٠٤هـ - !

٤- حتَّى لو فرضنا صحَّة الرواية إلى ((الشعبي))، فإنَّه مع ذلك لا يُعتدُّ بها؛ لأنَّها رواية عن مجاهيل، وهي بذلك ساقطة إجماعاً عند علماء الحديث. وقد أخرج ((البيهقي)) هذا الحديث، وقال فيه: ((هذا حديث منقطع، وفي روايته جماعة من الضعفاء والمجهولين))^(١)

ثامنا: لم يحل ((زويمر)) إلى مصدر رواية ((الواقدي))، واكتفى بالإشارة إلى أنَّه نقل ما ذكره ((موير)) في هامش كتابه دون أن يحدد اسم الكتاب وصفحة الإحالة! وبالنظر في ما كتبه ((موير)) تبين أنَّ الإحالة هي إلى المجلد الرابع من سلسلة ((حياة محمد)): ((The life of Mahomet and History of Islam, to the era of the Hegira))، الصفحة ٣٤، وقد ذكر فيها أنَّه كان ينقل عن (سكرتير) ((الواقدي)) (!)؛ وهو يقصد تلميذ ((الواقدي)) وكتابه: ((ابن سعد))، وبالنظر في كتاب ((الطبقات)) ((لابن سعد))، وجدنا أنَّ الرواية ليست عن ((الواقدي))^(٢)؛ فلم يفهم ((زويمر)) حتى إحالة ((موير)) الذي نسب الرواية إلى (سكرتير) ((الواقدي)) لا إلى ((الواقدي)) نفسه!! رواية ((ابن سعد)) تقول: ((...)) وكتب رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم في أسفل الكتاب: ولنا عليكم مثل الذي لكم علينا)) .. والاحتجاج بها مردود من أوجه:

١- نسبة الكتابة إلى الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم لا تعني مباشرته لها بصورة شخصيَّة كما سيأتي في الوجه الثامن من الرد.

٢- متن هذا الحديث مخالف لما جاء في الأحاديث الصحيحة من أنَّ شروط العقد لم تكن تمنح المسلمين ومشركي مكَّة نفس الحقوق؛ فقد ثبت أنَّ على المسلمين أن يردُّوا إلى قريش من يأتيهم منها، وليس على قريش أن تردَّ من يأتيها من المسلمين.^٣

٣- الحديث ضعيف لا يصح من جهة الإسناد؛ فهو مرسل عن ((عكرمة)) مولى ((ابن عباس)).

ومن (عجيب) ما قال إمام المنصِّرين في تمهيده لهذه الشبهة: ((بالنسبة لما يتعلَّق بالاتفاق الذي كان بين محمد وقريش في الحديبية والمعروف باسم بيعة الرضوان (oath of Ridhwan) ...))^(٤) .. فانظر كيف أظهر تعامله (البارد) ليقنع القراء أنَّه مدرك لدقائق السيرة، بل ويعرف حتى الكثير من خبرها باللفظ العربي؟! رغم أنَّ (بيعة الرضوان) هي غير (صلح الحديبية)؛ فما كان بين الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم وقريش هو (صلح الحديبية)، أمَّا (بيعة الرضوان) فكانت بين الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم والصحابة على قتال المشركين بعد أن

(١) - البيهقي، السنن الكبرى، كتاب النكاح، باب لم يكن له أن يتعلم شعراً ولا يكتب، ح/ (١٣٢٩٠) (ت/ محمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ط٣، ٦٨/٧)

(٢) - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ت/ علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ٩٧/٢

(٣) - ثبت ذلك في الصحيحين؛ البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح/ (٤١٨٠-٤١٨١)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية؛ ح/ (١٧٨٤)

(٤) - 'Samuel Zwemer, 'The 'Illiterate' Prophet, Could Mohammed Read and Write?', in The Moslem World, V.11, October, 1921, No.4, p. 359

بلغهم قتل ((عثمان بن عفان)) رضي الله عنه لما ذهب إلى مكة لينخبر كبارها أنّ الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم يريد العمرة^١ .. وهذا المسلك في التعامل (الأجدب) معروف عند المنصرّين الأعاجم، وقد رأيت منه نماذج (سخيفة) وأشكالاً (طريفة)؛ خاصة عند رغبتهم في إقناع بقية (الخواجات) أنهم يحسنون اللغة العربيّة؛ إذ تخرج منهم كلمات - لا أراك الله (مطحوناً) - قد لفظتها أرحام المعاجم .. ومن شابه ((زويمر)) فما ظلم!

تاسعا: قول الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم عند مرضه الذي قبض فيه: ((هلمّ أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده.)) صحيح، مخرّج في الصحيحين وغيرهما، وفي نفس الحديث أنّ الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم يكتب شيئاً لكثرة اللغظ من الصحابة رضوان الله عليهم حوله. وقد أورد ((زويمر)) نفسه الردّ الأمثل على هذه الشبهة بما نقله عن المستشرق ((نولدكه)) في قوله إنّ كلمة ((كتب)) عند العرب تستعمل أحياناً بمعنى ((أملى))^(٢) .. ولا شك أنّ هذا هو المعنى الصحيح بدلالة سيرته صَلَّى الله عليه وسلّم حيث ثبت أنه كتب إلى الملوك، مع إيراد مؤلفات السيرة نفسها أنّه كان للرسول صَلَّى الله عليه وسلّم كتاب يكتبون له مراسلاته..

عاشرا: بحث زويمر وأصحابه عن قشة يتعلقون بها : نص تكوين ٨/١٢: ((ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته. وله بيت إيل من المغرب وعاي من المشرق. فبنى هناك مذبحاً للرب ودعا باسم الرب.)) نص تكوين ٤/٢٦: ((ولشيث أيضاً ولد ابن فدعا اسمه أنوش. حينئذ ابتدئ أن يدعى باسم الرب.)) قلت: تشبّث ((زويمر)) -في متابعة للمستشرق ((هيرشفيلد))- بالمشابهة اللفظيّة بين ما جاء في سفر التكوين وما جاء في نص حديث بدء الوحي، دون أن يبيّن وجه التشابه؛ وذلك لأنّ ((زويمر)) مجرد قماش، متكثّر من (الرقع)؛ يجمع الشبهات دون فهم لها!

جلي أنّ ((هيرشفيلد)) كان يحتج بالأصل العبري لما جاء في سفر التكوين:

تكوين ٨/١٢: ((ودعا باسم الرب))، أصله العبري ((**ויקרא בשם יהוה**)) ((ويقرأ بشيم يهوه)).

تكوين ٤/٢٦: ((يدعى باسم الرب))، أصله العبري ((**לקרא בשם יהוה**)) ((لقرأ بشيم يهوه)).

يبدو أنّ القشة التي تعلق بها ((هيرشفيلد)) هي فعل ((**קרא**)) (قارا) الذي يزعم أنه نفسه في حادثة بدء الوحي ((قرأ)).. وليس الأمر كذلك إذ إنّ هذه (القشة) ليست إلّا سراياً؛ فإنّ هذه الكلمة في العبريّة الكتابيّة لا تعني ((قرأ)) كما في اللغة العربيّة إلّا في مواضع محدودة في العهد القديم؛ فمعناها الأكثر تداولاً هو ((نادى)) و((دعى))^(٣)، والمعنى الثاني هو المقصود في النصين المشار إليهما في سفر التكوين، بدلالة السياق وشهادة كلّ الترجمات.. إنّ الصلة السياقية واللغوية منعدمة بين سفر التكوين وحادثة بدء الوحي، فضلاً عن أنّ الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم لم يقرأ سفر التكوين في شكله العبري، ولا حتى العبري .. وهو ما يجعل هذا الاستدلال - بحق - من الإسفاف الاستشراقي في أجلى سفوره!

الحادي عشر: تشكيك ((زويمر)) في أنّ حادثة الوحي كانت يقظة لا حجّة له:

(١) - انظر؛ ابن هشام، السيرة النبويّة، ت/ عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ط٣، ٢٦٢/٣
انظر؛ Samuel Zwemer, 'The 'Illiterate' Prophet, Could Mohammed Read and Write?', in The Moslem World, V.11, October, 1921, No.4, p. 355
انظر؛ William Gesenius, A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, tr. Edward Robinson, Boston: Crocker and Brewster, 1858, p.937-939

ابن إسحاق: رواية ((ابن إسحاق)) لقصة بدء الوحي وأنها كانت في المنام، ضعيفة لا تصح؛ فهي مروية عن ((عبد الملك بن عبد الله)) عن مجاهيل! (١)

البغوي: روى ((البغوي)) حادثة بدء الوحي بإسناده إلى الإمام ((البخاري)) إلى أم المؤمنين ((عائشة)) رضوان الله عليها في تفسيره للآيات الأولى لسورة ((العلق)): ((أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل (أي البخاري)، حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن عُقَيْل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوحي.. الحديث))؛ فكيف يكون ((البغوي)) قد خالف ما جاء في رواية ((البخاري)) التي تثبت رؤية جبريل يقظة، رغم أنه قد نقل نفس الرواية لبيان سبب نزول الآيات القرآنية المتعلقة بتلك الحادثة.

البيضاوي: لم يُحدث ((البيضاوي)) ذكرًا لنسبة هذه الحادثة إلى المنام في تفسيره لسورة العلق، ولا وجود لهذا القول في تفسير ((الكشاف)) ((للزحشري)) الذي هو الأصل الذي اختصره ((البيضاوي)). ولو فرضنا -جدلاً- أنّ ((البيضاوي)) قد ذهب إلى هذا القول، فليس لقوله قيمة لأنه لم تكن عنده مرويات بإسناده؛ فليس له إذن أن يأتي برواية تنقض الرواية الصحيحة الثابتة في الصحيحين؛ فالخلاف هنا بيننا وبين ((زويمر)) هو حول ثبوت الروايات وليس حول فهمها.

الثاني عشر: القول إنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قال لجبريل عليه السلام: ((ما أنا بقارئ)) بمعنى أنه ليس بصدد القراءة، لما قال له: ((اقرأ))، لا معنى له البتة في سياق ذلك الحوار؛ فالسياق حجة في كشف دلالة اللفظ!

الثالث عشر: من الغريب نسبة ((زويمر)) رواية خبر الحديبية بإفاضة إلى كتاب ((المواهب اللدنية)) ((للطبري))؛ إذ ليس ((للطبري)) كتاب بهذا الاسم، والصواب هو أنه كتاب ((للقسطلاني))، وعنوانه الكامل: ((المواهب اللدنية بالمنح المحمدية)) وهو في السيرة والشمائل النبوية حيث أطل الحديث عن كتابة صلح الحديبية وأمّية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (٢)

استدلّ ((زويمر)) برسالة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المقوقس التي عثر عليها في إحدى الأديرة للقول إنّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد كتبها.

النقد:

أولاً: لا تتضمن هذه الرسالة ما يدلّ على أنها قد كتبت من طرف الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فليس فيها اسم من كتبها تصريحًا أو تلميحًا!

(١) - ابن إسحاق، السيرة النبوية، ت/ أحمد فريد المندي، بيروت: دار الكعب العلمية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، ص ١٦٧

(٢) - البغوي، معالم التنزيل، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ص ١٤٢٠

(٣) - انظر؛ القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ت/ صالح الشامي، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ط ٢، ١/٤٩٦-٥٠١

ثانياً: الثابت -باعتتراف ((زومر)) - أنه كان للرسول صلى الله عليه وسلم من يكتبون له الرسائل؛ فلماذا استثنى هذه الرسالة منها؟!

ثالثاً: قال الباحث المحقق د. ((أكرم ضياء العمري)) في كتابه القيم في السيرة النبوية الذي صاغه على منهج المحدثين في توثيق الأخبار: ((وقد أخرج البخاري في صحيحه نص كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بعث به دحية إلى عظيم بصري فدفعه إلى هرقل، وهو النص الوحيد الذي ثبتت صحته وفق شروط المحدثين من بين سائر نصوص الكتب التي وجهت إلى الملوك والأمراء التي ينبغي أن تنقد من جهة المتن والسند معاً قبل اعتمادها تاريخياً))^١؛ فأمر هذه الرسالة لا يصح من ناحية التوثيق التاريخي؛ مما يفقد تلك المخطوطة قيمتها العلمية.

رابعاً: من دلائل الموضوعية العلمية (المهدرة) عند ((زومر)) أنه قد انتصر للقول إن التراث الإسلامي كله غير أمين في نقل التاريخ الإسلامي المبكر، غير أنه يقول هنا: ((لا يوجد شك أن النبي قد أرسل مثل هذه الرسالة إلى المقوقس حاكم الإسكندرية، لقد ذكر في كل كتب السيرة النموذجية أنه من بين الملوك الذين أرسلت إليهم مثل هذه الرسائل المتعلقة بالدعوة إلى الإسلام))^٢. .. إن كلام ((زومر)) هنا -أيضاً- ليس علمياً؛ فكم من مسألة تواتر ذكرها في كتب السيرة النموذجية، ولم يتواتر إسنادها بل لم يصح لها حديث فرد^٣؛ فتكرر نقل الرواية في كتب السيرة، ليس بحجة عند أهل العلم المسلمين على صحة النقل؛ لعلمهم أن (فقه الرواية) عند كتّاب السيرة غير (فقه الرواية) عند المحدثين؛ ولذلك لا بد أن (تفحص) الرواية الواردة في السيرة متناً وسنداً قبل أن تكون حجة في دين الله تُؤخذ منها العقائد وتُستنبط منها الأحكام!

المبحث الخامس: مستشرقون ومفكرون وفلاسفة درسوا حياة محمد ، فقالوا !.

كثيرون شهدوا له بالنبوة وبعضهم أسلم، وبعضهم لم يسلم ولكنه أنصف والبعض تحامل تعصبا ، وإذا كان المخالف المتربص المتصيد للأخطاء أقر بصحة مذهب خصمه، فهذا من الأدلة على صدقه، وأكثر الذين درسوا سيرة وحياة محمد بن عبد الله عرفوا قدر نبي الرحمة فدخل في دين الله تعالى راضياً مرضياً، وذلك لأن الدراسة العلمية المجردة من التعصب والحسد تدفع صاحبها إلى إتباع طريق الحق والإنصاف، ومن أعظم الشهادات هذا الموج المترادف من قوافل الداخلين في الإسلام، الذي يقدر بمئات الألوف سنويا على مستوى العالم، بل نستطيع أن نقول وبكل ثقة، أنه لا تمر خمس دقائق إلا ويسلم فيها إنسان على مستوى العالم أو أكثر!! منهم عالم الرياضيات الأمريكي (د. جفري لانغ) الذي كتب كتابا بعنوان (الصراع من أجل الإيمان) ، تكلم فيه عن سبب إسلامه، وأنه كان بعد تأمل طويل في الدين، ثم عقد فصلا بعنوان (رسول الله) تكلم فيه كلاما طويلا في كيفية إعجابه بشخصية الرسول ، وكيف استدلل على صدقه

(١) - أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة: محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، ٤٥٦/٢، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ٦٤،

١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م. الكلام هنا منصرف إلى مضمون الرسائل، وهذا لا ينفي مراسلة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى حكام البلاد المجاورة.

(٢) - Samuel Zwemer, 'The 'Illiterate' Prophet, Could Mohammed Read and Write?', in The Moslem - World, V.11, October, 1921, No.4, p. 361

(٣) - انظر أمثلة من هذه الروايات، محمد العوشن، ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، الرياض: دار طيبة، د. ت

ومنهم: (ج. ل. بروكهارت) المستشرق الإنجليزي الذي قرأ القرآن وتفقه فيه فأسلم ، وكذلك (ر. ف. بودلي) الذي آمن بسلامة العقيدة الإسلامية وضمن هذا في مقدمة كتابه: الرسول، حياة محمد (لندن ١٩٤٦) (٢)، والمستشرق (فريتس كرنكوف) (١٨٧٢-١٩٥٢) الذي اعتنق الإسلام وسمى نفسه (محمد سالم الكرنكوي) ، وكذلك المستشرق (مارمادوك وليم بكنول) (١٨٧٥-١٩٣٦) الذي ترجم معاني القرآن الكريم (١٩٣٠) وأعلن إسلامه وأصبح إماماً للمسلمين في لندن، وتعدّ ترجمته لمعاني القرآن الكريم من أفضل الترجمات الإنجليزية (٣).

ومن هؤلاء المستشرقين أيضاً المستشرق المجري (عبد الكريم جرمانوس) (١٨٨٤-١٩٧٩) الذي أعلن إسلامه في مدينة دلهي ، ويعتبر المستشرق النمساوي (ليوبولد فايس) أشهر المستشرقين الذين ترجموا القرآن الكريم إلى الإنجليزية وأسلم وتسمى محمد أسد، وأسس بمعاونة (وليم بكنول) مجلة الثقافة الإسلامية في حيدر اباد الدكن (١٩٢٧) للرد على أخطاء المستشرقين المتعصبين (٤) ، ومن المستشرقين الفرنسيين أسلم (جينون رينيه) Guenon René (المتوفى ١٩٥١) في عام ١٩٢٧ وتسمى باسم عبدالواحد يحيي، وكذلك أسلم المستشرق (دينه) Et Dinet وتسمى بناصر الدين وحجّ في عام ١٩٢٨ (٥) . و(اللورد هدلي) الكاثوليكي سابقاً، (وكرستيان شرفيس) الفرنسي، (ومارتن لينغر)

الإنكليزي (٦) ، تعاملوا مع حياة نبي الحكمة والرحمة فسطروا في كتبهم ومقالاتهم شهادات رائعة متميزة ، إن هذه الشهادات قد صدرت عن شخصيات مرموقة من أساتذة جامعة ومن أرباب القانون ودهاقنة المستشرقين وقيادات التربية و الشهادات كثيرة جداً، وما تركت أكثر بأضعاف مما أثبت ومنها مرّ سابقاً، ومن تلكم الشهادات التي نصّت على عظمة هذا خاتم الأنبياء ﷺ ما يلي:

١- المستشركة الإيطالية لورافيشيا فاغلييري : "حاول أقوى أعداء الإسلام، وقد أعماهم الحقد، أن يرموا نبي الله ببعض التهم المفتراة . لقد نسوا أن محمداً كان قبل أن يستهل رسالته موضع الإجلال العظيم من مواطنيه بسبب أمانته وطهارة حياته. ومن عجب أن هؤلاء الناس لا يجشمون أنفسهم عناء التساؤل كيف جاز أن يقوى محمد على تهديد الكاذبين والمرائين، في بعض آيات القرآن اللاسعة بنار الجحيم الأبدية، لو كان هو قبل ذلك رجلاً كاذباً؟ كيف جرؤ على التبشير، على الرغم من إهانات مواطنيه، إذا لم يكن ثمة قوى داخلية تحته، وهو الرجل ذو الفطرة البسيطة، حثاً موصولاً؟ كيف استطاع أن يستهل صراعاً كان يبدو يائساً؟ كيف وفق إلى أن يواصل هذا الصراع أكثر من عشر سنوات، في مكة، في نجاح قليل جداً ، وفي أحزان لا تحصى، إذا

(١) - الصراع من أجل الإيمان، انطباعات أميكي اعتنق الإيمان، د. جفري لانغ (ص:١٢١)، ترجمة د. منذر العبيسي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

وقد ألفت كتاب آخر بعنوان: "حتى الملائكة تسأل، رحلة إلى الإسلام في أمريكا". ترجمة د. منذر العبيسي، دار الفكر المعاصر، بيروت الطبعة الأولى، ٢٠٠١.

(٢) - المستشرقون للعقيقي ١/٩٥. دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٦٤-١٩٦٥م.

(٣) - المرجع السابق ١/٩٧ و١٠٢.

(٤) - المرجع السابق ٢/٢٩١.

(٥) - المصدر السابق ١/٢٨٩ و٢٨٨.

(٦) - ينظر الاهتمام بالسيرة النبوية باللغة الفرنسية ص٣٦ . د. حسن إدريس عزوزي، ندوة أقيمت في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

لم يكن مؤمناً إيماناً عميقاً بصدق رسالته؟ كيف جاز أن يؤمن به هذا العدد الكبير من المسلمين النبلاء والأذكياء، وأن يؤازروه، ويدخلوا في الدين الجديد ويشدوا أنفسهم بالتالي إلى مجتمع مؤلف في كثرته من الأرقاء، والعتقاء، والفقراء المعدمين إذا لم يلمسوا في كلمته حرارة الصدق؟ ولسنا في حاجة إلى أن نقول أكثر من ذلك، فحتى بين الغربيين يكاد ينعقد الإجماع على أن صدق محمد كان عميقاً وأكيداً^(١).

وتقول: "دعا الرسول العربي بصوت ملهم باتصال عميق بربه، دعا عبدة الأوثان وأتباع نصرانية ويهودية محزفتين على أصفى عقيدة توحيدية. وارتضى أن يخوض صراعاً مكشوقاً مع بعض نزعات البشر الرجعية التي تقود المرء إلى أن يشرك بالخالق آلهة أخرى.."^(٢).

وقالت: "إن [محمدًا] طوال سنين الشباب التي تكون فيها الغريزة الجنسية أقوى ما تكون، وعلى الرغم من أنه عاش في مجتمع كمجتمع العرب، حيث كان الزواج، كمؤسسة اجتماعية، مفقوداً أو يكاد، وحيث كان تعدد الزوجات هو القاعدة، وحيث كان الطلاق سهلاً إلى أبعد الحدود، لم يتزوج إلا من امرأة واحدة ليس غير، هي خديجة التي كانت سنّها أعلى من سنّه بكثير، وأنه ظل طوال خمس وعشرين سنة زوجها المخلص المحب، ولم يتزوج مرة ثانية، وأكثر من مرة، إلا بعد أن توفيت خديجة، وإلا بعد أن بلغ الخمسين من عمره. لقد كان لكل زوج من زواجه هذه سبب اجتماعي أو سياسي، ذلك بأنه قصد من خلال النسوة اللاتي تزوجهن إلى تكريم النسوة المتصفات بالتقوى، أو إلى إنشاء علاقات زوجية مع بعض العشائر والقبائل الأخرى ابتغاء طريق جديد لانتشار الإسلام وباستثناء عائشة، ليس غير، تزوج محمد من نسوة لم يكن لا عذارى، ولا شبابات، ولا جميلات، فهل كان ذلك شهوانية؟ لقد كان رجلاً لا إلهًا. وقد تكون الرغبة في الولد هي التي دفعته أيضًا إلى الزواج من جديد، لأن الأولاد الذين أُنجبهم خديجة له كانوا قد ماتوا. ومن غير أن تكون له موارد كثيرة أخذ على عاتقه النهوض بأعباء أسرة ضخمة، ولكنه التزم دائمًا سبيل المساواة الكاملة نحوهم جميعًا، ولم يلجأ قط إلى اصطناع حق التفاوت مع أي منهن. لقد تصرف متأسيًا بسنة الأنبياء القدامى، مثل موسى وغيره، الذين لا يبدو أن أحدًا من الناس يعترض على زواجهم المتعدد. فهل يكون مرد ذلك إلى أننا نجهد تفاصيل حياتهم اليومية، على حين نعرف كل شيء عن حياة محمد العائلية؟"^(٣).

٢- توماس كارليل: هل رأيتم قط رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً عجيباً؟ إنه لا يقدر أن يبني بيتاً من الطوب، فهو لم يكن عليماً بخصائص الجير والجص والتراب، وما شاكل ذلك فما ذلك الذي يبنيه بيت، إنما هو تل من الأنقاض، وكثير من أخلاط المواد؛ وليس جديراً أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً يسكنه مائتا مليون من الأنفس (تقديره حوالي سنة ١٨٠٠)، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم، فكأنه لم يكن، وأني لأعلم أن على المرء أن يسير في جميع أمور طبع قوانين الطبيعة، وإلا أبت أن تجيبه طلبته، كذب ما يذيعه أولئك الكفار وإن زخرفوه حتى تخيلوه حق، ومحنة أن ينخدع الناس - شعوباً وأماً - بهذه الأضاليل، وقال: لم

(١) - كتابها دفاع عن الإسلام، ص ٣٧ - ٣٨. باحثة إيطالية معاصرة انصرفت إلى التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً، وإلى فقه العربية وأدائها لها دراسات كثيرة. راجع كتاب وقالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل ففيه آلاف الشهادات لكبار المفكرين واللاهوتيين ورؤساء الجامعات والفلاسفة، ومن يقدر العظمة والتميز ويفهمها سوى الكبار وكذلك كتاب "رحمت محمدًا ولم أحسر للمسيح د. عبدالمعطي الدالقي.

(٢) - دفاع عن الإسلام، ص ٤٣. ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٧٦م.

(٣) - دفاع عن الإسلام، ص ٩٩ - ١٠٠. ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٧٦م.

يكن متكبراً ولا ذليلاً، فهو قائم في ثوبه المرقع كما أوجده الله يخاطب بقوله الحر المبين أكاسرة العجم، وقياصرة الروم، يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة، والحياة الآخرة إلى أن يقول: ولولا ما وجدوا فيها من آيات النبل والفضل لما خضعوا لإرادته، ولما انقادوا لمشيئته، وفي ظني أنه لو وضع قيصر بتاجه وصولجانه وسط هؤلاء القوم بدل هذا النبي لما استطاع قيصر أن يجبرهم على طاعته، كما استطاع هذا النبي في ثوبه المرقع. ثم ينهي كلامه ويقول: هكذا تكون العظمة، وهكذا تكون البطولة، وهكذا تكون العبقرية. (١) والحق أن ما أوتي النبي ﷺ أكبر من العبقرية ألا وهي الرحمة والحكمة والوحي.

ويقول أيضاً: لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر، أن يصغي إلى القول بأن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خداع مزور، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرجل، وما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لمئات الملايين من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا ... أكان أحدهم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفاتكة الحصر والعد أكذوبة وخذعة؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً، فلو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم ذلك التصديق والقبول، فما الناس إذا إلا بله ومجانين، وما الحياة إلا سخف وعبث؛ كان الأولى ألا تخلق) (٢).

٣ - يقول المفكر الإنكليزي عبد الله كويليام: امتدت أنوار المدنية بعد محمد في قليل من الزمان ساطعة في أقطار الأرض من المشرق إلى المغرب حتى أن وصول أتباعه في ذلك الزمن اليسير إلى تلك المرتبة العلية من المدنية قد حير عقول أولي الأبواب. وما السبب في ذلك إلا كون أوامره ونواهي موافقة لموجب العقل ومطابقة لمقتضى الحكمة. (٣)، ويقول أيضاً: ما اهتدى مئات الملايين إلى الإسلام إلا ببركة محمد الذي علمهم الركوع والسجود لله، وأبقى لهم دستوراً لن يضلوا بعده أبداً وهو القرآن الجامع لمصالح دنياهم ولخير أحوالهم ... (٤)، ويقول: لما شرف محمد ساحة عالم الشهود بوجوده الذي هو الوسيلة العظمى والوسيلة الكبرى إلى اعتلاء النوع الإنساني وترقيه في درجات المدنية أكمل ما يحتاجه البشر من اللوازم الضرورية على نهج مشروع، وأوصل الخلق إلى أقصى مراتب السعادة بسرعة خارقة ومن نظر بعين البصيرة في حال الأنام قبله عليه الصلاة والسلام وما كانوا عليه من الضلالة.. ونظر في حالهم بعد ذلك وما حصل لهم في عصره من الترقى العظيم رأى بين الحالين فرقاً عظيماً كما بين الثريا والثرى. (٥)

٤ - يقول المهندس العراقي أحمد نسيم سوسه - كان يهودياً ثم أسلم -: أي غاية أسمى وأقرب إلى الإنسانية ودين الله من تلكم الغاية التي كان يرمي إليها الرسول ﷺ في توحيد القلوب وإظهار الحقيقة؟ لنتصور محمداً ﷺ وهو يملي على أهل الكتاب وحي الله قائلاً: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم

(١) - أوروبا والإسلام ص ٤٦-٤٧.

(٢) - انظر: القرآن والمستشرقون، د. التهامي نقره (ص: ٢٥). منشور في كتاب (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية الجزء الأول) الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربي لدول الخليج

(٣) - كتابه أحسن الأجوبة عن سؤال أحد علماء أوروبا ص ٢٢-٢٣. مفكر إنكليزي، ولد سنة ١٨٥٦، وأسلم سنة ١٨٨٧، وتلقب باسم: (الشيخ عبد الله كويليام) ترجمة معروف الرصافي، مطبعة الولاية، بغداد ١٣٣٠م.

(٤) - كتابه العقيدة الإسلامية ص ٣٨. عبدالله وليم كويليام، تعريب محمد ضيا، مطبعة هندية، القاهرة ١٨٩٧م.

(٥) - أحسن الأجوبة عن سؤال أحد علماء أوروبا ص ٢١-٢٢. مرجع سابق

ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴿آل عمران/٦٤﴾. (١)

٥- يقول العالم الفرنسي إيتين (ناصر الدين) دينيه: إن الشخصية التي حملها محمد بين برديه كانت خارقة للعادة وكانت ذات أثر عظيم جداً حتى أنه طبعت شريعته بطابع قوي جعل لها روح الإبداع وأعطاهما صفة الشيء الجديد. (٢) ، ويقول أيضاً: إن سنة الرسول الغراء باقية إلى يومنا هذا، يجلوها أعظم إخلاص ديني تفيض به نفوس مئات الملايين من أتباع سنته منتشرين على سطح الكرة. (٣) ، ويقول أيضاً: كان النبي ﷺ يعنى بنفسه عناية تامة، إلى حد أن عرف له نمط من التأنيق على غاية من البساطة، ولكن على جانب كبير من الذوق والجمال. (٤) ، ويقول أيضاً: لقد دعا عيسى [عليه السلام] إلى المساواة والأخوة، أما محمد فوفق إلى تحقيق المساواة والأخوة بين المؤمنين أثناء حياته. (٥)

٦ - تقول المستشرقة الإنكليزية اللادي إيفلين كوبولد : لعمرى، ليجدن المرء في نفسه، ما تقدم إلى قبر [الرسول] روعة ما يستطيع لها تفسيراً... ذلك أنه أمام نبي مرسل وعبقري عظيم لم تلد مثله البطون حتى اليوم.. إن العظمة والعبقرية يهزان القلوب ويثيران الأفتدة فما بالك بالعظمة إذا انتظمت مع النبوة، وما بالك بها وقد راحت تضحى بكل شيء في الحياة في سبيل الإنسانية وخير البشرية. (٦) ، وقالت أيضاً: هذه هي مدينة الرسول ﷺ.. تعيد إلى نفسي ذكرى جهوده في سبيل لا إله إلا الله، وتلقي في روعي صبره على المكاره واحتماله للأذى في سبيل الوجدانية الإلهية. (٧) ، وقالت أيضاً: مع أن محمداً ﷺ كان سيد الجزيرة العربية.. فإنه لم يفكر في الألقاب، ولا راح يعمل لاستثمارها، بل ظلَّ على حاله مكنتياً بأنه رسول الله، وأنه خادم المسلمين، ينظف بيته بنفسه ويصلح حذاءه بيده، كريماً باراً كأنه الريح السارية، لا يقصده فقير أو بائس إلا تفضل عليه بما لديه، وما لديه كان في أكثر الأحيان قليلاً لا يكاد يكفيه. (٨)

٧- يقول الدكتور الإنكليزي م. ج. دُراني: إن هذا الإيمان وهذا السعي الحثيث وهذا التصميم والعزم الذي قاد به محمد ﷺ حركته حتى النصر النهائي، إنما هو برهان بليغ على صدقه المطلق في دعوته. إذ لو كانت في نفسه أدنى لمسة من شك أو اضطراب لما استطاع أبداً أن يصمد أمام العاصفة التي استمر أوارها أكثر من عشرين عاماً كاملة. هل بعد هذا من برهان على صدق كامل في الهدف واستقامة في الخلق وسمو في النفس كل هذه العوامل تؤدي لا محالة إلى الاستنتاج الذي لا مفر منه، وهو أن هذا الرجل هو رسول الله حقاً. هذا هو نبينا محمد ﷺ، إذ كان آية في صفاته النادرة، ونموذجاً كاملاً للفضيلة والخير، ورمزاً للصدق

(١) - في طريقى إلى الإسلام ١/٧٢-٧٣. الجزء الأول، المطبعة السلفية، القاهرة ١٩٣٦م، الجزء الثاني، مطبعة الغرى، النجف ١٩٨٣م.

(٢) - أشعة خاصة بنور الإسلام ص١٥. (١٨٦١ - ١٩٢٩) ، ترجمة راشد رستم، سلسلة الثقافة الإسلامية رقم ١٧، المكتب الفني للنشر، بيروت ١٩٦٠م.

(٣) - محمد رسول الله ص٥١، بالاشتراك مع سليمان إبراهيم الجزائري، ترجمة د. عبدالحليم محمد، ومحمد عبد الحليم محمود، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط٣، ١٩٥٩م.

(٤) - المصدر السابق ص٣١٢. مرجع سابق

(٥) - المصدر السابق ص٣٢٣.

(٦) - البحث عن الله ص٥١. إيفلين كوبولد، ترجمة عمر أبو النصر، المكتبة الاهلية، بيروت ١٩٣٤م

(٧) - المصدر السابق ص٣٩-٤٠. الليدي إيفلين نيبل إنكليزية، اعتنقت الإسلام وزارت الحجاز، وحجت إلى بيت الله، وكتبت مذكراتها عن رحلتها تلك في

كتاب لها بعنوان: (الحج إلى مكة) (لندن ١٩٣٤) والذي ترجم إلى العربية بعنوان: (البحث عن الله).

(٨) - المصدر السابق ص٦٧.

والإخلاص.. إن حياته وأفكاره وصدقه واستقامته، وتقواه وجوده، وعتقيدته منجزاته، كل أولئك براهين فريدة على نبوته. فأبي إنسان يدرس دون تحيز حياته ورسالته سوف يشهد أنه حقاً رسول من عند الله، وأن القرآن الذي جاء به للناس هو كتاب الله حقاً. وكل مفكر منصف جاد يبحث عن الحقيقة لا بد أن يصل هذا الحكم.

ويقول أيضاً: وأخيراً أخذت أدرس حياة النبي محمد ﷺ فأيقنت أن من أعظم الآثام أن نتنكر لذلك الرجل الرباني الذي أقام مملكة الله بين أقوام كانوا من قبل متحاربين لا يحكمهم قانون، يعبدون الوثن، ويقتربون كل الأفعال المشينة، فغيّر طرق تفكيرهم، لا بل بدّل عاداتهم وأخلاقهم، وجمعهم تحت راية واحدة، وقانون واحد، ودين واحد، وثقافة واحدة، وحضارة واحدة، وحكومة واحدة، وأصبحت تلك الأمة، التي لم تنجب رجلاً عظيماً واحداً يستحق الذكر منذ عدة قرون، أصبحت تحت تأثيره وهديه تنجب ألوفاً من النفوس الكريمة التي انطلقت إلى أقصى أرجاء المعمورة تدعو إلى مبادئ الإسلام وأخلاقه ونظام الحياة الإسلامية، وتعلم الناس أمور الدين الجديد. (١)

٨ - يقول الطبيب الفرنسي موريس بوكاي: فإنه لولا أنه أتاحت لي فرصة إجراء بعض الاتصالات بالعالم الإسلامي لبقيت بلا شك ككثير من الغربيين متمسكاً بهذه العقيدة التي تعلمناها منذ عهد الطفولة، والذي نسمع أحياناً ما يدعى باسم (الدين المحمدي) كان ينظر إليه كظاهرة اجتماعية ثقافية، وبناء على هذا يستبعد تماماً كل تلميح إلى ما يؤدي إلى التفكير في عدالته. (٢) "لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث. وكنت أعرف، قبل هذه الدراسة، وعن طريق الترجمات، أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظواهر الطبيعية ولكن معرفتي كانت وحيزة. وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل. أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول، أي سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً في عصرنا. وأما بالنسبة للأناجيل.. فإننا نجد نصّ إنجيل متى يناقض بشكل جلي إنجيل لوقا، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض" (٣).

"لقد أثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية. فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحدّ من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقته تماماً للمعارف

(١) - رجال ونساء أسلموا ٢٨/٤-٣١. عرفات كامل العشي، دار القلم، الكويت ١٩٧٣-١٩٨٣م.

(٢) - القرآن الكريم والعلم العصري ص ٢٤-٢٥. ترجمة فودي سوريا كمارا، دار المآثر، للدينة النبوية، ط ١، ١٤٢٠هـ. الطبيب والعالم الفرنسي المعروف. كان كتابه (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) من أكثر المؤلفات التي عالجت موضوعاً كهذا، أصالة واستيعاباً وعمقاً. ويبدو أن عمله في هذا الكتاب القيم منحه قاعات مطلقة بصدق كتاب الله، وبالتالي صدق الدين الذي جاء به. دعي أكثر من مرة لحضور ملتقى الفكر الإسلامي الذي يعقد في الجزائر صيف كل عام، وهناك أتيح له أن يطلع أكثر على الإسلام فكراً وحياتاً.

(٣) - كتابه القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص ١٥٠ دار المعارف، القاهرة ١٩٧٨م.

العلمية الحديثة، وذلك في نصّ كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا. في البداية لم يكن لي أي إيمان بالإسلام. وقد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق وبموضوعية تامة..". " .. تناولت القرآن منتبهًا بشكل خاص إلى الوصف الذي يعطيه عن حشد كبير من الظواهر الطبيعية. لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظواهر وهي تفاصيل لا يمكن أن تدرك إلا في النص الأصلي. أذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرة والتي لم يكن ممكنًا لأي إنسان في عصر محمد [صلى الله عليه وسلم] أن يكون عنها أدنى فكرة..". " .. كيف يمكن لإنسان - كان في بداية أمره أميًا .. أن يصرح بحقائق ذات طابع علمي لم يكن في مقدور أي إنسان في ذلك العصر أن يكونها، وذلك دون أن يكشف تصريحه عن أقل خطأ من هذه الوجهة؟" (١).

" .. أن الإسلام قد اعتبر دائمًا أن الدين والعلم توأمان متلازمان. فمنذ البدء كانت العناية بالعلم جزءًا لا يتجزأ من الواجبات التي أمر بها الإسلام. وأن تطبيق هذا الأمر هو الذي أدى إلى ذلك الازدهار العظيم للعلوم في عصر الحضارة الإسلامية، تلك التي اقتات منها الغرب نفسه قبل عصر النهضة في أوروبا..". " .. في الإسلام كان الموقف إزاء العلم مختلفًا [عن المسيحية] إذ ليس هناك أوضح من ذلك الحديث الشهير للنبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول: "اطلب العلم من المهد إلى اللحد". أو ذلك الحديث الآخر الذي يقول: "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة". هناك أمر رئيسي: القرآن، إلى جانب أنه يدعو إلى المواظبة على الاشتغال بالعلم، فإنه يحتوي أيضًا على تأملات عديدة خاصة بالظواهر الطبيعية وبتفاصيل توضيحية تتفق تمامًا مع معطيات العلم الحديث". " .. علينا أن نتذكر أنه في عصر عظمة الإسلام، أي بين القرن الثامن والقرن الثاني عشر من العصر المسيحي، وعلى حين كانت تفرض القيود على التطور العلمي في بلداننا المسيحية، أُنجزت كمية عظيمة من الأبحاث والاكتشافات بالجامعات الإسلامية. في ذلك العصر كان الباحث بهذه الجامعات يجد وسائل ثقافية عظيمة. ففي قرطبة كانت مكتبة الخليفة تحتوي على أربعمئة ألف مجلد.. [وكان] الكثيرون يسافرون من مختلف بلاد أوروبا للدراسة فيها. ولكن كم هي كثيرة تلك المخطوطات القديمة التي وصلت إلينا بواسطة الأدباء العرب ناقلة بذلك الثقافة إلى البلاد المفتوحة ولكم نحن مدينون للثقافة العربية في الرياضيات (فالجبر عربي) وعلم الفلك والفيزياء (البصريات) والجيولوجيا وعلم النباتات والطب إلى غير ذلك. لقد اتخذ العلم لأول مرة صفة عالمية في جامعات العصر الوسيط الإسلامية. في ذلك العصر كان الناس أكثر تأثرًا بالروح الدينية مما هم عليه في عصرنا، ولكن ذلك لم يمنعهم من أن يكونوا في آن واحد مؤمنين وعلماء. كان العلم الأخ التوأم للدين. لكم كان ينبغي على العلم ألا يكف عن أن يكون كذلك" (٢).

٩ - يقول المستشرق الفرنسي أميل درمنغم: ولد لمحمد ، من مارية القبطية ابنه إبراهيم فمات طفلًا، فحزن عليه كثيرًا ولحده بيده وبكاه، ووافق موته كسوف الشمس فقال المسلمون: إنها انكسفت لموته، ولكن محمدًا كان من سموّ النفس ما رأى به ردّ ذلك فقال: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يحسبان لموت

(١) - المرجع السابق ص ١٤٥، ١٤٥، ١٥٠.

(٢) - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٤، ١٤٠، ١٤١، ١٤١ دار المعارف، القاهرة ١٩٧٨ م.

أحد..) فقول مثل هذا مما لا يصدر عن كاذب دجال.. "..." .. تجلت بهذه الرحلة الباهرة [حجة الوداع] ما وصلت إليه من العظمة والسؤدد رسالة ذلك النبي الذي أتمككه اضطهاد عشر سنين وحروب عشر سنين أخرى بلا انقطاع، وهو النبي الذي جعل من مختلف القبائل المتقاتلة على الدوام أمة واحدة.. "..." [إن] محمدًا الذي خلق القيادة لم يطلب معاصريه بغير ما يفرض عليهم من الطاعة لرجل يبلغهم رسالات الله، فهو بذلك واسطة بين الله رب العالمين والناس أجمعين.. وكان ينهى عن عدّه ملكًا.. ولقد نال السلطان والثراء والمجد، ولكنه لم يعتر بشيء من هذا كله فكان يفضل إسلام رجل على أعظم الغنائم، ومما كان يمضه عجز كثير من الناس عن إدراك كنه رسالته.. "(الحق أن النبي لم يعرف الراحة ولا السكون بعد أن أوحى إليه في غار حراء، ففضى حياة يعجب الإنسان بها، والحق أن عشرين سنة كفت لإعداد ما يقلب الدنيا، فقد نبتت في رمال الحجاز الجديية حبة سوف تجدد، عما قليل، بلاد العرب وتمتد أغصانها إلى بلاد الهند والمحيط الأطلنطي. وليس لدينا ما نعرف به أن محمدًا أبصر، حين أفاض من جبل عرفات، مستقبل أمته وانتشار دينه، وأنه أحسن بصيرته أن العرب الذين آلف بينهم سيخرجون من جزيرتهم لفتح بلاد فارس والشام وأفريقية وأسبانية. (١)

"كان للدعوة المحمدية في جزيرة العرب أثر عظيم ثابت في تقدم الأسرة والمجتمع وفي تقدم الصحة أيضًا، فقد حسن بها مصير المرأة، وحرم بها الزنا والمتعة وحياة الغرام، ومنع بها إكراه القيان على البغاء لإثراء سادتهن. والإسلام، وإن أباح الرق، نظم أحكامه فعدّ فك الرقاب من الحسنات ومكفّرًا لبعض السيئات.. " لم يشرع الجهاد لهداية الناس بالسيف، ففي القرآن: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} [البقرة ٢٥٦]، والقرآن يأمر المسلمين بالاعتدال وبأن لا يبدؤوا بالاعتداء.. " كتب الفوز للعرب لأنهم كانوا أهلاً للفوز، وتم النصر للإسلام لأنه عنوان رسالة كان الشرق كثير الاحتياج إليها، واحتمل المسلمون ضروب العذاب قبل الهجرة ولم يستطيعوا لها ردًا، فلما كانت الهجرة وكان ما أبدوه من المقاومة، والنصر، اتخذوا التسامح الواسع دستورًا لهم. أجل لم يبق للمشركين مقام في دار الإسلام، ولكنه أصبح لأهل الكتاب من اليهود والنصارى فيها حق الحماية وحرية العبادة وما إليهما وصاروا من المجتمع إذا ما أعطوا الجزية. قال النبي: (من آذى ذميًا فأنا خصمه)، وما أكثر ما في القرآن والحديث من الأمر بالتسامح، وما أكثر عمل فاتحي الإسلام بذلك ولم يرو التاريخ أن المسلمين قتلوا شعبًا، وما دخول الناس أفواجًا في الإسلام إلا عن رغبة فيه، وهنا نذكر أن عمر بن الخطاب لما دخل القدس فاتحًا أمر بأن لا يمسّ النصارى بسوء وبأن تترك لهم كنائسهم، وشمل البطرك بكل رعاية رفض الصلاة في الكنيسة خوفًا من أن يتخذ المسلمين ذلك ذريعة لتحويلها إلى مسجد. وهنا نقول ما أعظم الفرق بين دخول المسلمين القدس فاتحين ودخول الصليبيين الذين ضربوا رقاب المسلمين فسار فرسانهم في نحر من الدماء التي كانت من الغزاة ما بلغت به ركبهم. وعقد النية على قتل المسلمين الذين تفلتوا من المذبحة الأولى..." "مما لا ريب فيه أن الإسلام رفع شأن المرأة في بلاد العرب وحسن حالها، قال عمر بن الخطاب: (ما فتنتنا نعد النساء من المتاع حتى أوحى في أمرهن مبيّنًا لهن)، وقال النبي: (أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا،

(١) - حياة محمد ص ٣١٨، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٨ - ترجمة عادل زعيتر، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ٢، ١٩٤٩ م ٣٦٩. مستشرق فرنسي، عمل مديرًا لمكتبة الجزائر، من آتانه: (حياة محمد) (باريس ١٩٢٩) وهو من أدق ما صنّفه مستشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم، و(محمد والسنة الإسلامية) (باريس ١٩٥٥)، ونشر عددًا من الأبحاث في المجلات الشهيرة مثل: (المجلة الأفريقية)، و(حوليات معهد الدراسات الشرقية)، و(نشرة الدراسات العربية)

وخياركم خياركم لنسائهم). أجل، إن النبي أوصى الزوجات بإطاعة أزواجهن، ولكنه أمر بالرفق بمن ونهى عن تزويج الفتيات كرها وعن أكل أموالهن بالوعيد أو عند الطلاق.. ولم يكن للنساء نصيب في الموارث أيام الجاهلية.. فأنزلت الآية التي تورث النساء. وفي القرآن تحريم لوأد البنات، وأمرٌ بمعاملة النساء والأيتام بالعدل، ونهى محمد عن زواج المتعة وحمل الإمام على البغاء.. وأباح تعدد الزوجات.. ولم يوصي الناس به، ولم يأذن فيه إلا بشرط العدل بين الزوجات فيهب لإحداهن إبرة دون الأخرى.. وأباح الطلاق أيضاً مع قوله: (أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق). وليس مبدأ الاقتصار على زوجة واحدة من الحقوق الطبيعية مع ذلك، ولم يفرضه كتاب العهد القديم على الآباء، وإذا كان هذا قد أصبح سنة في النصرانية فذلك لسابق انتشاره في بلاد الغرب، وذلك من غير أن يحمله رعايا نبرون إلى بلاد إبراهيم ويعقوب.. وأيهما أفضل: تعدد الزوجات الشرعي أم تعدد الزوجات السري؟.. إن تعدد الزوجات من شأنه إلغاء البغاء والقضاء على عزوبة النساء ذات المخاطر.. "... من المزاعم الباطلة أن يقال إن المرأة في الإسلام قد جردت من نفوذها زوجة وأماً كما تُذم النصرانية لعدّها المرأة مصدر الذنوب والآثام ولعنّها إياها، (١)

١٠- أما العالم الأمريكي مايكل هارث صاحب كتاب "الحالدون مائة" أو "القمم المائة" أو "أعظم مائة في التاريخ"، وهو عالم فلك ورياضيات ومؤرخ، حصل على عدة شهادات في العلوم وعلى الدكتوراه في الفلك من جامعة برنستون، عام ١٩٧٢، عمل في مراكز الأبحاث والمرصد، وهو أحد العلماء المعتمدين في الفيزياء التطبيقية قام بالبحث في التاريخ عن الرجال الذين كان لهم أعظم تأثير على البشر وذكر لنا في هذا الكتاب أكثر مائة رجل تأثيراً على البشرية منهم آزوس، أرسطو، بوذا، كونفوشيوس، هتلر، أفلاطون، زرادشت، وهو لا يعطينا علامات محددة عن المائة من ناحية تأثيرهم على الناس ولكنه يقوم بتقييم درجة هذا التأثير ويصفهم بترتيب تفوقهم في هذا التأثير من رقم واحد وحتى رقم مائة، وهو يوضح لنا أسبابه في ترتيب مرشحيه، وأكثر شيء يدعو للدهشة في تصنيفه المنتقى أنه وضع نبينا الكريم محمد كرقم واحد أول المائة العظماء و عيسى (عليه السلام) رقم (٣)، هذا الاختيار صدم غير المسلمين وبخاصة اليهود والمسيحيين الذين اعتبروا ذلك إهانة؟! فالمسيح (عليه السلام) في المرتبة الثالثة، وموسى (عليه السلام) في المرتبة الأربعين؟! وبالطبع فإن هذا بالنسبة إليهم شيء لا يمكن فهمه ولكن ماذا يقول مايكل هارث؟ دعونا نستمع لمناقشته: "حيث أنه يوجد تقريباً مسيحيين ضعف عدد المسلمين في العالم فإنه قد يبدو غريباً أن يكون تصنيف محمد صلى الله عليه وسلم أعلى من المسيح عليه السلام، وهناك سببين رئيسيين لهذا القرار: قام محمد ﷺ بدور في ازدهار الإسلام يفوق في أهميته كثيراً ما قام به المسيح عليه السلام في ازدهار المسيحية، وعلى الرغم من أن عيسى عليه السلام كان مسؤولاً عن الخلق الأساسي والمبادئ والسلوكيات الأخلاقية للمسيحية فقد كان القديس بولس هو المطور الأصلي للاهوت المسيحي والناشر الرئيسي للمسيحية ومؤلف قسم كبير من العهد الجديد،

(١) - كتابه حياة محمد ص ٢٩٠، ١٤٤، ١٩٦، ٣٢٩، ٣٣١، على التسلسل. مرجع سابق

ومن ناحية أخرى نجد أن محمد هو المسئول عن العقيدة الإسلامية بجانب خلقه الأساسي ومبادئه الأخلاقية ، بالإضافة إلى ذلك فإنه لعب الدور الرئيسي في الدعوة إلى الدين الجديد وفي تأسيس التطبيق الديني للإسلام ، وطبقاً لرأي هارت فإن شرف تأسيس المسيحية يجب تقسيمه بين المسيح عليه السلام والقديس بولس ، والأخير كما يعتقد هارت هو المؤسس الحقيقي للمسيحية. (١)

فمن مجموع الأسفار السبعة والعشرين للعهد الجديد نجد أن القديس بولس قد كتب أكثر من نصفها، وخلافاً لبولس فإن السيد المسيح لم يكتب كلمة واحدة في السبع والعشرين سفرًا ، ولو أنك وجدت ما يسمى (بإنجيل الأحرف الحمراء) فستجد أن كل كلمة زُعمَ أن المسيح تفوه بها مكتوبة بالحبر الأحمر والباقي بالحبر الأسود العادي ، ولا تندش حينما تجد فيه أكثر من ٩٠ في المائة في السبع والعشرين سفرًا للعهد الجديد مطبوعة بالمداد (الحبر) الأسود ، هذا هو الاعتراف المسيحي النزيه على ما يسمونه الإنجيل، وفي أي مواجهة مع المبشرين المسيحيين ستجدهم يستشهدون مائة في المائة من بولس وإذا سألت أي مسيحي كثير المجادلة: هل تحفظ الشريعة والوصايا؟ يجيب: "لا"، فإن سألته بعدها: لماذا لا تفعل؟ سيحيبك بلا اختلاف إذا كان من مروجي الكتاب المقدس : "الشريعة سُمِّرت على الصليب"، وهو يعني بذلك أن الشريعة قد انتهت أو ألغيت ويضيف: "ونحن الآن نعيش تحت الرحمة والنعمة الإلهية"، وفي كل مرة تستحث المسيحي بما قاله سيده ومعلمه "المسيح عليه السلام" فإنه يواجهك بشيء من الرسالتين الأولى والثانية إلى أهل كورينثوس، والرسالة إلى أهل غلاطية، والرسالة إلى أهل أفسس، والرسالة إلى أهل فيليبي... إلخ، فإذا سألته: مَنْ مؤلفها؟ فسيحيبك: بولس.. بولس.. بولس، من هو سيدك؟ سيحيبك: "المسيح عليه السلام"، ولكنه دائماً سيناقض سيده "المسيح عليه السلام" بالقديس بولس ، لن تجد مسيحياً متعلماً يناقش حقيقة أن المؤسس الحقيقي للمسيحية هو القديس بولس، ولذلك كان على مايكل هارت ليكون منصفاً أن يصنف "المسيح عليه السلام" في المرتبة الثالثة في كتابه.

يقدم اعتذاره عن تهوره بوضع محمد في القائمة فيقول: "إن اختياري لمحمد ليأتي في رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، ربما أدهش كثيراً من القراء، ولكن في اعتقادي أن محمداً كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدينيوي. (٢) . "لقد أسس محمد ونشر أحد أعظم الأديان في العالم، وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظام. ففي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرناً تقريباً على وفاته، فإن تأثيره لا يزال قوياً وعمارماً...". من وجهة النظر الدينية الصرفة يبدو أن محمداً كان له تأثير على البشرية عبر التاريخ كما كان للمسيح "... إن محمداً يختلف عن المسيح بأنه كان زعيماً دنيوياً فضلاً عن أنه زعيم ديني، وفي الحقيقة إذا أخذنا بعين الاعتبار القوى الدافعة وراء الفتوحات الإسلامية، فإن محمداً يصبح أعظم قائد سياسي على مدى الأجيال...". إن هذا الاتحاد الفريد لا نظير له للتأثير الديني والدينيوي معاً يخول محمداً أن يعتبر أعظم شخصية مفردة ذات تأثير في تاريخ البشرية ٣

(١) - المائة الأوائل لهارت ص ٣٨ - ٣٩

(٢) - مايكل هارت المائة الأوائل ، ص ١٩ . أمريكي، حصل على عدة شهادات في العلوم وعلى الدكتوراه في الفلك من جامعة برنستون، عام ١٩٧٢، عمل في مراكز الأبحاث والمراصد، وهو أحد العلماء المعتمدين في الفيزياء التطبيقية.

(٣) - المصدر نفسه ، ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ . مرجع سابق . وراجع أحمد ديدات ، الاختيار بين الإسلام والضرورية ج ٢ ص ١٣٥ و مابعداها

١١ - يقول المؤرخ المسيحي المصري د. نظمي لوقا: ما كان محمد كآحاد الناس في خلاله ومزايده، وهو الذي اجتمعت له آلاء الرسل، وهمة البطل، فكان حقاً على المنصف أن يكرم فيه المثل، ويحيي فيه الرجل... "لا تأليه ولا شبهة تأليه في معنى النبوة الإسلامية.. وقد درجت شعوب الأرض على تأليه الملوك والأبطال والأجداد، فكان الرسل أيضاً معرضين لمثل ذلك الربط بينهم وبين الألوهية بسبب من الأسباب، فما أقرب الناس لو تركوا لأنفسهم أن يعتقدوا في الرسول أو النبي أنه ليس بشراً كسائر البشر وأن له صفة من صفات الألوهية على نحو من الأنحاء. ولذا نجد تأكيد هذا التنبيه متواتراً مكرراً في آيات القرآن، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر " {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ} [الكهف ١١٠]، وفي تخير كلمة (مثلكم) معنى مقصود به التسوية المطلقة، والحيلولة دون الارتفاع بفكرة النبوة أو الرسالة فوق مستوى البشرية بحال من الأحوال. بل نجد ما هو أصرح من هذا المعنى فيما جاء بسورة الشورى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ} [الشورى ٤٨]، وظاهر في هذه الآية تعمد تنبيه الرسول نفسه إلى حقيقة مهمته، وحدود رسالته التي كلف بها، وليس له أن يعدوها، كما أنه ليس للناس أن يرفعوه فوقها"..." .. رجل فرد هو لسان السماء. فوَقَّه الله لا سواه. ومن تحته سائر عباد الله من المؤمنين. ولكن هذا الرجل يأبى أن يداخله من ذلك كبير. بل يشفق، بل يفرق من ذلك ويحشد نفسه كلها لحرب الزهو في سيرته، قبل أن يجاربه في سرائر تابعيه. ولو أن هذا الرسول بما أنعم من الهداية على الناس وما تم له من العزة والأيدى، وما استقام له من السلطان، اعتد بذلك كله واعتزّ، لما كان عليه جناح من أحد، لأنه إنما يعتد بقيمة ماثلة، ويعتز بمزية طائلة. يطريه أصحابه بالحق الذي يعلمون عنه، فيقول لهم: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله، فقولوا عبد الله ورسوله. ويخرج على جماعة من أصحابه فينهضون تعظيماً له، فينهاهم عن ذلك قائلاً: لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً" (١)

انظر لهذه التفكير العميق: "أي الناس أولى بنفي الكيد عن سيرته من محمد الذي حول الملايين من عبادة الأصنام الموقفة إلى عبادة الله رب العالمين، ومن الضياع والانحلال إلى السموّ والإيمان، ولم يفد من جهاده لشخصه أو آله شيئاً مما يقتتل عليه طلاب الدنيا من زخارف الحطام؟" (٢) "ما أرى شريعة أدعى للإنصاف، ولا أنفى للإجحاف والعصية من شريعة تقول: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا} [المائدة ٨]، وهكذا يجد كل إنسان له مكاناً في ظل هذه العقيدة الإلهية على أساس من المساواة العادلة، التي لا تفاضل معها إلا بالتقوى، تقوى الله رب (العالمين)..." "كان لابد من عقيدة ترفع عن كاهل البشر لعنة [الخطيئة الأولى]، وتطمئنهم إلى العدالة التي لا تأخذ البريء بالجرم، أو تحمّل الولد وزر الوالد، وتجعل للبشرية كرامة مضمونة. ويحسم القرآن هذا الأمر.. حين يجعل المسؤولية أساس الكرامة الإنسانية، وأساس كل حرية، وكل أخلاق ممكنة. وهذا ما قطع به الإسلام ووضع به حجر الأساس لكرامة بني آدم.. والحق أنه لا يمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى الموروثة إلا من نشأ في ظل تلك الفكرة القائمة، التي تصبغ

(١) - محمد الرسالة والرسول ص ٢٨، ٨٥، ١٧٩. الطبعة الثانية، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٥٩م. مسيحي من مصر. يتميز بنظرته الموضوعية وإخلاصه العميق للحق. ورغم إلحاح أبويه على تنشئته على المسيحية منذ كان صبيّاً، فإنه كثيراً ما كان يحضر مجالس شيوخ المسلمين ويستمع بشغف إلى كتاب الله وسيرة الرسول عليه السلام. بل إنه حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز العاشرة من عمره. ألف عددًا من الكتب أبرزها (محمد الرسالة والرسول)، و(محمد في حياته الخاصة).

(٢) - كتابه "محمد في حياته الخاصة"، ص ١٢

بصبغة الخجل والتأتم كل أفعال المرء، فيمضي في حياته مضيّ المريب المتردد، ولا يقبل عليها إقبال الواثق بسبب ما أنقض ظهره من الوزر الموروث. إن تلك الفكرة القاسية تسمّم ينابيع الحياة كلها. ورفعها عن كاهل الإنسان مئة عظمى، بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه، بل هو ولادة جديدة حقاً، وردّ اعتبار لا شك فيه. إنه تمزيق صحيفة السوابق، ووضع زمام كل إنسان بيد نفسه... "هكذا يكون الإنسان [في الإسلام] متكامل الجوانب، لا يشكو [فصام] الروح والجسد، ذلك الفصام الذي عانى منه الكثيرون. ولا يعرف (الفصم) إلا من يكابده. وبهذا يكون الإنسان سيد الأرض حقاً، لا ينظر إلى طبيّاتها نظرة الحسير، ولا يمشي في جنباتها مشية الأسير، ولا يثقل كاهله الخزي من نوازه، في يده زمام نفسه. وقد أحل له ما لم يرد فيه تحريم، تقرّ به عينه في غير حرج ولا غضاضة (١).

١٢- يقول المؤرخ الأمريكي فيليب حتي: إذا نحن نظرنا إلى محمد من خلال الأعمال التي حققها، فإن محمداً الرجل والمعلم والخطيب ورجل الدولة والمجاهد يبدو لنا بكل وضوح، واحداً من أقدر الرجال في جميع أحقاب التاريخ. لقد نشر ديناً هو الإسلام، وأسس دولة هي الخلافة، ووضع أساس حضارة هي الحضارة العربية الإسلامية، وأقام أمة هي الأمة العربية (٢). وهو لا يزال إلى اليوم قوة حية فعالة في حياة الملايين من البشر... ويقول أيضاً: صفات محمد مثبتة في القرآن بدقة بالغة فوق ما نجد في كل مصدر آخر. إن المعارك التي خاضها، والأحكام التي أبرمها، والأعمال التي قام بها، لا تترك مجالاً للريب في الشخصية القوية والإيمان الوطيد والإخلاص البالغ، وغير ذلك من الصفات التي خلقت الرجال القادة في التاريخ. ومع أنه كان في دور من أدوار حياته يتيماً فقيراً، فقد كان في قلبه دائماً سعة لمؤاساة المحرومين في الحياة. (٣)

١٣- يقول الأستاذ السويسري في جامعة جنيف أدوار مونته: كان محمد كريم الأخلاق حسن العشرة، عذب الحديث، صحيح الحكم صادق اللفظ، وقد كانت الصفات الغالبة عليه هي صحة الحكم وصراحة اللفظ، والاعتناع التام بما يعمل به ويقول. (٤)، ويقول أيضاً: لا مجال للشك في إخلاص الرسول وحماسه الدينية التي تشبعت بها نفسه وفكره... (٥)، ويقول أيضاً: إن طبيعة محمد الدينية تدهش كل باحث مدقق نزيه المقصد بما يتجلى فيها من شدة الإخلاص... ولقد جهل كثير من الناس محمداً وبخسوه حقه وذلك لأنه من المصلحين النادرين الذين عرف الناس أطوار حياتهم بدقائقها. (٦)

١٤- يقول العالم الألماني رودري بارت: كان من بين ممثلي حركة التنوير من رأوا في النبي العربي أداة الله، ومشرعاً حكيماً، ورسولاً للفضيلة، وناطقاً بكلمة الدين الطبيعي الفطري، مبشراً به. (٧)

(١) - محمد الرسالة والرسول، ص ٢٦، ٧٢-٧٣، ٧٦، ٨٤. على التوالي.. مرجع سابق .

(٢) - الأئمة التي أقامها لم تقتصر على العرب، بل من قوميات شتى أخرى، كما سيأتي في الباب الرابع.

(٣) - الإسلام منهج حياة ص ٥٤-٥٦. فيليب حتي، تعريب د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٢م.

(٤) - محمد والقرآن ص ١٨.

(٥) - الإسلام والحضارة العربية ١/٦٧. محمد كرد علي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ٣، ١٩٦٨م.

(٦) - محمد والقرآن ص ١٨.

(٧) - الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص ١٥. عالم ألماني معاصر، اضطلع بالدراسات الشرقية في جامعة هايدلبرج، وكرس حياته لدراسة علوم العربية والإسلام، وصنف فيها عدداً كبيراً من الأعمال، منها ترجمته للقرآن الكريم التي استغرقت منه عشرات السنين وأصدرها بين عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٦، وله كتاب عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم

١٥- يقول المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون: إذا ما قيست قيمة الرجال بجميل أعمالهم كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمداً مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين من الاعتراف بفضله... (١) ، ويقول أيضاً: لا شيء أصوب من جمع محمد لجميع السلطات المدنية والحربية والدينية في يد واحدة أيام كانت جزيرة العرب مجزأة ما استطعنا أن نقدر قيمة ذلك بنتائجه، فقد فتح العرب العالم في قرن واحد بعد أن كانوا قبائل من أشباه البرابرة المتحاربين قبل ظهور محمد. (٢) ،

١٧- يقول العالم الأمريكي ول ديورانت: يبدو أن أحداً لم يعن بتعليم [محمد] القراءة والكتابة.. ولم يعرف عنه أنه كتب شيئاً بنفسه.. ولكن هذا لم يجل بينه وبين قدرته على تعرف شئون الناس تعرفاً قلما يصل إليه أرقى الناس تعليماً ، ويقول أيضاً: كان النبي من مهرة القواد.. ولكنه كان إلى هذا سياسياً مخنكاً، يعرف كيف يواصل الحرب بطريقة السلم ، ويقول أيضاً: إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا أن محمداً كان من أعظم عظماء التاريخ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي. وقد كبح جماح التعصب والخرافات. واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة. ويقول أيضاً: تدل الأحاديث النبوية على أن النبي كان يبحث على طلب العلم ويعجب به، فهو من هذه الناحية يختلف عن معظم المصلحين الدينيين. (٣)

١٨- يقول الأستاذ الفرنسي جاك س. ريسلر: إذا ما عرفنا أن هذا العمل العظيم أدرك وحقق في أقصر أجل أعظم أمل لحياة إنسانية فإنه يجب أن نعترف أن محمداً يظل في عداد أعظم الرجال الذين شرف بهم تاريخ الشعوب والأديان. (٤)

١٩- يقول المفكر اللبناني المسيحي نصري سلهب: هنا عظمة محمد لقد استطاع، خلال تلك الحقبة القصيرة من الزمن، أن يحدث شريعة خلقية وروحية واجتماعية لم يستطعها أحد في التاريخ يمثل تلك السرعة المذهلة. .. هذا الرجل الذي ما عرف الهدوء ولا الراحة ولا الاستقرار، استطاع وسط ذلك الخضم الهائج، أن يرسى قواعد دولة، وأن يشرع قوانين ويسن أنظمة، ويجود بالتفسير والاجتهادات.. ولم ينس أنه أب وجد لأولاد وأحفاد، فلم يجرمهم عطفه وحنانه، فكان بشخصيته الفذة الغنية بالقيم والمعطيات والمؤهلات، المتعددة الأبعاد والجوانب، الفريدة بما أسبغ الله عليها من نعم وصفات، وبما حباها من إمكانات، كان بذلك كله، عالماً قائماً بنفسه.. " تراثك يا ابن عبد الله ينبغي أن يُحيا، لا في النفوس والقلوب فحسب، بل في واقع الحياة، في ما يعاني البشر من أزمت وما يعترضهم من عقبات. تراثك مدرسة يلقي على منابرها كل يوم عظة ودرس. كل سؤال له عندك جواب. كل مشكلة مهما استعصت وتعقدت، نجد لها في آثارك حلاً".... لم يكن النبي رسولاً وحسب، يهدي الناس إلى الإيمان، إنما كان زعيماً وقائد شعب، فعزم على أن يجعل من ذلك الشعب خير أمة أخرجت للناس. وكان له ما أراد" .. إن محمداً كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب. فإذا بهذا الأمي يهدي إلى

(١) - حضارة العرب ص ١١٥. ، كوستاف لوبون، ترجمة عادل زعير، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ٣.

(٢) - المصدر السابق ص ٣٩٣-٣٩٤. مرجع سابق .

(٣) - قصة الحضارة ١٣/٢١-٢٢ و٣٨ و٤٧ و١٦٧. ترجمة محمد بدران وآخرون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ٢، ١٩٦٤-١٩٦٧م.

(٤) - الحضارة العربية ص ٣٧. له وهو باحث فرنسي معاصر، وأستاذ بالمعهد الإسلامي بباريس. ترجمة غنيم عبدون، مراجعة د. أحمد الأهواني، الدار المصرية القاهرة

الإنسانية أبلغ أثر مكتوب حملت به الإنسانية منذ كانت الإنسانية، ذاك كان القرآن الكريم، الكتاب الذي أنزله الله على رسوله هدى للمتقين... "الإسلام ليس بحاجة إلى قلمنا، مهما بلغ قلمنا من البلاغة. ولكن قلمنا بحاجة إلى الإسلام، إلى ما ينطوي عليه من ثروة روحية وأخلاقية، إلى قرآنه الرائع الذي بوسعنا أن نتعلم منه الكثير".... "لم يقدر لأي سفر، قبل الطباعة، أيًا كان نوعه وأهميته، أن يحظى بما حظي به القرآن من عناية واهتمام، وأن يتوفر له ما توفر للقرآن من وسائل حفظته من الضياع والتحريف، وصانته عما يمكن أن يشوب الأسفار عادة من شوائب"..." تلك اللغة التي أرادها الله قمة اللغات، كان القرآن قمتها، فهو قمة القمم، ذلك بأنه كلام الله.. (١)

٢٠- يقول المستشرق الإنكليزي سير هاملتون جب: ومهما نقل في قوة النزعة الإسلامية نحو محمد وفي آثارها فإننا لا نوصف بالغلو. فقد كان إجلال الرسول شعوراً طبيعياً محتوماً في عصره وفيما بعده، غير أن ما نومي إليه شيء يتجاوز الإجلال، فإن العلاقات الشخصية من الإعجاب والحب اللذين بعثهما في نفوس صحابته ظلّ صداها يتردد خلال القرآن، والفضل في ذلك يعود إلى الرسائل التي أقرتها الأمة لتستثير بها مجددان في كل جيل. (٢)

٢١- يقول المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسن الماركسي: إنني معجب بعظمة هذا الرجل وعبقريته. "!!... " بظهور عدد من المؤرخين الأوروبيين المستشرقين في القرن الثامن عشر بدأت تتكامل معالم صورة هي صورة محمد الحاكم المتسامح والحكيم والمرشع" (٣)

٢٢- يقول المستشرق الفرنسي لويس سيديو: لقد حلّ الوقت الذي توجه فيه الأنظار إلى تاريخ تلك الأمة التي كانت مجهولة الأمر في زاوية من آسية فارتقت إلى أعلى مقام فطبق أسمها أفاق الدنيا مدة سبعة قرون. ومصدر هذه المعجزة هو رجل واحد، هو محمد.. (٤)، ويقول أيضاً: إن محمداً أثبت خلود الروح.. وهو مبدأ من أقوم مبادئ الأخلاق. ومن مفاخر محمد أن أظهره قوياً أكثر مما أظهره أي مشرع آخر... (٥)

٢٣- يقول المستشرق البريطاني سير توماس أرنولد: لعله من المتوقع، بطبيعة الحال، أن تكون حياة مؤسس الإسلام ومنشئ الدعوة الإسلامية، هي الصورة الحق لنشاط الدعوة إلى هذا الدين. وإذا كانت حياة النبي هي مقياس سلوك عامة المؤمنين، فإنها كذلك بالنسبة إلى سائر دعاة الإسلام. لذلك نرجو من دراسة هذا المثل أن نعرف شيئاً عن الروح التي دفعت الذين عملوا على الإقتداء به، وعن الوسائل التي ينتظر أن يتخذوها.

(١) - كتابه "في خطي محمد" ص ٤٢، ٩٦، ٢٧٣، ٣٩٦، ٤٠٩، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٠م وكتابه "لقاء المسيحية والإسلام" ص ٢٢، ١٢١، ٣٣٧، ٣٤٢.

(٢) - دراسات في حضارة الإسلام ص ٢٥٧. (١٨٩٥ - ١٩٦٧) يعد إمام المستشرقين الإنكليز المعاصرين، أستاذ اللغة العربية في جامعة لندن سنة ١٩٣٠، وأستاذ في جامعة أكسفورد منذ سنة ١٩٣٧، وعضو مؤسس في المجمع العلمي المصري، تفرغ للأدب العربي وحاضر بمدرسة المشرقيات بلندن. من آثاره: (دراسات في الآداب العصرية) (١٩٢٦)، (الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى وعلاقتها ببلاد الصين)، (رحلات ابن بطوطة)، (اتجاهات الإسلام المعاصرة)، وهو أحد محجري دائرة المعارف الإسلامية. تحرير ستانفورد شو ووليم بولك، ترجمة د. إحسان عباس ورفاقه، دار العلم للملايين، (بالمشاركة مع مؤسسة فرانكلين)، بيروت ١٩٦٤م.

(٣) - ينظر الاهتمام بالسيرة النبوية باللغة الفرنسية ص ٢٧-٢٨. مرجع سابق. و تراث الإسلام، (تصنيف شاحن وبوزوث)، ١ / ٦٧ - ٦٨. ترجمة محمد زهير السمهوري ورفاقه، سلسلة عالم المعرفة، الأعداد ١١ و ١٢، ولد عام ١٩١٥، من أساتذة مدرسة الدراسات العليا بباريس، ثم مديرها. ونشر عددًا من الدراسات (دائني والإسلام)، و(حياة محمد والمشكلة الاجتماعية المتعلقة بأصول الإسلام)، و(دراسة الصلات بين الإسلام والشيعية).

(٤) - تاريخ العرب العام ص ١٥. وهو مستشرق فرنسي (١٨٠٨ - ١٨٧٦) له خلاصة تاريخ العرب وتاريخ العرب العام.

(٥) - المصدر السابق ص ٩٣. ل. م. سيديو، ترجمة عادل زعيتر، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٤٨م.

ذلك أن روح الدعوة إلى الإسلام لم تجيء في تاريخ الدعوة متأخرة بعد أناة وتفكير، وإنما هي قديمة قدم العقيدة ذاتها. وفي هذا الوصف الموجز سنبين كيف حدث ذلك وكيف كان النبي محمد يعد نموذجاً للداعي إلى الإسلام؟(١)

٢٤- يقول الكونت الفرنسي هنري دي كاستري: إن أشد ما نتطلع إليه بالنظر إلى الديانة الإسلامية ما اختص منها بشخص النبي ولذلك قصدت أن يكون بحثي أولاً في تحقيق شخصيته وتقرير حقيقته الأدبية علي أجد في هذا البحث دليلاً جديداً على صدقه وأمانته المتفق تقريباً عليها بين جميع مؤرخي الديانات وأكبر المتشيعين للدين المسيحي. "... أتى محمد بالقرآن دليلاً على صدق رسالته، وهو لا يزال إلى يومنا هذا سراً من الأسرار التي تعذر فك طلاسمها ولن يسبر غور هذا السر المكنون إلا من يصدق بأنه منزل من الله...".
.. قد نرى تشابهاً بين القرآن والتوراة في بعض المواضع، إلا أن سببه ميسور المعرفة.. إذا لاحظنا أن القرآن جاء ليتممها، كما أن النبي خاتم الأنبياء والمرسلين.... ويقول عن نفسه : جعلتُ أشاهد حركات المصلين وأسمعهم يكررون بصوت مرتفع الله أكبر، الله أكبر، فكان هذا الاسم الإلهي يأخذ من ذهني مأخذاً لم يوجد فيه درس الموحدين ومطالعة كتب المتكلمين.. وكنت أشعر بأنهم في صلاتهم [تلك] أرفع مني مقاماً وأعزّ نفساً.. وهم يكررون إلى ربه صلوات خاشعة تصدر عن قلوب ملئت صدقاً وإيماناً.. فأحسست أنني منجذب بحلاوة الإسلام كأنني أول مرة شاهدت في الصحراء قوماً يعبدون خالق الأكوان..".

".. (لا إله إلا الله) ذلك هو أصل الاعتقاد بإله فرد ورب صمد منزّه عن النقائص يكاد العقل يتصوره وهو اعتقاد قوي يؤمن به المسلمون على الدوام ويمتازون به على غيرهم من القبائل والشعوب، أولئك حقاً هم المؤمنون.. ولقد يستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبي من مطالعته التوراة والإنجيل، إذ لو قرأ تلك الكتب لردها لاحتوائها على مذهب التثليث وهو مناقض لفطرته مخالف لوجدانه، فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو أعظم مظهر في حياته وهو بذاته أكبر دليل على صدقه في رسالته وأمانته في نبوته...".
"لقد كان فكر النبي في الألوهية من أرفع الأفكار وأسمهاها، ولكنه تسامح للناس كثيراً في رغبتهم وما كانوا إليه يميلون. نعم يجب على الرجل أن يعتقد ويعبد الله، ولكن لا يجب عليه أن يحارب نفسه ويعذبها العذاب الأليم ليقهرها.. ومع ذلك فمن الشهوات ما نهى النبي عنه وأمر بمجاهدة النفس فيه. فقد حرم على المسلمين شرب الخمر وكل شراب يؤثر مثله، وقد بالغ المسلمون في العمل بهذا النهي، فكان من وراء ذلك أن نجت الأمم الإسلامية من مرض المسكرات وهي الداهية التي تفجع اليوم أمماً كثيرة من المسيحيين، وكانت إحدى الأسباب في اضطراب المجتمع الإنساني وظهور مذهب الفوضويين مما تجهله الأمم الإسلامية. هكذا جذب الإسلام قسماً عظيماً من العالم بما أودع فيه من إعلاء شأن النفس بتصور الذات الإلهية على صفات فوق صفات البشر تذكرها خمس مرات في كل يوم، وبما اشتمل عليه من الترفق بطبيعة البشر حيث أتاح للناس شيئاً مما يشتهون...".
.. أن الناس بالغوا كثيراً في مضار تعدد الزوجات عند المسلمين إن لم نقل أن ما نسبوه إليه من

(١) - الدعوة إلى الإسلام، ص ٣٤. من كبار المستشرقين البريطانيين. صاحب فكرة كتاب (تراث الإسلام) الذي أسهم فيه عدد من مشاهير البحث والاستشراق الغربي. وهو أول من جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن ذاع صيته بكتابه: (الدعوة إلى الإسلام) الذي ترجم إلى كثر من لغة، و(الخلافة). والكتاب : ترجمة وتعليق د. حسن إبراهيم حسن ورفاقه، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١م.

ذلك غير صحيح. فما تعدد الزوجات هو الذي ولد في الشرق تلك الرذائل الفاضحة، بل المعقول انه من شأنه تلطيفها، على أنني لست أدري إن كانت تلك الرذائل أكثر منها في الغرب، بل تلك وصمة ألصقت بالإسلام بواسطة السّواح الذين يرون أمراً في فرد فيجعلونه عامّاً من غير تثبيت فيه لولا هذا التعميم السطحي لما وجدوا شيئاً يملأون به مؤلفاتهم والواقع أن الرذائل الفاضحة موجودة في كل أمة ولقد يقع منها في باريس ولندن وبرلين أكثر مما يحدث في الشرق بأجمعه لأن النبي [صلى الله عليه وسلم] بالغ في تحريمها ولم يعدها من الذنوب الخفيفة ..". "من الخطأ الفاضح والغلو الفادح قولهم أن عقد الزواج عند المسلمين عبارة عن عقد تباع فيه المرأة فتصير شيئاً مملوكاً لزوجها لأن ذلك العقد يخول للمرأة حقوقاً أدبية وحقوقاً مادية من شأنها إعلاء منزلتها في الهيئة الاجتماعية" (١)

٢٥- يقول **مونتجومري وات** عميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبرا سابقاً: منذ أن قام كارليل بدراسته عن محمد في كتابه (الأبطال وعبادة البطل) أدرك الغرب أن هناك أسباباً وجيهة للاقتناع بصدق محمد. إذ أن زعيمته في تحمل الاضطهاد من أجل عقيدته، والخلق السامي للرجال الذين آمنوا به، وكان لهم بمثابة القائد، وأخيراً عظمة عمله في منجزاته الأخيرة، كل ذلك يشهد باستقامته التي لا تتزعزع فاتهام محمد بأنه دجال Imposteur يثير من المشاكل أكثر مما يحل. ومع ذلك فليس هناك شخصية كبيرة في التاريخ حط من قدرها في الغرب كمحمد فقد أظهر الكتاب الغربيون ميلهم لتصديق أسوأ الأمور عن محمد.. "هناك - على العكس - أسباب قوية تؤكد صدق (محمد) ونستطيع في مثل هذه الحالة الخاصة أن نبلغ درجة عالية من اليقين، لأن النقاش حول هذه المسألة.. يعتمد على وقائع ولا يمكن أن يتضمن خلافاً في التقدير حول الأخلاقية... ويقول أيضاً: كلما فكرنا في تاريخ محمد وتاريخ أوائل الإسلام، كلما تملكنا الدهول أمام عظمة مثل هذا العمل. ولا شك أن الظروف كانت مواتية لمحمد فأتاحت له فرصاً للنجاح لم تتحها لسوى القليل من الرجال غير أن الرجل كان على مستوى الظروف تماماً. فلو لم يكن نبياً ورجل دولة وإدارة، ولو لم يضع ثقته بالله ويقتنع بشكل ثابت أن الله أرسله، لما كتب فصلاً مهماً في تاريخ الإنسانية. ولي أمل أن هذه الدراسة عن حياة محمد يمكنها أن تساعد على إثارة الاهتمام، من جديد، برجل هو أعظم رجال أبناء آدم. (٢)

٢٦- ويقول العلامة الأستاذ (شيرل) عميد كلية الحقوق بجامعة (فينا) في مؤتمر الحقوقيين سنة ١٩٢٧م: إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد ﷺ إليها إذ أنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون - نحن الأوروبيين - أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة. (٣)

٢٧- يقول المستشرق الروسي بولشاكوف في آخر كتابه (تاريخ الخلافة) - باللغة الروسية - : محمد ترك لأتباعه نظاماً دينياً كاملاً مرتبباً بشخصيته، يحتوي على كل ما يحتاج إليه الإنسان من معرفة حقيقة العبد والإله إلى العبادات المنظمة بدقة. (١)

(١) - الإسلام حواطر وسوانح ص ٦، ص ٢٠، ٢٢، ص ٢-٣، ص ١٧-١٨، ص ١٣، ص ٥٦، ٥٧. مقدم في الجيش الفرنسي، قضى في الشمال الأفريقي دخا من الزمن (١٨٥٠-١٩٢٧) والكتاب : ترجمة أحمد فححي زغلول باشا، مطبعة الشعب، القاهرة ١٩١١م.

(٢) - محمد في مكة ص ٩٤، ٤٩٧، ٥١٢، تعريب شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. من آثار وات : (عوامل انتشار الإسلام)، (محمد في مكة)، (محمد في المدينة)، (الإسلام والجماعة الموحدة).

(٣) - قطوف دانية من مآثر المسلمين ص ٩٠. الشيخ إبراهيم النعمة، مطبعة الزهراء، الموصل، العراق سنة ١٤٢٤هـ. ونقله محمد الغزالي في "هذا ديننا" ص ٢٥٤

٢٨ - القس إبراهيم خليل فيليبوس : "هذه هي حقيقة يثبتها التاريخ: فبينما كان العالم الشرقي والعالم الغربي بفلسفاتهما العقيمة يعيش في دياجير ظلام الفكر وفساد العبادة، بزغ من مكة المكرمة في شخص محمد رسول الله ، نور وضياء أضياء على العالم فهداه إلى الإسلام..." "إن سيدنا عيسى عليه السلام يتنبأ عن الرسول الكريم محمد بقوله: (وأما متى جاء ذلك: روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية).. "يقول برنابا: (سيأتي مسيا (أي الرسول) المرسل من الله لكل العالم،.. وحينئذ يسجد لله في كل العالم وتنال الرحمة..)... "كلمة إنجيل كلمة يونانية تعني بشارة أو بشرى، ولعل هذا هو الذي نستفيد من سيرة سيدنا عيسى عليه السلام، أنه كان بشري من الله للرحمة، وبشري بتبشيره عن المسيا الذي سيأتي للعالمين هدى ورحمة، ألا وهو الرسول الكريم سيدنا محمد... "يقول عيسى في إنجيل برنابا: (لأن الله سيصعدني من الأرض وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إيتاي. ومع ذلك فإنه حين يموت شر ميتة أمكث أنا في ذلك العار زمناً طويلاً في العالم ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة (٢)...) إلى غير ذلك من الشهادات المميّزة الصادحة من أفواه مفكّرة صادقة التي تركتها إيثارا للاختصار، وقد جمعت في كتب كثيرة منها كتاب (قالوا عن الإسلام) الذي أصدرته الندوة العالمية للشباب، وهو كتاب حافل ملئ بالنقول والشهادات والاعترافات من جميع الملل. وقد ألف د. خالد السيوطي كتابا حافلا بعنوان "المهتدون إلى الإسلام من قساوسة النصارى وأخبار اليهود حتى القرن التاسع الهجري".

٢٩ - نشرت "مجلة التايم" العدد الصادر Time, 15 July 1974. (من القادة العظماء في التاريخ) ونشرت لقاءات ومقالات كثيرة مثل: ما الذي يصنع القائد العظيم؟ من المؤهل على مدار التاريخ؟ وفي هذه المقالات قامت مجلة "تايم" بسؤال مجموعة من المؤرخين والكتاب والعسكريين ورجال الأعمال وآخرين من اختيارها. وقد أعطى كل منهم مرشحيه طبقاً لوجهة نظره بموضوعية على قدر الاستطاعة البشرية لكل منهم، ومعتمداً في ذلك على إدراكه وتميزه وهواه وحكمه المسبق الشخصي، لكن الملاحظ ليس هنالك أحد يستطيع تجاهل محمد ﷺ (٣).

يقول "جيمس جافين James Gavin" الذي يوصف بأنه رجل في الجيش الأمريكي أحيل إلى التقاعد برتبة فريق: "من بين القادة الذين أحدثوا أكبر تأثير خلال العصور سأقترح "محمد" و"المسيح عيسى"، وربما "لينين"، ومن المحتمل "ماو تسي تونج" من بين القادة الذين كان لهم أعظم تأثير على مر العصور. أما بالنسبة للقائد صاحب المؤهلات التي من الممكن الاستفادة منها إلى درجة بعيدة في الزمن الحاضر فإنني أختار "جون ف. كنيدي"، ولم يقل الجنرال جيمس أكثر من ذلك لكن كم احتاج من شجاعة هائلة لكتابة اسم "محمد" قبل "المسيح" عليهما السلام، ومن المؤكد أن ذلك لم يكن زلة قلم. "جولز ماسيرمان Jules Masserman" محلل نفسي أمريكي وأستاذ في جامعة شيكاغو يعطينا على

(١) - نقلاً عن الاهتمام بالسيرة النبوية باللغة الروسية، ص ٢٨ لير بن روفائيل كوليف بحث مقدم لندوة عناية المملكة السعودية بالسنة النبوية في جمع الملك فهد (٢) - كتابه محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٤٧، ٩٨، ١٠٥، ١١٤. مكتبة الوعي ط٢/١٩٦٥ القاهرة، قس مبشر من مواليد الإسكندرية عام ١٩١٩، حمل شهادات عالية في علم اللاهوت من كلية اللاهوت المصرية، ومن جامعة برنستون الأمريكية. عمل أستاذاً بكلية اللاهوت بأسيوط. كما أرسل عام ١٩٥٤ إلى أسوان سكرتيراً عاماً للإرسالية الألمانية السويسرية. وكانت مهمته الحقيقية التنصير والعمل ضد الإسلام. لكن تعمقه في دراسة الإسلام قاده إلى الإيمان بهذا الدين وأشهر إسلامه رسمياً عام ١٩٥٩. (٣) - أحمد ديدات في الاختيار بين الإسلام والنصرانية ج ٢ ص ١٤٢ وما بعدها مكتبة العبيكان ترجم بعد وفاة الشيخ رحمه الله ولم يراه

عكس المشاركين الآخرين الأسس التي بنى عليها اختياره والأسباب التي جعلته يختار القائد الأعظم لجميع الأزمنة، إنه يريدنا أن نكتشف ما نبحت عنه حقًا في الرجل المطلوب؛ المؤهلات التي تجعله فريدًا، وقد نبحت عن أي مجموعة من المؤهلات كما في حالة مايكل هارت الذي كان يبحث عن الشخص الذي حقق أقوى تأثير.

يبحث "ماسيرمان" في التاريخ، ويقوم بالتحليل والتمحيص "لويس باستير"، "غاندي"، "كونفوشيوس"، "الإسكندر الأكبر"، "قيصر"، "هتلر"، "بوذا"، "المسيح" .. إلى آخر الباقيين حتى وصل أخيرًا إلى النتيجة التالية: "لعل أعظم قائد كان على مر العصور هو "محمد"، الذي جمع الأعمال الثلاثة وقد فعل "موسى" نفس الشيء بدرجة أقل". لنا إلا أن ندهش من "ماسيرمان" لأنه كيهودي قد تنازل ليتفحص حتى "أدولف هتلر" العدو الرئيسي لشعبه فهو يعتبره قائدًا عظيمًا، فقد كان قوم "هتلر" وهم الأمة الألمانية القوية المكونة من ٩٠ مليون نسمة، كانوا مستعدين أن يسيروا إلى قدرهم أو دمارهم بأمره واحسرتاه لقد قادهم إلى الهلاك، ولكن "هتلر" ليس هو مجال السؤال، إنما السؤال هو: لماذا يعلن "ماسيرمان" وهو يهودي أمريكي، وخادم مدفوع الأجر للحكومة بالتصريح لأبناء بلده الذين يزيدون عن ٢٠٠ مليون منهم اليهودي والمسيحي: إنه لا "المسيح" ولا "موسى" ولكن "محمد". عليهم السلام جميعًا. هو القائد الأعظم The Greatest Leader في جميع الأزمنة؟! ويمكننا الآن وبعدالة أن نستنتج أن إله الرحمة الذي يعرف دائمًا الجهود المخلصة لعباده إنما فقط يوفي بوعده لمحمد صلى الله عليه وسلم رسوله المختار حين قال: { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } [الشرح: ٤٤]. كأنما هي قوة خفية جعلت الأصدقاء والأعداء على السواء يقدموا إجلالهم غير المستجدي للرسول القوي المبعوث من عند الله، وكذلك فعل جنود الخالق القدير، حتى الشيطان نفسه دخل في خدمة الرسول كما فعل في عهد المسيح^١.

٣٠- يستشهد البروفيسور "ك. س. رامكارشنا راو" الفيلسوف الهندي في كتابه "محمد رسول الإسلام" ب"أدولف هتلر" ليثبت العظمة المنفردة لمحمد، ومثل "ماسيرمان" الذي قيم رسول الإسلام على ثلاث أسس ..، فقد رأى البروفيسور "رامكارشنا راو" أيضًا في كتاب "هتلر" المسمى "كفاحي" جوهر ذات ثلاثة وجوه، وامتيازًا نادرًا ذلك الذي وجد في بطلنا موضوع المناقشة، فيستشهد بهتلر فيقول: "نادرًا ما يكون رجل النظريات العظيمة قائدًا عظيمًا، ولكن الداعية المؤثر هو أكثر احتمالاً لأن يملك هذه المتطلبات والمؤهلات؛ ولذلك فهو دائمًا ما يكون قائدًا عظيمًا؛ لأن القيادة أو الزعامة تعني القدرة على تحريك الجماهير البشرية. الموهبة في تصدير الأفكار لا تشترك في شيء مع القدرة على الزعامة". ويستمر "... إن اتحاد القدرة على وضع النظريات والتنظيم والقيادة في رجل واحد هو أندر ظاهرة على وجه الأرض؛ ففي تلك الحالة تكون العظمة"، ويستنتج البروفيسور "راو" من ذلك فيقول في كلماته: "في شخص رسول الإسلام رأى العالم أندر ظاهرة على وجه الأرض متمثلة في إنسان من لحم ودم"، (٢)

٣١- "كان محمد الرأفة والطيبة بعينها، والذين من حوله كانوا يشعرون بتأثيره ولم ينسوه أبدًا".

(١) - المرجع السابق لديدات ص ١٤٥ وما بعدها .

(٢) - البروفيسور الهندي "رامكارشنا راو" مؤلف كتاب "محمد رسول الإسلام" هو مسيحي هندي يقدم شهادة حق لبي الإسلام، فهو واحد من المنصفين الذين أنصفوا الرسول محمد ورسالته. المرجع السابق ديدات ص ١٤٩-١٥٠

"ديوان شاندمارمة"، باحث هندوسي، وذلك في كتابه "رسل الشرق" سنة ١٩٣٥، ص ١٢٢.

٣٢ - "لقد درست الرجل الرائع، وفي رأبي أنه يجب أن يدعى "منقذ البشرية"؛ فهو بعيد كل البعد من أن يدعى ضد المسيح". "جورج برنارد شو" في "الإسلام الصادق" ج ١، سنة ١٩٣٦.

٣٣ - "من حسن الحظ إنه لأمر فريد على الإطلاق في التاريخ أن "محمد" مؤسس لثلاثة أشياء: الأمة والإمبراطورية والدين". "ر. بوزورث، سميث" في كتاب "محمد والمحمدية"، سنة ١٩٤٦.

٣٤ - "لقد كان محمد الأكثر توفيقاً من بين جميع الشخصيات الدينية". دائرة المعارف البريطانية، ط ١١.

٣٥ - "إنهم نقاد "محمد". صلى الله عليه وسلم. يرون النار بدلاً من الضوء، والقبح بدلاً من الحسن، إنهم يشوهون ويصورون كل صفة جيدة كأنها رذيلة عظيمة. إن هذا يعكس فسادهم الشخصي، إن النقاد الذين تكسوهم الغشاوة لا يستطيعون أن يروا أن السيف الوحيد الذي استخدمه "محمد" كان سيف الرحمة والشفقة، الصداقة والمغفرة، إنه السيف الذي يقهر الأعداء ويطهر قلوبهم، إن سيفه كان أكثر حدة من السيف المصنوع من الصلب". "بانديت جياناندر ديف شارمة شاستري" في اجتماع بجوراكبور، الهند، سنة ١٩٢٨هـ.

٣٦ - "لقد فضل المهجرة على محاربة قومه، ولكن عندما وصل الظلم والاضطهاد أبعد من نطاق الاحتمال حمل سيفه دفاعاً عن النفس، هؤلاء الذين يؤمنون أن الدين ممكن أن ينتشر بالقوة أغبياء لا يعلمون طرق الدين ولا طرق الحياة، إنهم فخوريين بهذا الاعتقاد لأنهم بعيدون كل البعد عن الحقيقة". صحفي سيخي (٧) في "نوان هندوستان" دلهي ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٧.

٣٧ - "لقد كان "محمد" القيصر والبابا في شخص واحد، لكنه كان بابا بدون خيلاء البابوات، والقيصر بدون حشود القياصرة، بدون جيش متأهب، بدون حاشية، بدون قلعة، بدون دخل ثابت. لو أن أي إنسان كان له الحق أن يدعي أنه حكم بالحق الإلهي فهو "محمد"؛ فقد كان يملك كل السلطات بدون أدواتها وبدون ما يدعمها". "ر. بوسوورث سميث"، "محمد والإسلام"، لندن ١٨٧٤، صفحة ٩٢.

المبحث السادس :

والآن يا صديقي الذي لا يؤمن بنبوّة محمد ﷺ ما رأيك في هذه الفرصة ذهبية

ستكون يا صاحبي خالداً مخلداً في التاريخ ... ستكون نسيح وحدك حسنة دهرك علامة عصرك ... ما رأيك أن تأتينا بتشريع !!! لا أريده منك الآن ، ما رأيك بعد أربعين سنة ،اقرأ ما شئت أن تقرأ ،ابحث ما شئت أن تبحث ،اصبر صبر الإبل على التدقيق و التمحيص ، غادر كتاباً إلى كتاب ، سر في الحياة و عاشر الناس ،عليك بالإحصائيات و لا تنس الأبحاث ، و بعد أربعين سنة ،أطلب منك التالي :

منهجاً واضحاً في عقيدة الإنسان مع ربه ، منهجاً رشيداً لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، و لا تنس الشبهات و الرد عليها ، و أغلق على أهل الباطل الأبواب قبل أن يبحثوا عنها ، و حدثنا - بعد أربعين سنة - عن حال الإنسان مع القدر ، و خبرنا كيف يتعامل مع مر الأيام و حلوها ، و يسر لنا فهم الأمور

المعقدة ، وحبذالو بينت لنا - بعد الأربعين - المعتقد في الأمور الغيبية ، مسائل الجن و الشياطين ، كيف نرى
المصروعين و من أصابهم المس بأعيننا ، أتريدنا أن ننكر ذلك أم كيف تراه ، و بين لنا العقيدة في الملائكة ، مع
شيء من التفصيل عن الأسماء و الوظائف و زنا بتحفة في مسألة التفضيل بين البشر و الملائكة فتلك مسألة
فيها نزاع مشهور .

ثم نبغنا بأخبار الرسل ، و نريد أخبار أقوامهم علنا نستفيد ، و لا تحدثنا بما لا فائدة فيه بل اقتصر على
مواضع العبرة و ما لا بد منه لفهم الأحداث ، و هات أخبار الأمم من كذب منها و من لم يكذب ، و ضع في
الحسبان التاريخ و الأعلام و المواضع ، ثم زد ما شئت أن تزيد في أمر العقائد الباطلة ، كيف انحرفت و من بدل
و حرف ، علّمنا بحيل أهل الضلال و خبايا النفوس .

لا تنسى تنظيم أمور العبادة و الصلة بين العبد و ربه مع نفسه؟! فالمرء ما ينفك سائلاً " رب لو كنت
أعلم أحب الوجوه إليك لعبدتك بها " - ألا يخلع هذا السؤال قلبك؟! فخيرنا يا صاحبي بعد الأربعين بما
ستراه أحب الوجوه ، نريد صلاة الله نعرف أوقاتها و عددها ، فقهاها و أركانها .. سننها و مكروهاها ، ما يبطل
الصلاة و ما يجوز فيها؟! كيف الحال إن عرض لك عارض و أنت في الصلاة ما تفعل؟! ما الشأن إن
سهوت كيف تجبر سهوك؟! و أنبتنا عن الصلاة ما الفرض و ما النفل؟! و عن الجماعة ما شأن الإمام و
المأمومين؟! و المساجد آدابها و أحكامها ، و الدعاء في الصلاة و قنوت النوازل .. و أهل الأعدار .. ماذا
يفعل المسافر؟ ثم ماذا يفعل المريض؟! ثم ماذا يفعل الخائف؟! ألم أقل لك ستكون علامة عصرك؟!!

و لا تنس الناس من عيد يجمعهم فلكل قوم عيد .. و هيئ أحكام عيد لا تُمل و لا تُضلل .. فيفرح الناس
دون أن يبغى بعضهم على بعض ، و ضع للعيد صلاة لها أحكام تخصها ... و لا بأس بصلاة الكسوف و
الاستسقاء ... و الناس بحاجة إلى وعظ و تعليم و إرشاد فضع لهم خطبة يوماً في الأسبوع و ليكن يوم الجمعة
.. ألم أقل لك ستكون علامة عصرك؟! و نظافة الجسد .. أنسيته؟! و الوضوء و الغسل و التيمم و كل له
شروط و واجبات و سنن و مبطلات و أحكام مع أحكام .. و للمياه أحكام أيها طهور و أيها ليس بطهور
؟! و أحكام الحيض و الاستحاضة و النفاس .. و أحكام الأنية و المياه و الاستنجاء .. و أحكام الملابس ما
يجوز منها و ما لا يجوز .. و ضوابط الملابس كيف تكون طيبة سائرة جميلة بهية لا تفتن و لا تنفر .. اجتهد في
القراءة يا صاحبي في الأربعين سنة .. اقرأ في كل المجالات .. ألم أقل لك ستكون علامة عصرك؟!!

و لا تنس أن الناس تموت - و أنت ستموت .. فتكلم عن كيفية الدفن و أحكام الجنائز .. و تغسيل
الميت و أحكام التغسيل بحسب حال الميت .. و لا تنس الكلام عن المرض .. و وصية المريض .. و لا تنس
تصرفات المريض .. ألم أقل لك ستكون علامة عصرك؟! ثم ضع في الحسبان أن يكون المجتمع فيه تكافل فالأمر
تشريع يا صاحبي .. فضع في تشريعك " الزكاة " و بين أحكامها .. اذكر مصارفها .. و ما تجب فيه .. لا تنس
زكاة الزروع و الحبوب و البهائم و الثمار و الحلبي و عروض التجارة و الفطر .. خبرنا ما تراه في كل واحدة و
أي مال تجب فيه الزكاة و كم حد هذا المال .. و لا تبغي على مال أحد بما يضر و لا تنس الفقراء و المساكين
.. و لا تنس جمع الناس من كل صوب .. لا تنسهم من رحلة تجمعهم أجساداً فتضمهم قلوباً .. لا تنسهم من

رحلة تذكروهم برحلتهم إلى الموت .. لا تنسهم من رحلة يزورون فيها الأماكن المقدسة عسى تقدرس أمتهم .. و لا تنس أن تضع لتلك الرحلة الأحكام اللازمة .. و لا تنس أن تخبر عن حكمها للمستطيع ثم من طراً عليه عدم الاستطاعة و من أحرص . و أقترح عليك أن تسمي تلك الرحلة " رحلة الحج " . ألم أقل لك ستكون علامة عصرك !!؟

و لا تنس أن الأمة التي سيعجبها تشريعك فتنفذه أمة وسط أمم .. فضع لها أحكام المعاملة مع الأمم المجاورة و النائية .. كيف تنظم العلاقات مع المخالفين و المعاوين .. ما حالها مع المعاهدين و المحاربين .. و كيف تكون عندما تلجأ للحرب .. ما أحكام الحرب؟! أخبرنا بأفضل نظام للحرب يكون .. أسباب الحرب و آدابها و المعاملة مع كل باغ عاد ظالم .. لا تنس أن تقرأ في الأربعين سنة في الكتب الحربية يا صاحبي .. لا تنس أن تقرأ في العلاقات الدبلوماسية .. و بعد القراءة استخلص و استنتج .. و دبر و خطط .. ثم اخرج علينا بذلك التشريع الجديد .. ألم أقل لك ستكون علامة عصرك !!؟

و لا بد للناس من بيع و شراء .. فلا تنس تنظيم شئون البيع .. و الخيرة في البيع و متى يكون التصرف في المبيع أهو بعد العقد أم بعد القبض ؟ و لماذا ؟ .. و ماذا لو أراد المشتري رد السلعة .. و أخبرنا عن الربا و الصرف .. و ما قولك في بيع أصول الثمار حتى يستفيد المزارع بالثمن على زراعة أرضه .. ما رأيك الاقتصادي في تلك المسألة؟! و أخبرنا عن السلم بعد أن تقرأ عنه في كتب الاقتصاد .. و لا تنس الرهن .. و الضمان .. و الوكالة و الحوالة و الكفالة .. و الشركة و المساقاة و الإجارة .. و العارية و الغصب .. و الشفعة و الوديعة و إحياء الموات و الجعالة .. و لا تنس أنا قد نجد شيئاً ثميناً في الشارع فأخبرنا ما أفضل الطرق للتعامل معه .. أخبرنا بأحكام اللقطة و اللقيط .. و أحكام الهبة و الهدية .. ألم أقل لك ستكون علامة عصرك !!؟

و لا تنس ما يكون بين الناس من المنازعات .. فأخبرنا بأحكام الصلح بين المتخاصمين .. و فرق لنا بين باب الصلح و باب القضاء .. و في القضاء عرفنا بآداب القاضي و طريق الحكم و صفته .. و نظم لنا الحال مع الدعاوي و البيئات .. و الشهادات و موانع الشهادة و عدد الشهود و اليمين و الدعوى و الإقرار .. و لا تنس أن الناس تموت و تذر الأموال .. بين لنا أحكام الميراث .. و من العصبية و من يحجب عن الميراث .. ما رأيك في ميراث المفقود و ميراث الحمل و ميراث المطلقة؟! و كن في التوزيع حكيمًا تعطي كل وارث ما يناسب حاله .. ألم أقل لك ستكون علامة عصرك !!؟

و لا تنس أن الناس خلقوا رجالاً و نساءً... فبين كيف يكون التعامل بينهم فلا تنقطع الأنساب و لا تختلط الأنساب .. و بين لنا المحرمات من النكاح و الشروط و العيوب في النكاح .. و متى يحق لأحد الزوجين أن يفسخ العقد .. و كيف تحمي كلا الزوجين من الغش .. و ما رأيك في نكاح من يتبع تشريعك بمن لا يتبع تشريعك؟! و لماذا؟! و أحكام المعاشرة بين الزوجين .. و كيف بأحكام الصداق؟! ألم أقل لك ستكون علامة عصرك؟! ثم الناس يوهبون الأولاد .. فأحكام المولد و تسمية المولود .. و أحكام العقيقة و لا تسه عن النفقات .. و أرشدنا إلى كيفية تربية الأولاد .. ألم أقل لك إنها فرصة ذهبية لتصير علامة عصرك !!؟

ثم الحياة قد تكون صعبة مع الشريكين لسبب أو لآخر .. فننظم لنا أمر الطلاق .. و ما رأيك بالتهديد بالطلاق؟! و ما تقول في الخلع؟! و ما رأيك في الظهار؟! و ماذا عن الملاعنة؟! و أحكام العدد؟! و ما تقول في شأن المطلقة أخرج من بيتها أم تظل فيه؟! و لماذا؟! ألم أقل لك ستكون علامة عصرك؟! ثم لا تنس يا صاحبي أن تتكلم عن الأخلاق .. الغيبة وكن دقيقًا و بين متى تجوز و متى لا تجوز؟! الإخلاص و الصدق و الوفاء .. الأمانة و البر و صلة الأرحام .. البخل و الرياء و النفاق .. الصبر و الشكر و الرضا و الحمد .. و علمنا ما الجيد و ما الرديء؟! و علمنا كيف نصل إلى سنام تلك الأخلاق إن كانت كريمة؟! و كيف نحتز من اللثيمة؟! ألم أقل لك ستكون علامة عصرك?!!

و لا تنسنا يا صاحبي من الحديث عن الدار الآخرة .. صفها وكن في وصفك مفيدًا دقيقًا .. و زدنا بالوعيد و الوعد .. و الترغيب و التهيب .. ألم أقل لك ستكون علامة عصرك؟! رأيت يا صاحبي كيف ستقضي يومك تقرأ و تقرأ و تبحث و تفكر .

لكن حتى يتم أمرك و يكون التشريع دافعًا لوسمك بأعلى الأوصاف .. نريده تشريعًا :

- ١- في أسلوب بليغ يناسب كل تنظير له المقام ..
- ٢- يناسب كل المحبين فلا يشكو أحد من فراغه من العبادة رغم حاجته للزيادة .
- ٣- يكون في معظم مسائله حد واجب لا يجوز النقص عنه لكل مقتصد و حد حسن يقوم به المجتهد .
- ٤- لا يكون الأسلوب جازمًا حازمًا بل دع الفرصة للاستنباط ، فالناس مشارب ، و في نفس الوقت دع الحق واضحا لا لبس فيه عند التأمل !
- ٥- لا يتناقض قولك في مسألة مع أخرى و لو كان ذلك التناقض بين لازم قولك و لازم قولك الآخر .. فإياك أن تبيح الخمر و الملابس الحرة و الاختلاط ثم تقول لا يجوز وقوع الزنا و اختلاط الأنساب .. بل التشريع يقوم بعضه ببعض و يشد بعضه بعضًا ..
- ٦- يكون قولك في كل حكم في تشريعك صحيحًا يشهد بصحته أهل التخصص في كل آن .. فإياك أن تبيح الربا لأنه يأتي بفائدة آنية .. فسوف يقول لك عتاة الاقتصاد " هذه الفائدة الآنية مع الاستمرار ستأتي على المجتمع بتضخم يفسد الاقتصاد " و عندها يا صاحبي ستضيع الثقة في تشريعك .
- ٧- يكون التشريع مناسبًا لكل زمان فلا يشكو الأقسام بعد ألف عام أنك لم تضعهم في الحسبان .
- ٨- يكون تشريعك مناسبًا لكل مكان ، حتى و لو كان المكان فيه النهار ٦ أشهر .. فأعطهم نصوصًا تحل لهم ما أشكل عليهم .
- ٩- لا يفوتك في تشريعك أي شأن يلزم من شؤون الحياة ليكون تشريعك كاملاً من كل وجه .

١٠ - تضع في تشريعك مراتب الحسن و القبح .. فهذا حسن و ذلك واجب و ذلك خلاف الأولى و ذلك مكروه و ذلك لا يجوز و ذلك مباح و كل ذلك في أسلوب سلس يسير

١١ - إن ضغط عليك قومك من حولك و أبت الأهواء إلا خلاف رأيك فلا تأبه بهم و عليك أن تظل على رأيك .

١٢ - و لا يجوز لك الاستعانة - بعد الأربعين سنة - بأي لجنة من لجان الاقتصاديين و لا أي طائفة من علماء النفس و لا أي كوكبة من أهل الفلك و لا يحق لك استشارة الأطباء ، و لا يجوز لك استشارة القانونيين و الدبلوماسيين و السياسيين ، لا لأنهم على كثرتهم قد يخطؤون ، لا لأنهم على كثرتهم قد وضعوا قوانين باطلة فعدلوها ، لا لأنهم على كثرتهم قد يعجزون أمام حبايا النفس البشرية ، لا لأي شيء من هذا .. بل لأنه قد كانت الفرصة الذهبية عندي هكذا .. و هكذا ينبغي أن تكون لك ..

لكني سأطلب منك طلبًا زائدًا .. بعد هذا الجهد الجهد و العمل المديد و التشريع السديد .. أريدك أن تقول : ليس لي يد في هذا التشريع .. أريدك أن تقول : أنا مجرد ناقل .. أريدك أن تقول : لا تطروني و لا تعظموني .. أريدك أن تقول : لا أملك من الأمر شيئًا .. أريدك أن تقول : تلك كلها حكمة ربي لا حكمتي .. أريدك أن تقول : لا تجعلوني لمن أنقل عنه نداءً فإنه أعظم مني .. أتستغني عن تعبك لتكون ناقلًا أمينًا و أنت في الحقيقة غير ناقل !!؟ أتستغني عن جهدك لتكون مبلغًا بصدق و أنت في الحقيقة غير مبلغ !!؟ أوه لكأني حرصت على !!؟ لكأنك ستقول .. هذا هراء يا صاحبي .. لكأنك ستقول .. تلك فرصة لا تنتهز .. تلك فرصة لا وجود لها .. لكأنك ستصرخ بي .. لئن ظللت عمريين و ثلاثة لا أربعين سنة فأقصى الأمل أن أتقن فنا واحدًا لا فنون عددًا .. و أنت تريدني متقنا للاجتماع و علم النفس و السلوك و الأخلاق و القانون و العلاقات المدنية و الدبلوماسية و الدولية و التاريخ و الأديان و و و .. و تريدني على ذلك أن أقول قولًا لا يأتيه الباطل من يمين أو شمال ..

و تريدني في ذلك أن آتي بقول يعجب المتخصصين ثم تريدني ألا أستشيرهم في شيء بعد الأربعين .. و تريدني في ذلك أن أقول قولًا يناسب العصور التي لم أرها و الأزمان التي لم أشهدها .. و تريدني في ذلك أن أبحث لأماكن لا أعرفها و مناطق لم أختبرها .. و تريدني في ذلك أن أفضل الأحسن فالأحسن و الأسوأ فالأسوأ .. و تريدني في ذلك أن أضع في حسابي تنوع نفوس البشر .. و تريدني في ذلك أن أضع في حسابي اجتهادات المجتهدين و كد المخلصين .. و تريدني في ذلك أن أيسر السبيل للكلامي الطويل العريض .. و تريدني على عرض كلامي و طولته أن أذكره فلا ينقض منه قول آخر بل يأخذ بعضه ببعض كالبنيان المرصوص !! و تريدني في ذلك أن أسوقه في أسلوب بليغ يذهل البلغاء !! و كل قول يناسب مقامه !! و تريدني في ذلك أن أنكر جهدي و تعبي و أنسبه كاذبًا - و أنا ما تعودت الكذب - لغيري !! و تريدني في ذلك أن أكذب على نفسي و أدعي أنني مجرد ناقل و أنا لست بناقل !! ثم تزعمها فرصة ذهبية !!

فكيف وهو ﷺ الصادق الأمين كما لقبه عدوه؟! فكيف وهو ﷺ لم يقرأ و لم يكتب في الأربعين؟!
تعال يا صديقي أخبرك بمنطق اليقين و الحق المبين ...

قال الله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

اقرأ: (قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) .. ألم أقل لك إنها سبيل الرسل؟!

اقرأ: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)

اقرأ: (وَإِذَا تَنَكَّلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بِفُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِيَّيَّيَّ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُمْ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ)

اقرأ: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُنَادُونَهَا تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)

اقرأ: (قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)

اقرأ: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ)
افهم: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)

افهم: (وَكَذَلِكَ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا)

فبالذي خلق لك عينين و لسانًا و شفيتين و هداك النجدين .. ما تفعل يا صاحبي (١)!!؟

لكن إن لم يشفيك ما سبق ، أكمل معي صفقة أخرى :

وإليك صفقة ثانية لكنها ثقيلة...!!

قالوا لك إن النبي ﷺ فيلسوف ادعي كذبًا أنه رسول من عند الله؟! فأعرض عليك صفقة ستجعلك " الفيلسوف الكذاب " .. تعال و أخبرني ما رأيك في هذه الصفقة أداخله هي في سياق العقل أم غير معقولة
!؟

تعال عبر الأزمان و الأمكنة .. و بأقصى سرعة ممكنة .. إلى قريش في مكة .. إلى قوم بلغوا في البلاغة
شأؤًا لا يوصل .. و أقاموا للأشعار سوقًا لا يوصف .. فهذا يقف يرتحل قصيدة .. و ذاكم يقف يرد عليه
ارتجالًا .. و قصيدة من هذا و من ذلك طيبة حلوة .. لها في البلاغة شأن عالٍ .. تعال إلى قوم أقاموا على
الأصنام سادن مع سادن .. تعال إلى قوم مصدر اقتصادهم الأصنام حول الكعبة .. يأتيها الرجال و النساء
فتنشط التجارة .. تعال إلى قوم هذا حالهم ..

الآن لنبدأ .. أريد منك أن تظل في قومك أربعين سنة صادقًا أمينًا .. أريد منك أن تكون (تصل الرحم
وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق) أريد منك أن تكون
أميًا لا تقرأ و لا تكتب .. أريد منك أن تكون يتيماً ليس لك والدٌ يطوف بك في البلدان .. ليس لك معلمٌ
يخبرك عن أخبار اليونان و الرومان .. أريد منك أن ترعى الغنم حتى تتعلم الحنو على المرعي .. أريد منك ان
تترك الوفود على عبادة الأوثان مع قومك .. ثم فجأة .. في سن الأربعين .. تعلن - كاذبًا - " أنا رسول الله "
... أهذا في حد المعقول عندك ؟ لا بأس ..

ثم أريد منك أن تخرج على قومك و هم على أصنامهم عكوف .. و تعلنها صريحة " إني رسول الله
إليكم " .. فيسخر منك قومك و ينهرك عمك و تسميك زوجة عمك " أبو الرمم " مكان " أبو الحكم "
.. أستصبر بعدها على دعوتك و أنت تعلم أنك كذاب؟! أهذا في حد المعقول عندك؟! لا بأس .. ثم أريد
منك أن تتحدى قومك .. و يا ترى ما الذي تختاره لتتحداهم فيه و أنت تعلم أنك كذاب؟! لعلك تختار شيئًا
لا يتقنوه .. تختار التنجيم مثلاً أو الفلك أو الطب أو استقصاء الأثر .. لا بل أريد منك أن تختار أقوى شيء
وصلوا إليه .. نعم .. أريد منك أن تتحداهم فيما خطر في ذهنك .. أريد منك أن تتحداهم في البلاغة و اللغة
.. تحداهم في أقوى ما عندهم و أنت تعلم أنك كذاب .. أهذا في حد المعقول عندك؟! لا بأس ..

ثم أريد منك أن تأتي بكلام تتحداهم فيه .. ليس هذا فقط .. بل تتكلم بأسلوبين من الكلام ..
أسلوب هو " القرآن الكريم " لا يوجد أبلغ منه في كلام البشر .. و أسلوب هو " الحديث الشريف " لا يوجد
أبلغ منه في كلام البشر لكن حاذر فالقرآن أبلغ منه .. فتسير بين الناس تتكلم بأسلوبين .. أحدهما أبلغ من
الأخر و كلاهما أبلغ من سائر الكلام .. أهذا في حد المعقول عندك؟! لا بأس ..

ثم يكون الكلام حسب الحوادث .. فعندما يظلم أحد المسلمين يهوديًا تتكلم بأسلوب بليغ لا يوجد
في كلام البشر أبلغ منه لتنتصر لليهودي من المسلم .. و عندما يترك أصحابك في حين من الأحيان تتكلم
بأسلوب بليغ لا يوجد في كلام البشر أبلغ منه لتحذر أصحابك .. أوه!! فكأنك لا تستطيع أن تعد هذا
الكلام سلفًا في الأربعين سنة التي ظللت فيها قبل الكذب؟! إي نعم .. لن تستطيع إعداد الكلام سلفًا بل

ستتكلم و تجاري الأحداث بكلامك .. فعليك بهذا الكلام البليغ جدًّا و الذي يأتيك عند كل حادثة و في كل مرة يكون كلامًا لا يوجد في كلام البشر أبلغ منه .. بل و تتحدى بهذا الكلام أقحاح العرب و أساطين اللغة .. أهذا في حد المعقول عندك؟! لا بأس ..

ثم أريدك أن تصبر .. نعم .. تصبر و أنت كذاب .. عندما يسفهون عقلك فاصبر .. و عندما يقولون " كذاب " فاصبر .. و عندما يقولون " شاعر " فاصبر .. و عندما يقولون " كاهن " فاصبر .. و عندما يقولون " فيلسوف " فاصبر .. و عندما يخرجك قومك فاصبر .. و عندما يضعون على ظهرك سلا الجزور فاصبر .. و عندما يهجر أهلك فاصبر .. و عندما يحاولون قتلك فاصبر .. و عندما يخنقونك خنقًا فاصبر .. و عندما يسبون خلفك السفهاء فاصبر .. أتستطيع الصبر على كل هذا و أنت كذاب؟! أهذا في حد المعقول عندك؟! لا بأس ..

ثم أريدك أن تصمد .. نعم .. تصمد و أنت كذاب .. إن قالوا " نعبد ربك عامًا و تعبد آلهتنا عامًا " فارفض .. إن قالوا " لك ما تشاء من الملك " فارفض .. إن قالوا " نسكت عنك إن سكتت عن آلهتنا " فارفض .. إن قالوا " لك ما تشاء من التطيب و الأموال و المغامم " فارفض .. إن قالوا " لك أموال التجارة كلها " فاصمد .. اصمد .. أتستطيع الصمود أمام كل هذا و أنت كذاب؟! أهذا في حد المعقول عندك؟! لا بأس ..

ثم أريدك أن تحذر .. نعم .. احذر فلكل كذاب هفوة .. احذر فقد قالوا " إذا كنت كذوبًا فكن ذكورًا " فعساک تنسى كلمة قتلها فتأتي بغيرها بعد حين تناقضها فيظهر كذبك .. أريدك ان تظل ذكورًا لا تنسى طول عمرك .. لا يتناقض قولك .. و لا يختلف فهمك .. أريدك أن تتكلم في آلاف الآيات و آلاف الألوف من الأحاديث فلا تتناقض و لا اضطرب و لا يظهر كذبك .. أريدك ان تعامل أصحابك كلهم فلا يقف واحد منهم على كذبة لك فضلًا عن أن يقف مجموعهم على هذا الكذبة .. أتستطيع أن تحذر هذا الحذر؟! أهذا في حد المعقول عندك؟! لا بأس ..

ثم أريدك أن تحتاط لنفسك .. لا تكتفي " بالتمثيل " و أنت أمام الناس .. بل أريدك أن تظل على حالك و أشد منها في بيتك .. أريدك في بيتك أن تقوم بالليل و تترك أهلك .. تقوم لتصف قدميك بين يدي ربك - و أنت تعلم أنك كذاب !! .. أريدك أن تترك الفراش ليلاً و تذهب إلى المقابر و تقول " إن ربي أمرني بهذا " - و أنت تعلم أنك كذاب أريدك أن تبكي و عندما يسألك الداخلون عليك عن سبب بكائك " تقول أنزل علي آيات جعلتني أبكي " - لاحظ أنك لم تكن تعلم أنهم سيدخلون عليك .. أريدك أن تحتاط لنفسك فتقوم في الليل لعبادة ربك حتى تتورم قدمك - مع علمك أنك كذاب .. أريدك ان تحتاط لنفسك حتى تقول عنك زوجتك " كان قرآنًا يمشي " .. أتستطيع بلوغ هذه الدرجة من الاحتياط و أنت كذاب؟! أهذا في حد المعقول عندك؟! لا بأس ..

أريدك صادقًا مع نفسك و الناس - لكن كيف يكون ذلك و أنت كذاب ، لا أدري؟! .. عندما تتكلم عن الأرض و الشمس و القمر و النجوم و الكواكب تتكلم بما تعلم أنه هو هو عين الموجود و إن خالفك قومك .. عندما تتكلم عن البحار و الأنهار و الشجر و الدواب تتكلم بما تعلم أنه هو هو عين الموجود و إن خالفك قومك .. و عندما تتكلم عن أخبار الأولين و قصصهم تتكلم بما تعلم أنه هو هو ما كان موجودًا و إن خالفك اليهود و النصارى من حولك .. أتستطيع أن تبلغ هذا الدرجة من الصدق و العلم و أنت في الأصل كذاب؟! .. أهذا في حد المعقول عندك؟! لا بأس ..

ثم أريدك ان تتخلى عن كذبك في أفضل الظروف للكذب و تتكلم أحوج ما يلزم كذاب السكوت .. إن سألك قومك عن موعد الساعة فقل " لا أدري " و قل " علمها عند ربي " .. إن سألك قومك عن موعد هزيمة الروم للفرس فقل " في بضع سنين " و لا عليك إن مرت السنون و لم يحدث ما قلت فكل ما سيحدث أن ينكشف كذبك و ينقلب عليك صبحك و يشمت بك عدوك و يهجر أهلك و على اختلاف تصرفاتهم فسيجمعون على وجوب قتلك .. لا عليك و ماذا إن قتلوك؟! بسيطة هي!! بسيطة على كذاب!! إن رأيت الشمس تنكسف يوم موت ولدك فلا تسكت و لا تؤكّد أنها انكسفت من أجله بل أعلنها أنها لا تنكسف لموت أحد و لا حياته!! أتستطيع دجال أن يفعل مثل هذا؟! .. أهذا في حد المعقول عندك؟! لا بأس ..

ثم أريدك أن تسلي نفسك بالكذب .. عندما يجرسك أصحابك تذهب إليهم و تقول (اذهبوا إلى مضاجعكم فسيحرسني ربي فقد أنزل عليّ " و الله يعصمك من الناس ")!! و عندما يشمت بك عدو تسلي نفسك بالكذب فتقول " إنا أعطيناك الكوثر "!! و عندما تقف في المعركة وحدك أمام جيش عرمرم تقول " أنا النبي لا كذب "!! أتستطيع تسلية نفسك بالكذب و أنت تعلم أنك كذاب؟! .. أهذا في حد المعقول عندك؟! لا بأس ..

ثم أريدك أن تكون عالماً علامة تأتي بما لم يأت به هاربي من بعدك بمئات السنين .. تتكلم عن الأجنة و أنت لم ترها .. تصف مراحلها و أنت لم تعلمها .. تخبر بوصفها و لم يأتك عنها نبأ يقين .. تخالف في كلامك من حولك و لا تبالي .. أتستطيع ذلك و أنت كذاب؟! .. أهذا في حد المعقول عندك؟! أف لهذا يا صاحبي!!

لقد طفح الكيل ، و بلغ السيل الزبى ، و غلى المرجل ثم انفجر و لم يبق في قوس الصبر منزع .. و الله إن هذا لعين اللامعقول .. فكيف لصادق أربعين سنة أن يكذب و عندما يكذب يكذب على الله؟! و كيف لمن لا يقرأ و لا يكتب أن يأتي بما أعجز المتعلمين؟! ..

و كيف لكذاب أن يصبر على أذيته في بداية دعوته؟! ..

و كيف لكذاب أن يتحدى قومه في أقوى ما هم فيه من اللغة و البلاغة؟! ..

و كيف لكذاب أن يأتي بكلام على البديهة هو من أبلغ الكلام؟! ..

و كيف لبشر كذاب أو غير كذاب أن يتكلم بأسلوبين أحدهما أبلغ من الآخر و كلاهما أبلغ مما سواهما

؟!

و كيف لكذاب أن يصبر كل هذا الصبر على دعوته ؟

و كيف لكذاب أن يصمد كل هذا الصمود أمام الإغراءات لترك دعوته ؟!

و كيف لكذاب ألا يقع - على كثرة كلامه - في التناقض أو الخطأ و لو مرة ؟!

و كيف لكذاب ألا يستغل الفرصة الذهبية للترويج لدجله ؟!

و كيف لكذاب أن يحتاط لنفسه حتى و هو في بيته وسط اهله ؟

و كيف لكذاب أن يقول الحق و إن كان في ذلك مخالفة قومه ؟!

و كيف لكذاب أن يسلي نفسه بالكذب ؟!

و كيف لبشر كذاب أو غير كذاب أن يتكلم عن الأجنة و لا يجانبه الصواب و لو مرة و ليس عنده

الأدوات الكافية لذلك ؟! تالله يا صاحبي إن المنطق الإلحادي لتقيل الظل .. سخيف القول .. عدم النفع ..

لا يأتيه الحق .. و تعال إلى المنطق الحق و القول الصدق .. تعال إلى التفسير السديد ..

قال الله تعالى " وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُءُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ "

تعال إلى الحق كله : " قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَأَكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا

تَعْقِلُونَ "

تعال إلى اليقين كله : " وَلَوْ لَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَبُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا "

تعال إلى الفهم كله : " تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا

فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ "

تعال إلى الإيمان كله : " فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ "

تعال إلى الفقه كله : " فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا "

تعال إلى العلم كله : " ذَلِكَ جِئًا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْفَى فِي جَهَنَّمَ

مَلُومًا مَدْحُورًا "

تعال بعيداً عن التناقض : " قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ

اللَّهِ يَجْحَدُونَ "

تعال إلى الخلق كله : سألوا عائشة زوج النبي ﷺ عن خلقه فقالت (كان قرآنًا يمشي على الأرض) . نعم

. نعم . هكذا تستقيم الأمور و تعدل الأفهام و تتناسق الأحداث و ينسجم الكون . هكذا . هكذا يظهر

كذب من قال " فيلسوف " (١)

المبحث السابع: منح البعثة المحمدية الستة، وأثرها في تاريخ الإنسان^(١)

تمهيد: إطلالة على البلاد والأمم في القرن السادس المسيحي

تعدت المدنية حدودها الطبيعية ونسيت القيم الخلقية كليا، بل كفرت بما صراحة وعلنا، وتغافل الإنسان عن كل غاية نبيلة، ومقصد شريف، وترقى في إرواء ظمئه الحيواني، وحل محل القلب الإنساني قلب الذئب والنمر والفهد، وتكون في جسمه معدة خيالية أو صناعية، ونفس أمارة بالسوء، لا يقر لها قرار، ولا يضبطها وازع أو رادع، وأصابت الإنسانية نوبة شديدة من الجنون، كادت تقضي عليها، وتقطع دابرها، وتستأصل شأفتها. إن فساد المدنية وهوسها وجنونها أشد من جنون الملكية والحكم الشخصي، وأوسع منه شرا لأنه حين يجن جنون شخص ضعيف نحيل واحد يقض مضاجع أهل الحارة كلها، وينغص عيشهم الهاديء. تصور ماذا يحدث في العالم، أما إذا جن جنون النوع البشري أجمع، وتنخر هيكل المدنية وتعفن، وفسدت طبيعة الإنسانية؟ هل له من رقية أو علاج؟

إلا أنه لم تفسد المدنية فحسب في ذلك الزمن، بل تفسخت جثتها، وتعفنت، ونشأت فيها ديدان قدرة، وأصبح الإنسان يقتنص الإنسان ويصطاده، ويتلذذ بسكراته وشدائده عند الموت، ويتمتع بحالة الاحتضار، كما يتمتع أحدنا بمنظر البساتين والأشجار والورود والأزهار، وبطرب ويهتز لاضطرابه وتقلبه على الحجر، ويفرح بأنين المصاب والمريض والمنكوب، وصراخه وعويله، كما يفرح بالشراب الهنيء والطعام الشهوي أو بالمنظر السار الجميل، سرح طرفك في تاريخ رومة التي تغتت أوربة وما تزال بفتوحها وبطولاتها، وأجنادها وتشريعها وحضارتها، تجد نموذجا حيا للقسوة البشرية التي بلغت قمته في هذا العصر، يقول «ليكي» في كتابه «تاريخ أخلاق أوربة» يصور جانبا من همجية الإنسان وضرارته، ووحشيته النادرة، يقول: «إن أكثر المناظر سحرا على نفوس أهل رومة، وأعظم تسلية ومتعة لهم، حين كان يسقط الجريح في مبارزة أحد الأبطال من بني جنسه، أو مصارعة سبع ضار يتشحط في دمه، هنالك كان يفلت الزمام، ويغلب الناس على أمرهم، ويفقدون رشدهم، فيتهالك الحشد الحاشد وفيه النساء والأطفال والشيوخ العجز على الدنو من هذا المنظر الرهيب، والإنسان البائس الشقي، وهو من بني جلدتهم وأبناء بلادهم، ليمتعوا نفوسهم بمشاهدة احتضاره، وليرن في آذانهم رنين أنينه، فقد كان أجمل من كل غناء وموسيقا، وسجع الطيور، وكان رجال الشرطة الذين كان من واجبهم المحافظة على النظام، يقفون مشدوهين مكتوفي الأيدي أمام هذه الموجة العارمة من المتعة الظالمة الآتمة، لا يملكون من أمرهم شيئا^(٢)

لقد كانت قصة الجاهلية الأولى أن حجرها الأساسي حاد عن موضعه، بل تحطم وتشمم ولم يبق أمل في إصلاحه، ووضع في محله الصحيح، ووقف الإنسان أمام المحكمة الإلهية ينتظر الحكم النهائي الأخير في مصيره،

(١) - هذا البحث أصله محاضرة ألقاها أبو الحسن الندوي في ٢٠ ربيع الآخر ١٣٩٥ هـ (٢/ ٥ / ١٩٧٥ م) في قاعة المحاضرات الكبرى بمدينة لكهنؤ - الهند، حضرها جم غفير من المثقفين من جميع طبقات الشعب، من المسلمين وغير المسلمين، نقلها إلى العربية الأستاذ محمد الحسيني رئيس تحرير مجلة «البعث» وهي جزء من الفصل الأخير من كتابه "السيرة النبوية" ص (٦٠٧-٦٤١) و (٥٩-٧٨)
٢ - راجع «تاريخ أخلاق أوربة» للمؤرخ الإنجليزي ليكي، ج ١، ص ٢٣٠. عن كتاب السيرة النبوية للندوي

هنالك بعث محمد صلى الله عليه وسلم ونادى صوت السماء: { وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين } [الأنبياء: ١٠٧] ، قصارى القول: إن القرن السادس المسيحي - الذي كانت فيه البعثة المحمدية - وما يليه من فترة زمنية، كان من أحط أدوار التاريخ، ومن أشدها ظلاما وبأسا من مستقبل الإنسانية وصلاحتها للبقاء والازدهار، قد أحسن المؤلف الإنجليزي المعروف هـ - ج - ولز H.G.Wells (تصوير هذا العصر، فقال - وهو يبحث الظروف السائدة في عهد الحكومتين؛ الساسانية والبيزنطية في القرن السادس للميلاد -:

«كانت العلوم والفلسفة والسياسة في حالة احتضار في عهد هذين النظامين المتحارين والمتجهين إلى الانحطاط، فقد كان الجيل الأخير من فلاسفة (أثينا) عاضا على المؤلفات الأدبية العتيقة بالنواجذ، بكل احترام وحب، ولو بدون فهم لها، فلما انقرض هذا الجيل، لم تبق طبقة ولا أفراد أحرار شجعان، يتزعمون حرية الفكر وحرية التعبير، ولا الذين يحتفظون - على الأقل - بتراث فكر حر، ويبحث نزيه جدي، على دأب القدماء والسابقين لهم.. وبجانب ما كان للفوضى السياسية والاجتماعية، كان من العوامل التي ساعدت على شلل الفكر الإنساني، وتجمد القرائح البشرية، إن هذا العصر كان عصر العصبية وعدم التسامح في ظلال الحكومتين الإيرانية والبيزنطية، فقد كانت هاتان الحكومتان دينيتين نوعا ما، وقد كانتا فرضتا قيودا على العقل البشري... وبعد ما قص الكاتب قصة زحف الإمبراطورية الإيرانية على الإمبراطورية البيزنطية، ثم انتصار البيزنطيين على الإيرانيين في شيء من التوسع، عاد إلى وصف التدهور الاجتماعي والحلقي السائد في أواخر القرن السادس المسيحي، فقال: «كان يسوغ لمتتبع - غير محنك ناضج الفكر - للأوضاع السائدة في أوائل القرن السابع المسيحي، أن يتنبأ بسهولة وبنقطة بأن أوربة، وآسيا، ستقعان تحت رحمة المغول الوحوش في غضون بضعة قرون قادمة، فلم تكن في أوربة الغربية أمارات للأمن والنظام وحكم القانون، وقد كانت المملكتان: البيزنطية والإيرانية مشغولتين في حرب إبادة وتدمير، بينما كانت الهند في حالة توزع وبؤس» (١) .

أصبحت اليهودية مجموعة من طقوس وتقاليد لا روح فيها ولا حياة، وهي - بصرف النظر عن ذلك - ديانة سلالية، لا تحمل للعالم رسالة، ولا للأمم دعوة، ولا للإنسانية رحمة جاء في «دائرة المعارف اليهودية» ما معناه: «إن سحق الأنبياء وغضبهم على عبادة الأوثان تدل على أن عبادة الأوثان والآلهة، كانت قد تسربت إلى نفوس الإسرائيليين ولم تستأصل شأفتها إلى أيام رجوعهم من الجلاء والنفى في بابل، وقد قبلوا معتقدات خرافية ومشركة، إن التلمود أيضا يشهد بأن الوثنية كانت فيها جاذبية خاصة لليهود» (٢) ، أما المسيحية فقد امتحنت بتحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، ووثنية الرومان المنتصرين ، منذ عصرها الأول، وأصبح كل ذلك ركاما، دفنت تحته تعاليم المسيح البسيطة، واختفى نور التوحيد وإخلاص العبادة لله وراء هذه السحب الكثيفة.

يتحدث كاتب مسيحي فاضل عن مدى تغلغل عقيدة التثليث في المجتمع المسيحي، منذ أواخر القرن الرابع الميلادي، فيقول: «تغلغل الاعتقاد بأن الإله الواحد مركب من ثلاثة أقانيم في أحشاء حياة العالم المسيحي وفكره، منذ ربع القرن الرابع الأخير، ودامت كعقيدة رسمية مسلمة، عليها الاعتماد في جميع أنحاء

(١) - ١٩٢٤ - ١٤٠ - ١٤٤ .
(٢) - Jewish Encyclopedia , VOL -XII , p. 568 - 69 ، عن كتاب السيرة النبوية للنندوي

العالم المسيحي، ولم يرفع الستار عن تطور عقيدة التثليث وسرها إلا في المنتصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي» (١) .

ويتحدث مؤرخ مسيحي معاصر عن ظهور الوثنية في المجتمع المسيحي في مظاهر مختلفة وألوان شتى، وتفنن المسيحيون في اقتباس الشعائر والعادات والأعياد والأبطال الوثنية من أمم وديانات عريقة في الشرك بحكم التقليد أو الإعجاب أو الجهل، جاء في «تاريخ المسيحية في ضوء العلم المعاصر»: «لقد انتهت الوثنية، ولكنها لم تلق إبادة كاملة، بل إنها تغلغت في النفوس واستكن كل شيء فيها باسم المسيحية وفي ستارها، فالذين تجردوا عن آلهتهم وأبطالهم وتخلوا عنهم أخذوا شهيدا من شهدائهم، ولقبوه بأوصاف الآلهة، ثم صنعوا له تمثالا، وهكذا انتقل هذا الشرك وعبادة الأصنام إلى هؤلاء الشهداء المحليين... ولم ينته هذا القرن حتى عمت فيهم عبادة الشهداء والأولياء، وتكونت عقيدة جديدة، وهي أن الأولياء يحملون صفات الألوهية، وصار هؤلاء الأولياء والقديسون خلقا وسطا بين الله والإنسان يحمل صفة الألوهية على أساس عقائد الأريسيين، وأصبحوا رمزا لقداسة القرون الوسطى وورعها وطهرها، وغيّرت أسماء الأعياد الوثنية بأسماء جديدة، حتى تحول في عام ٤٠٠ ميلادي عيد الشمس القديم إلى عيد ميلاد المسيح» (٢)، وجاء القرن السادس المسيحي، والحرب قائمة على قدم وساق، بين نصارى الشام والعراق وبين نصارى مصر، حول حقيقة المسيح وطبيعته، تحولت بها المدارس والكنائس والبيوت إلى معسكرات متنافسة يكفر بعضها بعضا، ويقتل بعضها بعضا، كأنها حرب بين دينين متنافسين، أو أمتين متحاربتين (٣)، فأصبح العالم المسيحي في شغل بنفسه عن محاربة الفساد، وإصلاح الحال، ودعوة الأمم إلى ما فيه صلاح للإنسانية.

أما المجوس فقد عرفوا من قديم الزمان بعبادة العناصر الطبيعية وأعظمها النار، وقد عكفوا على عبادتها أخيرا، يبنون لها هياكل ومعابد، وانتشرت بيوت النار هذه في طول البلاد وعرضها، وكانت لها آداب وشرائع دقيقة، وانقرضت كل عقيدة وديانة غير عبادة النار وتقديس الشمس، وأصبحت الديانة عندهم عبارة عن طقوس وتقاليد يؤدونها في أمكنة خاصة، أما خارج المعابد فكانوا أحرارا، يسرون على هواهم، وما تملي عليهم نفوسهم، وأصبح المجوس لا فرق بينهم وبين من لا دين لهم ولا خلاق، في الأعمال والأخلاق (٤)، يصف مؤلف «إيران في عهد الساسانيين» الدانماركي الأستاذ «آرتھر كرستين سين» طبقة رؤساء الدين ووظائفهم فيقول: «كان واجبا على هؤلاء الموظفين أن يعبدوا الشمس أربع مرات في اليوم، ويضاف إلى ذلك عبادة القمر والنار والماء، وكانوا مكلفين بأدعية خاصة، عند النوم والانتباه والاعتسال ولبس الزنار والأكل والعطس وحلق الشعر وقلم الأظفار، وقضاء الحاجة وإيقاد السراج، وكانوا مأمورين بألا يدعوا النار تنطفئ، وألا تمس النار والماء بعضهما بعضا، وألا يدعوا المعدن يصدأ، لأن المعادن عندهم مقدسة» (٥).

(١) - راجع كتاب «الصراع بين الدين والعلوم» للمؤلف الأوربي الشهير «دراپر» Draper ص ٤٠ ٤١. ملخص ما جاء في دائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة، مقال التثليث المقدس، ج ٤١٤ ص ٢٩٥.

(٢) - Rev. James Houston Bxter The History of Christianity In The Light of Modern Knowledge, Glasgow, 9591 (p. 704).

(٣) - راجع «فتح العرب لمصر» ل «ألغريدتلر» تعريب محمد فيد أبو حديد، ص ٣٧، ٣٨، ٤٧. والسيرة للدودي ص ٦٠ وما بعدها.

(٤) - أقرأ كتاب «إيران في عهد الساسانيين» للبروفيسور «آرتھر كرستين سين» أستاذ الألسنة الشرقية في جامعة «كوبنهاجن» بالدانمارك، المتخصص في تاريخ إيران، و «تاريخ إيران» تأليف «شاهين مكارهوس» المجوسي.

(٥) - إيران في عهد الساسانيين: ص ١٥٥.

أما البوذية- الديانة المنتشرة في الهند وآسيا الوسطى- فقد تحولت وثنية تحمل معها الأصنام حيث سارت، وتبني الهياكل، وتنصب تماثيل «بوذا» حيث حلت ونزلت، ولم يزل العلماء يشكون في إيمان هذه الديانة ومؤسسها بالإله الخالق للسموات والأرض والإنسان ولا يجدون ما يثبت ذلك، ويحارون في قيام هذه الديانة العظيمة بغير الإيمان بالله فيها (١).

أما البرهمية- دين الهند الأصيل- فقد امتازت بكثرة المعبودات والآلهة والإلهات، وقد بلغت الوثنية أوجها في القرن السادس فبلغ عدد الآلهة في هذا القرن إلى ٣٣٠ مليون وقد أصبح كل شيء رائع، وكل شيء هائل، وكل شيء نافع، لها يعبد (٢)، وارتقت صناعة نحت التماثيل في هذا العهد، وتأنق فيها المتأفقون، يقول الأستاذ الهندوكي الفاضل «سي، وي، ويد» في كتابه (تاريخ الهند الوسطى) وهو يتحدث عن عهد الملك هرش (٦٠٦- ٦٤٨ م) وهو العهد الذي يلي ظهور الإسلام في الجزيرة العربية: «كانت الديانة الهندوكية والديانة البوذية وثنيتين سواء بسواء، بل ربما كانت الديانة البوذية قد فاقت الديانة الهندوكية في الإغراق في الوثنية، كان ابتداء هذه الديانة- البوذية- بنفي الإله، ولكنها بالتدريج جعلت «بوذا» الإله الأكبر، ثم أضافت إليه آلهة أخرى مثل Bodhistavas على مر الزمن، لا سيما أرسخت الوثنية قدميها في المدرسة البوذية الفكرية التي تسمى «مهايانا» بالتأكيد، وقد بلغت أوجها في الهند، حتى أصبحت كلمة «بوذا» Buddha (مرادفة لكلمة «الوثن» أو «الصنم» في بعض اللغات الشرقية، مما لا شك فيه أن الوثنية كانت منتشرة في العالم المعاصر كله، لقد كانت الدنيا كلها من البحر الأطلسي إلى المحيط الهادئ غارقة في الوثنية، وكأنما كانت المسيحية والديانات السامية والديانة البوذية تتسابق في الأوثان وتقديسها، وكانت كخيل رهان تجري في حلبة واحدة» (٣).

والإمبراطورية الرومانية الشرقية وأصبح الهم الوحيد اكتساب المال من أي وجه، ثم إنفاقه في الترف، وقد أمعنوا في طرق التسلية، حتى وصلوا فيها إلى الوحشية (٤)، جاء في كتاب «الحضارة ماضيها وحاضرها» تصوير لما كان عليه المجتمع البيزنطي من التناقض والاضطراب والهيام بالتمتع والتسلية، وإن وصلت إلى حد القسوة والهمجية، فيقول المؤلفان: «كان هناك تناقض هائل في الحياة الاجتماعية للبيزنطيين، فقد رسخت النزعة الدينية في أذهانهم، وعمت الرهبانية، وشاعت في طول البلاد وعرضها، وأصبح الرجل العادي في البلاد يتدخل في الأبحاث الدينية العميقة، والجدل البيزنطي، ويتشاغل بها. كما طبعت الحياة العادية العامة بطابع المذهب الباطني، ولكن نرى هؤلاء- في جانب آخر- حريصين أشد الحرص على كل نوع من أنواع اللهو واللعب، والطرب والترف، فقد كانت هناك ميادين رياضية واسعة تتسع لجلوس ثمانين ألف شخص، يتفرجون فيها على مصارعات بين الرجال والرجال أحيانا، وبين الرجال والسباع أحيانا أخرى. وكانوا يقسمون الجماهير في لونين: لون أزرق ولون أخضر، لقد كانوا يحبون الجمال، ويعشقون العنف والهمجية، وكانت ألعابهم دموية ضارية أكثر

(١) - راجع كتاب «الهند القديمة» للأستاذ «إيشورا توبا» أستاذ تاريخ الحضارة الهندية في جامعة «حيدرآباد» الهند، وكتاب «اكتشاف الهند» The Discovery of India (لمؤلفه «جواهر لال نهرو» رئيس وزراء الهند الأسبق، ص ٢٠١- ٢٠٢، اقرأ مقالة «بوذا» في دائرة المعارف البريطانية.

(٢) - راجع «الهند القديمة» لمؤلفه «آر، سي، دت» ج ٣؛ ص ٢٧٦، و «الهندوكية السائدة» لمؤلفه L.S.S.O Malley، ص ٦- ٧.
(٣) - C.V.Vaidya:History of Mediaeval Hindu India, Vol, I, Poona, 1291 (p.101- 7
C.I.E.I.I.C.S.:Popular Hinduism, the Religion of the Masses) Cambridge, 5391 (pp.6- 7

(٤) - كتاب «سقوط دولة روما وانحطاطها» لإدوارد جيون: ٣- ٥.

الأحيان، وكانت عقوباتهم فظيعة تقشعر منها الجلود. وكانت حياة سادتهم وكبرائهم عبارة عن المجون والترف، والمؤامرات والمغاملات الزائدة، والقبايح والعادات السيئة»^(١).

أما الأمم الأوربية- المتوغلة في الشمال والغرب- فكانت تعيش في ظلام الجهل والامية، والحروب الدامية، وكانت بعيدة عن جادة قافلة الحضارة الإنسانية، والعلوم والآداب، لا شأن للعالم بها ولا شأن لها بالعالم، كانت أجسامهم قدرة، ورؤوسهم مملوءة بالأوهام^(٢)، وكانوا يزهدون في النظافة واستعمال الماء، ويغالي الرهبان منهم في تعذيب الأجسام، والفرار من الإنسان^(٣)، وكانوا يبحثون في أن المرأة حيوان أم إنسان، ولها روح خالدة أم ليست لها روح خالدة، وأن لها حق الملكية، والبيع، والشراء، أم ليس لها شيء في ذلك؟ يقول روبرت بريفولت (Robert Briffault): لقد أطبق على أوربة ليل حالك من القرن الخامس إلى القرن العاشر، وكان هذا الليل يزداد ظلاما وسوادا، وقد كانت همجية ذلك العهد أشد هولاً، وأفظع من همجية العهد القديم، لأنها كانت أشبه بجنّة حضارة كبيرة قد تعفنت، وقد انطمست معالم هذه الحضارة، وقضى عليها بالزوال، وقد كانت الأفطار الكبيرة التي ازدهرت فيها هذه الحضارة وبلغت أوجها في الماضي، كإيطاليا، وفرنسا، فريسة الدمار والفوضى والخراب»^(٤).

لم يعرف في تاريخ البشرية كله عمل أدق وأعقد، ومسؤولية أعظم وأضخم، من مسؤولية محمد صلى الله عليه وسلم كنبى مرسل ، كما أنه لم يعرف غرس أثمر مثل غرسه، وسعي تكليل بالنجاح مثل سعيه، إنها أعجوبة العجائب، ومعجزة المعجزات.

شهد بذلك أديب وشاعر فرنسي في قوة وبلاغة، ووضوح وصراحة، يقول لامارتين Lamartine :
«إن إنسانا لم ينهض أبدا- متطوعا أو غير متطوع- لمثل هذا الهدف الأسمى، لأن هذا الهدف كان فوق طاقة البشر، لقد كان تحطيم تلك الحواجز من الأوهام والأحلام، التي حالت بين الإنسان وخالقه، والأخذ بيد الإنسان إلى عتبة ربه، وتحقيق عقيدة التوحيد النقية العقلية المعقولة الساطعة، في ضباب هذه الوثنية السائدة والآلهة المادية، هو ذلك الهدف الأسمى والأعلى، إنه لم يحمل إنسان مثل هذه المسؤولية الضخمة، والمهمة العظيمة الجليلة، التي تخرج عن طوق البشر، بمثل هذه الوسائل الحقيرة الضئيلة».... إلى أن قال: «وأروع من ذلك أنه هز تلك الأصنام والآلهة، والأديان، والتصورات، والعقائد والنفوس الإنسانية هزة عنيفة، إنه بنى على أساس ذلك الكتاب الذي يعتبر كل كلمة منه مصدر التشريع، قومية ربانية، ألقت بين أفراد كل جيل، وسلالة، ولغة.... إن الميزة الخالدة لهذه الأمة، التي كونها لنا محمد صلى الله عليه وسلم أنها شديدة المقت والتفرز من الآلهة الباطلة، شديدة الحب لله الواحد الذي يتنزه عن المادة وشوائبها، وهذا هو الحب الذي يدفعه إلى الثأر والانتصاف من كل إهانة توجه إلى الذات الإلهية، وهذا الحب يعتبر أساس سائر الفضائل عند هذه الأمة... لقد كان إخضاع ثلث العالم لهذه العقيدة الجديدة من مآثرته بلا ريب، لكن الأصح أنه كان معجزة

(١) - T.Walter Wallbank and Alastair M.Taylor: Civilisation, Past and Present, 4591 (pp.162- 26)

(٢) - تاريخ الفلسفة: للبروفيسور ثيلي. (Thilly)

(٣) - اقرأ للتفصيل كتاب «تاريخ الأخلاق الأوربية» لمؤلفه الشهير Lecky (ج ٢، باب «من قسطنطين إلى شارلمان» .

(٤) - (The Making of Humanity, p. 461)

العقل لا معجزة فرد واحد، إن الإعلان بعقيدة التوحيد في زمن كانت تمن فيه الدنيا تحت وطأة أصنام لا حصر لها، كان معجزة مستقلة بذاتها، وما لبث محمد صلى الله عليه وسلم أن أعلن هذه العقيدة أمام الملائ، حتى أفقرت المعابد القديمة من عبادها فلا داعي فيها ولا مجيب، وتكهرب ثلث العالم بجملة الإيمان» (١)

أكبر مظهر من مظاهر الرحمة، وأروع صورة من صورها الجميلة أن ينقذ أحدنا أخاه من مخالب الموت ، تصوّر ماذا يقال لهذا الطبيب مثلاً؟ وإعادة الحياة إليه؟ هنالك تتلاشى كلّ هذه الأنواع من الرحمة التي قدمناها له سابقاً أياً كان صورها، وتذوب أمام هذا المظهر الرائع الأثخا من الرحمة، إنها ليست منة على الطفل فقط، بل على أسرته كلّها، نرى أعمى يمشي متوكّفاً على عصاه، قد شارف هوّة عميقة أو بئراً، قد تكون خطوته التالية خطوة الموت، فيهرول إليه عبد من عباد الله ويأخذ بحجزه، ويمنعه عن الوقوع في هذه الهوّة، أفلا نسّميه ملك الرحمة؟ شابّ يافع، قرّة عين أبويه، وكفيل عائلته الفقيرة، قد أشرف على الغرق في نهر فائض يحاول أن يطفو على الماء، ولكن بدون جدوى، فيقفز إليه رجل مجازفاً بحياته، ويأخذ به إلى ساحل النجاة، فيحمله ربّ الأسرة أو إخوة هذا الشاب على أعناقهم، ويضمّونه إلى صدورهم بحرارة وحبّ، ولا ينسون فضله على أسرهم الصغيرة مدى الدهر، ترى هل تساوي مظاهر الرحمة الحانية البسيطة هذه الرحمة العظيمة الغالية؟! .

إن البعثة المحمدية بشهادة كثير من المؤرخين أنقذت الجيل البشري من الشقاء والهلاك إنما أعلى مظهر من مظاهر الرحمة وقيمتها وذروة سنامها، أن ينقذ رجل الإنسانيّة كلّها من الهلاك، وهناك فرق عظيم بين هلاك وهلاك، وبين خطر وخطر، ذلك هلاك محدود سطحيّ، وخطر عابر قد يزول، وهذا هلاك أبديّ، وخطر مستمرّ لا يزول، لذلك فإنّ رحمة الأنبياء بالنوع البشريّ لا تقاس أبداً على هذه الرحمات، رغم أهميّتها وعظمتها.

إنّ أماننا بحرا هائجاً مائجاً من الحياة لم يلتقم الأفراد والآحاد فحسب، بل إنّ ابتلع الأمم والبلاد، وهضم الحضارات والمدنيّات، ترتفع أمواجه العاتية الهائلة، كأفواه التماسيح الفاغرة، وتنقضّ على الجماعات البشريّة كالأسد الضاري، والمشكلة أنّه كيف نعبّر هذا البحر الهادر الزاخر الذي لا يعرف الرحمة؟، وكيف ننزل بسفينة الإنسانية على برّ الأمان؟. لقد تغيّرت الدّنيا بعد بعثة النّبّي صلى الله عليه وسلم بفضل تلك التعاليم السامية، كما يتغيّر الطقس، وانتقلت الإنسانية من فصل كلّه جدب وخريف، وسموم وحميم، إلى فصل كلّه ربيع وأزهار، وجنات تجري من تحتها الأنهار، تغيّرت طباع الناس، وأشرقت القلوب بنور ربّها، وعمّ الإقبال على الله، واطّلع الإنسان على طعم جديد لم يألفه، وذوق لم يجزّبه، وهيام لم يعرفه من قبل.

إنّ هذا الانقلاب العظيم، والدور الزاهر الجديد معجزة من معجزات محمّد ومأثرة من مآثر بعثته، ونفحة من نفحات الرحمة الإلهية التي عمّت الأمكنة كلّها، والأزمنة كلّها، وصدق الله العظيم: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ [الأنبياء: ١٠٧] ، مهمّة النبوة ودورها في إنقاذ البشريّة المشرفة على الغرق، وهذه طبيعة عمل الأنبياء والرسول، وامتيازها عن سائر أصناف التعليم والتربية، والترويح والتسلية

لما غرقت سفينة الحياة لفساد أخلاق الناس، وسيئات أعمالهم، غرقت بكل ما فيها من مجموعة بشرية، ورسيد حضاري، ومحصول فكري، وإنتاج علمي وفلسفي، وبكل ما فيها من روائع الشعر والأدب والبيان، وأن هذه السفينة لم تغرق أبدا من أجل الانحطاط الأدبي، وقلة المدارس والجامعات، وفقدان التعليم العالي، أو من قلة المال وانخفاض مستوى المعيشة، إنما غرقت لأن الإنسان أعد نفسه للانتحار، إنه صار معولا هداما لذلك البناء الذي فيه متاعه وأهله.

إن التاريخ يدلنا على أن الفكر الإنساني أصيب في كثير من الأحيان بنوبات عصبية دفعته إلى التدمير والإبادة، بدلا من التعمير والبناء، ذلك هو الوضع الذي ساد على العالم في القرن السادس المسيحي، فإننا نجد هناك استعدادات عامة للانتحار الاجتماعي العام، لم يكن النوع البشري في ذلك الزمان راضيا بالانتحار فحسب، بل كان يتساقط عليه، ويتهالك فيه، كأنه نذر به وحلف، فيريد أن يفني بذره ولا يحنث في قسمه، ولقد صور القرآن العظيم هذا المنظر وهذا الوضع تصويرا دقيقا، لا يصوره أي رسام أو أديب، أو روائي أو مؤرخ: {وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها} [آل عمران: ١٠٣].

وصوره النبي فقال: «مثلي كمثلي رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبهن، فيقتحمن فيها، فذلك مثلي ومثلكم أنا أخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تقتحمون فيها»، وقال في آخرها: «فذلك مثلي ومثلكم، أنا أخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني وتقتحمون فيها» (١).

ونذكر الآن على سبيل المثال لا الحصر ستة من معطياته الهامة، ومنحه الأساسية الغالية التي كان لها الدور الأكبر في توجيه النوع البشري، وإصلاحه وإرشاده، ونهضته وازدهاره والتي خلقت عالما مشرقا جديدا لا يشبه العالم الشاحب القديم في شيء. وصدق جون ويليام في كتابه " تاريخ التطور الفكري": كان لمحمد أعظم تأثير على الجنس البشري

١ - عقيدة التوحيد النقية الواضحة:

مأثرته الأولى ﷺ أنه منح الإنسانية عقيدة التوحيد الصافية الغالية: فهي عقيدة نائرة معجزة، متدققة بالقوة والحياة، مقلبة للأوضاع، مدمرة للآلهة الباطلة، لم تنل ولن تنال الإنسائية مثلها إلى يوم القيامة. هذا الإنسان الذي يحمل دعاوى فارغة، ومزاعم جوفاء من الشعر والفلسفة والسياسة والاجتماع، والذي استعبد الأمم والبلاد مرارا كثيرة، والذي حوّل الأحجار الصماء أزهارا عابقة فيحاء، وفجر الأنهار من بطون الجبال، والذي ادعى الزبونية أحيانا، هذا الإنسان كان يسجد لأشياء تافهة لا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تمنع، وكان يركع أمام أشياء صنعها بنفسه، ويخافها، ويرجو منها الخير، إنه لم يحز ساجدا للجبال والأنهار، والأشجار والحيوانات، والأرواح والشياطين، وسائر مظاهر الطبيعة فحسب، بل سجد للحشرات والديدان أيضا، وقضى حياته كلها بين هواجس ووساوس وبين أخيلة وأوهام، وأمان وأحلام، كانت نتيجته الطبيعية الجبن والوهن،

(١) - متفق عليه [أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، برقم (٦٤٨٣)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب شفقتة صلى الله عليه وسلم على أمته ... برقم (٢٢٨٤)، والترمذي في أبواب الأدب، باب ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وماله، برقم (٢٨٧٤)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والفوضى الفكرية، والقلق النفسي وفقدان الثقة، وعدم الاستقرار. فأغناه صلى الله عليه وسلم بعقيدة صافية نقيّة سهلة سائغة، حافزة للهمم، باعثة للحياة، فتخلّص من كلّ خوف ووجل، وصار لا يخاف أحدا إلا الله، وعلم علم اليقين، أنّه وحده هو الضارّ والنافع، والمعطي والمانع، وأنّه وحده الكفيل لحاجات البشر.

فتغيّر العالم كلّ في نظره بهذه المعرفة الجديدة، والاكتشاف الجديد، وصار مصنونا عن كلّ نوع من العبوديّة والرقّ، وعن كلّ رجاء وخوف من المخلوق، وعن كلّ ما يشتت ويشوّش الأفكار، فقد شعر بوحدة في هذه الكترة، واعتبر نفسه أشرف خلق الله، وسيد هذه الأرض، وخليفة الله فيها، يطيع ربّه وخالقه، وينقذ أمره، ويحقق بذلك هذا الشرف الإنسانيّ العظيم، والعظمة الإنسانيّة الخالدة التي حرمتها الدنيا منذ زمن بعيد. إنّها البعثة المحمدية التي أتحفت الإنسانية بهذه التحفة النادرة- عقيدة التوحيد- التي كانت مجهولة مغمورة، مظلومة مغبونة، أكثر من أيّ عقيدة في العالم، ثمّ ردّد صداها العالم كلّ، وتأثرت بها الفلسفات العالمية والدعوات العالميّة كلّها في قليل أو كثير.

إنّ بعض الديانات الكبيرة التي نشأت على الشّرك وتعدّد الآلهة وامتزجت به لحما ودماء، اضطرت في الأخير إلى أن تعترف- ولو بصوت خافت، وهمسة في الآذان- أنّ الله واحد لا شريك له، وأرغمت على تأويل معتقداتها المشتركة تأويلا فلسفيا يبرئها من تهمّة الشرك والبدعة، وتجعلها متشابهة بعقيدة التوحيد في الإسلام بقدر ما، وبدأ رجالها وسدنتها يستحون من الاعتراف بالشّرك، ويحجلون من ذكره، وأصيبت هذه الأنظمة المشتركة كلّها بمرّكب النقص، والشعور بالصّغار والهوان (Inferiority Complex) فكانت هذه التحفة أعلى التّحف التي سعدت بها الإنسانيّة بفضل بعثته صلى الله عليه وسلم.

فالقرآن هو منتهى الرقي في تنقية العقيدة التوحيدية من أية شوائب كفرية؛ يقول د. الطيب بو عزة : "يؤكد القرآن دائما دور الكتب المقدسة في المسألة التوحيدية، ومع ذلك يؤكد القرآن دائما على إخراج الذات الإلهية من نطاق الأنانية اليهودية - حيث الرب القومي لليهود- ، والتعدد المسيحي - حيث عقيدة الثالوث الموعلة في التشويش والارتياب- ، فالله ربُّ العالمين واحدٌ أحدٌ ليس كمثل شَيْءٍ وهو السميع البصير، ولذا فقد خرجت التعديلات اللاهوتية اللاحقة على اليهودية والمسيحية على يد توما الأكويني وموسى بن ميمون كإفراز لقراءتهم المنشور الإسلامي في عقيدته الصافية بالله، والتي شوهتها معاصي اليهود والمسيحيين، فحاول الرجلان تنسيق ديانتيهما بما يتناسب مع المنشور الجديد الذي سيجذب كل أتباع الديانات إليه إذا لم يحدث تدخل سريع لمواربة الصدع ومحاولة التقرب من عقيدة الإسلام النقية، وإثبات أن كلتا العقيدتين الأخريين بناؤهما الأصلي وعمادهما أيضا على توحيد الله في الصيغة النهائية، فالتحسينات التي أُدخلت على العقيدتين لم يكن منها مناص لإيقاف أفواج الداخلين في الدين الجديد"

٢- مبدأ الوحدة الإنسانية والمساواة البشرية:

ومأثرته الثانية العظيمة، ومنته الباقية السائرة في العالم، هو تصوّر الوحدة الإنسانيّة والمساواة البشرية، كان الإنسان مورّعا بين قبائل وأمم وطبقات بعضها دون بعض، وقوميّات ضيقة، وكان التفاوت بين هذه الطبقات

تفاوتا هائلًا كتفاوت ما بين الإنسان والحيوان، وبين الحرّ والعبد، وبين العابد والمعبود، لم تكن هناك فكرة عن الوحدة والمساواة إطلاقًا، فأعلن النبي صلى الله عليه وسلم بعد قرون طويلة من الصمت المطبق، والظلام السائد ذلك الإعلان الثائر، المدهش للعقول، القالب للأوضاع: «أيّها الناس إن ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلّكم لآدم، وآدم من تراب، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربيّ على أعجميّ فضل إلا بالتقوى» (١).

وهذا الإعلان يتضمّن إعلانين، هما الدعامتان اللتان يقوم عليهما الأمن والسلام، وعليهما قام السلام في كلّ زمان ومكان، وهما: وحدة الربوبية والوحدة البشرية، فالإنسان أخو الإنسان من جهتين، والإنسان أخو الإنسان مرتين، مرة «وهي الأساس» لأنّ الربّ واحد، ومرة ثانية لأنّ الأب واحد {يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١] ،

{يا أيّها النّاس إنّنا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣] .

إنّها كلمات خالدة جرت على لسان النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، وحينما قام النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الإعلان التاريخي العظيم، لم يكن العالم في وضع طبيعي هادئ يسبغ فيه هذه الكلمات الجريئة الصريحة، وبطيقها، إنّ هذا الإعلان لم يكن أقلّ من زلزال هائل عنيف، إنّ هناك أشياء قد تتحمّلها بصورة تدريجيّة، أو من وراء ستار، مثل التيار الكهربائي، فقد نلمسه إذا كان مغطى، أو داخلًا في باطن الأسلاك،.. ولكننا إذا لمسناه عاريا أصابتنا صدمة عنيفة، أو قضى علينا بتاتا.

إنّ هذه الأشواط البعيدة، والمسافات الشاسعة من العلم والفهم، والفكر الإنسانيّ التي قطعها الإنسانيّة اليوم بفضل الدعوة الإسلاميّة، وظهور المجتمع الإسلاميّ، وبجهود الدعاة، والمصلحين والمرتبين، جعلت هذا الإعلان الهائل، الثائر الفائر، المزلزل لأوكار الجاهلية، ومعقل الشرك والوثنيّة والعنصريّة في العالم، منها ميثاق حقوق الإنسان (Human Rights Charter) الذي حملت لواءه الأمم المتّحدة، وتصريحات تقوم بها كلّ جمهورية وكلّ مؤسسة عن الحقوق الإنسانيّة، والمساواة الإنسانيّة، فلا يستغربها أحد.

ولكن أتى على الإنسان حين من الدهر، سادت فيه عقيدة أشرفيّة بعض الأمم والأسر وكونها فوق مستوى البشر، وكانت بعض الأسر والسلاطات تعزو نسبها إلى الشمس والقمر، وإلى الله سبحانه: {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُقُولُونَ غُلُوًّا كَبِيرًا} [الإسراء: ٤٣] ، إنّ القرآن حكى لنا قول اليهود والنصارى، فقال: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} [المائدة: ١٨] ، وكان فراعنة مصر يزعمون أنّهم تجسّد لإله الشمس، «ر ع Ray) (ومظهر له، أمّا في الهند فقد عرفت فيها أسرتان سمّيتا «سورج بنسي» يعني: أبناء الشمس، و«جندرنسي» أبناء القمر، أمّا في إيران فقد كانت أكاسرتها يزعمون أنّه يجري في عروقهم الدم الإلهي، وكان أهل البلاد ينظرون إليهم نظرة تقديس وتألّيه، وكان من ألقاب كسرى أبرويز (٥٩٠ - ٦٢٨ م) ووصفه: «في

(١) - كثر العمال (٩٣/٣) برقم (٥٦٥٢) .

الآلهة إنسان غير فان، وفي البشر إله ليس له ثان، علت كلمته، وارتفع مجده، يطلع مع الشمس بضوئه وينير الليالي المظلمة بنوره» (١)، وكذلك كانت القياصرة آلهة، فكان كلٌّ من تملك زمام البلاد كان إلهًا، وكان لقبهم August (يعني «المهيب الجليل» (٢))، أما الصّينيون فكانوا يعتبرون الإمبراطور ابن السماء، ويعتقدون أنّ السماء ذكر والأرض أنثى، وبتصالهما خلق هذا الكون، وأنّ الإمبراطور حتا الأول هو بكر هذين الزوجين (٣). أما العرب فكانوا يعتبرون كلٌّ من سواهم «العجم» وكانت قبيلة قريش ترى نفسها أشرف قبائل العرب، وتحافظ على امتيازها في الموسم، فلا تشارك الناس في موافقهم ومساكنهم، ولم تكن تدخل عرفات مع الحجيج، بل تبقى في الحرم وتقف بالمزدلفة، وتقول: نحن أهل الله في بلدته، وقطّان بيته، وتقول: نحن حمس يؤكّد القرآن دائما على إخراج الذات الإلهية من نطاق الأنانية اليهودية - حيث الرب القومي لليهود - ، والتعدد المسيحي - حيث عقيدة الثالوث الموغلة في التشويش والارتياب - ، فالله ربُّ العالمين واحدٌ أحدٌ ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير، ولذا فقد خرجت التعديلات اللاهوتية اللاحقة على اليهودية والمسيحية على يد توما الاكوييني وموسى بن ميمون كإفراز لقراءتهم المنشور الإسلامي في عقيدته الصافية بالله، والتي شوهتها معاصي اليهود والمسيحيين، فحاول الرجلان تنسيق ديانتيهما بما يتناسب مع المنشور الجديد الذي سيجذب كل أتباع الديانات إليه إذا لم يحدث تدخل سريع لمواربة الصدع ومحاولة التقرب من عقيدة الإسلام النقية، وإثبات أن كلتا العقيدتين الأخريين بناؤهما الأصلي وعمادهما أيضا على توحيد الله في الصيغة النهائية، فالتحسينات التي أدخلت على العقيدتين لم يكن منها مناص لإيقاف أفواج الداخلين في الدين الجديد^٥

٣ - إعلان كرامة الإنسان وسموه:

والمنة الثالثة العظيمة على النوع البشريّ، هو إعلان كرامة الإنسان وسموه، وشرف الإنسانيّة وعلوّ قدرها: لقد بلغ الإنسان قبل البعثة المحمديّة إلى حضيض الذلّ والهوان، فلم يكن على وجه الأرض شيء أصغر منه وأحقر، وكانت بعض الحيوانات «المقدّسة» وبعض الأشجار «المقدّسة» التي علقت بها أساطير ومعتقدات خاصة أكرم وأعزّ عند عبّادها، وأجدر بالصيانة، والمحافظة عليها من الإنسان، ولو كان ذلك على حساب قتل الأبرياء، وسفك الدماء. وكانت تقدّم لها القرابين من دم الإنسان ولحمه من غير وخز ضمير وتأنيب قلب، وقد رأينا بعض نماذجها وصورها البشعة في بلاد متقدّمة راقية، كالهند في القرن العشرين.

فأعاد سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى الإنسانيّة كرامتها وشرفها، وردّ إليها اعتبارها وقيمتها، وأعلن أنّ الإنسان أعزّ وجود في هذا الكون، وأعلى جوهر في هذا العالم، وليس هنا شيء أشرف وأكرم، وأجدر بالحبّ، وأحقّ بالحفاظ عليه من هذا الإنسان، إنّه رفع مكانته حتى صار الإنسان خليفة الله ونائبه، خلق له العالم، وهو خلق الله وحده، {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً} [البقرة: ٢٩] ، وأتته أشرف

(١) - إيران في عهد الساسانيين: ص ٦٠٤.

(٢) - راجع العالم الروماني The Roman World (تأليف) Victor Choptart ص ٤١٨.

(٣) - انظر «تاريخ الصين» بقلم جيمس كاركون.

(٤) - انظر كتب الحديث والسيرة، للعلم عرفات خراج الحرم، (والحمس: قريش وما ولدت، أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب التعجيل إلى الموقف، برقم (١٦٦٥)، ومسلم في كتاب الحج، باب في الوقوف، وقوله تعالى ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ. برقم (١٢١٩)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) - عن بعض مقالات د. الطيب بو عزة على منتدى التوحيد

خلق الله، وفي مكان الرئاسة والصدارة: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: ٧٠] .

وليس أدل على كرامته والاعتراف بعظمته من قوله: «الخلق عيال الله، فأحب الناس إلى الله من أحسن إلى عياله»^(١). وليس هنا أبلغ في الدلالة على سمو الإنسانية، والتقرب إلى الله بخدمتها، والعطف عليها، من الحديث الذي رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا بَنِي آدَمَ، مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي! قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرَضَ فَلَمْ تَعُدْهُ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ. يَا بَنِي آدَمَ، اسْتَطَعَمْتُكَ فَلَمْ تَطْعَمْنِي! قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَطْعَمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنََّّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَطْعَمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي. يَا بَنِي آدَمَ، اسْتَسْقَيْتَكَ فَلَمْ تَسْقِنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»^(٢).

هل يتصوّر إعلان أوضح وأفصح بسمو إنسانيته، وعلو مكانة الإنسان من هذا الإعلان؟ وهل فاز الإنسان بهذه المكانة السامقة والشرف العالي في أيّ ديانة وفلسفة في العالم القديم والحديث؟.

إنه صلى الله عليه وسلم جعل الرحمة على بني آدم الشرط اللازم لجلب رحمة الله، فقال عليه السلام: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنَ السَّمَاءِ»^(٣)، ترى ما كان عليه وضع العالم، وحالته الاجتماعية والسياسية، قبل أن ينهض النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الدعوة، دعوة الوحدة الإنسانية، والكرامة الإنسانية، ويجاهد في سبيلها أبلغ جهاد؟ لقد كان ثمن شهوة فرد واحد، وهوى شخص واحد قبل بعثته صلى الله عليه وسلم أكبر، وأعلى من أرواح الآلاف ومئات الآلاف من البشر، ينهض ملك واحد، وإمبراطور واحد، يكتسح البلاد، ويستعبد العباد، ويضرب الرقاب، ويهلك الحرث والنسل، ويأتي على الأخضر واليابس، لتحقيق مأرب حقير في نفسه، ويزحف الإسكندر حتى يبلغ الهند، ويدمر في طريقه حضارات ومدن، وينهض شره ويقتنص الفغات البشرية، كما يقتنص أحدنا حيوانات الغابة.

واندلعت في زماننا حريان علميتان ذهب ضحيتهما ملايين، ولم يكن ذلك إلا نتيجة صلف قومي، وأنانية فردية، وشهوة الحكم، والسيطرة على الأسواق التجارية العالمية.

٤ - محاربة اليأس وسوء الظن بالفطرة ، وبعث الأمل والرجاء والاعتزاز في نفس الإنسان:

(١) - أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٥٦ / ٥) برقم (٥٥٤١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

(٢) - أخرجه مسلم في صحيحه [في كتاب البر والصلة، باب فضل عيادة المريض، برقم (٢٥٦٩)] .

(٣) - أخرجه أبو داود [في كتاب الأدب، باب في الرحمة، برقم (٤٩٣١)] ، والترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الناس، برقم (١٩٢٤) من حديث عائشة رضي الله عنها، وقال: هذا حديث حسن صحيح] .

المأثرة الرابعة أنّ أكثر أفراد النوع الإنساني كانوا مصابين باليأس من رحمة الله، وبسوء الظنّ بالفطرة الإنسانية السليمة، وكان في إيجاد هذا الجوّ الخاصّ، والحالة العقلية الخاصة دور كبير لبعض الديانات الشرقيّة القديمة، والمسيحية المحرّفة في أوربة، وفي الشرق العربي.

فقد دانت الديانات القديمة في الهند بعقيدة التناسخ، وفلسفته التي لا مجال عندها في إرادة الإنسان وتصرفه مطلقاً، وأنّ كلّ إنسان مضطرّ لا محالة لنيل عقوبة ما، لما قدّمت يدها في حياته الأولى، وذلك بالظهور في شكل سبع مفترس، أو دابة سائمة، أو حيوان خسيس، أو إنسان شقيّ معذب، بينما نادى المسيحيّة بأنّ الإنسان عاص ومذنب بالولادة والفطرة، والمسيح صار كفّارة وفداء له عن هذه الذنوب، فأنشأت هذه العقيدة - بطبيعة الحال - في نفوس الملايين في العالم المتمدّن المعمور الذين اعتنقوا المسيحيّة سوء ظنّ بنفوسهم، ويأساً عن مستقبلهم، وعن الرحمة الإلهية.

هنالك أعلن النبيّ صلى الله عليه وسلم بكلّ قوّة وصراحة، أنّ فطرة الإنسان هي كاللوح الصافي، الذي لم يكتب عليه بعد، ويمكن أن ينقش فيه أروع نقش، ويجرر فيه أجمل تحرير، وأنّ الإنسان يستهلّ حياته بنفسه، ويستحقّ الثواب والعقاب، والجنة والنار بعمله، وهو غير مسؤول عن عمل غيره، فقد ذكر القرآن في مواضع كثيرة، أنّ الإنسان مسؤول عن عمله فحسب، وأنّه مثاب ومشكور على سعيه: {الَّذِينَ تَزَرُّوا زُرّاً وَزَرَّ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى} [النجم: ٣٨ - ٤١] ، هذا الإعلان أعاد إلى الإنسان ثقته المفقودة بفطرته ومواهبه الطبيعيّة، وانطلق إلى الأمام بعزم قويّ، وحماس زائد، وعاطفة جياشة ليصنع مصيره ومصير الإنسانية، ويجرّب حظّه وقدرته في تلك الإمكانيات الهائلة، والفرص الغالية.

إنّ محمّداً صلى الله عليه وسلم قرر أنّ المعاصي والذنوب، والأخطاء والزلات فترة عابرة زائلة في حياة الإنسان، يقع فيها الإنسان بجهله وغروره، وقصر نظره حيناً، وبإغواء الشيطان، وإغراء النفس بعض الأحيان، وأنّ الصلاح والصلاحية، والاعتراف بالذنب، والندامة أصل من أصول فطرته، وجوهر إنسانيته، وأنّ الابتهاال إلى الله، والتضرّع إليه، والعزم الأكيد على عدم العودة إلى الذنب دليل على شرف الإنسان، وأصالة معدنه، وهو ميراث آدم عليه السلام.

إنّ محمّداً صلى الله عليه وسلم فتح أمام المذنبين الخطّائين - الغارقين في حمأة المعصية والرديلة إلى آذانهم - باباً واسعاً للتوبة، ودعا إليها الناس دعوة عامّة، وشرح فضل التوبة شرحاً وافياً، وأفاض فيه إفاضة نستطيع بها القول بأنّه أحيا هذا الركن الخاصّ العظيم من الدين، ولذلك سمّي «نبيّ التوبة» من بين أسمائه الجميلة الأخرى، لأنّه ما دعا إلى التوبة كوسيلة اضطرارية يتدارك بها الإنسان ما فاته فحسب، بل إنّه رفع من شأنها حتّى صارت من أفضل العبادات، والقربات عند الله، وصارت طريقاً سهلاً للوصول - في أقرب وقت - إلى أقصى درجات القرب والولاية، يغبط عليها التّسناك والزهاد، والأبرياء والأطهار من عباد الله.

إنَّ القرآنَ شرحَ فضلَ التوبةِ وسعتها، ونقاءِ الإنسانِ من أكبرِ ذنبٍ وأعظمِ معصيةٍ يتصورها الإنسانُ، وذلكَ بأسلوبٍ جميلٍ يستهوي القلوبَ، ودعا العصاة والمذنبينَ، وصرعى النفس والشيطانَ إلى اللجوءِ إلى الله سبحانه، والفرارِ إليه، والتفتيؤِ بظلالِ رحمته، والترامي في أحضانِ رأفته وعطفه، وصوّر بحارِ رحمته الزاخرة، الواسعة الأرجاء، المحيطة بالأنفس والآفاق، تصويراً رائعاً جميلاً، شائفاً مثيراً، يبدو منه أنّ الله سبحانه وتعالى ليس حليماً رحيماً، وجواداً كريماً فحسب، بل إنّه - إذا صحَّ هذا التعبير - يحبّ التوابينَ، ويشفقُ إليهم، ويشكرُ سعيهم البليغَ، ويقدره كلّ التقدير، اقرأ الآياتِ التالية، وتدوِّق أسلوبَ هذا اللطفِ والعطفِ، وحوِّ الودِّ الذي يغشى هذه الآياتِ: { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزمر: ٥٣] .

وأكثر من ذلك وأروع ما نجد في الآية التالية، حيث ذكر الله سبحانه جماعاتٍ مختلفة من عباده الصالحين، فاستهلَّ هذه القائمة المشرفة النورانية بالتائبين، إنّها آية من سورة [التوبة: ١١٢]: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} .

هذا التكريم وتبرئة العبد التائب من ذنبه، وإظهار الثقة به تجلّى واضحا حين أعلن القرآن قبول توبة ثلاثة من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم الذين تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر صحيح مقبول، وبقوا في المدينة، فبدأ القرآن بذكر النبيّ صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار، الذين لم يتخلفوا عن هذه الغزوة، ثمّ ثنى بهؤلاء الثلاثة الذي تخلفوا، حتّى لا يشعر هؤلاء المخلفون بإفرادهم بالتوبة ويكونوا بمعزل عن الشعور بالهوان، وما يسمّى في علم النفس «بمركب النقص» ، ويتّضح للمؤمنين إلى يوم القيامة أن مكانتهم الطبيعيّة في الصف الأول من الصادقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فلا داعي للاستحياء، ولا مكان للعار. هل هناك مثال أروع وأجمل، وأدقّ وأعمق، وأحلى وأزهى لقبول التوبة، وتكريم التائب، ومسح غاشية الكآبة عنه بلطف وودّ، وحبّ وحنوّ في تاريخ الأديان، والأخلاق، والتربية والإصلاح، من هذا المثال؟! اقرأ معي الآيات التالية: { لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رُؤُفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [التوبة: ١١٧ - ١١٨] .

ثمّ أعلن أيضاً كمبدأ عام أنّ رحمة الله تسع كلّ شيء، وتسبق غضبه وجلاله، يقول القرآن: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الأعراف: ١٥٦] ، وجاء في حديث قدسيّ^(١): «إنّ رحمتي سبقت غضبي» إنّ الله جعل اليأس مرادفاً للكفر والجهل والضلال، وبين ذلك على لسان يعقوب عليه السلام: {إنّه لا ييأس من روح الله

(١) - أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب «وكان عرشه على الماء...» برقم (٧٤٢٢) ، والنسائي في السنن الكبرى (٤/٤١٧ - ٤١٨) برقم (٧٧٥١) - (٧٧٥٧) وأبو يعلى في المسند (١١/٣١٦) برقم (٦٤٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ} [يوسف: ٨٧] ، وذكر في موضع آخر قول إبراهيم - عليه السلام - فقال: {وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ} [الحجر: ٥٦] .

وهكذا أسعف النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الدعوة المفتوحة العامة إلى التوبة وبيان فضائلها، وسعتها وشمولها الإنسانيّة المدعورة الخائفة التي كانت تتمّ تحت وطأة اليأس، والقنوط، وترتعد فرائصها بإنذارات العقاب والعذاب، ومظاهر الغضب والجلال ، ومنحها فرصة جديدة جميلة من الحياة، ونفخ في قلبها الضعيف المتواني، وجسدها الهامد البارد روحاً جديدة، وحرارة جديدة، وهيئاً لجروحها بلسماً، ورفعها من حضيض التراب إلى أوج العزة والسيادة، والثقة والاعتزاز، والاعتداد بالنفس، والاعتماد على الله.

٥- الجمع بين الدين والدنيا، وتوحيد الصفوف المتنافرة، والمعسكرات التجارية:

لقد ورّعت الديانات القديمة - خاصة المسيحية - الحياة الإنسانية في قسمين: قسم للدين، وقسم للدنيا، وورّعت هذا الكوكب الأرضي في معسكرين: معسكر رجال الدين، ومعسكر رجال الدنيا، وما كان هذان المعسكران منفصلين فحسب، بل حال بينهما خليج كبير، ووقف بينهما حاجز سميك، وظلاً متشاكسين متحاربين، وكان كلّ واحد يعتقد أنّ هناك خصومة وعداء بين الدين والدنيا، فإذا أراد إنسان أن يتصل بأحدهما، لزم عليه أن يقطع صلته بالآخر، بل أن يعلن الحرب عليه، فلا يمكنه - على حدّ قولهم - أن يركب سفينتين في وقت واحد، وأنّه لا سبيل إلى الكفاح الاقتصاديّ ورخائه من غير غفلة عن الدار الآخرة، وإعراض عن فاطر السموات والأرض، ولا بقاء لحكم أو سلطة من غير إهمال التعاليم الدينيّة والحلقيّة، والتجرّد عن خشية الله، ولا إمكان للتدبّر من غير رهبانيّة، وقطع الصلة عن الدنيا وما فيها.

المعلوم المقرّر أنّ الإنسان محبّ لليسر، مجبول عليه، وكلّ فكرة دينيّة لا تسمح بالاستمتاع المباح، والنهضة، والعزة، والحصول على القوة والحكم، لا تصلح للنوع البشريّ في الغالب، إنّهُ صراع مع الفطرة السليمة، وكبت للغرائز الطبيعيّة البريئة في الإنسان، وكانت نتيجة هذا الصراع أنّ العدد الأكبر من أصحاب الفطنة والذكاء، والكفاءات العلميّة، آثر الدّنيا على الدين، ورضي بها - كحاجة اجتماعيّة، وواقع حيّ - واطمأنّ إليها، وعكف على تحسين هذه الحياة، والحصول على ملذّاتها، ولم يبق له أمل في الرقيّ الدينيّ، والتقدّم الروحيّ.

وأكثر الذين هجروا الدين بصورة عامّة، هجروه على أساس التناقض الذي حسبه حقيقة بديهية مسلّمة، وثار البلاط الذي كان يتزعم الحكم الدنيويّ على الكنيسة التي كانت تمثّل الدين، وتجرّد عن سائر قيوده، فصارت الحكومات - بطبيعة المنطق - كفيل هائج مائج، تخلّص من سلاسله وقيوده، أو كجمل هائم، حبله على غاربه، هذا الانفصال النكد بين الدين والدنيا، وذلك العداء المشؤوم بين «رجال الدين ورجال الدنيا» فتح الباب على مصراعيه للإلحاد واللا دينية، وكانت فريسته الغرب أولاً، والأمم التي دانت له في الفكر والعلم والثقافة، أو عاشت تحت رايته ثانياً.

وزاد الطَّينَ بَلَّةَ دعاة المسيحيَّة المتطرِّفون والمفرطون، الذين كانوا يعتبرون الفطرة البشريَّة أكبر عائق في التزكية الروحية والاتصال بالسماء، والذين لم يَدخروا وسعا في إذلالها وتعذيبها بأنواع من الأحكام القاسية والتعاليم الجائرة (١) وقدِّموا صورة وحشيَّة كالحة مفرعة للدين، تقشَّعَ منها جلود الذين آمنوا، وآل الأمر في نهاية الشوط إلى تقلُّص ظلِّ الدين، وبلغت عبادة النفس والهوى - في أوسع معناها - إلى ذروتها، وأصبحت الدِّنيا تتأرجح بين طرفي نقيض، ثم سقطت أخيرا بضعف الوزع الدينيِّ، أو فقدان الحاسَّة الدينية في هوة عميقة من اللادينية، والفوضى الخلقية العامة (٢) .

وأعظم هديَّة للبعثة المحمديَّة، ومَنِّتها العظيمة نداؤها الذي دَوَّت به الآفاق أنَّ أساس الأعمال والأخلاق، هو الهدف الذي ينشده المرء، والذي عبَّر عنه الشارع بلفظ مفرد بسيط، ولكنَّه واسع عميق «النية» ، فقال: «إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى» (٣) . وإنَّ كلَّ عمل يقوم به الإنسان ابتغاء مرضاة الله، وبدافع الإخلاص، وامتنال أمره وطاعته، هو وسيلة إلى التقرُّب إلى الله، والوصول إلى أعلى مراتب اليقين، ودرجات الإيمان، وهو دين خالص لا تشوبه شائبة، ولو كان هذا العمل جهادا وقتالا وحكما وإدارة، وتمتعا بطيِّبات الأرض، وتحقيقا لمطالب النفس، وسعيا لطلب الرزق والوظيفة، واستمتعا بالتسليية البريئة المباحة، والحياة العائلية والزوجية.

وكلَّ عبادة وخدمة دينية - بالعكس من ذلك - تعتبر دنيا إذا تجرَّدت من طلب رضا الله سبحانه، والخضوع لأوامره ونواهيه، وغشيتها غاشية من الغافلة، ونسيان الآخرة، ولو كانت صلوات مكتوبة، ولو كانت هجرة وجهادا وذكرًا وتسيبها وقتالا في سبيل الله، ولا يثاب عليه العامل، والعالم، والمجاهد، والداعي، بل قد تعود تلك الأعمال والخدمات عليه وبالا، وتكون بينه وبين الله حجابا .

إنَّ المأثرة الخامسة من مآثر سيِّدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنَّه ملأ هذه الفجوة الواسعة بين الدين والدِّنيا، وجعل هذين المتنافرين المتباعدين، اللذين عاشا في خصام دائم، وعداء سافر، وحقد مستمرّ، يتعانقان في إلف وودّ، ويتعايشان في سلام ووثام، إنَّه صلى الله عليه وسلم رسول الوحدة، وبشير ونذير في الوقت ذاته، إنَّه أخذ النوع البشريِّ من المعسكرين المتحاربين إلى جبهة موحَّدة من الإيمان والاحتساب، والعطف على البشريَّة، وابتغاء رضوان الله، وعلمنا هذا الدعاء الجامع، المعجز الواسع: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [البقرة: ٢٠١] .

إنَّه أعلن بالآية القرآنية: إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الأنعام: ١٦٢] أنَّ حياة المؤمن ليست مجموع وحدات متفرِّقة مضادَّة، بل هي وحدة تسيطر عليها روح العبادة والاحتساب، ويقودها الإيمان بالله والإسلام لأوامره، وهي تشمل شعب الحياة كلِّها، وميادين الكفاح كلِّها، وأصناف العمل كلِّها، إذا تحقَّق الإخلاص، وصحَّت النيَّة، وأريد بها وجه الله، وكانت على المنهج الصحيح الذي جاء به الأنبياء،

(١) - انظر «تاريخ أخلاق أوربة» ، ج ٢، لمؤلِّفه ليكي .
(٢) - اقرأ للتفصيل كتاب «الصراع بين الدين والعلم» بالمخطوط للمسلمين» الباب الرابع «العصر الأوربي» .
(٣) - أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، برقم (١)

فدّل ذلك على أنّه رسول الوحدة والوئام والانسجام بالكمال والتمام، وأنّه البشير والنذير في نفس الوقت، إنّه قضى على نظرية الانفصال بين الدين والدنيا، فجعل الحياة كلّها عبادة، وجعل الأرض كلّها مسجداً، وأخذ بيد الإنسان من معسكرات متحاربة متصارعة، إلى جبهة واحدة واسعة من العمل الصالح، وخدمة الإنسانية النافعة، وابتغاء مرضاة الله، فترى هناك ملوكاً في أطمار الفقراء، وزهاداً في زيّ الملوك والأمراء، جبال حلم وينابيع علم، عبّاد ليل وأحلاس خيل، من غير تناقض أو صعوبة، واختلال أو تعسف.

٦- تعيين الأهداف والغايات وميادين العمل والكفاح:

المأثرة السادسة، أو الانقلاب السادس الذي أحدثه محمد صلى الله عليه وسلم في الحياة البشرية، أنّه هدى الإنسان إلى محلّ لائق كريم يصرف فيه قواه، ورفعته إلى أجواء فسيحة عالية يخلّق فيها، كان الإنسان قبل البعثة المحمديّة جاهلاً لهدفه الحقيقيّ، لا يدري إلى أين يتّجه، وإلى أين المصير؟ وما هو المجال الأفضل والحقيقيّ لمواهبه وطاقاته وجهوده؟ إنّه وضع لنفسه مقاصد وهمية صناعية، وحصر نفسه في دوائر ضيقة محدودة، كانت تستنفد قواه وطاقاته وذكاءه، وكان المثل الأعلى عنده للرجل الناجح واللامع من يكون أكثر جمعا ومالا، وأوسع نفوذاً وقوة، متحكّماً في أكبر مجموعة من البشر، وأوسع بقعة من بقاع المعمورة.

كان هناك ملايين لم يزد طموحهم على التمتع بألوان زاهية، وأصوات مطربة، وأطعمة لذيذة، وأكثر من تقليد البلبل في صوته، أو الطاووس في لونه، بل أكثر من مسابرة الماشية والغنم، والأنعام والدوابّ، كان هناك آلاف عاشوا دائماً بين بلاط الملوك، وحاشيتهم، وبذلوا نبوغهم وذكاءهم في التزلف إلى الأمراء، والتملّق أمام الأغنياء، أو الخضوع للجباية والأقوياء، أو التسلّي بالأدب الفارغ الذي لا قيمة له في الدّنيا والآخرة.

فجاء محمد صلى الله عليه وسلم وجعل غايته الأخيرة الحقيقية، وهدفه الأعلى المنشود نصب عينيه، وأرسخ في قلب الإنسان: أنّ المجال الحقيقيّ لجهده واجتهاده، ومواهبه وأشواقه، وطموحه وسمّوه، وطيّرانه وتخليقه، هو معرفة فاطر السموات والأرض، وإطلاع على صفاته، وقدرته وحكمته، وسعة ملكوت السموات والأرض وعظمتها وخلودها، والحصول على الإيمان واليقين، والفوز برضوان الله وحده، والرضا به وبقدره، والبحث عن وحدة تؤلّف بين الأجزاء المتناثرة أحياناً، والمتناقضة أحياناً أخرى، وتنمية قواه الباطنة، ومداركة الروحية للوصول إلى درجات القرب واليقين، والحثّ على خدمة الإنسانية، والإيثار والتضحية، والوصول بذلك إلى مكان لا تصل إليه الملائكة المقربون، وتلك هي السعادة الحقيقية للإنسان، ونهاية كماله، ومعراج قلبه وروحه (١).

ولادة عالم جديد وإنسان جديد

لقد تغيرت الدنيا بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بفضل تلك التعاليم السامية، كما يتغير الطقس، وانتقلت الإنسانية من فصل كله جدد وخريف، وسموم وحميم، إلى فصل كله ربيع وأزهار، وجنات تجري من

(١) - من المحاضرة القيمة لأبي الحسن الندوي المشار إليها في بداية البحث وهي منقولة في كتابه السيرة النبوية ص (٦٢٢ - ٦٤١).

تحتها الأنهار، تغيرت طباع الناس، وأشرقت القلوب بنور ربها، وعم الإقبال على الله، واطلع الإنسان على طعم جديد لم يألفه، وذوق لم يجربه، وهيام لم يعرفه من قبل.

انتعشت القلوب الخاوية الضامرة الباردة الهامدة؛ بحرارة الإيمان وقوة الحنان، استضاءت العقول بنور جديد، وسكرت النفوس بنشوة جديدة، وخرجت الإنسانية أفواجا تطلب الطريق الصحيح ومحلها الرفيع، وتحن إلى مكانتها السامقة العالية، فلا ترى أمة من الأمم، وبلدا من البلاد، إلا وهو يريد السباق في هذا المضمار، ويتنافس فيه، فما ترى العرب والعجم، ومصر والشام، وتركستان وإيران، والعراق وخراسان، وشمال إفريقيا، والأندلس وبلاد الهند، وجزائر شرق الهند، إلا سكارى هذا الحب العلوي، والفيض السماوي، وعشاق هذا الهدف السامي، وفقراء على هذا الباب العالي.

كان يبدو أن الإنسانية أفاقست واستيقظت، وفتحت عيونها بعد سبات عميق طويل، دام قرونا طويلة، فأرادت أن تتدارك ما فاتها حتى عمر كل جزء من أجزائها، وكل ركن من أركانها بدعاة ربايين مخلصين، مجاهدين مصلحين، مربين، عارفين بالله، متحرقين لخلق الله، باذلين أنفسهم ونفيسهم لخير الإنسانية، وإنقاذها من الخطر المحدق بها من كل جانب، رجال تحسدهم الملائكة، فأشعلوا مجامر القلوب الباردة، وأزكوا شعلة الحب الإلهي، وفجروا أنهار العلوم والآداب، والحكم والمعارف، وفتحوا ينبوعا فياضا، متدفقا من العلم والعرفان، والإيمان والحنان، وأنشؤوا في نفوس البشر مقنا شديدا للظلم والجور، والعدوان والبغضاء، ولقنوا الشعوب المضطهدة، المهانة الذليلة، دروس المساواة، وضموا المنبوذين والمهجورين، والمساكين الذين لفظهم المجتمع، وطردهم أهلهم وعشيرتهم؛ إلى صدورهم العامرة بالحب والحنان، إنك تجد آثارهم، وتلمس آياهم على كل جزء من أجزاء البسيطة كمواقع القطر، لا يخلو منها بيت وبر، ولا مدر. إن هذا الانقلاب العظيم، والدور الزاهر الجديد معجزة من معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ومأثرة من مآثر بعثته، ونفحة من نفحات الرحمة الإلهية التي عمت الأمكنة كلها، والأزمنة كلها، وصدق الله العظيم: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} [الأنبياء: ١٠٧].

الفصل الثاني

ثانيا - دلالة القرآن على نبوة محمد الأُمِّي خاتم النبيين

تمهيد : لا يوجد كتاب نزه الخالق وقده وأمر بالتوحيد والتصديق بالرسول وتنزيههم عن كل نقيصة، والحث على الصالحات الباقيات مثل القرآن؛ منذ كانت الدنيا فالقرآن منسوخ بالتوحيد والنبوات والغيبيات والحكم والفقه والتشريع والآداب، كل هذا بجبكية لغوية ونسج لم تعهده العرب وكم من ملايين القناطر المقتطرة من الذهب والفضة دُفعت لمحو القرآن، وإذهاب أثره عن القلوب، وتشنيت أتباعه وتشويه مراده عبر الأزمان، طمعا أن يُفعل به ما فعل بالكُتب من قبله (١). فبقي رغم كل المحاولات رافعا أعلامه حافظا أحكامه. { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ } [الأنفال: ٣٦] ، وإذا أنعمت النظر في دين النصارى وجدت أن كل شرائعهم مبدلة محرفة محدثة، فلم يكن المسيح عليه السلام يعرف كنيسة فضلا عن أن يبينها فضلا عن أن يضع قوانينها، ولم يكن يعرف ناقوسا ولا صليبا ولا أسرا را ولا مطانيات- السجود للقساوسة-، ولا أيقونات- صور قديسين-، ولا مراتب كنسية ولا طقوس كهنوتية. وليس في الإنجيل الذي بين أيدي النصارى اليوم شيء من ذلك! فهي تشريعات ما أنزل الله بها من سلطان.

(١) - الفقرة من وحي كتاب "رسالة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، د. ثامر بن ناصر، مكتبة الرشد

ولو انتقلت إلى التوراة لوجدت أن العمل بها صار من الصعوبة بمكان، حيث شدد اليهود على أنفسهم فما أطاقوا؛ وطقوس التطهر والنجاسة عندهم تحتاج إلى قرابين وانعزالية تامة عن الحياة! وقد تعلقت أحكام التوراة بالهيكل السليماني والمذبح وقد حُرب الهيكل ولا أحد يعرف له مكانا، وهُدم المذبح وزال أثرهما من الوجود وهذا برهانٌ واضح على نسخ الشريعة. أما الهندوس الذين يتردون من الجبال ويحرقون الأجساد ويغرقون في الماء من أجل التطهر فلم يبتعدوا كثيرا عن طقوس اليهود، ولو أراد الله بعباده الهلكة للتطهر ما أذن لهم في صنعة لبوسٍ لتحصنهم من بأسهم. ولما أوجد لهم سراييل تقيهم الحر^(١) ! "فليس في التوراة ولا الإنجيل مماثلا لمعاني القرآن: لا في الحقيقة. ولا في الكيفية. ولا الكمية. بل يظهر التفاوت لكل من تدبر القرآن وتدبر الكتب^(٢)"، فالقرآن رسالة "اليسرى" للأمم؛ يقول تعالى {ونيسرك لليسرى} [الأعلى: ٨] أي: للشرعية السهلة وهي الإسلام. ولو انتقلت إلى معاني القرآن لوجدتها غير محدودة. وعلومه غير محصورة ولا معدودة.

فقد اتسع مجاله لكل فن: " فأنت تجد في كتاب الله أخبارا وأحكام ومواعظ وأمثال وأخلاق وآداب، وترغيب وترهيب ومدح الأخيار وذم الفجار، وتدبير السياسات ومجادلة الأخصام وإقامة الدلائل على أصول الاعتقاد وإزالة الريب، ووصف الغيب ووصف عوالم الأرض والسموات، خارجا بكل ذلك في حسن نظمه عن كل أسلوب فلا هو من الأراجيز البدوية ولا القصائد العربية فكلما تكرر حلا، وسمعتة من أي الأفواه غلاما مع اقتزان معانيه المتغايرة فينقلك من الوعد إلى الوعيد ومن ماضٍ إلى حاضرٍ ومستقبل، ومن حكم إلى جدل، فلا ينبو ولا يتنافر بل تتجانس معانيه في بنيةٍ نظميةٍ بديعة^(٣) " فإعجاز القرآن ليس في بلاغته فقط كما يظن الملحدة. ولا في لفظه فقط. ولا في معانه فقط. بل إعجاز القرآن يشمل اللفظ والمعنى والبلاغة، وينتقل إلى العلوم والأحكام والتشريعات وتحليل النفس وسبر أغوارها وإشباع مرادتها. وكما يقول ابن تيمية: "فالإعجاز في معناه أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه، وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه^(٤)" وانظر إلى عبارته الأخيرة " وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه."

فالنظم البلاغي القرآني جاء جاء بأفصح الألفاظ. في أحسن نظوم التأليف. مضمنا أصح المعاني. فاللفظة الواحدة من القرآن لو أخذتها وأدرت لغة العرب كلها لتحصل على لفظةٍ أحسن منها ما استطعت ولو أردت أن تؤلف بكلماتٍ أخرى غير كلمات القرآن لتوازي حسن تأليفه وحبكته ورونقه لشهدت له بالنصر وعلى نفسك بالعجز. انظر إيجاز اللفظ مع دقة المعاني وكثرتها وتلاؤم الكلام في قوله تعالى: { وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } [هود: ٤٤] وانظر إلى الإيجاز القرآني المعجز في قوله تعالى {فَلَمَّا أَسْلَمًا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} [الصفافات ١٠٣] (فلما أسلما) خضعا وانقادا لأمر الله تعالى (وتله للجبين) صرعه عليه ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة وكان ذلك بمعنى

(١) - الإعلام بمناب الإسلام، أبو الحسن العامري، ص ١٣٩

(٢) - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤٣٥/٥

(٣) - الدلائل العقلية للألوسي مخطوط

(٤) - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤٣٤ / ٥

وأمر السكينة على خلقه فلم تعمل شيئاً بمانع من القدرة الإلهية هل تستطيع أن تأتي بهذا المعنى المطلوب بنفس هذا العدد من الكلمات في إطار حكمة بلاغية لا تنبو عن سير الآيات قبلها وبعدها؟ ولو انتقلت عن لغة العرب وأردت أن تترجم كلمة مثل " أنلزمكموها " في قوله تعالى ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ [هود: ٢٨] فأنت تترجمها بعد أن تتفكك ويخفت رونقها إلى سبع كلمات بالإنجليزية Shall we compel you to accept it وحكمة اللفظ القرآني واستيعابه للمعنى التام مما سارت بأمثاله الركبان. أنظر إلى كلمة " فأسقيناكموها " في قوله تعالى ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ [هود: ٢٢] لفظة واحدة بها حرف عطف ، وفعل وفاعل، ومفعول أول ومفعول ثانٍ. ولذا عندما سمع العرب الأفحاح كتاب الله عز وجل خطف أسماعهم بقوة تأثيره ورقاق بلاغته؛ فعن جبير بن مطعم عن أبيه حين سمع قوله تعالى ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ (٣٥) أَمْ خُلِقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ ﴾ [الطور: ٣٥] قال : كاد قلبي أن يطير! إن كل هذا ليقطع بأن الظاهرة القرآنية ما جاءت إلا لتتحدى وتهدي وتصلح!

لم يزل القرآن يقرع المشركين البلغاء أشد التقرع، ويؤسف أحلامهم، ويذم آلهتهم، ويتحداهم أن يأتوا بمثله أو بسورةٍ من مثله، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته، محجمون عن مماثلته. بل لقد قال الله عز وجل للمشركين: ﴿ لم تفعلوا ولن تفعلوا ﴾ [البقرة: ٢٤] فما فعلوا، ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كُشف عواره لجميعهم، فقد ولوا عنه مدبرين وللاإنسان أن يتسائل: كيف يجروا رجلًا أن يتحدى أناس في جنس ما يحسنون ويبدعون، ثم يتركهم على مضى السنين وقد علاهم الوجيب والخزي والسكون؟ يقول د. عبد الله دراز: " ألم يكن يخشى الرسول بهذا التحدي أن يثير حميتهم الأدبية؟ فيهبوا لمنافسته وهم جميعٌ حذرون؛ وماذا عساه يصنع لو أن جماعة من بلغائهم تعاقدوا على أن يضع أحدهم صيغة المعارضة، ثم يتناولها سائرهم بالإصلاح والتهذيب كما كانوا يصنعون في نقد الشعر، فيكمل ثانيهم ما ناقصه أولهم، وهكذا. حتى يُخرجوا كلا ما إن لم ييزه فلا أقل من أن يساميه ولو في بعض نواحيه! ثم لو طوعت له نفسه أن يصدر هذا الحكم على أهل عصره فكيف يصدره على الأجيال القادمة إلى يوم القيامة، بل على الإنس والجن؟ إن هذه مغامرة لا يتقدم إليها رجلٌ يعرف قدر نفسه إلا وهو مألئٌ يديه من تصاريف القضاء، وخبر السماء، وهكذا رماها بين أظهر العالم، فكانت هي القضاء المبرم، فلم يهجم بمعارضته إلا بآء بالعجز الواضح، والفشل الفاضح، على مر العصور والدهور(١)"

فتحدى القرآن أهل البيان في عباراتٍ محرجة، أن يأتوا بمثله أو بسورةٍ منه، فما فعلوا فلم يأت العرب جميعا ولا الأمم التي نُقل لها التحدي بشيء يستريح له الملحدة ويريجون به غيرهم! يقول الألوسي رحمه الله: " فلم ينطق أحد منهم إلى يومنا هذا ببنت شفاه ولا أعرب عن موصوفٍ أو صفة، وأظهر الكل العجز عن المعارضة في كل وقتٍ وحين، بل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين!

فكان محمدا صلى الله عليه وسلم موجوداً كل عصر بين أظهرنا والوحي غير منقطع منا، لأن دليل نبوته وحجته يُدكر الناس بصحة نبوته في سائر الأقطار آناء الليل وأطراف النهار^(١) " فقد رأى هؤلاء الذين يتحداهم القرآن أن تجميع الجيوش وتحزيب الأحزاب لمحاربة رسول الله أهون وأيسر من معارضة القرآن وقبول التحدي فهذا بالغ جهدهم { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ } [فصلت: ٢٦]

المبحث الأول: تحدي القرآن على مدى القرون، وتأثيره، والعلامات الإلهية فيه

١ - اقتضت حكمة الله سبحانه أن يؤيد رسله بينات تدل على صدق رسالتهم، وأدلة تقوم بها الحجة على الناس اصطلاح العلماء على تسميتها بالمعجزات، وسميت في القرآن بينات أو آية أو برهان، كما قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ} [الحديد: ٢٥]، وتنوعت البيّنات والمعجزات بتنوع الأقسام والأمم، فجعل الله لكل قوم بينة تناسب مستواهم الثقافي والفكري ليكون ذلك أبلغ في قبول الرسول وحجته فهي من نفس ابداعاتهم وتفوقها بما تعجزهم، ولما كان محمد مرسلًا إلى الناس كافة، فقد أيده الله سبحانه بينات متنوعة تتناسب مع جميع من أرسل إليهم من الأقسام، ومع جميع الأجيال إلى قيام الساعة على اختلاف ثقافتهم ومداركهم.

فكانت الفصاحة والبلاغة من بيناته المناسبة للعرب الفصحاء البلغاء، ومن بيناته ما يتناسب مع أهل الأديان كالبيّنات به في الكتب السابقة، ومن بيناته ما عجز أهل الأنظمة والقوانين عن المحييء بمثله من تشريعات حكيمة تناسب جميع البيّنات والعصور، ومن البيّنات الخوارق المشاهدة كخارقة انشقاق القمر التي سجلت عند بعض الأمم ولا تزال آثارها ظاهرة إلى اليوم، ومنها معجزة الإخبار بالغييب الماضي والحاضر والمستقبل، والتي لا تزال تنكشف إلى يومنا هذا، ومنها الخوارق للعادة التي دونت في أوثق سجل عرفه البشر، وهو القرآن الكريم والحديث النبوي، ومنها ما يتناسب مع أهل الكشوف العلمية في عصرنا كالإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

وقد جعل الله سبحانه القرآن المتضمن لكثير من أنواع هذه المعجزات أكبر بينة لمحمد قال تعالى: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} [الأنعام: ١٩]، وقال النبي ﷺ: " ما من الأنبياء نبيّ إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"^(٢)، يشير الحديث الشريف إلى طبيعة المعجزة في الوحي الذي أنزله الله على محمد فيبقى بعد موته ويتجدد إعجازه على مرّ العصور، وشهادة القرآن بصدق رسالة محمد متمثلة بما احتوى عليه من الإعجاز في ألفاظه، والإعجاز في العلم الذي جاء به. قال تعالى: {لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} [النساء: ١٦٦] قال المفسرون: " لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذي أنزله عليك"، وقال ابن كثير: " فالله يشهد لك يا

(١) - الدلائل العقلية للألوسي مخطوط

(٢) - «البخاري ح(٤٩٨١) ومسلم ح(٢٣٩) وغيرهم

محمد بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب وهو القرآن العظيم ... ولهذا قال تعالى: أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ أَي: فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه من البيئات والهدى والفرقان، وما يحبه الله ويرضاه وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل". (١)

وجوه فصاحة القرآن وبلاغته

قال تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} [الزمر: ٢٣] ، القرآن العظيم أحسن الكلام وأجوده لأنه نزل بعلم الله، ذلك أن الله سبحانه يعلم أي لفظة هي أدل على المعنى المقصود، وأي لفظة تصلح أن تليها أو تسبقها، بل ومناسبة كل حرف لموضعه، فجاء القرآن العظيم في غاية الفصاحة والبلاغة في مفرداته وتراكيبه (٢) ، وسر فصاحة القرآن وبلاغته أنه كلام الله الذي يحمل العلم الإلهي، وينم عن العظمة والصفات الإلهية التي لا تحد بحد، فأعجز الفصحاء والبلغاء فلم يجدوا إلا أن يقولوا: إنه سحر، كما حكى الله عنهم قولهم: {إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ} [المدثر: ٢٤] ، هذه بعض وجود فصاحته :

أ - تضمنه أصح المعلومات وأدقها وأكملها، وأصدق المعاني وأوضحها، وأحسن الكلام والتعبير بأفصح المفردات والتراكيب وأبلغها وأعذبها، وسريان ذلك فيه من أوله إلى آخره، وإنه ليستحيل على بشر أن يصل إلى هذا السمو، فإنه إن راعى دقة المعلومة فاته رونق اللفظ وعذوبته غالباً، وإن أراد تنميق الألفاظ وتزيينها لم يصل إلى مراده في دقة المعلومة التي يوردها، وإنك لتلاحظ عذوبة ألفاظه حتى في المواضع العقديّة والتشريعية التي تستلزم البعد عن اللفظ البديع غالباً.

ب - جمعه بين صفتي العذوبة والجزالة (٣): مع كونهما كالصفتين المتضادتين لا تكادان تجتمعان في الكلام.

ج - إرواؤه لمطلب العقل والعاطفة معاً: بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر.

د - قصده في اللفظ مع الوفاء بحق المعنى: فإنه يجلي المعنى كاملاً واضحاً في كلمات وعبارات قاصدة ليست بالطويلة المملة، أما البشر فإنه إن أراد الاقتصاد في اللفظ قصر في التعبير عن المعنى المطلوب، وإن أحب تجلية المعنى قاده ذلك إلى التطويل في العبارة، وإن قدر أنه ضبط اللفظ مع المعنى في جملة أو جملتين، فإن الكلال والإعياء سيلحقه بعد ذلك في بقية الكلام، ونادر أن يصادفه هذا التوفيق مرة ثانية إلا الفينة بعد الفينة.

هـ - جودة سبكه وإحكام سرده: مع أنه حوى موضوعات كثيرة مختلفة شاملة لحاجات البشر في الدنيا والآخرة من تشريع وقصص ومواعظ وبراهين عقلية ووجدانية ومناقشات وأمثال وحكم وغير ذلك، فقد سبك هذه الموضوعات جميعاً وغيرها سبكا حكيماً، فتراه مترابطة ترابط الجسم الواحد والروح الواحدة.

(١) - ابن الجوزي والزمخشري وأبو حيان والألوسي والشوكاني، البياضي والنسائي والحازن، والجلالان. وابن كثير (٤٧٦/٢) دار طيبة ط ٢
(٢) - هذا البحث أكثره مستفاد من كتاب عبد المجيد الزنداني ، بينات الرسول (ص) ومعجزاته دار الإيمان القاهرة (ص ١٩٠ - ٢١٦) و انظر علم الإيمان الجزء الثاني ق ١ / ١٦٠ - ١٧٤. له وكتاب اظهار الحق لرحمة الله الهندي (٤ / ٧٥٥ - ٨٢٩) .
٣ - « العذوبة هي رقة اللفظ وسلاسته، والجزالة: قوته ومثاته.»

و- إشباعه العامة والخاصة على السواء: فالجميع يتذوق حلاوته ويجد فيه من بغيته ما يمتع عقله وقلبه، فالعامة يلتذون به ويفهمون منه على قدر استعدادهم وما تبلغه عقولهم وقلوبهم، والخاصة يجدون حلاوته ويفهمون منه أكثر مما تفهم منه العامة، بخلاف غيره من كلام البشر فتجد منه ما يرضي العامة لسهولته ولكن الخاصة تمجّه لكونه دون مستواهم، وإن أَرْضَى الخاصة لارتفاع مستواه لم يرض العامة لكونهم لا يفهمونه.

ز - مسحته اللفظية المميزة: فهي مسحة خلاصة عجيبة، تتجلى في نظامه الصوتي وجماله اللغوي، فأما نظامه الصوتي فإنك تجده متسقا مؤتلفا في حركاته وسكناته ومدوده وغنّاته، واتصالاته وسكناته، اتساقا عجيبا وائتلافا رائعا، يسترعي الأسماع ويستهوئ النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور، فجرسه الصوتي يجذب السامع له ويلفت انتباهه، حتى لو كان أعجميا لا يعرف اللغة العربية، ولعل هذا هو الذي حمل بعض العرب في عهد النبوة أن يقولوا: إنه شعر، ثم عادوا إلى أنفسهم فعملوا أنه فوق الشعر وأنه لا يسير على منهج الشعر ومنواله فقالوا: هو سحر.

وأما جماله اللغوي فيظهر فيما امتاز به في رصف حروفه وترتيب كلماته ترتيبا بديعا، بحيث أنك تجد لذة حين تسمع حروف القرآن خارجة من مخارجها الصحيحة، فحرف يصفر وآخر ينقر، وهذا يخفي وذاك يظهر، وهذا يهمس وذاك يجهر، فخرج للناس بمجموعة مختلفة مؤتلفة، جامعة بين اللين والشدة، والخشونة والرقّة، والجهر والخفية على وجه دقيق محكم، وضع كلا من الحروف المتقابلة في موضعه بميزان، حتى تألف من مجموع ذلك قالب لفظي مدهش بلغ جماله اللغوي قمة الإعجاز، بحيث لو أدخل في القرآن شيء من كلام الناس لاعتل مذاقه في أفواه قارئيه واحتل نظامه في آذان سامعيه (١)

ح - إحكام ترابطه وكمال تناسقه: مع كونه قد نزل مفردا حسب الحوادث في ثلاث وعشرين عاما، بينما البشر يعجزون أن يصنفوا كلاما مترابطا كترباط القرآن إذا كان قد قيل في مناسبات مختلفة وفي أزمنة متباعدة.... وقال الخطابي رحمه الله: القرآن صار معجزا، لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، متضمنا أصح المعاني ... (٢)

اعتراف العرب الفصحاء ببلاغة القرآن وفصاحته وتأثيره النفسي والروحي :

وقد اعترف العرب الفصحاء بعظيم نظم القرآن وبلاغته وأسلوبه من خلال تأثرهم به، حتى كانوا يجذرون من قدم إلى مكة من سماع القرآن خشية أن يتأثر به فيسلم، بل تواصلوا فيما بينهم باللغو (التشويش) عند سماع القرآن حتى لا يتأثر به السامع. قال تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ } [فصلت: ٢٦] الغوا فيه بالمكاء « الصفير » والتصديّة « التصفيق » والتخليط في الكلام حتى يصير لغوا ، قال الشوكاني: عارضوه باللغو الباطل، أو ارفعوا أصواتكم ليتشوش القارئ له (٣).

(١) - مناهل العرفان ٢ / ٣٣١ - ٣٣٥ بتصرف، وانظر كتاب "النبا العظيم" لخميد عبد الله دراز، لزيادة التوضيح والتفصيل في إعجاز القرآن وروحه اللغوية. ورحمة الله الهندي "إظهار الحق" (٣ / ٣٧٥) وما بعدها ، وبيانات الرسول ومعجزاته للزنداني

(٢) - الخطابي « بيان إعجاز القرآن ص ٢٧ ». المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام الناشر: دار المعارف بمصر الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦ م

(٣) - فتح القدير للشوكاني (٤ / ٥٨٩) دار ابن كثير دمشق ١٤١٤

ولما جاء الطفيل بن عمرو إلى مكة لم يزل به الكفار يحذرونه من سماع القرآن حتى وضع في أذنيه قطناً خشية أن يسمع شيئاً من القرآن، وأبى الله سبحانه إلا أن يسمعه شيئاً منه مع وجود ذلك القطن، فهدى الله قلبه لسماع القرآن ومن ثم شرح الله صدره للإسلام. ولما سمع الوليد بن المغيرة القرآن فكأنه رقى له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوه لك، فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أنني من أكثرها مالا! قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له، قال: وماذا أقول؟!، فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته!! قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه!! قال: فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يآثره عن غيره!! فنزلت الآيات في الوليد قال تعالى: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً (١٢) وَبَيَّنَّ شُھُوداً (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهيداً (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً (١٦) سَأُرْهِقُهُ صُعُوداً (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ } [المدثر: ١١ - ٢٦] (١) ، فقول الوليد: إن القرآن سحر، يبين عميق التأثير الذي أحدثه القرآن في نفسه .

وقال الزهري: حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأحنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يصلي بالليل في بيته، وأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فلما طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو راكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد آلاً نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا، فلما أصبح الأحنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد، فقال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها، ولا ما يراد بها، قال الأحنس: وأنا والذي حلفت به كذلك، قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال ماذا سمعت! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاذبنا «جذا الرجل إذا جلس على ركبتيه.» على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منّا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه! والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدق. قال: فقام عنه الأحنس وتركه (٢) .

(١) - أخرج هذه الحادثة الحاكم في المستدرک ٢ / ٥٥٠ وقال صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وعن الحاكم أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١ / ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) - «سيرة ابن هشام ١ / ٣٣٧ - ٣٣٨.» وعدة مصادر أخرى كالطبري وسيرة ابن كثير والبداية والنهاية

فحرصهم على الحضور ليلاً لسماعه مما يدلّ على تأثرهم به وتعجبهم منه فقد أخذ بقلوبهم لكونه ليس ككلام البشر، ولكن العناد والمكابرة حملهم على تركه كما قال أبو جهل، ومما يدل على تميز القرآن الذاتي عن كلام العرب ما شهد به أنيس بن جنادة الغفاري قبل إسلامه، حيث سأله أخوه أبو ذرّ عما يقول الناس في النبي فقال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر- وكان أنيس أحد الشعراء- قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقرأء الشعر " طرائقه وأنواعه " . " فما يلتئم على لسان أحد أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون ... " ^١ ، وقدم جبير بن مطعم إلى المدينة قبل إسلامه في فداء أسارى بدر فسمع النبيّ يقرأ في صلاة المغرب بسورة الطور قال: فكأنما صدع قلبي حين سمعت القرآن ، وفي رواية: وذلك أول ما قر الإيمان في قلبي(٢) ، فهؤلاء من قريش أفصح العرب يشهدون ببلاغة القرآن وفصاحته من خلال تأثرهم به، وما أحسن ما سطره الرافعي في تصويره تأثير القرآن في العرب الذين كانت الفصاحة والبلاغة من أبرز مفاخرهم، وأنه لولا فصاحة ألفاظه التي بلغت حد الإعجاز لما استطاع التأثير فيهم لأنه قد قامت فيهم بالفصاحة " دولة الكلام ولكنها بقيت بلا ملك حتى جاءهم القرآن " (٣) .

إن بعض نصارى العرب المتأخرين ممن لهم تطلع في اللغة العربية وآدابها قد اعترفوا بذلك، ومنهم الكاتب البليغ إبراهيم اليازجي وكذلك الشاعر المعروف خليل مطران كما نقله عنهما الرافعي رحمه الله في وحي القلم وكذلك الأستاذ جبر ضومط مدرس علوم البلاغة في الجامعة الأمريكية في كتاب الخواطر الحسان كما نقله عنه الأستاذ محمد رشيد رضا(٤) يقول الدكتور جورج حنا : " انه لا بدّ من الاقرار بان القرآن، فضلاً عن كونه كتاب دين وتشريع، فهو ايضاً كتاب لغة عربية فصحي . وللغة القرآن الفضل الكبير في ازدهار اللغة، ولطالما يعود اليه ائمة اللغة، في بلاغة الكلمة وبيانها، سواء كان هؤلاء الائمة مسلمين ام مسيحيين . واذا كان المسلمون يعتبرون ان صوابية لغة القرآن هي نتيجة محتومة لكون القرآن منزلاً ولا تحتل التحطئة، فالمسيحيون يعترفون ايضاً بهذه الصوابية، بقطع النظر عن كونه منزلاً او موضوعاً، ويرجعون اليه للاستشهاد بلغته الصحيحة، كلما استعصى عليهم امر من امور اللغة " ويقول المفكر نصري سلهب : " لم يقدر لاي سفر، قبل الطباعة، ايا كان نوعه واهميته، ان يحظى بما حظى به القرآن من عناية واهتمام، وان يتوقّر له ما توقّر للقرآن من وسائل حفظته من الضياع والتحريف، وصانته عما يمكن ان يشوب الاسفار عادة من شوائب " " تلك اللغة التي ارادها الله قمة اللغات، كان القرآن قمتها، فهو قمة القمم، ذلك بانه كلام الله.. " (٦)

تحديه الفصحاء الذين لم يؤمنوا بأنه من الله أن يأتوا بمثله:

-
- (١) - «مسلم وأحمد»
(٢) - «متفق عليه وأحمد»،
(٣) - « إعجاز القرآن للرافعي ١٥٧-١٦٠ ».
(٤) - انظر علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر ص ٢٠١ .
(٥) - الدكتور جوج حنا (G. Hanna John) مسيحي من لبنان، ينطلق في تفكيره من رؤية مادية طبيعية صرفة، كما هو واضح في كتابه المعروف (قصة الانسان) . والنص من كتابه قصة الإنسان، ص ٧٩ - ٨٠ .
(٦) - نصري سلهب مفكر لبناني مسيحي عرف بنشاطه الدؤوب لتحقيق التعايش السلمي الاسلامي المسيحي والنص من كتابه لقاء المسيحية والاسلام ص ٨٦

قال تعالى مبينا عجز الإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بمثل القرآن الكريم: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} [الإسراء: ٨٨] ، هذه الآية مكية، نزلت في وقت قلة عدد المؤمنين وضعفهم، وإقدام النبي على هذا الخبر العظيم عن جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة أنهم لا يقدرّون على الإتيان بمثل القرآن، بل يعجزون عنه، لا يقدم عليه وهو يدعو الناس لتصديقه إلا وهو واثق أن الأمر كذلك، ولا يقدم عاقل على مثل هذا الخبر وهو يشك فيه، في مثل ظرف النبي ﷺ في ذلك الوقت، ولم يكن هذا اليقين حاصلًا للنبي ، إلا بإعلام الله سبحانه له (١).

وقد تحدى الله الكفار أن يأتوا بمثله إن ظنوا أنه من قول محمد ، قال سبحانه: {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ} [الطور: ٣٤] ، وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله [هود: ١٣] ، ثم تحداهم الله أن يأتوا بسورة من مثله فلم يقدرّوا، وأخبرهم أنهم لن يفعلوا، قال سبحانه: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ اللَّهِ الَّتِي وَوُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ [البقرة: ٢٣ - ٢٤] ، ولو كان القرآن من كلام الرسول لما حزم بعدم استطاعة أحد أن يأتي بمثله، وتحقق هذا الجزم بعد ذلك دليل على أن القرآن كلام الله المعجز ، وكان بإمكانهم أن يكذبوا القرآن لو استجابوا للتحدي وأتوا بسورة مثل القرآن، ولما رأينا أنهم تركوا الاستجابة للتحدي مع أنه أمر لا يكلفهم كثيرا من التبعات واختاروا الطريق الوعر لمواجهة الرسول وهو الحرب وإزهاق الأنفس وإهدار الأموال علمنا علما يقينيا عجزهم عن الإتيان بمثله مع كونهم أساطين الفصاحة والبلاغة.

ولو قدرنا أن رجلا ألف كتابا، أو قال شعرا ثم تحدى الكتاب والشعراء، فقال: عارضوني وإن لم تعارضوني فأنتم كفار مأواكم النار، ودماؤكم لي حلال!! فمن المستحيل أن يحجم الجميع عن معارضته لإنقاذ أنفسهم من القتل، ولدفع وعيده لهم بدخول النار، فإذا لم يعارضوه رغم توافر الدواعي لمعارضته كان ذلك من أبلغ العجائب الخارقة للعادة الدالة على صدقه في تحديه (٢).

يقول فيليب حتى : "ان الاسلوب القرآني مختلف عن غيره، ثم انه لا يقبل المقارنة باسلوب آخر، ولا يمكن ان يقلد. وهذا في اساسه، هو إعجاز القرآن.. فمن جميع المعجزات كان القرآن المعجزة الكبرى". .. ان إعجاز القرآن لم يحل دون ان يكون اثره ظاهراً على الادب العربي. اما إذا نحن نظرنا إلى النسخة التي نقلت في عهد الملك جيمس من التوراة والانجيل وجدنا ان الاثر الذي تركته على اللغة الانكليزية ضئيل، بالاضافة إلى الاثر الذي تركه القرآن على اللغة العربية. ان القرآن هو الذي حفظ اللغة العربية وصانها من ان تتمزق لهجمات" (٣)

علامات إلهية في القرآن :

هناك علامات واضحة بينة في القرآن تدل قارئه وسامعه أنه من عند الله عز وجل ويستحيل أن يكون من عند غيره ومنها:

(١) - انظر شعب الإيمان للبيهقي ١/ ٥٥ والجواب الصحيح لابن تيمية ٥/ ٤٠٩ .

(٢) - انظر الجواب الصحيح لابن تيمية ٥/ ٤٣٠

(٣) - د. فيليب حتي: P. Hitti كتابه الاسلام منهج حياة، ص ٦٢ . وص ٢٨٧

[١] الجدة الدائمة: إذا أعجبتك قصيدة من عيون الشعر وطربت نفسك عند سماعها فإنها تفقد رونقها وجمالها إذا كررت على سمعك عدة مرات، مع أن اللسان الذي قالها وكررها واحد، والأذن التي سمعتها واحدة، ذلك لأن كلام البشر يفقد رونقه وجماله بالتكرار، ويلمس قارئ القرآن أثرا من إعجازه حين يقرأ القرآن ويعيد قراءته، فكلما قرأه وجده جديدا مهما تكرر على اللسان أو السمع، وكم كرر المسلمون ويكررون سورة الفاتحة وقصار السور كل يوم، وكلهم يجمعون على أن القرآن الكريم لا يزال جديدا على ألسنتهم، وهذه علامة تخضع للممارسة من كل قارئ للقرآن في أي زمان وفي أي مكان، كما أنها علامة إلهية في كل سورة. ولقد نطق أحد كبار المستشرقين بهذه الحقيقة، وهو المستشرق "ليون" فقال: حسب القرآن جلالة ومجدا أن الأربعة عشر قرنا التي مرت عليه لم تستطع أن تخفف ولو بعض الشيء من أسلوبه الذي لا يزال غصنا كأن عهده بالوجود أمس.

[٢] كونه روحا من أمر الله: يكون الكلام انعكاسا لشخصية المتكلم وعلمه وخبرته وصفاته، وقارئ القرآن يقع في نفسه شعور بأن المتكلم إليه هو الله سبحانه. قال تعالى: { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا } [الشورى: ٥٢] ، فهناك سر خاص وسلطان خاص يحمله القرآن إلى قارئه يدل على أنه كلام الله.

[٣] أنه كلام فريد: كلام البشر درجات وطبقات متقاربة ويمكن دمج كلام بعضهم ببعض، لكن القرآن يمثل درجة متميزة، وطبقة من الكلام خاصة، تتميز عن سائر كلام البشر، فإذا تكلم الخطيب أو كتب الكاتب، واستشهد بايات من كتاب الله تحس بالفارق الجلي بين مستوى كلام الله وكلام البشر، يشعر به السامع والقارئ، بينما كل كلام للبشر يمكن دمجها بغيره دون الإحساس بفارق .

[٤] قوة تأثيره والروعة والهيبة التي تلحق قارئه وسامعه: فإذا قرأ القارئ ما شاء من كلام البشر في موضوع ما، ثم قرأ من كتاب الله آيات في نفس الموضوع، فسيشعر بالفرق الكبير في التأثير بين كلام الله وكلام البشر. وانظر الفرق بين أثر ما تسمعه من وعظ الواعظ بكلام الله، وبين وعظه بكلامه، بل جرب أن تعظ الناس بكلامك ثم تعظهم بكلام الله، ثم انظر الفرق في وجوه المستمعين وفي نفسك، بشرط شرحك للألفاظ القرآنية التي لا يعرفها العامة في هذا الزمان، ولقد أدرك أحد المستشرقين هذه العلامة الإلهية كما أدركها غيره، فقال: " إن أسلوب القرآن جميل وفياض، ومن العجب أنه يأسر بأسلوبه أذهان المسيحيين، يجذبهم إلى تلاوته، سواء في ذلك الذين آمنوا به، أو من لم يؤمنوا به وعارضوه. " وقد ذكرنا مدى تأثيره في كفار قريش، ويكفي المتأمل ما أحدثه من تأثير هائل في حياة العرب الأميين حتى جعل منهم خير أمة أخرجت للناس قادت البشرية بالعلم والعدل والحق، وصهرت الشعوب في بوتقتها، رغم اختلاف أجناسها وألوانها.

إليك تجربة في تأثير القرآن على التوتر العصبي:

أجرى الدكتور أحمد القاضي تجربة في عيادات (أكبر) « في مدينة بنما بولاية فلوريدا » لإثبات ما إذا كان للقرآن أي أثر على وظائف أعضاء الجسد وقياس هذا الأثر إن وجد، واستعملت أجهزة المراقبة الإلكترونية المزودة بالكمبيوتر لقياس أي تغيرات فسيولوجية عند عدد من المتطوعين الصم أثناء استماعهم لتلاوة القرآن

وقد تم تسجيل وقياس أثر القرآن عند عدد من المسلمين المتحدثين باللغة العربية وبغير العربية وكذلك عند عدد من غير المسلمين متحدثين بالعربية أو غير متحدثين بها ، وتليت عليهم مقاطع من القرآن الكريم كما تليت عليهم ترجمه لهذه المقاطع باللغة الإنجليزية وفي كل هذه المجموعات أثبتت التجارب المبدئية وجود أثر مهدى مؤكد للقرآن في ٩٧ في التجارب المجراة، وهذا الأثر ظهر في شكل تغيرات فسيولوجية تدل على تخفيف توتر الجهاز العصبي التلقائي «١» وقد ظهر من الدراسات المبدئية أن تأثير القرآن المهدى للتوتر يمكن أن يعزى إلى عاملين:

[١] صوت الكلمات القرآنية بغض النظر عما إذا كان المستمع قد فهمها أم لم يفهمها؛ آمن بها أم لم يؤمن بها.

[٢] معنى المقاطع القرآنية ولو كانت مقتصرة على الترجمة الإنجليزية بدون الاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم، ولذلك أجرى بحوث المرحلة الثانية التي تضمنت دراسات مقارنة لمعرفة إذا ما كان أثر القرآن المهدى للتوتر وما يصاحبه من تغيرات فسيولوجية عائدا لتلاوة القرآن وليس لعوامل أخرى مثل الصوت أو رنة القراءة القرآنية العربية أو معرفة السامع بأن ما يقرأ عليه هو جزء من كتاب مقدس أي أن هدف الدراسة تحقيق الافتراض القائل بأن الكلمات القرآنية في حد ذاتها لها تأثير فسيولوجي بغض النظر عما إذا كانت مفهومة لدى السامع وقد أجريت هذه التجارب خلال اثنين وأربعين جلسة علاجية، تضمنت كل جلسة خمس تجارب وبلغ المجموع الكلي للتجارب مائتين وعشرة تجربة تليت على المتطوعين فيها قراءات قرآنية خلال خمس وثمانين تجربة، كما تليت عليهم قراءات عربية غير قرآنية باللغة العربية مجودة لتطابق القراءات القرآنية من حيث الصوت واللفظ والوقع على الأذن خلال خمس وثمانين تجربة أخرى ولم يستمع المتطوعون لأي قراءة خلال أربعين تجربة بحيث كانوا جالسين جلسة مريحة وأعينهم مغمضة خلال تجارب الصمت وهي نفس الحالة التي كانوا عليها أثناء التجارب السابقة ولقد ظهر بوضوح أن التجارب الصامتة لم يكن لها أي تأثير مهدى للتوتر، وكانت النتائج إيجابية في ٦٥ من تجارب القراءات القرآنية بينما لم يظهر هذا الأثر إلا في ٣٣ فقط من تجارب القراءات غير القرآنية. قال تعالى: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: ٢٨] .

تأثر الشاعر المعاصر نقولا حنا: حيث كان نصرانيا، ثم أعلن إيمانه بالقرآن وبالرسول صلى الله عليه وسلم ، قال: قرأت القرآن فأذهلني، وتعمقت به ففتيتي، ثم أعدت القراءة فأمنت.. آمنت بالقرآن الإلهي العظيم، وبالرسول من حملة، النبي العربي الكريم... إلى أن يقول: وكيف لا أومن ومعجزة القرآن بين يديّ انظرها وأحسها كل حين؟! هي معجزة لا كبقية المعجزات... معجزة إلهية خالدة تدل بنفسها عن نفسها، وليست بحاجة لمن يحدث عنها أو يبشر بها... وقال: وكم احتاجت وتحتاج الأديان السابقة إلى علماء ومبشرين وشواهد وحجج وبراهين لحض الخلق على اعتناقها. إذ ليس لديها ما هو منظور محسوس يثبت أصولها في القلوب.. أما الإسلام فقد غني عن كل ذلك بالقرآن فهو أعلم معلّم وأهدى مبشر، وهو أصدق شاهدا وأبلغ

حجة وأدمغ برهاناً.. هو المعجزة الخالدة خلود الواحد الأزلي المنظورة المحسوسة في كل زمان... ثم نظم قصيدة يبين فيها إعجاز القرآن وعظمته (١) .

[٥] خلوه من التناقض والاضطراب: للناس آراء ومقررات في حالات الضعف أو الخوف أو الضيق أو الفقر أو القلة أو نقص المعلومات، وترى تلك الآراء والمقررات تتغير إذا تبدل حال الإنسان إلى العكس مما سبق، وترى هذا في كل عمل بشري، لكن لا تجد أثراً لشيء من هذا الاختلاف في كتاب الله. لأنه من كلام الذي لا تغيره الأحوال سبحانه، ولا يشوب علمه النقص، قال تعالى: **أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢) [النساء: ٨٢]** . مع أن القرآن كتاب ضمّ طوال السور وقصارها، ونزل في فترات متقطعة، وفي ظروف مختلفة وشمل علوماً متعددة، وتحدث عن آفاق واسعة، تجده يصدق بعضه بعضاً ويكمل آخره أوله (٢)

[٦] علومه الواسعة: اشتمل القرآن على علوم ومعارف تهدي البشر إلى طريق الحق والصواب والسعادة في جميع شؤونهم في حياتهم الدنيا والآخرة، وتجنبهم الشر بحذافيره، في كل زمان ومكان، وقد بلغت هذه العلوم من دقة المعلومات، وصحة الأخبار، ونبالة القصد، ونصاعة الحجّة، وحسن الأثر، وعموم النفع مبلغاً يستحيل على محمد صلى الله عليه وسلم - وهو رجل أمي نشأ بين أميين - أن يأتي بها من عند نفسه، بل يستحيل على أهل الأرض جميعاً من علماء وأدباء وفلاسفة وأخلاقيين أن يأتوا بمثلها من تلقاء أنفسهم ولو تظاهروا على ذلك (٣) ، فالعلوم التي في القرآن تدل كل عاقل ومنصف على أنه من عند الله، ولا يمكن أن تكون من عند غيره، ونضرب لك ثلاثة أمثلة مما احتوى عليه من العلوم:

(أ) إخباره بالغيّب الماضي والحاضر والمستقبل: تفصيله في المبحث القادم ، والدليل الثالث وهذا مثال واحد حول (قصة هامان) :

ورد ذكر "هامان" ست مرات في القرآن الكريم، كما ورد اسمه متصلاً باسم فرعون كشخص من المقربين إليه ويسند فرعون إليه أعمال البناء، حيث أمره ببناء صرح عال يصعد عليه، قال تعالى: {وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب (٣٦) أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب { [غافر: ٣٦-٣٧] ، فهاتان الآيتان تثبتان وجود شخص اسمه هامان مقرب إلى فرعون، ويكلفه بعمل البناء ، بينما لم يرد ذكر لهامان في التوراة، ولم يرد ذكره في أي من المقاطع (الروايات) التي تحكي حياة نبي الله موسى عليه السلام، لكن ورد اسم "هامان" في أحد كتب العهد القديم.

(١) - علوم القرآن الكريم د. نور الدين عتر ص ٢٠١-٢٠٢ وذكر من ضمن أبيات قصيدته:

يقولون: ما آياته؟ ضلّ سعيهم ... وآياته - ليست تعدّ - عظام
كفى معجز الفرقان للناس آية ... علا وسما كالنجم ليس يرام
فكلّ بلغ عنده ظل صامتا ... كأنّ على الأفواه صرّ كمام
وشاء إله العرش بالناس رحمة ... وأن يتلاشى حقدهم وخصام
ففرّق ما بين الضلالة والهدى ... بفرقان نور لم يشبهه قمام.

(٢) - انظر كتاب / دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشّيخ محمد الأمين الشنقيطي للرد على من توهم وجود تعارض في الآيات القرآنية.

(٣) - انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢ / ٣٦٦.

لكن هذا الكتاب ذكر أن "هامان" شخص مساعد لملك بابل، وبابل في العراق، وأنه أوقع الكثير من الضرر بالإسرائيليين، ولكن هذه الأحداث كانت بعد نبي الله موسى بمدة طويلة تبلغ ١١٠٠ عام، ويدعى بعض الطاعنين في الإسلام (١) أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي كتب القرآن، وأنه نسخ قصص الأمم السابقة من التوراة والإنجيل، فأخطأ في شخصية هامان فذكر أنه وزير فرعون، بينما هو - حسب دعواهم - مساعد ملك بابل.

وجاءت الكشوف الحديثة في علم الآثار لتظهر صدق ما جاء في القرآن الكريم وبطلان تلك الدعاوى المزعومة بعد أن حلت رموز وحروف الكتابة الهيروغليفية المصرية القديمة، التي ورد فيها ذكر شخصية هامان وطبيعة عمله، وتوجد الإشارة إلى هذا الاسم في نصب في متحف هوف في فيينا (٢)، كما ظهر في كتاب بعنوان (٣) (in the new Kingdom people) "في شعب المملكة الجديدة" الذي تم إعداده استنادا إلى مجموعة من النقوش كما ظهرت في هذه النقوش وظيفة وطبيعة عمل هامان وهو أنه كان: (رئيس عمال الحجارة) " ورد الاسم مذكرا، من المملكة الجديدة. وترجمت المهنة إلى اللغة الألمانية بمعنى رئيس أو مراقب العمال في مقال الحجر (٤) .

وهذا كله يثبت حقيقة ما جاء في القرآن من أن هامان كان في مصر وأنه كان مسئولاً عن أعمال البناء وهذه المعلومات لم تكن متوفرة في عهد نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن الكتابة الهيروغليفية قد تركت منذ زمن قديم حيث يرجع آخر مثال معروف لاستخدامها إلى عام ٣٩٤ بعد الميلاد، ثم نسيت هذه اللغة ولم يكن هناك أحد يستطيع أن يخل رموزها أو يفهمها إلى حوالي ٢٠٠ سنة مضت في عام ١٧٩٩ م تم اكتشاف "حجر رشيد (Rosetta Stone)" الذي يرجع تاريخه إلى ١٩٦ قبل الميلاد، وبواسطته تم حل شفرة الكتابة المصرية القديمة، ومن خلالها توفرت المعلومات عن الحضارة المصرية القديمة وجوانبها الدينية والاقتصادية والتاريخية وغيرها، ومن ذلك معرفة شخصية "هامان" وطبيعة عمله، كما ذكر ذلك في القرآن الكريم. فمن أين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم هذا العلم الذي خفي على البشرية في وقته وإلى عصرنا الحاضر حتى قبل ٢٠٠ سنة تقريبا، إن الإخبار باسم شخص كان يعيش مع فرعون والإخبار عن وظيفته عند فرعون، مع أن هذا الإسلام قد سقط عند أهل الكتب المقدسة ونسي من ذاكرة التاريخ، ولم يعثر على هذا الاسم إلا بعد نزول القرآن باثني عشر قرنا بعد أن تم اكتشاف حجر رشيد الذي تمكن به علماء الآثار من فك

(١) - Ludwig Marroccio (Confessor to the Pope Innocent XI), Alcoranus Textus Universus:1698, Published at Paduae, Italy. B. Lewis, V L Menage, Ch. Pellat and J Schacht (Editors), Encyclopaedia of Islam (New Edition) : 1971, Volume III, E J Brill (Leiden) Luzac Co. (London), P.110. Arthur Jeffery, The Foreign Vocabulary of the Qur, an:1938, Oriental Institute, Baroda, pp.284

(٢) - Wlater Wreszinski, Aegyptische Inschriften aus dem K.K.Hof Museum in wien:1906, J C Hinrichs, Sche Buchhandlung, Leipzig

(٣) - Hermann Ranke, Die gyptischen Personennamen, VERZEICHNIS DER NAMEN, Verlag Von JJ Augustion in Gluckstadt, Band I (١٩٣٥) .

(٤) - The name is listed as masculine, from the New Kingdom. The profession translated into German reads Vorsteher der Steinbruch arbeiter The Chief/ Overseer of the workers in the stone quarries, (Aegyptische Inschriften, 134, P.130) .Encyclopdia Briannica

رموز لغة الفراعنة (المهروغليفية) فوجدوا اسم هامان يذكر في النقوش الفرعونية وأنه وزير فرعون للبناء تماما كما أخبر القرآن، إن ذلك يدل على أن مصدر هذا الخبر الغيبي قد نزل في القرآن من علم الله، إنه من الله العليم بكل شيء (١).

(ب) - الإعجاز العلمي الذي احتوى عليه القرآن: القرآن لا تنقضي عجائبه، فكلما مر الزمن اكتشفت البشرية وجها جديدا من إعجازه، فما إن دخل الناس في عصر العلوم الكونية حتى وجدوا في كتاب الله نبأ صدق ما وعدهم في قوله تعالى: { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } [فصلت: ٥٣] ، وإذا بالوعد يتحقق وهو موضوع المبحث **(رابعا في هذا الدليل)** وقد ألفت في هذا مؤلفات كثيرة، تبين مدى الإعجازات العلمية الدقيقة التي تكلم عنها النبي في سنته قبل أربعة عشر قرنا، ولم نعرف معناها إلا الآن في هذا القرن، وقد ألف الدكتور مختار سالم كتابا بعنوان (الإبداعات الطبية لرسول الإنسانية) (٢) ، ذكر فيها أنواعا كثيرة من العلاجات النبوية لأمراض بعضها لم يعرف له دواء إلى الآن، وكيف أن النبي تنبأ بخروج طاعون العصر (الإيدز) ؛ كما سبق ، وعن أبي هريرة أن النبي قال: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعا إحداهن في التراب (٣)» فقد ثبت طبيبا أن لسان الكلب يحمل فطريات ضارة جدا بالإنسان، وهذه الفطريات لا تزول ولا تقتل إلا بالتراب مع الماء (٤) ، وفي صحيح البخاري (٥) أيضا أن النبي قال: «إذا سقط الذباب في إناء أحدكم فليغمسه، فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء»، وأثبتت التجارب الطبية أن الذبابة تحمل في أحد جناحيها جراثيم مضرّة، وفي الآخر فطريات تقتل هذه الجراثيم (٦) ، وغير ذلك من أنواع الإعجاز وألوانه، الذي يدل أن النبي لا يقول هذا من عند نفسه بل من الوحي.

(ج) - الشريعة العظيمة التي احتوى عليها: لا يستطيع أحد أن ينظم بدقة وإحاطة أمر مصنوع من المصنوعات إلا إذا كان على علم بأسرار ذلك المصنوع فتأتي إرشاداته وتوجيهاته محققة للسير الصحيح، ومن تأمل في أحوال البشرية وجدها في اضطراب وفساد على الدوام، لكنها عند ما طبقت شريعة الله التي جاء بها رسله استقر أمرها وصلح حالها وختتم الله الشرائع بشريعة محمد ﷺ التي شيدت عليها أثبت الحضارات التي عرفها البشر خلال التاريخ الإنساني، وسعدت البشرية في ظل تلك الشريعة التي وحدت بين الأجناس المختلفة والبيئات المتباينة والعصور المتعاقبة، وشهد بذلك الدارسون من أهل الاختصاص، مما يدل على أن هذه الشريعة من قبل خالق الإنسان، الذي يعلم أسرار خلقته وفطرته.

فإلى جانب ما احتوى عليه القرآن من الهدى والنور في جانب الاعتقاد والإيمان الذي نزل من أجله، فقد اشتمل على أفضل وأرقى التشريعات التي تكفل سعادة الفرد والمجتمع بل والعالم بأكمله في جميع شؤون حياتهم

(١) - هذا الخلاصة في اسم هامان من مقال للدكتور/ باسم طارق جمال في مجلة الإعجاز العلمي، العدد (١٤) لعام ١٤٢٣ هـ.

(٢) - طبعته مؤسسة المعارف في بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥.

(٣) - متفق عليه (البخاري: كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان رقم: ١٦٧، ومسلم: كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب، رقم: ٤٢١)

(٤) - انظر: القرآن والسنة في العلوم الحديثة، ص: ٦٩.

(٥) - أخرجه (البخاري: كتاب الطب، باب إذا ارقع الذباب في الإناء، رقم: ٥٣٣٦.

(٦) - انظر: معجزات في الطب للنبي العربي محمد (صلى الله عليه وسلم)، تأليف الطبيب محمد سعيد السيوطي، ص ٦٤ مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية

في جوانب السياسية والقضاء والحكم وإقامة العدل، وفي جوانب الاقتصاد والمال والمعاملات، وفي جوانب الاجتماع والتكافل والأخلاق والآداب والفضائل، وفي جوانب الفكر والبحث والعلم، وفي جوانب الصحة وحماية الأعراض واستتباب الأمن، وفي جوانب العقل والبدن والأسرة والمرأة والمجتمع، وفي جوانب الحرب والسلام والعلاقات بين سائر بني الإنسان، وبيان الحقوق والواجبات فلم يبق جانباً من جوانب الحياة إلا وقد بيّن فيه سبيل الحق والهدى والصواب كما قال تعالى لرسوله: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّمَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ [النحل: ٨٩] ، ومن الأدلة على ذلك أن الأمة الإسلامية قد عاشت أكثر من ألف وأربعمائة عام غنية بما لديها من التشريعات، ولا تزال بعض الدول الإسلامية تتحاكم إليها في محاكمها ولم تحتج في يوم من الأيام إلى قوانين مستوردة من خارج الشريعة الإسلامية، لأن الجهاز التشريعي الضخم قد أغناها عن الحاجة لغيرها.

لا يوجد قانون في الأحكام والتنظيم مثل التشريع الذي جاء به النبي ، فإن شريعته جاءت لتسد حاجة الإنسان في كل نواحي الحياة، وتبين الحكم في كل ما يحتاج الإنسان، وتنظم حياة المسلم من ولادته إلى موته؛ تسير معه جنباً إلى جنب ترعاه وتحضنه وتقومه وتسدده وتبصره وتهديه { فإنه نزل على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين } [البقرة: ٩٧] ، شريعة كاملة، فيها من اللين واليسر والموافقة للعقل ما يجعل كل من يلتزم بها سعيداً فخوراً، وفيها من المرونة ما يجعلها تصلح لكل زمان ومكان وأمة، لا تميز بين الناس في الأحكام، فالعدل أساسها والحكمة نبراسها. على حين لا تجد هذا في كل شريعة وقانون وضعي، ولا يعرف هذا حق معرفته إلا القانونيون والمطلعون على القانون الوضعي، فهو يعدل في كل سنة عدة مرات، والقانون لو نجح في بلد فإنه قد لا ينجح في بلد آخر، ولو صلح في وقت فقد يكون وبالاً في وقت آخر، وانظر ماذا فعلت الشيوعية الحمراء (١) بأهلها التي لم يلتزم بها من التزم إلا بعد جريان أنهار الدم، واستخدام أشنع أنواع التعذيب، ثم سقطت إلى الهاوية وألقيت في زباله التاريخ غير مأسوف عليها.

ولم يستطع أحد أن يأتي بشريعة تخدم الإنسان في جميع شؤون حياته، فقصارى جهد من وضعها أن تكون فكرة في مجال معين؛ ففي الاقتصاد برزت الاشتراكية والرأسمالية، فالأولى قتلت الإبداع وسأوت بين النشيط والخامل، وبين المضحي واللامبالي، والذكي والغبي (٢) . والأخرى جعلت شعوبها شعوباً طبقية ما بين كل طبقة وطبقة مفاوز، فبعض الطبقات طبقة مسحوقة لا تجد قوت يومها، وبعضهم يتمتعون بكل متاع الدنيا، وليس على هؤلاء حق لأولئك (٣) ، وفي السياسة برزت الديمقراطية والدكتاتورية، فالأولى (٤) فتحت الباب على مصراعيه وأطلقت الحريات بلا عنان، وجعلت الحكم للشعب طارحة أي حكم شرعي غير مبالية فيه، فحكم الناس يقدم على حكم رب الناس، والأخرى جعلت الحكم محصور بشخص واحد ولا يحق لأحد التدخل مهما بلغ من الثقافة والعلم، وغيرها من الأفكار والمذاهب التي لا يسع المجال لذكرها ، وهذه القوانين مع كثرة الواضعين لها والمنقحين والمراجعين والمصححين إلا أنه لا زالت تغير يوماً بعد يوم، فمن وضعها غير

(١) - القرآن وإعجاز التشريعي، محمد إسماعيل إبراهيم، ص ٣١، دار الفكر العربي، القاهرة.

(٢) - القرآن والسنة والعلوم الحديثة، محمد أحمد مدني، ص ١٠١، مبحث الماركسية وتناقضاتها

(٣) - انظر: الموسوعة المسيرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٩٢٠/٢)

(٤) - انظر: السابق (١٠٦٦/٢)

راض عنها فضلا عن غيره ، وكل هذه الأفكار والمذاهب والتشريعات والقوانين على اختلاف مجالاتها كان منتهى قدراتها مجتمعة أن تخدم بدن الإنسان وجسمه، ولم تستطع أن تقدم للروح شيئا، فكان غاية ما عندها أن تقول للناس: ليتخذ كل منكم الدين الذي يريد، فإننا لا نعرف كيف تسعد الروح.

فكل هذه العقول لم تستطع أن تأتي بشريعة خالدة شاملة لجميع نواحي الحياة كما أتى به النبي في شريعته، وهذا من أدلة صدقة، فالبشر لا يقدر على هذا، ولا حتى النبي يقدر على ذلك، إنما هذه الشريعة تنزيل من عزيز حميد، شريعة لا يأتيها الباطل من بين أيديها ولا من خلفها، يقول برناردشو : (لو كان محمد - نبي الإسلام - حيا يرزق لاستطاع أن يحل مشاكل العالم وهو جالس على حصيرته يجتسي القهوة) (١) .

محاورة سفير فرنسا مع عبد المجيد الزنداني حول الشريعة :

في أثناء زيارة سفير فرنسا ، سألتني قائلا: هل اكتملت الحياة وصورها؟ * فقلت: لا.

* فقال: وهل اكتمل الدين؟ * فقلت: نعم.

* فقال: فكيف يتسع الدين المحدود الذي اكتمل لحاجات الحضارة وصورها المتجددة؟!.

* فقلت له: هل تركيب عينك هو نفس تركيب أعين من كانوا يعيشون في عصر محمد وفي عصر المسيح عليهما السلام؟.

* فقال: التركيب واحد لم يتغير.

* فقلت له: هل تركيب أعضاء جسمك، هو نفس تركيب أعضاء أجسام من كانوا يعيشون في عهد النبي محمد وفي عهد المسيح عليهما السلام؟.

* فقال: نعم، تركيب أجسامنا لم يتغير ولم يتبدل.

* فقلت له: هل تحب، وتكره، وتخاف، وتطمع؟.

* قال: نعم.

* قلت له: الذين كانوا يعيشون في عصر النبي محمد صلى الله عليه وسلم وفي عصر المسيح هل هم مثلنا يحبون ويكرهون ويخافون ويطمعون؟.

* قال: نعم.

* فقلت له: إذن التركيب النفسي لنا ولهم لم يتغير ولم يتبدل!.

* قال: نعم هذا صحيح.

* فقلت له: التركيب النفسي والبدني لمن يعيشون اليوم هو نفس التركيب النفسي والبدني لمن كانوا يعيشون في عهد النبي محمد وفي عهد المسيح عليهما السلام.

* فقال: هذا صحيح.

* ثم قلت له: لو أن لدينا مليون سيارة مرسيدس، بتصميم هندسي واحد (موديل واحد) ، قد صنعت طبقا لخطة هندسية واحدة، ولها كتاب إرشاد (كتالوج) واحد، فهل يصلح كتاب الإرشاد (الكتالوج) الواحد لتسيير وتشغيل أي سيارة من هذه المليون السيارة؟!

* فقال: طالما الموديل واحد والصنعة واحدة، فلا بد أن يكون (الكتالوج) واحدا، والكتالوج الواحد يصلح لأي سيارة من هذه السيارات.

* فقلت له: ولو وزعناها على القارات في آسيا، وأوروبا، وأمريكا؟!

* فقال: ولو وضعت في أي مكان على الأرض، فإنها لا تعمل إلا بنفس (الكتالوج) الذي صنعت طبقا له ما لم يتغير تركيبها.

* فقلت له: ولو أننا أخرجنا من مخزن السيارات مائة سيارة بعد عشر سنوات، فهل لا يزال (الكتالوج) يصلح لها؟!

* فقال: لا يزال يصلح لها، لأنها لم يحدث لها أي تغيير في تركيبها.

* فقلت له: ولو أخرجناها بعد مائة سنة فهل لا يزال الكتالوج يصلح لها.

* فقال: يصلح لها ما دام تركيبها لم يتغير.

* فقلت له: ولو أخرجناها بعد ألف وأربعمائة عام، فهل لا يزال (الكتالوج) نافعاً لها ويصلح لتشغيلها؟!

* فقال: نعم، لا يزال يصلح لها ما لم يتغير تركيبها!.

* فقلت له: إذا كانت الإرشادات (الكتالوج) التي تقدمها مصانع السيارات تصلح لتشغيل تلك السيارات من نفس تلك الصنعة (الموديل) مهما اختلف الزمان والمكان، فكذلك الشريعة والدين الذي جاء من عند الله متعلقا بفطرة الإنسان البدنية والنفسية التي لم تتبدل ولم تتغير بتغير الزمان والمكان، لا يزال صالحا لفطرة الإنسان التي خلق الله الناس عليها، وصالحا للشريعة الموحدة في فطرتها وخلقتها كما قال تعالى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ [الروم: ٣٠] .

* ثم قلت له: والدين الذي جاءنا من عند الله جاء في صورة قواعد كلية هادية تستوعب كل الصور المتجددة لتطورات الحياة، ويقوم العلماء المجتهدون بتنزيل أحكام الدين على صورته المتجددة، كما يقوم الخياط الذي يفصل الملابس وفق قواعد الخياطة فيجعلها متناسبة مع أحجام الناس ونوعية القماش، ومناسبة لفصول السنة وفقا لقواعد التفصيل والخياطة، والبيئة التي يعمل فيها الإنسان. ولو قام المجتهدون بعملهم كاملا لما قصرت الشريعة عن إيجاد حلٍّ لأي مشكلة تستجد للفطرة الإنسانية الثابتة. وهكذا تعلقت الشريعة بالفطرة الثابتة التي لا تتغير وكانت مرنة بعمل المجتهدين الذين يستنبطون من قواعدها الأحكام المناسبة للصور المتجددة.

* فقال: نعم، لا يزال يصلح لها ما لم يتغير تركيبها!.

* فقلت له: إذا كانت الإرشادات (الكتالوج) التي تقدمها مصانع السيارات تصلح لتشغيل تلك السيارات من نفس تلك الصنعة (الموديل) مهما اختلف الزمان والمكان، فكذلك الشريعة والدين الذي جاء من عند الله متعلقا بفطرة الإنسان البدنية والنفسية التي لم تتبدل ولم تتغير بتغير الزمان والمكان، لا يزال صالحا لفطرة

الإنسان التي خلق الله الناس عليها، وصالحا للبشرية الموحدة في فطرتها وخلقتها كما قال تعالى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ [الروم: ٣٠] .

* ثم قلت له: والدين الذي جاءنا من عند الله جاء في صورة قواعد كلية هادية تستوعب كل الصور المتجددة لتطورات الحياة، ويقوم العلماء المجتهدون بتنزيل أحكام الدين على صورته المتجددة، كما يقوم الخياط الذي يفصل الملابس وفق قواعد الخياطة فيجعلها متناسبة مع أحجام الناس ونوعية القماش، ومناسبة لفصول السنة وفقا لقواعد التفصيل والخياطة، والبيئة التي يعمل فيها الإنسان ، ولو قام المجتهدون بعملهم كاملا لما قصرت الشريعة عن إيجاد حل لأي مشكلة تستجد للفطرة الإنسانية الثابتة ، وهكذا تعلقت الشريعة بالفطرة الثابتة التي لا تتغير وكانت مرنة بعمل المجتهدين الذين يستنبطون من قواعدها الأحكام المناسبة للصور المتجددة (١) .

قالوا عن الشريعة الإسلامية

العلامة (شيريل) عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا، قال في مؤتمر الحقوق سنة /١٩٢٧/ : «إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها؛ إذ أنه برغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة(٢)، قال جوستاف لوبون : "لا عهد للمسلمين بتلك الطبقات الاجتماعية التي أدى وجودها إلى أعنف الثورات في الغرب، ولا يزال يؤدي" (٣). ويقول (مسيو لويلد) في كتابه: "حضارة العرب": "صان المسلمون أنفسهم حتى الآن من مثل خطايا الغرب الهائلة فيما يمس رفاهية طبقة العمال، وتراهم يحافظون بإخلاص على النظم الباهرة التي يُساوي بها الإسلام بين الغني والفقير والسيد والأجير على العموم، وليس من المبالغة أن يقال إداً: إن الشعب الذي يزعم الأوروبيون أنهم يرغبون في إصلاحه هو خير مثال في ذلك الأثر الجوهري" (٤)، وقال (ليود روش): "لقد وجدت في الزكاة حلّ للمشكلتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم؛ الأولى في قول القرآن: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، فهذا أجمل مبادئ الاشتراكية، والثانية: فرض الزكاة على كل ذي مال، وتحويل الفقراء حق أخذها غصباً إذا امتنع الأغنياء عن دفعها طوعاً، وهذا دواء الفوضوية" (٥).

وكتب بوفيس فانسون رئيس تحرير مجلة (تشانلنجز) بتاريخ ٤ / ١٠ / ١٤٢٩هـ، الموافق: ٥ / ١٠ / ٢٠٠٨م في افتتاحية المجلة موضوعاً بعنوان (البابا أو القرآن)، تساءل فيه عن أخلاقية الرأسمالية، ودور المسيحية كديانة، والكنيسة الكاثوليكية بالذات في تكريس هذا المنزع والتساهل في تبرير الفائدة، مشيراً إلى أن هذا السلوك الاقتصادي السيئ أودى بالبشرية إلى الهاوية. وتساءل الكاتب بأسلوب يقترب من التهكم عن موقف الكنيسة، ومُستسمحاً البابا بنديكيت السادس عشر قائلاً: "أظن أننا في هذه الأزمنة أحوج إلى قراءة القرآن بدلاً من الإنجيل لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا؛ لأنه لو حاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن

(١) - بينات الرسول (ص) ومعجزاته للزنداني ص ٢١٣ وما بعدها

(٢) - محمد في الآداب العالمية ، محمد محمد عثمان ص ١٥٦ ، مرجع سابق

(٣) - حضارة العرب ، غوستاف لوبون ص ٣٩١ مرجع سابق

(٤) - المرجع السابق نفس الصفحة

(٥) - فقه الزكاة د. يوسف القرضاوي (٢ / ١١٨٥)

من تعاليم وأحكام وطَبَّقوها، ما حلَّ بنا ما حل من كوارث وأزمات، وما وصل بنا الحال إلى هذا الوضع المرزي؛ لأن النقود لا تلد النقود!".

ودعا رولان لاسكين رئيس تحرير صحيفة (لوجورنال دي فينانس) إلى ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية في المجال المالي والاقتصادي؛ لوضع حدٍّ لهذه الأزمة التي تهزُّ أسواقَ العالم من جراء التلاعب بقواعد التعامل والإفراط في المضاربات الوهمية غير المشروعة. وفي مقاله الذي جاء بعنوان: "هل تأهلت وول ستريت لاعتناق مبادئ الشريعة الإسلامية؟" عرض "لاسكين" المخاطر التي تحدى بالرأسمالية، وضرورة الإسراع بالبحث عن خيارات بديلة لإنقاذ الوضع، وقدم سلسلة من المقترحات المثيرة، في مقدمتها: تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية برغم تعارضها مع التقاليد الغربية ومعتقداتها الدينية.

وقد دعا مجلس الشيوخ الفرنسي إلى ضم النظام المصرفي الإسلامي إلى النظام المصرفي في فرنسا، وقال المجلس في تقرير أعدته لجنة تُعنى بالشؤون المالية في المجلس: إنَّ النظام المصرفي الذي يعتمد على قواعد مستمدَّة من الشريعة الإسلامية مُريح للجميع، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وأكَّد التقرير الصادر عن اللجنة المالية لمراقبة الميزانية والحسابات الاقتصادية للدولة بالمجلس أن هذا النظام المصرفي الإسلامي الذي يعيش ازدهارًا واضحًا قَابِلٌ للتطبيق في فرنسا. وقد أصدرت الهيئة الفرنسية العليا للرقابة المالية في وقت سابق قرارًا يقضي بمنع تداول الصفقات الوهمية والبيع الرمزية التي يتميز بها النظام الرأسمالي، واشترط التقابض في أجل محدد بثلاثة أيام لا أكثر من إبرام العقد، وهو ما يتطابق مع أحكام الفقه الإسلامي، كما أصدرت نفس الهيئة قرارًا يسمح للمؤسسات والمتعاملين في الأسواق المالية بالتعامل مع نظام الصكوك الإسلامية في السوق المنظمة الفرنسية، والصكوك الإسلامية هي عبارة عن سندات إسلامية مرتبطة بأصول ضامنة بطرق متنوعة تتلاءم مع مقتضيات الشريعة الإسلامية.

وأشارت الباحثة الإيطالية لوريتا نابليوني في كتاب لها صدر مؤخرًا بعنوان (اقتصاد ابن آوى) إلى أهمية التمويل الإسلامي ودوره في إنقاذ الاقتصاد الغربي، واعتبرت نابليوني أن "مسؤولية الوضع الطارئ في الاقتصاد العالمي، والذي نعيشه اليوم، ناتج عن الفساد المستشري والمضاربات التي تتحكم بالسوق، والتي أدت إلى مضاعفة الآثار الاقتصادية". وأضافت أن "التوازن في الأسواق المالية يمكن التوصل إليه بفضل التمويل الإسلامي بعد تحطيم التصنيف الغربي الذي يُشبه الاقتصاد الإسلامي بالإرهاب". ورأت نابليوني أن التمويل الإسلامي هو القطاع الأكثر ديناميكية في عالم المال الكوي. وأوضحت أن "المصارف الإسلامية يمكن أن تصبح البديل المناسب للبنوك الغربية؛ فمع انهيار البورصات في هذه الأيام، وأزمة القروض في الولايات المتحدة - فإن النظام المصرفي التقليدي بدأ يُظهر تصدعًا، ويحتاج إلى حلول جذرية عميقة".

وتطرق الاقتصادي الفرنسي "موريس آلي" الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد إلى الأزمة الهيكلية التي يشهدها الاقتصاد العالمي بقيادة الليبرالية المتوحشة، معتبرًا أن الوضع على حافة بركان، ومهددًا بالانهيار تحت وطأة الأزمة المضاعفة (المديونية والبطالة). واقترح للخروج من الأزمة وإعادة التوازن شرطين، هما: تعديل معدل

الفائدة إلى حدود الصفر، ومراجعة معدل الضريبة إلى ما يقارب ٢٠٪، وهو ما يتطابق تمامًا مع إلغاء الربا ونسبة الزكاة في النظام الإسلامي^(١).

يقول (مونتييه) : "الإسلام في جوهره دين عقلي، بأوسع معاني هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية، فإن تعريف الأسلوب العقلي بأنه طريقة تُقيم العقائد على أسس من المبادئ المستمدّة من العقل والمنطق - ينطبق على الإسلام تمام الانطباق"^(٢).

ويقول (هنري دي كاستري): "ينتشر الإسلام بمجرد الاختلاط والمعايشة وحب التقليد، بدون أدنى إكراه، ولا تعيين رسل أو مبشرين، ويتعسر بيان اللحظة التي يصير فيها الشخص مسلمًا حقيقيًا؛ لأن الإسلام يأتيه تدريجيًا"^(٣). وفي إشارة إلى أن الإسلام ينتشر بقوته الذاتية يقول (جورج سيل): "لقد صادفتُ شريعة محمد ترحيبًا لا مثيل له في العالم، وإن الذين يتخيلون أنها انتشرت بحد السيف إنما يتخدعون انخداعًا عظيمًا"^(٤).

ويؤكّد بعضهم على إنسانية هذه الشريعة وروحانيتها: فيقول (توماس آرنولد): "ولم يكن النشاط الروحي للإسلام كما زعم عدد كبير جدًّا من الناس متمشيًا مع سلطانه السياسي، بل على العكس من ذلك، نجد فقدان السلطة السياسية والانتعاش المادي يعمل على إبراز أجمال الصفات الروحية التي تعدُّ أصدق البواعث التي تحفّز على القيام بأعمال الدعوة"^(٥). وفي تقدّم الشريعة الإسلامية وتفوقها على الشريعة الرومانية في جانب المرونة، يقول (دافيد دي سانتيلانا): "ولما كان الشرع الإسلامي يستهدف منفعة المجموع، فهو بجوهره شريعة تطويرية غير جامدة؛ خلافًا لشريعتنا (الرومانية) من بعض الوجوه"^(٦).

وتأكيدًا لعالميتها يقول (مونتهجري وات): "إن الإشارات القرآنية للصيقة بالعرب لا تنفي أنه عالمي النزعة، أو ذو طبيعة علمية، وأن رسالة الإسلام التي وجهت في البداية لأهل مكة في المدينة كانت تحمل في طياتها بذور العالمية، أو أنها كانت منذ البداية أو منذ مضمونها الأول ذات أبعاد عالمية" ... ويقول: "إن القرآن يحظى بقبول واسع بصرف النظر عن لغته؛ لأنه يتناول القضايا الإنسانية" .. وفي تفوق الشريعة الإسلامية على شريعة اليهودية والنصرانية، يقول أيضًا: "لقد أكد الإسلام نفسه بالفعل كدين مستقلٍّ عن الدينين الأقدمين (اليهودية والمسيحية)، ونقول عن حق: إنه بالفعل كان يفوقهما أو إنه فعلاً كان متفوقًا عليهما، أو أرقى منهما!" وتأكيديًا لحقيقتها وأنها وحي معصوم ملزم، يقول (مونتهجري وات): "والشريعة الإسلامية تختلف اختلافًا واضحًا عن جميع أشكال القانون؛ إنها قانون فريد في بابه، إن الشريعة الإسلامية هي جملة الأوامر الإلهية التي تنظّم حياة كل مسلم من جميع وجوهها"^(٧).

(١) - <http://www.alukah.net/culture/0/82696>

(٢) - مستشرق فرنسي، عن كتابه "حاضر الإسلام ومستقبله" مرجع سابق، نقلًا عن مقال: وشهد شاهد من أهلها؛ د. محمد عمارة.

(٣) - هنري دي كاستري، كاتب فرنسي، الإسلام خواطر وسوانح (ص: ٥). مرجع سابق

(٤) - الفاتيكان والإسلام؛ د. محمد عمارة.

(٥) - توماس آرنولد، العالم الإنجليزي، الدعوة إلى الإسلام (ص: ٢٧). مرجع سابق

(٦) - دافيد دي سانتيلانا، مستشرق إيطالي، القانون والمجتمع (ص: ٤٣٨).

(٧) - مونتهجري وات، المؤرخ الإنجليزي، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر (ص: ٢٢٣ - ٢٢٦) (٣٣) (١٩١).

وفي قيام الشريعة على العدل وأتساقها مع العقل قال (تولستوي): "ستعمُ الشريعة الإسلامية كل البسيطة؛ لاثنتانها مع العقل وامتزاجها بالحكمة والعدل" (١)... وفي بيان أنها شريعة تجمع الديني والديني معاً من غير فصل أو تفریق، وترعى العباد في دنياهم وأخراهم، قال (ر. ف بودلي): "لقد كان محمد على نقيض من سبق من الأنبياء؛ فإنه لم يكتفِ بالمسائل الإلهية، بل تكشفت له الدنيا ومشاكلها، فلم يغفل الناحية العلمية الدنيوية في دينه، فوفَّق بين دنيا الناس ودينهم، وبذلك تفادى أخطاء من سبقوه من المصلحين الذين حاولوا خلاص الناس عن طريق غير عملي، لقد شبَّه الحياة بقافلة مُسافرة يرهاها إلهٌ، وأن الجنة نهاية المطاف" (٢).

تم الاعتراف بالشريعة الإسلامية كمصدر عالمي للتشريع والقانون في عدد من المؤتمرات الدولية العلمية منذ عام (١٩٣٢م) منها: ١- القانون المقارن الدولي في لاهاي عام ١٩٣٢م. ٢- مؤتمر لاهاي المنعقد في عام ١٩٣٧م. ٢- مؤتمر القانون المقارن في لاهاي ١٩٣٨م. ٤- المؤتمر الدولي عام ١٩٤٥م بواشنطن. ٥- شعبة الحقوق بالجمع الدولي للقانون المقارن ١٩٥١م بباريس. وقد صدرت عن هذه المؤتمرة قرارات هامة هي: أ- اعتبار التشريع الإسلامي مصدراً رابعاً لمقارنة الشرائع. ب- الشريعة الإسلامية قائمة بذاتها لا تمت إلى القانون الروماني أو إلى أي شريعة أخرى. ج- صلاحية الفقه الإسلامي لجميع الأزمنة والأمكنة. د- تمثيل الشريعة الإسلامية في القضاء الدولي ومحكمة العدل الدولية [١٣].

[٧] - حفظه من التغيير والتبديل: ومن العلامات الإلهية في القرآن كونه محفوظاً من التغيير والتبديل، مع مرور الأزمنة المتطاولة على نزوله، وكثرة المعادين والحاقدين والخصوم المتربصين به وبأهله، ومع ذلك لم تنله يد التغيير والتبديل، وما حصل من محاولات التحريف بآءت جميعها بالفشل، فهو محفوظ على مستوى الحرف الواحد بل على مستوى حركة الحرف الواحد، وإنك لتسمع القرآن اليوم يذاع من إذاعات العالم المختلفة ومن الدول المعادية للإسلام «١»، فإذا هو القرآن المعروف الذي أنزل على محمد ﷺ وهذا كله تصديق لوعده الله سبحانه الذي تكفل بحفظه فقال سبحانه: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩].

[٨] - الوصف الدقيق للغيب (٣): إن وصف أمور الغيب بدقة لا يكون إلا ممن رآه أو سمع من رآه، ولذا يمكن القول بأن وصف النبي لربه وللملائكة وللجنة والنار وصف عجيب، لا يمكن أن يأتي به بشر. فوصف النبي لله سبحانه وصف خال من التنقص، ملئ بكل كمال واجب لله سبحانه (٤)؛ فيصفه

(١) - حكم النبي محمد (ص: ١٠)، نقلاً عن: شهد شاهد من أهلها (ص: ٢٨٧).

(٢) - نبي الإسلام في مرآة الفكر الغربي؛ د. عز الدين فراج (ص: ٦٦).

(٣) - د. عبد المحسن بن زين المطيري، الأدلة الجلية على صدق خير البرية ص ١١٨ الرياض ١٤٢٩

(٤) - انظر: كتاب (الله أهل التناء والجد)، د. ناصر الزهراني، مؤسسة الجريسي، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠، فهو جيد في هذا الباب.

بالقدرة المطلقة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة والحياة الكاملة، وغير ذلك من الأسماء والصفات، فسماه بأحسن الأسماء، ووصفه بأجمل الأوصاف: {ولله الأسماء الحسنى} [الأعراف: ١٨٠] ، و (الحسنى) أفعل تفضيل مؤنث من الحسن، يعني أن الله أحسن الأسماء، {ولله المثل الأعلى} [النحل: ٦٠]-والمثل يعني الصفة كقوله تعالى: {مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء...} {محمد: ١٥} -، يعني أن له سبحانه أعلى الأوصاف. وهذا الوصف لا يمكن لمخلوق أن يتصف به {فلا تضربوا لله الأمثال} [النحل: ٧٤] {فلا تجعلوا لله أندادا} [البقرة: ٢٢] {ولم يكن له كفوا أحد} [الإخلاص: ٤] ، {ليس كمثله شيء} [الشورى: ١١] {هل تعلم له سميا} [مریم: ٦٥] ؛ فهو سبحانه لا مثل له ولا ند له ولا كفو له ولا سمي له.

ولكن انظر إلى البشر إذا أرادوا أن يصفوا الله ماذا يقولون (١) ، فبعضهم يجعل الإله حيوانا كمن يعبد البقر أو الفأر، وبعضهم يجعله جمادا كمن يعبد الأصنام والنار، وبعضهم يعدد الآلهة كالجوس الذين جعلوا إلهة للظلمة وإلهة للنور، والإغريق الذين جعلوا إلهة للحب وآخر للرزق وثالثا للكواكب، وفي ضمن هذا تنقص واضح، كأنهم يقولون إن إلههم لا يستطيع أن يحوي جميع هذه القدرات، وبعضهم يعبد ما هو أقرب من ذلك كالفرج، بل بعضهم شطح عقله حتى عبد عدو الإنسانية الأول إبليس، ولكن لرتفع عن هذه الديانات ونذهب إلى الديانات السماوية، ونرى كيف وصف الرب سبحانه عندهم ، أما اليهود فهم من أحرأ الناس على مدار التاريخ على الجبار سبحانه، فقد قالوا: {إن الله فقير ونحن أغنياء} [آل عمران: ١٨١] وقالوا: {يد الله مغلولة} [المائدة: ٦٤] ، يعني بخيل (٢) .

وقال ابن القيم: (وأما اليهود فقد حكى الله لك عن جهل أسلافهم وغبوتهم وضلالهم، ما يدل على ما وراء من ظلمات الجهل، التي بعضها فوق بعض، ويكفي في ذلك عبادتهم العجل الذي صنعته أيديهم من ذهب، ومن عبادتهم أن جعلوه على صورة أبلد الحيوان وأقله فطانة، الذي يضرب المثل به في قلة الفهم، فانظر إلى هذه الجهالة والغبوة المتجاوزة للحد، كيف عبدوا مع الله إلهة أخرى، وقد شاهدوا من أدلة التوحيد وعظمة الرب وجلاله، ما لم يشاهده سواهم، وإذ قد عزموا على اتخاذ إله دون الله، فاتخذوه ونبههم حي بين أظهرهم لم ينتظروا موته، وإذ قد فعلوا فلم يتخذوه من الجواهر العلوية كالشمس والقمر والنجوم، بل من الجواهر الأرضية، وإذ قد فعلوا فلم يتخذوه من الجواهر التي خلقت فوق الأرض عالية عليها، كالجبال ونحوها بل من جواهر لا تكون إلا تحت الأرض والصخور والأحجار، عالة عليها، وإذ قد فعلوا فلم يتخذوه من جوهر يستغني عن الصنعة وإدخال النار وتقليبه وجوها مختلفة وضربه بالحديد وسبكه بل من جوهر يحتاج إلى نيل الأيدي له بضروب مختلفة وإدخاله النار وإحراقه واستخراج خبثه، وإذ قد فعلوا فلم يصوغوه على تمثال ملك كريم ولا نبي مرسل ولا على تمثال جوهر علوي لا تناله الأيدي بل على تمثال حيوان أرضي، وإذ قد فعلوا فلم يصوغوه على

(١) - انظر: هداية الخيارى لابن القيم، فصل: ثمرة إنكار النبوات جحد الخالق والجهل بأسمائه وصفاته، ص: ٣٥٤

ولقد ألف عباس محمود العقاد كتابا حافلا بعنوان (الله)، تكلم فيه عن وصف الله تعالى في الأديان والأفكار والشعوب الخرومة من نور الوحي، فذكر وصف الله تعالى عند الحضارات السابقة في مصر والهند والصين وفارس وبابل واليونان، وفي الأديان السماوية كاليهود والنصارى، وعند الفلاسفة، وغير ذلك وهو كتاب مفيد. طبعته دار فحة مصر، في القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧ وبلقارنة بين هذه الأديان وبين وصف النبي صلى الله عليه وسلم لربه، يتضح الفرق بين الوصفين، ويتبين لك أن هذا الوصف لا يتأتى إلا لمن كان مؤيدا بالوحي.

(٢) - انظر: فتح القدير للشوكاني (٦٠/٢) .

تمثال أشرف الحيوانات وأقواها وأشدّها امتناعاً من الضيم كالأسد والفيل ونحوهما بل صاغوه على تمثال أبلد الحيوان وأقبله للضيم والذل بحيث يجرث عليه ويسقى عليه بالسواقي والدواليب ولا له قوة يمتنع بها من كبير ولا صغير فأبي معرفة لهؤلاء بمعبودهم ونببهم وحقائق الموجودات وحقيق بمن سأل نبيه أن يجعل له إلهاً، فيعبد إلهاً مجعولاً بعد ما شاهد تلك الآيات الباهرات، أن لا يعرف حقيقة الإله ولا أسماءه وصفاته ونعوته ودينه، ولا يعرف حقيقة المخلوق وحاجته وفقره، ولو عرف هؤلاء معبودهم ورسولهم لما قالوا لنببهم: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، ولا قالوا له: اذهب أنت وربك فقاتلا. ولا قتلوا نفساً وطرحوا المقتول على أبواب البراء من قتله ونببهم حي بين أظهرهم، وخبر السماء والوحي يأتيه صباحاً ومساءً، فكأنهم جوزوا أن يخفى هذا على الله كما يخفى على الناس، ولو عرفوا معبودهم لما قالوا في بعض مخاطباتهم له: (يا أبانا انتبه من رقدتك كم تنام) ولو عرفوه لما سارعوا إلى محاربة أنبيائه وقتلهم وحبسهم ونفيهم، ولما تحيلوا على تحليل محارمه، وإسقاط فرائضه بأنواع الخيل (...) (١) .

إلى آخر تلك السلسلة من الشتائم التي لم يقلها حتى عباد الأصنام لأهتهم، وأما النصراني الذين هم أحسن حالاً من اليهود وأقرب لنا منهم، فقد اجتمع أكثر من ألفي عالم من علمائهم في مؤتمر الأمانة ليحددوا عقيدتهم في الله، فنسبوا الله كما يقول ابن القيم أفعال الحمقى والمجانين، فلو أن ملكاً غضب على شعبه بسبب ذنب واحد، ارتكبه رجل واحد، ثم حاول شعبه إرضاءه بكل سبيل فلم يفلح، ثم قال لهم بعد أزمان طويلة: إذا أردتم إرضائي وذهاب غضبي، فإني أرسل لكم ابني فاقتلوه، فعندها فقط أرضى عليكم. من يفعل هذا الفعل؟! فالنصراني يقولون: إن الله غضب على البشرية بسبب خطيئة آدم، فلم يرض عن البشرية مع من فيها من الأنبياء والمرسلين إلا بعد أن أرسل ابنه للبشرية، فلم يزل غضبه مستمراً حتى قاموا بضربه وصفعه والبصق في وجهه وصلبه، ووضع الشوك على رأسه، وتسمير يديه باللوح وبقاؤه مصلوباً حتى مات ابنه؛ عندها فقط رضي عن كل البشر، وسأحهم على تلك الخطيئة، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

* وصف النبي (الملائكة وصفا عجبياً؛ فهم جند الله والقائمون بأمره، العابدون لربهم في كل وقت لا يفترون، ولا ينامون، ولا يأكلون، ولا يشربون بل يسبحون الله الليل والنهار لا يسأمون، أين هذا من وصف الكفار لهم بالإناث وغير ذلك.

* ووصف الجنة وصفا هو في غاية من الدقة والاستثارة والتشويق، بحيث لا تتمالك نفسك إذا سمعت هذا الوصف أن تقول: اللهم اجعلني من أهلها ولا تحرمني دخولها (١) . لكنك عندما تسمع لكثير من الفلاسفة في وصف ما سموه (بالمدينة الفاضلة) ستضحك من قصور وصفهم، وسذاجة تفكيرهم، وسترى البون الشاسع والفرق الواسع بين وصف النبي (صلى الله عليه وسلم) ووصف هؤلاء، وهم معذورون؛ لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يأت به من عنده بل من الوحي.

* وأما وصفه النار، فهو وصف بليغ، يقذف في قلبك الخوف والفرع والرهبة من هذه الدار.

يقول جفري لانغ: (١) (عندما يترجم كتاب مقدس إلى لغة ما، فإنه ينجم عن ذلك ضياع كبير في المعنى، ولكن إذا كان دافع المترجم الالتزام والتقوى، فقد يشع في النص المترجم برق مقدس، لا يمكن أن تقيده حدود الإنسانية، وعلى الرغم من أن القرآن بالتأكيد هو أشد تأثيراً على القارئ في اللغة الأصلية (العربية) من الترجمات، إلا أن شيئاً من الروعة والرهبة والجمال والإشراق من التصوير الفني القرآني قد يجي في الترجمة، ليثير في النفس انعكاساً عميقاً، كالمشاهد التصويرية والمرعبة للنار على سبيل المثال ... إلى أن قال: وعلى الرغم من أن جميع معتنقي الإسلام الغربيين، مجبرون على الاعتماد على التفسير للقرآن، إلا أنني واثق من أن جميع هؤلاء قادرين على التمييز والانتباه إلى أن أكثر ما يثير الإعجاب بالقرآن هو أسلوبه الأدبي؛ لأنه يغرس في قارئه ذلك الشعور اللاملموس من أنه صادر عن وحي سماوي)

المبحث الثاني: علاقته بالكتب السابقة علاقة الهيمنة والتصحيح والحكم بينهم لا النقل

١- القرآن والكتاب المقدس :

أثبت البحث التفصيلي في القيم الأخلاقية السامية الواردة في الكتاب المقدس، أنّها كلّها مثبتة في القرآن الكريم (٢)، غير أنّ هذا الكتاب المعجز والفريد، لا يكفي بالموافقة والجمع، وإنّما هو يجمع إلى الأخلاق المثبتة في أسفار الأولين، أنماطاً جديدة في السلوك والتعامل بما يوافق علمية هذا الدين وإحكام أحكامه التي لا سبيل لنسخها؛ إذ لا رسالة بعد رسالة محمد! كما جبر القرآن الكريم ما في أحكام التوراة من شدة وتضييق، وما في الكثير من أحكام الإنجيل من رخاوة وتهاون .. فكانت الخلاصة: أخلاقاً متقنة مصلحة لكلّ زمان ومكان. قال المستشرق ((هاملتون جب)): (إنّ المواقف الدينية التي عبر عنها القرآن ونقلها إلى الناس تشمل بناءً دينياً جديداً متميزاً... ومن هذه الوجهة يغدو التساؤل عن مصادر الدين الذي جاء به محمد أمراً غير وارد بالمرتبة). (٣) أما نظريات بعض المستشرقين وأتباعهم الذين يقولون نقل محمد عن الكتاب المقدس، فهل كان الكتاب المقدس مترجماً للعربية زمن النبي؟ وهل ثبت أن محمداً كان قارئاً؟ وهل قال عنه قومه أن يقرأ أو عرف بينهم بالقراءة والدراسة والبحث؟ إنّ إثبات علم الرسول ﷺ بدقائق الأسفار المقدّسة السابقة لا يستقيم إلاّ بإثبات (ثقافة موسوعية) للرسول في أسفار أهل الكتاب وعقائدهم وفرقهم ولغاتهم .. وقد صدق الدكتور عبد الرحمن بدوي في قوله: ((ولكي نفترض صحة هذا الزعم - نقل الرسول عن أهل الكتاب -، فلا بد أنّ محمداً كان يعرف العبرية والسريانية واليونانية، ولا بد أنه كان لديه مكتبة عظيمة اشتملت على كل نصوص التلمود، والأنجيل المسيحية، ومختلف كتب الصلوات، وقرارات المجامع الكنسية، وكذلك بعض أعمال الآباء اليونانيين، وكتب مختلف الكنائس - والمذاهب المسيحية.)) (٤)!!

(١) - الصراع من أجل الإيمان، لجفري لانغ (ص: ٨١)

(٢) - انظر هذا التفصيل الشائق في: محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، ٩٣-١٠٢ وهي رسالة دكتوراه له، استغرق المؤلف ست سنوات (١٩٤١ م - ١٩٤٧ م) في تحضير رسالتي الدكتوراه باللغة الفرنسية وهما (المدخل إلى القرآن) و (دستور الأخلاق في القرآن). ونوقشت هذه الرسالة أمام لجنة من كبار

المستشرقين ومنهم: ماسينيون - ليفي بروفيسال وغيرهما. وفتح المؤلف شهادة الدكتوراه بمرتبة الشرف العليا في ١٥ / ١٢ / ١٩٤٧ م.

(٣) - هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ت/ إحسان عباس وآخرين. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٤، ص ٢٥٤ - ٢٥٥

(٤) - عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضدّ منتقديه، ت/ كمال جاد الله، القاهرة: الدار العلمية للكتب والنشر، ١٩٩٩ م، ص ٢٤، وانظر ((هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى؟)) للدكتور سامي العامري فإنه رائع ومميز في هذا المجال .

لقد ثبت علمياً في الدراسات التاريخية أن العهد القديم والجديد لم يكن مترجماً إلى اللغة العربية قبل الإسلام، وقد نص على ذلك المستشرقون أنفسهم وقد قرّر الناقد ((آرثور فووبوس)) (١) في بداية بحثه عن أقدم ترجمة عربية للعهد الجديد في كتابه ((الترجمات المبكرة للعهد الجديد)) أنّ المحاولة التي ادّعى من خلالها معرفة محمد ﷺ ببعض كتب العهد الجديد في اللغة العربية، وأنه استعمل هذه الكتب في تأليف القرآن، محتجين (باقتباس) (!) القرآن الكريم من إنجيل متى والمزامير والأسفار الخمسة، هو احتمال ((خاطئ وليس فيه تحقيق. ولا يفيدنا القرآن هنا، ولا بد أن يُترك خارج النقاش)) (٢)، وقد أشارت الموسوعة البريطانية إلى عدم وجود ترجمة عربية لأسفار اليهود قبل الإسلام وأن أول ترجمة كانت في أوائل العصر العباسي، وكانت بأحرف عبرية (٣).

شهد لغياب الترجمة العربية لهذه الأسفار، العديد من الأكاديميين المحققين، وأقرت بذلك الموسوعات المتخصصة التي لم تحمل همّ دعوى نقض أصالة القرآن الكريم، وذلك بعد أن ثبت بالاستقراء التاريخي غياب الترجمة العربية للكتاب المقدس زمن البعثة النبوية، ولعلّ أهمّ من كتب في موضوع تاريخ ترجمات الكتاب المقدس في لغات العالم، البخاتة ((بروس متزغر)) (٤)، أستاذ لغة العهد الجديد وآدابه، في كتابه المرجعي ((The Bible in Translation)) المتعلّق بصورة مباشرة بتاريخ ترجمات الكتاب المقدس؛ فقد قال في هذا الشأن: ((من الراجح أنّ أقدم التراجم (العربية) للكتاب المقدس تعود إلى القرن الثامن)) (٥) وكتب المستشرق المنصّر ((توماس باتريك هوغز)) في معجمه الذي خصّه للمصطلحات الإسلامية ((The Dictionary of Islam)) -نقلًا عن المستشرق ((ج. م. رودويل)) (٦)-: ((لا توجد حجة على أنّ محمدًا قد اطلع على أسفار المسيحية المقدسة... لا بد أن يُعلم أنّه لا توجد آثار واضحة على وجود ترجمة عربية للعهد القديم والجديد سابقة لزمن محمد... أقدم ترجمة عربية للعهد القديم بلغنا أمرها، هي ترجمة الحبر سعديا الفيومي)) (٧). واحتج باختلاف الثابت في الصياغة الأدبية بين الترجمات العربية المتأخرة لأسفار العهدين واختلافها أيضًا في رسم أسماء الأعلام؛ للقول إنّها لا تعود لترجمة عربية قديمة سابقة للإسلام، وإلّا هي ترجمات متأخرة عن ذلك، من أصول لغوية مختلفة (السبعينية، والفولجات، وسريانية، وقبطية). (٨)

(١) - آرثور فووبوس: أستاذ العهد الجديد والتاريخ المبكر للكنيسة في ((The Lutheran School of Theology at Chicago)) له عناية خاصة خاصة بالدراسات السهبانية والنصرانية المبكرة.

(٢) - Arthur Vööbus, Early Versions of the New Testament: Manuscript Studies, Stockholm: 1954, pp.274-275

(٣) - دراسات في تاريخ الإسلام ونظمه، س. د. جوتين، نقلًا عن كتاب الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، لمحمد ماضي، ص: ١٤٨
(٤) - بروس متزغر (١٩١٤م-٢٠٠٧م): أحد أئمة دراسات النقد النصي للعهد الجديد. له مؤلفات متنوعة في موضوعات متعددة في الدراسات الأكاديمية المتعلّقة بالعهد الجديد. شارك في إعداد أهم نص يوناني قياسي للعهد الجديد في القرن العشرين. كما شارك في تحرير العديد من الترجمات الإنجليزية للعهد الجديد والتعليق عليها. تعتبر مؤلفاته مراجع أساسية في الدراسات المتخصصة في الجامعات الغربية.

(٥) - Bruce Metzger, The Bible in Translation, Grand Rapids: Baker Academic, 2001, p. 46-

(٦) - جون مدوز رودويل (١٨٠٨م-١٩٠٠م): مستشرق إنجليزي.

(٧) - Thomas Patrick Hughes, The Dictionary of Islam, being a cyclopaedia of the doctrines, rites, ceremonies, and customs, together with the technical and theological terms, of the Muhammadan religion, London: W.H. ALLEN, 1895, pp.516-516

(٨) انظر؛ المصدر السابق، ص ٥١٦

وخلص الباحث الإنجيلي المصري ((ألبرت إستيرو)) (١) في خاتمة أطروحته للدكتوراه حول (الترجمة العربية) التي اعتمدها ((ابن قتيبة)) في اقتباساته من الكتاب المقدس: ((الاقتباسات الكتابية لعبد الله مسلم بن قتيبة ومصدرها: التحقيق في شأن أبكر الترجمات العربية للكتاب المقدس)) (٢) إلى القول: ((ربما ظهرت الترجمات العربية للكتاب المقدس في الفترة الأخيرة من الحكم الأموي- في بداية القرن الثامن.)) (٣)، ومما استدلل استدلل به لغياب ترجمة عربية قبل ظهور الإسلام؛ عدم حاجة يهود البلاد العربية لهذه الترجمة في لغة العرب؛ إذ دلت النقوش على استعمالهم للآرامية، أما النصارى فيشهد عدم وجود مجتمع نصراني في الحجاز، واعتماد الليتورجيا على اللغات الأخرى، على أنه من غير المعقول أن يواكب ذلك وجود ترجمة عربية للكتاب المقدس. (٤)

ومن لطائف الاستدلال على أنه لم ينقل من غيره ما يذكره العلماء في فوائد أسباب النزول؛ إذ يذكرون أن من فوائد أسباب النزول أنه من الله تعالى من ناحية الارتجال، فنزوله بعد الحادثة مباشرة يقطع دعوى من ادعوا أنه أساطير الأولين، أو من كتب السابقين، فلو كان ينقل كتابه من كتب غيره، لكان إذا سأله سائل يترث حتى يراجع الكتب التي عنده، وينظر ماذا تقول في هذه المسألة ثم يجيب، ولكن النبي لم يكن يفعل، بل يسأله الرجل فيعطيه الجواب الموافق للصواب، الذي لم يكن قرأه ولا عرفه إلا في هذه اللحظة التي نزل عليه فيها (٥).

ومن أوضح الأدلة على رد دعوى النقل من، غيره التحدي أن يأتي بمثله، فلو كان القرآن مأخوذا من التوراة والإنجيل والكتب السابقة، لما استطاع محمد أن يتحدى الناس ويقدم على هذا الخطأ الفادح؛ لأن هذه الأصول المنقول عنها موجودة في متناول أيدي الجميع، فلماذا يتحدى الناس بشيء موجود، ألا يخشى أن يقوم بعض الناس بالرجوع إلى مراجعه والعمل مثل عمله، فينكشف؟، ثم هذه الأساطير والمراجع ليست خاصة بمحمد، بل هي كتب متداولة بيد الجميع، إن افتراض تعلم النبي من نصارى الشام ويهود المدينة وغيرهم، لا يتفق مع الحقيقة التاريخية التي تحدثنا عن الحيرة والتردد في موقف المشركين من رسول الله في محاولتهم لتفسير ظاهرة الرسالة؛ لأن مثل هذه العلاقة مع النصارى أو اليهود لا يمكن التستر عليها أمام أعداء الدعوة من المشركين وغيرهم، الذين عاصروه وعرفوا أخباره وخبروا حياته العامة بما فيها من سفرات ورحلات (٦)، وإن وجود بعض الشرائع في القرآن، التي تتفق مع ما في التوراة والإنجيل، أو حتى ما عند العرب ليس في هذا دليل على أنه مأخوذ منها، فالقرآن لم يأت لهدم كل شيء، بل لتصحيح الخطأ وإقرار الحق، فالصدق والشجاعة والكرم والحلم والرحمة والعزة كل هذه المعاني موجودة عند كفار مكة ومع هذا جاء الإسلام ولم يغير منها شيئاً

(١) - يكتب بالحرف اللاتيني (Albert Isteero)، والمقابل العربي تقريبي إذ لم أعثر على اسمه كما يكتب باللغة العربية. جاء في مخطوطة الدكتوراه تعريفه أنه من مواليد سنة ١٩٣٠م، في (بورسعيد) بمصر. رسم قسيساً سنة ١٩٥٨ في الكنيسة الإنجيلية. انتخب سنة ١٩٦٥م كسكرتير عام لمجلس كنائس الشرق الأوسط. وهو يدرس الأدب الكتابي في إحدى مدارس الكنيسة الإنجيلية المصرية.

(٢) - ناقشها سنة ١٩٩٠م في جامعة (Johns Hopkins) الأمريكية.

(٣) - Albert Isteero, 'Abdullah Muslim Ibn Qutayba's Biblical Quotations and their Source: An inquiry into the earliest existing Arabic Bible Translations, p.236, manuscript

(٤) - انظر المصدر السابق، ص ٧-١٧

(٥) - ذكر هذه الفائدة الطاهر بن عاشور في كتابه التحير والتنوير (٥٠/١). وراجع د. عبدالحسن المطيري، دعاوى الطاعنين في القرآن ص: ٢١٤ وما بعدها

(٦) - المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن، محمد باقر الحكيم (ص: ٤٣).

بل باركها وحث عليها، لذلك قال النبي: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (١). ولم يقل: لأنشئها، إذن ليس من الضروري لكتاب هداية من هذا القبيل، أن يشجب كل الوضع الذي كانت الإنسانية عليه قبله حتى يثبت صحة نفسه، فمن الطبيعي أن يقر القرآن بعض الشرائع، سواء في الكتب السابقة السماوية، أو في عادات الناس وأعرافهم، وأما الخطأ فإنه لا يقره (٢)، وقد نص القرآن على هذا المعنى في مثل قوله تعالى: ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ [يونس: ٣٧].

كيف يمكن اعتبار التوراة والإنجيل من أهم مصادر القرآن مع أن القرآن، خالفها في كثير من الأشياء؛ ففي بعض الأحداث التاريخية نجد القرآن يذكرها بدقة متناهية، ويتمسك بها بإصرار، في الوقت الذي كان بإمكانه أن يتجاهل بعضها، على الأقل تفادياً للاصطدام بالتوراة والإنجيل)، ففي قصة موسى يشير القرآن إلى أن التي كفلت موسى هي امرأة فرعون، مع أن سفر الخروج يؤكد أنها كانت ابنته، كما أن القرآن يذكر غرق فرعون بشكل دقيق، لا يتجاهل حتى مسألة نجاة بدن فرعون من الغرق مع موته وهلاكه، في الوقت الذي نجد التوراة تشير إلى غرق فرعون بشكل مبهم، ويتكرر نفس الموقف في قضية العجل؛ حيث تذكر التوراة أن الذي صنعه هو هارون، وفي قصة ولادة مريم للمسيح وغيرها من القضايا (٣)، ومن المعلوم أن في القرآن ما لا وجود له في كتب اليهود والنصارى، مثل: قصة هود وصالح وشعيب، فكيف أتى بها النبي (صلى الله عليه وسلم)؟ (٤) والأهم لو كان محمدٌ هو مؤلف القرآن الكريم لاحتاج إلى جيوش من المترجمين والنقاد وخبراء المخطوطات والجيولوجيين وعلماء يهود ونصارى من جميع الطوائف اليهودية والنصرانية!! والسبب أنه كما يقول الباحث هشام طلبة في كتابه "محمد في التوراة والترجوم والتلمود" أن بعض القصص التي ذُكرت في القرآن الكريم تشبه القصص الموجودة في كتب اليهود والنصارى، وسنُطلق على هذه التشابهات اسم "الشواهد القرآنية".... وهذه الشواهد القرآنية أو التشابهات تتضمن مفاجأة كبرى وهي كالتالي: "سنجد دائما هذه الشواهد القرآنية في كتب اليهود والنصارى مع ان عدد هذه الكتب كبير جدا ... كما ان الكتاب الواحد له أكثر من نص ... التوراة نفسها سينية لها ستة نصوص اساسية (البشتيا - الفولجاتا - الشعبينية - السامرية - الترجوم - القياسية) : النسخة القياسية لها ثلاث نصوص فرعية (الالوهيمي - اليهودى - الكهنوتى) هذه هي النصوص الاساسية عدا العديد من النصوص الفرعية، وأي ناشر للكتاب المقدس يجب ان يستخدم أكثر من نص من هذه النصوص مستعينا بعلم يسمونه "علم نقد النصوص" ليصلوا لنص اقرب ما يكون للنص الأصلي المفقود، سنجد دائما هذه الشواهد القرآنية مع ان هذه الكتب المذكورة كُتبت بلغات مختلفة العبرية، السامرية، اللاتينية، اليونانية، الآرامية، السريانية، القبطية الحبشية، المندائية، وغيرها ما عدا العربية.

(١) - أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة (٨٧٢٩)، رواه الإمام مالك في الموطأ بلاغا من غير إسناد (كتاب الجامع، باب ما جاء في حسن الخلق) بلفظ (بعثت لأتمم حسن الخلق)، وأخرجه البزار بلفظ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (انظر فتح الباري (٦/٦٦٥)).

(٢) - المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن (ص: ٤٦).

(٣) - المرجع السابق ص: ٤٧.

(٤) - الوحي القرآني من المنظور الاستشراقي ونقده، لماضي (ص: ١٤٨)، الجواب الصحيح لابن تيمية (٣/٢٥)، (٤/٥٧).

مع ان هذه الكتب لم نجدها مرة واحدة بل لقد جُمعت على مر قرون طويلة منذ القرن الرابع الميلادي وحتى الانأغلب هذه الكتب وجدناها بعد وفاة محمد ﷺ وآخر ما وجدناه كانت مخطوطات البحر الميت (١٩٤٧-١٩٥٦) ، سنجد دائما هذه الشواهد القرآنية في كتب السابقين مع أن هذه الكتب لم نجدها في مكان واحد بل في اماكن متعددة كسيناء و نجع حمادي و القاهرة ، كهوف البحر الميت ، الحبشة ، الفاتيكان ، مكتبات نبلاء اوربا .. ومع ان هذه الكتب كانت نادرة في عهد النبي ﷺ لأن النسخ كان يدويا و لم تكن هناك طباعة و كذلك بسبب حرق كُتب اتباع الأديان المضطهدة خصوصا النصارى ... سنجد دائما هذه الشواهد القرآنية مع ان حجم الكتب أيامه ﷺ كان كبيرا و كانت على هيئة قراطيس من العسير تداولها سرا سوف اعطى مثلا لهذه الخاصة ” الشواهد القرآنية في اسفار السابقين ” :

من المعروف ان قصة يوسف عليه الصلاة والسلام هي الوحيدة التي نجدها في القران متتالية في موضع واحد . هذه القصة لا نجدها كما هي في أي كتاب من كتب اليهود او النصارى - سنجد قسما منها في التوراة التي بين ايدينا الان (قياسية - سبعينية) مع وجود تفاصيل في الرواية التوراتية لا نجدها في القران كقطع التوراة لسرد قصة يوسف دون اي مناسبة لتروى لنا قصة أخرى و هي مضاجعة يهودا لزوجة ابنه ! - اما القسم الثاني من رواية يوسف في القران فسنجده في عدد كبير من كتب اهل الكتاب غير التوراة و سنجد هذا القسم مشتتا تماما ، فجزئية إخبار يوسف رؤياه لأبيه اولا نجدها في كتاب ” العاديات اليهودية ” للمؤرخ يوسيفوس ...

و جزئية ((أَرْسَلَهُ مَعَنَا عِدًا يَرْتَعِ وَيَلْعَبُ)) في كتاب (بسكيتارباتى و سيفر عدد) - هذان الكتابان اتفقا مع القران في ذلك و اختلفا فيها مع التوراة نفسها - و جزئية ” وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا ” في كتاب . و جزئية ” وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ ” في كتاب آخر و جزئية ” وَجَاؤُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ ” في كتاب (عهود الاسباط و هو من كتب الاسرار) و جزئية ” فَأَكَلَهُ الذُّبُّ ” في كتاب ” yashar wa yesheb ” و هكذا اكثر من ٢٦ جزئية كتلك التي ذكرناها انفا في اكثر من ٣٠ كتابا ... كل هذه الكتب سالفة الذكر وجدنا لها تفاصيل عديدة غير منطقية لا تُذكر في القران الكريم كذكر كتاب ” تنهوما ” أن يهودا حين أخذ منه بنيامين دخل في صراع مع يوسف و نزلت الملائكة لتشاهد الصراع بين يوسف ” الثور ” و يهودا ” الاسد ” !! و يضيف كتاب bf و التلمود هنا أيضا ان رجال يوسف الأقوياء فقدوا اسنانهم بسبب صرخة يهودا !! و يذكر الكتابان في موضع آخر ان ملاك العاطفة هو الذى حث يهودا على مضاجعة زوجة ابنه المذكورة في التوراة ! هذا عن القسم الثاني في الرواية القرآنية اما القسم الاخير فلا نجد في التوراة او غيرها فلا بد إذن أن محمدا ﷺ كانت لديه مخطوطات أخرى إضافة لكل ما ذكر من مصادر لم نجدها حتى الان وهذا مستحيل بكل المقاييس !! هذه الخاصة - الشواهد القرآنية في كتب السابقين - نستنتج منها أنه من المستحيل على رجل مثل محمد صلى الله عليه و سلم أن يقرأ كل صحيفة في كل كتاب من كُتب لم نعرف نحن

الان أكثرها إلا متأخرا جدا (١)..... ثم يستبعد التفاصيل غير المنطقية ثم يأخذ من هذا ما يتناسب مع ذلك
.... ثم يقدم هذا النتائج في صورة بيانية رائعة و لا بد أنه قد فعل كل هذا في السر ايضا !

إن هذا هو المستحيل بعينه خصوصا إذا أضفنا لذلك معرفته واطلاعه على كتب الأسرار
apocrypha الخاصة بكل طائفة!! فكثير من طوائف اليهود والنصارى لديهم كتب لا يطلع عليها إلا كبار
رجال الدين عندهم ، فهل اطلع محمد ﷺ على تلك الكتب أيضا ليؤلف القرآن الكريم!!؟ ومن أيسر سبيل
لتبيّن أصالة النصّ القرآني واستقلاله عن دعوى الاقتباس من (الكتاب المقدس) النصراني؛ هو النظر المباشر في
كلا الكتابين، والمقارنة الصارمة بينهما لينجلي عن الحقّ غبارُ الشبهة ، ومن أهم ما يكشف الأوجه التي توضّح
أنّ القرآن الكريم لم يقتبس من أسفار اليهود والنصارى، تصحيح القرآن الكريم لأخطاء أسفار أهل الكتاب،
وفصله بين أصيل الوحي ودخيل التحريف..

٢- تصحيح القرآن الكريم للأخطاء التاريخية للكتاب المقدس (٢):

١ - هامان صاحب فرعون:

درج المنصرون على اتهام القرآن بالخلط التاريخي بين الشخصيات، وقد بنوا أوهامهم على أصل فاسد؛
وهو أنّ كتبهم التي يقدسونها هي المرجع والفيصل في معرفة الحقّ من الباطل.. ومعلوم لكلّ دارس مدى تحافت
هذه الدعوى وارتكازها على قاعدة هشّة؛ إذ الكتاب المقدّس بجميع أسفاره أرقّ من أن يكون دعامة لمثل هذه
الدعوى ، ومن أهمّ الادعاءات في هذا الباب، قول المنصّرين إنّ الكتاب المقدّس قد ذكر أنّ شخصية عاشت
في فارس وشغلت منصب الوزارة كان اسمها ((هامان))، وقد عاشت كما يفهم من سفر ((إستير)) في زمن
بعيد عن زمن ((موسى)) عليه السلام.. ومن الخطأ أن يقول المرء بقول القرآن إنّها قد عاشت في زمن
((موسى)) عليه السلام، وإنّما كانت العضد الأيمن لفرعون!

والجواب من وجهين :

الوجه الأوّل : قصّة إستير بأكملها ليست سوى خرافة اخترعها يهود السبي البابلي، ولا يوجد دليل
تاريخي واحد على صدقها؛ حتى قالت ((الموسوعة اليهودية)) لسنة ١٩١٠م إنّ قلة قليلة فقط من النقاد
المعاصرين ترى أنّ هذه القصة تعتمد (٣) على أسس تاريخيّة، فالأغلبية الواسعة من المفسّرين المعاصرين ترى أنّ
هذا السفر بأكمله ليس سوى ((قطعة من الخيال المحض)) (٤) أو بعبارة تعليق ((The New Oxford
Annotated Bible)) فإنّ سفر إستير ((ليس تاريخيًا وإنما خرافة (...)) أريد منها تفسير أصل عيد الفوريم (٥)

(١) - الباحث هشام طلبة، محمد في الترحوم والتلمود والتوراة "ظهور نصوص اختفت ألفي عام" ص ٢٨٥-٢٩٠ دون دار نشر

(٢) - هذه الأمثلة عن كتاب د. سامي عامري ((هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى؟)) وتحت عنوان جانبي (نقض شبهة المنصّرين والمستشرقين،
وإثبات إعجاز القرآن الكريم في ضوء حقائق التاريخ والعلم). (٤٨٧-٤٥٧) ، عن مبادرة البحث العلمي لمقارنة الأديان سنة ٢٠١٠ وهو مرجعنا الأساسي هنا.

(٣) - هذا إثبات (لأصل) القصّة لا (تفاصيلها)!

(٤) - "Comparatively few modern scholars of note consider the narrative of Esther to rest on an historical foundation. (...) The vast majority of modern expositors have reached the conclusion that the book is a piece of pure fiction" *The Jewish Encyclopedia*, 5/236

(٥) - عيد الفوريم: هو العيد الذي يحتفل فيه اليهود بملاك الوزير الفارسي "هامان" الذي دبر مؤامرة لإبادة اليهود في الامبراطورية.

ومعناه)). (١) من أهم ما يعترض به على قصة سفر إستير :

أولاً: هذه القصة لم تذكر في غير التوراة. وهذا المؤرخ الإغريقي ((هيروديت)) الذي عاصر الملك الفارسي المقصود ((أكزركريس)) ودون سيرته، لم يشر إلى ((إستير)) ولا ما كان من أمرها. ٢

ثانياً: النبيان ((عزرا)) و((نحميا)) اللذان كانا من أوائل العائدين من بابل، واللذان قصتا قصة السبي البابلي، لم يشيرا إلى ((إستير)) ولا إلى أي شيء مما جاء في السفر المسمى باسمها.

ثالثاً: لم يعثر على هذا السفر ضمن مخطوطات البحر الميت.

رابعاً: كان للعديد من آباء الكنيسة تحفظات على هذا السفر. ٣

خامساً: عدم وجود اسم الجلالة البتة في هذا السفر المريب، حتى قال ((مارتن لوثر)) زعيم ((الإصلاح)) البروتستانتية: ((ليت هذا السفر لم يوجد، ففيه لم يرد اسم الله)). ٤ . ٥

سادساً: أسماء شخصيات هذا السفر تشهد لخرافية ٦ القصة؛ فاسم ((إستير)) بطللة القصة شبيه باسم ((أشتار)) إله البابليين، واسم ((هدسة)) قريب من الكلمة البابلية ((حدثو)) أي عروس، وكان أصلاً يطلق على شجرة الآس، و((مردخاي)) اسم الإله البابلي الرئيسي ((مردوخ))، و((هامان)) عدو ((مردخاي)) هو نفس ((همان)) أو ((همان)) أحد الآلهة الرئيسية في عيلام. و((شوش)) عاصمة عيلام هي المكان الذي جرت فيه أحداث هذه القصة. واسم ((وشتي)) كان اسماً لأحد الآلهة في عيلام. (٧)

سابعاً: يزعم سفر إستير أنّ الملك الفارسي لما غضب من زوجته عندما رفضت أن تظهر جمالها لندمائهم قرر أن يعاقبها بأن يبحث عن فتاة جميلة في بلاده ليجعلها ملكة، ومن هذه البداية الساذجة بدأت القصة.. وهذا أشبه بقصص ألف ليلة وليلة الخرافية.

ثامناً: من غير المقبول تاريخياً أن يتخذ الملك الفارسي ((إستير)) زوجةً و((مردخاي)) وزيراً رغم أنّهما على دين اليهودية.. فهذا يتعارض مع اعتزاز الفرس بقوميتهم، خاصة في ظلّ القوة الهائلة والتفوق الكبير للإمبراطورية الفارسية.

تاسعاً: أشارت ((الموسوعة اليهودية)) إلى أنّ من أهمّ المطاعن في هذا السفر، القرار المزعوم بإهدار دم أعداء اليهود والذي نقّذ بعد ذلك، وهو زعم لا دعامة تاريخية له، بالإضافة إلى أنّه يخالف ما يتصور من التحدي المسلح الذي لا بد أن ييدر من الأرستقراطيين..

(١) Herbert G. May and Bruce M. -

Metzger, eds. *The New Oxford Annotated Bible With Apocrypha*, New York: Oxford University, 1973, p.603

(٢) - عبد الجليل شلي، مفتريات المبشرين على الإسلام، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م، ط٢، ص١٥٩

(٣) - انظر؛ Israel P. Loken, *Esther, Loken Expository Commentary*, Xulon Press, 2007, p.22

(٤) - د. محمد بيومي مهران، إسرائيل، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩، ٢٤٤/٣ش

(٥) - يبدو أنّ غياب ذكر الربّ في هذا السفر قد أثار حفيظة المتديّنين اليهود، ولذلك أضافوه في الترجمة السبعينية (!) فقد ذكر مثلاً أنّ ((إستير)) ((تخشى الله))

الله)) ((φοβέσθαι τὸν Θεόν)) (إستير ٢/٢٠)، وانظر أيضاً في ذكر اسم الرب: ٨/٤ ((τὸν Κύριον))، ١٣/٦٦: ((ὅτι Θεὸς ζῶν))!!

(٦) - أُنحت مقدمة سفر إستير في الترجمة الانجليزية الكاثوليكية *The New American Bible* إلى هذا الأمر، وقد صرحت أنّه لا يمكن اعتبار هذا

السفر وثيقة تاريخية وإنما هو صياغة حرّة: ((The book is a free composition - not a historical document)) ((*Saint Joseph*)

Edition of The New American Bible, p.500

(٧) - انظر؛ قاموس الكتاب المقدس، مقال ((إستير)) (نسخة إلكترونية)

كما أنه لا دليل تاريخي على قرار إبادة اليهود الذي نسب ((هامان)) ضد اليهود. (١)

عاشرا: أشارت ((الموسوعة اليهودية)) إلى مخالفة الكثير من الأعراف المذكورة في سفر إستير لأعراف الفرس القديمة في ذلك الزمان؛ كالسماح للأجانب أن يتصلوا بنساء الملك في الحرم، وعدم إمكان أن ترسل الملكة رسالة إلى زوجها، وتقسيم الامبراطورية إلى ١٢٧ مقاطعة، وعدم معاقبة ((هامان)) الوزير ((لمردخاي)) اليهودي الذي رفض السجود له. (٢)

الحادي عشر: جاء في وصف اليهود زمن الملك الفارسي الحاكم إبان القصة المزعومة: ((يوجدُ شَعْبٌ مُنْتَشِرٌ فَرِيدٌ بَيْنَ الشُّعُوبِ فِي جَمِيعِ أَقَالِيمِ مَمْلَكَتِكَ، سُنُّهُمْ مُخَالِفٌ سُنَّنَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ، وَلَا يَحْفَظُونَ سُنَّنَ الْمَلِكِ)). (٣) وهذا الوصف ينطبق على اليهود بين اليونان لا بين الفرس. (٤)

الثاني عشر: ذكر المؤرخ ((هيروديت)) أنّ الملك الفارسي لا يجوز له أن يتزوج إلا من سبع عائلات نبيلة حصراً (٥)، فكيف يستقيم مع ذلك أن يتزوج من يهودية تنتمي للشعب المستدل؟!

الثالث عشر: الزوجة الوحيدة المعروفة عند المؤرخ ((هيروديت)) على أنها اقترنت بهذا الملك الفارسي هي ((Amestris)). ولا صلة بين اسمها واسم ((إستير))، كما أنّها كانت ابنة قائد فارسي ولم تكن عبرانية. (٦)

الرابع عشر: بطل القصة ((مردخاي)) كان من سبي عام ٥٨٧ ق م ، ومن ثمّ فإنّه في العام الثالث من حكم الملك الفارسي ((اكرزكزيس الأول)) (أي حوالي عام ٤٨٢ ق.م) يكون قد بلغ المئة والعشرين عامًا، كما أنّ ((إستير)) يجب أن تكون في هذه الفترة عجوزًا!!

الخامس عشر: اضطراب ترجمات سفر إستير في نسب ((هامان))؛ ففي حين يذكر النص السبعيني اليوناني أنّ ((هامان)) رجل ((مقدوني))، يذهب النص العبري إلى أنّ ((هامان)) رجل ((أجاجي)) (٨). وهذا التناقض يؤكد أنّ هذه الشخصية لا وجود لها في الحقيقة!

إنّ الإشكالات التاريخية المتراكمة في سفر إستير قد جعلت الناقد ((جون د. لفسنون)) (٩) في تعليقه على هذا السفر يقول: ((الإشكالات التاريخية في سفر إستير على قدر عظيم من الضخامة بما يقنع كل من لم يُلزمه اعتقاد ديني بالإيمان بتاريخية رواية الكتاب المقدس، أن يشك في صحة هذه الرواية)). (١٠) ويرفع

(١) - The Jewish Encyclopedia, 5/236

(٢) - المصدر السابق

(٣) - إستير ٣/٨

(٤) - انظر؛ The Jewish Encyclopedia, 5/236

(٥) - انظر؛ Jon D. Levenson, Esther, A Commentary, London: Westminster John Knox, 2004, p.24

(٦) - انظر؛ Geoffrey W. Bromiley, International Standard Bible Encyclopedia, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 1982, 2/159

(٧) - انظر؛ إستير ١٠/١٦

(٨) - انظر؛ إستير ١/٣

(٩) - جون د. لفسنون: أستاذ الدراسات اليهودية. درس في هارفارد وجامعة شيكاغو. حصل على عدد من الجوائز العلمية الكبرى.

(١٠) - Jon D. Levenson, Esther, A Commentary, p.23

البروفسور ((إسرائيل ب. لوكن)) (١) سقّف محنة هذا السفر اليوم – وهو أكاديمي من المحافظين – بإقراره أنّ:
(كلّ النقاد المعاصرين تقريبًا ينكرون تاريخيّة هذا الكتاب)) (٢٠).

الوجه الثاني وهو المهم : يعتبر ((موريس بوكاي)) (٣) أوّل من كشف وجه الإعجاز القرآني في ربط شخصيّة ((هامان)) تاريخيًا بشخصية فرعون الذي عاش في زمانه ((موسى)) عليه السلام، وذلك في قوله في كتابه ((موسى وفرعون)) (١٩٩٥م): ((الاسم كما هو مكتوب باللغة العربيّة في القرآن، نقحرة (٤) دقيقة لاسم شخص نحن نعرف اليوم هجاءه الهيروغليفي. لم يقم أي شارح للقرآن، في حدود معرفتي، ببيانه بطريقة دقيقة ...

أريد أن أعلم هل يتماشى هذا الاسم مع اسم هيروغليفي مُحتَفَظ به في وثائق تلك الفترة ، لا بدّ أن يكون من تُعرض عليه نقحرة الاسم متخصصًا في اللغة الهيروغليفيّة، ويتقن بالإضافة إلى ذلك العربيّة الفصحى لا اللهجة المصريّة الحاليّة ... واحد من علماء الآثار المصريّة الأكثر تميّزًا يتوقّف فيه هذان الشرطان، أراد إجابتي. امتنعت عن التصريح لمحدثي عن أيّ نصّ عربيّ نتحدّث، واكتفيت بتعريفه بأنّ هذا النصّ يعود إلى القرن السابع ميلاديًّا. عندما كتبت أمامه الاسم العربي؛ عرف مباشرة كيف يترجمه إلى اللغة المصريّة القديمة، مؤكّدًا لي أنني قد خُدعت فيما يتعلّق بتحديد تاريخ النصّ العربي للحجّة الآتية (التي لا أجهلها): لا يمكن لأيّ نصّ على مدى زمن نسيان اللغة الهيروغليفيّة أن يحتوي اسمًا لا يزال مجهولًا إلى اليوم، اسمٌ له نفس الجرس الهيروغليفيّ، جرس يوافق تمامًا هذه الكلمة العربيّة.

نصحتني مع ذلك أن أراجع معجم ((أسماء شخصيات الإمبراطوريّة الجديدة)) للألماني ((رانك))، وهو مؤلّف كلاسيكي، وأن أبحث إن كان الاسم الذي رسمه بالهيروغليفيّة موجودًا في هذا المعجم بنقحرة الألمانيّة، مما سييسّر لي المراجعة. اكتشفت أنّ الاسم مكتوب في المعجم كما توقّعه هذا العالم. وباللمفاجأة، ها أنا ذا أقرأ زيادة على ذلك مهنته بالألمانيّة: ((رئيس عمّال المقالع))، إذ كذلك كان يسمّى من كان يشرف على البناء.. عندما عدت إلى هذا العالم مع نسخة مصورة للصفحة التي تعيننا من المعجم، وفتحت أمامه صفحة من صفحات المصحف حيث بإمكانه أن يقرأ كلمة ((هامان))؛ ذهل. (٥)

أضيف هنا أنّ ((رانك)) قد أحال إلى كتاب نشر سنة ١٩٠٦م لعالم المصريات ((Walter Wreszinski)) أشار إلى أنّ اسم ((هامان)) موجود على مسلّة في متحف مدينة فيينا (النمسا)، لما استطعت لاحقًا قراءة الوظيفة باللغة الهيروغليفيّة مشكّلة؛ لاحظت أنّ الإضافة الملحقّة بالاسم تؤكّد أهميّة هذه الشخصيّة (بالنسبة لفرعون).

(١) - إسرائيل ب. لوكن: أستاذ الكتاب المقدس واللاهوت في كليّة ((College of Biblical Studies))

(٢) - Israel P. Loken, Esther, Loken Expository Commentary, Xulon Press, 2007, p.20

(٣) - موريس بوكاي (١٩٢٠-١٩٩٨م): باحث فرنسي، له عناية بدراسة الكتب الدينيّة في ضوء المعارف العلميّة والتاريخيّة الحديثة. من أشهر مؤلّفاته كتابه ((La Bible, le Coran et la Science : Les Écritures Saintes examinées à la lumière des connaissances modernes)) الذي خصّصه لكشف مطابقة القرآن الكريم لمكتشفات العلم الحديث وفشل أسفار اليهود والنصارى في هذا الاختبار. له عناية كبيرة بكشف جوانب الإعجاز العلمي والتاريخي في القرآن الكريم. لم يعتنق ((بوكاي)) الإسلام -على خلاف ما أشيع عنه- وأقرّ مع ذلك بإعجاز القرآن الكريم، وهو أمر يدعم موضوعيّة دراساته العلميّة المحايدة.

(٤) - transliteration

(٥) - (il fut sans voix)

لو أنّ الكتاب المقدّس أو أيّ مؤلّف أدبي معروف قبل الوحي القرآني، أشار إلى ((هامان)) ووظيفته؛ لما كان وجود هذا التفصيل المذكور في القرآن ليثير انتباه أحد. إنّ الذي يظهر هو أنّ المعطيات الهيروغليفية المعاصرة فقط هي التي تثير الانتباه إلى هذا التفصيل المذكور في القرآن. بما أنّ ذلك لا يمكن أن يكون معتمداً على معارف سابقة لعصر ظهور القرآن، فإنّ وجوده في القرآن يثير التفكير)) (١). (٢).

٢ - استعمال الجمال في زمن يعقوب عليه السلام

جاء في العهد القديم ذكر الجمال كوسيلة تستعمل للتنقل وحمل المتاع، من ذلك: ((ثم جلسوا (أي) إخوة ((يوسف)) عليه السلام) ليأكلوا طعاماً فرفعوا عيونهم ونظروا وإذا قافلة إسماعيليين مقبلة من جلعاد وجماهم (גמליהם) حاملة كثيراً ولبسائاً ولاذناً ذاهبين لينزلوا بها الى مصر.)) (٣)، تكرر ذكر الجمال كأحد وسائل التنقل؛ مما يعني أنه قد تمّ تدجينها من طرف البشر في حياة ((يعقوب)) و((يوسف)) و((موسى)) عليهم السلام.. يعتبر هذا الادعاء خطأً تاريخياً كاشفاً لتأليف التوراة في صورتها الحالية بعد قرون من حصول الوقائع المؤرخة...

وقد جاء في الدراسة الكاثوليكية في هامش ترجمة ((The New American Bible)) تعليماً على نصّ تكوين ١٢ / ١٦ الذي ذكر الجمال كأحد وسائل النقل في زمن ((إبراهيم)) عليه السلام: ((الجمال الأهلية، ربما لم تعرف في الاستعمال العام في الشرق الأدنى القديم حتى آخر الألفية الأولى قبل الميلاد؛ ولذلك فإنّ الإشارة إلى الجمال في زمن الآباء (تكوين ٢٤ / ١١-٦٤ ؛ ٣٠ / ٤٣ ؛ ٣١ / ١٧ ، ٣٤ ؛ ٣٢ / ٨ ، ١٦ ؛ ٣٧ / ٢٥) تعتبر خطأً تاريخياً.)) وهو ما اعترف به إمام المحافظين في الدراسات الأركيولوجية الكتابية المعاصرة ((ويليم فوكسول ألبريت)) ((William Foxwell Albright)) بقوله إنّ الجمال لم تستعمل في زمن ((يوسف)) ولا قبله، منافحاً عن هذا الرأي بشدّة في أكثر من مؤلّف ٥، رغم ما عرف عنه من تطرّف لصالح إثبات تاريخية الأحداث المذكورة في العهد القديم!

ويحدد بعض الباحثين بدأ تدجين الجمال في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، وربما بعد ذلك، وقد ظلّت الجمال على التحقيق غريبة على المصريين، بل لقد كانت غريبة على من أقبل على مصر من الساميين؛ فقد

(١) - Maurice Bucaille, Moise et Pharaon, ed. Seghers, 1995, pp.230-231

(٢) - ذكر عالم المصريات الشهير ((كنث كيشن)) ((Kenneth Kitchen)) في كتابه الهام ((Pharaoh Triumphant the life and times of Ramesses II, Warminster: Aris & Phillips, 1982)) -الذي أفاض فيه في الحديث عن ((رمسيس الثاني)): حياته وإنجازاته- أمر شخص مقرب من الفرعون ((رمسيس الثاني))، اسمه ((Amen em inet)) وأنه كان رفيق ((رمسيس الثاني)) لما كان أميراً، وقد كانا على نفس السن (ص ٢٨)، وهو رفيق صباه وقرينه (١٣٥)، وقلّده وظيفة رئيس المركبات الملكية، وهي وظيفة عسكرية (انظر؛ ما جاء في القرآن الكريم: { إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ } سورة القصص/ الآية (٨) (ص٤٤) وجعله رسوله إلى البلاد الأخرى (ص٦٥) وقد نصّب والد ((Amen em inet)) واسمه ((Wennofer)) رئيساً للكهنة، وتُقل ((Amen em inet)) من العمل العسكري والدبلوماسي إلى وظيفة المشرف على الأعمال الملكية الأثرية (انظر؛ ما جاء في القرآن الكريم: { فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطْعَمُ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ } سورة القصص/ الآية (٣٨) (ص ١٢٦) .. علماً أنّ مقطع (Amen) كان منتشرًا بصورة كبيرة في الحقبة الرميسية (تشمل عصر الأسرتين ١٩ و ٢٠، وسميت بهذا الاسم لكثرة من حكم فيها باسم (رمسيس)) كجزء من أسماء المصريين؛ فقد تكرر مقطع (Amen) ٦٩ مرّة في قائمة أسماء العمال الذين ورد ذكرهم في كتاب ((A Community of Workmen at thebes in the Ramesside period)) ((Jaroslav Černý)) (Cairo: IAFO, 2001, pp.419-420)

(٣) - تكوين ٢٥/٣٧

(٤) - Saint Joseph Edition of the New American Bible, p.15

(٥) - W.F. Albright, Archaeology and the Religion of Israel, Baltimore: Johns Hopkins, 1942, 1953, pp. 96-102, 132, From the Stone Age to Christianity, Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1940, pp. 120-196

سافرت قبيلة ((أبشاي)) في الأسرة الثانية عشرة على الحمير، لا الجمال. (١)

لم يذكر القرآن الكريم الجمال كوسيلة نقل في زمن ((إبراهيم)) و((يوسف)) و((موسى)) عليهم السلام .. وقد استعمل القرآن عبارة ((العيير)) في حديثه عن رحلة إخوة ((يوسف)) إلى مصر .. {فَلَمَّا جَهَّزْتَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّعْيَاءَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ} [يوسف: ٧٠] ، {وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} [يوسف: ٩٢] ، {وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون} [يوسف: ٩٤]

وقد جاء تعريف ((العيير)) -بفتح العين- في ((لسان العرب)): ((الحمار أيًا كان أهليًا أو وحشيًا)). ٢٠، وفي تعريف ((العيير)) -بكسر العين-: ((... وقال أبو الهيثم في قوله: ولما فَصَلَّتِ الْعَيْرُ كانت حُمْرًا، قال: وقول من قال الْعَيْرُ الْإِبِلُ خاصّة باطل. الْعَيْرُ: كلُّ ما امْتَنِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِبِلِ وَالْحَمِيرِ وَالْبِغَالِ، فَهُوَ عَيْرٌ.)) ٣، وفي معجم ((مختار الصحاح)) في تعريف ((العيير)): ((الحمار الوحشي والأهلي أيضًا)) ٤ .. وقال ((الألوسي)): ((وقيل: العير قافلة الحمير ثم تُوسَّع فيها حتى قيلت لكل قافلة كأنها جمع عَيْرُ بفتح العين وسكون الياء وهو الحمار، وأصلها عير بضم العين والياء استثقلت الضمة على الياء فحذفت ثم كسرت العين لثقل الياء بعد الضمة كما فعل في بيض جمع أبيض وغيد جمع أعيد.)) ٥.. وكلمة ((لاير)) (عير) باللغة العبرية تعني ((حمار)). ٦. ((حمار)). ٦.

وقد استخدمت كلمة ((عير)) ((لاير)) في سفر إشعياء للدلالة على الحمير التي تحمل المتاع؛ حيث يقول النصّ ٦/٣٠: ((ישארו על-כתף עירימ חילהם)) ((يحملون على كتف حمير ثروتهم)). واستدلّ المعجمي ((جنزبوس)) بهذا النص لبيان أنّ من معاني كلمة ((عير)) العبرية: الحمير التي تستعمل ((لحمل المتاع)). ٧.

استعمل القرآن الكريم في سورة يوسف أيضًا عبارة ((بعير)) ومن معانيها: ((حمار)) كما في ((لسان العرب)): ((قال ابن بري وفي البعير سؤال جرى في مجلس سيف الدولة ابن حمدان وكان السائل ابن خالويه والمسؤول المنتبي قال ابن خالويه: والبعير أيضًا الحمار وهو حرف نادر ألقيته على المنتبي بين يدي سيف الدولة، وكانت فيه خنزروانة وعُنْجُهِيَّة، فاضطرب فقلت: المراد بالبعير في قوله تعالى: {وَلَمَن جَاء بِهِ جِمْلٌ بَعِيرٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ} ٨ الحمار، فكسرت من عزته، وهو أن البعير في القرآن الحمار، وذلك أن يعقوب وإخوة يوسف، عليهم

(١) - انظر د. محمد بيومي مهرا، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، ٢٠٦/٢

(٢) - ابن منظور، لسان العرب، ٦٢٠/٤

(٣) - المصدر السابق، ٦٢٤/٤

(٤) - الرازي، مختار الصحاح، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ص ١٩٤

(٥) - الألوسي، روح المعاني، ٣٣/١٣. نقل ((الألوسي)) قبله قولاً آخر: ((والعير: الإبل التي عليها الأحمال؛ سُمِّيت بذلك لأنها تعبر أي تذهب وتجيء)). وليس يخفى بطلان هذا القول؛ إذ إنّ أصل التسمية ثابت في اللغات السامية الأخرى للحمير، وردّ المعنى إلى الذهاب والجيء بعيد جدًّا!

(٦) - The Brown, Driver, Briggs Hebrew and English Lexicon : with an appendix containing the Biblical Aramaic : coded with the numbering system from Strong's Exhaustive concordance of the Bible, p. 746

(٧) - William Gesenius, A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, , p.774

(٨) - سورة يوسف/ الآية (٧٢)

عليهم الصلاة والسلام، كانوا بأرض كنعان وليس هناك إبل وإنما كانوا يمتارون على الحمير . قال الله تعالى :
{وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ... {أي حمل حمار.}}

وقد ذكر ((الطبري)) في تفسيره عن ((مجاهد)) تلميذ ((ابن عباس)) رضي الله عنه وناقل تفسيره للقرآن الكريم أنّ البعير في قصة ((يوسف)) هي الحمير: (وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ مُجَاهِدٌ، {كَيْلُ بَعِيرٍ}: حِمْلُ حِمَارٍ. قَالَ: وَهِيَ لُغَةٌ. قَالَ الْقَاسِمُ: يَعْنِي مُجَاهِدٌ أَنَّ الْحِمَارَ يُقَالُ لَهُ فِي بَعْضِ اللُّغَاتِ: بَعِيرٌ). وكذلك ذكره ((مقاتل بن سليمان)) ٣ في تفسيره. (٤)

والبعير العربية، تقابل في اللغة العبريّة كلمة ((بُعِير)) ((בלעיר)) التي تعني الدابة عامة (٥). وتعني كلمة ((بُعِيرًا)) ((حمارًا)) في السريانيّة الدابة إطلاقاً (٦)، والدابة التي يحمل عليها المتاع خاصة (٧):

ويبدو ارتباط كلمة ((بعير)) ((בלعير)) بالدواب عامة في الفعل الثلاثي العبري ((باعر)) ((בלعر)) بمعنى ((رعى)) من ((الرعى)) وهو ما يشمل الدواب دون تخصيص؛ ولذلك قال المعجمي اليهودي ((داود بن أبراهام الفاسي)) (٨) في معجمه التوراتي الشهير عبري-عربي ((جامع الألفاظ)) في تفسير نص ((בלعر בשדה אחר)) (وبعير بسدي أحر) (٩): ((אי אטלק דואבה פי חקל גירה ואבלרת)) (١٠) ((أي أي أطلق دوابه في حقل غيره وأبعرت)). (١١)

والمثلث أيضًا في هذا السياق أنّ التوراة قد استعملت في قصّة ((يوسف)) العبارة العبريّة ((بعير)) (١٢) التي التي استعملها القرآن، في الحديث عن دواب إخوة ((يوسف)) .. وقد صرّحت في مواضع أخرى أنّ إخوة ((يوسف)) قد استعملوا الحمير في سفرهم إلى مصر. (١٣)

وقد بحث ((موريس بوكاي)) في كتابه ((موسى وفرعون)) قضية ((البعير)) في سورة يوسف، وأشار إلى أن المستشرق ((جاك بيرك)) قد وضع في هامش ترجمته الفرنسيّة لمعاني القرآن الكريم إشارة إلى أنّ كلمة ((بعير)) تعني الدابة التي تحمل المتاع، لا الجمل، وأضاف ((بوكاي)) قائلاً: ((أنا عظيم السرور بسبب هذه الدقة للسبب الآتي: لاحظت أثناء قراءتي للترجمات المختلفة لسورة يوسف بالفرنسية والإنجليزية بالنسبة للآيتين ٦٥، ٧٢ من سورة يوسف، أنّه لم يترجم أي أحد الكلمة العربية ((بعير)) إلى غير كلمة جمل. يبدو لي أن هذا الأمر يعتبر

(١) - ابن منظور، لسان العرب، ٧١ / ٤

(٢) - لطبري، تفسير الطبري، بيروت: دار الفكر، ١٣/١٣، ١٤٠٥هـ.

(٣) - مقاتل بن سليمان (توفي سنة ١٥٠هـ): خراساني، نزيل مرو. أخذ الحديث عن ((مجاهد بن جبر)) و((عطاء بن أبي رباح)) وغيرهما.

(٤) - ابن منظور، لسان العرب، ٧١/٤

(٥) - Gesenius Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, p149

(٦) - بنيامين حداد، الميزان، معجم الأصول اللغويّة المقارنة سرياني-عربي، ص ٦٤

(٧) - Carolo Brockelmann, Lexicon Syriacum, Edinburgh: T. & T. Clark, 1895, p.43

(٨) - داود بن أبراهام الفاسي (القرن العاشر): نحوي، معجمي، يهودي من فرقة القرّائين.

٩ الخروج ٢٢/٤

(١٠) - كتب الشرح العربي للألفاظ العبريّة بالحرف العربي لا العربي.

(١١) - David B. Abraham Al-Fasi, Kitab Janā' Al-Allāz, ed. Solomon L. Skoss, New Haven: Yale University Press, 1936, 1/254

(١٢) - ض تكون ١٧ / ٤٥ قول فرعون ((يوسف)): ((اطلب من إخوتك أن يحملوا دوابهم بالفتح ويرجعوا إلى أرض كنعان)): فالدواب في الأصل العبري ((بعير)) كما هو مسطور في الأصل

العبري:

((أمر آل أخيد ذات عشو: טענו. את בערכם. ולכו באו. ארצה כנען.))

(١٣) - تكون ١٨/٤٣، ٢٦/٤٢، ...

خطأ تاريخيًا ظاهرًا، لأنني أعلم أنه في مصر القديمة (وذلك على كامل المدى التاريخي السابق للعصر المسيحي) لم تُستعمل الجمال المدججة البتة لحمل المتاع: قدمت تفاصيل وافية لهذا الموضوع في الجزء الكتابي الخاص بقصة يوسف. بدا لي أنا أيضًا بصورة واضحة أنّ إشارة الكتاب المقدس إلى الجمال التي تحمل المتاع في هذا العصر، خطأ تاريخي حقيقي (الترجمة السبعينية من القرن الثالث قبل الميلاد تضم هي أيضًا في اليونانية كلمة جمل (١)).

أثناء إقامتي في هقار (٢) في نزهة عند مخيم للطوارق مع المأسوف عليه ((هنري لاهوت)) سألت هذا العالم المتخصص في هذه المناطق عن الزمن الذي بدأ فيه تدجين الإبل -ذات السنم الواحد والسنامين-، فأجابني بكل ثقة أنه كان لا بد أن تنتظر العصر الروماني لنشهد استعمال هذا الحيوان كدابة نقل. بعد أن حصلت هذه المعلومة حول الجمل من هذا المصدر القيم، تساءلت عن المعنى الحقيقي للكلمة القرآنية (بعير) والتي ترجمت إلى (جمل) من طرف كل المترجمين -في حدود علمي- بمن في ذلك الشيخ ((حمزة بوبكر)). (٣) استعمال القرآن أثناء حديثه عن الجمل كلمة أخرى، كلمة جمل (في المفرد في سورة الأعراف الآية ٤٠، وفي الجمع في سورة المرسلات الآية ٣٣)، واستعمل كلمة (إبل) للدلالة على مجموع الجمال (سورة الأنعام الآية ١٤٤، سورة الغاشية الآية ١٧).

ما هو إذن معنى كلمة بعير في القرآن؟! وجهتُ هذا السؤال إلى البرفسور ((جاك بيرك))، بعد أن أعلمته بما أعرفه عن الجمال عبر التاريخ مما أخبرني به ((هنري لاهوت))، ومن خلال ملاحظتي لغياب استعمال هذا الحيوان المدجن في مصر القديمة. لما راجع ((جاك بيرك)) ((لسان العرب))، وجد أن الكلمة تعني ((كل ما يحمل))؛ لذلك فإنه لا بد من استبعاد كلمة جمل من كل الترجمات، وهو ما سيظهر في ترجمته بعد عدة سنوات.

أنصح القارئ أن يراجع الجزء الأول من هذا الكتاب الخاص بالرواية الكتابية لدخول مصر، حيث أشرت إلى استعمال كلمة (جمل) لا فقط في زمن يوسف، وإنما أيضًا في زمن إسحاق، في النص الذي بين أيدينا اليوم في العهد القديم، العبري واليوناني. دخل الخطأ التاريخي إلى النص من خلال محرري الكتاب المقدس أو نساخه ... من الواضح أنه في زمن تبليغ القرآن إلى الناس، كان الجمل يعدّ أفضل دابة لحمل المتاع في السفر بين البلدان القاحلة.

ليس الجمل هو الذي يظهر في القرآن على أنه الدابة التي تنقل المتاع في الشرق الأوسط قبل ألفي سنة في قصة يوسف. إنّ القرآن ينقل لنا المعطيات التاريخية الدقيقة المتعلقة بنقل المتاع ((٤))

الخلاصة: صحيح أنّ القرآن الكريم قد وافق التوراة في قولها إنّ إخوة ((يوسف)) قد استعملوا الحمير في سفرهم، لكنّ القرآن الكريم مع ذلك لم يتابع التوراة في زعمها أنّ الجمال قد دجنت زمن الآباء ((إبراهيم

(١) - (καμελος) (كاميلوس)

(٢) - منطقة في الجزائر

(٣) - حمزة بوبكر (١٩١٢م-١٩٩٥م): كان إمامًا لمسجد باريس. له ترجمة فرنسية لمعاني القرآن الكريم.

(٤) - Maurice Bucaille, *Moise et Pharaon*, pp. 209-210

ويعقوب ويوسف عليهم السلام)، رغم أنّ البيئة العربيّة كانت قد استقرت على الاعتقاد أنّ الجمل هو (سفينة الصحراء)؛ فلا ينفع في الارتحال في الصحارى غيره.

٣- ادعاء فرعون الألوهية

تخلو التوراة من آية إشارة إلى دعوى فرعون الألوهية في حين أثبت القرآن الكريم تاريخية هذه الدعوى الشنيعة: { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي } [القصص: ٣٨] .. { قَالَ لَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ } [الشعراء: ٢٩] ..

في مقابل صمت التوراة عن تأله الفرعون، ينطق التاريخ بأنّ مؤسس الأسرة المصريّة الأولى، استطاع أن يكون لمصر حوالي سنة ٣٢٠٠ ق.م حكومة مركزية قويّة ثابتة الأركان، كان على رأسها ((الملك المؤله)) الذي استطاع أن يجمع بين يديه كلّ السلطات، حكومة كان الملك فيها هو المحور؛ فهو ((الإله الأعظم))، وهو ((الإله الصقر حور)) الذي تجسّد في هيئة بشريّة؛ ولذلك فهو في نظر رعاياه، إله حي على شكل إنسان، يتساوى مع غيره من الآلهة الأخرى فيما لها من حقوق، ومن ثمّ فله حق الاتصال بهم، وله على شعبه ما لغيره من الآلهة من التقديس والمهابة. (١)

ويقول القرآن ناقلاً عن فرعون دعواه: { فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى } [النازعات: ٢١] .. وهو تصوير دقيق لحال الفرعنة الذين كانوا يعتقدون أنّ الواحد فيهم هو ((الإله الأعظم)) الذي تعود إليه كلّ أمور المملكة وكلّ أمور الناس، وهو الذي يعلم كلّ كبير وصغير من أمر الناس.. (٢)

ومما يلاحظ أيضاً أنّ القرآن بالإضافة إلى نقله ادعاء فرعون للألوهية، يقول على لسان الملأ من قومه: { وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْدُرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْأَعْرَافَ } [الأعراف: ١٢٧] .. ففرعون مدع للألوهية، كما أنّ له هو أيضاً آلهة .. ورغم أنّ الأمر يبدو في ظاهره متناقضاً إلا أنّ التاريخ المصري يخبرنا أنّ ((رمسيس الثاني)) -فرعون التسخير في قصّة ((موسى)) عليه السلام، على الراجح- كان يدعي الألوهية إلى درجة أن رفع نفسه إلى طبقة ((كبار الآلهة))، إلا أنه أيضاً كان يعبد أربعة آلهة أخرى؛ وهي ((أمون)) و((رع)) و((بتاح)) و((سوتخ)) (٣) .. وهذا لغز لم يكشف إلا مع التعرّف على اللغة الهيروغليفية في القرون الأخيرة.

وهنا معجزات دقيقة لا نرى لها أثراً في التوراة، رغم أهميتها القصوى في نقل ملابسات ما كان بين ((موسى)) عليه السلام وفرعون مصر. ونضيف فائدة أخرى، مادامنا نتحدث عن ((رمسيس الثاني))؛ وهي أنّ الحديث النبوي الشريف قد سمى زوجة فرعون التي التقطت ((موسى)) من اليم، ((آسية)) (٤) واليوم يخبرنا

(١) - انظر؛ محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، ٢/ ٢١٤

(٢) - انظر، محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، ٢/ ٢١٤

(٣) - انظر، د. رشدي البداروي، مصدر سابق، عن الدكتور محمد وصفي، الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل، ص ١٥٤

(٤) - قال صلى الله عليه وسلم: ((كَمَلُ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَهُمْ يَكْمُلُ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا أَسِيَةَ فِرْعَوْنَ، وَمَرْثَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَالِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ التَّيْدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ.)) (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون، ح/ (٣٤١١)).

التاريخ المصري القديم - بعد أن فتح بابه لنا - أن اسم الزوجة الثانية ((لرمسيس الثاني))، بل الزوجة الرئيسية على قول الأثرية ((ماري)) ١، هو ((آيسة)) (٢).

ومن الواضح سهولة المطابقة بين الاسمين كما ورد في الحديث النبوي وفي الآثار المصرية.. علمًا أنّ التوراة لا تذكر هذا الاسم، بل وترى أنّ ابنة فرعون هي من التقطت ((موسى)) من اليم لا زوجته كما يقول القرآن الكريم (٣) وصور رمسيس الثاني واضحة وقد وضع نفسه بين الإله ((أمون)) والإلهة ((موت)) في ثالوث آلهة.

٤ - ((الملك)) لا ((فرعون))

يقول الدكتور ((محمد بيومي مهران)) - أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم بجامعة الاسكندرية - ((: إن قصة التوراة تتحدث دائماً عن ملك مصر على أنه فرعون مصر، بينما يتحدث القرآن على أنه الملك وليس الفرعون (٤)، ومن المعروف تاريخياً اليوم أن كلمة ((فرعون)) في صيغتها المصرية ((برعا)) أو ((برعو))، كانت تعني البيت العالي، أو البيت العظيم، وكانوا يشيرون بها إلى القصر الملكي - وليس إلى ساكنه - ثم سرعان ما تغيرت وغدت تعبيراً محترماً، يقصد به الملك نفسه، وذلك منذ الأسرة الثامنة عشرة، وأما متى حدث هذا التغيير في استعمال لقب فرعون، فإن سير ((ألن جارندر)) - العالم الحجة في اللغة المصرية القديمة - يحدد ذلك بعهد الفرعون ((تحوتمس الثالث)) (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م)، حيث بدئ في إطلاق الاصطلاح أي ((فرعون)) على الملك نفسه ثم في عهد الداعية الديني المشهور ((أخناتون)) (١٣٦٧ - ١٣٥٠ ق.م)، مستنداً في ذلك على خطاب من عهده، ثم استعمل منذ الأسرة التاسعة عشرة (١٣٠٨ - ١١٨٤ ق.م)، وفيما بعد، في بعض الأحيان، كمرادف لكلمة ((جلالته))، ومن هذا الوقت أصبحنا نقرأ: ((خرج فرعون)) و((قال فرعون ... وهكذا)).

إن القرآن الكريم أراد أن يفرق بين حاكم مصر الأجنبي على أيام ((يوسف)) الصديق في عهد الهكسوس؛ فأطلق عليه لقب ((ملك))، وبين حاكم مصر الوطني على أيام ((موسى)) - مثلاً - الذي أطلق عليه لقب ((فرعون)) وهو اللقب الذي كان يطلق على ملوك مصر منذ عهد ((أخناتون))، هذا فضلاً عن أن ذلك من إعجاز القرآن، الذي لا إعجاز بعده، وإذا ما عدنا إلى التوراة، لوجدنا أن الحقائق التاريخية تقف ضد ما أوردته التوراة بشأن استعمال لقب فرعون، إذ إنها تستعمله حين يجب أن تستعمل لقب ملك، وذلك قبل الأسرة الثامنة عشرة، وتستعمل لقب ملك حين يجب أن تستعمل لقب فرعون، وذلك منذ عهد الأسرة الثامنة عشرة (١٥٧٥ - ١٣٠٨ ق.م)، وفيما بعدها (٥).

(١) - سليم حسن، مصر القديمة، ٤٣٤/٦ نقله، محمد بيومي مهران، إسرائيل، ٣٩٢/١.

(٢) - يمكن أن ينطق بطرق مختلفة، منها ((آيسة)) و((إيسى)) وحتى ((إست))؛ انظر؛ محمد بيومي مهران، إسرائيل، ٣٩٣/١

(٣) - خروج ٢/٩-٥

(٤) - تكوين ٤٠/٧ - ٤١/١٥، ٤٦، ٣١ - ٥٠/٧

(٥) - محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، ١٢١/٢ - ١٢٢، (بتصرف يسير)، Wahiduddine Khan, *God Arises*, New Delhi: Goodword Books, 2001, pp. 206- 208

وقال ((موريس بوكاي)): ((.. عبارة أخرى وردت في سورة يوسف يبدو لي أنها تحتاج إلى إشارة خاصة، لأنها تمثل مطابقة كاملة للاستعمال الذي كان في زمن يوسف، كما هو مثبت في التاريخ. أنا جد مدين للبرفسور جاك بيرك أنه لفت انتباهي منذ عدة سنين إلى الأمر التالي: لُقّب الحاكم في سورة يوسف خمس مرات ((الآيات ٤٣، و ٥٠ و ٥٤، و ٧٢، و ٧٦)) دائماً باسم ((مَلِك))، ولم يُلقَّب البتة بلقب ((فرعون)) الذي اختص به في القرآن الحاكم في الزمن الذي جرت فيه الأحداث المتعلقة بموسى وذلك في خمس وستين مرة. استعمل الكتاب المقدس كما أشرت إلى ذلك في الجزء الأول من كتابي، كلمة فرعون في جميع نصوصه للدلالة على حاكم مصر (أحياناً مقترنة بكلمة ملك)، لا فقط في زمن يوسف (أي في أقصى الاحتمالات القرن السابع عشر قبل الميلاد) بل حتى قبل ذلك في زمن إبراهيم (الفصل الثامن عشر من سفر التكوين).

لم يُعرف ملك مصر بلقب فرعون إلا منذ حكم أمينوفيس الرابع، أي في الربع الثاني من القرن الرابع عشر قبل المسيح. كل استعمال لكلمة فرعون للدلالة على ملك مصر قبل هذا العصر هو خطأ تاريخي: ارتكب محررو الكتاب المقدس هذا الخطأ لما كانوا يستعملون لغة زمانهم عند تأليفهم للكتاب المقدس. في المقابل، فإن استعمال هذه الكلمة للأحداث الأقرب لنا كزمن موسى، هي مطابقة للمعطيات التاريخية، إنه عليّ أن أعلن أنه في زمن تبليغ القرآن إلى الناس، كانت اللغة المصرية القديمة قد اختفت منذ أكثر من قرنين من الذاكرة البشرية، وبقيت كذلك إلى القرن التاسع عشر؛ لذلك فليس بإمكاننا أن نعرف أنّ ملك مصر في زمن يوسف يجب أن يدعى بلقب غير المذكور في الكتاب المقدس. دقة اختيار الكلمات في هذا الموضوع في نص القرآن تثير التفكير.)) (١)

٥ - عدد بني إسرائيل في مصر

من أكثر المواضع التي شغلت النقاد المعاصرين، العدد الضخم للإسرائيليين الذي عاشوا في مصر وخرجوا منها مع ((موسى)) عليه السلام بعد أن طاردهم فرعون وجنوده .. تذكر التوراة أنّ ((عدد نفوس بيت يعقوب التي قدمت إلى مصر (كانت) سبعين نفساً)) (٢)، ثم أصبح العدد بعد ٢١٥ سنة على رأي التوراة السبعينية، أو ضعف هذا الرقم على رأي التوراة العبرانية، ((شعباً أعظم وأكثر)) من المصريين - أصحاب أقوى وأعظم دولة في العالم في ذلك الوقت -، ولما طردوا من مصر كان من بينهم ((نحو ست مئة ألف ماش من الرجال، عدا الأولاد، فكان جميع الأبقار الذكور، من ابن شهر فصاعداً، اثنين وعشرين ألفاً ومئتين وثلاثة وسبعين.)) (١)!! (خروج ١٢ / ٣٧، عدد ٤٣ / ٤٣)

يلحق بعض الباحثين على ذلك، بقوله إننا لو قسمنا عدد الجماعة على الأبقار، لخلصنا إلى أن المرأة الإسرائيلية من اليهود الآبقين، كانت تلد زهاء ٦٥ وليداً، وهو أمر لا يستقيم مع المنطق، فضلاً عما تعرضوا له من ذلة وعسف تحت رؤساء التسخير، ولا مع ما روي من عبورهم البحر في سويغات قصار، ومن ثم فإن

(١) - Maurice Bucaille, Moise et Pharaon, pp.210-211

(٢) - تكوين ٤٦ / ٢٧

علماء اللاهوت والمؤرخين، سواء بسواء، أصبحوا الآن لا يعلقون أية أهمية على هذه الأرقام التي ذكرتها التوراة، ويعتبرونها محض خيال إسرائيلي. (١)

إنّ القول إنّ الإسرائيليين قد بلغ عددهم زمن ((موسى)) عليه السلام أكثر من المصريين، ليس إلا علامة على فحش مبالغات التوراة وفحش تناقضاتها، خاصة إذا علمنا أنّ التوراة ذاتها تذكر الاضطهاد والقتل الذي سلّط على الإسرائيليين.. فكيف يكون عددهم أكثر من المصريين رغم عمليات القتل؟! وكيف يستدلّ الأقلّ الأكثر؟! (٢)

وقد ردّ الإمام ((ابن حزم)) منذ قرابة ألف سنة على هذا الخطأ، وبينّ الإعجاز القرآني في هذا الباب، بعد أن كشف بمنهجية النقدية الصارمة خبط التوراة ومبالغاتها الباطلة: ((أين هذا الكذب البارد من الحق الواضح في قول الله تعالى حاكياً عن فرعون إنه قال إذ تبع بني إسرائيل: {إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ} ٣. هذا الذي لا يجوز غيره ولا يمكن سواه أصلاً.)) (٤) ..

علمًا أنّ هذه الحقيقة التصويبية التي وردت على لسان الإمام ابن حزم رحمه الله، لم تذكر في نقد الرواية التوراتية في الغرب إلا سنة ١٨٦٢م على يد ((ج. و. كولينسو)) ((J. W. Colenso)) - أحد مؤسسي نقد العهد القديم المعاصر- وإن كان الألماني ((ه. س. رايماروس)) ((H. S. Reimarus)) قد سخر من الرقم التوراتي قبل ذلك بقرن واحد!! (٥)

قد يقول معترض: ((إنّ ما قاله فرعون- في القرآن الكريم- لا يعدو كونه محاولة للتهوين من أمر الإسرائيليين!!)) والجواب هو: أولاً: النصّ القرآني في سرده لقصة ((موسى)) عليه السلام لا يوحي أصلاً أنّ بني إسرائيل قد بلغوا الكثرة المزعومة في التوراة، ثانياً: العدد المذكور في التوراة- كما يقول ((بوكاي)) يفوق عدد شعب دولة بأكملها في ذلك الوقت ٦، وليس من المعقول أن يوصف شعب كامل تبصرهم عيون الناس بأنهم ((شردمة قليلون))!!

وقد يتوجه المعترض بقوله إلى جهة أخرى ليقول إنّ القرآن لم يقدّم سبباً علمياً وإنما صوّب خطأ ظاهراً...!! وأقول: إنّ الكشف عن هذا الخطأ قد احتاج من أهل العلم دراسة جادة للنصوص ومقارنة جادة بينها ونظراً جاداً في السنن الكونية في تكاثر الشعب الواحد، وهو أمر لم تعرفه أوروبا إلا منذ ما يعرف بعصر النهضة (القرن ١٦م). وقد رأيت أنّ هذه الحقيقة لم يعرفها الغرب إلا بعد أكثر من ألف سنة من تنزّل القرآن الكريم!.. وقد سبقهم علماء الإسلام لأنهم كانوا يسترشدون بنور القرآن الكريم. إنّه إذن، الإعجاز!

٦- إسماعيل هو الذبيح

(١) - محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن، ١٤٢/٢

(٢) - انظر المصدر سابق، ١٤٣/٢

(٣) - سورة الشعراء/ الآية (٥٤)

(٤) - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ١٩٤/١

٥ د. لوي فوجي ود. شدى الدركرلي، التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم، تاريخ بني إسرائيل المبكر، لندن: دار الحكمة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، ص ١٣٣

٦ انظر؛ Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh, The Hebrews in Egypt*, Tokyo: NTT Mediascope, 1994, pp.7, 111-112

جاء في سفر التكوين ١٢-١/٢٢: ((وبعد هذا امتحن الله إبراهيم، فناده: ((يا إبراهيم)) فأجابه: ((لبيك!)) فقال له: ((خذ ابنك وحيدك، إسحق الذي تحبه، وانطلق إلى أرض المريا وقدمه محرقة على أحد الجبال الذي أهديك إليه))... ومد إبراهيم يده وتناول السكين ليذبح ابنه. فناده ملاك الرب من السماء قائلاً: ((إبراهيم، إبراهيم)) فأجاب: ((نعم)). فقال: ((لا تمد يدك إلى الصبي ولا توقع به ضرراً لأني علمت أنك تخاف الله ولم تمنع ابنك وحيدك عني)).

وهذا بلا ريب خطأ؛ لأنّ الكتاب المقدس نفسه يُقرّ أنّ ((إسماعيل)) قد ولد قبل ((إسحاق)). وقد جاءت النصوص القرآنية كاشفة ضمناً أنّ الذبيح هو ((إسماعيل)). (١) قال الإمام ابن القيم: في دفع دعوى الكتاب المقدس، وبيان دلالة القرآن الكريم أنّ الذبيح هو ((إسماعيل)): ((وهي باطلة قطعاً من عشرة أوجه: أحدها: أن بكره ووحيدته هو إسماعيل باتفاق الملل الثلاث، فالجمع بين كونه مأموراً بذبح بكره وتعيينه بإسحاق جمع بين التقيضين.

الثاني: أن الله سبحانه وتعالى أمر إبراهيم أن ينقل هاجر وابنها إسماعيل عن سارة ويسكنها في برية مكة لئلا تغير سارة، فأمر بإبعاد السرية وولدها عنها حفظاً لقلبها ودفعاً لأذى الغيرة عنها، فكيف يأمر الله سبحانه وتعالى بعد هذا بذبح ابن سارة وإبقاء ابن السرية؟! فهذا مما لا تقتضيه الحكمة.

الثالث: أن قصة الذبح كانت بمكة قطعاً، ولهذا جعل الله تعالى ذبح الهدايا والقرايين بمكة تذكيراً للأمة بما كان من قصة أبيهم إبراهيم مع ولده.

الرابع: أن الله سبحانه بشّر سارة أم إسحاق بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب ٢، فبشرها بهما جميعاً، فكيف يأمر بعد ذلك بذبح إسحاق وقد بشر أبويه بولد ولده؟!)

الخامس: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر قصة الذبيح وتسليمه نفسه لله تعالى وإقدام إبراهيم على ذبحه، وفرغ من قصته قال بعدها: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصفافات: ١١٢]، فشكر الله تعالى له استسلامه لأمره وبذل ولده له، وجعل من إثابته على ذلك أن آتاه إسحاق، فنحى إسماعيل من الذبح وزاده عليه إسحاق.

السادس: أن إبراهيم صلوات الله تعالى وسلامه عليه سأل ربّه الولد؛ فأجاب الله دعاءه وبشّره، فلما بلغ معه السعي أمره بذبحه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصفافات: ٩٩-١٠١]؛ فهذا دليل على أن هذا الولد إنما بشّر به بعد دعائه وسؤاله ربه أن يهب له ولداً، وهذا المبشّر به هو المأمور بذبحه قطعاً بنص القرآن، وأما إسحاق فإنما بشّر به من غير دعوة منه، بل

(١) - ما ذهب إليه بعض العلماء المسلمين من أنّ الذبيح هو ((إسحاق)) لا دليل عليه من قرآن أو سنة، وإنما هو متلقى عن اليهود والنصارى؛ قال شيخ الإسلام ((ابن تيمية)): ((هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب مع أنه باطل)). (ابن القيم، زاد المعاد، ت/ شعيب الأناؤوط وعبد القادر الأناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م، ط٤، ١٤٤، ٧١/١)، وقال الإمام ((ابن كثير)): ((وما أظن ذلك تلقي إلا عن طريق أخبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مُسَلِّماً من غير حجة)). (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٥/٤)

(٢) - قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنَ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبُ﴾ سورة هود/ الآية ٧١

على كبر السن وكون مثله لا يولد له، وإنما كانت البشارة به لامرأته سارة، ولهذا تعجبت من حصول الولد منها ومنه؛ قال تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَأَمْرُهُمْ قَاتِمَةٌ فَضَحَكْتَ فَبَشَّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } ١ فتأمل سياق هذه البشارة وتلك؛ تجدهما بشارتين متفاوتتين؛ مخرج إحداهما غير مخرج الأخرى، والبشارة الأولى كانت له والثانية كانت لها، والبشارة الأولى هي التي أمر بذبح من بشر فيها دون الثانية.

السابع: أن إبراهيم عليه السلام لم يقدم بإسحاق إلى مكة البتة، ولم يفرق بينه وبين أمه، وكيف يأمره الله تعالى أن يذهب بابن امرأته فيذبحه بموضع ضربتها في بلدها ويدع ابن ضربتها؟! الثامن: أن الله تعالى لما اتخذ إبراهيم خليلًا؛ والخلة تتضمن أن يكون قلبه كله متعلقًا بربه ليس فيه شعبة غيره، فلما سأله الولد وهبه إسماعيل؛ فتعلق به شعبة من قلبه، فأراد خليله سبحانه أن تكون تلك الشعبة له ليست لغيره من الخلق، فامتحنه بذبح ولده، فلما أقدم على الامتثال؛ خلصت له تلك الخلة وتمحضت لله وحده، ففسخ الأمر بالذبح، لحصول المقصود وهو العزم وتوطين النفس على الامتثال، ومن المعلوم أن هذا إنما يكون في أول الأولد لا في آخرها، فلما حصل هذا المقصود من الولد الأول لم يحتج في الولد الآخر إلى مثله، فإنه لو زاحمت محبة الولد الآخر الخلة لأمر بذبحه كما أمر بذبح الأول، فلو كان المأمور بذبحه هو الولد الآخر لكان قد أقره في الأول على مزاحمة الخلة به مدة طويلة، ثم أمره بما يزيل المزاحم بعد ذلك، وهذا خلاف مقتضى الحكمة فتأمل.

التاسع: أن إبراهيم عليه السلام إنما رزق إسحاق عليه السلام على الكبر، وإسماعيل عليه السلام رزقه في عنفوانه وقوته، والعادة أن القلب أعلق بأول الأولد، وهو إليه أميل وله أحب، بخلاف من يرزقه على الكبر، ومحل الولد بعد الكبر كمحل الشهوة للمرأة...)) (٢)

وقد اعترف بالدلالة القرآنية على أن الذبيح هو ((إسماعيل))، ((جايجر)) نفسه؛ فبعد أن استعرض ما جاء في القرآن الكريم، قال: ((من الواضح إذن أنه طبقًا لعرض محمد؛ فإن إسماعيل هو الذي قام بدور التضحية...))! (٣)

٧- ألوهية المسيح

تكرر في القرآن الكريم نفي ألوهية المسيح: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَلَمْ تَكُنْ لِلنَّاسِ آخِذُوبِي وَأُمِّي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما

(١) - سورة هود / الآيات (٦٩-٧٣)

(٢) - ابن القيم، إغاثة اللفغان من مصاديق الشيطان، ت/ محمد سيد كيلاني، القاهرة: مكتبة التراث، د.ت، ٣٤٨/٢-٣٥١

(٣) - A. Geiger, *Judaism And Islam*, p.103

فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ { [المائدة: ١١٦] ، { مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [مریم: ٣٥]

وتكرّر مع ذلك تمجيد المسيح عليه السلام، ونسبته إلى البشرية والنبوة: { إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [ال عمران: ٥٩] ، { قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا } [مریم: ٣٠] ، { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [البقرة: ١٣٦]

وهنا يسأل العاقل نفسه سؤالاً: لقد ذهب النصارى إلى أنّ المسيح قد أعلن أنه إله، وأنه صادق في دعواه، وذهب اليهود إلى اتّهام المسيح أنّه قد ادّعى الألوهية زوراً؛ فلم يذكر قرآن (محمد صلى الله عليه وسلم) أنّ المسيح لم يدّع الألوهية أصلاً؟! أليس في ذلك إنكار (لحقيقة) تاريخية أطبق عليها أهل الكتاب - كما يقولون هم بأنفسهم عن (إجماعهم!) -؟! أليس ذلك خطأ تاريخي في القرآن الكريم؟! - ليس الاعتراض هنا على صحة (ألوهية) المسيح، فهذا أمر يُدرك حكمه بالعقل المجرد، وإنما هو عن صحة القول إنّ المسيح قد ادّعى أنّه إله!

الإجابة يقدمها لنا لاهوتي، بل أحد أعلام اللاهوتيين في زماننا، وهو ((جون هك)) (١) بقوله في كتابه ((The Metaphor of God Incarnate: Christology in a pluralistic age)) الصادر في طبعته الأولى سنة ١٩٩٣م، ناقلاً ما أجمع عليه النقاد المحققون اليوم: ((نقطة أخرى عليها اتفاق واسع بين علماء العهد الجديد، وهي أكثر أهمية لفهم تطور علم دراسة طبيعة المسيح ((Christology))، وتتمثل في أنّ يسوع التاريخي لم يدّع الألوهية التي ادّعاها له متأخرو المسيحيين: إنه لم يظن في نفسه أنّه تجسّد الإله، أو الإله الابن... إنه من المستبعد جداً أن يكون يسوع التاريخي قد ظنّ في نفسه ذلك بأية صورة من الصور. في الحقيقة، إنّ المتصوّر أنه سيرفض هذه الفكرة باعتبارها هرطقة، إحدى الأقوال المنسوبة إليه، هي: ((لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلاّ الله وحده.)) (مرقس ١٠/١٨).

بالطبع لا توجد إفادات من الممكن أن تقدّم بيقين حول ما قاله يسوع أو ما لم يقله أو ما فكر فيه. لكن الحجّة المتاحة قادت المؤرّخين المتخصصين في الفترة التاريخية (لحياة المسيح) إلى أن يستنتجوا بإجماع مذهل أنّ يسوع لم يدّع أنه الإله المتجسّد.

هذا الأمر محلّ اتفاق عام اليوم حتّى إنّ بضعة اقتباسات ممثلة (للرأي السائد) مأخوذة من كتاب مستقيمي العقيدة (أرثوذكس)، تكفي لإثبات غرضنا الحالي. رئيس الأساقفة ((مايكل رمزي)) ((Michael Ramsey)) وهو أيضاً أحد علماء العهد الجديد، كتب أنّ ((يسوع لم يدّع لنفسه الألوهية)) (١٩٨٠م). عالم العهد الجديد المعاصر له ((س. ف. د. مول)) ((C. F. D. Moule)) قال إنّ ((كلّ حالة كرايستولوجيا "عالية" قائمة على أصالة الدعوى المدّعاة ليسوع حول نفسه، خاصة في الإنجيل الرابع، لا بد أن تعتبر غير ثابتة.)) (١٩٧٧م). استنتج ((جيمس دون)) ((James Dunn)) في دراسة رائدة حول أصول

(١) - جون هك (وُلد سنة ١٩٢٢م): لاهوتي. دّرس في عدد من الجامعات. رئيس الجمعية البريطانية لفلسفة الدين، ونائب رئيس الكونغرس العالمي للأديان. ذكر ((Robert Smid)) أنّه كبيراً ما يشار إلى ((هك)) أنّه (أحد أبرز فلاسفة الدين المهمين في القرن العشرين، لن لم يكن أبرزهم).

عقيدة التجسد أنه ((لا توجد حجة حقيقية في تراث يسوع المبكر مما من الممكن أن تسمى بإنصاف، وعياً بالألوهية)) (١٩٨٠م)، اعترف أيضاً ((براين هبلثوايت)) ((Brian Hebblethwaite)) المناصر بقوة للتراث النيقوي (١) الخلقيدوني (٢) المسيحاني أنه ((لم يعد ممكناً المدافعة عن ألوهية يسوع من خلال الإحالة إلى أقواله)) (١٩٨٧م). يقول أيضاً متحمس آخر للخلقيدونية وهو ((دافيد براون)) ((David Brown))، إنه ((توجد حجج قوية على أن (يسوع) لم ير نفسه البتة أهلاً لأن يعبد)) وإنه ((من المستحيل تأسيس أية دعوى للتأليه بناءً على إدراكه إذا أهملنا الصورة التقليدية كما يعكسها الفهم الحرفي للإنجيل يوحنا)) (١٩٨٥م)) (٣)

هذا هو الإعجاز حيث يخالف القرآن الكريم ما (استقر) عليه اليهود والنصارى زمن البعثة النبوية .. واليوم (يستقر) البحث النقدي الأكاديمي الغربي في شاطئ القرآن الكريم، دون اعتبار لقول أمّتين من الناس عاش أجدادهما مع المسيح نفسه!

٨ - الأصول الوثنية للعقيدة النصرانية

قال تعالى: { وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } [التوبة : ٣٠] ، يقول الشيخ ((أحمد عبد الغفور عطار)) في موسوعته: ((الديانات والعقائد في مختلف العصور)): ((إن هذه الآية الشريفة إنباء عن الماضي المجهول، وما كان محمد صلى الله عليه وسلم ولا عرب الحجاز يعلمون أن أمماً سبقت أمة المسيح، قالوا ما قالوه فيه، وهذا يجعلنا مطمئنين إلى أن القرآن كلام الله علام الغيوب، لا كلام عبد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، لأن الكشوف الأثرية والبحوث لم تكتشف مضاهاة النصرانية للذين كفروا إلا حديثاً، وبعد موت محمد صلى الله عليه وسلم بمئات السنين، فعرف ثلوث الهند وغيرها كالصين والمكسيك ومصر ودياناتهم الوثنية التي تشرّبتها النصرانية، وهذا سر من أسرار القرآن يظهر مع الزمن)). (٤)

وقد صنّف النقاد الغربيون كتباً عديدة في موضوع تأثر النصرانية بالعقائد الشرقية والوثنية، ومنها:

John Hick, ed. The Myth of God Incarnate, Oxford : New Blackfriars, 1977

Frank Viola and George Barna, Pagan Christianity, Ill. : BarnaBooks, 2008, 2002.

Jonathan Z. Smith, Drudgery Divine, : On the Comparison of Early Christianities and the Religions of Late Aniquity, Chicago: University of Chicago Press, 1990

Robert J. Miller, Born Divine: the birth of Jesus and other sons of God, CA: Polebridge Press, 2003

Tom Harpur, Pagn Christ, Toronto: Thomas Allen Publishers, 2004.

(١) - أي العقيدة التي قررها النصارى في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م حيث وصف المسيح أنه ((الله من الله)) ((θεὸν ἐκ θεοῦ)).
(٢) - أي العقيدة التي قررها النصارى في مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م الذي قرر أن المسيح طبيعتين ومشيئتين، الهيئة وأخرى بشرية ((الله حق وبشر حق)) ((θεὸν ἄληθῶς καὶ ἄνθρωπον ἄληθῶς τὸν αὐτὸν)).

(٣) - John Hick, The Metaphor of God Incarnate: Christology in a pluralistic age, London: Westminster John Knox Press, 2006, pp.27-28

(٤) - أحمد عبد الغفور عطار، الديانات والعقائد في مختلف العصور، مكة المكرمة: ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ٢ / ٥٦١

Timothy Freke and Peter Gandy, The Jesus Mysteries: was the 'original jesus' a pagan god?, New York : Harmony Books, 2000.

Shirley Strutton Dalton and Laurence E. Dalton, Jesus Christ: A Pagan Myth, On Demand Publishing, 2008 ... وغيرها كثير جدًا ...

٩- ابتداء الرهبانية

قال تعالى: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} [الحديد: ٢٧] .

كانت الرهبنة معلماً أساسياً من معالم النصرانية في القرن السابع ميلادياً، وقد وجدت لها حضوراً بارزاً في تجمعات النصارى الأقرب إلى مكة، وذكر أمرها في الشعر الجاهلي؛ بما يدل على أنها قد أضحت متصلة اتصالاً وثيقاً بالإيمان النصراني والهيكل الكنسي في الثقافة الشعبية العربية.. لكن القرآن الكريم يصرح بما لا يتوقعه العربي في ذلك الإطار الزماني والمكاني؛ إذ يقرّر أنّ الرهبنة مسلك دخيل على

النصرانية ابتدعه قوم ظنوا فيه الصلاح والتهديب للنفس، وقد آل أمر هذه الرهبنة إلى الفساد! (١)

إنّ الحقيقة التاريخية التي نعرفها اليوم معرفة يقينية هي أنّ الرهبنة لم تعرف في القرنين الأول والثاني ميلادياً، وإنما ظهرت بداية في نهاية القرن الثالث ميلادياً في مصر على يد قديس الكنيسة ((أنطونيوس الكبير)) (٢٠١م-٣٥٦م) الذي يسمّى ((بأبي الرهبنة)) ((Father of Monasticism)). (٢)

١٠ - يوسف النجار، الشخصية الخرافية

تضمّنت أناجيل النصارى ذكر شخصية ((يوسف النجار)) وأنه كان خطيب ((مريم)) أم المسيح عليهما السلام، وزعمت أنّه قد تولى رعاية المسيح عليه السلام أثناء طفولته.

وقد أهمل القرآن الكريم ذكر هذه الشخصية في حياة المسيح وأمه على صورة تكشف أنّ القرآن الكريم ينكر وجودها أصلاً، إننا لا نجد ((ليوسف النجار)) ذكراً في القرآن الكريم ولا في الأحاديث النبوية، كما أنّ الرواية القرآنية تنطلق بنا من الرغبة في تكريس ((مريم)) للهيكل، وكفالتها، إلى ولادتها العذرية، وريبة قومها في هذه الولادة العجيبة، دون إشارة إلى اتهام (الخطيب) بهذه الفعل، مكتفية بتنزيه ((مريم)) عن فعل الفاحشة: {يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا} [مريم: ٢٨]

وبالنظر في الكتاب المقدس نفسه؛ يستبين لنا صواب الرواية القرآنية وبطلان تاريخية شخصية ((يوسف النجار)) المذكور في الأناجيل؛ لأسباب عديدة من أهمها:

(١) - قال الإمام ((ابن كثير)) (تفسير القرآن العظيم، ٤/٢٢٩٠): ((وقوله تعالى: {فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} أي: فما قاموا بما التزموه حق القيام. وهذا دم لهم من من وجهين: (أحدهما) الابتداء في دين الله ما لم يأمر به الله. و(الثاني) في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قرية يقرمهم إلى الله عز وجل)).
(٢) - The Catholic Encyclopedia, 1/555 -

إنجيل مرقس الذي هو أقدم الأناجيل الأربعة تأليفاً، لم يشير البتة إلى ((يوسف النجار))، أشار إنجيل يوحنا إلى ((يوسف)) كشخصية لها علاقة بالمسيح في ١/٤٥: ((ثُمَّ وَجَدَ فِيلِبُّسُ نَثْنَائِيلَ، فَقَالَ لَهُ: «وَجَدْنَا الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي الشَّرِيعَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ فِي كُتُبِهِمْ وَهُوَ يَسُوعُ ابْنُ يُوسُفَ مِنَ النَّاصِرَةِ.»)) .. لكننا نعلم أنّ العهد القديم لم يشير البتة إلى شخص اسمه ((يسوع ابن يوسف من الناصرة)) ((يشوع بن يوسف مناصرة)). يذكر إنجيل مرقس ٣/٦ أنّ ((المسيح)) يعمل نجاراً، في حين ذهب إنجيل متى ١٣/٥٥ إلى أنّ ((المسيح)) هو ((ابن النجار))!! نسب ((يوسف النجار)) في الأناجيل مضطرب؛ فوالده في إنجيل متى ١٦/١ اسمه ((يعقوب))، في حين أنّ اسم والده في إنجيل لوقا ٣/٢٣: ((هالي)).

اختلفت الأناجيل في موطنه؛ فهو في إنجيل متى ١/٢ من بيت لحم، في حين أنّه في إنجيل لوقا ١/٢٦ من الناصرة. لو كانت ((مريم)) مخطوبة ((ليوسف النجار)) وثبت حملها أمام الناس؛ لوجب طبق الشريعة اليهودية رجمها (تثنية ٢٢/٢٣-٢٤)، وهو ما لم يكن!

تنصّ شريعة اليهود على منع المرأة من الزواج من غير سبطها (العدد ٨/٣٦-٩)، في حين نقرأ أنّ ((مريم)) من سبط لاوي (انظر؛ لوقا ١/٥ إذ إنّ ((إليصابات قريبة ((مريم لوقا ١/٣٦) من بنات ((هارون))، كما ذكر قديس الكنيسة ((هيبوليتس)) ١ أنّ أمّ ((مريم)) وأمّ ((إليصابات)) كانتا أختين (٢)، في حين أنّه قد تكرر القول إنّ ((يوسف النجار)) من نسل ((داود))؛ مما يعني منع زواجهما طبق شريعة اليهود.

لقد نفى القرآن الكريم ضمناً هذا الزواج، وبرزاً ((مريم)) أمام قومها الذين كانوا يعتقدون ديانةً وجوب رجم الزانية المخطوبة، بمعجزة كلام ابنها في المهدي؛ فكانت الرواية متناسقة ومتكاملة، متجاوزة أخطاء الأناجيل وتناقضها مع العهد القديم!

٤ - السبق التاريخي للقرآن الكريم على الكتب السابقة :

لا يقتصر الإعجاز القرآني والتميز التاريخي في القرآن الكريم، مقارنة بما ورد في الأسفار المقدسة عند المنصرّين، على التصحيح والتعديل، بل تجاوزه إلى السبق التاريخي المعجز في أبواب التاريخ القديم للأمم الدائرة التي لا علم للعرب الجاهليين وغيرهم بأمرها المطروق في تلك اللغات القرآنية المذهلة ، ومن هذه اللوحات التاريخية المعجزة التي تشفّت عن المصدر العلوي لهذا الكتاب الفريد، نذكر نتفاً تغني اللبيب عن طلب المزيد:

١١ - نجاة جثة فرعون

يقول تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠-٩٢]

(١) - هيبوليتوس (١٧٠م-٢٣٦م): لاهوتي وأحد قديسي الكنيسة.

(٢) - انظر؛ عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضد متفديه، ص ١٧١

تذكر هذه الآيات حادثة غرق فرعون، وهو ما جاء أيضًا في نص التوراة (١)، غير أنّ القرآن الكريم يضيف أمرين آخرين لم تعرفهما التوراة:

١- حفظ الله سبحانه جثة فرعون الهالك من أن تبقى في البحر.

٢- نجّى الله سبحانه هذه الجثة في اليوم الذي غرقت فيه لتبقى آية للناس وعبرة.

وقد بقي أمر جثث الفراعنة المخبئة مخفيًا طوال قرون عديدة، ولم يكتشف إلا في آخر القرن التاسع عشر حيث عثر على مومياءات الفراعنة عند فتح قبر ((المنحوت الثاني)).

ذهب باحثون كثيرون، ومنهم ((موريس بوكاي)) الطبيب، وعضو الجمعية الفرنسية للمصريّات la Société française d'égyptologie، إلى أنّ فرعون الخروج (٢) هو ((مرنبتاح بن رمسيس الثاني)) (٣). وقد قام الدكتور ((بوكاي)) بتقديم بيانات علمية بالغة الأهمية في هذا الشأن - لم تأخذ للأسف الشديد حظها من العناية من المتخصصين -، فقد ذكر أنّ التحليل الطبي لمومياء ((مرنبتاح)) قد تمّ بين سنتي ١٩٧٤م و١٩٧٥م بمشاركة أطباء مصريين، وكان هو من المشاركين فيه. وقد استقدم من فرنسا أحد أهم المتخصصين في الطب الشرعي لبحث فرضية موت هذا الفرعون بفعل ارتداد الأمواج عليه والغرق في البحر.

نشرت نتائج هذا البحث في كتاب ((بوكاي)) ((مومياءات الفراعنة، الأبحاث الطبية المعاصرة)) (Momies du Pharaons : les enquêtes médicales modernes) الذي نال عنه جائزة الأكاديمية الفرنسية، والأكاديمية القومية الفرنسية للطب، ملخص النتائج كالتالي:

~ أصيبت هذه المومياء بكسور بعد الموت إثر تمزق أنسجتها.

~ فقدت كلّ الأعضاء الداخلية للمومياء، وبالسؤال عن الرثتين (لاحتمال وجود آثار الغرق) علّم أنّهما قد اختفتا، وأنّ العادة أن ينزعهما المخطّط.

~ بتحليل مجهري لقطعة صغيرة من عضل المومياء؛ أمكن اكتشاف تفاصيل تشريحية حفظت بصورة جيّدة أثناء عملية التحنيط، أكّدت أنّه من المحال أن تكون هذه الجثة قد بقيت في الماء لفترة طويلة.

~ فقدان بعض الأعضاء في البدن أثناء حياة المومياء بما يرجح أنّ ذلك ناتج عن ضربات (blows) خارجية، وهو أمر أكّده صور الأشعة السينية (X-rays):

(١) - انظر؛ خروج ٢٨/١٤، مزمور ٥٣/٧٨، ١١/١٠٦

(٢) - ((فرعون الخروج)) أي الفرعون الذي لاحق ((موسى)) عليه السلام ومن معه أثناء خروجهم من مصر، و((فرعون التسخير)) هو الفرعون الذي قام بتسخير بني إسرائيل قبل ذلك. وقد ذهب عدد من علماء المصريات إلى أنّ ((فرعون الخروج)) هو نفسه ((فرعون التسخير))، في حين ذهب آخرون إلى أنّهما اثنين، فبعد وفاة ((فرعون التسخير)) استلم حكم مصر ((فرعون الخروج))، وهو الذي مال إليه د. ((بوكاي))، وانتصر له بأدلة قوية، وهو مذهب عدد كبير من أعلام المصريات.

(٣) - أشهر فرعون آخر اقترح النقّاد أنه فرعون الخروج، هو ((رمسيس الثاني))، وقد رفض ((موريس بوكاي)) هذا القول لأسباب، من أهمها أنّ ((الدراسة الطبية لهذه المومياء لا تقدّم لنا أدنى أرضية للتفكير في ذلك. في الحقيقة، إنّه من الجلي الواضح أنّ رمسيس الثاني كان عاجزًا تمامًا عن أن يتولّى تلك المهمة الحريّة قبل موته)). (Maurice Bucaille, *Mummies of the Pharaohs, modern medical investigations*, New York: St. (Martin's Press, 1990, p.107

فقدان أجزاء من القفص الصدري والبطن (abdomen) والجمجمة بسبب ضربات تلقاها الفرعون أثناء حياته.

فجوة في الصدر من الراحح أنّها ناتجة عن إصابة أثناء حياة هذا الفرعون، ومن المستبعد تشريحياً أن تكون ناتجة عن كسر اللصوص لصدر المومياء. ١

فجوة في أسفل الظهر (١٠ على ١٥ سنتمتر)، سببها ضربة من الخارج.

فجوة في الرأس (٣٧ على ٢٣ مليمتر)، وبصورة دقيقة عند العظم الجداري الأيمن، وكانت بسبب ضربة/ هبة شديدة جداً. ٢

فقدان هذه الأعضاء قاد علماء التشريح إلى القول إنّ سببها هو صدمة أصابت الفرعون، وأنّه من الراحح أنّ دخول عظام الرأس إلى منطقة المخ، ودفعها للمخ بصورة عنيفة قد أدّى إلى وفاة الفرعون بصورة سريعة أو ربّما آتية مباشرة.

~ كشفت الأشعة السينية أنّه لا أثر لانفجار العظام حول الفجوات، وهذا دليل على أنّ فقدان هذه الأعضاء كان بسبب ضربة/هبة أثناء حياة الفرعون. ٣

ويضيف ((بوكاي)) قائلاً: ((قدّمت هذه الاستنتاجات مع الوثائق في أبريل ١٩٧٦م، أمام المؤسسة الفرنسية للطب الشرعي، ولم تقدّم أية اعتراضات على استنتاجاتنا)) ٥.٤

وختم حديثه بالتأكيد على أنّ موت هذا الفرعون كان بفعل انطباق البحر عليه، وهو ما ذكره الكتاب المقدس (٦) .. وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة وأضاف إليها أخرى؛ وهي نجاة جثة هذا الفرعون؛ لتكتمل عناصر الإعجاز والسبق.

وأشار ((بوكاي)) إلى أنّه لو بقيت الجثة فترة طويلة في الماء؛ لصار تحنيطها غير مجدٍ. وأشار هنا إلى لفظة جميلة، وهي أنّ القرآن الكريم قد أشار إلى نجاة جثة هذا الفرعون من الهلاك في الماء، في نفس اليوم الذي هلك صاحبها فيه (٧) ، وهو ما يزيد الإعجاز القرآني هنا عمقاً!

(١) - أشار ((بوكاي)) إلى أنّ العظم المفقود هنا كان موجوداً عندما صوّرت المومياء في أوائل القرن العشرين (يبدو أنّه كان موضوعاً فوق الفجوة بعد أن انفصل عن الجثة).

(٢) - أبطل ((بوكاي)) من خلال صور الأشعة ودراسة جمجمة الفرعون ما رآه ((اليوت سميث)) في بداية القرن العشرين من أنّ هذه الفجوة ناتجة عن فعل اللصوص الذين أصابوا المومياءات بأضرار عند سرقة ما كان معها من جواهر (انظر؛ Maurice Bucaille, *Mummies of the Pharaohs, modern medical investigations*, p.123)

(٣) - انظر؛ Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh*, pp. 127- 128، انظر أيضاً؛ Maurice Bucaille, *Mummies of the Pharaohs, modern medical investigations*, pp. 156-160

(٤) - Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh*, p. 128

(٥) - شاع القول بتسفيه أن يكون ((مريتاج)) هو فرعون الخروج -لدى من ينكرون هذا القول-، بدعوى أنّه ليس للقائلين بذلك إلاّ حجة واحدة وهي آثار الملح على المومياء كدليل على العرق، وهو ما ليس بحجة لأنّ عملية التحنيط تستدعي استعمال الملح (انظر؛ لؤي فوحي وشذى الدركري، التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم، تاريخ بني إسرائيل المبكّر، ص١٢٤)!! وأنت ترى هنا أنّ كلّ الأدلة المعروضة في هذا الملخص لا تعلق لها بالملح وبقائه في جثة المومياء!! انظر في تفصيل الأدلة على أنّ مريتاج هو فرعون الخروج، والرّد على المخالفين، محمد بيومي مهرا، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، ٣٠٨-٣٢٩

(٦) - انظر؛ Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh*, pp. 128- 129

(٧) - انظر؛ Maurice Bucaille, *Mummies of the Pharaohs, modern medical investigations*, pp.158, 160

وكان ((بوكاي)) قد قال في كتابه ((الكتاب المقدس والقرآن والعلم)) ((La Bible le Coran et la Science)) حول اكتشاف جثة الفراعنة حديثًا: ((في العصر الذي كان فيه الرسول يضع القرآن في متناول الناس، كانت أبدان كل الفراعنة الذين شكَّ الناس في هذا العصر الحديث خطأ أو صوابًا بأنهم اهتموا بالخروج، موجودة في قبور وادي الملوك في ((طيبا)) في الضفة المقابلة للأقصر من النيل. وقد كان الناس في هذا الزمان يجهلون كل هذا الواقع. ولم يكتشفوه إلا في أواخر القرن التاسع عشر(١) وقد ثبت كما يقول القرآن، أن بدن فرعون الخروج قد نجا. أيًا كان هذا الفرعون، فإنه اليوم في صالة الموميآت الملكية في المتحف المصري في القاهرة، ميسرة رؤيته للزائرين.)) (٢)

ومما استدلل به لصالح إثبات أن ((مرنبتاح)) هو فرعون الخروج، ما جاء في مسألة مرنبتاح الشهيرة التي تضم الإشارة الوحيدة لإسرائيل في النصوص المصرية، فقد تعامل نصّ المسألة مع كلمة ((إسرائيل)) -لغويًا- باعتبارها دالة على شعب لا دولة له -على خلاف بقية المذكورين في النص-. وقد أورد هذا النص انتصارات الفرعون: ((الأمراء منبطحون يصرخون طالبين الرحمة، وليس من بين الأقواس التسعة من يرفع رأسه، الخراب للتحنو، بلاد خاقي هادئة، وكنعان قد استلبت في قسوة، وأخذت عقلا، وقبض على جازر، وصارت ينوعام كأن لم يكن لها وجود، وإسرائيل قد خربت وأزيلت بذرتها، أصبحت خارو أرملة لمصر.)) (٣)

((خربت/ضاعت إسرائيل، وأزيلت بذرتها.)) على غير العادة في نصوص هذه المسألة، فإن العلامة المرتبطة بكلمة ((إسرائيل)) ليست علامة دولة، أو مدينة، وإنما علامة تدلّ على طائفة من الناس، من الممكن الربط بين هذا النص وبين ما جاء في القرآن الكريم من قتل الفرعون لذرية بني إسرائيل: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: ٤]، {وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْدَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْأَهْلِيَّ قَالَ سَنَقْتُلُنَّ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ} [الأعراف: ١٢٧] وقد جاء أمر قتل ذرية اليهود أيضًا في التوراة. (خروج ١٥ / ٢٢-)

١٢ - وسائل التعذيب في زمن فرعون

قال تعالى مصورًا ما حدث من تحدّ بين سحرة فرعون و((موسى)) عليه السلام، وكيف آمن السحرة بالله وحده وكفروا بفرعون لما انههروا بمعجزة العصا التي تحوّلت إلى حية حقيقية؛ فقرّر فرعون الانتقام منهم: {قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّمَا أَن تُلْقِي وَإِنَّمَا أَن نُّكُونَ أَوْلَٰئَ مَنْ أَلْقَىٰ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ وَآلِقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا

(١) - ((في عصر الأسرة الحادية والعشرين حينما توفي كبير كهنة آمون ((بينودجيم الثاني)) قرر زملاؤه الكهنة إغناء العبت ببحث الفراعنة فجمعوا جثثهم واتخذوا من دفن كبير الكهنة ستارًا ودفنوا الجميع في قبر الملكة ((إنحاي)) بالدير البحري والذي تم توسعته ليتسع لجميع جثث الفراعنة منذ عصر الأسرة الثامنة عشرة. وأغلقوا القبر. وسجلوا أن ذلك قد تم في السنة العاشرة من حكم الملك ((سيامون)) في عام ٩٦٩ ق.م. وردموا المدخل تمامًا وضيعوا المعالم حوله حتى لا يستدل عليه اللصوص فيقبر الحديد سالما من عبث اللصوص لأكثر من ٢٨٠٠ سنة ونسي تماما وسمي ((حبيقة الدير البحري)) ويحتوي على جميع المومياوات ومن بينها مومياء رمسيس الثاني.)) (رشدي البدراري، موسى وهارون عليهما السلام من هو فرعون موسى؟، نسخة إلكترونية)

(٢) - موهيس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، دار الكندي، ط٢، ص ٢٠٤

(٣) - محمد يومي مهرا، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، ٢ / ٣١١-٣١٢

صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى
قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ
وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى { [طه: ٦٥-٧١]

ذكر القرآن الكريم هاهنا وسائل التعذيب في زمن فرعون، وقد نشر الدكتور ((أحمد عبد الحميد يوسف))
نصاً ورد في معبد عمدا من بلاد النوبة المصرية يصوّر وسائل التعذيب في زمان فرعون، وهو يرجع إلى السنة
الرابعة من عهد ((مرنبتاح)) (١) (حوالي سنة ١٢٢٠ ق.م)، وهو يؤكّد أنّ ((مرنبتاح)) قد عذب الناس بقطع
من خلاف وصلب .. (٢)

ولا بدّ من الملاحظة في هذا المقام، أنّ القرآن قد انفراد بذكر إيمان السحرة، بالله سبحانه، وهو ردّ فعل
منطقي من قوم امتهنوا السحر، فلما جاءهم من بزهم في ما برعوا فيه، وعلموا أنّ ما قام به هو أعظم ممّا
صنعوا، وأنه حق لا مجرد خيال، أسلموا لله ربّ العالمين ..

والسؤال الذي نواجهه به المنصّرين هو: لمّ يورد القرآن هذه الواقعة ويعقبها بذكر حقيقة تاريخية ما كان
يعلمها الناس ذاك الزمان ولم ترد في التوراة، إلا أن تكون وحياً من الحقّ سبحانه؟!

١٣ - صعود فرعون إلى السماء

قال تعالى: { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ
مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ كاذبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي
تَبَابٍ } {غافر: ٣٦} ، يتحدث اليوم علماء ((المصريات)) عن اعتقاد كان راسخاً عند الفراعنة أنّه بإمكان
الفرعون أن يصعد إلى السماء على سلّم أو برج ليرى الآلهة هناك؛ ويؤكد ((ألن ف. سجال)) ((Alan F. Segal))
هذه الحقيقة بقوله: ((تظهر العديد من الكتابات في نصوص الأهرامات أنّ الفرعون يصعد إلى
السماء باستعمال سلّم. ن. يصعد على سلّم أعدّه له أبوه ((رع)). أو صنعت (الآلهة) سلّمًا ل ((ن)) ليصعد به
إلى السماء)) (٣) وقد أشار الباحث ((بيتر)) إلى تفشّي ((الفكرة الدينية في الرغبة في الصعود إلى الآلهة في
السماء)) في مصر الفراعنة. (٤) ، ويذهب الكثير من علماء ((المصريات)) إلى أنّ الاعتقاد عند قدماء المصريين
كان على أنّ الأهرامات ذاتها وسيلة الفرعون لبلوغ السماء. (٥)

١٤ - حفظ القمح في سنبله

(١) - ربح العديد من النقاد كما سبق، أنّ ((مرنبتاح)) هو فرعون الخروج.
(٢) - انظر، أحمد عبد الحميد يوسف، مصر في القرآن والسنة، ص ١١٠، و 237، A. A. Joussef, *Merenptah's Fourth year at Amada*, ASAE, I. VIII, 1964, P. 237
نقله، د. محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، ٢/٢٠٠)
(٣) - Alan F. Segal, *Life After Death: A history of the afterlife in the religions of the West*, New York : Doubleday, 2004, p.38
(٤) - د. لوي فتوحى ود. شذى الدركلي، التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم، تاريخ بني إسرائيل المبكر، لندن: دار الحكمة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، ص ١٣٣
(٥) - انظر؛ Brian M. Fagan, *From Stonehenge to Samarkand: an anthology of archaeological travel writing*, New York : Oxford University Press, 2006, p.10, Emmet John Sweeney, *The Genesis of Israel and Egypt*, Algora Publishing, 2008, 1/32

قال تعالى: {يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّادِقُ افْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرٍ يَابَسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنَ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ} [يوسف: ٤٥-٤٩] .

تفرد القرآن الكريم بذكر خبرٍ في قصة ((يوسف)) عليه السلام لم يرد في التوراة .. والناظر في هذه الزيادة قد لا يرى لها -من وجهة نظره- أهمية خاصة .. ولكن الله سبحانه وتعالى العليم الحكيم، يأبى إلا أن يجعل نور الإعجاز يسري في آي القرآن مدى الزمان .. ونحن اليوم قادرون على أن نفهم إحدى حكم إيراد هذه الزيادة التي تمثل مقطعاً من قصة ((يوسف)) عليه السلام غفلت عنه التوراة اليهودية-النصرانية ..

المقطع هو نصح ((يوسف)) عليه السلام لملك مصر أن يحفظ الحب في سنبله، رغم أن أهل مصر ما كان من عادتهم أن يفعلوا ذلك عند التخزين. وجليّ أنّ الغاية من هذه الوسيلة في الحفظ هي الإبقاء على القيمة الغذائية والصحية للحب أيام التخزين للاستفادة منه عند المجاعة التي ستحتاج البلاد ، وقد قدّم أحد الباحثين (١) في مؤتمر الإعجاز العلمي في الكويت (٢) بحثاً عن جانب الإعجاز في ما ورد على لسان ((يوسف)) عليه السلام ؛ فقال : ((إن الذي يوقفنا في الآية الكريمة ملحوظتان علميتان :

١ . تحديد مدة صلاحية حبة الزرع في خمس عشرة سنة هي حصيللة سبع سنوات يزرع الناس ويحصدون خلالها دأباً وتتابعاً وهي سنوات الخصب والعطاء، يليها سبع سنوات شداد عجاف هي سنوات الجفاف، يليها سنة واحدة هي السنة الخامسة عشرة وفيها يغاث الناس وفيها يعصرون من الفواكه، وقد أفاد البحث العلمي أن مدة ١٥ سنة هي المدة القصوى لاستمرار الحبوب محافظة على طاقة النمو والتطور فيها.

٢ . طريقة التخزين وهو قوله تعالى ((فذروه في سنبله)) وهي الطريقة العلمية الأهم في بحثنا: وفي إطار ترك البذور أو الحبوب في السنابل . قمنا ببحث تجريبي مدقق حول بذور قمح تركناها في سنبله لمدة تصل إلى سنتين مقارنة مع بذور مجردة من سنابلها، وأظهرت النتائج الأولية أن السنابل لم يطرأ عليها أي تغيير صحي وبقيت حالتها ١٠٠% .

مع العلم أن مكان التخزين كان عادياً ولم ترع فيه شروط الحرارة أو الرطوبة أو ما إلى ذلك. وفي هذا الإطار تبين أنّ البذور التي تركناها في سنابلها فقدت كمية مهمة من الماء وأصبحت جافة مع مرور الوقت بالمقارنة مع البذور المعزولة من سنابلها، وهذا يعني أن نسبة ٢٠.٣% من وزن القمح المجرد من سنبله مكون من الماء مما يؤثر سلبيًا على مقدرة هذه البذور من ناحية زرعها ونموها ومن ناحية قدرتها الغذائية لأن وجود الماء يسهل من تعفنه وترديه صحي.

(١) - د. عبد المجيد بلعابد. ، وقد كشف هذا السبق العلمي أيضا د. محمد جمال الدين الفندي منذ بضعة عقود في كتابه ((الإسلام وقوانين الوجود))، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٢، ص ١٢٧
(٢) - انعقد في تاريخ ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٦

ثم قمنا بمقارنة مميزات النمو (طول الجذور، وطول الجذوع) بين بذور بقيت في سنبليها وأخرى مجردة منها لمدة تصل إلى سنتين؛ فتبين أن البذور في السنابل هي أحسن نموًا بنسبة ٢٠% بالنسبة لطول الجذور و ٣٢% بالنسبة لطول الجذوع. وموازية مع هذه النتائج قمنا بتقدير البروتينات والسكريات العامة التي تبقى بدون تغيير أو نقصان؛ أما البذور التي تعزل من السنابل فتتخفف كميته بنسبة ٣٢% من البروتينات مع مرور الوقت بعد سنتين وبنسبة ٢٠% بعد سنة واحدة.

وبهذا يتبين في هذا البحث أن أحسن وأفضل تخزين للبذور هي الطريقة التي أشار بها ((يوسف)) عليه السلام وهي من وحي الله. ومن المعلوم أن هذه الطريقة لم تكن متبعة في القدم وخاصة عند المصريين القدماء الذين كانوا يخزنون الحبوب على شكل بذور معزولة عن سنبليها؛ وهذا يعتبر وجهًا من وجوه الإعجاز العلمي في تخزين البذور والحبوب في السنابل حتى لا يطرأ عليها أي تغيير أو فساد مما يؤكد عظمة الوحي ودقة ما فيه من علم.)) (١)

٥- القرآن الكريم يصحح الأخطاء العلمية للكتاب المقدس

لم تكن البلاد العربية عرضة للأفكار العلمية المتطورة في الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية، نتيجة غياب التواصل المعرفي بينهما، وبساطة أنماط الحياة الصحراوية التي تعتمد على التجارة البينية ورعي الإبل وزراعة النخيل، والاعتقاد في الآلهة أمَّا تورث الخصب والصحة والثراء؛ إذ في غضبها ورضاها تفسير الظواهر الكونية في البشر والبيئة .. في ظل هذه الظروف، يستدعي العقل القول إنَّ القرآن لن يجد حرجًا في نقل أفكار أهل الكتاب مادامت لا تجد مخالفة من علم عربي ثابت في بيئة الصحراء، إن صحَّ الزعم بدعوى الاقتباس من أسفار أهل الكتاب.. ولكن عند النظر في ما ورد في القرآن الكريم؛ يستبين الناظر أن القرآن خالف صراحة أو ضمناً أفكارًا علمية خاطئة في الكتاب المقدس .. وسنستعرض هنا بعضها تمثيلاً لهذه الحقيقة بعد أن نعلن الحقيقة التي كشفتها ترجمة أورشليم للكتاب المقدس، وتبنتها ترجمة الرهبانية اليسوعية العربية في هامشها الأول المتعلق بقصة الخلق في سفر التكوين، وهي أن: ((النص يستند إلى علم لا يزال في عهد الطفولة. فلا حاجة إلى التفنن في إقامة التوافق بين هذه الصور وعلومنا العصرية.)) (٢) ..

إنَّ الكتاب المقدس، إذن، يقدم لنا الطفولة الساذجة للعلم البدائي الغر!! وشهد شاهد من أهلها!

١- شكل الأرض بين الكتاب المقدس والقرآن

تضمن الكتاب المقدس نصوصًا كثيرة تدلّ في مجموعها على ترسخ اعتقاد أن الأرض منبسطة، وأن لها أركانًا أربعة، وحواش في نهاياتها: فالأرض مسطحة في الكتاب المقدس :

(١) - نشر هذا البحث موقع "الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة" <http://www.nooran.org/O/> ١٠/١٠٢٠١٢٠.htm

(٢) - ترجمة الرهبانية اليسوعية، ط٣، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٤م، ص ٦٨

* ((ثم أخذهُ إبليس أيضاً إلى قمة جبل عال جداً، وأراه جميع ممالك العالم وعظمتها)) (متى ٤/٨) .. أخذ إبليسُ المسيحَ إلى جبل ١ عال جداً تطل قَمَتَهُ على جميع الأرض .. وهذا نظرياً محال إلا أن تكون الأرض مسطحة .. ولاحظ عبارة ((عالٍ جداً للدلالة على أنّ المقصود هو العلو المادي الحقيقي الذي يمكن صاحبه من أن يطلَّ على جميع الأرض!

* ((وهذه هي الرؤيا التي شهدتها في منامي: رأيت وإذا بشجرة منتصبة في وسط الأرض ذات ارتفاع عظيم، وقد نمت الشجرة وقويت حتى بلغ ارتفاعها السماء، وبدت للعيان حتى إلى أطراف الأرض.)) (دانيال ٤/١٠ - ١١) .. ورد في هذه الرؤيا أن شجرة كانت في وسط الأرض (!) ولعظم علوها؛ فقد أطلت على جميع الأرض، حتى أطرافها، ولا يمنع كونها رؤيا منامية، عكسها لتصور بدائي لشكل الأرض عند كاتب/محرر/معدل سفر دانيال!!

صرح الكتاب المقدس أن للأرض أطرافاً: * ((يا رب عزبي وحصني وملجئي في يوم الضيق إليك تأتي الأمم من أطراف الأرض ...)) (إرمياء ١٦/١٩)

* ((ليمسك بأطراف الأرض فينبض الأشرار منها؟)) (أيوب ٣٨/١٣) (الفاندايك)

* ((تحت كل السماوات يطلقها كذا نوره إلى أطراف الأرض.)) (أيوب ٣٧/٣) .. أكره ذات أطراف؟! (٢)

لقد جاءت ترجمة الفولجات دقيقة في ضبط معنى النصِّ العبري: ((extremis)) و((extrema)) و((terminos)) في الدلالة على الحدود القصوى للأرض التي تمثل أطرافها!

صرح الكتاب المقدس أن للأرض أركاناً أربعة:

((وينصب راية للأمم ويجمع منفيي إسرائيل ومشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض)) (إشعياء ١١/١٢) .. ثبوت الأطراف الأربعة؛ يثبت هندسياً الزوايا الأربع! (٣)

(١) - يبدو أنّ مؤلّف إنجيل لوقا قد اتبته إلى نكاره ما أورده مؤلّف إنجيل متى من وجود جبل يطلّ على جميع العالم؛ ولذلك حذف ذكر الجبل، واكتفى بالقول إنّ المسيح قد ((أُبعد)) ((αναγαγων))، لكنّه لم يستطع أن يفلت من الخطأ العلمي في تصوّر وجود مكان من الممكن أن يطلّ منه على جميع البلاد المسكونة، وقد وقع في الزلل العلمي رغم أنّه قد (ضيق) العرض البصري من ((ممالك العالم)) ((τὰς βασιλείας του κόσμου)) (متى ٤/٨) إلى ((الممالك التي يسكنها البشر)) ((τὰς βασιλείας της οικουμένης)) (لوقا ٤/٥)!!

(٢) - جاء الحديث في القرآن الكريم عن أطراف الأرض: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَكْتُبُ لَهَا فُجُوعًا وَمَكْرًا لَذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَلِكُمُ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ} (سورة الرعد/ الآيات ٤١-٤٢)، و{يَلِ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ} (سورة الأنبياء/ ٤٤) .. والسياق هنا قاطع في دلالاته على أطراف (حواشي) الأرض التي يُمكن فيها أهل الباطل، وأنها تنقص؛ لاستمرار أهل الكفر في الانحراف عن صراط الحق؛ قال ((الزخشري)): ((تنقص أرض الكفر ودار الحرب، وتُحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردها دار إسلام.)) (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، ت/ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وقتحي حجازي، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ٤/١٤٧)، وقال ((سيد قطب)): ((إن يد الله القوية لبادية الآثار فيما حولهم، فهي تأتي الأمم القوية الغنية. حين تظفر وتكفر وتفسد. تنقص من قوتها وتنقص من ثرائها وتنقص من قدرها؛ وتحصرها في رُعة من الأرض ضيقة بعد أن كانت ذات سلطان وذات امتداد، وإذا حكم الله عليها بالانحسار فلا معقب لحكمه، ولا بد له من النفاذ)) (في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ط ٣٤٤، ٤/٢٠٦) .. وقال ((ابن الأعرابي)): ((الطرف والطرف الرجل الكريم. قال ((القشيري)): وعلى هذا فالأطراف الأشراف. (أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ٥/٣٨٩) .. فإذا قلنا إنّ ((أطراف)) في الآيتين تعني ((حواشي الشيء))؛ يكون المعنى بدلالة السياق: نقصان أرض الكفر، وأما إن فهمت كلمة ((أطراف)) بمعنى ((أشراف الناس))؛ كان المعنى هو: هلاك الأشراف .. فليست هناك صلة سياقية بين ((الأطراف)) وحدود الأرض كشكل هندسي مسطح له نهايات جانبية!

(٣) - اختارت الكثير من الترجمات الإنجليزية كلمة ((comers)) ((زوايا)) ك: ((The King James Version)) و((The English Standard Version)) و((The Darby Translation)) و((The American Standard Version)) و((The Amplified Bible)) وهو نفس ما اختارته الترجمة الفرنسية ((La Bible de Semeur)) باعتبارها كلمة: ((coins)) ..

((وبعد هذا رأيت أربعة ملائكة واقفين على أربع زوايا الأرض، ممسكين أربع رياح الأرض لكي لا تهب ريح على الأرض ولا على البحر ولا على شجرة ما.)) (رؤيا ١/٧) (الفاندايك)

((فيخرج ليضلل الأمم في زوايا الأرض الأربع، جوح ومأجوح، ويجمعهم للقتال، وعددهم كثير جدًا كرمل البحر!)) (رؤيا ٨/٢٠) .. كيف تكون الكرة بأطراف أو زوايا!!

وقد شنع قديس الكنيسة ((يوحنا ذهبي الفم)) (١) في تعليقه على الرسالة إلى العبرانيين ١/٨ على القائلين بكروية الأرض، بقوله: ((أين هؤلاء الذين يقولون إن السماء تدور من حولنا؟ أين هؤلاء الذين يعلنون أنّها كروية؟ هاتان الفكرتان قد هزمتا هاهنا!)) (٢)

جاء التصريح في المقابل بكروية الأرض في القرآن الكريم، ودلت السنة الشريفة على نفس الأمر، وأجمع أهل الإسلام منذ القرون الأولى على هذه الحقيقة؛ يقول شيخ الإسلام ((ابن تيمية)): ((ثبت بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة أن الأفلاك مستديرة، قال الله تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ } [فصلت: ٣٧]، وقال: { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } [الانبيا: ٣٣]، وقال تعالى: { لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } [يس: ٤٠]

قال ((ابن عباس)): في فلكة مثل فلكة المغزل. وهكذا هو في لسان العرب: الفلك الشيء المستدير، ومنه يقال: تفلك ثدي الجارية إذا استدار، قال تعالى: { يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ } [الزمر: ٥]، والتكوير: هو التدوير، ومنه قيل: كار العمامة، وكورها إذا أدارها، ومنه قيل للكورة كرة، وهي الجسم المستدير، ولهذا يقال للأفلاك: كروية الشكل (...). وقال النبي ﷺ للأعرابي الذي قال: إنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. فقال: ((ويحك! إن الله لا يُستشفع به على أحد من خلقه، إن شأنه أعظم من ذلك، إن عرشه على سماواته هكذا)) وقال بيده مثل القبة: ((وإنه ليعط به أطيظ الرجل الحديد براكبه)). رواه أبو داود وغيره من حديث جبير بن مطعم عن النبي ﷺ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: ((إذا سألتم الله الجنة؛ فاسألوه الفردوس؛ فإنها أعلى الجنة، وأوسط الجنة، وسقفها عرش الرحمن))؛ فقد أخبر أن الفردوس هي الأعلى والأوسط، وهذا لا يكون إلا في الصورة المستديرة، فأما المربع ونحوه؛ فليس أوسطه أعلاه، بل هو متساوٍ.)) (٣)

وسئل رحمه الله عن رجلين تنازعا في (كيفية السماء والأرض) هل هما (جسمان كريان)؟ فقال أحدهما كريان، وأنكر الآخر هذه المقالة وقال: ليس لها أصل وردها فما الصواب؟ فأجاب: ((السموات مستديرة عند علماء المسلمين، وقد حكى إجماع المسلمين على ذلك غير واحد من العلماء أئمة الإسلام: مثل أبي الحسين

(١) - يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧م-٤٠٧م): رئيس أساقفة القسطنطينية. من أبرز اللاهوتيين النصارى الأوائل. يعتبر من أهم قديسي الكنيسة الأرثوذكسية، كما أنه من المراجع الكبرى للكنيسة الكاثوليكية. لقب بـ((ذهبي الفم)) لبلاغته في مواظبه وخطبه.

(٢) - John Chrysostom, 'Homily xiv on Hebrews,' in *Nicene and Post-Nicene Fathers*, New York: The Christian Literature Company, 1890, 14/433

(٣) - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ١٩٣/٢٥-١٩٤

أحمد بن جعفر بن المنادي أحد الأعيان الكبار من الطبقة الثانية من أصحاب الإمام أحمد وله نحو أربعمائة مصنف، وحكى الإجماع على ذلك الإمام أبو محمد بن حزم وأبو الفرج بن الجوزي ، وروى العلماء ذلك بالأسانيد المعروفة عن الصحابة والتابعين، وذكروا ذلك من كتاب الله وسنة رسوله، وبسطوا القول في ذلك بالدلائل السمعية، وإن كان قد أقيم على ذلك أيضاً دلائل حسابية.))^(١)

٢- أعمدة السماء

تعتبر الجبال في الكتاب المقدس أعمدة تحمل قبة السماء حتى لا تقع على الأرض أوردتها ترجمة ((The Revised Standard Version))، وهو نفس الاعتقاد الذي كان شائعاً في الأدبيات المصرية القديمة والأكادية واليونانية... (٢) أهم النصوص الكتابية الدالة على هذا الأمر ما جاء في سفر أيوب ١١/٢٦: ((من زجره ترتعش أعمدة السماء وترتعد من تقريعه.))، يقول التعليق على الكتاب المقدس ((Eerdmans Commentary on the Bible)) في هذا النص: ((أعمدة السماء في العدد ١١ هي الجبال التي تحمل السماء.))^(٣).

لا نجد البتة في القرآن الكريم حديثاً عن دور الجبال في إمساك السماء، رغم وفرة الآيات التي تصف الجبال ووظائفها، وإنما نجد في القرآن الكريم نصاً لوجود أعمدة مادية تمسك السماء: { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِعَجْرِ عَمَدٍ تَرْوُنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ } [لقمان: ١٠]، لقد جمعت هذه الآية بين حقيقتين تخدمان خرافة الكتاب المقدس:

الأولى: غياب أعمدة من الممكن أن تبصرها العين، تمسك السماء.

الثانية: أن وظيفة الجبال هي تثبيت الأرض لا إمساك السماء.

٣- الأرض الثابتة:

جاء في مزمو ١/٩٣: ((الرب قد ملك مرتدياً الجلال. متنطقاً بحزام القوة. الأرض تثبتت فلن تتزعزع.)) ، و مزمو ٥/١٠٤: ((المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد.)) ، أخبار الأيام الأول ٣٠/١٦: ((ارتعدي أمامه ياكل الأرض، هوذا الأرض قد استقرت ثابتة.)) ، قررت النصوص السابقة أن الأرض ثابتة لا تتحرك، في حين جاء النص القرآني في إثبات أن كل شيء يسير في خط متفلك (دائري)، قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } [الانبيا: ٣٣]. تثبت هذه الآية أن الأرض متحركة غير جامدة من أوجه:

(١) - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٥٨٦/٦

(٢) - انظر التفصيل: http://www.bibleandscience.com/bible/books/genesis/genesis_pillarsheaven.htm (1/5/2010)

(٣) - James D. G. Dunn and J. W. Rogerson eds. *Eerdmans Commentary on the Bible*, Michigan: W.B. Eerdmans, 2003, p.348

أولاً: الليل والنهار هنا ظرفاً زمان، كناية عن ظرف المكان وهو (الأرض)؛ إذ إنّ الليل والنهار لا يتحركان في خط دائري، وإطلاق الظرف وإرادة المحل والمكان من معهود القرآن الكريم ولغة العرب.

ثانياً: جاء الفعل في صيغة الجمع (يسبحون)؛ بما يؤكد أن مُتعلِّقه جَمْعٌ؛ وهو: الشمس + القمر + ما دلّ عليها الليل والنهار؛ وهو الأرض.

ثالثاً: استعمال لفظ ((خلق)) لا ((جعل)) في الحديث عن (الليل) و(النهار) رغم أنهما عرض لا جوهر؛ بما يؤكد أنّ المعنى المقصود هو الأرض المتحركة التي يصدق عليها لفظ الخلق. وقال تعالى { وترى الأرض تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء } [النمل: ٨٨] فالأرض يحسبها من عليها جامدة لا تتحرك لكنها في الحقيقة تمرّ مرّ السحاب أي تتحرك كالسحاب في الفضاء .

٤ - الجبال

يقرّر الكتاب المقدس أنّ الأرض قائمة على جبال تحملها من تحتها؛ فقد جاء في ١ صموئيل ٨/٢: ((ينهض المسكين من التراب، ويرفع البائس من كومة الرماد، ليجلسه مع النبلاء، ويملكه عرش المجد، لأن للرب أساسات الأرض التي أرسى عليها المسكونة.))، ولما وصف النبي ((يونان)) غرقه قال: ((فَدِ اَكْتَنَفْتَنِي مِيَاةً إِلَى النَّفْسِ. أَحَاطَ بِي عَمْرٌ. اَلْتَفَّتْ عَشْبُ الْبَحْرِ بِرَأْسِي. نَزَلْتُ إِلَى أَسْفَلِ الْجِبَالِ. مَعَالِيْقُ الْأَرْضِ عَلَيَّ إِلَى الْأَبَدِ. ثُمَّ أَصْعَدْتَ مِنْ الْوَهْدَةِ حَيَاتِي أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهِي.)) (يونان ٢/٥-٦) .. لقد وجد ((يونان)) نفسه تحت ((أسفل)) (قصبيم) - جمع ((قاع)) ((أسفل)) (قصب) (١)

- الجبال؛ فالجبال هي مجرّد نتوء على وجه الأرض، وبإمكان المرء أن يرى قاع الجبل من البحر، إذ الأرض قائمة على المياه؛ فقد جاء في مزمو ٦/١٣٦: ((الباسط الأرض فوق المياه، لأن رحمته إلى الأبد تدوم.)) ومزمو ٢٤/١-٢: ((للب الأرض وكل ما فيها. له العالم، وجميع الساكنين فيه؛ لأنه هو أسس الأرض على البحار، وثبتها على الأثمار.))

وقد علّق الناقد ((جوليوس أ. بور)) ((Julius A. Bewer)) ٢ على نصّ يونان ٦/٢ بقوله: ((اعتقد اليهود أنّ الأرض مؤسّسة على محيط مائي أسفلها، المزمو ٢/٢٤، وأنّ نهايات الجبال، أعمدة الأرض، تمتد عمقاً إلى الأسس. انظر مزمو ١٦/١٨)) ٣

الجبال في القرآن الكريم ليست أعمدة للسماء، وإنما هي تمسك الأرض حتى لا تضطرب أو تميد راجع المبحث الرابع لهذا الدليل: { أَلَمْ نُجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا } [النبأ: ٦-٧] ، { وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا أَلْعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [النحل: ١٥] ، { وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا

(١) - عرّفها المعجمي ((ويليم جزيوس)) في هذا السياق بـ((نخاية)) ((أسفل)) (William Gesenius, A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, tr. Edward Robinson, ed. Francis Brown, Oxford: Clarendon Press, 1907, p.891)

(٢) - جوليوس أ. بور: أستاذ الفيلولوجيا الكتابية في ((Union Theological Seminary)) بنويويورك.

(٣) - Julius A. Bewer, A critical and Exegetical Commentary on Haggai, Zechariah, Malachi and Jonah, - A Critical and Exegetical Commentary on Jonah, New York: Charles Scribner, 1912, p.46

فَجَاجَا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} [الانبيا: ٣١] ، {أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تُمُورٌ} [الملك: ١٦]

وهنا: وصف القرآن الكريم الجبال أنّها مثل الوتد، وهو قطعة من الخشب أو الحديد تغرز في الأرض لتشدّ الخيمة، ويكون جزؤها الأكبر مخفيًا تحت الأرض ، بيّن القرآن الكريم وظيفتها وهي حفظ الأرض من أن تמיד ، أظهر القرآن الكريم أنّ باطن الأرض يحمل طبيعة مضطربة غير ساكنة.

يشهد العلم الحديث اليوم على دقّة هذه الأوصاف الثلاثة (١) ، التي لم تعرف إلا منذ بضعة عقود بعد دراسات جادة من العلماء المتخصصين. (٢)

٥- السحب الصلبة

جاء في سفر أيوب ٢٦/٨: ((بَصَرَ الْمِيَاهِ فِي سَحْبِهِ فَلَا يَتَخَرَّقُ الْغَيْمَ تَحْتَهَا.))، جاء في شرح هذا النص في التعليق على الكتاب المقدس ((Eerdmans Commentary on the Bible)): ((اعتبرت السحب هنا كالسقاء (waterskin) الذي يحمل في داخله الماء، وبصورة خارقة لم يتمزّق.)) (٣) فالسحب عند كاتب هذا السفر تحتزن الماء في داخلها كما يحتزن السقاء المصنوع من جلد الحيوانات الماء، ثم تحمله إلى مسافات بعيدة دون أن يسقط منه شيء، بصورة معجزة .. ! ويؤكد الخبر اليهودي العَلَم ((راشي)) هذا المعنى في تعليقه على هذا النص بقوله عن الغيم إنّه لا يتمزّق ((أبدًا حتّى ينزل ماؤه جميعًا مع بعض.)).

في مقابل هذا التصرّو البدائي الساذج لطبيعة السحب، يقرر القرآن الكريم أنّ السحب تُنزل الماء مباشرة بعد تكوّنه فيها، في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ} [النور: ٤٣] ، يكشف استعمال حرف الفاء الذي يدل على التعاقب السريع، أنّه ما إن تراكم السحب وتصبح ذات طبيعة ماطرة حتى ينزل (الودق) أي المطر! (٤)

٦- نشأة اللغات

يفسّر الكتاب المقدس تعدد لغات البشر، تفسيرًا خرافيًا بقوله: ((وَكَانَ أَهْلُ الْأَرْضِ جَمِيعًا يَتَكَلَّمُونَ أَوْلًا بِلِسَانٍ وَاحِدٍ وَلُغَةٍ وَاحِدَةٍ. وَإِذِ ارْتَحَلُوا شَرْقًا وَجَدُوا سَهْلًا فِي أَرْضِ شِنْعَارَ فَاسْتَوْطَنُوا هُنَاكَ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ((هَبِّئَا نَصْنَعُ طُوبًا مَشُوبًا أَحْسَنَ شَيْئًا)). فَاسْتَبَدَّلُوا الْحِجَارَةَ بِالطُّوبِ، وَالطِّينَ بِالزَّفْتِ. ثُمَّ قَالُوا: ((هَبِّئَا

(١) - وظيفة الجبال في حفظ الأرض من أن تמיד قال بها العالم الأميركي ((فرانك برس)) (Frank Press) الرئيس السابق للأكاديمية الأميركية للعلوم، في كتابه ((أرض)) ((Earth)) الذي هو من الكتب المقررة في عدد من جامعات العالم في دراسة الجيولوجيا (انظر؛ Frank Press, and Raymond Siever, Earth, 3rd ed. San Francisco: W. H. Freeman & Company, 1982)، ولم يشع بعد القول بهذا الأمر بين المتخصصين في الجيولوجيا.

(٢) - انظر؛ Z. R. El-Naggar, the Geological Concept of Mountains in the Qur'an, Cairo: Al-Falah Foundation, 1424/2003 ، زغلول النجار، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الأرض، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ص ٢٠١-

٢١٥

(٣) - James D. G. Dunn and J. W. Rogerson eds. Eerdmans Commentary on the Bible, Michigan: W.B. Eerdmans, 2003, p.348

٤ قال الشيخ المفسّر ((ابن عاشور)): ((وأكثر المفسرين على أن الودق هو المطر، وهو الذي اقتضرت عليه دواوين اللغة.)) (التحجير والتنوير، ٢٦١/٩)

نُشِيدُ لِأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا يَبْلُغُ رَأْسُهُ السَّمَاءَ، فَخُحِّلِدْ لَنَا اسْمًا لِيَلَّا نَتَشَتَّتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كُلِّهَا)). وَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَشْهَدَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ شَرَعَ بَنُو الْبَشَرِ فِي بِنَائِهِمَا. فَقَالَ الرَّبُّ: ((إِنْ كَانُوا، كَشَعْبٍ وَاحِدٍ يَنْطُقُونَ بِلُغَةٍ وَاحِدَةٍ، قَدْ عَمِلُوا هَذَا مُنْذُ أَوَّلِ الْأَمْرِ، فَلَنْ يَمْتَنِعَ إِذَا عَلَيْنَهُمْ أَيُّ شَيْءٍ عَزَمُوا عَلَى فِعْلِهِ. هَيَّا نَنْزِلْ إِلَيْهِمْ وَنُبَلِّلْ لِسَانَهُمْ، حَتَّى لَا يَفْهَمَ بَعْضُهُمْ كَلَامَ بَعْضٍ)). وَهَكَذَا شَتَّتَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ كُلِّهَا، فَكَفُّوا عَنِ بِنَاءِ الْمَدِينَةِ، لِذَلِكَ سَمِّيَتِ الْمَدِينَةُ ((بَابِل)) لِأَنَّ الرَّبَّ بَلَّلَ لِسَانَ أَهْلِ كُلِّ الْأَرْضِ، وَبِالْتَّالِيِ شَتَّتَهُمْ مِنْ هُنَاكَ فِي أَرْجَاءِ الْأَرْضِ كُلِّهَا)). (تكوين ١١/١-٩)

وهنا: تصوّر شنيع لصفات الخالق سبحانه: تظهر هذه القصة الخرافية الإله المعبود في مقام من يخشى أن يبلغ خلقه مرتبته في القوة والسلطان إن اجتمعوا واتحدوا وقويت بيضتهم .. وهذا تصوّر منكر للألوهية قريب مما كان يرد في الأساطير اليونانية والشرقية حيث الحسد والصراع بين الآلهة فيما بينها، أو بين الآلهة والبشر! الفهم الخاطيء لمعنى اسم مدينة ((بابل)): كلمة ((بابل)) ليست من ((بال)) العبرية

التي هي اختزال لكلمة ((بلبل)) العبرية (١) ، بمعنى ((بلبل)) و((مزج))، وإثما هي تعني ((باب إل)) أي ((باب الرب))؛ وكما يقول ((جرهارد فون راد)) ((Gerhard Von Rad)): ((هذا التفسير لكلمة ((بابل)) هو بدهة لا معنى له إتيولوجيًا، إنه اختلاق شعبي؛ إذ إنَّ بابل تعني ((باب الله)) (٢)، وقد كان الاسم في الأكادية ((باب إلو)) بنفس المعنى السابق، قبل أن يسيء مؤلف سفر التكوين فهمه، أو يزيّف معناه! (٣)

يقول د. ((حسن ظاظا)) (٤): ((وقد اتفق كل الباحثين المحدثين، في أوروبا المسيحية، وفي الأوساط اليهودية المستنيرة، على اعتبار هذه القصة أسطورة شعبية لا تحكي واقعا تاريخيا بقدر ما تلمس تعليلا فنيا لا اختلاف الألسنة واللغات. فالسير جيمس جورج فريزر يفرد لها فصلا كاملا في كتابه الكبير ((الفلكلور في العهد القديم))، فيتبع بالنقد والتحليل تطور هذه الأسطورة منذ الوثنيات القديمة، ويقول: إن العلاقة اللغوية بين أمم بابل وبين بلبله الألسن ليست إلا من الخيال الشعبي، إذ إن الثابت علميا أن كلمة بابل أصلها في اللغة البابلية نفسها ((باب- إلو))، ومعناها باب الله، أو باب الآلهة؛ لأنَّ بابل كانت مدينة مقدسة، وكان سكان العراق القديم يحجون إلى معبدها الكبير؛ ولأن المعبد البابلي كان يتميز دائما ببرج ضخم مرتفع مبني في صحنه يسمى ((زقورة)) أو ((زجورة))، ظن القدامى من الآراميين واليهود أن هذا البرج شيده الكفار تحديا لله أو - كما ينقل عنهم فريزر- إنهم اعتقدوا أن بإمكانهم، من هذا البرج، أن يصوبوا سهام والحرب التي تنطلق نحو السماء فتدمر مملكة الله العليا. وقد حكوا في ذلك خرافات نقلها فريزر عن لويس جنزبرج في كتابه ((أساطير اليهود)): منها أنهم زعموا أن بعض هذه السهام كان إذا أطلق نحو السماء عاد إلى الأرض مخضبا

١ انظر؛ George James Spurrell, *Notes on the Hebrew Text of the Book of Genesis*, Oxford: Clarendon Press, 1887, p.118

٢ Gerhard Von Rad, *Genesis: A Commentary*, Philadelphia: Westminster John Knox Press, 1972, 3rd edition, p. 150

(٣) - انظر؛ William Ricketts Cooper, *An Archaic Dictionary*, London : S. Bagster and Sons, 1876 , p.116

(٤) - حسن ظاظا (1420- 1337هـ ، ١٩١٩- ١٩٩٩م): من أعلام المتخصصين العرب في الدراسات اليهودية. حصل على الماجستير في الأدب العبري والفكر اليهودي من الجامعة العبرية بالقدس في فلسطين، ودكتوراه الدولة من جامعة السربون. له عدد من الكتب والمقالات في اليهودية واللغات ونشأتها.

بالدم. ومنها أن هؤلاء الكفار من سكان بابل كانوا يريدون أن يصل ارتفاع البرج إلى السماء ليضعوا أصنامهم مكان الله. ومنها أن برج بابل عندما تهدم غاص ثلثه في باطن الأرض، واحترق ثلث آخر بالنار، وبقي الثلث الأخير خراباً، ومع ذلك فإن مكانه - كما زعموا - ما يزال محتفظاً بسر المعجزة، فكل من يمر عليه يفقد ذاكرته تماماً وينسى كل شيء يعرفه. ومما لا شك فيه أن كل هذه الأساطير كان يبررها شيء واحد، هو غرابة هذه الصروح المعمارية البابلية الدينية في نظر أولئك البدو من الآراميين والعبريين، فربطوا ذلك بمحاولة تفسير تنوع اللغات الذي كان يبدو لهم غير متفق مع كون الجنس البشري كله يرجع إلى أب واحد وأم واحدة هما آدم وحواء. فإذا ما انتقلنا إلى العالم الإسلامي وجدنا المسألة تأخذ أبعاداً فكرية أكثر اتساعاً.)) (١)

أما القرآن الكريم، فلا يتابع الكتاب المقدس في شيء مما سبق، وإنما يسوق أمر تعدد لغات الناس سوق المنّ على البشر وإظهار فضل الله عليهم؛ بما ينفي بصورة تامة التفسير التوراتي الساذج؛ قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ} [الروم: ٢٢].. فتعدّد اللغات آية من آيات عظمة الخالق سبحانه .. وكفى .. وليس مظهرًا من مظاهر صراع الربّ مع البشر (!) وخوفه من اجتماعهم ضده!!

٧- مراحل خلق الجنين:

جاء في سفر الحكمة ٢/٧: ((وفي مدة عشرة أشهر تكونت في الدم من زرع رجل ومن اللذة التي تصاحب النوم.))، هذا النص ما قرره الطب اليوناني الأرسطي من أنّ الجنين ينشأ من دم الحيض، وهي النظرية التي هيمنت على الفكر اليهودي والنصراني منذ زمن مبكر وحتى قرون قريبة، وجاء في سفر أيوب ١٠/٩-١١: ((اذكر أنك جبلتني من طين، أترجعني بعد إلى التراب؟ ألم تصبني كاللبن وتختبرني كالخبز؟ كسوتني جلدًا ولحمًا، فنسجتني بعظام وعصب.))

هذا هو النصّ المفضّل عند آباء الكنيسة لشرح تكوّن الجنين (٣)، وقد لخص الناقد ((نورمن هابل)) (٤) معناه بقوله: ((شكّل الجنين من الطين، صبّ المني كالحليب، وجمّد كالخبز، كسي بالجلد واللحم، وأخيراً نُسج بالعظام والأعصاب.)) (٥)، في هذا النص مجموعة أخطاء علمية:

أولاً: يُفهم من هذا النص أنّ الجنين يتكوّن فقط من مني الرجل الذي يُصب في الرحم، وليس لنطفة المرأة دور هاهنا.

ثانياً: يُفهم من هذا النص أنّ الجنين يتكوّن من كامل المني الذي يقذفه الرجل.

(١) - حسن ظاظا، اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة، دمشق: دار القلم، ط٢، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ص ٤٧-٤٨

(٢) - سفر الحكمة: يؤمن بقداسته النصارى الكاثوليك والانسارى الأثودكس

(٣) - انظر هامش: Ante Nicene Fathers, Buffalo: The Christian Literature Publishing Company, 1887, 3/538

(٤) - نورمن هابل (ولد سنة ١٩٦٤م): أستاذ في جامعة جنوب أستراليا، محرر كتاب (The Earth Bible).

(٥) - Norman Habel, The Book of Job: a commentary, Philadelphia: Westminster John Knox Press, 1985, p.119

ثالثًا: يُفهم من المعنى الحرفي لهذا الحديث أنّ أول مرحلة من مراحل تكوّن الجنين، هي تحوّل المني السائل إلى كتلة جامدة.

وقد علّق الكثير من النقاد على هذا النص بقولهم إنّ المقصود هو أنّ مني الرجل عندما يلتقي بدم الحيض عند المرأة يحوله إلى كيان صلب متخثّر، ويشهد على ذلك النص السابق من سفر الحكمة ٢/٧، وهو المعنى الطبي الذي كان سائدًا في البيئة التي كتب فيها هذا السفر؛ ولذلك جاء تعليق ترجمة أورشليم للكتاب المقدس على هذا النص -وقد تبنته ترجمة الرهبانية اليسوعية العربية-: ((كان العلم الطبي القديم يتصوّر تكوّن الجنين كتجمّد دم الأم بتأثير عنصر الزرع)) (١)(٢).

وقد أكّد ((ترتليان)) ٣ هذا المعنى بقوله في كتابه ((حول جسد المسيح)) (٤) أنّ الزرع الذي يتكوّن منه الجنين ليس إلاّ دمًا ولونًا، ويتخثّر هذا الدم بفعل مني الرجل.

رابعًا: يُفهم من هذا النص أنّ المني المتجمّد أو الدم المتجمّد يتحول إلى الهيئة الأولى للجنين.

خامسًا: يُفهم من هذا النص أنّ تلك الكتلة تكسى أولًا بالجلد واللحم.

سادسًا: يفهم من هذا النص أنّه بعد تكوّن الجلد واللحم (يُسج) الرضيع بالعظام والأعصاب.

هذا النص في الحقيقة ليس إلاّ تكرارًا لما قاله ((أرسطو)) في كتابه ((حول ولادة الحيوانات))

في المقابل: قال تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [الإنسان: ٢]، قال تعالى: {ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} [السجدة: ٨]، قال تعالى: {أَلَمْ يَكْ نُطْفَةً مِّنْ مَّيِّ يُمِّي} [القيامة: ٣٧]، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ما من كل الماء يكون الولد)) (٥)، قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: ١٢-١٤] النصوص السابقة، تخالف منصوص الكتاب المقدس النصراني ومفهومه، وتوافق آخر ما توصل إليه العلم وثبت بالعين الباصرة:

أولًا: يفهم من هذه النصوص أنّ الجنين يتكوّن من اختلاط مني الرجل بنطفة المرأة، وليس لدم المرأة دور في الولادة، والقرآن والسنة قاطعان هنا في مخالفة التصوّر الأرسطي/التوراتي، وقد قال الإمام ((ابن حجر)): ((وزعم كثير من أهل التشريح أنّ مني الرجل لا أثر له في الولد إلاّ في عقده، وأنّه إنّما يتكوّن من دم الحيض، وأحاديث الباب (أي الموضوع) تُبطل ذلك)). (٦)

١ ترجمة الرهبانية اليسوعية، ص ١٠٦٥

٢ La Bible de Jerusalem, Éditions du Cerf, 1973, p.664

(٣) - ترتليان: (١٦٠م-٢٢٠م) من أوائل اللاهوتيين النصارى. عرف باهتمامه بالدفاع عن النصرانية والرّد على من اعتبرهم ((هرطقة)). يعتبر أحد المراجع اللاهوتية الكبرى للكنائس التقليدية. يلقيه الكثير من أعلام النصارى الأثوذكس المصريين بـ((العلامة)).

(٤) De Carne Christi. 19. 3 -

(٥) - رواه مسلم، كتاب النكاح، باب حكم العزل، ح/١٤٣٨

(٦) - ابن حجر، فتح الباري، ١١/٤٨٠

ثانيًا: يفهم من هذه النصوص أنّ الجنين يتكون من جزء ضئيل من مني الرجل الذي يشارك نطفة المرأة عمليّة التكوين؛ فهو جزء صغير مستخلص (سلالة) من ماء الرجل.

ثالثًا: يفهم من هذه النصوص أنّ أول مرحلة من مراحل تكوّن الجنين هي اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة، ثم انتقالهما إلى مرحلة (العلقه) التي تعني: (١) قطعة الدم المتجمّدة، وهي أيضًا (٢) (علقه) لأنّها تعلق في الرحم، كما أنّها (٣) من ناحية الشكل تشبه دودة العلق.

رابعًا: يفهم من هذه النصوص أنّ العلقه تتحوّل إلى مضغة حيث تتحوّل (العلقه) إلى ما يشبه قطعة لحم مضموغ عليها طبقات الأسنان.

خامسًا: يفهم من هذه النصوص أنّ العظام تتكوّن قبل اللحم.

سادسًا: يفهم من هذه النصوص من خلال استعمال حرف (الفاء) الذي يفيد التعاقب السريع أنّ المراحل السابقة تتم في أوقات متقاربة. وأنّ مرحلة الانتقال إلى الخلق القريب من مرحلة الوضع تستغرق وقتًا أطول، بدلالة حرف (ثم) الذي يفيد الترتيب مع التراخي.

وقد شهد لإعجاز الآيات السابقة العديد من علماء الأجنة من غير المسلمين، ومن أهمهم ((كيث مور)) (Keith Moore) الذي يعد اليوم من أئمة علم الأجنة في الغرب، وهو ليس بمسلم، ويقدم شهادته من منطلق الإقرار العلمي بالبحث، وصرّح بحقيقة الإعجاز القرآني في كتابه الأكاديمي الذي اعتمد كمقرر في جامعات غربيّة تدرّس الطب: ((الإنسان المتطوّر)) (The Developing Human) ((١٩٨٨م)) حيث قال بعد أن ذكر نظريات تطور الجنين عند الهندوس واليونان وفي التلمود: ((لقد كان تطور العلوم التطبيقية بطيئًا في القرون الوسطى، ونحن نعلم القليل عن بعض النقاط الهامة المسجلة حول دراسات علم الأجنة في تلك الفترة. ولقد ذُكر في القرآن (في القرن السابع الميلادي)، كتاب المسلمين المقدس، أنّ الإنسان يخلق من أمشاج إفرازي الذكر والأنثى. وردت عدة إحالات إلى خلق الإنسان من "نطفة". كما قررت أن الخلايا الناتجة تستقر في الرحم كالبذرة لستة أيام بعد بداية تشكلها. تمّت الإشارة أيضًا إلى أنّ شكل الجنين في الطور المبكر يشبه العلقه. وبعد ذلك ذكر بأن الجنين يُشبه الشيء المضموغ.)) (١).

وكان قد كتب في مقدمة هذا الكتاب (طبعة ١٩٨٢م): ((أذهلتني دقة التقارير المسجلة في القرن السابع بعد الميلاد، وذلك قبل تأسيس علم الأجنة. ومع أي كنت على وعي بتاريخ علماء المسلمين العظيم في القرن العاشر، وبعض ما قدموه لعلم الطب، لم أكن على علم البتة بالحقائق الدينية والمعتقدات الواردة في القرآن والسنة. ومن المهم أن يتعلم الطلبة المسلمون وغيرهم معاني العبارات القرآنية حول تطور نشوء الإنسان، بناءً على المعرفة العلمية المعاصرة.)) (٢)

(١) Keith Moore, The Developing Human: clinically oriented embryology, Philadelphia: Saunders, - 1988, p.8

(٢) - المصدر السابق، طبعة ١٩٨١م، ص ١٠ (نقله؛ Muzaffar Iqbal, Science and Islam, CT: Greenwood Publishing Group, 2007, p.163)

وصرح في المؤتمر الطبي الذي عقد في ((الدمام)) سنة ١٩٨١م: ((إنه لشرف عظيم لي أن أساعد في شرح بعض تقارير القرآن حول تطوّر الخلق البشري. ومن الواضح لدي بأن التقارير القرآنية قد بلغت - قطعاً- محمداً من الله؛ وذلك لأن كل تلك العلوم -تقريباً- لم يتم اكتشافها إلا بعد قرون عديدة بعد ذلك. وهذا يثبت لي أنّ محمداً هو قطعاً رسول من الله)). وأثناء فترة الأسئلة سئل ((مور)): ((هل يعني ذلك أنك تؤمن بأن القرآن كلام الله؟))؛ فأجاب: ((لا أجد إشكالاً في قبول ذلك)).(١).

٨- في الخمر شفاء:

قال ((بولس)) في رسالته الأولى إلى ((تيموثاوس)) ٢٣/٥: ((لا تشرب الماء فقط بعد الآن. وإنما خذ قليلاً من الخمر مداوياً معدتك وأمراضك التي تعاودك كثيراً))، هذا قول لا سند له من علم، فإنّ للخمر أضراراً كثيرة جداً متلفة للبنيان الجسدي للإنسان، فضلاً عما تحدّثه في أخلاقه وسلوكه من فساد، سواء أكان الشرب بكميات كبيرة أو صغيرة! (٢).

وقد جاء النص القرآني في تبشيع الخمر وتقبّحه فبح الميسر وعبادة الأصنام: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [المائدة: ٩٠]، وجاء الحديث النبوي الشريف حاسماً في قوله: ((إنه ليس بدواء ولكنّه داء)).(٣)، وأنّ ((ما أسكر كثيره؛ فقليله حرام)).(٤).

٩- النوم بسبب التهيج النفسي:

جاء في إنجيل لوقا ٤٥/٢٢ في الحديث عن الفترة السابقة مباشرة للقبض على المسيح، وقد كان فيها المسيح وتلاميذه في حالة خوف؛ لأنهم يربون محنة قادمة: ((ثم قام من الصلاة وجاء إلى التلاميذ، فوجدهم نائمين من الحزن)). .. تعليل إنجيل لوقا للنوم السريع (٥) ب((من الحزن)) (أبو تيس لوبيس)، خطأ علمي جلي؛ إذ إنّ الإنسان عند الخوف تفرز عنده غدة الكظر -التي تقع فوق الكلية- هرمون الأدرينالين، مما يحدث عنده حالة تنبّه، لا استرخاء ونوم.(٦)

في مقابل ذلك، نجد أنّ القرآن الكريم قد عدّ النوم عند الخوف معجزة؛ لأنّ الأصل عند الخوف هو التنبّه والرعب لا النوم والأمن؛ فجاءت المعجزة بذلك في غزوة بدر خارقة للمألوف، مصادمة للأصل الطبيعي؛ قال تعالى: { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ } [الأنفال: ٩-

(١) - Muzaffar Iqbal, *Science and Islam*, p.164

(٢) - انظر الدراسة العلمية الشرعية؛ محمد علي البار، الخمر بين الطب والفقه، جده: الدار السعودية.

(٣) - رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب تحريم التداوي بالخمر، ح/ (١٩٨٤)

(٤) - رواه الأربعة، وصححه ابن حبان.

(٥) - ناموا في أقل من ساعة من وصولهم البستان (مرقس ٣٧/١٤)!!

(٦) - Gerard J. Tortora and Sandra Reynolds Grabowski, *Principles of Anatomy and Physiology*, HarperCollins - College Publishers, 7th ed, pp.511, 512, 557

[١١] قال الشيخ ((الظاهر بن عاشور)): ((فإسناد الإغشاء أو التغطية إلى الله لأنه الذي قدر أن يناموا في وقت لا ينام في مثله الخائف، ولا يكون عامًا سائر الجيش، فهو نوم منحهم الله إياه لفائدتهم.)) (١)

المبحث الثالث: دلالة القرآن الذاتية أنه من عند الله (٢)

الجولة السابقة كانت في تصحيح القرآن لبعض آي الكتاب المقدس فالقرآن مهيم على الكتب السابقة ومصداق لها ومصحح بنفس الوقت وحديثنا هنا كيف يدل القرآن أنه خارج عن نفس محمد وأنه قانونه ومنهاجه الذي يسير عليه، وينزل عليه في أوقات مختلفة بحسب الوقائع لا كما يشتهي هو .

وصف هذا الكتاب نفسه فقال: {وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين} [يونس: ٣٧] أي لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله لأنه بفصاحته وبلاغته و جازته وتأثيره وحلاوته واشتماله على المعاني الغزيرة النافعة في الدنيا والآخرة، لا يكون إلا من عند الله، الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وأقواله، فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين ، ومن المعلوم أن كل شاعر متميز في بيتين أو قصيدة وليس في كل قصائده، أما القرآن فرغم أنه شامل على عدة مواضيع إلا إنه متميز ونادر في أسلوبه الفصيح من أوله لأخره وأن فصاحة العرب في شتى الأغراض والموضوعات لم تخل من الكذب حتى قيل: أحسن الشعر أكذبه، أما القرآن الكريم فحاء في غاية الفصاحة مع الصدق في جميعه، والتنزه عن الكذب، وهو مشتمل على جميع فنون البلاغة من ضروب التأكيد وأنواع التشبيه والتمثيل وأصناف الاستعارة، وحسن المطالع والمقاطع، وحسن الفواصل والتقديم والتأخير، والفصل والوصل اللائق بالمقام، وخلوه عن اللفظ الركيك والشاذ الخارج عن القياس النافر عن استعمال العرب ، وغير ذلك من أنواع البلاغة، فنظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة، ولم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب، فإنه ليس من جنس الشعر ولا الرجز ولا الخطابة ولا الرسائل، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس عربهم وعجمهم ، ونفس ما أخبر به القرآن في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته، أمر عجيب خارق للعادة، لم يوجد مثل ذلك في كلام بشر، لا نبي ولا غير نبي. وكذلك ما أخبر به عن الملائكة والعرش والكرسي والجن وخلق آدم، وغير ذلك، ونفس ما أمر به القرآن من الدين، والشرائع كذلك، ونفس ما أخبر به من الأمثال، وبينه من الدلائل هو - أيضا - كذلك ، ومن تدبر ما صنفه جميع العقلاء في العلوم الإلهية والخلقية والسياسية وجد بينه وبين ما جاء في الكتب الإلهية - التوراة والإنجيل والزيور وصحف الأنبياء - وجد بين ذلك وبين القرآن من التفاوت أعظم مما بين لفظه ونظمه، وبين سائر ألفاظ العرب ونظمهم ، فالإعجاز في معناه

(١) - الظاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٧٨/٥ ، وكما نوهنا أول معظم هذا البحث مأخوذ عن كتاب الدكتور سامي العامري المذكور .

(٢) - أفكار البحث الأساسية عن كتاب د. محمد دراز "النبي العظيم من ص : (٥٠-٨٥) ، وكتاب د. عبدالمحسن المطيري "دعوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها دار البشائر بيروت ط١/٢٠٠٦ من ص : (١٨٥-٢١٤) بتعديل وإضافات .

أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه، وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه. (١) تكتمل الفكرة في ١٣ بند :

١ - القرآن صريح في أنه "لا صنعة فيه لمحمد ، ولا لأحد من الخلق، وإنما هو منزل من عند الله بلفظه ومعناه"، والعجب أن يبقى بعض الناس في حاجة إلى الاستدلال على الشطر الأول من هذه المسألة، وهو أنه ليس من عند محمد ، (تبرؤ محمد) من نسبة القرآن إليه ليس ادعاء يحتاج بينة، بل هو إقرار يؤخذ به صاحبه ، في الحقيقة إن هذه القضية لو وجدت قاضيا يقضي بالعدل، لاكتفى بسماع هذه الشهادة التي جاءت بلسان صاحبها على نفسه، ولم يطلب وراءها شهادة شاهد آخر من العقل أو النقل، ذلك أنها ليست من جنس (الدعوى) فتحتاج إلى بينة، وإنما هي من نوع (الإقرار) الذي يؤخذ به صاحبه، ولا يتوقف صديق ولا عدو في قبوله منه، فأبي مصلحة للعاقل الذي يدعي لنفسه حق الزعامة، ويتحدى الناس بالأعاجيب والمعجزات لتأييد تلك الزعامة، نقول أي مصلحة له في أن ينسب بضاعته لغيره، وينسلخ منها انسلاخا؟ على حين أنه كان يستطيع أن ينتحلها فيزداد بها رفعة وفخامة شأن، ولو انتحلها لما وجد من البشر أحدا يعارضه ويزعمها لنفسه، فالذي نعرفه أن كثيرا من الأدباء يسطون على آثار غيرهم، فيسرقونها أو يسرقون منها ما خف حمله وغلت قيمته وأمنت تهمته، حتى إن منهم من ينبش قبور الموتى، ويلبس من أكفانهم ويخرج على قومه في زينة من تلك الأبواب المستعارة؛ أما أن أحدا ينسب لغيره أنفس آثار عقله، وأعلى ما تجود به قريحته فهذا ما لم يلد الدهر بعد. (٢)

٢ - لا أدل على أن الوحي القرآني خارج عن الذات المحمدية من مخالفة القرآن في عدة مواطن لرأيه الشخصي ولطبعه الخاص (٣) ومعاتبته على أخطائه مثل قوله تعالى: { ما كان لني أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم في ما أخذتم عذاب عظيم } [الأنفال:٦٧]، وقصتها معروفة ، وتنقل الآثار الصحيحة بكاء النبي عند نزولها لمعاقبة الله له ، فإنها لم تنزل إلا بعد إطلاق أسارى بدر وقبول الفداء منهم، وقد بدئت بالتخطئة والاستنكار لهذه الفعلة، ثم لم تلبث أن ختمت بإقرارها وتطيب النفوس بها، بل صارت هذه السابقة التي وقع التأييب عليها هي القاعدة لما جاء بعدها فهل الحال النفسية التي يصدر عنها أول الكلام لو كان عن النفس مصدره يمكن أن يصدر عنها آخره ، ولما تمض بينهما فترة تفصل بين زجرة الغضب والندم وبين ابتسامه الرضا والاستحسان؟ كلا، وإن هذين الخاطرين لو فرض صدورهما عن النفس متعاقبين ، لكان الثاني منهما إضرابا عن الأول ماحيا له، ولرجع آخر الفكر وفقا لما جرى به العمل. فأبي داع دعا إلى تصوير ذلك الخاطر المححو وتسجيله، على ما فيه من تفرغ علي بغير حق، وتنغيص هذه الطعمة "المكسب" التي يراد جعلها حالالا طيبيا؟ إن الذي يفهمه

(١) - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٤٣٣/٥) دار العاصمة السعودية ط ١٩٩٩/٢

(٢) - د. عبدالله دراز ، النبأ العظيم ص: ١٦

(٣) - القرآن والمستشرقون، لقرن: ص: ٣٥، والمستشرقون وشبهاتهم حول القرآن، محمد باقر الحكيم (ص: ٥٠)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت

علماء النفس من قراءة هذا النص أن هاهنا ألبتة شخصيتين منفصلتين ، وأن هذا صوت سيد يقول لعبده: لقد أسأت ولكني عفوت عنك وأذنت لك(١)

ومثل هذا قوله تعالى: (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) [التوبة:٤٣] ، وقوله سبحانه: {وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ... } [الأحزاب:٣٧] ، قالت عائشة : ومن زعم أن رسول الله كتم شيئاً من كتاب الله ، فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته (ولو كان محمد كاتماً شيئاً مما أنزل عليه لكتّم هذه الآية (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه(٢) ، وعن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي (يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال أنس: لو كان رسول الله كاتماً شيئاً لكتّم هذه. قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي (تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات) (٣) .

إن مخالفة القرآن لطبع الرسول، وعتابه الشديد له في المسائل المباحة، وأخرى كان يجيئه القول فيها على غير ما يحبه ويهواه؛ فيخطئه في الرأي يراه، ويأذن له في الشيء لا يميل إليه ، فإذا تلبث فيه يسيراً تلقاه القرآن بالتعنيف الشديد، والعتاب القاسي، والنقد المر، حتى في أقل الأشياء خطراً: {يا أيها النبي لما تحرم ما أحل الله لك تبغني مرضاة أزواجك} [التحريم: ١] ، {وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه} [الأحزاب: ٣٧] ، {عفى الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين} [التوبة: ٤٣] ، {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم} [التوبة: ١١٣] ، {ما كان لنبي أن يسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم} [الأنفال: ٦-٦٨] ، {عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى، وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى، كلا} [عبس: ٥-١٠] ، رأيت لو أن هذه التقريرات المؤلمة صادرة عن وجدانه، معبرة عن ندمه ووخز ضميره حين بدا له خلاف ما فرط من رأيه؛ أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل والتشنيع؟ ألم يكن له في السكوت عنها ستر على نفسه، واستبقاء لحرمة آرائه؟ بل إن هذا القرآن لو كان يفيض عن وجدانه ، لكان يستطيع عند الحاجة أن يكتّم شيئاً من ذلك الوجدان، ولو كان كاتماً شيئاً لكتّم أمثال هذه الآيات، ولكنه الوحي لا يستطيع كتمانها {وما هو على الغيب بضنين} [سورة التكوير الآية: ٢٤] (٤) .

(١) - النبا العظيم، ص: ٢٧ ، يعني أنه يجوز لولي الأمر بعد هذه الحادثة في الأسرى أن يفدي بجم أو يمن بالغان أو يقتلهم ، والحديث أخرجه مسلم (كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة فداء الأسرى، رقم ١٧٦٣) .

(٢) - متفق عليه (بخاري: كتاب تفسير القرآن، باب: تفسير سورة النجم، رقم: ٤٥٧٤، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى، رقم: ١٧٧) واللفظ لمسلم.

(٣) - أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم، رقم: ٦٩٨٤) .

(٤) - د. دراز ، النبا العظيم، ص: ٢٤ .

وقد أقر بهذا الدليل بعض المستشرقين، مثل المستشرق (ليتتر) حيث قال: (مرة أوحى الله إلى النبي وحيًا شديدًا المؤاخذاً؛ لأنه أدار وجهه عن رجل فقير أعمى ، ليخاطب رجلاً غنياً من ذوي النفوذ، وقد نشر ذلك الوحي، فلو كان محمد كاذباً - كما يقول أغبياء النصارى بحقه لما كان لذلك الوحي من وجود) (١) .

٣ - موقف الرسول من النص القرآني موقف المفسر الذي يتلمس الدلالات، ويأخذ بأرفق احتمالاتها: لو نظرت في هذه الذنوب التي وقع العتاب عليها ، لوجدتها تنحصر في شيء واحد، وهو أنه كان إذا ترجح بين أمرين ولم يجد فيهما إثماً ، اختار أقربهما إلى رحمة أهله وهداية قومه وتأليف خصمه، وأبعدهما عن الغلظة والجفاء، وعن إثارة الشبه في دين الله لم يكن بين يديه نص فخالفه كفاحاً، أو جاوزه خطأً ونسياناً، بل كل ذنبه أنه مجتهد بذل وسعه في النظر، ورأى نفسه مخيراً فتخبر به مجتهداً أخطأ باختيار خلاف الأفضل، أليس معذوراً ومأجوراً؟ على أن الذي اختاره كان هو خير ما يختاره ذو حكمه بشرية وإنما نبهه القرآن إلى ما هو أرجح في ميزان الحكمة الإلهية، هل ترى في ذلك ذنباً يستوجب عند العقل هذا التأنيب والتثريب؟ أم هو مقام الربوبية ومقام العبودية، وسنة العروج بالحبيب في معارج التعليم والتأديب؟ توفي عبد الله بن أبي كبير المنافقين، فكفنه النبي في ثوبه وأراد أن يستغفر له ويصلي عليه، فقال عمر: أتصلي عليه وقد نكأك ريك؟ فقال: إنما خيرني ربي فقال {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة} [التوبة: ٨٠] وسأزيده على السبعين، وصلى عليه، فأنزل الله تعالى: {ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره} [التوبة: ٨٤] فترك الصلاة عليهم)؛ اقرأ هذه القصة الثابتة برواية الصحيحين ، وانظر ماذا ترى؟ إنها لتمثل لك نفس هذا العبد الخاضع ، وقد اتخذ من القرآن دستورا يستملي أحكامه من نصوصه الحرفية، وتمثل لك قلب هذا البشر الرحيم وقد آنس من ظاهر النص الأول تخييراً له بين طريقتين ، فسرعان ما سلك أقربهما إلى الكرم والرحمة ، ولم يلجأ إلى الطريق الآخر إلا بعد ما جاءه النص الصريح بالمنع. وهكذا كلما درست مواقف الرسول من القرآن في هذه المواطن أو غيرها ، تجلّى لك فيه معنى العبودية الخاضعة ، ومعنى البشرية الرحيمة الرقيقة؛ وتجلّى لك في مقابل ذلك من جانب القرآن معنى القوة التي لا تتحكم فيها البواعث والأغراض ، بل تصدع بالبيان فرقاناً بين الحق والباطل، وميزاناً للخبيث والطيب، أحب الناس أم كرهوا، رضوا أم سخطوا، آمنوا أم كفروا، إذ لا تزيدنا طاعة الطائعين ولا تنقصها معصية العاصين، فترى بين المقامين ما بينهما، وشتان ما بين سيد ومسود، وعابد ومعبود . (٢)

٤ - نسبة محمد القرآن إلى الله لا تكون احتيالا منه لبسط نفوذه، وإلا لم ينسب أقواله كلها إلى الله (٣)، ولو أننا افتراضناه افتراضاً لما عرفنا له تعليلاً معقولاً ولا شبه معقول ، اللهم إلا شيئاً واحداً قد يحيك في صدر الجاهل، وهو أن يكون هذا الزعيم قد رأى أن في (نسبته القرآن إلى الوحي الإلهي) ما يعينه على

(١) - دين الإسلام، للايتنر، ترجمة عبد الوهاب سليم (ص: ١٣٢) ، المكتبة السلفية، دمشق، ١٤٢٣هـ.، وذكر أن لايتنر هو باحث انجليزي حصل على أكثر من شهادة دكتوراة في الشريعة والفلسفة واللاهوت،

(٢) - النبأ العظيم، ص: ٢٨-٣٠ . والحديث متفق عليه ، البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، رقم: ٤٣٩٣، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر، رقم: ٢٤٠٠

(٣) - شبهات حول القرآن وتفنيدها، د. غازي عناية، (ص: ٢١)

استصلاح الناس باستيجاب طاعته عليهم ، ونفاذ أمره فيهم؛ لأن تلك النسبة تجعل لقوله من الحرمه والتعظيم ما لا يكون له لو نسبه إلى نفسه. وهذا قياس فاسد في ذاته، فاسد في أساسه.

أما أنه فاسد في ذاته ، فلأن صاحب هذا القرآن قد صدر عنه الكلام المنسوب إلى نفسه والكلام المنسوب إلى الله تعالى فلم تكن نسبته ما نسبه إلى نفسه بناقصة من لزوم طاعته شيئاً، ولا نسبة ما نسبه إلى ربه بزائدة فيها شيئاً، بل استوجب على الناس طاعته فيهما على السواء، فكانت حرمتها في النفوس على سواء، وكانت طاعته من طاعة الله، ومعصيته من معصية الله ، فهلا جعل كل أقواله من كلام الله تعالى لو كان الأمر كما يهجم به ذلك الوهم.

وأما فساد هذا القياس من أساسه؛ فلأنه مبني على افتراض باطل، وهو تجويز أن يكون هذا الزعيم من أولئك الذين لا يابون في الوصول إلى غاية إصلاحية أن يعبروا إليها على قنطرة من الكذب والتمويه ، وذلك أمر يأباه علينا الواقع التاريخي كل الإباء ، فإن من تتبع سيرته الشريفة في حركاته وسكناته، وعباراته وإشاراته، في رضاه وغضبه، في خلوته وجلوته لا يشك في أنه كان أبعد الناس عن المداحاة والمواربة، وأن ذلك كان أخص شمائله وأظهر صفاته قبل النبوة وبعدها كما شهد ويشهد به أصدقاؤه وأعداؤه إلى يومنا هذا {قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون} [يونس : ١٦] (١).

وقد قدمنا أن النبي شهد بصدقه الصديق والعدو، وشهد بصدقه من عاشره ومن رآه لأول وهلة، ومن سمع به وبأخباره. ونزيد على ما سبق شهادة أكبر المعاندين في قريش ، ورأس الكفر ، وفرعون هذه الأمة أبو جهل فعن علي رضي الله عنه أن أبا جهل قال للنبي : إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله تعالى: {فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون} [الأنعام: ٣٣] (٢) .

٥ - في بعض المواقف تكون حاجة النبي للقرآن شديدة، بل لقد كانت تنزل به نوازل من شأنها أن تحفزها إلى القول، وكانت حاجته القصوى تلح عليه أن يتكلم، بحيث لو كان الأمر إليه لوجد له مقالا ومجالا، ولكنه كانت تمضي الليالي والأيام تتبعها الليالي والأيام، ولا يجد في شأنها قرآنا يقرؤه على الناس؛ ومع هذا لم يتقوله ولم ينزل عليه شيء (٣)، مما يدل على صدقه؛ إذ الكاذب لا يتأخر في افتراء الكذب عند الحاجة إليه، وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

أ - عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد ، وصفوا لهما صفته ، وأخبروهم بقوله؛ فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجنا حتى أتينا المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقالوا: إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا. قال: فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فرجل متقول فتروا فيه رأيكم؛ سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر

(١) - البأ العظيم، ص: ١٧-٢٠. و د. عبد المحسن المطيري ، دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم ص ١٩٦ ، دار البشائر بيروت ط١/٢٠٠٦

(٢) - أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الأنعام، رقم: ٣٠٦٤) من طريقين مرفوعا عن علي رضي الله عنه ومرسلا عن ناحية بن كعب، ويتقوى بعضها ببعض لاسيما أن السيوطي في الدر المنثور (٣/٢٦٤) ذكر أن عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه أخرجه عن أبي ميسرة.

(٣) - آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره د. عمر رضوان ١ / ٣٨٨ دار طيبة الرياض ط٢/ ١٩٩٢

الأول ما كان من أمرهم ، فإنهم قد كان لهم حديث عجب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه ، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش ، فقالوا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور. فأخبروهم بما فجعوا رسول الله ، فقالوا: يا محمد أخبرنا فسأله عما أمرهم به ، فقال لهم رسول الله : «أخبركم غدا عما سألتكم عنه» ولم يستثن فانصرفوا عنه ومكث رسول الله خمس عشرة ليلة ، لا يحدث الله له في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة ، وقالوا: وعدنا محمد غدا ، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله (مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبرائيل - عليه السلام - من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية ، والرجل الطواف ، وقول الله عز وجل {ويسألونك عن الروح قل الروح} (١).

ب - فترة الوحي في حادث الإفك^(٢) : ألم يرجف المنافقون بحديث الإفك عن زوجه -عائشة رضي الله- عنها وأبطأ الوحي، وطال الأمر والناس يخوضون، حتى بلغت القلوب الحناجر ، وهو لا يستطيع إلا أن يقول بكل تحفظ واحتباس: «إني لا أعلم عنها إلا خيرا» . ثم إنه بعد بذل جهده في التحري والسؤال واستشارة الأصحاب، ومضى شهر بأكمله ، والكل يقولون ما علمنا عليها من سوء، لم يزد على أن قال لها آخر الأمر: «يا عائشة أما إنه بلغني كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيرئك الله، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله»، هذا كلامه بوحي ضميره، وهو كما ترى كلام البشر الذي لا يعلم الغيب، وكلام الصديق المثبت الذي لا يظن ولا يقول ما ليس له به علم، على أنه لم يغادر مكانه بعد أن قال هذه الكلمات حتى نزل صدر سورة النور معلنا براءتها، ومصدرا الحكم المبرم بشرفها وطهارتها، فماذا كان يمنعه - لو أن أمر القرآن إليه - أن يتقول هذه الكلمات الحاسمة من قبل؛ ليحمي بها عرضه ، ويذب بها عن عرينه ، وينسبها إلى الوحي السماوي ، لتقطع أسنة المتحصرين؟ ولكنه ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله {ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين} [الحاقة: ٤٤ - ٤٧]

ت - لقد كان النبي ﷺ يتحرق شوقا إلى تحويل القبلة إلى الكعبة، وظل يقلب وجهه في السماء ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، لعل الوحي ينزل عليه بتحويل القبلة إلى البيت الحرام ، ولكن رب القرآن لم ينزل في هذا التحويل قرآنا ، على الرغم من تلهف رسوله الكريم إليه إلا بعد قرابة عام ونصف العام عن البراء بن عازب قال: كان رسول الله (صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله يجب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله (قد نرى تقلب وجهك في السماء) فتوجه نحو الكعبة ...). ولو كان الوحي من

(١) - قال السيوطي في الدر المنثور (٣٥٧/٥) : أخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن المنذر وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل.

(٢) - متفق عليه عن عائشة (البحاري: كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، رقم: ٢٥١٨، ومسلم: كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول

توبة القاذف، رقم: ٢٧٧٠) ، النبأ العظيم، ص: ٢٠

تأليف النبي، لما تأخر كل هذه المدة لشيء يحبه ويشتهي ويتشوف إليه ويتحرق شوقا له، ولكنه وحي الله ولا ينزل إلا بأمر الله وإذنه (١).

٦ - توقف الرسول ﷺ أحيانا في فهم مغزى النص حتى يأتيه البيان: لقد كان يجيئه الأمر أحيانا بالقول الجمل ، أو الأمر المشكل الذي لا يستبين هو ولا أصحابه تأويله ، حتى ينزل الله عليهم بيانه بعد. قل لي بربك: أي عاقل توحى إليه نفسه كلاما لا يفهم هو معناه، وتأمره أمرا لا يعقل هو حكمته؟ أليس ذلك من الأدلة الواضحة على أنه ناقل لا قائل، وأنه مأمور لا أمر؟ وإليك بعض هذه الأمثلة:

المثال الأول : موقفه في قضية المحاسبة على النيات ، نزل قوله تعالى: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ [البقرة: ٢٨٤] فأزعجت الصحابة إزعاجا شديدا، وداخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها من شيء آخر؛ لأنهم فهموا منها أنهم سيحاسبون على كل شيء حتى حركات القلوب وخطراتها؛ فقالوا: يارسول الله أنزلت علينا هذه الآية ولا نطبقها، فقال لهم النبي (صلى الله عليه وسلم): «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» فجعلوا يتضرعون بهذه الدعوات حتى أنزل الله بيانا بقوله: ﴿لا يكلف الله نفسا إلى وسعها آخر السورة المذكورة (٢)﴾، وهنالك علموا أنهم إنما يحاسبون على ما يطبقون من شأن القلوب ، وهو ما كان من النيات المكسوبة والعزائم المستقرة، لا من الخواطر والأمانى الجارية على النفس بغير اختيار ، وموضع الشاهد منه أن النبي لو كان يعلم تأويلها من أول الأمر لبين لهم خطأهم وهم في أشد الحاجة إليه، ولم يكن ليتزكهم لهذا الهلع الذي كاد يخلع قلوبهم وهو بهم رؤوف رحيم، ولكنه كان مثلهم ينتظر تأويلها، ولأمر ما أحر الله عنهم هذا البيان، ولأمر ما وضع حرف التراخي في قوله تعالى: ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ [القيامة: ١٩] .

المثال الثاني: مسلكه في قضية الحديبية: اقرأ في صحيح البخاري (٣) وغيره قضية الحديبية، ففيها آية بينة: أذن الله للمؤمنين أن يقاتلوا من يعتدي عليهم أينما وجدوه، غير ألا يقاتلوا في الحرم من لم يقاتلهم فيه نفسه، فقال تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ [البقرة: ١٩٠] فلما أجمعوا زيارة البيت الحرام في ذلك العام وهو العام السادس من الهجرة أخذوا أسلحتهم حذرا أن يقاتلهم أحد فيدافعوا عن أنفسهم الدفاع المشروع. ولما أشرفوا على حدود الحرم علموا أن قريشا قد جمعت مجموعها على مقربة منهم ، فلم يثن ذلك من عزمهم؛ لأنهم كانوا على تمام الأهبة، بل زادهم ذلك استبسالا وصمموا على المضي إلى البيت ، فمن صدهم عنه قاتلوه، وكانت قريش قد نكحتها الحروب ، فكانت البواعث كلها متضافرة والفرصة سانحة للالتحام في موقعة فاصلة يتمكن فيها الحق من الباطل فيدمغه. وإثم لسائرون عند الحديبية إذ بركت راحلة النبي (صلى الله عليه وسلم) وأخذ أصحابه يثيرونها إلى جهة الحرم فلا تثور، فقالوا: خلأت القصواء - أي حرنت الناقة - فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل» يعني أن

١ - المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن، للحكيم (ص: ٥٦) ، والحديث متفق عليه (البخاري: كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، رقم: ٣٩٩، ومسلم:

كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، رقم: ٥٢٥)

٢ - أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه لا يكلف إلا الوسع، رقم: ١٢٥)

٣ - البخاري أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، رقم: ٢٥٨٣

الله الذي اعتقل الفيل ومنع أصحابه من دخول مكة محاربين، هو الذي اعتقل هذه الناقة ومنع جيش المسلمين من دخولها الآن عنوة. وهكذا أيقن أن الله تعالى لم يأذن لهم في هذا العام بدخول مكة مقاتلين، لا بادئين ولا مكافئين، وزجر الناقة فثارت إلى ناحية أخرى ، فنزل بأصحابه في أقصى الحديبية، وعدل بهم عن متابعة السير امتثالا لهذه الإشارة الإلهية ، التي لا يعلم حكمتها، وأخذ يسعى لدخول مكة من طريق الصلح مع قريش قائلا: «والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها» ولكن قريشا أبت أن يدخلها في هذا العام لا محاربا ولا مسالما، وأملت عليه شروطا قاسية بأن يرجع من عامه، وأن يرد كل رجل يجيئه من مكة مسالما، وألا ترد هي أحدا يجيئها من المدينة تاركا لدينه، فقبل تلك الشروط التي لم يكن ليمليها مثل قريش في ضعفها على مثل المؤمنين في قوتهم، وأمر أصحابه بالتحلل من عمرتهم وبالعودة من حيث جاءوا.

فلا تسل عما كان لهذا الصلح من الوقع السيء في نفوس المسلمين، حتى إنهم لما جعلوا يخلقون بعضهم لبعض كاد يقتل بعضهم بعضا ذهولا وغما، وكادت تزيغ قلوب فريق من كبار الصحابة فأخذوا يتساءلون فيما بينهم ويراجعون هو نفسه قائلين: لم نعطي الدنية في ديننا؟ وهكذا كاد الجيش يتمرد على إمرة قائده ويفلت حبله من يده. أفلم يكن من الطبيعي إذ ذاك لو كان هذا القائد هو الذي وضع هذه الخطة بنفسه أو اشترك في وضعها أو وقف على أسرارها أن يبين لكبار الصحابة ، حكمة هذه التصرفات التي فوق العقول، حتى يطفىء نار الفتنة قبل أن يتطاير شررها؟

ولكن انظر كيف كان جوابه حين راجعه عمر: (إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري) يقول: إنما أنا عبد مأمور ليس لي من الأمر شيء إلا أن انفذ أمر مولاي واثقا بنصره قريبا أو بعيدا، وهكذا ساروا راجعين وهم لا يدرون تأويل هذا الإشكال حتى نزلت سورة الفتح ، فبينت لهم الحكم الباهرة والبشارات الصادقة فإذا الذي ظنوه ضيما وإجحافا في بادئ الرأي كان هو النصر المبين والفتح الأكبر وأين تدبير البشر من تدبير القدر؛ {وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا، هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوبا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرفة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام أن شاء الله آمنين مخلصين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا} [الفتح: ٢٤-٢٧] (١).

٧ - إخباره في هذا الكتاب بأمور تحصل بعد موته وعلوم لم تكن في عصره، وقد قيل: يمكن أن تخدع كل الناس بعض الوقت، ويمكن أن تخدع بعض الناس كل الوقت، ولكن لا يمكن أن تخدع كل الناس كل الوقت، فلنفرض أن النبي استطاع أن يخدع كل من كان في زمنه، ألا يخشى أن ينكشف بعد ذلك إذا ازداد الناس علما، فهو يخبر بأمور فلكية وأخرى طبية وأمور جغرافية، ويخبر بأحداث سوف تقع بعد موته، ويتكلم

بعلوم لم يعرفها أهل زمانه، كل هذا وهو مطمئن القلب لصدق نفسه، ثم لا يأتي الواقع إلا مطابقا لما قال، ولا يأتي العلم -على تقدمه الكبير- إلا بتأكيد كلامه وتأييد آرائه، أليس في هذا دليل أنه لا يتحدث من قبل نفسه، بل من قبل من يعلم السر والنجوى الذي لا تخفى عليه خافية. قالت بوتر: (كيف استطاع محمد الرجل الأمي، الذي نشأ في بيئة جاهلية أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم، والتي لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها؟ لا بد إذن أن يكون هذا الكلام هو كلام الله عز وجل) (١).

٨ - منهجه في كيفية تلقي النص أول عهده بالوحي (٢) كان حين ينزل عليه القرآن في أول عهده بالوحي يتلقفه متعجلا، فيحرك به لسانه وشفثيه طلبا لحفظه، وخشية ضياعه من صدره، ولم يكن ذلك معروفا من عاداته في تحضير كلامه، لا قبل دعواه النبوة ولا بعدها، ولا كان ذلك من عادة العرب، إنما كانوا يزورون كلامهم في أنفسهم، فلو كان القرآن منجسا من معين نفسه لجرى على سنة كلامه وكلامهم وكان له من الروية والأناة الصامته ما يكفل له حاجته؛ من إنضاج الرأي، وتمحيص الفكرة، ولكنه كان يرى نفسه أمام تعليم يفاجئه وقتيا ويلم به سريعا، بحيث لا تجدي الروية شيئا في اجتلابه لو طلب، ولا في تداركه واستدكاره لو ضاع منه شيء، وكان عليه أن يعيد كل ما يلقي إليه حرفيا، فكان لا بد له في أول عهده بتلك الحال الجديدة التي لم يألفها من نفسه، أن يكون شديد الحرص على المتابعة الحرفية، حتى ضمن الله له حفظه وبيانه بقوله: {لا تحرك به لسانك لتعجل به الآيات [القيامة: ١٦]، وقوله: {ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقل رب زدني علما} [طه: ١١٤]، هذا طرف من سيرته بإزاء القرآن، وهي شواهد ناطقة بصدقه في أن القرآن لم يصدر عنه بل ورد إليه، وأنه لم يفرض عن قلبه بل أفيض عليه) (٣).

٩ - أليس يكفي للحكم ببراءة الإنسان من عمل من الأعمال، أن يقوم من الطبيعة شاهد بعجزه المادي عن إنتاج ذلك العمل؟ فلينظر العاقل: هل كان هذا النبي الأمي أهلا بمقتضى وسائله العلمية، لأن تجيش نفسه بتلك المعاني القرآنية؟ سيقول الجهلاء من الملحددين: نعم. فقد كان له من ذكائه الفطري وبصيرته النافذة ما يؤهله لإدراك الحق والباطل من الآراء، والحسن القبيح من الأخلاق، والخير والشر من الأفعال، حتى لو أن شيئا في السماء تناله الفراسة، أو تلهمه الفطرة، أو توحى به الفكرة، لتناوله محمد بفطرته السليمة وعقله الكامل وتأملاته الصادقة. ونحن قد نؤمن بأكثر مما وصفوا من شمائله، ولكننا نسأل: هل كل ما في القرآن مما يستنبطه العقل والتفكير، ومما يدركه الوجدان والشعور؟ اللهم كلا. طبيعة المعاني القرآنية ليست كلها مما يدرك بالذكاء وصدق الفراسة فمن ذلك:

أ - أنباء الماضي لا سبيل إليها إلا بالتلقي والدراسة: ففي القرآن جانب كبير من المعاني النقلية البحتة، التي لا مجال فيها للذكاء والاستنباط، ولا سبيل إلى علمها لمن غاب عنها إلا بالدراسة والتلقي والتعلم؛ ماذا يقولون فيما قصه علينا القرآن من أنباء ما قد سبق وما فصله من تلك الأنباء على وجهه الصحيح كما وقع؟ يقولون: إن التاريخ يمكن وضعه أيضا بإعمال الفكر ودقة الفراسة؟ أم يخرجون إلى المكابرة العظمى فيقولون إن

(١) - قالوا عن الإسلام (ص ٥٥)

(٢) - المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن، للحكيم (ص: ٥٢).

٣ - النبا العظيم، ص: ٣٤

محمدًا قد عاصر تلك الأمم الخالية، وتنقل فيها فشهد هذه الوقائع مع أهلها شهادة عيان، أو أنه ورث كتب الأولين وعكف على دراستها حتى أصبح من الراسخين في علم دقائقها؟ إنهم لا يسعهم أن يقولوا هذا ولا ذلك، لأنهم معترفون مع العالم كله بأنهم لا يمكن من أولئك ولا من هؤلاء {وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم} [آل عمران: ٤٤] ، {وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون} [يوسف: ١٠٢] ، {وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر} [القصص: ٤٤] ، {وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذ لارتاب المبطلون} [العنكبوت: ٤٨] ، {تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا} [سورة هود: ٤٩] ، {نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين} [يوسف: ٣] . لا نقول إن العلم بأسماء بعض الأنبياء والأمم الماضية ، وبمحمل ما جرى من حوادث التدمير في ديار عاد وثمود وطوفان نوح وأشباه ذلك لم يصل قط إلى الأميين؛ فإن هذه النتف اليسيرة قلما تعزب عن أحد من أهل البدو أو الحضرة؛ لأنها مما توارثته الأجيال وسارت به الأمثال، وإنما الشأن في تلك التفاصيل الدقيقة والكنوز المدفونة في بطون الكتب ، فذلك هو العلم النفيس الذي لم تنله يد الأميين ، ولم يكن يعرفه إلا القليل من الدارسين، وإنك لتجد الصحيح المفيد من هذه الأخبار محررا في القرآن، حتى الأرقام طبق الأرقام: فترى مثلا في قصة نوح عليه السلام في القرآن أنه لبث في قومهم ألف سنة إلا خمسين عاما، وفي سفر التكوين من التوراة أنه عاش تسعمائة وخمسين سنة، وترى في قصة أصحاب الكهف عند أهل الكتاب أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنة شمسية، وفي القرآن أنهم لبثوا في كهفهم {ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا} [الكهف: ٢٥] وهذه السنون التسع هي فرق ما بين عدد السنين الشمسية والقمرية؛ قاله الزجاج يعني بتكميل الكسر. فانظر إلى هذا الحساب الدقيق في أمة أمية لا تكتب ولا تحسب.

نعم إنها لعجيبة حقا: رجل أمي بين أظهر قوم أميين، يحضر مشاهدتهم - في غير الباطل والفجور - ويعيش معيشتهم مشغولا برزق نفسه وزوجه وأولاده، راعيا بالأجر، لا صلة له بالعلم والعلماء؛ يقضي في هذا المستوى أكثر من أربعين سنة من عمره، ثم يطلع علينا فيما بين عشية وضحاها ، فيكلمنا بما لا عهد له به في سالف حياته ، وبما لم يتحدث إلى أحد بحرف واحد منه قبل ذلك، وييدي لنا من أخبار تلك القرون الأولى ما أخفاه أهل العلم في دفاترهم وقماطهم؟ أي مثل هذا يقول الجاهلون إنه استوحى عقله واستلهم ضميره؟ أي منطلق يسوغ أن يكون هذا الطور الجديد العملي نتيجة طبيعة لتلك الحياة الماضية الأمية؟ إنه لا مناص في قضية العقل من أن يكون لهذا الانتقال الطفري سر آخر يلتمس خارجا عن حدود النفس وعن دائرة المعلومات القديمة، وإن ملاحظة الجاهلية وهم أجلاف الأعراب في البادية كانوا في الجملة أصدق تعليلا لهذه الظاهرة ، وأقرب فهما لهذا السر من ملاحظة هذا العصر، إذ لم يقولوا كما قال هؤلاء إنه استقى هذه الأخبار من وحي نفسه، بل قالوا: إنه لا بد أن تكون قد أمليت عليه منذ يومئذ علوم جديدة؛ فدرس منها ما لم يكن قد درس، وتعلم ما لم يكن يعلم {وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست} [الأنعام: ١٠٥] ، {وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا} [الفرقان: ٥] . ولقد صدقوا؛ فإنه درسها، ولكن على أستاذه الروح الأمين، واكتتبها، ولكن من صحف مكرومة مرفوعة مطهرة، بأيدي سفرة كرام برره {قل لو شاء الله ما تلوته

عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون} [يونس: ١٦] ، ذلك شأن ما في القرآن من الأنبياء التاريخية، لا جدال في أن سبيلها النقل لا العقل، وأنها تجيء من خارج النفس لا من داخلها.

أما سائر العلوم القرآنية فقد يقال: إنها من نوع ما يدرك بالعقل، فيمكن أن ينالها الذكي بالفراسة والروية ، وهذا كلام قد يلوح حقا في بادئ الرأي، ولكنه لا يلبث أن ينهار أمام الاختبار، ذلك أن العقول البشرية لها في إدراك الأشياء طريق معين تسلكه، وحد محدود تقف عنده ولا تتجاوزه، فكل شيء لم يقع تحت الحس الظاهر أو الباطن مباشرة، ولم يكن مركزا في غريزة النفس، إنما يكون إدراك العقول إياه عن طريق مقدمات معلومة توصل إلى ذلك المجهول، إما بسرعة كما في الحدس (الظن والتخمين) ، وإما ببطء كما في الاستدلال والاستنباط والمقايسة (الاستدلال على الشيء بمثله أو شبيهه..)، وكل ما لم تمهد له هذه الوسائل والمقدمات ، لا يمكن أن تناله يد العقل بحال، وإنما سبيله الإلهام، أو النقل عما جاءه ذلك الإلهام.

فهل ما في القرآن من المعاني غير التاريخية كانت حاضرة الوسائل والمقدمات في نظر العقل؟ ذلك ما سيأتي نبأه بعد حين، ولكننا نعجل لك الآن بمثالين من تلك المعاني نكتفي بذكرهما هنا عند إعادتهما بعد: أحدهما: قسم العقائد الدينية. والثاني: قسم النبوءات الغيبية.

ب - الحقائق الدينية الغيبية لا سبيل للعقل إليها:

فأما أمر الدين فإن غاية ما يجتنيه العقل من ثمرات بحثه المستقل فيه، بعد معاونة الفطرة السليمة له، هو أن يعلم أن فوق هذا العالم إلها قاهرا دبره ، وأنه لم يخلقه باطلا، بل وضعه على مقتضى الحكمة والعدالة؛ فلا بد أن يعيده كرة أخرى لينال كل عامل جزاء عمله ، إن خيرا وإن شرا ، هذا هو كل ما يناله العقل الكامل من أمر الدين، ولكن القرآن لا يقف في جانبه عند هذه المرحلة؛ بل نراه يشرح لنا حدود الإيمان مفصلة، ويصف لنا بدء الخلق ونهايته، ويصف الجنة وأنواع نعيمها، والنار وألوان عذابها، كأتهما رأي عين، حتى إنه ليحصي عدة الأبواب، وعدة الملائكة الموكلة بتلك الأبواب، فعلى أي نظرية عقلية بنيت هذه المعلومات الحسائية، وتلك الأوصاف التحديدية؟ إن ذلك ما لا يوحى به العقل البتة، بل هو إما باطل فيكون من وحي الخيال والتخمين، وإما حق فلا ينال إلا بالتعليم والتلقين، لكنه الحق الذي شهدت به الكتب واستيقنه أهلها {وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا} [المدثر: ٣١] ، {وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان} [الشورى: ٥٢] ، {ما كان لي من علم بالملاء الأعلى إذ يختصمون} [ص: ٦٩] ، {وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين} [يونس: ٣٧] .

ج - أنبياء المستقبل قد تستنبط بالمقايسة الظنية ، ولكنها لا سبيل فيها لليقين إلا بالوحي الصادق: وأما النبوءات الغيبية فهل تعرف كيف يحكم فيها ذو العقل الكامل؟ إنه يتخذ من تجاربه الماضية مصباحا يكشف على ضوءه بضع خطوات من مجرى الحوادث المقبلة، جاعلا الشاهد من هذه مقياسا للغائب من تلك، ثم يصدر فيها حكما محاطا بكل تحفظ وحذر، قائلا: (ذلك ما تقضي به طبيعة الحوادث لو سارت الأمور على

طبيعتها ، ولم يقع ما ليس في الحسبان) . أما أن بيت الحكم بتا ، ويجدده تحديدا ، حتى فيما لا تدل عليه مقدمة من المقدمات العلمية، ولا تلوح منه أمانة من الأمارات الظنية العادية، فذلك ما لا يفعله إلا أحد رجلين:

- إما رجل مجازف لا يبالي أن يقول الناس فيه صدق أو كذب، وذلك هو دأب جهلاء المتنبئين من العرافين والمنجمين.

- وإما رجل اتخذ عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده، وتلك هي سنة الأنبياء والمرسلين،

ولا ثالث لهما إلا رجلا روى أخباره عن واحد منهما.

فأي الرجلين تراه في صاحب هذا القرآن حينما يجيء على لسانه الخبر الجازم بما سيقع بعد عام وما سيقع في أعوام، وما سيكون أبد الدهر، وما لن يكون أبد الدهر؟ ذلك وهو لم يتعاط علم المعرفة والتنجيم ، ولا كانت أخلاقه كأخلاقهم تمثل الدعوى والتقحم، ولا كانت أخباره كأخبارهم خليطا من الصدق والكذب، والصواب والخطأ. بل كان مع براءته من علم الغيب وقعوده عن طلبه وتكلفه، يجيئه عفوا ما تعجز صروف الدهر وتقلباته في الأحقاب المتطاولة أن تنقض حرفا واحدا مما ينبئ به {وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد} [فصلت: ٤١-٤٢] .

ولنسر لك هاهنا بعض النبوءات القرآنية مع بيان شيء من ملابساتها التاريخية؛ لترى هل كانت مقدماتها القريبة أو البعيدة حاضرة فتكون تلك النبوءات من جنس ما توحى به الفراسة والألمعية؟ مثال ذلك:

- ما جاء في بيان أن هذا الدين قد كتب الله له البقاء والخلود، وأن هذا القرآن قد ضمن الله حفظه وصيانتَه {كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض} [الرعد: ١٧] ، {ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها} [إبراهيم: ٢٤-٢٥] ، {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} [الحجر: ٩] .

أتعلم متى وأين صدرت هذه البشارات المؤكدة، بل العهود الوثيقة؟ إنها آيات مكية من سور مكية، وأنت قد تعرف ما أمر الدعوة المحمدية في مكة؟ عشر سنوات كلها إعراض من قومه عن الاستماع لقرآن، وصد لغيرهم عن الإصغاء له، واضطهاد وتعذيب لتلك الفئة القليلة التي آمنت به، ثم مقاطعة له ولعشيرته ومحاصرتهم مدة غير يسيرة في شعب من شعاب مكة، ثم مؤامرات سرية أو علنية على قتله أو نفيه، فهل للمرء أن يلمح في ثنايا هذا الليل الحالك ، الذي طوله عشرة أعوام، شعاعا ولو ضئيلا من الرجاء أن يتنفس صبحه عن الإذن لهؤلاء المظلومين برفع صوتهم وإعلان دعوتهم؟ ولو شام المصلح تلك البارقة من الأمل في جوانب نفسه من طبيعة دعوته، لا في أفق الحوادث، فهل يتفق له في مثل هذه الظروف أن يربوا في نفسه الأمل حتى يصير حكما قاطعا؟ وهبه امتلا رجاء بظهور دعوته في حياته ما دام يتعهدا بنفسه، فمن يتكفل له بعد موته ببقاء هذه الدعوة وحمايتها وسط أمواج المستقبل العاتية؟ وكيف يجيئه اليقين في ذلك ، وهو يعلم من عبر الزمان ما يفت في عضد هذا اليقين؟ فكم من مصلح صرخ بصيحات الإصلاح ، فما لبثت أصواته أن ذهبت أدراج

الرياح! وكم من مدينة قامت في التاريخ ثم عفت ودرست آثارها! وكم من نبي قتل! وكم من كتاب فقد أو انتقص أو بدل! وهل كان محمد ممن تستخفه الآمال فيجري مع الخيال؟ إنه ما كان قبل نبوته يطمع في أن يكون نبيا يوحى إليه {وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك} [القصص: ٨٦] ولا كان بعد نبوته يضمن لنفسه أن يبقى هذا الوحي محفوظا لديه {ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا} [الإسراء: ٨٦-٨٧] ؛ فلا بد إذا من كفيل بهذا الحفظ من خارج نفسه، ومن ذا الذي يملك هذا الضمان على الدهر المتقلب المملوء بالمفاجآت؟ إلا رب الدهر الذي بيده زمام الحوادث كلها، والذي قدر مبدأها ومنتهاها، وأحاط علما بمجرها ومرساها، فلولا فضل الله ورحمته الموعود بهما في الآية الآتية ، لما استطاع القرآن أن يقاوم تلك الحروب العنيفة التي أقيمت ولا تزال تقام عليه بين آن وآن.

سل التاريخ: كم مرة تنكر الدهر لدول الإسلام ، وتسلبت الفجار على المسلمين ، فأثخنوا فيهم القتل، وأكروهوا أما منهم على الكفر، وأحرقوا الكتب، وهدموا المساجد؛ وصنعوا ما كان يكفي القليل منه لضياع هذا القرآن كلا أو بعضا كما فعل بالكتب قبله؛ لولا أن يد العناية تحرسه ، فبقي في وسط هذه المعامع رافعا راياته وأعلامه، حافظا آياته وأحكامه، بل اسأل صحف الأخبار اليومية كم من القناطر المقتطرة من الذهب والفضة تنفق في كل عام لمحو هذا القرآن، وصد الناس عن الإسلام بالتضليل والبهتان والخداع والإغراء ثم لا يظفر أهلها من وراء ذلك إلا بما قال الله تعالى {إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون} [الأنفال: ٣٦] ، ذلك بأن الذي يمسه أن يزول هو الذي يسمك السماوات والأرض أن تزولا، ذلك بأن الله {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون} [التوبة: ٣٣] ، والله بالغ أمره و تتم نوره ، فظهر وسيبقى ظاهرا لا يضره من خالفه حتى يأتي أمر الله) (١).

١٠ - لماذا يستبعد المستشرقون إمكانية نزول الوحي على النبي ﷺ عن طريق جبريل، مع أن كثيرا منهم يسلمون بأبعد من ذلك؛ فهم يؤمنون إيمانا كاملا بأن موسى عليه السلام قد تلقى التوراة من الله تعالى مباشرة من غير واسطة؟ ،

١١ - انظر إلى هذا التناقض؛ تارة يصفون النبي بأنه عبقرى ، وفنان موهوب، وملهم استطاع بدكائه الشديد أن يصنع هذا الدين والقرآن، وتارة يقولون هو، مجنون ، أو مصروع ، أو مهووس (٢) ؛ أوقعهم بعضهم للحق في مضحكات؟ وتأمل كيف استطاعت خديجة - رضي الله عنها - بفطرتها البسيطة أن تعرف أن ما يأتي النبي ﷺ ليس شيطانا وجنونا ولا هوسا حين قالت: (كلا والله لا يجزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق) (٣)

(١) - النبأ العظيم، ص: ٣٨-٤٧ . و. د. عبد المحسن المطيري ، دعاوى الطاعنين ص : ٢١٠

(٢) - انظر القرآن والمستشرقون لقرعة (ص: ٢٩ - ٢٨) . وكتاب كتاب رؤية إسلامية للإستشراق، لأحمد غراب، ص: ١٥٠ .

(٣) - متفق عليه (البخاري: كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، رقم: ٤، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله، رقم: ١٦٠) .

فما أبعد هذا الكمال الإنساني عن الهوس الذي قد يملي على صاحبه مواقف غريبة وأفعالا منكرة ينبو عنها الذوق السليم، لذلك فإن بعضهم لا يملك نفسه عندما يقرأ سيرة النبي وما يأمر به إلا أن يسلم بنبوته ، يقول توماس كارليل : هل رأيتم قط رجلا كاذبا يستطيع أن يوجد دينا عجيبا؟ إنه لا يقدر أن يبني بيتا من الطوب، فهو لم يكن عليهما بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك فما ذلك الذي يبنيه بيت إنما هو تل من الأنقاض ، وكثير من أخلاط المواد؛ وليس جديرا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنا ، يسكنه مائتا مليون من الأنفس (في زمنه وليس اليوم) ، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن، وأني لأعلم أن على المرء أن يسير في جميع أمورهِ طبق قوانين الطبيعة ، وإلا أبت أن تجيبه طلبته، كذب ما يذيعه أولئك الكفار وإن زخرفوه حتى تخيلوه حق، ومحنة أن ينخدع الناس -شعوبا وأما- بهذه الأضاليل) ... ويقول أيضا: (لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر، أن يصغي إلى القول بأن دين الإسلام كذب ، وأن محمدا خداع مزور، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرجل ،ومازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنا لمئات الملايين من الناس أمثالنا ، خلقهم الله الذي خلقنا، أكان أحدهم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والعد أكذوبة وخدعة؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدا، فلو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ،ويصادفان منهم ذلك التصديق والقبول ، فما الناس إذا إلا بله ومجانين، وما الحياة إلا سحف وعبث؛ كان الأولى ألا تخلق) (١) .

١٢- من الأدلة على أن القرآن ليس من النبي: أوقات نزوله (٢) ؛ فليس للنبي (اختيار فيما ينزل أو ينزل، فقد يأتيه وهو في الفراش مع أهله، أو وهو نائم، أو مع أصحابه ، أو وهو سائر ، أو على العبير (٣) ، وقد يتتابع الوحي ويحمى حتى يشعر بكثرتة عليه له ، وقد يفتر عنه حتى يشنق إليه ، بل قد يمرض من تأخره عليه؛ فقد روي عن أنس بن مالك : أن الله تعالى تابع على رسوله الوحي قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحي ثم توفي رسول الله (بعد) (٤) . وعن أنس قال: بينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ، ثم رفع رأسه متبسما ، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت علي أنفا سورة». فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر

إن شانئك هو الأبر (ثم قال: «أتدرون ما الكوثر ...» (٥) ، عن ابن عباس (قال: قال رسول الله لجبريل: «ألا تزورنا أكثر مما تزورنا» ، قال: فنزلت (وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا) (٦) ، وعن جندب بن سفيان: أبطأ جبريل على النبي، فاشتكى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلم يقم ليلتين أو

(١) - قالوا عن الإسلام (ص: ١٢٣) . انظر: القرآن والمستشرقون، د. التهامي نفرة (ص: ٢٥) .

(٢) - المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن، للحكيم (ص: ٥٤) .

(٣) - انظر فتح الباري (٣٠/١) فقد ذكر أن عند البيهقي حديث (وإن كان ليوحى إليه وهو على ناقته فيضرب حزامها الأرض من يقل ما يوحى إليه) .

٤ - متفق عليه (البحاري: كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي، رقم: ٤٩٨٢، ومسلم: كتاب التفسير، باب، رقم: ٣٠١٦) .

(٥) - أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب حجة من قال بالبسملة آية من كل سورة، رقم: ٤٠٠ .

(٦) - (البحاري: كتاب بدأ الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم: ٣٢١٨) .

ثلاثاً ، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، لم أره قريب منذ ليلتين أو ثلاثة، فأنزل الله عز وجل {والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى} . (١)

١٣- تكلم محمد ﷺ بأكثر من أسلوب غاية في الفصاحة وغاية في البلاغة ومعلوم أن لكل إنسان أسلوب مميز في الكلام والكتابة يعني لو أنك تقرأ لكاتب معين بشكل مستمر فسوف تميز أسلوب كتابته لو وقعت عينك على كلامه بدون ان تعرف أنه هو الكاتب أما محمد فقد جاء بشيء فريد وهو استخدامه لثلاثة أساليب كلامية وكل أسلوب له طابع يتميز أدبيا وبلاغيا عن الأسلوب الآخر ! ١- القرآن ، ٢- الحديث القدسي ، ٣- الحديث النبوي، هل يستطيع إنسان صياغة كلامه بثلاثة أساليب أدبية وكل أسلوب يتميز عن الآخر بشكل واضح ؟ مع أن محمداً ﷺ لم يُعرف بالشعر ولا بالبلاغة ولا بالخطابة ! أمي لم يُعرف طوال حياته بالشعر ولا بالخطابة ولا بالبلاغة فيأتي فجأة بثلاثة أساليب كلامية بلاغية تتميز عن بعضها البعض ! وأن فطاحلة اللسان العربي في عصره لم يستطيعوا أن يأتوا بشيء مشابه ولا قريب مما أتى به عليه الصلاة والسلام ! أتى بكلام عجز عنه البشر في الفصاحة والبلاغة وخال من الخطأ بل بدأ كتابه بكلمة { لا ريب فيه } ! وهو الأمي والذي لا ذهب للعلماء ولا أتى له العلماء ؟ و عرض النبي نفسه للحرث ولما يهدم رسالته من البداية ؟ وأتى بأشياء فيها نوع من التحدي بل وأشياء فيها نوع يسهل نقضها ؟! والأدلة على ذلك كثير في القرآن ، منها : قال الله تعالى : { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } [الشرح: ٤] وهذا الأمر قد تحقق وكما يعلم الجميع فإن محمداً ﷺ أكثر البشر ذكراً على سطح الكرة الأرضية ، فلا يوجد من يُذكر أكثر منه ، فالآذان مستمر على مدار الساعة على سطح الأرض فما أن ينتهي الأذان في مكان إلا ويبدأ في المكان الذي يليه وهكذا إلى أن يعود إلى نفس النقطة مرة أخرى لذلك فإن جملة (أشهد أن محمد رسول الله) تتردد بصوت عالٍ مرتفع على مدار الساعة في كل أنحاء الدنيا وليس هذا لغيره من الأنبياء ، هذا غير الصلاة المستمرة من المسلمين على محمد ﷺ في صلواتهم ومجالسهم وجميع أحوالهم ، وقراءتهم للقرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى عليه وكذلك قراءتهم لأحاديثه وسيرته وحرصهم على إتباع سنته وغير ذلك مما لا يُحصى

منها : اليهود كانوا يقولون للمسلمين نحن اولياء الله وأحباؤه وليس أنتم فأنزل الله تعالى هذا الاختبار لهم : { قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ - وَكُنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } [البقرة: ٩٤ - ٩٥] ولا شك أن اليهود كانوا من أشد أعدائه ﷺ ، ومن أحرص الناس على تكذيبه، ومع ذلك لم يبادر أحد منهم إلى تكذيبه بأن يقول: إنه يتمنى الموت ، فالله تعالى أخبر في القرآن الكريم أن اليهود لن يتمنوا الموت فكيف علم النبي أن اليهود سيرفضون تمني الموت ؟ كان المطلوب من اليهود فقط أن يقولوا بألسنتهم ” نتمنى الموت ” ولكنهم رفضوا أن يتمنوا الموت ف” عن ابن عباس رضي الله عنه : يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : { قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين } أي : ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب

(١) - متفق عليه (البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب (ما ودعك ربك وما قلى)، رقم: ٤٩٥٠، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم، رقم: ١٧٩٧)، وأحمد (رقم: ١٨٣٢٩) واللفظ لأحمد.

. فأبوا ذلك على رسول الله { ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين } أي : بعلمهم بما عندهم من العلم بك ، والكفر بذلك ، ولو تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الأرض يهودي إلا مات . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله تعالى عنه : ” لَوْ تَمَتَّى الْيَهُودُ الْمَوْتَ كَمَا تَوَاتَرُوا “ فهل يوجد أعظم من هذه الثقة من النبي ومعرفته بأن اليهود لن يفعلوا ما طلبه منهم رغم بساطته ؟ هذا الأمر لا يكون إلا لمن هو متصل بالوحي .

ومنها : كيف علم النبي أن عداوة اليهود للمسلمين مستمرة على مر الأزمان ؟ قال الله تعالى : { لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا } [المائدة: ٨٢] ، لقد كان في يد اليهود فرصة ذهبية لتشكيك المسلمين في دينهم ولا تزال الفرصة قائمة وذلك عن طريق إثبات خطأ الآية السابقة التي نُحِرْنَا بِشِدَّةِ عداوة اليهود للمسلمين، فكل ما على اليهود أن يفعله هو أن يُحسنوا للمسلمين وأن يتعاملوا معهم بأفضل أنواع المعاملة وأن يتوقفوا عن تدمير المؤامرات والحروب ضدهم، ولكن ذلك لم يحدث خلال ١٤٠٠ سنة !! وهذا الأمر لا يمكن أن يُعلم إلا عن طريق الوحي فقط .

ومنها سورة المسد يقول الدكتور ملير: “ قبل ١٠ سنوات من وفاة أبي لهب نزلت سورة في القرآن اسمها سورة المسد، هذه السورة تقرر أن أبو لهب سوف يذهب إلى النار هو وزوجته، أي بمعنى آخر أن أبو لهب وزوجته لن يدخلوا الإسلام، خلال عشر سنوات كل ما كان على أبو لهب أن يفعله هو أن يأتي أمام الناس ويقول: محمد يقول أي لن أسلم و سوف أدخل النار ولكي أعلن الآن أي أريد أن أدخل في الإسلام وأصبح مسلما!!، الآن ما رأيكم؟ هل محمد صادق فيما يقول أم لا؟ هل الوحي الذي يأتيه وحي الهي؟ “. لكن أبو لهب لم يفعل ذلك تماما رغم أن كل أفعاله كانت هي مخالفة الرسول لكنه لم يخالفه في هذا الأمر يعني القصة كأنها تقول أن النبي يقول لأبي لهب أنت تكرهني وتريد أن تنتهيني، حسنا لديك الفرصة أن تنقض كلامي! مرت عشر سنوات على نزول السورة من بداية الدعوة وكانت لديه الفرصة أن يهدم الإسلام بدقيقة واحدة! رغم أن أعداد كبيرا من أعداءه ﷺ قد دخلوا في الإسلام مثل أبو سفيان الذي كان قائد المشركين في معركة أحد ومعركة الخندق فكيف علم النبي ﷺ أن عمه أبا لهب بالذات لن يدخل في الإسلام؟؟ فهذا النوع من العلم المستقبلي لا يمكن لبشر معرفته، فكيف يكون وثقا خلال عشر سنوات أن ما لديه حق لو لم يكن يعلم أنه وحي من الله؟؟ لكي يضع شخص هذا التحدي الخطير ليس له إلا أمر واحد: هذا وحي من الله ﷻ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿ [المسد: ١-٥] .

ومنها : إخبار الرسول إن كتب اليهود والنصارى تم تحريفها وهذا ما أكده علمائهم من اعترافهم ان النسخ الأصلية من المخطوطات ضاعت وان النسخ الباقية تعمد النساخ فيها بالخطأ ! وتأملوا قول رسول الإسلام (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم) وإنما قال ذلك: لأنه علم أنهم حرفوا بعض كتبهم لا كلها فمنع من تصديقهم خشية أن يكون ما قاله مما حرفوه ومن تكذيبهم خشية أن يكون مما لم يحرفوه. فالأول في غاية الحزم والثاني: في غاية العدل، ولو لم يكن نبيا مأمورا فيهم لأغرى الناس بتكذيب كل ما عندهم وكان ذلك أتم لنا موسه وأغض من رءوس أعدائه، لأننا علمنا بالاستقراء من ملوك الدنيا أجمعين أن أحدا

منهم لم يترك من آثار من قبله من الملوك ولا الأنبياء ما يحذر منه على ملكه إلا عجزا وهذا الإنصاف والعدل مع مخالفه يدل على صدق نبوته .

ومنها : كيف علم النبي بأن أصحابه رضي الله عنهم سيستخلفون في الأرض من بعده وسيتمكن الإسلام في الأرض؟ {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ .. وَلَيُمْكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} [النور: ٥٥] سبب هذه الآية أن بعض أصحاب النبي شكوا جهد مكافحة العدو، وما كانوا فيه من الخوف على أنفسهم، وأنهم لا يضعون أسلحتهم، فنزلت الآية. وقال أبو العالية: مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين بعد ما أوحى إليه خائفا هو وأصحابه، يدعون إلى الله سرا وجهرا، ثم أمر بالهجرة إلى المدينة، وكانوا فيها خائفين يصبحون ويمسون في السلاح. فقال رجل: يا رسول الله، أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح؟ فقال عليه السلام: (لا تلبثون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في المأى العظيم محتبيا ليس عليه حديدة). ونزلت هذه الآية، وأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فوضعوا السلاح وأمنوا. قال النحاس: فكان في هذه الآية دلالة على نبوة رسول الله، لأن الله عز وجل أنجز ذلك الوعد. فهذه الآية تتضمن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي لأنهم أهل الإيمان وعملوا الصالحات. وقد قال رسول الله: (الخلافة بعدي ثلاثون) بإجماع أكثر المفسرين . قال ابن العربي في أحكامه: قال علماؤنا هذه الآية دليل على خلافة الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم، وأن الله استخلفهم ورضي أمانتهم، وكانوا على الدين الذي ارتضى لهم، لأنهم لم يتقدمهم أحد في الفضيلة إلى يومنا هذا، فاستقر الأمر لهم، وقاموا بسياسة المسلمين، وذبوا عن حوزة الدين، فنفذ الوعد فيهم، وإذا لم يكن هذا الوعد لهم بنجر، وفيهم نفذ، وعليهم ورد، فميمن يكون إذا؟ وليس بعدهم مثلهم إلى يومنا هذا، ولا يكون فيما بعده. رضي الله عنهم .^(١)

وقال ابن كثير: ” هذا وعد من الله لرسوله . بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض ، أي : أئمة الناس والولاية عليهم ، وبهم تصلح البلاد ، وتخضع لهم العباد ، وليبدلن بعد خوفهم من الناس أمنا وحكما فيهم ، وقد فعل تبارك وتعالى ذلك . وله الحمد والمنة ، فإنه لم يمض رسول الله حتى فتح الله عليه مكة وخيبر ، وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكاملها، وأخذ الجزيرة من مجوس هجر ، ومن بعض أطراف الشام ، وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والإسكندرية وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة ، الذي تملك بعد أصحابه ، رحمه الله وأكرمه . ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واختار الله له ما عنده من الكرامة ، قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق ... ولهذا ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : ” إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقتها ومغارها ، وسيلغ ملك أمي ما زوي لي منها ” فهذا نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، فنسأل الله الإيمان به ، وبرسوله ، والقيام بشكره على الوجه الذي يرضيه عنا . “^(٢)

(١) - أحكام القرآن للقرطبي (١٢ / ٢٩٧) ، وأحكام القرآن لابن عربي)

(٢) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير

المبحث الرابع: القرآن معجزة العصر يتكلم بلغة العصر :

لأن محمدا ﷺ جاء للناس كافة ،على اختلاف عصورهم وثقافتهم ومداركهم، أيده الله ببيانات متنوعة تتناسب مع جميع من أرسل إليهم إلى يوم القيامة، فمعجزة الفصاحة في كتاب الله أخضعت فصحاء العرب، ومعجزة البشارات أقامت الدليل لأهل الكتاب على صدق رسول الله ﷺ ، ومعجزات الخوارق أرغمت الكافرين المعاندين وأوضحت لهم حجة النبي الساطعة، ومعجزة الإخبار بالغيب تجلت ولا تزال تتجلى وتتحقق على مر القرون والعصور ، وتجلت معجزة القرآن في عصرنا وشاهد حقائقها أهل الاختصاصات الكونية العلمية الدقيقة في عصرنا، كعلم الفلك وعلوم الأرض والأرصاد والنبات والحيوان وعلوم الطب المختلفة وعلوم البحار وغيرها من العلوم الكونية، ليكون ذلك دليلا لكل عاقل في عصرنا أن هذا القرآن من عند الله، وأن العلامة الإلهية الشاهدة بأنه من الله هي العلم الذي تحمله الآيات وتجليه الاكتشافات العلمية الدقيقة بعد رحلة طويلة من البحث والدراسة، وباستخدام أدق الآلات التي لم تصنع إلا في عصر الثورة الصناعية الحاضرة ، ولقد أشار القرآن إلى هذا النوع من الإعجاز ووعده بإظهاره في قوله تعالى: { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } [فصلت: ٥٣] .

كما قال تعالى: { لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلُهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا } [النساء: ١٦٦] أي أنزله وفيه علمه، ففي هذه الآية بيان لطبيعة المعجزة العلمية، التي نزلت ردا على إنكار الكافرين لنبوة محمد التي تبقى بين يدي الناس، وتتجدد مع كل فتح بشري في آفاق العلوم والمعارف ذات الصلة بمعاني الوحي الإلهي، قال الخازن عند تفسير هذه الآية: " لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة، بواسطة هذا القرآن الذي أنزله عليك " ، وقال ابن كثير: " فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب، وهو القرآن العظيم.. ولهذا قال: أَنْزَلُهُ بِعِلْمِهِ: أي فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه، من البيئات والهدى والفرقان، وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب، من الماضي والمستقبل " (١).

وكل آية من كتاب الله تحمل علما إلهيا يعرفه البشر عند ارتقائهم بأسباب العلوم والمعارف في ذلك الميدان الذي تتحدث عنه الآية القرآنية ، والقرآن مليء بالآيات التي تتحدث عن مظاهر الكون، وحديثه عن الكون هو حديث من يعلم أسرار ودقائقه، مع أن البشرية كلها في وقت النبي ﷺ لم تكن تعلم معظم تلك الأسرار، وكان يغلب على تفكيرها الأسطورة والخرافة ، لذلك رأينا الجراح الفرنسي العالمي الشهير الدكتور: موريس بوكاي يتقدم إلى البشرية بأطروحة قال فيها:

لقد قامت الأدلة على أن القرآن الذي نقرأه اليوم، هو نفس القرآن الذي قرأه النبي محمد على الصحابة. وما دام أن القرآن قد أفاض في الحديث عن الكون وأسراره، فإننا نستطيع بهذه الحقيقة أن نعرف منها إذا كان القرآن من عند الله باختبار يعرفه كل عاقل في عصرنا، فإذا كان القرآن من عند محمد ﷺ ، وهو مملوء بالوصف لمظاهر الكون: الأرض، السماء، الجبال، البحار، الأنهار، الشمس، القمر، النبات، الحيوان، الإنسان، الرياح،

(١) - وإلى هذا المعنى ذهب كثير من المفسرين: ابن الجوزي، الزمخشري، أبو حيان، الألوسي، الشوكاني، البيضاوي، والنسفي، والخازن، الجلالان .

الأمطار.. وغير ذلك، فإن حديثه عن هذه المظاهر الكونية سيعكس لنا علم محمد وثقافته عن المخلوقات وأسرارها، كما يعكس لنا علم مجتمعه وبيئته، وعلوم عصره في ذلك المجال، وهي علوم غلبت عليها السذاجة والخرافة والأسطورة، وسنجد القرآن عندئذ مملوًا بالخرافة والأسطورة والخبر الساذج عند حديثه عن الكون وأسراره، كما هو شأن كل الكتب التي دونت في تلك الأزمنة بما فيها الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى (التوراة والإنجيل) التي طرأ عليها التحريف، هذا إذا كان القرآن من عند محمد ﷺ، أما إذا كان القرآن من عند الله فسنراه في حديثه عن المخلوقات وأسرارها يسبق مقررات العلوم الحديثة، وسنرى الاكتشافات العلمية تلهث وراءه فتقرر ما فيه من حقائق وتؤكد ما فيه من مقررات في شتى المجالات، ولقد قضى الدكتور موريس بوكاي لتحقيق هذا الاختبار عشر سنوات يتعلم فيها القرآن واللغة العربية، ويقارن بين القرآن وبين الكشوف العلمية الحديثة، ثم ألف كتابا سماه: "دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة".

وقد أثبت فيه سلامة القرآن من التحريف، ودخول التحريف على التوراة والإنجيل وأثبت تعارض التوراة والإنجيل مع العلوم الحديثة؛ كما أثبت سبق القرآن لهذه العلوم وبين أن هذا مما اشتمل عليه وعد الله القائل: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَّهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَ مَا يَكْفِي بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) [فصلت: ٥٣]، يقول د. بوكاي: "إن القرآن لا يخلو فقط من متناقضات الرواية وهي السمة البارزة في مختلف صياغات الأناجيل بل هو يظهر أيضا- لكل من يشرع في دراسته بموضوعية وعلى ضوء العلوم- طابعه الخاص وهو التوافق مع المعطيات العلمية الحديثة. بل أكثر من ذلك، وكما أثبتنا، يكشف القارئ فيه مقولات ذات طابع علمي من المستحيل تصور أن إنسانا في عصر محمد صلى الله عليه وسلم قد استطاع أن يؤلفها، وعلى هذا فالمعارف الحديثة تسمح بفهم بعض الآيات القرآنية التي كانت بلا تفسير صحيح حتى الآن (١) ، كما قال تعالى: { وَتَعَلَّمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) } [ص: ٨٧-٨٨]، قال الفراء في تفسير الحين الذي ذكرته الآية أنه: "بعد الموت وقبله، أي لتظهر لكم حقيقة ما أقول [بعد حين] أي في المستقبل" (٢) وقال ابن جرير الطبري: «الله أعلم المشركين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين، من غير حد منه لذلك الحين بحد، ولا حد عند العرب للحين لا يجاوزه ولا يقصر عنه، فإذا كان ذلك كذلك، فلا قول فيه أصح من أن يطلق، كما أطلقه الله، من غير حصر ذلك على وقت دون وقت» (٣)

[١] وصف القرآن للحاجز بين البحرين(٤):

توصل علماء البحار بعد تقدم العلوم في هذا العصر إلى اكتشاف الحاجز بين البحرين، فوجدوا أن هناك برزخا يفصل بين كل بحرين، ويتحرك بينهما ويسميه علماء البحار (الجبهة) تشبيها له بالجبهة التي تفصل بين جيشين. وبوجود هذا البرزخ يحافظ كل بحر على خصائصه التي قدرها الله له، ويكون مناسباً لما فيه من كائنات حية تعيش في تلك البيئة، ومع وجود هذا البرزخ فإن البحرين المتجاورين يختلطان اختلاطا بطيئا، يجعل القدر

(١) - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة/ موريس بوكاي ص ٢٨٥-٢٨٦ / دار المعارف ١٩٧٧.
(٢) - الفراء: صاحب التصانيف وهو صاحب الكسائي، له كتاب "معاني القرآن" توفي عام ٢٠٧ هـ. انظر تفسير القرطبي أبو حيان (٣) - تفسير الطبري (٢١ / ٢٤٤) تحقيق شاكر مؤسسة الرسالة ط سنة ٢٠٠٠
(٤) - الأبحاث المذكورة عن د. عبد الحميد الزنداني رئيس جامعة الإيمان صنعاء في كتاب "بينات الرسول (ص) ومعجزاته ص ٧٤ وما بعدها وكتابه "أنه الحق" وكتاب "أنه الحق" الخاص ب هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي.

الذي يعبر من بحر إلى بحر آخر يكتسب خصائص البحر الذي ينتقل إليه عن طريق البرزخ الذي يقوم بعملية التقليب للمياه العابرة من بحر إلى بحر؛ ليبقى كل بحر محافظاً على خصائصه.

أقام الإنسان في هذا العصر مئات المحطات البحرية لدراسة خصائص البحار المختلفة، فقرر العلماء أن الاختلاف في هذه الخصائص يميز مياه البحار المختلفة بعضها عن بعض، لكن لماذا لا تتمزج البحار وتتجانس رغم تأثير قوتي المد والجزر التي تحرك مياه البحار مرتين كل يوم، وتجعل البحار في حالة ذهاب وإياب، واختلاط واضطراب، إلى جانب العوامل الأخرى التي تجعل مياه البحر متحركة مضطربة على الدوام مثل الموجات السطحية والداخلية والتيارات المائية والبحرية؟ ولأول مرة يظهر الجواب على صفحات الكتب العلمية في عام (١٣٦١ هـ ١٩٤٢ م). فقد أسفرت الدراسات الواسعة لخصائص البحار عن اكتشاف حواجز مائية تفصل بين البحار الملتقمة، وتحافظ على الخصائص المميزة لكل بحر من حيث الكثافة والملوحة، والأحياء المائية، والحرارة، وقابلية ذوبان الأوكسجين في الماء (١).

وبعد عام (١٩٦٢ م) عرف دور الحواجز البحرية في تهذيب خصائص الكتل العابرة من بحر إلى بحر لمنع طغيان أحد البحرين على الآخر فيحدث الاختلاط بين البحار الملحة، مع محافظة كل بحر على خصائصه وحدوده المحدودة بوجود تلك الحواجز وقد تطلب الوصول إلى حقيقة وجود الحواجز بين الكتل البحرية، وعملها في حفظ خصائص كل بحر قرابة مائة عام من البحث والدراسة، اشترك فيها المئات من الباحثين، واستخدم فيها الكثير من الأجهزة ووسائل البحث العلمي الدقيقة، بينما جلى القرآن الكريم هذه الحقيقة قبل أربعة عشر قرناً، قال تعالى: {مرج البحرين يلتقيان (١٩) بينهما برزخ لا يبغيان (٢٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٢١) يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان { الرحمن: ١٩ - ٢٢ } ، وقال تعالى: {وجعل بين البحرين حاجزا} [النمل: ٦١] ، المرج: مجيء وذهاب واضطراب ، البرزخ: هو الحاجز ، ومادة بحر يقال في الأصل للماء المالح دون العذب وقال ابن منظور إذا أطلق دل على الماء المالح ، البغي مجاوزة الحد ، المرجان ضرب من اللؤلؤ نوع من الزينة يكون بألوان مختلفة بيضاء وحمراء، ويكون كبيراً وصغيراً. (٢)

الآيات ترينا دقائق الأسرار التي كشف عنها اليوم علم البحار؛ فهي تصف اللقاء بين البحار الملحة ودليل ذلك ما يلي: أولاً: لقد أطلقت الآية لفظ البحرين بدون قيد، فدل ذلك على أن البحرين ملحان ، ثانياً: بينت الآيات في سورة الرحمن أن البحرين يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، وقد تبين أن المرجان لا يكون إلا في البحار الملحة، فدل ذلك على أن الآية تتحدث عن بحرين ملحيتين، قال تعالى: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، أي يخرج من كل منهما.

فمن الذي كان يعلم أن البحار المالحة تتمايز فيما بينها رغم اتحادها في الأوصاف الظاهرة التي تدرکها الأبصار والحواس؛ فكلها مالحة، زرقاء، ذات أمواج، وفيها الأسماك وغيرها وكيف تتمايز وهي تلتقي مع

(١) - راجع Introduction to Oceanography David A. Ross. 2 nd ed. 1977, USA, pp.37- 39 عن د. عبد الحميد الزنداني رئيس جامعة الإيمان صنعاء في كتاب "بينات الرسول (ص) ومعجزاته ص ٧٤ وما بعدها
(٢) - معجم المقاييس في اللغة لابن فارس مادة مرج وجر ، لسان العرب لابن منظور المواد السابقة ، المفردات للراغب الأصفهاني.

بعضها؟، والمعروف أن المياه إذا اختلطت في إناء واحد تجانست، فكيف وعوامل المزج في البحار كثيرة من مد وحزر وأمواج وتيارات وأعاصير؟.

ولقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن الحاجز الذي يفصل بين البحرين المذكورين هو حاجز من قدرة الله لا يرى غير مادي (١) والسبب الذي أشكل عليهم الجمع بين اختلاط مياه البحار مع وجود البرزخ؛ إذ أن وجود البرزخ (الحاجز) يقتضي منع الاختلاط، وذكر الاختلاط (مرج) يقتضي عدم وجود البرزخ، وقد زال الإشكال اليوم باكتشاف أسرار البحر على حقائقها تحقيقاً لقوله {ولتعلمن نبأه بعد حين} [ص: ٨٨]

والآية تذكر اللقاء بين بحرين ملحين يختلف كل منهما عن الآخر، إذ لو كان البحران لا يختلف أحدهما عن الآخر لكانا بحرا واحداً، ولكن التفريق بينهما في اللفظ القرآني دال على اختلاف بينهما مع كونهما ملحين، ومرج البحرين يلتقيان أي أن البحرين مختلطان، وهما في حالة ذهاب وإياب واختلاط واضطراب في منطقة الالتقاء، كما تدل اللغة على ذلك بلفظ مرج، وهذا ما كشفه العلم من وصف لحال البرزخ الذي يكون متعرجاً ومنتقلاً في الفصول المختلفة بسبب المد والجزر والرياح، ومن يسمع هذه الآية فقط، يتصور أن امتزاجاً واختلاطاً كبيراً يحدث بين هذه البحار يفقدها خصائصها المميزة لها، ولكن العليم الخبير يقرر في الآية بعدها: {بينهما برزخ لا يبغيان} أي ومع حالة الاختلاط والاضطراب هذه التي توجد في البحار، فإن حاجزاً يحجز بينهما يمنع كلا منهما أن يطغى ويتجاوز حده.

وهذا ما شاهده الإنسان بعد ما تقدم في علومه وأجهزته، فقد وجد ماء ثالثاً حاجزاً بين البحرين يختلف في خصائصه عن خصائص كل منهما، ومع وجود البرزخ فإن ماء البحرين المتجاورين يختلط ببطء شديد، ولكن دون أن يبغي أحد البحرين على الآخر بخصائصه؛ لأن البرزخ منطقة تقلب فيها المياه العابرة من بحر إلى آخر لتكتسب المياه المنتقلة بالتدرج صفات البحر الذي ستدخل إليه، وتفقد صفات البحر الذي جاءت منه وبهذا لا يبغي بحر على بحر آخر بخصائصه، مع أنهما يختلطان أثناء اللقاء، وصدق الله القائل: {مرج البحرين يلتقيان (١٩) بينهما برزخ لا يبغيان} [الرحمن: ١٩ - ٢٠]

علوم البحار لم تتقدم إلا في القرنين الأخيرين وخاصة في النصف الأخير من القرن العشرين، وقبل ذلك كان البحر مجهولاً مخيفاً تكثر عنه الأساطير والخرافات، وكل ما يهتم به راكبه هو السلامة والاهتداء إلى الطريق الصحيح أثناء رحلاتهم الطويلة، وما عرف الإنسان أن البحار الملحة بحار مختلفة إلا في الثلاثينات من هذا القرن، بعد أن أقام الدارسون آلاف المحطات البحرية لتحليل عينات من مياه البحار، وقاسوا في كل منها الفروق في درجات الحرارة، ونسبة الملوحة، ومقدار الكثافة، ومقدار ذوبان الأوكسجين في مياه البحار في كل المحطات فأدركوا بعدئذ أن البحار الملحة متنوعة، وما عرف الإنسان البرزخ الذي يفصل بين البحار الملحة، إلا بعد أن أقام محطات الدراسة البحرية المشار إليها، وبعد أن قضى وقتاً طويلاً في تتبع وجود هذه البرازخ المتعرجة المتحركة، التي تتغير في موقعها الجغرافي بتغير فصول العام، وما عرف الإنسان أن مائي البحرين منفصلان عن

(١) - منهم: ابن الجوزي، الزمخشري، وأبو حيان، والقاسمي، والحازن، والنسفي.

بعضهما بالحاجز المائي، ومختلطان في نفس الوقت إلا بعد أن عكف يدرس بأجهزته وسفنه حركة المياه في مناطق الالتقاء بين البحار، وقام بتحليل تلك الكتل المائية في تلك المناطق. (١)

[٢] الناصية:

وصف القرآن الناصية بأنها كاذبة خاطئة كما قال تعالى: { ناصية كاذبة خاطئة } [العلق: ١٦] ، والناصية لا تنطق فكيف يسند إليها الكذب؟ ولا تجرح الخطايا فكيف تسند إليها الخطيئة؟.

قال البروفيسور محمد يوسف سكر^(٢): إن وظيفة الجزء من المخ الذي يقع في ناصية الإنسان هي توجيه سلوك ، وقال: إن الإنسان إذا أراد أن يكذب فإن القرار يتخذ في الفص الجبهي للمخ الذي هو جبهة الإنسان وناصيته، وإذا أراد الخطيئة فإن القرار كذلك يتخذ في الناصية ، والبرفسور كيث إل مور^(٣) أكد أن الناصية هي المسئولة عن المقاييس العليا وتوجيه سلوك الإنسان، وما الجوارح إلا جنود تنفذ هذه القرارات التي تتخذ في الناصية؛ لذلك فالقانون في بعض الولايات الأمريكية^(٤) يجعل عقوبة كبار المجرمين الذي يهتقون أجهزة الشرطة هي استئصال الجزء الأمامي من المخ (الناصية) ؛ (لأنه مركز القيادة والتوجيه) ليصبح المجرم بعد ذلك كطفل وديع يستقبل الأوامر من أي شخص .

وبدراسة التركيب التشريحي لمنطقة أعلى الجبهة وجد أنها تتكون من أحد عظام الجمجمة المسمى العظم الجبهي ، ويقوم هذا العظم بحماية أحد فصوص المخ والمسمى الفص الأمامي أو الفص الجبهي ، وهو يحتوي على عدة مراكز عصبية تختلف فيما بينها من حيث الموقع والوظيفة ، وتمثل القشرة الأمامية الجبهية الجزء الأكبر من الفص الجبهي للمخ، وترتبط وظيفة القشرة الأمامية الجبهية بتكوين شخصية الفرد، وتعتبر مركزا علويا من مراكز التركيز والتفكير والذاكرة، وتؤدي دورا منتظما لعمق إحساس الفرد بالمشاعر، ولها تأثير في تحديد المبادأة والتميز ، وتقع القشرة مباشرة خلف الجبهة؛ أي أنها تختفي في عمق الناصية، وبذلك تكون القشرة الأمامية الجبهية هي الموجه لبعض تصرفات الإنسان التي تنم عن شخصيته، مثل الصدق والكذب والصواب والخطأ ... الخ، وهي التي تميز بين هذه الصفات وبعضها البعض وهي التي تحث الإنسان على المبادأة سواء بالخير أو بالشر وعندما قدم البرفسور كيث إل مور البحث المشترك بين الشيخ الزناداني وبينه حول الإعجاز العلمي في الناصية، في مؤتمر دولي عقد في القاهرة^(٥) ، لم يكتف بالحديث عن وظيفة الفص الجبهي في المخ (الناصية) عند الإنسان، بل تطرق إلى بيان وظيفة الناصية في مخاخ الحيوانات المختلفة، وقدم صورا للفصوص الجبهية في عدد من الحيوانات قائلا: إن دراسة التشريح المقارن لمخاخ الإنسان والحيوان تدل على تشابه في وظيفة الناصية،

(١) - بينات الرسول ومعجزاته للزنداني ص (٨٠: - ٨٥)

(٢) - البرفسور محمد يوسف سكر: عميد الدراسات العليا بكلية الطب في جامعة الملك عبد العزيز بمكة في حينها وله كتاب باللغة الإنجليزية في وظائف الأعضاء بعد مرجعا في الكليات الأجنبية.

(٣) - كيث إل مور من كبار الأطباء في العالم، تدرس بعض كتبه في كليات الطب بعدة لغات وله مرجع كبير في تشريح المخ. وقد اشترك في تقديم عدة بحوث في الإعجاز الطبي في مؤتمرات الإعجاز العلمي العالمية.

(٤) - يقول الدكتور عبد المجيد الزناداني هذا ما أخبرني أحد علماء جراحة المخ الأمريكيين، والبحث قدم لهبة الإعجاز العلمي في القرآن

(٥) - مؤتمر الإعجاز الطبي في القرآن والسنة في القاهرة عام (١٩٨٥ م) .

فالناصية هي مركز القيادة والتوجيه لسلوك الإنسان وكذلك سلوك الحيوان قال تعالى: {كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية (١٥) ناصية كاذبة خاطئة} [العلق: ١٥ - ١٦] .

المفردات : السفع: هو القبض والجذب، الناصية: هي مقدم الرأس ، ذهب جمهور المفسرين إلى تأويل الآية بأن وصف الناصية بالكذب والخطيئة ليس وصفا لها بل هو وصف لصاحبها (١) ، وأمرها بالباقون كما هي بدون تأويل مثل الحافظ ابن كثير .

يقول البرفسور كيث إل مور مستدلا على هذه المعجزة العلمية: إن المعلومات التي نعرفها عن وظيفة المخ لم تذكر طوال التاريخ، ولا نجد في كتب الطب عنها شيئا؛ فلو جئنا بكتب الطب كلها في عهد النبي ﷺ وبعده بقرون لن نجد ذكرا لوظيفة الفص الجبهي الأمامي (الناصية) ولن نجد له بيانا، ولم يأت الحديث عنه إلا في هذا الكتاب (القرآن الكريم) ، مما يدل على أن هذا من علم الله جل وعلا الذي أحاط بكل شئ علما، ويشهد بأن محمدا رسول الله (٢) ، ولقد كانت بداية معرفة الناس بوظيفة الفص الأمامي الجبهي في عام ١٨٤٢ م، حين أصيب أحد عمال السكك الحديدية في أمريكا بقضيب اخترق جبهته، فأثر ذلك في سلوكه ولم يضر ببقية وظائف الجسم، فبدأت معرفة الأطباء بوظيفة الفص الجبهي للمخ، وعلاقته بسلوك الإنسان ، وكان الأطباء يعتقدون قبل ذلك أن هذا الجزء من المخ الإنساني منطقة صامته لا وظيفة لها. فمن أعلم محمدا بأن هذا الجزء من المخ (الناصية) هو مركز القيادة للإنسان والدواب وأنه مصدر الكذب والخطيئة؟! .

[٣] الجبال أوتاد:

قال تعالى: {ألم نجعل الأرض مهادا (٦) والجبال أوتادا} [النبأ: ٦ - ٧]، تشير الآية إلى أن الجبال أوتاد للأرض، والوتد يكون منه جزء ظاهر على سطح الأرض، ومعظمه غائر فيها، ووظيفته التثبيت لغيره ، بينما نرى علماء الجغرافيا والجيولوجيا يعرفون الجبل بأنه: كتلة من الأرض تبرز فوق ما يحيط بها، وهو أعلى من التل (٣).

يقول د. زغلول النجار: إن جميع التعريفات الحالية للجبال تنحصر في الشكل الخارجي لهذه التضاريس، دون أدنى إشارة لامتداداتها تحت السطح، والتي ثبت أخيرا أنها تزيد على الارتفاع الظاهر بعدة مرات، ثم يقول: ولم تكتشف هذه الحقيقة إلا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر عندما تقدم السير جورج ايري بنظرية مفادها أن القشرة الأرضية لا تمثل أساسا مناسباً للجبال التي تعلوها، وافترض أن القشرة الأرضية وما عليها من جبال لا تمثل إلا جزءاً طافيا على بحر من الصخور الكثيفة المرنة، وبالتالي فلا بد أن يكون للجبال جذور ممتدة داخل تلك المنطقة العالية الكثافة لضمان ثباتها واستقرارها (٤).

(١) - فتح القدير للشوكاني، الطبري، روح المعاني، الخازن. لسان العرب، روح المعاني للألوسي .

(٢) - من بحث ألقاه في المؤتمر العالمي عن الإعجاز الطبي في القرآن والسنة، الذي عقد بالقاهرة عام ١٩٨٥ م.

(٣) - Websters Seventh New Collegiate Dictionary

(٤) - الفكرة الجيولوجية عن الجبال في القرآن/ الدكتور زغلول النجار ص ٣ (بالإنجليزية) ، ١٩٩٢ إصدارات هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة/ رابطة العالم الإسلامي/ مكة.

وقد أصبحت نظرية ايري حقيقة ملموسة مع تقدم المعرفة بتركيب الأرض الداخلي عن طريق القياسات الزلزالية، فقد أصبح معلوماً - على وجه القطع - أن للجبال جذورا مغروسة في الأعماق ويمكن أن تصل إلى ما يعادل ١٥ مرة من ارتفاعاتها فوق سطح الأرض، وأن للجبال دورا كبيرا في إيقاف الحركة الأفقية الفجائية لصفائح طبقة الأرض الصخرية. هذا وقد بدأ فهم هذا الدور في إطار تكتونية الصفائح منذ أواخر الستينيات. ويعرف الدكتور زغلول الجبال في ضوء المعلومات الحديثة فيقول: إن الجبال ما هي إلا قمم لكتل عظيمة من الصخور تطفو في طبقة أكثر كثافة كما تطفو جبال الجليد في الماء ولقد وصف القرآن الجبال شكلا ووظيفة، فقال تعالى: {والجبال أوتادا} [النبا: ٧]، وقال تعالى: {وألقي في الأرض رواسي أن تميد بكم} [لقمان: ١٠]، وقال تعالى: {وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون} [الأنبياء: ٣١]، والجبال أوتاد بالنسبة لسطح الأرض، فكما يختفي معظم الوتد في الأرض للتثبيت، كذلك يختفي معظم الجبل في الأرض لتثبيت قشرة الأرض، وكما تثبت السفن بمراسيها التي تغوص في ماء سائل، فكذلك تثبت قشرة الأرض بمراسيها الجبلية التي تمتد جذورها في طبقة لزجة "منطقة الوشاح" نصف سائلة تطفو عليها القشرة الأرضية، ولقد تنبه المفسرون إلى هذه المعاني فأوردوها في تفسيرهم لقوله تعالى: والجبال أوتادا واليك أمثلة من ذلك:

- [١] قال ابن الجوزي: والجبال أوتادا للأرض لثلاث تميد (١).
- [٢] وقال الزمخشري: والجبال أوتادا أي أرسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالأوتاد(٢).
- [٣] وقال القرطبي: والجبال أوتادا أي لتسكن ولا تتكفأ بأهلها (٣).
- [٤] وقال أبو حيان: والجبال أوتادا أي ثبتنا الأرض بالجبال كما يثبت البيت بالأوتاد(٤).
- [٥] وقال الشوكاني: والجبال أوتادا الأوتاد جمع وتد أي جعلنا الجبال أوتادا للأرض لتسكن ولا تتحرك كما يرسى البيت بالأوتاد (٥).

عندما خلق الله القارات بدأت في شكل قشرة صلبة رقيقة تطفو على مادة الصهير الصخري، فأخذت تميد وتضطرب، فخلق الله الجبال البركانية التي كانت تخرج من تحت تلك القشرة، فترمي بالصخور خارج سطح الأرض، ثم تعود منحذبة إلى الأرض وتتراكم بعضها فوق بعض مكونة الجبال، وتضغط بأثقالها المتراكمة على الطبقة اللزجة فتغرس فيها جذرا من مادة الجبل، الذي يكون سببا لثبات القشرة الأرضية واتزانها.

وفي قوله تعالى: {وألقي في الأرض رواسي} [لقمان: ١٠] إشارة إلى الطريقة التي تكونت بها الجبال البركانية بإلقاء مادتها من باطن الأرض إلى الأعلى ثم عودتها لتستقر على سطح الأرض، ويجلي حديث الرسول

(١) - زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ٥٥٣) دار الكتاب العربي بيروت ط ١/ ١٤٢٢
(٢) - تفسير الزمخشري (٤/ ٦٨٥) دار الكتاب العربي بيروت ط ٣/ ١٤٠٧
(٣) - تفسير القرطبي (١٩/ ١٧١) دار الكاب المصرية ط ٢/ ١٩٦٢
(٤) - البحر المحيط في التفسير لابن حيان (١٠/ ٣٨٤) دار الفكر بيروت ١٤٢٠
(٥) - فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٣٩) دار ابن كثير دمشق ط ١/ ١٤١٤

هذه الكيفية، فقد روى أنس بن مالك : عن النبي ﷺ أنه قال: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فعاد بها عليها...» (١) ، فتأمل في قول النبي ﷺ المبين لكيفية خلق الجبال: " فعاد بها عليها"، أي أن خلقها كان بخروجها من الأرض وعودتها عليها.

فمن أخبر محمدا بهذه الحقيقة الغائبة في باطن القشرة الأرضية وما تحتها على أعماق بعيدة تصل إلى عشرات الكيلومترات، قبل معرفة الناس لها بثلاثة عشر قرنا؟! ومن أخبر محمدا بوظيفة الجبال، وأنها تقوم بعمل الأوتاد والمراسي، وهي الحقيقة التي لم يعرفها الإنسان إلا بعد عام ١٩٦٠ م؟ وهل شهد الرسول ﷺ خلق الأرض وهي تميد؟ وتكوين الجبال البركانية عن طريق الإلقاء من باطن الأرض وإعادةها عليها لتستقر الأرض؟! (٢)

[٤] فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا:

قدر الله سبحانه وتعالى أن تعتمد النباتات وكذا الإنسان والحيوانات في غذائها على ما ينتجه النبات في مصانعه الخضراء ، وهذه المصانع الخضراء يخرجها النبات بأمر ربه عند بداية نموه وتسمى في كتب العلوم النباتية " البلاستيدات الخضراء" والتي تحتوي على الكلوروفيل الذي عبر عنه القرآن بالخضر « لفظه الخضر تدل على ما كانت خضرته خلقية.» ، حيث يقوم بالاستفادة من الطاقة الضوئية ويحولها إلى طاقة كيميائية ينتج عنها تكوين الحبوب والثمار المختلفة وسائر أجزاء النبات التي نراها في الحدائق والبساتين ، ويدلنا القرآن على هذه الحقائق في قوله تعالى: { وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون } [الأنعام: ٩٩] .

التفسير والمعنى اللغوي: وهو الذي أنزل من السماء ماء: أي المطر، فأخرجنا به نبات كل شيء: أي فأخرجنا بالمطر كل صنف من النبات ، فأخرجنا منه: أي من الماء وقيل من النبات ، خضرا: أي شيئا غضا أخضر ، نخرج منه: أي من الخضر ، حبا متراكبا: أي بعضه على بعض، ومن النخل من طلعها : الطلع: غلاف يشبه الكوز يفتح عن حب منضود فيه مادة إخصاب النخلة ، قنوان: جمع قنو وهو العذق الذي هو عنقود النخل ، وجنات من أعناب: أي وأخرجنا جنات من أعناب ، الزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه: متشابهها ورقها مختلفا ثمرها ، وقيل متشابه في المنظر، مختلف في الطعام ، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه: أي انظروا بأعينكم نظر اعتبار لا نظر الإبصار المجرد عن التفكير، ونبه على حالين: بالابتداء وهو وقت ابتداء الإثمار، والانتهاء وهو وقت نضجه، أي كيف يخرج ضئيلا لا يكاد ينتفع به وكيف يعود نضيجا مشتملا على منافع ، والثمر في اللغة: جنى الشجر ، وينعه: نضجه، يقال: ينع وأينع إذا نضج (٣).

(١) - أخرجه الترمذي في آخر كتاب التفسير من سننه واللفظ له، وقال حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه (تحقيق أحمد شاكر وآخريين) وأخرجه أحمد في مسنده ٣/ ١٢٤، وأبو يعلى في مسنده ٧/ ٦٨٢، وأوجه الإعجاز:

(٢) - نبات الرسول ومعجزاته للزنداني ص ٩٨ .

(٣) - انظر البحر المحيط، البيضاوي، البغوي، الجلالين، القاسمي، وانظر للمعجم الوسيط ومختار الصحاح وفيه: قال الأخفش خضرا: يراد به الأخضر. أي المادة ذات اللون الأخضر. البيضاوي، الجلالين، الخازن، الكشاف، البحر المحيط، الطبري، القاسمي.

إذا فهذه المصانع الخضراء تخرج من النبات عند بدء نموه، والنبات يخرج الماء من بذوره وأصوله. فالله سبحانه وتعالى أنزل من السماء ماء، فأخرج به نبات كل شيء، وأخرج من النبات هذه المصانع الخضراء التي منها تخرج المواد الغذائية التي تتكون منها الحبوب والثمار بل وسائر أجزاء النبات ، لكن هذه الحقيقة جهلتها البشرية، ولم تعرفها إلا بعد بحث استغرق ثلاثمائة عام، بداية من عام ١٦٠٠ م، حيث أجرى علماء فسيولوجيا النبات "علم وظائف الأعضاء" أبحاثا وتجارب كثيرة لمعرفة عملية البناء الضوئي.

ففي عام ١٨٠٤ م نشر "دي سواسير" أن هناك نوعين من التبادل الغازي، أحدهما يحدث في الضوء والآخر في الظلام، وأن الأجزاء الخضراء هي التي تمتص ثاني أكسيد الكربون وتطلق الأوكسجين في الضوء". واستمرت الاكتشافات المتواصلة في هذا المجال ، وفي عام ١٩٤٢ م قال "ماير": إن المصدر النهائي للطاقة المستخدمة في كل من النبات والحيوان هي الشمس وإن الطاقة الضوئية عند ما تمتص في النباتات تتحول إلى طاقة كيميائية عن طريق التمثيل الضوئي" ، وقال جلاس ١٩٦١ م إن المركبات الأكثر أهمية في تحويل الطاقة الضوئية إلى طاقة كيميائية في النبات هي الصبغات التي توجد داخل البلاستيدات الخضراء" أو حاملات الصبغات" ، ويبدأ النبات عملية التمثيل الضوئي من خلال هذه المكونات والعضيات ، وينشأ من ذلك كله خلق المواد الكربوهيدراتية والتي تدخل في عمليات حيوية معقدة ينتج عنها بناء خامات الجدار الخلوي والأحماض النووية والبروتينات والدهون والمركبات النباتية والصبغات (١) ... الخ.

أوجه الإعجاز:

إن العلماء الباحثين في مجال فسيولوجيا النبات اكتشفوا أن المادة الخضراء "الخضراء" هي التي تقوم بامتصاص الطاقة الضوئية، وتحويلها إلى طاقة كيميائية ينتج عنها تكوين الثمار المختلفة ، وكان هذا الاكتشاف بعد دراسات متواصلة، وتجارب متنوعة استغرقت قرنا ثلاثة امتدت إلى القرن العشرين، إن هذه العملية في تكوين الحبوب والثمار والأشجار كانت سرا مجهولا يختفي في أعماق الثيلاكويد داخل البلاستيدة الخضراء التي لا ترى بالعين المجردة، عرفها علماء النبات بعد سلسلة طويلة من البحوث والدراسات المتواصلة التي تجند لها العلماء طوال بضعة قرون، وبعد أن توافرت لهم وسائل البحث العلمي الدقيقة قرروا في نهاية المطاف:

أن في النبات مادة خضراء، وأن هذه المادة الخضراء تخرج المواد الكربوهيدراتية التي هي أساس لتكوين جميع المواد المكونة للثمار والأشجار والزرع ، وهذا ما قرره القرآن الكريم قبل ألف وأربعمائة عام، على لسان نبي أمي، عاش في بيئة صحراوية، وفي أمة أمية وفي عصر لم تتوفر فيه آلات البحث العلمي.

ولقد كان بالإمكان أن تغافل الآية الكريمة ذكر المادة الخضراء ولن يعترض أحد على ذلك الإغفال إلا من يعلم الدور الأساس لتلك المادة، غير أن ذكرها يدل على علم القائل بأنها صاحبة الدور الرئيس في تكوين وإنتاج الحبوب والثمار وسائر الأشجار والزرع. ومن عظمة القرآن الكريم أن يذكر الحقيقة وأن يأخذ بأيدي الناس للوقوف على أول الطريق لمن أراد معرفة السر فيقول: انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه، فهو يوجه النظر إلى

بداية تكون الثمرة وعلاقتها بالإيناع الذي يتوقف عنده إنتاج تلك الثمار بسبب اصفرار أوراق بعض النباتات وموت خلاياها.

فمن أخبر محمدا ﷺ بهذه الحقيقة؟، وهو النبي الأمي الذي عاش في تلك البيئة الأمية، وفي زمان لم توجد فيه أبسط الأجهزة فضلا عن امتلاك ما تتطلبه معرفة هذه الحقائق من الأجهزة المتطورة ومراكز ومعامل الأبحاث في مجال فسيولوجيا النبات ، إن اشتمال القرآن على هذه المعلومات النباتية الدقيقة يشهد أنه من عند الله القائل: { لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا } النساء: ١٦٦ (١).

[٥] وأنزلنا الحديد: قال تعالى: { وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس } [الحديد: ٢٥] ، تتحدث هذه الآية عن وجود الحديد في الأرض وأنه وجد فيها بعملية إنزال من السماء، وهذا يسوقنا إلى دراسة كيفية تكوين الحديد في الكون.

وقد درس العلماء المتخصصون هذا الأمر فوجدوا أن ٩٨ من الكون يتكون من الهيدروجين والهليوم، وهما أخف العناصر ، وأن ال ٢ الباقية تشكل العناصر الأثقل وعددها مائة وخمسة عناصر، مما حمل الدارسين على استنباط حقيقة تكون المواد الأثقل وزنا ذريا من المواد الأخف، وأن ذلك يتم عن طريق الاندماج النووي (٢) الذي تصحبه طاقة هائلة، ووجد الباحثون أن هناك نجوما تصل درجة حرارتها من ٣٠٠ ألف مليون درجة إلى ٤٠٠ ألف مليون درجة مئوية تسمح بأن يتكون الحديد بداخلها بينما لا تزيد درجة حرارة الشمس عن ٦٠٠ ألف درجة عن سطحها و ٢٠ مليون في باطنها.. فإذا وصلت كمية الحديد إلى ٥٠ من كتلة النجم وأصبح قلب النجم كله حديدا تتوقف العملية بالكامل وعندئذ ينفجر النجم، وإذا انفجر تناثرت أشلاؤه في صفحة الكون ودخلت بقدر الله في مجال جاذبية أجرام سماوية أخرى تحتاج إلى هذا الحديد، ونرى ذلك يحدث الآن كما نرى نيازك حديدية تصل إلى الأرض مثل ما حدث في جنوب السودان حين نزل في مدينة جوبا نيزك كتلته (٩٠ طنا) . وأغلب النيزك يحترق باحتكاكه بالغللاف الغازي، ووصول (٩٠ طنا) من الحديد الصافي يعني أن كتلة هذا النيزك كانت أكبر من ذلك بأضعاف كثيرة.

ونحن نرى النيازك الحديدية تصل إلى الأرض وتصل إلى القمر وإلى المجموعات الأخرى، مما دفع العلماء إلى تصور أن الأرض حينما انفصلت عن الشمس لم تكن سوى كومة من الرماد ، ويقول المختصون إن الأرض تشكلت قبل أربعة بلايين ونصف بليون عام، وكانت النيازك والمذنبات تقصفها بشدة وعنف بحيث كانت الحرارة المنبعثة من هذا التصادم والقصف الفائق السرعة كافية لإذابة الكوكب بأكمله، ثم بدأت تبرد بعد ذلك واستمرت تبرد إلى اليوم، وأخذت المواد الأكثر كثافة مثل الحديد والقادمة من تلك النيازك طريقها إلى قلب

(١) - بينات الرسول ومعجزاته للزندان ص ١٠٠ - ١٠٥

(٢) - إن التفاعل الأساسي الذي يولد كميات الطاقة الهائلة التي تشعها الشمس ومعظم النجوم الأخرى سببه الاندماج النووي لعنصر الهيدروجين وتحوله إلى هليوم، الذي تدمج ذراته بدورها مكونة عناصر أثقل وصولا إلى عنصر الحديد.

ومركز الأرض، بينما صعّدت السيليكات الأخف وزنا وكذلك مركبات الأوكسجين الأخرى والماء القادم من المذنبات إلى قرب السطح.

يكون الحديد أكثر من ٣٥ من كتلة الأرض حيث تتكون الأرض من قلب صلب من الحديد ثم يليه قلب منصهر أغلبه من الحديد، ثم أربعة أوشحة متميزة يشكل الحديد فيها نسبة عالية ثم الغلاف الصخري للأرض وفيه نسبة جيدة من الحديد، ويوضح الشكل الآتي تركز المعادن في طبقات الأرض المختلفة ، وقال البرفسور آرمسترونج (١) أحد مشاهير علم الفلك في أمريكا والذي يعمل في وكالة الفضاء الأمريكية ناسا حين سألتناه كيف تكون الحديد: (سأحدثكم كيف تكونت كل العناصر على الأرض. لقد اكتشفناها، بل لقد أقيمت عددا من التجارب لإثبات ما أقول لكم. إن العناصر المختلفة تجتمع فيها الجسيمات المختلفة من إلكترونات وبروتونات وغيرها، لكي تتحد هذه الجسيمات في ذرة كل عنصر تحتاج إلى طاقة. وعند حسابنا للطاقة اللازمة لتكوين ذرة الحديد وجدنا أن الطاقة اللازمة يجب أن تكون كطاقة المجموعة الشمسية أربع مرات، ولذلك يعتقد العلماء أن الحديد عنصر غريب وفد إلى الأرض ولم يتكون فيها ، وعند سؤاله متى اكتشف العلماء التجريبيون حقيقة إنزال الحديد إلى الأرض؟ قال: (بأنها لم تعرف عن العلماء التجريبيين إلا في الربع الأخير من القرن العشرين وأنه لم يشر أحد من العلماء المتخصصين والباحثين إلى شيء من ذلك، ولم تشر كتب العلم التجريبي إلى هذه الحقيقة قبل هذا التاريخ) .

إن علماء الفيزياء قد تمكنوا من أن يوجدوا عناصر أثقل من عناصر أخف (٢) واستطاعوا أن يحسبوا الطاقة اللازمة لتكوين كل عنصر من هذه العناصر وقد وجدوا أن الطاقة اللازمة لتكوين ذرة واحدة من الحديد تحتاج إلى أربعة أضعاف الطاقة الموجودة في المجموعة الشمسية مما جعلهم يجزمون بأن الحديد لا يمكن أن يكون قد خلق في الأرض أو في المجموعة الشمسية بل لابد أن يكون قد خلق في نجم خارج المجموعة الشمسية ونزل إلى الأرض في صورة حديد.

أقوال المفسرين: لقد انقسم المفسرون في تفسير هذه الآية إلى فريقين:

فمنهم من فسر اللفظ على ظاهره فقالوا: وأنزلنا الحديد بمعنى أن الله أنزل الحديد كما أنزل آدم من السماء إلى الأرض، وهو قول ابن عباس وعكرمة وإليه ذهب الطبري والقرطبي والواحدي ، ومنهم من اضطر إلى تأويل اللفظ عن ظاهره لاستبعاد إمكانية تصور نزول الحديد إلى الأرض من السماء ولما يشاهدونه في أزمتهم وبيئاتهم من استخراج الحديد من باطن الأرض فقالوا: وأنزلنا الحديد بمعنى أنشأناه وخلقناه وهو قول الحسن وإليه ذهب ابن كثير والثعالبي والشوكاني ، ونرى من أقوالهم أنهم أولوا لفظ أنزلنا إلى خلقنا وجعلنا، وفرق بين الإنزال والخلق والجعل لكنها المعارف البشرية المحدودة في تلك الأزمنة التي كانت تحمل المفسرين على صرف اللفظ عن ظاهره.

وجه الإعجاز:

١ - انظر كتاب إنه الحق، الشيخ عبد الحميد الزبداني، ص ٦٧ - مطابع المحرابي. وبيانات الرسول ومعجزاته له ص ١٠٨
(٢) - « وأن وراء كل اكتشاف من هذه الاكتشافات جائزة نوبل.»

لم يتمكن الإنسان من معرفة حقيقة أن الحديد نزل من السماء إلى الأرض إلا بعد أن امتلك من الوسائل العلمية ما تمكن به من معرفة ما جرى ويجري في أعماق النجوم البعيدة لتكوين مادة الحديد، وبعد أن تمكن من تحويل بعض العناصر الخفيفة إلى عناصر ثقيلة وحساب ما يحتاج إليه ذلك من طاقة، وعجزه عن تكوين مادة الحديد من مواد أخف منه؛ إذ يتطلب ذلك طاقة تساوى أربعة أضعاف طاقة المجموعة الشمسية، كما أن استخراج البشر للحديد من مناجمه في باطن الأرض جعلهم لا يتوقعون أن يكون الحديد قد نزل من السماء إلى الأرض وحملهم على الاعتقاد بأنه خلق مع سائر العناصر الأرضية. لذلك خلت العلوم التجريبية من أي إشارة إلى هذه الحقيقة قبل الربع الأخير من القرن العشرين.

وكذلك اضطر كثير من المفسرين إلى تأويل اللفظ القرآني وأنزلنا الحديد إلى معنى لا يحتمله اللفظ بما فيهم مفسرون معاصرون عاشوا في القرن العشرين، فمن أخبر محمدا ﷺ بهذه الحقيقة التي لم تعرفها البشرية إلا في الربع الأخير من القرن العشرين، والتي خفيت عن كل البشر حتى هذا التاريخ، من؟!، إلا الذي أنزل الحديد وأنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرا، القائل: { لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز } [الحديد: ٢٥]. أشكل على بعض العلماء قوله تعالى: وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج فلم يتصوروا إمكانية نزول الأنعام من السماء وقد دلت الكثير من البحوث المتعلقة بالحياة على عجز علماء الحياة أن يخلقوا مادة حية من مكونات الأرض ففروا أن الحياة قد جاءت من خارج الأرض وقد قرر القرآن أن آدم نزل من الجنة إلى الأرض فما الذي يمنع أن يكون الله قد أنزل هذه الحيوانات من مكان في السماء إلى الأرض بطريقة يعلمها الله (١).

[٦] أو كظلمات في بحر لجي:

كانت البحار عالما مجهولا إلى القرن الثامن عشر الميلادي، كما كانت الخرافات والأساطير المتعلقة بالبحار تسود الحضارات القديمة، وكان الرومان يعتقدون بأن قمم الأمواج جياذ بيضاء تجر عربة الإله (نبتون)، بزعمهم، وكانوا يقومون بالطقوس والاحتفالات لإرضاء هذه الآلهة، وكانوا يعتقدون بوجود أسماك مصاصة لها تأثيرات سحرية على إيقاف السفن، وكان لليونانيين مثل هذه الاعتقادات كما كان بحارتهم يعزون سبب الدوامات البحرية إلى وجود وحش يسمونه كاربيدس يمتص الماء ثم يقذفه، ولم يكن بمقدور الإنسان معرفة أعماق الشواطئ الضحلة والمياه الراكدة، ناهيك عن معرفة البحار العميقة والحركات الداخلية في هذه المياه، كما لم يكن بإمكان الإنسان الغوص في هذه الشواطئ إلا في حدود عشرين مترا ولثواني معدودة ليعاود التنفس من الهواء الجوي، وحتى بعد ابتكار أجهزة التنفس للغواصين لم يتمكن الإنسان من الغوص أكثر من ثلاثين مترا نظرا لازدياد ضغط الماء على جسم الغواص مع زيادة العمق والذي يعادل عند عمق ثلاثين مترا أربعة أضعاف

(١) - أشكل على بعض العلماء قوله تعالى: وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج فلم يتصوروا إمكانية نزول الأنعام من السماء وقد دلت الكثير من البحوث المتعلقة بالحياة على عجز علماء الحياة أن يخلقوا مادة حية من مكونات الأرض ففروا أن الحياة قد جاءت من خارج الأرض وقد قرر القرآن أن آدم نزل من الجنة إلى الأرض فما الذي يمنع أن يكون الله قد أنزل هذه الحيوانات من مكان في السماء إلى الأرض بطريقة يعلمها الله، أو إنزال الشيفرة فقط إلى الأرض راجع الزناداني بينات الرسول ومعجزاته ص ١١١

الضغط الجوي على سطح الأرض، وعندئذ يذوب غاز النتروجين في دم الغواص ويؤثر على عمل مخه فيفقدته السيطرة على حركاته ، ويصاب الغواصون نتيجة لذلك بأمراض تعرف في الطب بأمراض الغواصين، أما إذا نزل الغواص إلى أعماق بعيدة فإن ضغط الماء يكفي لهرس جسمه .

لم تبدأ الدراسات المتصلة بعلوم البحار وأعماقها على وجه التحديد إلا في بداية القرن الثامن عشر عند ما توفرت الأجهزة المناسبة والتقنيات وصولاً إلى ابتكار الغواصات المتطورة ، وبعد عام ١٩٥٨ م أي بعد ثلاثة قرون من البحوث والدراسات العلمية وعلى أيدي أجيال متعاقبة من علماء البحار توصل الإنسان إلى حقائق مدهشة (١) منها:

[١] ينقسم البحر إلى قسمين كبيرين : (أ) البحر السطحي الذي تتخلله طاقة الشمس وأشعتها. .. (ب) البحر العميق الذي تتلاشى فيه طاقة الشمس وأشعتها.

[٢] يختلف البحر العميق عن البحر السطحي في الحرارة والكثافة والضغط ودرجة الإضاءة الشمسية، والكائنات التي تعيش في كل منهما ويفصل بينهما موج داخلي.

[٣] الأمواج البحرية الداخلية: تغطي الأمواج الداخلية البحر العميق وتمثل حداً فاصلاً بين البحر العميق والبحر السطحي، كما يغطي الموج السطحي سطح البحر ويمثل حداً فاصلاً بين الماء والهواء ولم تكتشف الأمواج الداخلية إلا في عام ١٩٠٤ م ، ويتراوح طول الأمواج الداخلية ما بين عشرات إلى مئات الكيلومترات كما يتراوح ارتفاع معدل هذه الأمواج ما بين ١٠ إلى ١٠٠ متر تقريباً.

[٤] اشتداد الظلام في البحر العميق مع ازدياد عمق البحر حتى يسيطر الظلام الدامس الذي يبدأ من عمق (٢٠٠ متر) تقريباً ويبدأ عند هذا العمق المنحدر الحراري الذي يفصل بين المياه السطحية الدافئة ومياه الأعماق الباردة، كما توجد فيه الأمواج الداخلية التي تغطي المياه الباردة في أعماق البحر، وينعدم الضوء تماماً على عمق ١٠٠٠ متر تقريباً.

أما البحار العميقة فالضياء منعدم فيها، والظلمات متراكمة، وتعتمد الكائنات الحية والأسماك التي تعيش فيها على الطاقة الكيميائية لتوليد الضوء الذي تستشعر به طريقها، وهناك أنواع منها عمياء تستخدم وسائل أخرى غير الرؤية لتلمس ما حولها ، كما أن أغلب تركيب الأسماك في الأعماق يتكون من الماء لمواجهة الضغوط الهائلة.

اكتشف العلم التجريبي في فترة طويلة، خلال القرون الثلاثة الماضية، وبعد توفر الأجهزة الدقيقة، وبتضافر جهود أعداد كبيرة من الباحثين وعلماء البحار، الحقائق الآتية : وجود ظلمات في البحار العميقة ، وأن هذه الظلمات بعضها فوق بعض ، تزداد هذه الظلمات بالتدرج مع زيادة العمق حتى تنعدم الرؤية تماماً ،

وجود أمواج داخلية تغشى البحر العميق ، تعمل الأمواج الداخلية بما عليها من الكائنات الهائمة على حجب الضوء ، الظلمات المتراكمة في البحار العميقة بسبب الحوائل الثلاثة: السحاب، الموج السطحي، الموج العميق.

وصف القرآن لهذه الأسرار والحقائق البحرية:

قال تعالى: { أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور } [النور: ٤٠] ، فأثبت القرآن وجود ظلمات في البحر العميق، وقيد وصف البحر بلفظ لحي ليعلم قارئ القرآن أن هذه الظلمات لا تكون إلا في بحر لحي أي عميق، أو كظلمات في بحر لحي ويخرج بهذا القيد البحر السطحي الذي لا توجد فيه هذه الظلمات ، كما بيّن أهل اللغة والتفسير معنى لفظ لحي كما الجلالين و الزمخشري والطبري و البشري ، وهذه الظلمات تتكون بسبب العمق في البحر اللحي، وهي ظلمات الأعماق التي سبق الإشارة إليها. قال تعالى: أو كظلمات في بحر لحي.

قال الزمخشري: (بظلمات متراكمة من لبحر والأمواج والسحاب) ، وقال الخازن: أو كظلمات في بحر لحي أي عميق كثير الماء ... معناه أن البحر اللحي يكون قعره مظلمًا جدًا بسبب غمورة الماء) ، وذكر القرآن أن للبحر العميق موج يغشاه من أعلاه. قال تعالى: { أو كظلمات في بحر لحي يغشاه موج } ، وذكرت الآية وجود موج آخر فوق الموج الأول، قال تعالى: { يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب } وهذه صفة للبحر وهي: وجود موجين في وقت واحد أحدهما فوق الآخر، وليست أمواجًا متتابعة على مكان واحد بل هي موجودة في وقت واحد، والموج الثاني فوق الموج الأول.

وتشير الآية إلى أن فوقية الموج الثاني على الموج الأول كفوقية السحاب على الموج الثاني. قال تعالى: { يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات... } وذكرت الآية وجود موج يغشى البحر العميق ويغطيه كما ذكرت وجود موج ثان فوق الموج الأول، وهذا يستلزم وجود بحر فوق (الموج الأول والبحر العميق) وهو البحر السطحي الذي يغشاه الموج الثاني الذي فوقه السحاب ، وأثبت القرآن دور هذه الحوائل الثلاثة في تكوين الظلمات في البحار العميقة، وأن بعضها فوق بعض كما قال تعالى: { يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض } [النور: ٤٠] وهو ما فهمه بعض المفسرين:

قال الإمام البغوي في تفسيره لهذه الآية: " ظلمة الموج الأول على ظلمة البحر، وظلمة الموج الثاني فوق الموج الأول وظلمة السحاب على ظلمة الموج الثاني" ، وقال الإمام ابن الجوزي في تفسيره: " ظلمات يعني ظلمة البحر وظلمة الموج الأول، وظلمة الموج الذي فوق الموج، وظلمة السحاب".

وجه الإعجاز:

لقد ذكر القرآن الكريم معلومات دقيقة عن وجود ظلمات في البحار العميقة وأشار إلى سبب تكوينها، ووصفها بأن بعضها فوق بعض، ولم يتمكن الإنسان من معرفة هذه الظلمات إلا بعد عام ١٩٣٠ م. وأخبر القرآن عن وجود موج داخلي في البحار لم يعرفه الإنسان إلا بعد عام ١٩٠٠ م، كما أخبر بأن هذا الموج

الداخلي يغطي البحر العميق، الأمر الذي لم يعرف إلا بعد صناعة الغواصات بعد الثلاثينيات من القرن العشرين، كما أخبر القرآن عن دور الموج السطحي، والموج الداخلي في تكوين ظلمات في البحار العميقة، وهو أمر لم يعرف إلا بعد تقدم العلم في القرون الأخيرة. وما سبق من المعلومات لم يكتشفه الإنسان إلا بعد أن ابتكر أجهزة للبحث العلمي تمكنه من الوصول إلى هذه الأعماق، ودراسة هذه الظواهر، وبعد أن استغرق البحث فترة طويلة امتدت لثلاثة قرون من الزمن، واحتشد لها مئات الباحثين والدارسين حتى تمكنوا من معرفة تلك الحقائق. فمن أخبر محمدا ﷺ بهذه الأسرار في أعماق البحار في وقت كانت وسائل البحث العلمي فيه معدومة، والخرافة والأسطورة هي الغالبة على سكان الأرض في ذلك الزمان، وبخاصة في مجال البحار؟! ، كيف جاءه هذا العلم الدقيق بهذه الأسرار، وهو الرجل الأمي في أمة أمية وبيئة صحراوية، ولم يتيسر له ركوب البحر طوال حياته؟.

يقول الشيخ الزنداني حين عرضت هذه الحقائق على البرفسور (راو) وسئل عن تفسيره لظاهرة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وكيف أخبر محمد بهذه الحقائق منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام أجاب: (من الصعب أن نفترض أن هذا النوع من المعرفة العلمية كان موجودا في ذلك الوقت منذ ألف وأربعمائة عام، ولكن بعض الأشياء تتناول فكرة عامة ولكن وصف هذه الأشياء بتفصيل كبير أمر صعب جدا، ولذلك فمن المؤكد أن هذا ليس علما بشريا بسيطا. لا يستطيع الإنسان العادي أن يشرح هذه الظواهر بذلك القدر من التفصيل ولذلك فقد فكرت في قوة خارقة للطبيعة خارج الإنسان، لقد جاءت المعلومات من مصدر خارق للطبيعة) ، إنه لدليل قاطع على أن هذا العلم الذي حملته هذه الآية قد أنزله الله الذي يعلم السر في السموات والأرض، كما قال تعالى: { قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيفا } [الفرقان: ٦] ، وكما قال تعالى: { لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا } [النساء: ١٦٦] والقائل: { سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد } [فصلت: ٥٣] (١).

[٧] فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت:

قال تعالى: { وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج } [الحج: ٥] ، وقال تعالى: { ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير } [فصلت: ٣٩] . بين الله تبارك وتعالى في هاتين الآيتين أثر الماء وأهميته، لحياة الأرض وإنباتها من كل زوج بهيج، وسنبين وجه الإعجاز في ربط القرآن الكريم بين نزول الماء واهتزاز التربة، وربوها، وإنباتها من كل زوج بهيج، فالماء مذيب عام للمعادن التي تحتويها التربة، ووسط تدخل من خلاله المواد المذابة إلى النبات وتتحرك خلال أنسجته.

أولاً: الاهتزاز: إذا نزل ماء المطر على التربة يحدث فيها الاهتزاز الدقيق الذي أشار إليه القرآن بقوله: {فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت} ، وذلك بسبب ما يأتي:

(أ) تساقط قطرات المطر على حبيبات التربة، فتنشأ فيها حركة آلية .

(ب) حركة جزئيات الماء " الحركة البراونية" إذ أن حبيبات التربة الموجودة في الوسط المائي تهتز بسبب حركة جزئيات الماء، وهذا الاهتزاز عملية خفية لا يمكن مشاهدتها بالعين المجردة، وعلى الرغم من أن الميكروسكوب اخترع عام ١٥٩٠ م فإن ظاهرة اهتزاز الجزئيات في الوسط المائي لم تشاهد إلا في عام ١٨٢٧ م على يد عالم النبات الاسكتلندي روبرت براون، وكان يعتقد في بداية الأمر أن الحركة الاهتزازية الذبذبية مقتصرة على حبوب اللقاح الحية في النبات إذا وضعت في وسط مائي، ثم وجد بعد ذلك أن هذه الحركة نفسها تحصل لحبوب اللقاح الميتة. ومع تقدم العلم ثبت أن هذه الاهتزازات تحصل للحسيمات الدقيقة العالقة في الماء ولو كانت حسيمات من الزجاج أو الجرانيت أو الدخان أو غيرها كحبيبات التربة، وأنها تحصل بسبب اهتزاز جزئيات الماء (ج) طرد الماء للهواء الموجود في الفراغات بين تلك الحبيبات، فيحدث اهتزازا في حبيبات التربة، وكلما كانت الحبيبات دقيقة كانت الفراغات بينها أدق تعجز العين المجردة عن إدراكها وإدراك حركة الماء خلالها وما يحدثه الماء من اهتزاز لتلك الحبيبات.

(د) ظهور الشحنة الكهربائية على سطوح الحبيبات بسبب نزول المطر والذي يسبب عدم استقرارها، وحدثت حركات اهتزازية لا يمكن سكونها إلا بعد تعادل هذه الشحنات بأخرى.

ثانياً: الربو: فعند ما تهتز الصفائح الصغيرة الرقيقة المكونة لحبيبات التربة فإنها تتيح ، الفرصة لدخول الماء وأيونات العناصر الذائبة فيه إلى الشقوق المسطحة بين الصفائح الرقيقة فتتباعد الصفائح وتربو الحبيبات وتنتفخ (١) بسبب خزن الماء بين صفائح الحبيبات. كما تحاط الحبيبة بأغلفة مائية ممسوكة بقوى الجذب "الكهرباء الساكنة وهكذا تمتلئ الفراغات بين الحبيبات وبهذا تصبح حبيبات التربة خزانات مائية صغيرة تكون سببا في انتفاخ التربة (٢) وزيادة حجمها وإمداد جذور النباتات بالماء بعد انقطاع المطر.

ثالثاً: إنبات النبات: وينزل ماء المطر وخزونه بين صفائح حبيبات التربة وعلى أسطح الحبيبات نفسها يستفيد النبات من ذلك الماء خلال الفترة التي تلي نزول المطر فتبدأ البذور الجافة الموجودة في التربة بامتصاص الماء والمواد المعدنية من الوسط المحيط بها وتتحرك العمليات الكيميائية الحيوية في البذور فتنبت وتنمو الدرنات والأبصال وتصبح مساحة سطحية كبيرة من الشعيرات الجذرية للنباتات معرضة لمحلول التربة مما يسهل عليها عملية امتصاص الماء والعناصر الغذائية ، كما تنشط ملايين الكائنات الحية الموجودة في التربة، فالفطريات والبكتريا تحول بقايا النباتات والحيوانات إلى مواد معدنية تمتصها النباتات عبر الجذور وتقوم ديدان الأرض بحفر

(١) - راجع كتاب أساسيات فيزياء التربة للدكتور/ دانيال هليل - الطبعة العربية ص ١٠٤ .

(٢) - ينبغي التفريق بين تشبع التربة وانتفاخها فالتشبع يعني امتلاء الفراغات بين حبيبات التربة بالماء وهذا يمكن أن يحصل في وقت قصير أما الانتفاخ فسيه في تغلغل الماء في أجزاء حبيبة التربة المفردة وهذه عملية بطيئة وخاصة في التربة الطينية الأمر الذي يتطلب غمر بعض أنواع التربة بالماء مدة طويلة لتنتفخ. انظر الموقع:

.How to run a percolation test University of WWW.extension.umn.deu.Minnesota 1992

الأفناق عبر التربة مفسحة المجال لدخول الهواء والماء خلال التربة فتصبح الأرض مخضرة بإنباتها من كل زوج بهيج.

وقد وصف القرآن هذه الحركة الدقيقة لحبيبات التربة والتي لم تشاهد إلا بالمجهر كما وصف ما يحدث من نمو (ربو) لحبيبات التربة الصغيرة بسبب دخول الماء بين الصفائح المكونة لها، ودخوله بين الحبيبات وما ينتج عن ذلك من خزن طويل للماء فيكون سببا لاستمرار إنبات النبات ونموه في وقت انقطاع المطر ، قال تعالى: {وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج} [الحج: ٥] ،

معاني الكلمات (١): أرض هامدة : لا نبات بها والهمود: الموت ، و خاشعة: الخشوع: السكون والتذلل و" خشعت الأرض": ليست لعدم المطر ، والهمود في الأرض: ألا يكون فيها حياة ولا عود ولا نبت ولا أصابها مطر، وترى الأرض هامدة أي جافة ذات تراب ، اهتزت: اهتز الشيء: تحرك، واهتز النبات: نما وتحرك وطال، والهز تحريك الشيء ، وربت الربو: الزيادة والنماء. وربت: انتفخت وعلت.

أقوال المفسرين: ١- هامدة (٢)، (أ) يابسة لا تنبت شيئا . (ب) جافة ذات تراب . (ج) غبراء متهشمة . (د) ميتة .

٢- خاشعة (٣) : (أ) يابسة جدبة. (ب) غبراء متهشمة. (ج) هامدة لا نبات فيها بل هي ميتة .

٣- اهتزت (٤) : (أ) يعني بالنبات لأن النبات لا يخرج منها حتى يزيل بعضها من بعض إزالة خفيفة فسماه اهتزازا مجازا . وقال المبرد: المعنى اهتز نباتها فحذف المضاف . والاهتزاز في النبات أظهر منه في الأرض . (ب) تحركت لإخراج النبات . (ج) اهتزاز الأرض هو حركتها بالنبات وغير ذلك مما يعتريها بالماء ، ونلاحظ من كلام المفسرين أنهم عزوا الاهتزاز للنبات، وأولوا الآية على غير ظاهرها، وقال بعضهم الاهتزاز في النبات أظهر منه في الأرض، وذلك بسبب نقص المعلومات في زمنهم ولأن الاهتزاز على مستوى التربة وحبيباتها خفي لا تراه العيون المجردة مع أن الآية الكريمة صريحة في نسبة الاهتزاز إلى التربة نفسها بعد إنزال الله المطر عليها.

٤- وربت (٥): (أ) انتفخت وزادت ، (ب) ارتعشت قبل أن تنبت. (ج) ارتفعت قبل أن تنبت . (د) انتفخت وعلت لما يتداخلها من الماء ويعلوها من نبات . (هـ) انتفخت وعلت ثم تصدعت عن النبات، اهتزت وربت: تفرق الغيث في سبختها وربوها .

وجه الإعجاز:

-
- (١) - معجم المقائيس في اللغة، تاج العروس، القاموس المحيط.
(٢) - القرطبي ١٣/١٢، ابن كثير ٣/٢٣٤، الألويسي ٩/١١٤.
(٣) - القرطبي ١٥/٣٦٥، الألويسي ١٢/٣٧٧. الطبري ٢٤/١٢٢. ابن كثير ٤/١٠٣.
(٤) - البخاري الجزء الخاص بالتفسير ٤/١٨١٧، القرطبي ١٣/١٢، الصنعاني ٤/٣٨٠، البيضاوي ٤/١١٥، مجاهد ٢/٥٧١، الواحدي ٢/٨٢٨، أبو السعود ٦/٩٥، الدر المنثور ٧/٣٣٠، الطبري ١٧/١١٩، ابن كثير ٣/٢٠٩، الثعالبي ٣/٧٢، القاسمي ١٢/٩، البيهقي ٣/٢٧٥، السنفي ٣/٩٦، زاد المسير ٧/٢٦٠، روح المعاني ٢٤/١٢٦. فتح القدير ٣/٥١٧
(٥) - التبيان في تفسير غيب القرآن ١/٣٠١، البيضاوي ٥/١١٦، القرطبي ١٢/١٣، الصنعاني ٤/٣٨٠، أبو السعود ٦/٩٥ و ٨/١٥، الطبري ٢٤/١٢٢. ابن كثير ٣/٢٠٩، الثعالبي ٣/٧٢، زاد المسير ٥/٤٠٨. روح المعاني ٩/١١٥، القاسمي ٩/١٢.

ذكر القرآن اهتزاز التربة وربوها بعد نزول الماء عليها، وهما عمليتان دقيقتان غير مشاهدتين ولا محسوستين ولا يمكن إدراكهما إلا من خلال استخدام المجهر ، وعملية الاهتزاز والربو لحبيبات التربة يحصل بنزول المطر، وهذا الاهتزاز يمكن الماء بإذن الله من التحلل بين الصفائح المكونة للتربة والفراغات بين الحبيبات، فتنتفخ الحبيبات ويزداد حجمها وتصبح مخازن للماء يستفيد منها النبات. حيث تتشرب البذور الموجودة في التربة الماء وتنبت، وتمتصه الشعيرات الجذرية للنباتات فتتمو برحمة الله ، وتفصيل العلاقة بين اهتزاز حبيبات التربة وربوها وإنبات الأرض خفية لم يدركها الإنسان إلا بعد تقدم علم التربة وتطور أدواته العملية.

فأول ملاحظة للاهتزاز كانت في عام ١٨٢٧ م على الرغم من أن الميكروسكوب الضوئي، وهو الأداة التي لوحظ من خلالها الاهتزاز، قد اخترع عام ١٥٩٠ م، كما أن ميكروسكوب الإلكتروني الماسح والذي يمكن استعماله في فحص الاتحادات البنائية المكونة لحبيبات التربة لم يبتدع إلا في عام ١٩٥٢ م . ويتجلى سبق العلمي للقرآن بصورة أكثر عند ما نستعرض أقوال المفسرين الذين لم تسعفهم علوم عصرهم في فهم ظاهر الآية الكريمة فاضطر أكثرهم إلى تأويلها وحملها على المجاز.

وإخبار القرآن بكل وضوح عن هذه الأسرار دليل على أنه منزل ممن يعلم السر في السموات والأرض القائل: { قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيفا } [الفرقان: ٦] والذي وعدنا في كتابه أنه سيرينا آياته بقوله سبحانه: { وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها } [النمل: ٩٣] (١).

[٨] آية اللبن من بين فرث ودم:

{ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين } [النحل: ٦٦] ، لقد أدرك البشر منذ زمن بعيد العلاقة بين إدرار اللبن وما يتناوله الحيوان من غذاء، وأن الحيوان يهلك إذا ما حرم من الغذاء، ولكنهم لم يعرفوا العملية التي يتم بها تحول هذا الغذاء إلى لبن أو لحم أو عظم أو أي مادة أخرى، جاء العلم الحديث ليبيّن لنا المراحل التي توصلنا إلى تكوين اللبن خالصا سائغا للشاربين فيكشف لنا من آيات الله اللطيف الخبير ما جاء مطابقا لما أخبرنا به القرآن عن أسرار تكون اللبن في بطون الأنعام، ويظهر عظمة إنعام الخالق المنعم على عباده.

لم يتمكن الإنسان من معرفة كيف يتكون اللبن في بطون الأنعام إلا بعد أن تمكن من اكتشاف أسرار الجهاز الهضمي ومعرفة وظائف أعضائه، وبعد اكتشاف الدورة الدموية وعلاقتها بعملية امتصاص المواد الغذائية من الأمعاء ودخولها في الدم، وقد استغرق ذلك فترة من الزمن لتطوير الأجهزة واكتشاف الأسرار استمرت قرابة خمسة قرون.

مراحل تكوين اللبن الخالص السائغ:

يتم تكوين اللبن في الأنعام بالتنسيق المحكم والتدرج الدقيق بين الجهاز الهضمي والجهاز الدوري والجهاز التناسلي عن طريق الغدد اللبنية في الضروع وغيرها من الأجهزة حيث جعل الله لكل جهاز وظيفة وأعمالا

خاصة يقوم بها ليتكون - في نهاية المطاف - اللبن الخالص السائغ للشاربين. ويمكن أن نجمل مراحل تكون اللبن كالتالي:

[١] الهضم: Digestion

يتم الهضم على عدة أشكال فمنه الهضم «الحركي» والهضم الكيماوي والهضم الميكروبي بواسطة (خمائر) الميكروبات الموجودة في كرش الأنعام، تبدأ عملية الهضم في الفم بنوعيتها: الهضم (الحركي) و (الخمائري) حيث يتم تقطيع مواد العلف بالمضغ وخلطها باللعاب الذي يحتوي على أنزيم (الأميليز) الذي يقوم بهضم مبدئي ثم في المعدة المركبة التي تتكون في الحيوانات المجترة من أربع ردهات. « حيث يتم هضم ميكانيكي وميكروبي وكيماوي، ثم يتم اجترار الكتلة الغذائية من الكرش إلى الفم ليعاد مضغها وخلطها باللعاب ثم إعادة بلعها لتعمل عليها بكتريا الكرش فتحلل (السكريات) و (البروتينات) ثم يحدث الهضم (الخمائري) في المعدة الحقيقية (بالبيسين والرنين). وبعمليات الهضم هذه يتحول العلف إلى فرث. و بانتقال الفرث إلى الأمعاء الدقيقة تستمر عملية الهضم فيتعرض الفرث للإنزيمات الهاضمة في الأمعاء والبنكرياس والعصارة الصفراء في الكبد، وبهذا يتم تحليل الأطعمة المحتوية على الجزئيات المعقدة جدا إلى جزئيات بسيطة، فالنشاء والسكريات المعقدة تتحول إلى سكريات بسيطة، والدهون تتحول إلى أحماض دهنية، والبروتينات تتحول إلى أحماض أمينية وبتيدات، أما الفيتامينات والأملاح والماء فلا تحتاج إلى هضم قبل امتصاصها، ويتحول الفرث الصلب بعد هضمه في الأمعاء إلى فرث رائق.

[٢] الإستخلاص من بين الفرث: تقوم الخملات في الأمعاء الدقيقة بامتصاص المواد الغذائية المحللة بعدة طرق، وتصل هذه المواد إلى داخل الأوعية الدموية الصغيرة الواقعة تحت النسيج الطلائي، ومنها إلى الأوعية الدموية الأكبر فتدخل في تيار الدورة الدموية.

[٣] الاستخلاص من بين الدم: ثم يقوم الدم بنقل هذه المواد الغذائية إلى جميع خلايا الجسم والتي منها خلايا الضروع التي يتم فيها امتصاص مكونات الحليب من بين الدم.

[٤] تصنيع اللبن في الضرع: والضرع مدينة صناعية يتكون من فصوص، وكل فص يتكون من عدد من الفصيصات، وكل فصيص يحتوي ما بين ١٥٠ - ٢٢٠ حويصلة مجهرية، والحويصلة المجهرية عبارة عن تركيب يشبه الكيس حيث يصنع اللبن ويفرز. وكل حويصلة تعد وحدة صناعية مستقلة متكونة من تجويف لجمع

معنى الآية عند المفسرين: اختلف المفسرون في معنى الآية الكريمة بسبب اختلافهم في فهم مدلولات بعض الألفاظ فتصور البعض أن عبارة من بين جاءت للتبعيض أي من بعض الفرث (١) (مائي الكرش) أو من بعض الدم، بينما رأى آخرون أنها مكانية أي من مكان بين الدم والفرث - ونجمل فيما يأتي حصيلة ما قاله المفسرون رحمهم الله تعالى.

[١] وردت رواية ضعيفة عن ابن عباس (رضي الله عنهما) مفادها: " أن الدابة تأكل العلف فإذا استقر في كرشها طحنته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما. "، وقد أورد هذا الحديث كثير من المفسرين، منهم البيضاوي والقرطبي وأبو السعود والشوكاني وابن الجوزي في زاد المسير والألوسي في روح المعاني وغيرهم. وقد علق بعض هؤلاء المفسرين على القول المنسوب لابن عباس بعد أن لاحظوا أنه يخالف الواقع المشهود، فقال كل من أبو السعود والبيضاوي والألوسي أن اللبن والدم لا يتكونان في الكرش.

[٢] ذكر بعض المفسرين أن الفرث هو مصدر الدم واللبن أي يخرج الدم من الفرث ويخرج اللبن من الفرث كذلك. قال بهذا البيضاوي عندما أول الكلام المنسوب لابن عباس بقوله: إن صح فالمراد أن أوسطه يكون مادة اللبن وأعلاه مادة الدم؛ لأنهما لا يتكونان في الكرش وقال به الشوكاني في (فتح القدير) .

[٣] وذكر كثير من المفسرين ما يتفق مع جاء به العلم الحديث من أن مكونات اللبن تستخلص من الفرث ثم تستخلص من الدم. وممن قال بذلك القرطبي وأبو السعود وصاحب معاني القرآن، وفي زاد المسير لابن الجوزي في قوله: " الفرث ما في الكرش والمعنى أن اللبن كان طعاما فخلص من ذلك الطعام دم وبقي فرث في الكرش وخلص من ذلك الدم لبنا خالصا سائغا للشاربين.

وهكذا نلاحظ اختلاف المفسرين في هذه المسألة بسبب عدم توافر المعرفة العلمية في زمانهم، ومع ذلك فقد هدى الله تعالى بعض المفسرين إلى الفهم الصحيح لمعنى من بين وأنها تعنى من بعض الفرث، ثم من بعض الدم، على الرغم من عدم معرفتهم للكيفية التي لم يطلع عليها البشر إلا بعد قرون من نزول هذه الآية الكريمة.

[٤] أن لفظ خالصا في الآية دليل آخر على أن مواد اللبن تخلص من بين الدم بعد أن خلصت من الفرث، وقد ألمح إلى هذا المعنى الطبري بقوله: خلص من مخالطة الدم والفرث فلم يختلطا به، إلا أن المفسرين - رحمهم الله - لم يشاروا إلى هذا المعنى الظاهر وإنما اقتصرنا على القول بأن خالصا تعنى أن اللبن لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث كما قاله البيضاوي والبغوي؛ أو حمرة الدم وقذارة الفرث كما قاله القرطبي والشوكاني؛ أو خالصا عن شائبة ما في الدم والفرث من الأوصاف كما قاله أبو السعود وصاحب تفسير الجلالين.

وجه الإعجاز:

ما كان أحد يعلم قبل اكتشاف أجهزة التشريح في القرنين الماضيين أسرار ما يجري في الجهاز الهضمي عند الحيوان والإنسان ووظائف ذلك الجهاز المعقد وعلاقته بالدورة الدموية ومراحل تكون اللبن في بطون الأنعام، فلما تكاملت صناعة الأجهزة والتجارب العلمية عبر قرون عرف الإنسان أن مكونات اللبن تستخلص بعد هضم الطعام من بين الفرث (الكرش) وتجرى مع مجرى الدم لتصل إلى الغدد اللبنية في ضروع الإناث التي تقوم باستخلاص مكونات اللبن من بين الدم دون أن يبقى أي آثار في اللبن من الفرث أو الدم وتضاف إليه في حويصلات اللبن مادة سكر اللبن التي تجعله سائغا للشاربين .

هذه الأسرار كانت محجوبة عن البشر فلم يكتشفوها إلا بعد رحلة طويلة من التجارب والبحوث العلمية التي استغرقت قرونا واستعملت فيها أجهزة صنعت لأول مرة على أيدي الباحثين لم يكن لها وجود عند البشر

قبل ذلك ، ولكن القرآن الكريم كشفها أمام قارئيه بأجمل عبارة وأوجز لفظ قبل ألف وأربعمائة عام. فمن علم محمدا ﷺ من بين سائر البشر في ذلك الزمن أسرار الجهاز الهضمي والجهاز الدوري ودقائق ما يجري في غدده اللبن إلا الذي يعلم السر في الأرض والسماء ويعلم أسرار ما خلق من الكائنات، فيكون ذلك شاهدا على أن القرآن نزل بعلم الله وأن محمدا رسول الله. قال تعالى: {لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا} [النساء: ١٦٦] (١).

[٩] الحاجز بين النهر والبحر (منطقة المصب) :

اكتشف الباحثون أن المياه تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

(١) مياه الأنهار وهي شديدة العذوبة ، (٢) مياه البحار وهي شديدة الملوحة ، (٣) مياه في منطقة المصب وهي مزيج من الملوحة والعذوبة، كما أنها منطقة فاصلة بين النهر والبحر وتتحرك بينهما بحسب مد البحر وجزره، وفيضان النهر وجفافه، وتزداد الملوحة فيها كلما قربت من البحر، كما تزداد درجة العذوبة كلما قربت من النهر، ويوجد برزخ مائي يحيط بمنطقة المصب ويحافظ على هذه المنطقة بخصائصها المميزة لها حتى ولو كان النهر يصب إلى البحر من مكان مرتفع في صورة شلال.

شاهد الباحثون الذين قاموا بتصنيف الكائنات الحية الموجودة فيها ما يلي :

(أ) معظم الكائنات التي تعيش في البحر أو النهر أو المصب لا تستطيع أن تعيش في غير بيئتها وتموت إذا خرجت منها ، إلا أن بعض الأنواع القليلة مثل سمك السلمون، وطحالب البحر تستطيع أن تعيش في البيئات الثلاث، ولها قدرة على أن تتكيف مع كل بيئة .

(ب) وتصنيف البيئات الثلاث باعتبار الكائنات التي تعيش فيها تعتبر منطقة المصب منطقة "حجر" على معظم الكائنات الحية التي تعيش فيها؛ لأن هذه الكائنات لا تستطيع أن تعيش إلا في نفس الوسط المائي المناسب في ملوحته وعذوبته مع درجة الضغط الاسموزي في تلك الكائنات، وتموت إذا خرجت من المنطقة المناسبة لها، وهي منطقة المصب وهذه المنطقة محجورة على معظم الكائنات الحية التي تعيش في البحر أو النهر؛ لأن هذه الكائنات تموت إذا دخلتها بسبب اختلاف الضغط الاسموزي أيضا.

وبالرغم من أن الماء العذب يمتزج مع ماء البحر فإن هناك حدودا على طرفي منطقة الامتزاج المحدودة، التي تفرض قيودا على ما يدخلها أو يخرج منها. وهذا الوصف ينطبق تماما على نظام المصب ولقد وصف القرآن الكريم منطقة اللقاء بين الكتل المائية الثلاث بأدق وصف وأدل لفظ وأوجز عبارة تضمنت تحديد العلاقة بين الكتل المائية الثلاث وكائناتها الحية التي تعيش فيها ، قال تعالى: {وهو الذي

مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا} [الفرقان: ٥٣] .

معنى الكلمات : مرج يأتي بمعنيين بارزين : الأول (١): الخلط ، وذهب إلى هذا المعنى جمهور من المفسرين منهم: القرطبي وأبو حيان والألوسي والخازن والرازي والشوكاني والشنقيطي . والمعنى الثاني (٢) : مجيء وذهاب واضطراب (قلق) : مثل مرجت أمانات القوم وعهودهم) اضطربت واحتلقت ابن فارس في معجم مقاييس اللغة الزبيدي والأصفهاني

(البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج) : البحر العذب هو النهر، ووصفه القرآن الكريم بوصفين: عذب ، وفرات ومعناهما: أن ماء هذا البحر شديد العذوبة، ويدل عليه وصف (فرات) ، وبهذا الوصف خرج ماء المصب الذي يمكن أن يقال إن فيه عذوبة، ولكن لا يمكن أن يوصف بأنه فرات (٣).

وما كان من الماء ملحا أجاجا فهو ماء البحار، ووصفه القرآن الكريم بوصفين (ملح) و(أجاج) وأجاج معناه شديد الملوحة، وبهذا خرج ماء المصب لأنه مزيج بين الملوحة والعذوبة فلا ينطبق عليه وصف: ملح أجاج (٤)... وبهذه الأوصاف الأربعة تحددت حدود الكتل المائية الثلاث:

[١] هذا عذب فرات: ماء النهر، [٢] وهذا ملح أجاج: ماء البحر، [٣] وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا: البرزخ هو الحاجز المائي المحيط بالمصب. فما هو الحجر المحجور؟.

الحجر : هو المنع والتضييق ، ويسمى العقل حجرا: لأنه يمنع من إتيان ما لا ينبغي (٥). قال تعالى : {هل في ذلك قسم لذي حجر } [الفجر: ٥] والسفيه يحجر عليه القاضي من التصرف في ماله فماله في حجر أو حجر والكسر أفصح ، ووصفت هذه المنطقة أيضا بأنها محجورة أي ممنوعة، ونفهم من هذا اللفظ معنى مستقلا عن الأول أي أنها أيضا منطقة ممنوعة على كائنات أخرى من أن تدخل إليها فهي: حجر (حبس، محجر) على الكائنات التي فيها، محجورة على الكائنات الحية بخارجها.

ويكون المعنى عندئذ: وجعل بين البحر والنهر برزخا مائيا هو: الحاجز المائي المحيط بماء المصب، وجعل الماء بين النهر والبحر حبسا على كائناته الحية ممنوعا عن الكائنات الحية خارجه الخاصة بالبحر والنهر ، لاحظ كيف لم يكتف النص القرآني بقوله تعالى هذا عذب لأنه قد يختلط على القارئ تحديد المنطقة المقصودة فيدخل فيها منطقة المصب لأن فيها شيء من العذوبة فجاء القرآن بقيد وصف فيه البحر العذب المقصود بشدة العذوبة بلفظ أخرج منطقة المصب، وحصر المعنى في النهر الصافي بقوله تعالى : {وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات} ، وكما أخرج النص القرآني منقطة المصب بزيادة فرات على الماء العذب، أخرج منطقة

(١) - جامع البيان للطبري ١٩/١٥ . الجامع لأحكام القرآن ١٣/٥٨ . البحر المحيط ٦/٥٠ . وروح المعاني ١٩/٣٣ - ٣٥ . تفسير الخازن في كتاب مجموعة التفسير ٤/٤٥١ . التفسير الكبير ٢٤/١٠٠ . وفتح القدير ٤/٨٢ - ٨٣ . و أضواء البيان ٦/٣٣٨ - ٣٤٠ .

(٢) - معجم مقاييس اللغة: ٥/٣١٦ . و الصحاح: ١/٣٤١ . و لسان العرب: ٢/٣٦٤ - ٣٦٥ . و تاج العروس: ٢/٩٩ . و المفردات: ٤٦٥ .

(٣) - قال ابن جرير الطبري: " يعنى بالعذب الفرات: مياه الأنهار والأمطار" ١٩١، وقال أيضا: فلم أجد بحرا عذبا إلا الأنهار العذاب، نفس المصدر، وقال النسفي: " وسمي للماءين الواسعين الكثيرين بحرين" مجموعة التفسير: ٤/٤٥١، ويمثله الرخمشري ٣/٩٦، والألوسي ٩/٣٣، والبقاعي ١٣/٤٠٦ . عذب فرات: شديد العذوبة: ذهب إلى هذا جمهور المفسرين وأهل اللغة.

(٤) - ملح أجاج: شديد الملوحة: ذهب إلى هذا جمهور المفسرين وأهل اللغة.

(٥) - لسان العرب: ٤/١٦٧، المفردات للأصفهاني: ١٠٩. وفي معجم مقاييس اللغة ٢/١٣٨ قال: " الحاء والجيم والراء أصل واحد، وهو المنع والإحاطة على الشيء... " ويقال حجر الحاكم على السفينة حجرا، وذلك منعه إياه من التصرف في ماله، والعقل يسمى حجرا لأنه يمنع من إتيان ما لا ينبغي، قال تعالى: هل في ذلك قسم لذي حجر (٥) .

المصب مرة ثانية من جهة البحر الملح الشديد الملوحة بإضافة وصف للبحر الملح بقوله: {أجاج} حتى لا يدعي شخص أن المصب فيه ملوحة وأنه داخل في المقصود فأخرج النص القرآني بزيادة أجاج ليدل المعنى على البحر الصافي فتحدد بذلك مناطق ثلاث: (بحر صاف شديد الملوحة)، (بحر عذب شديد العذوبة)، (ومنطقة المصب وهي مزيج بين العذوبة والملوحة).

ولم يتيسر للمفسرين الإحاطة بتفاصيل الأسرار التي أُلحِت إليها الآية؛ لأنها كانت غائبة عن مشاهدتهم لذلك تعددت أقوالهم في تفسير معانيها الخفية:

فقال بعضهم في قوله تعالى: {وهو الذي مرج البحرين} {الفرقان: ٥٣} أي خلطهما فهما يلتقيان، وقد أخبر جل ثناؤه أنه مرجهما. وبين البرزخ فقال: وجعل بينهما برزخا: (حاجزا لا يراه أحد)، وقال ابن الجوزي عن هذا البرزخ: (مانع من قدرة الله لا يراه أحد) «٧»، وقال الزمخشري «٨»: (حائلا من قدرته) وبمثلهم، قال: القرطبي «٩» والبقاعي «١٠» وأكثر المفسرين، فتأمل كيف عجز علم البشر عن إدراك تفاصيل ما قرره القرآن الكريم، وانظر كيف حارت العقول الكبيرة عدة قرون- بعد نزول القرآن الكريم- في فهم الدقائق والأسرار، وكيف جاء العلم مبينا لتلك الأسرار، وصدق الله القائل: {وقل الحمد لله سبيريكم آياته فتعرفونها} [النمل: ٩٣]، وانظر كيف استقر المعنى بعد أن كان قلعا عند المفسرين قال تعالى: {لكل نبيا مستقر وسوف تعلمون} [الأنعام: ٦٧]، وقال تعالى: ولتعلمن نبأه بعد حين (٨٨) [ص: ٨٨] .

فمن أخبر النبي الأمي في الأمة الأمية في البيئة الصحراوية، حيث لا وجود لنهر ولا لمصبه عن هذه الأسرار الدقيقة المتعلقة بالكتل المائية المختلفة التركيب: عذب فرات، ملح أجاج، وبينهما برزخا وحجرا محجورا؟! . والحجر: هو المكان المحجور عن كائنات حية تعيش في هذه البيئات المائية الثلاث، وكم استغرق الإنسان من الزمن؟، وكما استخدم من الآلات الدقيقة والأجهزة الحديثة حتى تمكن من الوصول إلى هذه الحقائق التي جرت على لسان النبي الأمي قبل ألف وأربعمائة عام بأوجز تعبير وأوضح بيان؟.

تأمل في الفرق الدقيق الذي يميز التقاء بحرين ملحين عن حالة اللقاء بحر ملح وآخر عذب فسترى أنه في حالة البحرين الملحين لا وجود لمنطقة الحجر المحجور لأن الاختلاف في الضغط التناضحي (الاسموزي) بين البحرين متقارب مما يسمح بانتقال الكائنات الحية بين البحرين أما في حالة اللقاء بين البحر الملح والبحر العذب (النهر) فإنه لا بد من وجود منطقة المصب التي يكون الماء فيها مزيجا بين العذوبة والملوحة، مما ينشأ عنه فوارق كبيرة في درجات الضغط التناضحي الاسموزي الذي يجعل من منطقة المصب منطقة حجر (حبس) على ما فيها من الكائنات الحية فلا يسمح بخروجها لا إلى البحر ولا إلى النهر كما يجعل منطقة المصب أيضا منطقة محجورة على كائنات البحر والنهر فلا يسمح بدخول أي منها إلى منطقة المصب وتأمل كيف عبر القرآن الكريم عن هذه الحقائق بأوضح وأوجز وأجمل بيان فقال في وصف اللقاء بين البحرين الملحين: {مرج البحرين يلتقيان (١٩) بينهما برزخ لا يبغيان (٢٠)} وقال في وصف اللقاء بين البحر الملح والبحر العذب: وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا} [الفرقان: ٥٣] .

فمن أين جاء هذا العلم لمحمد عليه الصلاة والسلام إن لم يكن من عند الذي أحاط بكل شيء علماً؟! (١).

خاتمة هذا الفصل :

"كيف يقدر المخلوق من تراب، أن يكون كلامه ككلام رب الأرباب؟ .. هذا ليس في الإمكان، ولا في قدرة الإنسان، وكل من له أدنى ذوقٍ ومعرفةٍ بأنواع الكلام، إذا وزن هذا القرآن العظيم بغيره من كلام البلغاء، ظهر له الفرق العظيم" (٢).

واعترف أعداء محمد النبي والقرآن بعظمة هذا الكتاب ، وذلت رقابهم لما سمعوه من محكم آياته، فالوليد بن المغيرة سيد قريش، يسمع النبي وهو يقرأ قوله تعالى: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون} (النحل: ٩٠). فيقول قوله المشهورة: "والله إن لقوله الذي يقولُ لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنه لمثمرٌ أعلاه، مغدقٌ أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلا، وإنه ليحطم ما تحته". ولما جاء عتبة بن ربيعة إلى النبي؛ قرأ عليه النبي أوائل سورة فصلت، فرجع إلى قريش قائلاً: إني والله قد سمعت قولاً ما سمعتُ بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة، يا معشر قريش: أطيعوني واجعلوها بي، خلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعتُ نبأ" (٣) .

وفي العصر الحديث أيضاً شهد المنصفون من المستشرقين بعظمة القرآن، وسجلت كلماتهم بحقه المزيد من الإعجاب والدهش، ومنه قول المستشرق (فون هامر) في مقدمة ترجمته للقرآن، فقد قال: "القرآن ليس دستور الإسلام فحسب، وإنما هو ذروة البيان العربي، وأسلوب القرآن المدهش يشهد على أن القرآن هو وحي من الله، وأن محمداً قد نشر سلطانه بإعجاز الخطاب، فالكلمة [أي القرآن] لم يكن من الممكن أن تكون ثمرة قريحة بشرية" (٤).

ويقول فيليب حتي في كتابه "الإسلام منهج حياة": "إن الأسلوب القرآني مختلف عن غيره، إنه لا يقبل المقارنة بأسلوب آخر، ولا يمكن أن يقلد، وهذا في أساسه هو إعجاز القرآن .. فمن جميع المعجزات كان القرآن المعجزة الكبرى".

وأما جورج حنا فيقول في كتابه "قصة الإنسان": "إذا كان المسلمون يعتبرون أن صوابية القرآن هي نتيجة محتومة لكون القرآن منزلاً ولا يحتتمل التخطئة، فالمسيحيون يعترفون أيضاً بهذه الصوابية، بقطع النظر عن كونه منزلاً أو موضوعاً، ويرجعون إليه للاستشهاد بلغته الصحيحة كلما استعصى عليهم أمر من أمور اللغة".

(١) - بينات الرسول ومعجزاته للزنداني ص ١٥٩ - ١٦٤ .

(٢) - تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٥ - ٤٦).

(٣) - الأول رواه الحاكم في المستدرک (٢ / ٥٥٠)، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٢ / ١٩٨). والثاني رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢ / ٢٠٤ - ٢٠٥) وهو مرسل؛ لأن محمد بن كعب القرظي تابعي، لكن بعضه رواية أخرى أخرجه البيهقي في الدلائل (٢ / ٢٠٢) وابن إسحاق في السيرة (١ / ١٨٧).

(٤) - يوميات مسلم ألماني، د. مراد هوفمان (ص ١٢٢).

ويقول الفيلسوف الفرنسي هنري سيرويا في كتابه "فلسفة الفكر الإسلامي": "القرآن من الله بأسلوب سام ورفيع لا يدانيه أسلوب البشر". وأما المستشرق بلاشير فلم يأل جهداً في الطعن في القرآن ومعاداته في كتابه "القرآن الكريم"، لكن الحقيقة غلبته، فقال: "إن القرآن ليس معجزة بمحتواه وتعليمه فقط، إنه أيضاً يمكنه أن يكون قبل أي شيء آخر تحفة أدبية رائعة؛ تسمو على جميع ما أقرته الإنسانية وبجلته من التحف".

وبهرت جزالة القرآن وروعة أساليبه المستشرق الأديب غوته، فسجل في ديوانه "الديوان الشرقي للشاعر الغربي" هذه الشهادة للقرآن: "القرآن ليس كلام البشر، فإذا أنكرنا كونه من الله، فمعناه أننا اعتبرنا محمداً هو الإله".

وتحدث بعض المستشرقين عن الانقلاب العظيم الذي أحدثه القرآن في القيم الاجتماعية والأخلاقية للعرب، وكيف صنع منهم ومن الأمم الأخرى التي دخلت في الإسلام أمة الحضارة والريادة طوال قرون، فيقول المفكر الفرنسي مارسيل بوازار في كتابه "إنسانية الإسلام": "إن القرآن لم يُقدّر قط لإصلاح أخلاق عرب الجاهلية، إنه على العكس يحمل الشريعة الخالدة والكاملة والمطابقة للحقائق البشرية والحاجات الاجتماعية في كل الأزمنة".

ويقول ولد يورانت في "قصة الحضارة" عن القرآن: "وقد كان له أكبر الفضل في رفع مستوى المسلمين الأخلاقي والثقافي، وهو الذي أقام فيهم قواعد النظام الاجتماعي والوحدة الاجتماعية، وحرصهم على اتباع القواعد الصحيحة، وحرر وبعث في نفوس الأذلاء الكرامة والعزة، وأوجد بين المسلمين درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات لم يوجد لها نظير في أية بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الأبيض".

وتقول المستشركة الإيطالية لورافيشيا فاغليري في كتابها "دفاع عن الإسلام": "إن انتشار الإسلام السريع لم يتم لا عن طريق القوة ولا بجهود المبشرين الموصولة، إن الذي أدى إلى ذلك الانتشار كون الكتاب الذي قدمه المسلمون للشعوب المغلوبة - مع تخييرها بين قبوله ورفضه - كتاب الله، كلمة الحق، أعظم معجزة كان في ميسور محمد أن يقدمها إلى المترددين في هذه الأرض". (١)

ومما أذهل العلماء إعجاز القرآن العلمي، وما حواه من معارف توصلت إليها البشرية قريباً بفضل التقنية العلمية الحديثة، فسجل هؤلاء العلماء شهادات منصفة بحق القرآن العظيم.

ونبدأ بالبروفسور يوشيو دي كوزان مدير مرصد طوكيو، إذ يقول: "إن هذا القرآن يصف الكون من أعلى نقطة في الوجود، فكل شيء أمامه مكشوف، إن الذي قال هذا القرآن، [أي الله] يرى كل شيء في هذا الكون، فليس هناك شيء قد خفي عليه".

(١) - انظر مراجع هذه النقول والآراء في قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل (ص ٥٢ - ٧٦)، وانظر: رحمت محمداً ولم أحسر المسيح، عبد المعطي الدلاياتي (ص ١٠٩ - ١١٠).

وأما البرفسور شرويدر عالم البحار الألماني فيقول في ندوة علماء البحار التي نظمتها جامعة الملك عبد العزيز بجدة: "ما قيل بالفعل منذ عديد من القرون في القرآن الكريم هو حقيقة ما يكتشفه العلماء اليوم، أعتقد أنه من المهم بالنسبة لندوة لهذه أن تبلغ هذا إلى العلماء من جميع الأمم".

ويقول البرفسور درجا برساد راو أستاذ علم جولوجيا البحار في جامعة الملك عبد العزيز، فيقول تعليقاً على إخبار الله في القرآن عن ظلمات البحار وأمواجها الداخلية، فقال: "ومن الصعب أن نفترض أن هذا النوع من المعرفة كان موجوداً في ذلك الوقت منذ ١٤٠٠ سنة، ولكن بعض الأشياء تتناول فكرة عامة، ولكن وصف هذه الأشياء بتفصيل كبير أمر صعب جداً، ولذلك فمن المؤكد أن هذا ليس علماً بشياً بسيطاً، لا يستطيع الإنسان العادي أن يشرح هذه الظواهر بذلك القدر من التفصيل، ولذلك فقد فكرت في قوة خارقة للطبيعة خارج الإنسان، لقد جاءت المعلومات من مصدر خارق للطبيعة".

وفي مؤتمر القاهرة (١٩٨٦م) حول الإعجاز العلمي قدم البرفسور الأمريكي بالمار بحثاً ختمه بقوله: "أنا لا أعلم المستوى الثقافي الذي كان عليه الناس في زمن ولا أدري في أي مستوى علمي كانوا، فإذا كان الأمر كما نعرف عن أحوال الأولين والمستوى العلمي المتواضع والذي ليس فيه هذه الإمكانيات، فلا شك أن هذا العلم الذي نقرؤه الآن في القرآن هو نور من العلم الإلهي قد أوحى به إلى محمد".

ونختم جولتنا مع إعجاز القرآن العلمي بالحديث عن حديث القرآن عن تطور الجنين وتخلقه، وننقل شهادة البروفيسور مارشال جونسون رئيس قسم التشريح ومدير معهد دانيال بجامعة توماس جيفرسون بفلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية، فقد أذهله ما ذكره القرآن عن تطور الجنين، فقال: "إنني كعالم أستطيع فقط أن أتعامل مع أشياء أستطيع أن أراها بالتحديد، أستطيع أن أفهم علم الأجنة وتطور علم الأحياء، أستطيع أن أفهم الكلمات التي تترجم لي من القرآن .. إنني لا أرى شيئاً لا أرى سبباً لا أرى دليلاً على حقيقة تفند مفهوم هذا الفرد محمد الذي لا بد وأنه يتلقى هذه المعلومات من مكان ما، ولذلك إنني لا أرى شيئاً يتضارب مع مفهوم أن التدخل الإلهي كان مشمولاً فيما كان باستطاعته أن يبلغه".

ويضيف البرفسور كيث ل مور مؤلف الكتاب الشهير الذي يعتبر مرجعاً معتمداً في كليات الطب العالمية (The Developing Human) "أطوار خلق الإنسان"، فيقول عما سمعه من إعجاز قرآني في علم الأجنة: "يتضح لي أن هذه الأدلة حتماً جاءت لمحمد من عند الله، لأن كل هذه المعلومات لم تكشف إلا حديثاً وبعد قرون عدة، وهذا يثبت لي أن محمداً رسول الله". (١)

وصدق الله وهو يقول: ﴿ويرى الذين أوتوا العلم : الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾ (سبأ: ٦).

الفصل الثالث

ثالث الأدلة : إخباره ﷺ بالغيوب وبالآتي لأمته وذلك بشكل دائم تقريبا !

منها ما تحقق في حياته ، ومنها ما تحقق بعد وفاته ، ومنها غيوب عن كيفية ومكان دفن بعض معاصريه ، ومنها إخباره بأخبار الفتن ، ومنها بغيوب فتوح أمته للبلدان ، ومنها أخبار آخر الزمان، وكمثال عام : جاء رسول كسري إلى النبي ﷺ ليتوعده و يتهدده أن يجب أن يأتي معه لكسرى فكيف تجرأ محمد وبعث لكسرى كتاب ليسلم لله رب العالمين فمزق كتاب النبي وأمر بجلبه إليه فقال النبي ﷺ لرسولا كسرى : «إن ربي قتل ربكما» فعدّوا ذلك اليوم ، فإذا بكسرى مات في ذلك اليوم ، ومثل هذا ليس له مقدمات تدل عليه، ولم يكتب بعد في أي كتاب، ولكنها النبوة (١).

(١) - لخصائص الكبرى " للسبيوطي (١٤/٢) باب ما وقع عند كتابه إلى كسرى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥

المبحث الأول : أخبار النبي بالنهايات وهو في البدايات (١):

أخبر النبي ﷺ بكثير من الأمور قبل حصولها، أو حتى حصول مقدماتها، مع أن هذا لا يتأتى من بني بشر فالغيب بيننا وبينه حجاب كثيف، نعم، قد يستشرف الإنسان المستقبل ويستقرئه ويستشفه عن طريق مقدمات ودلائل يلمس منها النفوذ إلى حجاب المستقبل، كما يفعل الساسة والاقتصاديون وغيرهم، ولكنه في الغالب لا يكون صوابا، والصواب منه إنما حصل بسبب حصول مقدماته، كرجل مر على بيت قدس متهاوي، فقال: احذروا هذا البيت فإنه سيقع. فإننا نقول: قد يكون لكلامه شيء من الصحة باعتبار هذه الإشارات التي حصلت، وأما لو مر على بيت جديد محكم البناء، وقد بني على أحدث الطرق الهندسية بإشراف مهندسين ومتخصصين وخبراء، فقال: احذروا هذا البيت فإنه سيقع. لقلنا: هذه ترهات وسفاهات لا تصدر من عاقل، لذلك إذا لم يكن هناك مقدمات وإشارات وقرائن، فلا يمكن لأحد أن يعرف ماذا سيحصل في المستقبل، بل ولا يمكن أن يعرف ماذا سيحصل بعد ثانية، فمثلا لو أن النبي انتصر على العرب، ثم بشر بأنه سينتصر على العجم، لقلنا: إنما قال هذا لحصول مقدمات لهذا الحدث، وهو انتصاره على العرب، ولكن الأمر الغريب أن النبي يبشر بهذه الأمور في ظروف هي أبعد ما تكون توقعها وكمثال:

عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا، فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» (٢). وآخر: مثل ذلك ما حصل في حادثة الهجرة وهو مطارده من قريش، وليس معه إلا رجل واحد، والكل يتربص به ليقتله أو يسلمه ليأخذ الجائزة، ثم يقول لسراقة: «كيف بك إذا لبست سوارى كسرى» ثم يتحقق هذا الأمر ويلبسهما في زمن عمر بن الخطاب (٣).

فالدعوة المحمدية في مكة عشر سنوات كلها إعراض من قومه عن الاستماع لقرآنه، وصد لغيرهم عن الإصغاء له، واضطهاد وتعذيب لتلك الفئة القليلة التي آمنت به، ثم مقاطعة له ولعشيرته ومحاصرتهم مدة غير يسيرة في شعب من شعاب مكة، ثم مؤامرات سرية أو علنية على قتله أو نفيه، فهل للمرء أن يلمح في ثنايا هذا الليل الحالك الذي طوله عشرة أعوام، شعاعا ولو ضئيلا من الرجاء أن يتنفس صبحه عن الإذن لهؤلاء المظلومين برفع صوتهم وإعلان دعوتهم؟ ولو شام المصلح تلك البارقة من الأمل في جوانب نفسه من طبيعة دعوته، لا في أفق الحوادث، فهل يتفق له في مثل هذه الظروف أن يربوا في نفسه الأمل حتى يصير حكما قاطعا؟ وهبه امتلا رجاء بظهور دعوته في حياته ما دام يتعهدا بنفسه، فمن يتكفل له بعد موته ببقاء هذه الدعوة وحماتها وسط أمواج المستقبل العاتية؟ وكيف يجيئه اليقين في ذلك وهو يعلم من عبر الزمان ما يفت في

(١) - انظر كتاب: تثبيت دلائل النبوة، للقاضي عبد الجبار الهمداني (٣١٤/٢)، حققه د. عبد الكريم عثمان، دار العربية للطباعة والنشر، بيروت، وهو كتاب حافل مليء بالفوائد، لاسيما الأدلة العقلية على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه من مدرسة المعتزلة العقلية. وانظر د. عبدالحسن المطيري الأدلة الجلية على صدق خير البرية - الرياض ١٤٢٩. ص: ١٠٧ وما بعدها.

(٢) - أخرجه البخاري (كتاب المناقب، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم) وأصحابه بمكة، رقم: ٦٩٤٣.

(٣) - الإصابة لابن حجر في ترجمة سراقة (٤٢/٣) ..

عضد هذا اليقين؟ ، فكم من مصلح صرخ بصيحات الإصلاح فما لبثت أصواته أن ذهبت أدراج الرياح، وكم من مدينة قامت في التاريخ ثم عفت ودرست آثارها، وكم من نبي قتل، وكم من كتاب فقد أو انتقص أو بدل، وهل كان محمد ممن تستخفه الآمال فيجري مع الخيال؟ إنه ما كان قبل نبوته يطمع في أن يكون نبيا يوحى إليه {وما كنت ترجو أن يلقي إليك الكتاب إلا رحمة من ربك} [القصص: ٨٦] ولا كان بعد نبوته يضمن لنفسه أن يبقى هذا الوحي محفوظا لديه {ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا} [الإسراء: ٨٦-٨٧] ؛ فلا بد إذا من كفيل بهذا الحفظ من خارج نفسه، ومن ذا الذي يملك هذا الضمان على الدهر المتقلب المملوء بالمفاجآت؟ إلا رب الدهر الذي بيده زمام الحوادث كلها، والذي قدر مبدأها ومنتهاها، وأحاط علما بمجرها ومرساها، فلولا فضل الله ورحمته الموعود بها في الآية الأنفة، لما استطاع القرآن أن يقاوم تلك الحروب العنيفة التي أقيمت ولا تزال تقام عليه بين آن وآن.

سل التاريخ: كم مرة تنكر الدهر لدول الإسلام، وتسلبت الفجار على المسلمين فأثخنوا فيهم القتل، وأكروهوا أما منهم على الكفر، وأحرقوا الكتب، وهدموا المساجد؛ وصنعوا ما كان يكفي القليل منه لضياح هذا القرآن كلا أو بعضا كما فعل بالكتب قبله؛ لولا أن يد العناية تحرسه فبقي في وسط هذه المعامع رافعا راياته وأعلامه، حافظا آياته وأحكامه، بل أسأل صحف الأخبار اليومية كم من القناطر المنقطرة من الذهب والفضة تنفق في كل عام لحو هذا القرآن، وصد الناس عن الإسلام بالتضليل والبهتان والخداع والإغراء، ثم لا يظفر أهلها من وراء ذلك إلا بما قال الله تعالى: {إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون} [الأنفال: ٣٦]، ذلك بأن الذي يمسكه أن يزول هو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا، ذلك بأن الله {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون} [التوبة: ٣٣] ، والله بالغ أمره و متم نوره فظهر، وسيبقى ظاهرا، لا يضره من خالفه حتى يأتي أمر الله) (١) .

إن عدداً كبيراً من أذكيا الناس ومن العباقرة، قد جرؤوا على أن يتنبؤوا عن أنفسهم أو عن غيرهم. ولكننا نعرف أن الزمان لم يصدق هذه النبوءات مطلقاً، بل جاء يكذبها بكل قسوة، ولقد تحفز الفرص المواتية والأحوال المساعدة والكفاءات العالية وكثرة الأعوان والأنصار ، والنجاح الخارق في البداية الكثيرين - وهم يرون أنهم يسرون تجاه نتائج مرضية- أن يتنبؤوا بنتيجة معينة بكل يقين، ولكن الزمن يبطل هذه الدعاوي ويكذبها دائما.. والزمن نفسه هو الذي أثبت صحة ما جاء في القرآن من التنبؤات في حين أنها جميعا جاءت في أحوال غير مواتية، إن هذه التنبؤات- وقد وقعت فعلا على ما يحدثنا التاريخ- تجعل علومنا المادية حائرة عند تفسيرها. وما دمنا ندرسها في ضوء علومنا المادية فلن نستطيع إدراك حقائقها، إلا أن ننسبها إلى مصدر غير بشري.

كان نابليون بونابرت من أعظم قواد الجيوش في عصره، وقد دلت فتوحاته الأولى على أنه سوف يكون نداً لقيصر، والإسكندر المقدوني ، وترتب على ذلك أن وجد الغرور منفذه إلى رأس نابليون، فأصبح يتوهم أنه

هو مالك القدر، وازداد هذا الشعور لديه. حتى إنه ترك مستشاريه، وادعى أنه لم يكتب في قدره غير الغلبة الكاملة على من في الأرض. ولكننا جميعاً نعرف النهاية التي كتبت له في لوح القدر. سار نابليون من باريس يوم ١٢ من يونية سنة ١٨١٥، مع جحمله العظيم ليقضي على أعدائه وهم في الطريق. ولم تمض غير ستة أيام حتى ألحق (دوق ولنحتون) شر هزيمة بجيش نابليون الجبار، في (ووترلو) بأراضي بلجيكا. وكان (الدوق) يقود جنود إنجلترا وألمانيا وهولندا. ولما يئس نابليون وأيقن من مصيره المحتوم فر هارباً من القيادة الفرنسية متوجهاً إلى أمريكا ولم يكده يصل إلى الشاطئ، حتى ألقت شرطة السواحل القبض عليه وأرغمته على ركوب سفينة تابعة للبحرية البريطانية، وانتهى به القدر إلى أن أرسل إلى جزيرة غير معمورة بجنوب الأطلنطي، هي جزيرة (سانت هيلينا)، ومات القائد العسكري في هذه الجزيرة بعد سنوات طويلة من البؤس والشقاء والوحدة، في ٥ مايو سنة ١٨٢١.

والبيان الشيوعي المعروف الذي صدر سنة ١٨٤٨، تنبأ بأن أول البلاد التي ستقود الثورة الشيوعية هي (ألمانيا)، ولكن ألمانيا على الرغم من مضي مائة وعشرين عاماً من هذه النبوءة، لا تزال صفحات تاريخها خالية من مثل هذه الثورة.. ولقد كتب كارل ماركس في مايو سنة ١٨٤٩ قائلاً: (إن الجمهورية الحمراء تبرز في سماء باريس!) ورغم أنه قد مر على هذه النبوءة أكثر من قرن، فإن شمس الجمهورية الحمراء البازغة لم تشرق على أهالي باريس! وقد قال أدولف هتلر في خطابه الشهير الذي ألقاه بميونخ في ١٤ من مارس سنة ١٩٣١: (إنني سائر في طريقي، واثقا تمام الثقة بأن الغلبة والنصر قد كتبنا لي. والعالم بأجمعه يعرف اليوم الذي كتب في قدر الجنرال الألماني العظيم كان هو الهزيمة والانتحار..

وسط هذه الجحافل من المنتبين والنبوءات، لا نجد غير (القرآن) الذي أيد الله به نبيه محمد بن عبد الله تحققت نبوءاته حرفاً حرفاً. وهذا الواقع يكفي في ذاته لإثبات أن هذا الكلام صادر من الله سبحانه وتعالى الذي هو على معرفة بكل ما سيحدث منذ الأزل إلى الأبد، وسوف نورد خيراً يتعلق بغلبة الإسلام. عندما بدأ النبي صلى الله عليه وسلم دعوته وقفت الجزيرة العربية كلها ضده، وكان على النبي مواجهة ثلاث جبهات في وقت واحد:

أولاًها: القبائل المشركة، بعد أن أصبحوا أعداء حياته.

وثانيها: الرأسمالية اليهودية.

وثالثها: أولئك المنافقون الذين تسربوا داخل المسلمين للقضاء على حركتهم، من داخل معقلهم.

وكان الرسول يجاهد في سبيل رسالته السامية على كل هذه الجبهات: قوة المشركين، والرأسمالية اليهودية، والطابور الخامس. وقد وقف أمام هذا الطوفان الطاغية وقفات رائعة لا مثيل لها، ولم يسانده في مواقفه غير حفنة من المهاجرين والأنصار، وجماعة من العبيد. ومما لا شك فيه أنه قد انضم إليه بعض كبار قريش، ولكن سرعان ما انقطعوا عن أهلهم وذويهم، وعادتهم قريش كمعاداتها للنبي. وقد سارت هذه الحركة بمكة قدماً، تكافح وتناضل، حتى اجتمع شملهم في المدينة المنورة، وهم في أشد حالات العوز والفقر، بعد ما تركوا ثرواتهم

في مكة - موطنهم الأصلي، ويمكن قياس بؤس هؤلاء المهاجرين بتلك الجماعة التي عاشت في المسجد النبوي، حيث لم تكن لديهم بيوت، وكانوا ينامون على (صفة) في فناء المسجد النبوي، فأطلق عليهم (أهل الصفة).

ومما روي في كتب التاريخ أن تعداد هؤلاء الصحابة الكرام، الذين عاشوا على (الصفة)، بلغ في بعض الأحيان أربعمائة صحابي. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب، فمنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من هو أسفل من ذلك؛ فإذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته.. وعنه (أبي هريرة) أنه قال: (لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لِأَجْرٌ فِيمَا بَيْنَ مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ وَحُجْرَةِ عَائِشَةَ مِنَ الْجُوعِ مَعْشِيًا عَلَيَّ فَيَجِيءُ الْجَائِي فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَيَّ عُنُقِي يُرَى أَنَّ بِي الْجُنُونَ وَمَا بِي جُنُونٌ وَمَا هُوَ إِلَّا الْجُوعُ) رواه الترمذي.

وفي هذه الحالة البائسة، حيث كان المسلمون في أسوأ أحوالهم؛ مكشوفين في عراء المدينة المنورة، خائفين يتربعون الأعداء من كل جانب، مخافة أن يحتطفون في أي وقت؛ في هذه الحالة نجد القرآن يبشرهم مرة بعد أخرى: { كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } [المجادلة: ٢١]. وقال أيضاً: { يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } [التوبة: ٣٣].

ولم تمض على هذه البشري أيام طويلة، حتى وجد المسلمون الجزيرة العربية كلها تحت أقدامهم؛ فقد انتصرت أقلية ضعيفة لا تملك الخيول ولا الأسلحة، على أعداء يملكون الجيوش الكبيرة، والعدة، والعتاد. وليس بوسعنا تفسير هذه النبوة في ضوء المصطلحات المادية، إلا أن نسلم بأن صاحب هذا الإخبار بالغيب لم يأت به من عند نفسه، وإنما كان رسولاً لله؛ فلو أنه كان إنساناً عادياً لاستحال كل الاستحالة أن تصنع كلماته أقدار التاريخ (١).

المبحث الثاني: غيوب تحققت في حياته قالها لأصحابه وقومه فلو فشلت لفشل هو!

{ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذيرٌ وبشيرٌ لقوم يؤمنون } [الأعراف: ١٨٨]. فإذا ما أخبر النبي عن شيء من الغيوب؛ فإنما يخبر بشيء من علم الله الذي خصّه به وأطلع عليه، ليكون برهان نبوته ودليل رسالته. ولقد أخبر النبي ﷺ عن زهاء ألف أمر غيبي، بعضها في القرآن، وبعضها في السنة، وكل منها دليل على تفردّه وتمييزه عن الآخرين من خلق الله برسالة من الله وإليك ثلاثة أمثلة هنا .

منها: تنبؤه بهزيمة الفرس وغلب الروم، في وقت كادت دولة الفرس أن تزيل الامبراطورية الرومانية من خارطة الدنيا، فقد وصلت جيوش كسرى أبرويز الثاني إلى وادي النيل، ودانت له أجزاء عظيمة من مملكة الرومان، سنوات معدودة تمكن فيها جيش الفرس من السيطرة على بلاد الشام وبعض مصر، واحتلت جيوشهم أنطاكية شمالاً، مما آذن بنهاية وشيكة للرومان، وأمام هذا الطوفان الفارسي أراد هرقل ملك الروم أن يهرب من

عاصمة ملكه القسطنطينية، وكاد أن يفعل لولا أن كبير أساقفة الروم أقنعه بالصمود وطلب الصلح الذليل من الفرس.

وسط هذه الأحداث - وخلافاً لكل التوقعات - أعلن النبي ﷺ في أجواء مكة المتربصة به وبدعوته أن الروم سينتصرون على الفرس في بضع سنين، أي فيما لا يزيد عن تسع سنين، فقد نزل عليه قول الله تعالى: {غلبت الروم - في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون - في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون - بنصر الله} [الروم: ٢ - ٥].

يقول المؤرخ إدوار جين: "في ذلك الوقت، حين تنبأ القرآن بهذه النبوءة، لم تكن أية نبوءة أبعد منها وقوعاً، لأن السنين العشر الأولى من حكومة هرقل كانت تؤذن بانتهاء الإمبراطورية الرومانية"، (١) لقد كان النبي يتنبأ بانتصار المهزوم الذي يكاد يستسلم لخصمه، ويحدد موعداً دقيقاً لهذا النصر الذي ما من شيء أبعد في تحققه منه، وتناقلت قريش هذه النبوءة الغربية التي خالفت أهواءهم التي مالت إلى جانب الفرس إخوانهم في الوثنية، بينما أحب المسلمون انتصار الروم لأنهم أهل كتاب، واستبشروا بالخبر، قال ابن عباس: (كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم، لأنهم وإياهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب، فذكروه لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال: أما إنهم سيغلبون، فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهرنا [أي بدوام انتصار الفرس] كان لنا كذا وكذا [أي من الرهن]، وإن ظهرتم [أي بانتصار الروم] كان لكم كذا وكذا، فجعل أجلاً خمس سنين، فلم يظهر الروم [أي في هذه السنين الخمس]، فذكروا ذلك للنبي فقال: ألا جعلته إلى دون العشر [أي طلب منه زيادة الأجل إلى تسع سنين، لأن البضع في لغة العرب ما دون العشر]، والله قد وعد بظفر الروم في بضع سنين، قال أبو سعيد: والبضع ما دون العشر، قال: ثم ظهرت الروم بعد، قال ابن عباس: فذلك قوله تعالى: {غلبت الروم - في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون - في بضع سنين} (٢).

لقد كان الأمر كما تنبأ عليه الصلاة والسلام، ففي عام ٦٢٣ م وما بعدها استطاع هرقل أن يتخلص من لهوه ومجونه، وشن ثلاث حملات ناجحة أخرجت الفرس من بلاد الرومان، وفي عام ٦٢٦ م واصل الرومان زحفهم حتى وصلوا إلى ضفاف دجلة داخل حدود الدولة الفارسية، واضطر الفرس لطلب الصلح مع الرومان بعد هزيمتهم في معركة نينوى، وأعادوا لهم الصليب المقدس - عندهم - وكان قد وقع بأيديهم، فمن ذا الذي أخبر محمداً ﷺ بهذه النبوءة العظيمة، ولو تأملنا قوله تعالى: {غلبت الروم - في أدنى الأرض} فإن أعيننا لن تخطئ برهاناً آخر من براهين نبوته ﷺ، فقوله تعالى: {في أدنى الأرض} يشير إلى حقيقة علمية كشف عنها العلم الحديث، وهي أن البقعة التي انتصر فيها الفرس على الروم في منطقة الأغوار قريباً من البحر الميت هي

(١) - تاريخ سقوط واتحاد الإمبراطورية الرومانية، إدوار جين (٥/٧٤).

(٢) - رواه الترمذي ح (٣١٩٣)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ح (٢٥٥١).

أدنى الأرض، أي أخفض مكان في الأرض كما تؤكد الموسوعة البريطانية وغيرها (١)، إنه بعض علم اللطيف الخبير .

ومما أطلع الله نبيه عليه من الغيوب التي لا يعرفها لولا إخبار الله له؛ خبر كتاب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه الذي أرسله إلى قريش مع امرأة، يخبرهم فيه بعزم النبي على غزو مكة، فلما كشف الله ذلك لنبيه؛ بعث علياً والزبيرَ والمقدادَ بنَ الأسود، وقال: ((انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب، فخذوه منها))، يقول علي رضي الله عنه: فانطلقنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب. قال ابن حجر: "وفيه من أعلام النبوة إطلاعُ الله نبيه على قصة حاطب مع المرأة". (٢)

ومثله من الإخبار المعجز نعيه لقادة مؤتة الثلاثة - وقد استشهدوا في الشام - وهو في المدينة، يقول أنس رضي الله عنه: نعى النبي صلى الله عليه وسلم زيداً وجعفرأً وابنَ رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: ((أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب، وعيناه تدرقان؛ حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم)). فالذي أعلم النبي بمقتلهم قبل أن يأتي خبرهم إلى الناس هو الله علام الغيوب، قال الطحاوي: "وفيه عَلمٌ ظاهر من أعلام النبوة". (٣) فهذه الغيوب وغيرها كثير مما أخبر به صلى الله عليه وسلم أدلة واضحة وبراهين ساطعة على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم فهي غيوب أخبره بها عالمُ السر والنجوى

المبحث الثالث: إخباره صلى الله عليه وسلم بالغيوب المستقبلية التي تحققت بعد وفاته زمن أصحابه وبعدهم

ما بين أيدينا من الغيوب أعظم دلالة مما سبق ، إذ سنتناول ما أخبر به وتحقق بعد موته منها: خبر أم حرام بنت ملحان، فقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا))، قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: ((أنت فيهم))، ثم قال النبي: ((أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم))، فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: ((لا)). (٤)

قال ابن حجر: " وفيه ضروب من إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بما سيقع، فوقع كما قال ، وذلك معدود من علامات نبوته: منها إعلامه ببقاء أمته بعده، وأن فيهم أصحاب قوة وشوكة ونكاية في العدو، وأنهم يتمكنون من البلاد حتى يغزوا البحر، وأن أم حرام تعيش إلى ذلك الزمان، وأنها تكون مع من يغزو البحر، وأنها لا تدرك زمان الغزوة الثانية ". وفي رواية فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمن معاوية ، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت. وقد نقل الطبراني وغيره أن قبرها معروف في جزيرة قبرص. (٥) فمن الذي أعلم النبي بما يكون بعده؟ من الذي أعلمه بأن أمته سوف تغزو البحر من بعده، وأن أم حرام بنت ملحان ستعيش حتى تدرك هذا الغزو، فتشارك فيه؟ قال الباجي: " وهذا من أعلام نبوته الواضحة: أن يعلم بالأشياء على وجهها قبل أن

(١) - يعتبر منخفض بحيرة طبريا ثاني أكبر المنخفضات في العالم، حيث تنخفض فيه اليابسة إلى ٢٠٩ م تحت سطح البحر، بينما هي في منطقة البحر الميت تصل إلى ٣٩٥ م تحت سطح البحر. انظر: أطلس العالم، مكتبة بيروت (ص ٩٥) نقلاً عن كتاب "إنه الحق" الذي أصدرته هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي (ص ٧٩).

(٢) - رواد البخاري ح (٣٠٠٧)، ومسلم ح (٢٤٩٤). وفتح الباري (١٢/ ٣٢٤).

(٣) - رواد البخاري ح (٣٩٢٩). عمدة القاري (١٧/ ٢٦٩). وراجع دلائل النبوة للسفار فقد جمع الكثير من الروايات الصحيحة ص ٤-٦٠.

(٤) - رواد البخاري ح (٢٩٢٤).

(٥) - فتح الباري (١١/ ٨٠). و رواد البخاري ح (٢٧٨٩)، ومسلم ح (١٩١٢). ذكره الطبراني في الكبير ح (٣١٦)، وأبو نعيم في الحلية ح (٦٢/ ٢).

تكون ثم تكون على حسب ذلك لا تخرم عنه ويتكرر ذلك منه تكراراً يوجد في أكثر الأحوال، وكل من يتعاطى تكهناتاً بتنجيم أو غيره فإن الأغلب عليه الخطأ وإن أصاب في بعض الأشياء على ما يفعل الظان والمخمن والحازر". (١)

ومنها وبينما النبي في تبوك؛ أنبأ أصحابه بوقوع ستة أحداث مهمة، رتب وقوعها فقال لعوف بن مالك : ((اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقصاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغديرون، فيأتونكم تحت ثمانين غايّة، تحت كل غايّة اثنا عشر ألفاً)). (٢) وفي هذا الحديث يذكر النبي ﷺ أحداثاً ستة يرتبها، أولها: موته ﷺ ثم فتح بيت المقدس، وقد كان ذلك في العام الخامس عشر من الهجرة، ثم موت عظيم يصيب الصحابة، وتحقق ذلك في طاعون عمّاس في السنة الثامنة عشرة للهجرة، ثم استفاضة المال حين كثرت الأموال زمن الفتوح في عهد عثمان، ثم الفتنة التي تصيب العرب، وقد وقعت زمن فتنة قتل عثمان رضي الله عنه التي كانت بوابة للفتن التي ما تركت بيتاً إلا ودخلته، وأما العلامة الأخيرة، وهي الهدنة ثم الحرب مع بني الأصفر - وهم الروم - فقد اتفق العلماء على أنها لم تقع، وأن ذلك يكون في فتن وملاحم آخر الزمان، قال ابن حجر: " وفيه أشياء من علامات النبوة قد ظهر أكثرها". (٣)

ومنها : مما أخبر به ﷺ من المغيبات - التي أطلع الله عليها لتكون برهان نبوته - قدوم أويس القرني من اليمن، وقد ذكر ﷺ لأصحابه بعض صفته وأحواله، فقال: ((إن رجلاً يأتيكم من اليمن، يقال له: أويس، لا يدع باليمن غير أم له، قد كان به بياض، فدعا الله فأذهب عنه؛ إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم)) (٤). وقد كان كما أخبر ﷺ، فقد أقبل أهل اليمن زمن عمر؛ فجعل يستقري الرفاق، فيقول: هل فيكم أحد من قرن؟ حتى أتى على قرن، فقال: من أنتم؟ قالوا: قرن. قال: فوقع زمام عمر أو زمام أويس، فناوله أحدهما الآخر، فعرفه. فقال عمر: ما اسمك؟ قال: أنا أويس. فقال: هل لك والدة؟ قال: نعم. قال: فهل كان بك من البياض شيء؟ قال: نعم، فدعوت الله عز وجل فأذهب عني إلا موضع الدرهم من سرتي لأذكر به ربي. فقال له عمر: استغفر لي. قال: أنت أحق أن تستغفر لي، أنت صاحب رسول الله فقال عمر : إني سمعت رسول الله يقول: ((إن خير التابعين رجل يقال له أويس، وله والدة، وكان به بياض، فدعا الله عز وجل، فأذهب عنه إلا موضع الدرهم في سرتي)) فاستغفر له أويس، ثم دخل في غمار الناس، فلم يُدر أين وقع [أي ذهب] ، قال النووي: "وفي قصة أويس هذه معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ". (٥)

ومنها : أخبر النبي ﷺ عن بركان يثور في الحجاز ينعكس ضوءه بالشفق، فيلحظه أهل بصرى بالشام، فتحقق تنبؤه ﷺ عام ٦٥٤ هـ، ليكون دليلاً آخر على نبوته ورسالته فقد قال عليه الصلاة والسلام: ((لا تقوم

١ - المنتقى شرح الموطأ (١/٤٢٠).

٢ - رواد البخاري ح (٣١٧٦).

٣ - فتح الباري (٦/٣٢١).

٤ - رواد مسلم ح (٢٥٤٢).

٥ - رواد أحمد ح (٢٦٨)، والمرفوع إلى النبي رواد مسلم ح (٢٥٤٢). و شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/٩٤).

الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيء أعناق الإبل ببصرى)). (١) قال النووي: "وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت ناراً عظيمة جداً، من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة". (٢) وذكرها ابن كثير: "وقد ذكر أهل التاريخ وغيرهم من الناس، وتواتر وقوع هذا في سنة أربع وخمسين وستمائة، قال الشيخ الإمام الحافظ شيخ الحديث وإمام المؤرخين في زمانه شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الملقب بأبي شامة في تاريخه: إنها ظهرت يوم الجمعة في خامس جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة .. وذكر كتباً متواترة عن أهل المدينة في كيفية ظهورها شرق المدينة .. وقد ذكر الشيخ شهاب الدين أن أهل المدينة لجؤوا في هذه الأيام إلى المسجد النبوي، وتابوا إلى الله من ذنوب كانوا عليها" ثم نقل رحمه الله بعض ما قيل من شعر فيها:

يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا ... فقد أحاطت بنا يا رب بأساء
نشكو إليك خُطوباً لا نطيق لها ... حملاً ونحن بما حقاً أحقاء
زلازل تحشع الصمّ الصلاد لها ... وكيف تقوى على الزلزال صماء
أقام سبعاً يريجُ الأرض فانصدعت ... عن منظر منه عين الشمس عشواء
بجر من النار تجري فوقه سفن ... من الهضاب لها في الأرض إرساء
يرى لها شرر كالقصر طائشةً ... كأنها ديمة تنصبُ هطلاءً
تنشق منها قلوب الصخر إن زفرت ... رعباً وترعد مثل الشهب أضواء
فيها آية من معجزات رسول ... الله يعقلها أقوام ألباء (٣)

ومنها: إخباره عن ظهور الدجالين الذين يدعون النبوة، فقال محذراً منهم: ((لا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله)). وفي رواية: ((في أمي كذابون ودجالون، سبعة وعشرون، منهم أربع نسوة، وإني خاتم النبيين، لا نبي بعدي)). قال ابن حجر: "وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقاً؛ فإنهم لا يُحصون كثرة، لكون غالبهم ينشأ لهم ذلك عن جنون .. وإنما المراد من قامت له شوكة، وبدت له شبهة". (٤)

وأول النسوة الأربع اللاتي يتبنأن بالكذب سجاحُ التميمية التي ادعت النبوة في وسط الجزيرة العربية، قال ابن حجر: "وقد ظهر مصداق ذلك في آخر زمن النبي ﷺ، فخرج مسيلمة باليمامة، والأسود العنسي باليمن، ثم خرج في خلافة أبي بكر طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمه، وسجاح التميمية في بني تميم ..". (٥) وقد نصّ النبي ﷺ وأنبأ عن دجالين يظهر أمرهما بعده، وقد ادعيا النبوة في آخر حياته ﷺ وهما مسيلمة الكذاب في اليمامة، والأسودُ العنسي في اليمن.

(١) - رواه البخاري ح (٧١١٨)، ومسلم ح (٢٩٠٢).

(٢) - شرح صحيح مسلم (٢٩/١٨).

(٣) - البداية والنهاية (٦/٢٥٣).

(٤) - الحديث الأول: رواه البخاري ح (٣٦٠٩) ومسلم ح (١٥٧). والثاني: (٣) رواه أحمد ح (٢٢٨٤٩)، وحوّد إسناده ابن حجر في الفتح (٩٣/١٣)،

وصححه الألباني في صحيح الجامع ح (٧٧٠٧). وفتح الباري (٦/٧١٤).

(٥) - فتح الباري (٦/٧١٤).

فقد رأى النبي ﷺ في رؤياه أن في يديه سوارين من ذهب، يقول ﷺ: ((فأهمني شأنهما، فأوحى إليّ في المنام أن أنفخهما، فنفختهما، فطارا، فأولتُهما كذابين يخرجان بعدي)). وقد تحققت رؤياه، فكان مسيلمة أول الكذابين، فقد قدم المدينة على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، فأقبل إليه رسول الله ﷺ وفي يده قطعة جريد فقال: ((لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتُكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريتُ فيك ما رأيت)). قال أبو هريرة: (فكان أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة). (١) قال النووي: "قوله: ((ولن أدبرت ليعقرنك الله)) أي إن أدبرت عن طاعتي ليقتلنك الله .. وقتله الله تعالى يوم اليمامة، وهذا من معجزات النبوة". (٢)

ومثله رد الله كيد أخيه في الضلالة، الأسود العنسي ثاني الكذابين، وذلك لما ادعى النبوة قبيل وفاة النبي ﷺ، وتابعه قوم من أعراب اليمن، فقوي، واشتد بهم ساعده، فقتله الله على يد فيروز الديلمي وبعض المسلمين من أهل اليمن، بمساعدة زوجة الدعي الكذاب، فتحقق فيه ما رآه النبي ﷺ في رؤياه، فصارت ضلالته هباء تذرره الرياح {فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال} (الرعد: ١٧).

ومن الكذابين الذين ادعوا النبوة؛ كذاب أنبأ النبي ﷺ أنه يخرج في ثقيف، وخبره نبأ صدق ترويه أسماء بنت الصديق، فقد دخلت على الحجاج بن يوسف الثقفي بعد مقتل ابنها عبد الله بن الزبير فقالت للحجاج: (إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومُبيراً، فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا إخالكَ إلا إياه). (٣) قال النووي: "المبير: المهلك، وقولها في الكذاب: (فرأيناه) تعني به المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان شديد الكذب، ومن أقبحه [أنه] ادعى أن جبريل يأتيه، واتفق العلماء على أن المراد بالكذاب هنا المختار بن أبي عبيد، وبالمبير الحجاج بن يوسف"، (٤) ومن أخبار المختار الكذاب ما ينقله لنا التابعي رِفاعَة بن شداد، حيث يقول: دخلت على المختار الثقفي ذات يوم، فقال: جئتني والله، ولقد قام جبريل عن هذا الكرسي، يقول رِفاعَة: فأهويت إلى قائم سيفي [أي ليقته]، فذكرتُ حديثاً حدثناه عمرو بن الحمق قال: سمعت رسول الله يقول: ((إذا اطمان الرجل إلى الرجل، ثم قتله بعدما اطمان إليه؛ نُصب له يوم القيامة لواءً غدر))، قال رِفاعَة: فكففتُ عنه. (٥) وهكذا كان تنبؤ المختار الثقفي مُصدقاً لخبر أنبأ به النبي ﷺ عن الكاذب الذي يخرج في ثقيف، كما كان الحجاج هو الظالم الذي يكون من ثقيف، وهذا خبر وحي أخبره به ربه علام الغيوب.

ولن ينقطع هؤلاء الكذابون في التاريخ، فقد قال عليه الصلاة والسلام: ((يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم)).

(١) - رواه البخاري ح (٢٣٥١)، ومسلم ح (٤٢١٨).

(٢) - شرح النووي على صحيح مسلم (٣٣/١٥).

(٣) - رواه مسلم ح (٤٦١٧).

(٤) - شرح النووي على صحيح مسلم (١٠٠/١٦).

(٥) - رواه الحاكم في مستدرکه (٣٩٤/٤)، وابن ماجه ح (٢٦٨٨)، والطيالسي في مسنده ح (١٢٨٦)، وصحح ابن حجر في الفتح إسناده الطيالسي (٦/

٧١٤)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ح (٢١٧٧).

(١) ومن هؤلاء الدجالين الذين جاؤوا بالمنكر من القول؛ المتنبئ الكذاب ميرزا غلام أحمد القادياني الذي ظهر قبل قرن من الزمان في الهند، وردّ أحاديث النبي ﷺ ثم ادعى النبوة. وقد أخبر النبي عن ضلالة هذا الدعي فيما رواه عنه المقدم بن معدي كرب حيث قال - صلى الله عليه وسلم - : ((ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شعبان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه)). (٢)

قال المباركفوري: "وهذا الحديث دليلٌ من دلائل النبوة وعلامةٌ من علاماتها، فقد وقع ما أخبر به، فإن رجلاً قد خرج في البنجاب من إقليم الهند، وسمى نفسه بأهل القرآن، وشتان بينه وبين أهل القرآن، بل هو من أهل الإلحاد.. فأطال لسانه في رد الأحاديث النبوية بأسرها، وقال: هذه كلها مكذوبةٌ ومفترياتٌ على الله تعالى، وإنما يجب العمل على القرآن العظيم فقط، دون أحاديث النبي، وإن كانت صحيحةً متواترةً". (٣) وهكذا، فإن إخبار النبي ﷺ بخر هؤلاء الكذابين إنما هو إخبار ببعض غيب الله الذي أطلعه الله عليه، ليكون تحققة دليلاً على صدق النبي وبرهانا على نبوته ورسالته.

المبحث الرابع : إخباره ﷺ بكيفية ومكان وفاة بعض معاصريه .

ومن دلائل نبوته وأمارات رسالته ﷺ ما أخبر به عن أمور تتعلق بوفاة بعض أصحابه وأهل بيته وغيرهم من أعدائه، وتبيناه لكيفية ومكان وحال مصرعهم، وهو علم لا يعرفه النبي من تلقاء نفسه، فالموت وما يتعلق به علم اختصاص الجبار ﷻ بنفسه بمعرفته، فهو وحده من يعرف أعمار البشر وأماكن قبض أرواحهم، فلا تعلم نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت {إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير} [لقمان: ٣٤] وقد أعلم الله نبيه ﷺ بزمان أو كيفية موت بعض أصحابه وأهل بيته، كذلك بعض أعدائه، فأخبر به ﷺ فكان تحققة برهانا على نبوته وعلماً من أعلام رسالته، إذ لا يمكن لأحد معرفة ذلك ولا التنبؤ به إلا من قبل الله علام الغيوب.

ومن هذه الأنباء الباهرة؛ إخباره ﷺ عن شهادة عمرَ وعثمانَ وعليَ وطلحة والزبير، رضي الله عنهم أجمعين ولم يخبر ذلك عن أبي بكر ولا خالد ولا عمرو بن العاص!!، وأن موتهم سيكون شهادة، وأنهم لن يموتوا على فُرْشهم أو سواه مما يموت به الناس، فقد صعد رسول الله ﷺ على حراء، هو وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليُّ وطلحةُ والزبيرُ، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله : ((اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد)). (٤) فشهد ﷺ لنفسه بالنبوة، ولأبي بكر بالصديقية، ولعثمانَ وعليَ وطلحةَ بالشهادة، قال النووي: "وفي هذا الحديث معجزاتٌ لرسول الله ﷺ : منها إخباره أنّ هؤلاء شهداء، وماتوا كلهم غير النبي ﷺ وأبي بكر شهداء ؛ فإنَّ عمرَ وعثمانَ وعليّاً وطلحةَ والزبيرَ ﷺ قُتلوا ظلماً شهداء ؛ فقتلُ الثلاثة [أي عمر وعثمان وعلي] مشهور،

(١) - رواه مسلم في مقدمة صحيحه ح (٧).

(٢) - رواه أبو داود ح (٤٦٠٤)، وابن ماجه ح (١٢)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ح (١٦٣).

(٣) - تحفة الأحوذى (٧/٣٥٤).

وقُتِلَ الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفاً تاركاً للقتال، وكذلك طلحة، اعتزل الناس تاركاً للقتال، فأصابه سهم، فقتله، وقد ثبت أن من قُتل ظلماً فهو شهيداً^(١).

وقد بشر النبي ﷺ عمر بالشهادة مرة أخرى حين رآه يلبس ثوباً أبيض فقال له: ((أجديدٌ تُوثك أم غسيل؟)) قال: لا، بل غسيل. فقال النبي ﷺ ((البس جديداً، وعش حميداً، ومُت شهيداً)).^(٢) وكان كما قال عليه الصلاة والسلام، فقد قتله أبو لؤلؤة المحوسي وهو قائم يصلي الصبح إماماً بالمسلمين في مسجد النبي سنة ثلاث وعشرين للهجرة النبوية، ليكون مقتله ﷺ مصداقاً لنبوءة النبي ﷺ وعلامةً من علامات نبوته ورسالته.

وأما المؤمنين المظلوم عثمان بن عفان، فقد بشره النبي ﷺ بشهادته، وأنبأه أنها ستكون في فتنه طلب منه أن يصبر عليها، وذلك لما جلس أبو موسى الأشعري مع النبي ﷺ على بئر أريس في حائط من حيطان المدينة، يقول أبو موسى: فجاء إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان. فقلت: على رسلك، فجنثُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: ((أذن له، وبشره بالجنة على بلوى تصيبه))، يقول أبو موسى: فجنثُهُ، فقلت له: ادخل، وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك.^(٣) وفي رواية أن عثمان (حمِد الله، ثم قال: الله المستعان).^(٤) أي حمِد الله على بشارة النبي له بالجنة، وطلب من الله العون على بلائه حين تصيبه الشهادة.

وثالث المبشرين بالجنة في قوله ﷺ ((اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد)).^(٥) هو علي ﷺ أبو السبطين، وقد أنبأه رسول الله في حديث آخر بأن الأشقى [أي ابن ملجم] سيقتله بضربة في صدغيه، وذات يوم مرض علي ﷺ مرضاً شديداً، فزاره أبو سنان الدؤلي، فقال له: لقد تخوفنا عليك يا أمير المؤمنين في شكواك هذه، فقال له علي: لكفي والله ما تخوفتُ علي نفسي منه، لأني سمعتُ رسولَ الله الصادقَ المصدوقَ يقول: ((إنك ستضرب ضربةً ها هنا، وضربةً ها هنا - وأشار إلى صدغيه - فيسيل دمها حتى تحتضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها، كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود)).^(٦) ولأجل هذا الحديث ما كان يخاف على نفسه الهلكة في مرضه.

ومنها: وتقبل فاطمة بنت النبي ﷺ تمشي، فيقول لها أبوها: ((مرحباً بابنتي))، تقول أم المؤمنين عائشة: ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرَّ إليها حديثاً، فبكت، ثم أسرَّ إليها حديثاً فضحكت. فقلت لها: ما رأيتُ كالיום فرحاً أقرب من حزن، فسألْتُها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ فلما قُبِض النبي سألْتُها، فقالت: أسرَّ إلي: ((إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي، فبكيث، فقال ﷺ: أما ترصين أن تكوني سيده نساء أهل

(١) - شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ١٩٠).

(٢) - رواد أحمد ح (٥٣٦٣)، وابن ماجه ح (٣٥٥٨)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ح (٢٨٦٣).

(٣) - رواد البخاري ح (٣٦٧٤).

(٤) - رواد البخاري ح (٣٦٩٣).

(٥) - رواد مسلم ح (٢٤١٧).

(٦) - رواد الحاكم (١٢٢ / ٣)، والطبراني في الكبير ح (١٧٣). قال الهيثمي: إسناده حسن. مجمع الزوائد (٩ / ١٨٨).

الجنة أو نساء المؤمنين))، فضحكتُ لذلك، (١) وفي رواية أخرى أنها قالت: (فأخبرني أنه يُقبض في وجعه الذي توفي فيه؛ فبكيت، ثم سارني، فأخبرني أني أول أهل بيته أتبعه؛ فضحكت) ، وفي هذا الحديث يخبر النبي ﷺ بثلاث غيوب، أولها: اقترابُ أجله، وقد مات عليه الصلاة والسلام في تلك السنة. وثانيها: إخباره ببقاء فاطمة بعده، وأنها أول أهل بيته وفاة. وقد توفيت بعده ﷺ بستة أشهر فقط، فكانت أول أهل بيته وفاة. وثالثها: أنها سيدهُ نساء أهل الجنة، رضي الله عنها. قال النووي: " هذه معجزة ظاهرة له ﷺ ، بل معجزتان ، فأخبر ببقائها بعده ، وبأنها أول أهله لحاقاً به ، ووقع كذلك ، وضحكت سروراً بسرعة لحاقها". (٢)

ومنها : حديثه عن وفاة سبطه الحسين بن علي ریحانة أهل الجنة، فقد قال النبي ﷺ لإحدى أزواجه: ((لقد دخل علي البيت ملك لم يدخل علي قبلاً فقال لي: إن ابنك هذا حسين مقتول، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها. قال: فأخرج تربة حمراء)). (٣)، وهكذا كان فقد قُتل ﷺ في كربلاء العراق عام ٦٠ هـ، فمن أدري نبيه ﷺ بأن الحسين مقتول؟ ومن الذي أراه تربة مقتله؟ إنه الله العليم.

والأعجب منه تنبؤ النبي بشهادة امرأة، وهي أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث، فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يزورها كل جمعة، وكان يسميها الشهيدة فيقول: ((انطلقوا نورا الشهيدة)). وذلك أنها قالت: يا نبي الله، أتأذن فأخرج معك، أمرضُ مرضاكم، وأداوي جرحاكم، لعل الله يُهدي لي شهادة؟ قال: ((قَرِي، فإن الله عز وجل يُهدي لك شهادة)). وقد أدركتها الشهادة زمن عمر ﷺ ، وكانت أعتقت جارية لها وغلاماً عن دُبُرٍ منها [أي يُعتقان بعد وفاتها] فطال عليهما، فغمّاهما [أي خنقاهما] في القطيفة حتى ماتت. (٤) (٥) فكانت وفاتها شهادة كما أخبر النبي ﷺ . فكيف جزم النبي بوفاتها غيلة دون سائر الميتات، وهو أمر يندر في النساء؟ إنه دليلٌ آخرٌ من دلائل نبوته وآيات رسالته.

ومن دلائل نبوته ﷺ إخباره عن موت النجاشي في أرض الحبشة في يوم وفاته، وهذا خبر تحمله الركبان يومذاك في شهر، يقول أبو هريرة ﷺ (نعى رسول الله ﷺ النجاشي في اليوم الذي مات فيه، خرج إلى المصلى، فصصف بهم، وكبر أربعاً). (٦) قال المباركفوري: "وفيه علمٌ من أعلام النبوة لأنه ﷺ أعلمهم بموته في اليوم الذي مات فيه، مع بُعد ما بين أرض الحبشة والمدينة". (٧)

وفي اليوم السابق ليوم بدر، تفقد رسول الله أرض المعركة المرتقبة، وجعل يشير إلى مواضع مقتل المشركين فيها، ويقول: ((هذا مصرع فلان)). قال أنس: ويضع يده على الأرض هاهنا هاهنا. فما ماط أحدهم عن

(١) - رواه البخاري ح (٣٦٢٤)، ومسلم ح (٢٤٥٠)

(٢) - رواه البخاري ح (٣٦٢٦)، ومسلم ح (٢٤٥٠). و شرح النووي (٥ / ١٦).

(٣) - رواه أحمد في المسند ح (٢٥٩٨٥)، والحاكم (١٩٤ / ٣)، ووافقه الذهبي على تصحيحه، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد (٩ / ٣٠١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (٨٨٢).

(٤) - رواه أحمد ح (٢٦٥٣٨)، وأبو داود ح (٥٧١)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ح (٥٥٢).

(٥) - رواه البخاري ح (١٢٥٤).

(٦) - تحفة الأحوذني (٤ / ١١٥).

موضع يد رسول الله ﷺ (١) وأخبر ﷺ بقتل المسلمين لأمية بن خلف رأس الشرك الذي أذاق المسلمين الويلات بمكة .

منها إخباره ﷺ عن سوء خاتمة رجل قاتل مع المسلمين فأحسن البلاء والجلاد، وانبهر الصحابة بأفعاله ، يقول أبو هريرة - رضي الله عنه - : شهدنا مع رسول الله ﷺ فقال لرجل ممن يدعي الإسلام: ((هذا من أهل النار)). يقول أبو هريرة: فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً، فأصابته جراحة، ف قيل: يا رسول الله، الذي قلت له: إنه من أهل النار؛ فإنه قد قاتل اليوم قتالاً شديداً، وقد مات! فقال النبي ﷺ ((إلى النار)). قال أبو هريرة: فكاد بعض الناس أن يرتاب. فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنه لم يمّت، ولكن به جراحاً شديداً. فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح، فقتل نفسه، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فقال: ((الله أكبر، أشهد أني عبدُ الله ورسوله)) ثم أمر بلالاً فنادى بالناس: ((إنه لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمة، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)). (٢)

المبحث الخامس : إخباره ﷺ بأخبار الفتن التي ستقع بأتمته من بعده !؟.

وإن مما أخبر عنه ﷺ من الغيوب الدالة على نبوته؛ أخبار الفتن التي وقعت بين أصحابه بعد وفاته فكان إخباره بذلك برهان نبوته وعلم رسالته. أشرف النبي ﷺ يوماً على أطم من أطام المدينة فقال لأصحابه: ((هل ترون ما أرى؟)) قالوا: لا. قال: ((فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر)). (٣) قال النووي: "والتشبيه بمواقع القطر في الكثرة والعموم، أي: أنها كثيرة، وتعمُّ الناس، لا تختص بها طائفة، وهذا إشارة إلى الحروب الجارية بينهم، كوقعة الجمل وصفين والحرة، ومقتل عثمان، ومقتل الحسين رضي الله عنهما وغير ذلك، وفيه معجزة ظاهرة له ﷺ". (٤) ويبين ابن حجر معنى اختصاص المدينة بالفتن، فيقول: "وإنما اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان رضي الله عنه كان بها، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك، فالقتال بالجمل وبصفين كان بسبب قتل عثمان، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين، وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك، أو عن شيء تولد عنه". (٥)

أخبر النبي عثمان ببعض معالم هذه الفتنة فقال له: ((يا عثمان، إنه لعل الله يممّصك قميصاً، فإن أرادوك على خلعه، فلا تخلعه لهم)). (٦) لقد أنبأه رسول الله ﷺ كما سبق أنه يموت شهيداً، وها هو بينه عن خلافته، وأن ثمة من يريد خلعه من هذه الخلافة، فطلب منه النبي ﷺ عدم موافقتهم عليه، وكل ذلك من أخبار الغيب الصادقة الدالة على نبوته .

ووصف النبي بدقة معالم هذه الفتن التي تتابعت بعد مقتله، وكأنه ﷺ يراها، وفي مقدمتها الفتنة الكبرى التي اقتصت فيها الصحابة في معركتي الجمل وصفين، وذلك بعد وفاته بثلاثين سنة، فيقول: ((لا تقوم الساعة

(١) - رواه مسلم ح (١٧٧٩).

(٢) - رواه البخاري ح (٣٦٠٢).

(٣) - رواه البخاري ح (٧٠٦٠)، ومسلم ح (٢٨٨٥).

(٤) - شرح النووي على صحيح مسلم (٧/١٨ - ٨).

(٥) - فتح الباري (١٦/١٣).

(٦) - رواه الترمذي ح (٣٧٠٥)، وأحمد في المسند ح (٢٤٦٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ح (٢٩٢٣٣). تحفة الأحوذى (١٠/١٣٧).

حتى تقتتل فتتان، دعواهما واحدة)). (١) قال ابن كثير: "وهاتان الفتتان هما أصحاب الحمل وأصحاب صفين، فإنهما جميعاً يدعون إلى الإسلام، وإنما يتنازعون في شيء من أمور الملك ومراعاة المصالح العائد نفعها على الأمة والرعايا، وكان ترك القتال أولى من فعله، كما هو مذهب جمهور الصحابة". (٢) قال ابن حجر: "قوله: ((دعواهما واحدة)) أي دينهما واحد، لأن كلا منهما كان يتسمى بالإسلام، أو المراد أن كلا منهما كان يدعي أنه المحق". (٣)

وكما تنبأ ﷺ بظهور الخوارج، وحدد صفاتهم وسماتهم، لما جاءه ذو الخويصرة متهماً النبي ﷺ بالظلم في قسمة الغنائم قال: ((إن له أصحاباً، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية... آيتهم رجلٌ أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على خير فرقةٍ من الناس))، قال أبو سعيد الخدري: (أشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل، فالتمس، فأتي به حين نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته). (٤) قال النووي: "وفي هذا الحديث معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ فإنه أخبر بهذا، وجرى كله كفلق الصبح، ويتضمن بقاء الأمة بعده ﷺ وأن لهم شوكة وقوة، خلاف ما كان المبطلون يشيعونه، وإنهم يفترون فرقتين، وأنه يخرج عليه طائفة مارقة، وأنهم يشددون في الدين في غير موضع التشديد، ويبالغون في الصلاة والقراءة، ولا يقيمون بحقوق الإسلام، بل يمرقون منه، وأنهم يقاتلون أهل الحق، وأن أهل الحق يقتلونهم، وأن فيهم رجلاً صفة يده كذا وكذا، فهذه أنواع من المعجزات جرت كلها، والله الحمد". (٥)

وثمة ميزان آخر للفتنة، إنه عمار بن ياسر، رآه النبي ﷺ عند بناء مسجده يحمل لبنتين لبنتين، فيما كان الصحابة يحملون لبنة لبنة، فجعل ﷺ ينفض التراب عنه، ويقول: ((ويح عمار، تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونهم إلى النار))، قال أبو سعيد: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتنة. (٦) قال النووي في شرحه للحديث: "وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ من أوجه: منها أن عماراً يموت قتيلاً، وأنه يقتله مسلمون، وأنهم بُغاة، وأن الصحابة يقاتلون، وأنهم يكونون فرقتين: باغية، وغيرها، وكل هذا قد وقع مثل فلق الصبح، صلى الله وسلم على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى". (٧) وقال ابن عبد البر: "وتواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال: ((تقتل عمارَ الفئة الباغية))، وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوته ﷺ وهو من أصح الأحاديث". (٨) وقد قتل عمارٌ في جيش عليّ سنة سبع وثلاثين للهجرة النبوية، فكان دليلاً آخر على صحة موقف أبي الحسن عليّ عليه السلام وهو أيضاً دليل على صحة نبوة نبينا ﷺ وإلا فمن ذا الذي أخبر النبي ﷺ بما يقع

(١) - رواه البخاري ح (٦٩٣٦).

(٢) - البداية والنهاية (٦/٢١).

(٣) - فتح الباري (٦/٧١٣).

(٤) - رواه البخاري ح (٣٦١٠)، ومسلم ح (١٠٦٤). رواه مسلم ح (١٠٦٥). فتح الباري (١٢/٣١٤).

(٥) - شرح صحيح مسلم (٧/١٦٦ - ١٦٧).

(٦) - رواه البخاري ح (٤٢٨)، ومسلم ح (٥١٩٢) واللفظ للبخاري.

(٧) - شرح النووي على صحيح مسلم (٨/٤٠).

(٨) - الاستيعاب (٢/٤٨١).

بعد وفاته من تمايز المسلمين إلى فئتين، وأن الباغية منهما تقتل عماراً؟ لا ريب أنه وحي الله الذي يعلم السر وأخفى.

ومما أخبر به النبي من أخبار الفتن إخباره عن خروج إحدى أزواجه على جمل، وأنه يقتل حولها كثير من المسلمين، فعن ابن عباس رضي الله عنها قال: قال رسول الله: ((أَيْتُكُنَّ صَاحِبَةَ الْجَمَلِ الْأَدْبَبِ [أَي كَثِيرِ وَبِرِ الْوَجْهِ]، يَقْتُلُ حَوْلَهَا قَتْلَى كَثِيرَةً، تَنْجُو بَعْدَمَا كَادَتْ)). (١) وقد تحققت نبوءته ﷺ حين سارت عائشة ؓ جهة البصرة قبيل وقعة الجمل، فلما بلغت مياه بني عامر نبحت الكلاب، فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوآب، قالت: ما أظنني إلا أني راجعة. فقال لها الزبير: بل تقدمين، فيراك المسلمون، فيصلح الله عز وجل بينهم، قالت: إن رسول الله ﷺ قال لي ذات يوم: ((كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوآب)). (٢) فتحقق ما أخبرها به النبي ﷺ بعد وفاته بخمس وعشرين سنة، ليكون إنبأؤه دليل صدقه وبرهان نبوته.

وكما أخبر ﷺ عن الفتن التي تفرق المسلمين؛ فإنه أنبأ عن التثام شمل المسلمين على يد الحسن بن علي رضي الله عنهم، يقول أبو بكره ؓ بينا النبي ﷺ يخطب؛ جاء الحسن، فقال عليه الصلاة والسلام: ((ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)). (٣) وقد كان كما أخبر ﷺ فقد تنازل الحسن لمعاوية عن الملك عام أربعين من الهجرة، فسُمِّيَ عام الجماعة لاجتماع المسلمين فيه على خليفة واحد بعد طول فرقة واختلاف، قال ابن حجر: "وفي هذه القصة من الفوائد علم من أعلام النبوة، ومنقبة للحسن بن علي؛ فإنه ترك الملك، لا لقلّة، ولا لذلة، ولا لعلّة، بل لرغبته فيما عند الله، لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة". (٤) وفي ذلك كله شهادات تترى على نبوة النبي ﷺ الذي خصه الله بهذه الأخبار من من غيبه، فتحققت.

المبحث السادس: إخباره ﷺ بفتوح أمته للبلدان

ومن الغيوب الدالة بتحققها على نبوة النبي ﷺ ما أخبر عنه مراراً من انتشار الإسلام وظهور أمره على الأديان، وبلوغه إلى الآفاق، وهو أمر غيب لا مدخل فيه للتخمين ورجم الظنون، فإما أنه كاذب صادر من دعي، أو هو خبر صادق أوحاه الله الذي يعلم ما يُستقبل من الأحداث والأخبار. وشواهد ذلك كثيرة في القرآن والسنة، منها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، وقد صدقه الله فقد ظهر أمره، وتم نوره، وعظم دينه، قال ﷺ منبأً عن ملك أمته وسلطانها: ((إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزَيْنِ الأحمرَ والأبيض)). (٥) وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة، وقد وقعت كلها بحمد الله كما أخبر به ﷺ... المراد بالكنزين الذهب والفضة، والمراد كنزى كسرى وقيصر، ملكي العراق والشام، وفيه إشارة

(١) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ح (٣٧٧٨٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: "رواه البزار ورجاله ثقات" (٤٧٤/٧).
(٢) - رواه أحمد ح (٢٣٧٣٣)، والحاكم (١٢٩/٣)، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في البداية: "هذا إسناد على شرط الصحيحين (٦/٢١٢)."
(٣) - رواه البخاري ح (٧١٠٩). انظر العبر، الذهبي (٩/١).
(٤) - فتح الباري (١٣/٧١). راجع للتوسع دلائل النبوة لمنقذ السقار بحث الفصل الأول
(٥) - رواه مسلم ح (٢٨٨٩).

إلى أنّ مُلكَ هذه الأمة يكون معظم امتدادِهِ في جهتي المشرق والمغرب، وهكذا وقع، وأما في جهتي الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب". (١) فقد أعلمه الله بانتشار دينه، وبسؤدد أتباعه وأمتته من بعده على فارس والروم وغيرها من البلاد، ومثل هذه النبوءة العظيمة بل أعظم منها؛ تنبؤه ﷺ عن بلوغ دينه إلى أقاصي الأرض، في قوله: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدبر ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذلّ ذليل، عزاً يُعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر^(٢)).

منها، تنبؤه ﷺ بنصر بدر العظيم وهو في مكة حين كان المسلمون يعانون صنوف الاضطهاد ويُسامون سوء النكال؛ وفي وسط هذا البلاء نزل على النبي ﷺ قوله تعالى: {أَكْفَارِكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزَّيْرِ - أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ - سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبْرَ - بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ} [القمر: ٤٣ - ٤٦] فقال عمر بن الخطاب [أي في نفسه]: أي جمع يهزم؟ أي جمع يُعَلَب؟ فلما كان يوم بدر رأيتُ رسول الله ﷺ يثب في الدرع، وهو يقول: {سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبْرَ} فعرفتُ تأويلها يومئذ. (٣) فهذه الآية نزلت قبل الهجرة بسنوات؛ تتحدث عن غزوة بدر واندحار المشركين فيها، وتنبأ بهزيمتهم وفلول جمعهم.

ومما بشر به ﷺ، فتحقق بعده كما أخبر، بشارته بفتوح اليمن والشام والعراق واستيطان المسلمين بهذه البلاد، حيث قال ﷺ: (تُفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يُسَيِّئُونَ) (يزيرون لهم ليرحلوا إليهم) فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشام فيأتي قومٌ يُسَيِّئُونَ، فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح العراق فيأتي قومٌ يُسَيِّئُونَ، فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون^(٤))) (٥) في هذا الحديث معجزاتُ لرسول الله، لأنه أخبر بفتح هذه الأقاليم، وأن الناس يتحملون بأهلهم إليها ويتركون المدينة، وأن هذه الأقاليم تفتح على هذا الترتيب [اليمن ثم الشام ثم العراق]، ووجد جميع ذلك كذلك، ويؤكد ابن عبد البر وابن حجر: "افتتحت اليمن في أيام النبي ﷺ وفي أيام أبي بكر، وافتتحت الشام بعدها، والعراق بعدها، وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد وقع على وفق ما أخبر به النبي وعلى ترتيبه، ووقع تفرق الناس في البلاد لما فيها من السعة والرخاء، ولو صبروا على الإقامة بالمدينة لكان خيراً لهم". (٦)

وأما فتح فارس، فقد بشر به رسول الله ﷺ أصحابه، فقال: ((لتفتحن عصابة من المسلمين كثر آل كسرى الذي في الأبيض)). (٧) وتحقق الوعد زمن خلافة عمر بن الخطاب، ففتحه الصحابة فكان أول من رأى القصر الأبيض ضرار بن الخطاب، فجعل الصحابة يكبرون ويقولون: هذا ما وعدنا الله ورسوله. (٨)

(١) - شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/١٣).

(٢) - رواه أحمد ح (١٦٥٠٩).

(٣) - رواه أحمد ح (١٦٥٠٩). جامع البيان (٢٢/٦٠٢).

٤ - رواه مسلم ح (١٨٧٥).

(٥) - شرح النووي على صحيح مسلم (٩/١٥٩). وفتح الباري (٤/١١٠).

(٦) - رواه مسلم ح (٢٩١٩).

(٧) - انظر البداية والنهاية (٧/٦٤).

وكذا أخبر النبي ﷺ بفتح مصر؛ ودعا إلى الإحسان إلى أهلها إكراماً لهاجر أم إسماعيل، فقد كانت من أرض مصر، كما أخبر بدخول أهلها في الإسلام واشتراكهم مع إخوانهم في التمكين له، قال ﷺ ((إنكم ستفتحون مصر .. فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها؛ فإن لهم ذمة ورحماً))، في رواية لابن حبان: ((فاستوصوا بهم خيراً، فإنهم قوة لكم، وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله)). والتفت النبي ﷺ إلى أبي ذر فقال: ((إذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع كئنة فاخرج منها)).

وتحقق ذلك زمن خلفائه الراشدين، فكان أبو ذر رضي الله عنه ممن فتح مصر وسكنها، يقول ﷺ فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع كئنة، فخرجت منها. (أ) قال النووي: "وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ منها إخباره بأن الأمة تكون لهم قوة وشوكة بعده، بحيث يقهرون العجم والجبابرة، ومنها أنهم يفتحون مصر، ومنها تنازع الرجلين في موضع الكئنة، ووقع كل ذلك والله الحمد". (ب)

ومنها ما أخبر النبي ﷺ أن الفتوح التي تقع على أيدي أصحابه ومن بعدهم، تستمر إلى ثلاثة أجيال بعده ﷺ قبل أن تتوقف، ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: ((يأتي على الناس زمانٌ يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم. ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم. ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ فيقولون: نعم. فيفتح لهم)). (ج)

ولا تتوقف نبوءات النبي عند فتوح العراق والشام ومصر زمن أصحابه، بل يمتد إخباره ليحدث عن فتح بلاد بعيدة المنال، عصية القلاع، القسطنطينية عاصمة دولة الروم، يقول ﷺ: ((لثفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش))، قال عبد الله بن بشر الخثعمي راوي الحديث: فدعاني مسلمة بن عبد الملك، فسألني فحدثته، فغزا القسطنطينية. (د) فلقد جزم مسلمة بتحقيق هذه النبوءة، فأراد أن يحوز شرفها، فغزا القسطنطينية، لكن الله اختبأها لفتى بني عثمان محمد الفاتح رحمه الله، فكان فتحها دليلاً آخر على نبوة النبي ﷺ، لكن العجيب المدهش الذي يلوي الأعناق من أخبار الفتوح أن بعض هذه الأخبار كانت في وقت ضيق المسلمين، وعلى خلاف ما توحى به الأحداث، بل على عكسه ونقيضه، لقد كان النبي يتنبأ - وهو في ضنك البلاء وأوار الحنة - بما لا يمكن لأحد أن يحلم به ولو في رؤياه (هـ)، فلقد خرج على أصحابه وهم يعذبون بالنار والحديد في بطحاء مكة، وفيهم خباب بن الأرت، الذي تقدم إليه شاكياً فقال: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ فقال ﷺ: ((كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه فيُشَقُّ باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه"، ثم بشره النبي ببشارة عظيمة مذهلة فقال: ((والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه،

(١) - رواه مسلم ح (٢٥٤٣)، ورواية ابن حبان رواها في صحيحه، الموارد ح (٢٣١٥).

(٢) - شرح صحيح مسلم (٩٧/١٦).

(٣) - رواه البخاري ح (٣٦٤٩)، ومسلم ح (٢٥٣٢) واللفظ له.

(٤) - رواه أحمد ح (١٨٤٧٨)، وحسن إسناده ابن عبد البر في الاستيعاب (١/٢٥٠)، ورواه الحاكم في المستدرک (٤/٤٦٨)، وقال: هذا حديث صحيح

(٥) - راجع دلائل النبوة للسقار فقيه مزيد

ولكنكم تستعجلون)). (١) إنه ﷺ يتنبأ بتمام أمر دينه، وبأمن أصحابه في زمن ما كانوا يجروون فيه على إعلان دينهم خوفاً من بطش قريش وعذابها.

وفي المدينة المنورة ألقى الخوف بظلاله على المسلمين، ولنسمع إلى أبي بن كعب وهو يصف حالهم: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة، وآواهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا في السلاح، ولا يصبحون إلا فيه. فقالوا: ترون أننا نعيش حتى نبئت مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل؟ فنزل قوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾ (النور: ٥٥) وكان كذلك، فقد أمّنهم الله من بعد خوفهم، وسوّدهم الأرض، واستخلفهم فيها من بعد ذلتهم، ومكّن لهم دينهم في مشارق الأرض ومغاربها. قال القرطبي: " وقد فعل الله ذلك بمحمدٍ وأمتِهِ، ملكَهُم الأرض، واستخلفهم فيها، وأذل لهم ملوكاً تحت سيف القهر بعد أن كانوا أهل عز وكبر، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم(٢) ﴿وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد﴾ [الزمر: ٢٠]".

وفي موقف آخر من المواقف الصعبة التي عانى منها الصحابة أتى عدي بن حاتم النبي ﷺ، وبينما هو عنده؛ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل. فالتفت النبي ﷺ إلى عدي، وقال: ((فلعلك إنما يمنعك عن الإسلام أنك ترى من حولي خصاصة، أنك ترى الناس علينا إلباً)). ثم ألقى النبي ﷺ نبوءة مفاجئة أذهلت عدياً، فقد قال له: ((يا عدي، هل رأيت الحيرة؟)) فأجابه: لم أرها، وقد أنبت عنها. فقال ﷺ: ((فإن طالت بك حياة لترين الظعينة [أي المرأة] ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحداً إلا الله)). يقول عدي، وهو يتشكك من وقوع هذا الخبر: قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَار [لصوص] طيء الذين سعروا البلاد؟ وقبل أن يفيق عدي من ذهوله وحديثه مع نفسه أسمعته النبي ﷺ نبوءة أعظم وأبعد، فقال: ((ولئن طالت بك حياة لثفتح كنوز كسرى)). ولم يصدق عدي مسمعه، فسأل النبي ﷺ مستوثقاً: كسرى بن هرمز؟ فأجابه النبي ﷺ بلسان الوثاق من ربه - رغم ضعف حاله وفاقة أصحابه - ((كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله)). ثلاث نبوءات لا يمكن لغير مؤمن أن يُصدق بوقوعها في ذلك الزمان وفي مثل تلك الظروف، لكنها دلائل النبوة وأخبار الوحي الذي لا يكذب.

يقول عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ [عن الرجل] يخرج ملء كفه. (٢) وصدق عدي ﷺ، فقد تحققت الثالثة زمن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز. ومثله قوله ﷺ: ((لا تقوم

(١) - رواه البخاري ح (٣٦١٢).

(٢) - الإعلام بما في دين النصارى (١/ ٢٣٨) للقرطبي

(٣) - رواه البخاري ح (٣٥٩٥)، فيما عدا قوله: ((فلعلك إنما يمنعك عن الإسلام أنك ترى من حولي خصاصة، أنك ترى الناس علينا إلباً))، فإنها من رواية الحاكم (٤/ ٥٦٤).

الساعة حتى يسير الراكب بين العراق ومكة؛ لا يخاف إلا ضلال الطريق)). (١) إنها من أخبار الغيب الدالة بتحققها على نبوة محمد ﷺ .

ولما أتت جموع الأحزاب إلى المدينة، يرومون استئصال المسلمين؛ أمر النبي بحفر الخندق حول المدينة، وبينما هم يحفرون عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر، فقام رسول الله ﷺ وأخذ المعول، ووضع رداءه ناحية الخندق، وقال: {وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم} (الأنعام: ١١٥) فندر ثلث الحجر، وسلمان الفارسي قائم ينظر، فبرق مع ضربة رسول الله بركة. ثم ضرب الثانية والثالثة.. فكان مثله. فتقدم إليه سلمان فقال: يا رسول الله رأيتك حين ضربت، ما تضرب ضربة إلا كانت معها بركة! فقال له رسول الله ﷺ: ((يا سلمان رأيت ذلك؟)) فقال: إي والذي بعثك بالحق يا رسول الله، قال: ((فإني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعيني)). فقال له من حضره من أصحابه: يا رسول الله، ادع الله أن يفتحها علينا.. فدعا رسول الله ﷺ بذلك، ((ثم ضربت الضربة الثانية، رفعت لي مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعيني)). قالوا: يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا.. فدعا رسول الله ﷺ بذلك. ((ثم ضربت الثالثة فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعيني)). ولما انقضت غزوة الأحزاب، ولت جموعهم الأدبار، وقبل أن ينقشع غبار إدمارهم أخبر النبي ﷺ بنبوءة ما كان له أن يطلع عليها لولا إخبار الله له، فقال: ((الآن نغزوهم ولا يغزونا، نحن نسير إليهم)). وهكذا كان، إذ كانت غزوة الأحزاب آخر غزاة غزتها قريش في حربها مع النبي، وقد غزاهم المسلمون بعدها، وفتحوا مكة بعون الله وقدرته، فمن الذي أعلم النبي - صلى الله عليه وسلم - أن هذه الألوف التي دهمت المدينة لن تعود إليها بعد هذه الكثرة الخاسرة؟ إنه الله رب العالمين. قال ابن حجر عن قوله: ((الآن نغزوهم ولا يغزونا)): "وفيه علمٌ من أعلام النبوة، فإنه - صلى الله عليه وسلم - اعتمر في السنة المقبلة، فصَدَّتْهُ قريش عن البيت، ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها، فكان ذلك سبب فتح مكة، فوقع الأمر كما قال ﷺ". (٢)

المبحث السابع: إخباره ﷺ بأخبار آخر الزمان وعلامات الساعة

وإن من دلائل النبوة ما أخبر ﷺ أنه يكون بين يدي الساعة، ونراه أو نرى بعضه في حياتنا اليوم، وهو ما يسميه العلماء بأشراط الساعة الصغرى، وهذا الحاضر الذي نراه اليوم كان غيباً أطلع الله عليه نبيه، ليكون شاهداً على نبوته ورسالته. ((وتكثرُ الزلازل، ويتقاربُ الزمان، وتظهرُ الفتن، ويكثرُ الهرج، وهو القتل)). (٣) وفي رواية: ((يتقاربُ الزمان، وينقصُ العمل، ويُلقى الشح)). (٤) ((ويُشربُ الخمر، ويظهرُ الزنا)). (٥) ظهور الزنا وإعلانه والاستفشار به والتبرير له .

(١) - رواد أحمد ح (٨٦١٥)، قال الهيثمي: "رجاله رجال الصحيح" مجمع الزوائد (٦٣٩/٧).

(٢) - رواد البخاري ح (٤١١٠). (١) رواد النسائي ح (٣١٧٦)، وأبو داود ح (٤٣٠٢)، وحسنه الألباني في صحيح النسائي ح (٢٩٧٦). (٣) فتح الباري (٤٦٨/٧).

(٣) - رواد البخاري ح (١٠٣٦).

(٤) - (رواد البخاري ح (٦٠٣٧)، ومسلم ح (١٥٧).

(٥) - رواد البخاري ح (٨٠)، ومسلم ح (٢٦٧١).

شيعو شرب الخمر بين المسلمين، وقد أنبا ﷺ أن الذين سيشربونها؛ يسمونها بغير اسمها، وأنهم يستحلونها، ولا يرون أنها الخمر التي حرمها الله، قال ﷺ: ((يشرب ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها))، وزاد في رواية الدارمي: ((فيستحلونها)). (١) وبيأه عن النبي ﷺ أنه قال: ((ليكونن من أمتي أقوامٌ يستحلون الحرَّ والحرير والخمر والمعازف)). (٢)

كثرة الفتن وما يستتبعها من كثرة الهرج الذي هو القتل، وقد أبانه النبي ﷺ فقال: ((والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل، ولا يدري المقتول على أي شيء قُتل)). (٣) ونجد مصداق هذه النبوة النبوية في كثرة الحروب والفتن التي يقتل فيها الأبرياء، فلا يدري القاتل من يقتل، ولا لماذا يقتل، ومثله المقتول. أجازنا الله من الفتن. وهذا يفسر لنا علامات النبوة، الواردة في قول النبي ﷺ: ((وتكثر النساء ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد))، فإن الرجال هم وقود الحروب والفتن دون غيرهم. "قل سببه أن الفتن تكثر، فيكثر القتل في الرجال؛ لأنهم أهل الحرب دون النساء... الظاهر أنها علامة محضة لا لسبب آخر، بل يُقدّر الله في آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث". (٤) وإلى صدق هذه النبوة وقرب تحققها تشير الإحصاءات العالمية، حيث وصلت نسبة الذكور حسب إحصاءات الأمم المتحدة عام ٢٠٠٢م إلى ٤٨%، وتتوقع دائرة الإحصاءات الأمريكية أن تصل نسبة الذكور عام ٢١٠٠م إلى ٣٨% من سكان الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما يؤكد أن ما أخبر به ﷺ في طريقه إلى التحقق.

وروى الإمام مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله قال: ((لا تقوم الساعة حتى...، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً)). (٥) فالبشارة النبوية تضمنت خبرين: أولهما: أن أرض العرب - أي جزيرة العرب - كانت مروجاً وأنهاراً، أي كانت خضراء كثيرة المياه، والثاني: أنها ستعود كذلك قبل قيام الساعة. ومن المعلوم أن جزيرة العرب تنعدم الأنهار فيها اليوم، وتقل المساحات الخضراء في ربوعها، بينما يخبر الحديث أنها كانت وسترجع إلى غير هذه الحال. وحين تحدث القرآن عن قوم نبي الله هود، قوم عاد الذين عاشوا في جنوب جزيرة العرب وقريباً من صحراء الربع الخالي، قال ممتناً عليهم: {وايقنوا الذي أمركم بما تعلمون * أمركم بأنعام وبنين * وجنات وعميون} [الشعراء: ١٣٢ - ١٣٤]، فذكر أن بلادهم المقفرة اليوم كانت مروجاً وبساتين كثيرة المياه وليست بلاد عاد الوحيدة من المدائن القديمة التي دفنتها ذرات رمال الصحراء، التي أغرقت بكثابتها الكثير من المدن التي كانت عامرة في غابر الأيام، كمدينة الفاو ومدينة أوبار المكتشفتين حديثاً في جنوب جزيرة العرب، ومثل هذه المدن لا تُشاد في صحراء جرداء، بل في واحة خضراء كثيرة المياه.

وهذا الخبر نجد مصداقه أيضاً عند علماء الجيولوجيا والآثار، حيث يؤكدون أن جزيرة العرب كانت قبل عشرين ألف سنة رقعة خضراء كثيرة المياه والأنهار، وفيها الكثير من أنواع الحيوانات التي تتواجد عادة في المراعي

(١) - رواه النسائي ح (٥٦٥٨)، وأبو داود ح (٣٦٨٨)، وأحمد ح (١٧٦٠٧)، والدارمي ح (٢١٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح (٩٥٨٤).

(٢) - ذكر البخاري معلقاً بصيغة الجزم في باب: "ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه".

(٣) - رواه مسلم ح (٢٩٠٨).

٤ - فتح الباري (١/٢١٥).

٥ - أخرجه مسلم ح (١٥٧).

والغابات، كما شهد بذلك ما بقي من آثارهم ، كما أكد صدقَ هذا الخبر النبوي الدكتور (هال ماكلور) في أطروحته للدكتوراه والتي كانت عن الربع الخالي، فذكر أن البحيرات كانت تغطي هذه المنطقة الصحراوية خلال العصور المطيرة التي انقضت قبل ثمانية عشر ألف سنة. (١) و وافقه العالم الجيولوجي الألماني الشهير البروفسور الفريد كرونر في مؤتمر علمي أقيم في جامعة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية ، وأضاف بأن عود جزيرة العرب إلى تلك الحال مسألة معروفة عند العلماء، وأنها حقيقة من الحقائق العلمية، التي يوشك أن تكون، وقال: هذه حقيقة لا مفر منها، ولما أُخبرَ بقول النبي - صلى الله عليه وسلم - ((وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً)) تعجب، وقال: "إن هذا لا يمكن أن يكون إلا بوحى من أعلى" أي من عند الله ، وقال: "أعتقد أنك لو جمعت كل هذه الأشياء، وجمعت كل هذه القضايا التي بسطت في القرآن الكريم والتي تتعلق بالأرض وتكوين الأرض والعلم عامة، يمكنك جوهرياً أن تقول: إن القضايا المعروضة هناك صحيحة بطرق عديدة، ويمكن الآن تأكيدتها بوسائل علمية، ويمكن إلى حد ما أن نقول: إن القرآن هو كتاب العلم الميسر للرجل البسيط، وإن كثيراً من القضايا المعروضة فيه في ذلك الوقت لم يكن من الممكن إثباتها، ولكنك بالوسائل العلمية الحديثة الآن في وضع تستطيع فيه أن تثبت ما قاله محمد منذ ١٤٠٠ سنة". (٢) ويحسُن هنا التذكير بما حملته إلينا الأخبار عن تصوير جزيرة العرب من الفضاء، واكتشاف العلماء من خلال هذه الصور أنها تسبح فوق نهر من المياه الجوفية، يمتد غرب الجزيرة العربية إلى شرقها، ناحية الكويت، حيث أوضحت الصور أن مساحةً شاسعة من شمال غرب الكويت عبارة عن دلتا لهذا النهر العملاق.

فمن الذي أخبر محمداً ﷺ بحال جزيرة العرب قبل آلاف السنين؟ ومن الذي أنبأه بما سيكون عليه حالها في قابل الأيام؟ إنه وحي الله الذي يشهد له بالرسالة .

وقال ﷺ: ((إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفُشُوُّ التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم)). (٣) (وظهور القلم) ، أي تعلم الناس الكتابة، وهو أمر لم يتحقق إلا في هذا القرن، حيث تراجعت نسب الأمية بين شعوب العالم، وهي في طريقها إلى الزوال، وبخاصة مع تيسر سبل التعليم وتقدم وسائل الاتصالات ،والسؤال، كيف عرف النبي ﷺ قبل أربعة عشر قرناً أن الكتابة تفشو بين الناس، لقد أنبأ به في عصر كان عدد الكتبة فيه لا يكاد يتجاوز الألف. إنه علم آخر من أعلام النبوة.

ومما أخبر ﷺ أنه يكون قبيل الساعة، وتحقق في زماننا؛ استغناء الناس عن ركوب الدواب ، التي استبدلوها بما أنتجته التقنية الحديثة من السيارات والطائرات وغيرها من وسائل الانتقال ، وهو أمر حديث أشار إليه القرآن بقوله: {والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينةٌ ويخلق ما لا تعلمون} (النحل: ٨) فإذا ما خلق الله هذه

(١) - مجلة الإعجاز العلمي، العدد السادس (ص ٣٣).

(٢) - إنه الحق، هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي (ص ٣٤).

(٣) - رواه أحمد ح (٣٨٦٠)، والبخاري في الأدب المفرد ح (١٠٤٩)، وصححه الحاكم (٤/ ١١٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (٦٤٧).

الوسائل الجديدة تحققت نبوءة رسول الله: ((ولتتركن القلاص فلا يُسعى عليها)). (١) الجمال الممتازة أفضل أنواع الجمال المجهزة للركوب والسفر عليها

وتعاني أمة الإسلام حالة غريبة من التشرذم والضعف، وأصبحت بلادها كلاً مستباحاً للقاصي والداني، ولم يشفع لها أنها تجاوزت المليار والربع من المسلمين، فهم غثاء كغثاء السيل، فصدق فيهم حديث النبي: ((يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها)) فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: ((بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن))، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: ((حب الدنيا وكرهية الموت)). (٢) إنه نبوءة من لا ينطق عن الهوى، ، وهكذا فإن وقوع ما أخبر النبي بعد مضي هذه القرون من تنبئه بهذه الأحداث وتلك المظاهر، لبرهان صدق ودليل حق على نبوة النبي .

الفصل الرابع :

القسم الرابع من دلائل النبوة - المعجزات الحسية المنقولة

تمهيد: كما أيد الله سبحانه رسوله محمدا ﷺ بالقرآن الذي هو أعظم بيناته، فقد أيدته بمعجزات خارقة للعادة أجراها على يده وشاهدها المعاصرون له من أصحابه وأعدائه، فكانت دليلاً للجميع على صدقه

(١) - أبو داود ح (٣٧٤٥)، وأحمد ح (٢١٣٦٣)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ح (٥٣٦٩).

(٢) - رواه أبو داود ح (٣٧٤٥)، وأحمد ح (٢١٣٦٣)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ح (٥٣٦٩).

فيما بلغ عن ربه، وعلى تأييد الله سبحانه له، كما أن هذه الحوادث الخارقة التي وقعت لا تزال دليلاً بيننا لكل عاقل في أي زمان ومكان على صحة نبوة محمد ﷺ، لأنها قد نقلت إلينا نقلاً صحيحاً أميناً، ووثقت توثيقاً بالغاً لا يوجد مثله في تاريخ الأمم قديمها وحديثها فكأن السامع لها يراها بين يديه آية بينة تدل على صدق محمد ﷺ لدقة توثيقها فيطمئن بها قلبه وعقله.

وهذه المعجزات من قبيل ما أوتيته النبيون السابقون كمثال حبس الله الشمس عن الغروب لنبية يوشع بن نون كما تذكر التوراة . لقد حرق الله سنته في جريان الشمس إكراماً لنبى الله يوشع، واستجابة لدعائه لله ، ومثله أيد الله موسى عليه السلام، فقد شقَّ الله له البحر لما ضربه بعصاه، فصار طرقاتاً ممهدة يمشي بنو إسرائيل عليها في دعة وسكينة ، ومثله أيضاً أيد الله نبيه وخاتم رسله، فصنع الله بيديه باهر المعجزات، قال ابن تيمية: "كان يأتيهم بالآيات الدالة على نبوته و معجزاته تزيد على ألف معجزة" (١). وقال ابن القيم بعد أن ذكر معجزات موسى وعيسى عليهما السلام: "وإذا كان هذا شأن معجزات هذين الرسولين، مع بُعد العهد وتشنت شمل أمتيهما في الأرض، وانقطاع معجزاتهما، فما الظن بنبوة محمد ﷺ ، ومعجزاته وآياته تزيد على الألف والعهد بما قريب، وناقلوها أصدق الخلق وأبرهم، ونقلها ثابت بالتواتر قرناً بعد قرن؟" (٢) ، المعجزات الحسية التي وهبها الله النبي صلى الله عليه وسلم مثل تكثير الطعام في حوادث ومواطن كثيرة، وشفاء المرضى وانشقاق القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه في مواطن متعددة، وهذه المعجزة أعظم من تفجر الماء من الحجر كما وقع لموسى عليه السلام ، فإن ذلك من عادة الحجر في الكثير الغالب، وأما أن يحدث ذلك من أصابع هي لحم ودم، فعن جابر رضي الله عنه قال: «عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه، وقالوا: ليس عندنا ماء إلا في ركوتك فوضع النبي يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون " وكان الناس ألفاً وأربعمائة» . عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «أن عين قتادة ابن النعمان أصيبت حتى وقعت على وجنته، فردها رسول الله فكانت أحسن عينيه» ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «قالت أمي: يا رسول الله، خادمك أنس، ادع الله له، فقال: اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته. قال أنس: فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولدي ليعادون اليوم نحو المائة.».

فإن قال قائل: إن ما ذكرته وما نقلته من هذه المعجزات الحسية، لم نره، ولم نشاهده، ولم نحس به، فلا يكون حجة علينا!! قلنا له: وكذلك معجزات المسيح وغيره من الأنبياء لم نرها، ولم نشاهدها، ولم نحس بها!! فإن قال قائل: لكن تواترت روايات الثقات بهذا؟ قلنا له: إن (الرواية الإسلامية) هي أدق الروايات وأضبطها على الإطلاق، أما (الرواية المسيحية) فهي رواية يعتريها الشك من كل أقطارها! ثم إن (المعجزة الحسية) هي كل شيء بالنسبة لهذه الديانات،. فإن ثبتت صحت هذه الديانات، وإن انتقت أو دخلها الشك، بطلت هذه الديانات! أما الإسلام. . . الدين الخاتم. . . الذي جاء به النبي الخاتم محمد . . . فإنه لم يركز على المعجزة الحسية وحدها. . . وإنما ركز على المعجزات المعنوية. . . وفي قمتها القرآن الكريم. . . والقرآن

(١) - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/٣٩٩).

(٢) - إغاثة اللهنان (٢/٣٤٧).

الكريم معجزة عقلية معنوية باقية لا يهون من جلالها مرور الزمان، وتقادم الأيام، بل إن الزمان كلما تقادم زاد هذا القرآن جدة وقوة وإعجازا، فالزمان عنصر من الإعجاز في القرآن . . . !

إن الإسلام دين معجز، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان ومجالات واتجاهات! فهو معجز في تشريعه . . .! وهو معجز في تاريخه . . .! وهو معجز في دائرة معارفه . . .! وهو معجز في فتوحاته وانتصاراته . . .! فإن قال قائل: إن القرآن ينفي (المعجزات الحسية) عن النبي كما جاء في سورة الإسراء ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا﴾ {أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا} {أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا} {أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا} [الإسراء: ٩٠ - ٩٣]، قلنا له: الذي يُفهم من هذه الآيات، وما شاكلها، نفي المعجزات المقترحة، ولا يلزم من نفي المعجزات المقترحة نفي المعجزات مطلقا، إذ أنه ليس حتما على الأنبياء أن يظهروا معجزة كلما طلبها المنكرون!! بل على العكس فهم لا يظهرون المعجزة إذا كان طلبها منطويا على العناد والامتحان والاستهزاء . . .

ولهذا نظائر في الكتاب المقدس: " فخرج الفريسيون وابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكي يجربوه، فتنهد بروحه، وقال: لماذا يطلب هذا الجيل آية. الحق أقول لكم لن يعطي هذا الجيل آية " (مرقس: ٨: ١١، ١٢)، طلب الفريسيون معجزة من عيسى عليه السلام على سبيل الامتحان، فما أظهر معجزة، ولا أحال - في ذلك الوقت - إلى معجزة ولا وعد بإظهار معجزة فيما بعد . . .! بل قال: (لن يعطي هذا الجيل آية) وهذا يدل على أنه لن تصدر عنه معجزة إطلاقا . . .! لأن لفظ الجيل يشمل جميع الذين كانوا في زمانه! وفي إنجيل لوقا: " وأما هيرودس فلما رأى يسوع فرح جدا لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة، وترجى أن يرى آية تصنع منه وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشيء ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد، فاحتقر هيرودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباسا لامعا وردده إلى بيلاطس " (لوقا، ٢٣: ٨ - ١١) وفي (لوقا ٢٢: ٦٣ - ٦٥): " الرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه، وغطوه وكانوا يضربون وجهه، ويسألونه قائلين: تنبأ من هو الذي ضربك. وأشياء أخرى كثيرة كانوا يقولون عليه مجدفين " وفي متى: " وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين: يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك. إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب. وكذلك رؤساء الكهنة أيضا وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ، قالوا: خلص آخرين، وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به، قد أتكلم على الله فلينقذه الآن إن أراد. لأنه قال: أنا ابن الله. وبذلك أيضا كان اللسان اللذان صلبا معه يعيرانه " (متى، ٢٧: ٣٩ - ٤٤) .

وفي إنجيل متى أيضا: " فتقدم إليه المحرب، وقال له: إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل، وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب أنه

يوصي ملائكته بك، فعلى إيديهم يحملونك لكي لا تصطدم بحجر رجليك. قال له يسوع: مكتوب أيضا لا تجرب الرب إلهك " (متى ٤، ٣٠، ٧) ، ففي هذا النص نرى أن إبليس طلب من عيسى عليه السلام -على سبيل الامتحان- معجزتين، فما أجاب إلى واحدة منهما!!

إن دلائل النبوة الخارقة للعادة قد سجلت في القرآن الكريم، وفي كتب السنة النبوية المطهرة، بأدق طرق التوثيق والنقل

المبحث الأول: توثيق المعجزات في القرآن الكريم وفي دواوين السنة النبوية (١):

فكانت معجزات النبي ﷺ (الخارقة للعادة) تحصل، فيراها العشرات والمئات وربما الآلاف من أتباعه المؤمنين به ، ومن أعدائه المعاندين له، ثم ينزل القرآن العظيم ذكرا لهذه الخوارق والحوادث مستخلصا العبر منها؛ لأنه كان ينزل منجما حسب الأحداث ، وبعد نزول القرآن بذكر هذه الخوارق والحوادث صدقها المؤمنون وازدادوا إيمانا وثباتا على دينهم، ولم يتطرق إليهم أدنى شك في وقوع هذه الخوارق التي شاهدوها، ولم يملك أعداؤه ﷺ سوى الصمت تجاه ما يسمعون من آيات القرآن التي تذكر تلك الخوارق والحوادث.

ولو افترضنا جدلا أنها لم تقع لكان أعداء النبي أول المشنعين عليه بذلك، ولكانت فرصة سانحة ليثبتوا حسب زعمهم كذبه ﷺ ، لاسيما مع حرصهم الشديد على تكذيبه وتوافر الدواعي لديهم لذلك، واجتماع همهم للطعن في نبوته، والقدح في صدق رسالته، والتشكيك في أخباره، ولتشكك المسلمون في دينهم وارتدوا عنه، لكن شيئا من ذلك لم يقع، بل ازداد المؤمنون إيمانا وثباتا على دينهم وتصديقا لما سجل في كتاب ربهم، وصمت الكفار أمام ما شاهدوا من خوارق وقعت وسجلها القرآن فدخلوا في دين الله أفواجا، فعلمنا علما يقينيا وقوع تلك الخوارق والحوادث المؤيدة للنبوة والرسالة والشهادة بصدق النبي ورسالته ، وعلمنا أن أولئك العشرات أو المئات أو الآلاف الذين كانوا يشاهدون المعجزة هم الموقعون على محضر المعجزة، وهم الشهود المباشرين لها الشاهدون بصدق وقوعها.

أولا تسجيل المعجزات في القرآن : لقد كان ذكر القرآن الكريم لهذه الخوارق وتسجيله لها حين نزوله وسماع المئات والآلاف من المسلمين والكافرين لما ذكر فيه، بمثابة محضر أقره جميع الحاضرين من المؤمنين والكافرين المشاهدين لتلك الخوارق والحوادث، والسامعين لما سجل عنها في كتاب الله، فكان ثبات المؤمنين على إيمانهم بمثابة التوقيع منهم على صدق ما سجل في القرآن، كما كان سكوت الكافرين وعدم معارضتهم لما سجل في القرآن، بل وتحول الكثير منهم إلى الإيمان بمثابة التوقيع أيضا على مطابقة القرآن لما شاهدوه في الواقع.

مثال في العهد المكي: حادثة انشقاق القمر: في العهد المكي طلب كفار قريش من النبي ﷺ أن يريهم آية (علامة على صحة نبوته) فشق الله له القمر نصفين، وذكر القرآن الكريم ذلك وسجله. قال تعالى: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر (١) وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر (٢) وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل

أمر مستقر { [القمر: ١ - ٣] ، فلو أن ذلك لم يحصل لتشكك المسلمون في دينهم وخرجوا منه ، ولقال الكفار: إن محمدا يكذب علينا فما انشق القمر ولا رأينا شيئا من ذلك، ولكن الذي حدث أن زاد المؤمنين إيمانا، وتخير الكافرون أمام هذه المعجزة التي لم يملكو سوى أن يفسروها بأنها سحر مستمر!! « قوي شديد يعلو كل سحر» .

مثال في العهد المدني: إرسال الرياح والجنود على الأحزاب: اجتمع آلاف الكفار لغزو المدينة النبوية في معركة الأحزاب، فأرسل الله عليهم ريحا باردة أطفأت نيرانهم وكفأت قدورهم واقتلعت خيامهم وهدمت أبنيتهم وشردت خيولهم وإبلهم، وأرسل الله عليهم جنودا لا ترى لتزلزلهم حتى اضطروا للعودة من حيث جاءوا، وفك الحصار عن المدينة النبوية، وأنزل الله تعالى ذكر هذه الحادثة ممنا على المؤمنين. قال تعالى: { يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا } [الأحزاب: ٩] . ولو كانت هذه المعجزة لم تقع لتشكك المسلمون في القرآن، وربما ارتدوا عن دينهم، وقالوا: كيف نصدق ما لم يقع؟!، و لازداد الكفار عتوا ونفورا و لقالوا: محمد يكذب علينا وعلى الناس!!، ولكن شيئا من ذلك لم يحصل، بل ازداد المؤمنون إيمانا وثباتا على دينهم، وصمت الكفار، ثم دخل معظمهم بعد ذلك في دين الله أفواجا، وبهذا يكون القرآن السجل الصادق - الذي لا يتطرق إليه شك - لما وقع من الخوارق والمعجزات التي أيد الله بها رسوله محمدا ﷺ .

حفظ القرآن (السجل الصادق للمعجزات): وعندما كان الوحي ينزل بالآيات القرآنية على رسول الله ﷺ كان يأمر بكتابتها فيتسابق المسلمون من أجل حفظها وكتابتها والتعبد بتلاوتها ونشرها بين الناس، وكان للنبي ﷺ كتاب يكتبون له الوحي حتى اكتمل نزول القرآن وكتبه المسلمون في المصحف، ومن المصحف نسخت مصاحف كثيرة ووزعت في الأقطار آنذاك، ثم في سائر أقطار العالم، إن هؤلاء الصحابة الذين حفظ الله بهم القرآن ونقلوا هاتين الحادثتين: حادثة انشقاق القمر، وهزيمة الأحزاب بالرياح وغيرها من خوارق العادات التي سجلها القرآن سواء ممن كان مسلما وقت وقوع الحادثة أو أسلم بعد ذلك، كانوا يقرءون القرآن صباح مساء، في صلاتهم ومجالسهم وحلق علمهم ويدونونه ويحفظونه ويتدارسونه فيما بينهم ويتخلقون بأخلاقه ويتحاضرون إلى شريعته، مقرين به ومصدين له، وعلموه لأبنائهم وأهلبيهم ومن تبعهم، فمن المستحيل عقلا أن يجتمعوا جميعا على نقله وحفظه وهو لم يقع. وقد حفظ الله القرآن في صدور هؤلاء الذين شاهدوا المعجزات وفي صحفهم، وفي صدور أبنائهم وما دونوه من صحف آبائهم، ونقله الآلاف وعشرات الآلاف بل والملايين وعشرات الملايين عبر العصور المتلاحقة مصدقين به.

ثانيا: توثيق هذه المعجزات في السنة النبوية: وقد حفظت لنا كتب السنة النبوية الموثقة كثيرا من تفاصيل المعجزات التي سجلها القرآن، كما سجلت كثيرا من الخوارق والمعجزات التي لم تذكر في القرآن، وكان التوثيق في تلك الكتب بالغ الدقة، لا يقبل تشكيك مشكك، فكأنك ترى المعجزات المذكورة فيها رأي العين ، وذلك لأن النبي ﷺ كان محط أنظار أصحابه، الذين أمرهم الله بالاعتناء به في قوله تعالى: { لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة } [الأحزاب: ٢١] ، كما أمرهم الله بطاعته واتباع أمره واجتناب نهيهِ. قال تعالى: { وما

آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا { [الحشر: ٧] وقال تعالى: { وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون { [النور: ٥٦] ، ولا تتحقق الأسوة والطاعة إلا بتتبع أقواله وأفعاله وأحواله ﷺ . وكان يحثهم على الأخذ عنه ومراقبة أفعاله ومتابعتها، كقوله ﷺ : " عليكم بسنتي " «أ» ، وقوله: " خذوا عني مناسككم " «آ» ، وقوله: " صلوا كما رأيتموني أصلي " «آ» ونحو ذلك من النصوص التي تحث على ملاحظة أقواله وأفعاله ﷺ ، ولذلك كانت أعماله ﷺ وأقواله وحركاته وسكناته ومعجزاته الشاهدة بصدق رسالته محل مراقبة من أصحابه لأنها دين يتلقى، ويتوقف دخولهم الجنة، ونجاتهم من النار على اتباعه.

منهج نقد الرواية (٤): ولما ظهر بعد جيل الصحابة بعض من لا يوثق بروايته، قيض الله أئمة الحديث والجرح والتعديل الذين شيدوا علم الرجال والتاريخ والجرح والتعديل، الذي ضم آلاف الرواة مبينا حال كل راو من حيث أنه معروف أو مجهول، ومن حيث مدى حفظه وضبطه وإتقانه وشيوخه وتلاميذه وسنة ولادته وسنة موته، وهل بقي حفظه كما هو أم تغير في آخر عمره لكبر سنه، أو لحادث أصابه، وما أشبه ذلك من مقاييس الجرح والتعديل، بل وصل الأمر إلى جمع روايات الثقات العدول ومقارنتها لمعرفة إن كان أحدهم قد وهم في لفظة أو جملة، إلى أن استقر الأمر عند علماء الحديث والسنة فوضعوا شروطا للحديث الصحيح المقبول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي كون الحديث المروي:

[١] منقولاً بنقل العدول الضابطين «٥» .

[٢] متصل الإسناد بأن يكون كل راو قد سمع الحديث من شيخه، فلا يكون منقطعاً.

[٣] سالماً من الشذوذ «٦» . [٤] ومن العلة القادحة «٧» .

فاستبعد علماء الحديث رحمهم الله في تعريفهم الحديث الصحيح من كان مجروحاً من الرواة بأي سبب من أسباب الجرح، والتي لخصت في عشرة أسباب:

[١] الكذب. [٢] الجهالة سواء كانت جهالة عين أو جهالة حال «٨» [٣] التهمة بالكذب. [٤] فحش الغلط. [٥] الفسق. [٦] سوء الحفظ. [٧] البدعة. [٨] الغفلة. [٩] الوهم. [١٠] مخالفة الثقات «٩» .

(١) - أخرجه الترمذي ك/ العلم ب/ ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، وأبو داود ك/ السنة ب/ في لزوم السنة، وابن ماجه ك/ المقدمة ب/ اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، وأحمد في مسند الشاميين من حديث العرياض بن سارية، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي وصحيح سنن ابن ماجه .
(٢) - أخرجه مسلم ك/ الحج ب/ استحباب من جمره العقبة يوم النحر راكباً... واللفظ له، والنسائي ك/ مناسك الحج ب/ الركوب إلى الجمار واستغلال الحرم، وأبو داود ك/ المناسك ب/ في رمي الجمار.
(٣) - أخرجه البخاري ك/ الأذان ب/ الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة، والدارمي ك/ الصلاة ب/ من أحق بالإمامة.
(٤) - راجع بينات الرسول (ص) ومعجزاته للشيخ عبد المجيد الزنداني ص ٢٢٣-٢٤٣
(٥) - العدل: السالم من الفسق وخوارم المروءة. والضبط نوعان، ضبط الصدر: وهو كون الراوي متقناً ذاكرة لما يحفظه تماماً، وضبط الكتاب: وهو كون الراوي يضمن كتابه لديه من حين سمع فيه وصححه إلى أن يؤدي منه.
(٦) - الشذوذ: مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه.
(٧) - الحديث المعلق: ما فيه علة خفية قادحة في إسناده أو في متنه والعلة: سبب غامض خفي قادح في صحة الحديث مع أن الظاهر السلامة منه، ولا يعرف ذلك إلا أئمة هذا العلم، انظر نزهة النظر ص ٨٣ وتدريب الراوي.
(٨) - جهالة العين: أن لا يعرف من هو هذا الراوي، بالألا يعرف إلا من رواية شخص واحد عنه ولم يوثقه معتر وجهالة الحال: أن تجهل عدالة الراوي وإن كان شخصه معروفاً.
(٩) - نجية الفكر للمحافظ ابن حجر مع شرحها نزهة النظر ص ١١٦-١١٧ تحقيق: علي الحلبي.

ومما يبين صحة منهج المحدثين رحمهم الله ومنهجيتهم العلمية الدقيقة: عدم قبولهم الخبر المكذوب الذي زعم واضعه أنه قصد بوضعه نصرة الدين الإسلامي أو الحث على بعض فضائل الأعمال، بل اعتبروا ذلك ضلالاً من فاعله وابتداعاً في الدين «^١» .

وبهذا يظهر لنا تميز منهج النقد والتوثيق في الحديث النبوي، الذي يشترط الشروط الدقيقة في الرواية، حتى يطمئن المحدث بأن كل من في سند الرواية عدل أمين في روايته، ضابط دقيق في نقله، كأن عينه آلة تصوير، وأذنه آلة تسجيل، وذاكرته وكتابه شريط صاف سجلت عليه الكلمات، وبهذه الطريقة الأمانة الدقيقة نقلت إلينا السنة النبوية، وأخبار المعجزات، ووجدنا المعجزة تروى من عدة طرق لرواتها عن الذين حضروها وشاهدوها، فتتكامل تلك الروايات ويصدق بعضها بعضاً، وتلتقي مع ما ذكره القرآن أو أشار إليه.

وليس هناك شخص في التاريخ توفرت لأتمته تلك الدوافع والحوافز وقواعد الضبط والتحري لنقل أقواله وأفعاله غير محمد ﷺ ؛ لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين الذي جعله الله حجة على العالمين وتكفل بحفظ بيناته و معجزاته في سجلات صادقة موثوقة لتقوم بها الحجة على من يأتي بعده إلى قيام الساعة ، فهيا بنا نستعرض ما تيسر من تلك البينات الخارقة للعادة التي ذكرها الله سبحانه في كتابه الكريم، والتي رواها لنا حملة السنة الثقات،

المبحث الثاني: من دلائل النبوة الخارقة للعادة انشقاق القمر :

سألت قريش النبي ﷺ أن يريهم علامة تدل على صدق نبوته. قال أنس رضي الله عنه: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يريهم آية (أي علامة على صدق نبوته) فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء " من جبال مكة " بينهما «^٢»، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ فصار فرقتين فقال فقال لنا: اشهدوا اشهدوا «^٣» . وفي رواية عنه: أنهم كانوا وقت انشقاقه مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمى «^٤» . وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: إن القمر انشق في زمان النبي صلى الله عليه وسلم «^٥» «^٦» ، وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: انفلق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اشهدوا «^٧» . ونزل القرآن العظيم ذكراً هذه الحادثة العظيمة قال تعالى: { اقتربت الساعة وانشق القمر } [القمر: ١] . ومع ذلك كذب الكفار هذه الآية العظيمة وزعموا أنها سحر «^٨» .

قال ابن حجر: وقد ورد انشقاق القمر من حديث علي وحذيفة وجبير بن مطعم وابن عمر وغيرهم ، وقال ابن عبد البر: قد روى هذا الحديث جماعة كبيرة من الصحابة، وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين، ثم

(١) - تدريب الراوي ٢٨٣/١ ونزهة النظر ص ١٢١-١٢٢.

٢ - رواه البخاري ك/ المناقب ب/ انشقاق القمر ومسلم ك/ صفة القيامة ب/ انشقاق القمر وأحمد في المسند ٣/ ٢٠٧ وأبو يعلى في مسنده ٥/ ٤٢٤.

٣ - بخاري ك/ التفسير ب/ (وانشق القمر) ونحوه عند مسلم ك/ صفة القيامة ب/ انشقاق القمر والتزمذي ك/ التفسير ب/ ومن سورة القمر، واليزار في مسنده ٥/ ٢٠٢ وابن حبان في صحيحه ١٤/ ٤٢٠ وأحمد في المسند ١/ ٣٧٧ والطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ٧٧ وغيرهم.

٤ - رواه البخاري ك/ المناقب ب/ انشقاق القمر ومسلم ك/ صفة القيامة ب/ انشقاق القمر.

٥ - البخاري ك/ المناقب ب/ انشقاق القمر، مسلم ك/ صفة القيامة ب/ انشقاق القمر.

٦ - التزمذي ك/ الفتن ب/ ما جاء في انشقاق القمر، وذكر ذلك مسلم في صحيحه ك/ صفة القيامة ب/ انشقاق القمر والطالسي في مسنده ١/ ٢٥٧.

٧ - وذكر الحافظ ابن حجر أن أبا نعيم أخرج في الدلائل: أن كفار قريش زعموا أن ذلك سحر فسألوا المسافرين عن ذلك فأخبروهم بوقوعه فتح البارئ شرح: ك/ ك/ مناقب الأنصار ب/ انشقاق القمر.

نقله عنهم الحم الغفير إلى أن انتهى إلينا، ويؤيد ذلك بالآية الكريمة، فلم يبق لاستبعاد من استبعد وقوعه عذر ، وقال الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شئ من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجا من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة، فلذلك صار البرهان به أظهر «^١» ، قال ابن كثير: بعد أن ساق روايات عدة لحادثة انشقاق القمر: "فهذه طرق عن هؤلاء الجماعة من الصحابة، وشهرة هذا الأمر تغني عن إسناده، مع وروده في الكتاب العزيز .. والقمر في حال انشقاقه لم يزايل السماء، بل انفرق باثنتين، وسارت إحداهما حتى صارت وراء جبل حراء، والأخرى من الناحية الأخرى، وصار الجبل بينهما، وكلتا الفرقتين في السماء، وأهل مكة ينظرون إلى ذلك، وظن كثير من جهلتهم أن هذا شيء سُحرت به أبصارهم، فسألوا من قدم عليهم من المسافرين، فأخبروهم بنظير ما شاهدوه، فعلموا صحة ذلك وتيقنوه"^٢.

التوثيق التاريخي لانشقاق القمر: سجل تاريخ الهند اسم ملك من ملوكهم هو: (جاكرواني فرماس) وأنه شاهد حادثة انشقاق القمر، فسجلت إحدى المخطوطات التاريخية الهندية مايلي: " شاهد ملك ما جبار" مالابار" بالهند (جاكرواني فرماس) انشقاق القمر؛ الذي وقع لمحمد، وعلم عند استفساره عن انشقاق القمر بأن هناك نبوة عن مجيء رسول من جزيرة العرب، وحينها عين ابنه خليفة له، وانطلق لملاقاته. وقد اعتنق الإسلام على يد النبي، وعندما عاد إلى وطنه - بناء على توجيهات النبي - وتوفي في ميناء ظفار" «المخطوطة الهندية موجودة في مكتبة مكتب دائرة الهند بلندن التي تحمل رقم المرجع: عربي ٢٨٠٧، ١٥٢ إلى ١٧٣ وقد اقتبسها حميد الله في كتابه محمد رسول الله» وهذه المعلومات في مخطوطة هندية محفوظة في مكتبة دائرة الهند تحتوي على عدة تفصيلات أخرى عن (جاكرواني فرماس) . وقد جاء في كتب الحديث ذكر الملك الهندي؛ الذي وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ففي مستدرك الحاكم: " عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: ثم أهدى ملك الهند إلى رسول الله ﷺ حرة فيها زنجبيل، فأطعم أصحابه قطعة قطعة، وأطعمني منها قطعة. قال الحاكم ولم أحفظ في أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم - الزنجبيل سواه"^(٣). ومن المعلوم أن هذا الملك قد صار صحابيا؛ بملاقته الرسول ﷺ وإيمانه به وموته على ذلك ، وقد حفظت المراجع الإسلامية قصة هذا الصحابي الذي قدم من الهند. فذكره الإمام ابن حجر العسقلاني في الإصابة، وفي لسان الميزان^(٤) وقال إن اسمه (سربانك) وهذا هو الاسم الذي عرف به عند العرب ، وذكر ابن كثير (قد ذكر غير واحد من المسافرين أنهم شاهدوا هيكلا بالهند مكتوبا عليه أنه بني في الليلة التي انشق القمر فيها)^(٥).

واليوم في عصر العلم والمعرفة تتجدد هذه الآية العظيمة، فقد نشرت وكالة الفضاء الأمريكية ناسا في موقعها على شبكة الإنترنت صورة للقمر، وقد اخترطه خط طويل من أقصاه إلى أقصاه، ويعتقد العلماء أنه أثر لانشقاق حصل في القمر قديماً وقد أسلم الاقتصادي السياسي البريطاني: داوود موسى بيكوك وشكل حزبا

(١) - فتح الباري المرجع السابق.

(٢) - البداية والنهاية (٨/ ٥٦٤).

(٣) - « مستدرك الحاكم ك/ الأظعمة ج ٤ ص ١٥»

(٤) - «الإصابة ج ٣ ص ٢٧٩، لسان الميزان ج ٣ ص ١٠» عن كتاب بينات الرسول ومعجزاته للزنداني ص ٢٢٦ .

(٥) - البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٧٧).

إسلاميا في بريطانيا بعد إسلامه وهو الآن رئيس هذا الحزب، وكان سبب إسلامه ما ذكره ثلاثة من علماء الفضاء الأمريكيان في وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) على شاشة التلفزيون البريطاني عند ما قالوا أنهم اكتشفوا إن في القمر آثارا دلتهم على أن القمر قد انشق نصفين وأنه عاد للالتئام مرة ثانية تاركا آثار ذلك الشق واضحة. ولما سأل المسلمين عن تاريخهم وهل سجل لديهم حادث انشقاق القمر وعرف منهم الجواب أعلن إسلامه (١).

في مقابلة تليفزيونية للأستاذ الدكتور زغلول النجار، سأله مقدم البرنامج عن هذه الآية؛ { اقتربت الساعة وانشق القمر } هل فيها إعجاز قرآني علمي؟ فأجاب الدكتور زغلول قائلا: هذه الآية لها معي قصة. فمنذ فترة كنت أحاضر في جامعة كارديف (Cardif) غرب بريطانيا، وكان الحضور خليطا من المسلمين وغير المسلمين، وكان هناك حوار حي للغاية عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وفي أثناء هذا الحوار، وقف شاب من المسلمين وقال: يا سيدي هل ترى في قول الحق تبارك وتعالى: { اقتربت الساعة وانشق القمر } (لحمة من لمحات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم؟ فأجبت: لا؛ فالإعجاز العلمي يفسره العلم، أما المعجزات فلا يستطيع العلم أن يفسرها، فالمعجزة أمر خارق للعادة فلا تستطيع السنن أن تفسرها، وانشقاق القمر معجزة حدثت لرسول الله (تشهد له بالنبوة والرسالة، والمعجزات الحسية شهادة صدق على من رآها، ولولا ورودها في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله (ما كان علينا نحن مسلمي هذا العصر أن نؤمن بها ولكننا نؤمن بها لورودها في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله (ولأن الله تعالى قادر على كل شيء، قال: ثم ذكرت لهم الروايات الثابتة في انشقاق القمر. يقول الدكتور زغلول: وبعد أن أتممت حديثي وقف شاب مسلم بريطاني عرف بنفسه وقال: أنا داود موسى بيتكوك رئيس الحزب الإسلامي البريطاني، ثم قال: يا سيدي هل تسمح لي بإضافة؟ قلت له: تفضل. قال: وأنا أبحث عن الأدیان قبل أن يسلم - أهداني أحد الطلاب المسلمين ترجمة لمعاني القرآن الكريم، فشكرته عليها وأخذتها إلى البيت، وحين فتحت هذه الترجمة كانت أول سورة اطلعت عليها سورة القمر، وقرأت: { اقتربت الساعة وانشق القمر } فقلت: هل يعقل هذا الكلام؟! هل يمكن للقمر أن ينشق ثم يلتحم؟! وأي قوة تستطيع عمل ذلك؟! يقول الرجل: فصدتني هذه الآية عن مواصلة القراءة، وانشغلت بأمر الحياة، لكن الله تعالى يعلم مدى إخلاصي في البحث عن الحقيقة، فأجلسني ربي أمام التلفاز البريطاني، وكان هناك حوار يدور بين معلق بريطاني وثلاثة من علماء الفضاء الأمريكيين، وكان هذا المذيع يعاتب هؤلاء العلماء على الإنفاق الشديد على رحلات الفضاء، في الوقت الذي تمتلئ فيه الأرض بمشكلات الجوع والفقر والمرض والتخلف، وكان يقول: لو أن هذا المال أنفق على عمران الأرض لكان أجدى وأنفع، وجلس هؤلاء العلماء الثلاثة يدافعون عن وجهة نظرهم، ويقولون: إن هذه التقنية تطبق في نواحي كثيرة في الحياة، حيث إنها تطبق في الطب والصناعة والزراعة، فهذا المال ليس مالا مهدرا، لكنه أعاننا على تطوير تقنيات متقدمة للغاية.. في خلال هذا الحوار جاء ذكر رحلة إنزال رجل على سطح القمر باعتبار أنها أكثر رحلات الفضاء كلفة؛ فقد تكلفت أكثر من مائة ألف مليون دولار، فصرخ فيهم المذيع البريطاني وقال: أي سفه هذا؟! مائة ألف مليون

دولار لكي تضعوا العلم الأمريكي على سطح القمر؟ فقالوا: لا، لم يكن الهدف وضع العلم الأمريكي فوق سطح القمر، كنا ندرس التركيب الداخلي للقمر فوجدنا حقيقة لو أنفقنا أضعاف هذا المال لإقناع الناس بما ما صدقنا احد، فقال لهم: ما هذه الحقيقة؟ قالوا: هذا القمر انشق في يوم من الأيام ثم التحم.

قال لهم: كيف عرفتم ذلك؟ قالوا: وجدنا حزاما من الصخور المتحولة يقطع القمر من سطحه إلى جوفه إلى سطحه، فاستشرنا علماء الأرض وعلماء الجيولوجيا، فقالوا: لا يمكن أن يكون هذا قد حدث إلا إذا كان هذا القمر قد انشق ثم التحم!! يقول الرجل المسلم «رئيس الحزب الإسلامي البريطاني»: فقفزت من الكرسي الذي أجلس عليه وقلت: معجزة تحدث لمحمد قبل ألف وأربعمائة سنة يسخر الله تعالى الأمريكيان لإنفاق أكثر من مائة ألف مليون دولار لإثباتها للمسلمين؟! لا بد أن يكون هذا الدين حقا. يقول: فعدت إلى المصحف، وتلوت سورة القمر، وكانت مدخلا لقبول الإسلام ديناً).^(١)

يقول المباركفوري شارح الترمذي : (اعلم أن أحاديث الباب صحيحة صريحة في ثبوت معجزة انشقاق القمر. قال ابن عبد البر: قد روى هذا الحديث جماعة كثيرة من الصحابة، وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الحم الغفير إلى أن انتهى إلينا، ويؤيد ذلك بالآية الكريمة فلم يبق لاستبعاد من استبعد وقوعه عذر، وقد يطلع على قوم قبل طلوعه على آخرين، وأيضا فإن زمن الانشقاق لم يطل ولم تتوفر الدواعي على الاعتناء بالنظر إليه ومع ذلك فقد بعث أهل مكة إلى آفاق مكة يسألون عن ذلك، فجاءت السفار وأخبروا بأنهم عاينوا ذلك، وذلك لأن المسافرين في الليل غالبا يكونون سائرين في ضوء القمر، ولا يخفى عليهم ذلك، وقال أبو إسحاق الزجاج في معاني القرآن: أنكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة انشقاق القمر، ولا إنكار للعقل فيه؛ لأن القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء، كما يكوره يوم البعث ويفنيه، وأما قول بعضهم: لو وقع لجا متواترا واشترك أهل الأرض في معرفته، ولما اختص بها أهل مكة، فجوابه: أن ذلك وقع ليلا وأكثر الناس نيام، والأبواب مغلقة، وقل من يراصد السماء إلا النادر، وقد يقع بالمشاهدة في العادة أن ينكشف القمر وتبدو الكواكب العظام وغير ذلك في الليل ولا يشاهدها إلا الآحاد، فكذلك الانشقاق كان آية وقعت في الليل لقوم سألوا واقترحوا فلم يتأهب غيرهم لها، ويحتمل أن يكون القمر ليلئذ، كان في بعض المنازل التي تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض، كما يظهر الكسوف لقوم دون قوم. وقال الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجا من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة، فلذلك صار البرهان به أظهر، وقد أنكر ذلك بعضهم، فقال: لو وقع ذلك لم يجوز أن يخفى أمره على عوام الناس؛ لأنه أمر صدر عن حس ومشاهدة، فالناس فيه شركاء والدواعي متوفرة على رؤية كل غريب، ونقل ما لم يعهد فلو كان لذلك أصل لخلد في كتب أهل التسيير والتنجيم؛ إذ لا يجوز إطباقهم على تركه وإغفاله مع جلالة شأنه ووضوح أمره، والجواب عن ذلك أن هذه القصة خرجت عن بقية الأمور التي ذكروها، لأنه شيء طلبه خاص من الناس فوقع ليلا؛ لأن القمر لا سلطان له بالنهار، ومن شأن الليل أن يكون أكثر الناس فيه نياما ومستكنين بالأبنية، والبارز بالصحراء منهم

(١) - جريدة الوطن الكويتية العدد (٩٧٤٧)، السبت ٢٩/٣/٢٠٠٣، مقال للشيخ حامد العلي بعنوان روعة انتصار الإسلام.

إذا كان يقظان يحتمل أنه كان في ذلك الوقت مشغولاً بما يلهيه من سمر وغيره، ومن المستبعد أن يقصدوا إلى مرصد مركز القمر ناظرين إليه لا يغفلون عنه، فقد يجوز أنه وقع ولم يشعر به أكثر الناس، وإنما رآه من تصدى لرؤيته ممن اقترح وقوعه، ولعل ذلك إنما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر. وقال الرازي في تفسيره الكبير - بعد ما أثبت هذه المعجزة - ما لفظه: وأما المؤرخون تركوه، لأن التواريخ في أكثر الأمر يستعملها المنجم وهو لما وقع الأمر قالوا بأنه مثل خسوف القمر، وظهور شيء في الجو على شكل نصف القمر في موضع آخر فتركوا حكايته في تواريخهم. والقرآن أدل دليل، وأقوى مثبت له، وإمكانه لا يشك فيه، وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه (١).

بعض الأدلة العلمية عن ناسا وعن حضارة المايا التي سجلت وقوع انشقاق القمر في التاريخ الذي حصلت فيه المعجزة زمن النبي ﷺ في الرابطين التاليين ففيهما تفاصيل علمية وتاريخية مهمة وشيقة لم أذكرها هنا خشية الإطالة (٢).

المبحث الثالث : حادثة الإسراء والمعراج

قال الله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ [الإسراء: ١]. أسرى الله بنبيه محمد ﷺ، في ليلة واحدة من مكة إلى بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماء، ثم عاد فأصبح في مكة المكرمة، ولم يكن من الممكن لأحد في ذلك الزمان قطع هذه المسافة من مكة إلى بيت المقدس إلا في نحو شهر من الزمان ذهاباً، وشهر إياباً، وقد اختبرت قريش النبي في هذه الحادثة: فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله يقول: «لما كذبتني قريش قمتم في الحجر فحلا الله لي بيت المقدس فطفتهم أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه» «آ». وفي رواية عبد الله بن عباس: أنهم بعد أن نعت ووصف المسجد الأقصى لهم قالوا: أما النعت فو الله لقد أصاب «أ» وقد ذكر المعراج في التوراة الحالية، وكذا أسراؤه ومعراجه قال تعالى في سورة الإسراء ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾، ولا يحق لأحد من النصارى أن ينكر إسرائ النبي ومعراجه، فمثله ثابت في كتبهم لإيلياء وغيره، ففي العهد القديم: "وكان عند إصعاد الرب إيليا في العاصفة إلى السماء أن إيليا واليشع ذهباً من الجلجال" (سفر الملوك الثاني، ٢: ١)، "وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار فصلت بينهما فصعد إيليا في

(١) - تحفة الأحوذ بشرح جامع الترمذي للمباركفوري (٣٤٢/٦-٣٤٣).

(٢) - <http://www.quran-m.com/quran/article/2653/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D9%84%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%86%D8%B4%D9%82%D8%A7%D9%82-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%85%D8%B1%D8%B9%D9%84%D9%82%D9%85%D8%B1-%D9%85%D9%86-%D8%B4%D9%88%D8%A7%D9%87%D8%af-%d8%b9%84%85%89%8a%8e.html>

(٣) - أخرجه البخاري ك/ المناقب ب/ حديث الإسراء ومسلم ك/ الإيمان ب/ ذكر المسيح بن مريم والترمذي في السنن ك/ التفسير ب/ ومن سورة بني إسرائيل وأحمد في المسند ٣/ ٣٧٧ وابن حبان في صحيحه ١/ ٢٥٢ وغيرهم.

(٤) - أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٠٩ وابن أبي شيبه في المصنف ٦/ ٣١٢ والحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في زوائد لهيثمي، والطبراني في الكبير ١٢/ ١٦٧ والأوسط ٣/ ٥٢ والمقدسي في المختارة ١٠/ ٣٩-٤٢، والأصبهاني في دلائل النبوة ١/ ٨٤ وقال الهيثمي في المجمع ١/ ٦٥: رواه أحمد والبيهقي والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح، وإسناده صحيح على شرط الشيخين كما في تحقيق المسند ٥/ ٢٩.

العاصفة إلى السماء " (سفر الملوك الثاني، ٢: ١١) . في جملة ما ذكر عن صفات نبي آخر الزمان، أنه سيصعد إلى السماء، ويلتقي بالله عز وجل، وذلك ورد في فقرتين (١) :

١- " ورأيت في رؤى الليل فإذا يمثل ابن البشر (النبي المنتظر) آتياً على سحاب السماء، فبلغ إلى القديم الأيام (الله تعالى) وقُرب إلى أمامه، وأوتي سلطاناً ومجداً وملكاً، فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه (يعظمونه)، وسلطانه سلطان أبدي لا يزول ملكه ولا ينقرض" (التوراة- دانيال ٧: ١٣-١٤). هذه الفقرة يفسرها النصارى على أنها مسير رمزي لناسوت المسيح عيسى -حسب اعتقادهم- في مراحل هذه الحياة حتى استقر في السماء كإله! وهو في نظرهم نبي آخر الزمان في مرحلة الناسوت هذه؛ لذلك كان مفسر طبعة دار المشرق للكتاب المقدس حريصاً حين قال عن هذا المعراج "مسير رمزي" ولم يدع مطلقاً معراجاً للمسيح عيسى، وهو عندهم نبي آخر الزمان كذلك، لكن الأناجيل لا تذكر شيئاً عن هذه المرحلة المزعومة مما يهدم تفسيرهم هذا، بل إن قوله في هذه الفقرة أن النبي المنتظر صاحب هذه النبوءة سيقرب من الرب يذكرنا بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث عن معراجه الذي ذكرناه آنفاً: ((. . . وَدَنَا لِلْجَبَّارِ رَبِّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى، حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى)).

٢- " غنوا لله، رنموا لاسمه، أعدوا طريقاً للراكب في القفار (البراري) {السحاب} " السماء" باسمه ياه واهتفوا أمامه، أبو اليتامى وقاضي الأرامل الله في مسكن قدسه " (التوراة - المزمير ٦٨: ٤-٥). يلاحظ أن كلمة القفار قد وردت مختلفة تماماً في الطبقات المختلفة، حيث نجد في الطبعة الإنجليزية FSV سحاب، وفي طبعة king james السماء (heavens) وفي طبعة دار المشرق - بيروت "البراري"، ومن خبرتنا مع التوراة الحالية نفهم من ذلك أن هناك لبساً في معنى الكلمة، هذا الخلط في الترجمة يرجع إلى أن الأصل العبري للكلمة هو "عرفات"، وهي تعني حرفياً الصعود إلى السماء، إلا أنها كذلك عند اليهود تعني السماء السابعة، (علمنا ذلك من كتاب "البشارة" بمحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة " للأستاذ / عصام رشاد). لا ندرك لماذا لم تترك الكلمة كما هي في الترجمات لمنع هذا الخلاف الشديد في الترجمة، خاصة أن الأسماء لا تترجم، إلا أنها تعني مباشرة المكان المقدس عند المسلمين الذي يقفون فيه قرب مكة في حجهم، ومن هو النبي المنتظر الراكب فوق هذا المكان (عرفات)؟

من هو أبو اليتامى وقاضي الأرامل كما تقول بقية النبوءة عن نبي آخر الزمان؟ إنه النبي محمد ﷺ صاحب المعراج والراكب على عرفات، أبو اليتامى وقاضي الأرامل. أما كونه أبو اليتامى فنجد في الكتاب الذي جاء به (القرآن) -لا في غيره- الآتي: { وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ } [الأنعام: ١٥٢]. { كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاطُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ } [الفجر]. { فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ } [الضحى: ٩]. { أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالَّذِينَ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ } [الماعون

(١) <http://www.quran-m.com/quran/article/2561/%D9%85%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%AC--%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A8%D9%8A-%D8%B5%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87-%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%87-%D9%88%D8%B3%D9%84%D9%85-%D9%81%D9%8A-%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D8%A3%D9%87%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-9%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AE%D9%81%D9%8A%D8%A>

[١٤] وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا { [الإنسان: ٨] . } أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ { [البلد] . وهكذا في أكثر من عشرين موضعًا في القرآن الكريم .

وأما كونه صلى الله عليه وسلم قاضي الأرمال، فهو بالفعل منصفهم، يكفي أن نقرأ في التوراة كيف تورثت أرملة الأخ المتوفى لأخيه " إذا أقام أخوان معًا ثم مات أحدهما وليس له عقب فلا يجب أن تتزوج زوجة الميت رجلًا أجنبيًا، بل أخوه يدخل عليها ويتخذها زوجة له ويقيم عقبًا لأخيه " . (تثنية ٢٥ : ٥) كذلك كان الحال عند العرب في الجاهلية، أما الأرملة النصرانية فتستحب لها ملتها ألا تتزوج بعد زوجها المتوفى، كما قال بولس الرسول .

الحال في ملة محمد صلى الله عليه وسلم قاضي الأرمال يختلف تمامًا، فنقرأ في القرآن، الوصية بالأرمال: { وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُمُ وَيَدْرُونَ أَرْوَاجًا يَتَرَتَّبْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } [البقرة: ٢٣٤] ، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا } [النساء: ١٩]، { وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُمُ وَيَدْرُونَ أَرْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَرْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [البقرة: ٢٤٠] .

"ها هي ذي الأرملة الآن وقد صبحها الله بالإسلام، فانتهدت عصور الظلام الرهيبة التي مرت عليها إلى غير رجعة، الأرملة لا تورث، وعدة الأرملة أربعة أشهر وعشر ليالٍ ليس لإظهار الحزن ولكن لاستبراء الرحم فقط، ولا يحق لأحد أن يُخرج الأرملة من بيتها قبل انقضاء عام كامل، مضمونة لها فيه معيشتها وإقامتها من إرث زوجها المتوفى، بالإضافة إلى ميراثها الشرعي منه، والأرملة حرة من قبل ومن بعد، بمجرد انقضاء عدتها أن تفعل بنفسها ما تشاء في حدود شرع الله" وهي كذلك تستشار حتى في أمر فطام الولد .

يقول الباحث هشام طلبة صاحب البحث السابق: هذا ما وجدناه في الكتب القانونية " التوراة الحالية " أما المخطوطات الحديثة والكتب المخفية عند النصارى ، فقد وجدنا فيها نصًّا قاطعًا يتكلم عن معراج النبي آخر الزمان يتطابق مع معراج النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ذكر النبي إشعياء في سفره " إسراء إشعياء " : " ورأيت كيف صعد "المسيا" (وهو نبي آخر الزمان عند أهل الكتاب) إلى السماء السابعة، فيما كل الصديقين والملائكة بمجردونه حينئذٍ رأيتهُ يجلس عن يمين المسجد الأعظم " (١) ، فمن هو النبي الذي عُرج به حتى السماء السابعة، أليس هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم؟!

المبحث الرابع : خوارق ازدياد الطعام الذي لا يكفي عدة أشخاص فيطعم الجيش كله

(١) - الكتب المخفية عند النصارى هي طائفة كبيرة من الكتب يطلق عليها APOCRYPHA وهي تحتوي على نصوص لم يكن يعلمها إلا كبار علمائهم. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ } [المائدة: ١٥] . عصام راشد " البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة " ص ٧٣ . (١١ : ٣٢ - ٣٥) نقلًا عن " الأستاذ الحداد " - القرآن دعوة نصرانية - ص ١٦٢ . منشورات المكتبة البولسية - بيروت .

بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيئة قليلة الغذاء والماء، وكان هو وأصحابه يتعرضون لحالات من الشدة يقل فيها الطعام والماء أو يكاد ينعدم، فكان مما أيدته الله به من المعجزات تكثير القليل من الطعام والماء على يديه، فيتغلب هو وأصحابه بقدرة الله تعالى بهذه المعجزات والخوارق على ظروف البيئة الصحراوية القاسية، التي يحتاجون فيها للطعام والشراب، إلى جانب حاجتهم للماء من أجل الطهارة للعبادة، وأصبح ذلك من معجزاته التي رآها العشرات والمئات بل والآلاف من أصحابه، وتناقلها الناس في عهده ثم نقلت إلينا بأصح طرق الرواية، وإليك طرفا من هذه المعجزات، فمن معجزاته ﷺ الخارقة للعادة، أن يكثر الله الطعام القليل الذي لا يكفي إلا الأفراد، فإذا به بعد نزول البركة فيه بفضل دعائه يكفي العشرات أو المئات أو الآلاف وقد وقع ذلك في مواقف متعددة، منها ما حدث عند حفر الخندق.

[١] - قصة وليمة جابر رضي الله عنه: قال جابر رضي الله عنه: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية « أرض صلبة. » شديدة فجاؤا النبي فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقال: أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا ندوق ذوقا فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم المعول «: آلة من حديد ينقر بها الصخر « فضرب في الكدية فعاد كثيبا أهيل أو أهيم «غير متماسك رملا» فقلت يا رسول الله ائذن لي إلى البيت فقلت لامرأتي هل عندك شيء فإني رأيت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمصا «جوعا» شديدا فأخرجت إلي جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن «ما ألف البيوت وأقام بها» فذبحتها وطحنت الشعير ففرغت إلى فراغي وقطعتها في برمتها ثم وليت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت: لا تفضحني برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبمن معه فجئته فساررتة فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعا من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا أهل الخندق إن جابرا قد صنع سورا «طعاما للضيافة. « فحي هلا بكم، فقام المهاجرون والأنصار وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تنزلن برمتكم ولا تحبزن عجبتكم حتى أجيء، فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقلت: ويحك جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم!! فقالت: بك وبك فقلت: قد فعلت الذي قلت، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فأخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادع خابزة فلتخبز معي واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط «تغلي فيسمع غليانها. « كما هي وإن عجينا ليخبز كما هو، قال: كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة (١)

[٢] - تكثير الطعام في غزوة تبوك: ومن خوارق تكثير الطعام القليل ليكفي الآلاف من أتباعه صلى الله عليه وآله وسلم ما حدث في غزوة تبوك، حيث أصاب المسلمين فيها مجاعة، فقال الصحابة: يا رسول الله، لو أذنت لنا فحرننا نواضحنا «الإبل يسقى عليها» فأكلنا وادهننا، فقال رسول الله: افعلوا، قال فجاء عمر فقال: يا رسول الله، إن فعلت قل الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل

(١) - لفظ القصة من مجموع روايتين للإمام البخاري في صحيحه ك/ المغازي ب/ غزوة الخندق وروى القصة أيضا الإمام مسلم في صحيحه ك/ الأشربة ب/ جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه، وأحمد في مسنده ٣/ ٣٧٧ والبيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٢٧٤ والدارمي في سننه ١/ ٣٣ وأبو عوانة في مسنده ٥/ ١٧٧ وابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ٣١٤ والغزالي في دلائل النبوة ص ٥٣ والأصبهاني في دلائل النبوة أيضا ١/ ٢٠٨.

في ذلك « بركة أو خيرا أو نحو ذلك، » فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نعم، قال: فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم قال فجعل الرجل يجيء بكف ذرة قال: ويجيء الآخر بكف تمر قال ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه بالبركة ثم قال خذوا في أوعيتكم قال فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملئوه قال فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة (١)، وقد روى سلمة بن الأكوع مثل هذه القصة فعن إياس بن سلمة عن أبيه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة فأصابنا جهد حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا « إبلنا التي تركب » فأمر نبي الله ﷺ فجمعنا مزادنا فبسطنا له نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع قال فتناولت لأحزره كم هو؟ فحزرتة كبرضة العنز « أو كقدرها وهي رابضة » ونحن أربع عشرة مائة قال: فأكلنا حتى شبعنا جميعا ثم حشونا جربنا (٢).

[٣] - قصة تكثير تمر جابر رضي الله عنه: قال جابر بن عبد الله: إن أباه توفي وترك عليه ثلاثين وسقاً لرجل من اليهود فاستنظره جابر فأبي أن ينظره فكلم جابر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليشفع له إليه فجاء رسول الله وكلم اليهودي ليأخذ تمر نخله بالذي له فأبي اليهودي - وكان تمر جابر لا يكفي لقضاء الدين فدخل رسول الله النخل فمشى فيها، ثم قال لجابر جد له « اقطع له » فأوف له، الذي له فجده بعد ما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأوفاه ثلاثين وسقاً، وفضلت له سبعة عشر وسقاً، فجاء جابر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليخبره بالذي كان، فوجده يصلي العصر، فلما انصرف بشره، فقال النبي: أشهد أبي رسول الله، وقال: أخبر بذلك ابن الخطاب، فذهب جابر إلى عمر فأخبره، فقال له عمر: لقد علمت حين مشى فيها رسول الله ليبارك فيها^٣، قال الحافظ ابن كثير: وهذا الحديث قد روي من طرق متعددة عن جابر بألفاظ كثيرة، وحاصلها أنه ببركة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودعائه له، ومشيه في حائطه وجلوسه على تمره، وفي الله دين أبيه، وكان قد قتل بأحد، وجابر كان لا يرجو وفاءه في ذلك العام ولا ما بعده، ومع هذا فضل له من التمر أكثر وفوق ما كان يؤمله ويرجوه والله الحمد والمنة (٤).

[٤] - إطعامه صلى الله عليه وآله وسلم مائة وثلاثين رجلاً من شاة: عن عبد الرحمن بن أبي أن رسول الله أطعم مائة وثلاثين رجلاً من شاة وصاع طعام، وأعطى كل واحد منهم قطعة من سواد بطنها (الكبد) فشبعوا جميعاً، وحملوا ما بقي من الطعام معهم^٥. قال النووي - رحمه الله -: في هذا الحديث معجزتان ظاهرتان

(١) - « أخرجه مسلم ك/ الإيمان ب/ الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، وابن حبان في صحيحه ١٤/ ٦٥ وأحمد في المسند ٣/ ١١ وأبو يعلى في مسنده ٢/ ٤١٢ وابن منده في الإيمان ١/ ١٧٨ والفرغاني في دلائل النبوة ص ٣٣. » .

(٢) - أخرجه مسلم ك/ اللقطة ب/ استحباب خلط الأزواد إذا قلت والمواساة فيها. »
(٣) - الوسق مقدار معلوم من الكيل يساوي ستين صاعاً، والصاع يساوي أربعة أمداد، والمد ملء اليدين من الرجل المعتدل الكف، والحديث أخرجه البخاري ك/ الاستقراض وأداء الديون ب/ إذا قاص أو جازفه في الدين تمراً بتمر، وابن ماجه ك/ الصدقات ب/ أداء الدين عن الميت، وأبو عوانة في مسنده ٣/ ٤٠٦ والطبراني في المعجم الأوسط ٩/ ٦٨ والأصبهاني في دلائل النبوة ١/ ٣٥، وقول النبي أشهد أبي رسول الله. أخرجه البخاري ك/ الأظعمة ب/ الرطب والتمر.

(٤) - « البداية والنهاية ٦/ ١٢١. » .

(٥) - « البخاري ك/ الهبة ب/ قبول الهدية من المشركين ومسلم ك/ الأشربة ب/ إكرام الضيف وفضل إيثارة وأبو عوانة في مسنده ٥/ ٢٠٤ - ٢٠٥، وأحمد في مسنده ١/ ١٩٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٢١٥. » و « شرح صحيح مسلم ١٤/ ١٦. » .

لرسول الله صلى الله عليه وسلم إحداهما تكثير سواد البطن حتى وسع هذا العدد، والآخرة تكثير الصاع ولحم الشاة حتى أشبعهم أجمعين، وفضلت منه فضلة حملوها لعدم حاجة أحد إليها .

[٥] - البركة في حيسة أم سليم: أطعم الرسول عند زواجه بزينب زهاء «قدر» ثلاث مائة رجل من حيسة " تمر وأقط وسمن تخلط وتعجن " صنعتها له أم سليم، وعند ما رفع أنس الحيسة بعد أن أكلوا جميعا، قال: فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت؟(١).

[٦] - إطعامه سبعين أو ثمانين رجلا من أقراص أم سليم رضي الله عنهما: فتت أم سليم رضي الله عنهما أقراصا قليلة من شعير وأدمته بسمن، فدعا رسول الله بالبركة، وأكل من هذه الأقراص سبعون أو ثمانون رجلا حتى شبعوا(٢).

[٧] - تكثير شطر وسق شعير ببركته صلى الله عليه وآله وسلم: عن جابر أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيئفهما حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم(٣) .

[٨] - ظهور بركته في شطر شعير لزوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: عن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي فأكلت منه حتى طال علي فكلته "وزنته" ففني(٤) .

[٩] - قصة تمرات أبي هريرة رضي الله عنه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بتمرات فقلت: يا رسول الله، ادع الله فيهن بالبركة، فضمنهم ثم دعا لي فيهن بالبركة، فقال: خذهن واجعلهن في مزودك هذا أو في هذا المزود « وعاء الزاد » كلما أردت أن تأخذ منه شيئا فأدخل فيه يدك فخذه ولا تنتثره نثرا، فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله فكنا نأكل منه ونطعم، وكان لا يفارق حقوي حتى كان يوم قتل عثمان فإنه انقطع(٥) .

[١٠] - قصعة الثريد "الخبز يفت ثم يبل بالمرق وربما كان معه لحم." التي كانت تمد: عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال بينا نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتى بقصعة فيها ثريد» قال: فأكل وأكل القوم

(١) - أخرجه البخاري ك/ النكاح ب/ الهدية للعروس ومسلم ك/ النكاح ب/ زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب واللفظ له والترمذي ك/ التفسير ب/ ومن سورة الأحزاب والنسائي ك/ النكاح ب/ الهدية لمن عرس وأحمد ب/ مسنده ١٦٣/٣ وأبو يعلى في مسنده باختصار ٣١٥/٧ والطبراني في المعجم الكبير ٢٤/٤٦ « (٢) - أخرجه البخاري ك/ المناقب ب/ علامات النبوة في الإسلام، ومسلم ك/ الأشربة ب/ جواز استباعه غيره إلى دار من يثق برضاه، والترمذي في سننه ك/ المناقب ب/ في آيات إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وما خصه به، وابن حبان في صحيحه ١٤/٤٦٩، وأبو عوانة في مسنده ٥/١٧٨ ومالك في الموطأ ٢/٩٢٧ .

(٣) - أخرجه مسلم ك/ الفضائل ب/ في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، وأحمد ٣/٣٤٧ .

(٤) - أخرجه البخاري ك/ الرقاق ب/ فضل الفقير، ومسلم ك/ الزهد والرفائق، وابن ماجه ك/ الأطعمة ب/ خبز الشعير وأحمد في مسنده ٦/١٠٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/٤٧ وابن أبي شيبه في المصنف ٧/١٣٢ .

(٥) - أخرجه الترمذي في المناقب/ مناقب أبي هريرة، وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/٢٣٥: حسن الإسناد قال الأرنؤوط في تخریج جامع الأصول ١١/١١/٣٦٤ وهو حديث حسن وأخرجه أحمد ٢/٣٥٢، والبيهقي في الدلائل ٦/١٠٩، وأبو نعيم مجموعا من روايتين ٢/٥٨٨ - ٥٨٩، وابن حبان في صحيحه ١٤/٤٦٧، وإسحاق بن راهواه في مسنده ١/٧٥ .

فلم يزل يتداولونها إلى قريب من الظهر يأكل كل قوم ثم يقومون ويجيء قوم فيتعاقبوه قال: فقال له رجل: هل كانت تمد بطعام قال أما من الأرض فلا إلا أن تكون كانت تمد من السماء (١) .

[١١] - إطعام عمر رضي الله عنه أربعمائة من مزينة من تمر قليل: عن النعمان بن مقرن قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أربع مائة من مزينة فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمره فقال بعض القوم يا رسول الله ما لنا طعام نتزوده فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمر زدوهم فقال ما عندي إلا فاضلة من تمر «: ما بقي منه» وما أراها تغني عنهم شيئا فقال انطلق فزودهم فانطلق بنا إلى عليّة «غرفة في الطبقة الثانية من الدار أو ما فوقها» له فإذا فيها تمر مثل البكر الأورق «الجمل الذي في لونه بياض إلى سواد». فقال: خذوا فأخذ القوم حاجتهم قال وكنت أنا في آخر القوم، قال: فالتفت وما أفقد موضع تمرّة وقد احتمل منه أربع مائة رجل (٢) .

[١٢] - در لبن شاة بيده وهي لا تحلب: عن عبد الله بن مسعود قال: كنت أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فقال: «يا غلام هل من لبن» قال: قلت نعم ولكي مؤتمن قال: «فهل من شاة لم ينز عليها الفحل» «يعني لم تحمل فالشاة لا يدر لبنها إلا بعد أن تحمل وتلد» فأتيته بشاة فمسح ضرعها فنزل لبن فحلبه في إناء فشرب وسقى أبا بكر ثم قال للضرع: «اقلص فقلص» (٣)

[١٣] - تكثير اللبن (قصة أبي هريرة رضي الله عنه): أصاب أبا هريرة جوع شديد، فمر به النبي فدعاه إلى بيته حيث وجد قدحا من لبن فأمر أبا هريرة فدعا أهل الصفة «أهل الصفة: طائفة من الصحابة فقراء كانوا يتخذون من المسجد سكنا لهم.» فأخذوا مجالسهم من البيت، ثم أمره فسقاهم جميعا حتى روي من ذلك القدح، ثم أمره النبي فشرب، فما زال يقول له: اشرب، حتى قال أبو هريرة لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا، فأخذ رسول الله منه القدح وسمى وشرب الفضلة (٤)، قال ابن حجر: وفيه معجزة عظيمة، وقد تقدم لها نظائر في علامات النبوة من تكثير الطعام والشراب ببركته صلى الله عليه وسلم

١ - أحمد في المسند ١٢ / ٥، والترمذي في المناقب ب/ ما جاء في آيات نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: حديث حسن صحيح، قال الأناؤوط في تخریج جامع الأصول ٣٦٣ / ١١: وهو كما قال، والنسائي في السنن الكبرى ٤ / ١٧٠، والحاكم في المستدرک ٢ / ٦٧٥ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والبيهقي في الدلائل بإسنادين قال في أحدهما هذا إسناد صحيح ٦ / ٩٣ وأبو نعيم في الدلائل ٢ / ٥٥١، والدارمي ١ / ٤٣ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣ / ١٩٢ والطبراني في المعجم الكبير ٧ / ٢٣٢، وابن حبان كما في موارد الطمان ص ٥٢٧.

٢ - أحمد ٥ / ٤٤٥، وأبو نعيم في الدلائل ٢ / ٥٤٨ - ٥٤٩ وابن حبان في صحيحه ١٤ / ٤٦٢ وقال الهيثمي في الجمع ٨ / ٣٠٤: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح. وروى أبو داود طرفا منه ولفظه: أتينا النبي صلى الله عليه وسلم فسألناه الطعام، فقال: يا عمر اذهب فأعطهم، فارتقى بنا إلى عليّة فأخذ المفتاح من حجرته ففتح، انظر صحيح سنن أبي داود للألباني ٣ / ٩٨٣ وقال أبو عبد الله المقدسي: وإسناده على شرط الصحيح انظر الجواب الصحيح ٦ / ٢٥٤.

(٣) - أخرجه أحمد في المسند ١ / ٣٩٧، ٤٦٢، وابن حبان في صحيحه ١٤ / ٤٣٣ أبو داود الطيالسي ١ / ٤٧ وابن أبي شيبه في المصنف ٦ / ٣٢٧ وأبو يعلى في مسنده ٨ / ٤٠٣ والطبراني في المعجم الكبير ٩ / ٧٨ وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند ٦ / ١٩٠.

(٤) - أخرجه البخاري ك/ الرقاق ب/ كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتحليلهم من الدنيا والترمذي في السنن ك/ صفة القيامة والرفائق والورع وابن حبان في صحيحه ١٤ / ٤٧٢ وأحمد في المسند ٢ / ٥١٥ والبيهقي في السنن الكبرى ٢ / ٤٤٦ وهناد في الزهد ٢ / ٣٩٤ وإليك القصة كاملة: قال مجاهد إن أبا هريرة كان يقول الله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ولقد فعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشيعني فمر ولم يفعل ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشيعني فمر فلم يفعل ثم مر بي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فتبسم حين

[١٤] - تكثير اللبن (قصة المقداد وصاحبيه) : وقريب من قصة أبي هريرة قصة الرسول صلى الله عليه وسلم مع المقداد إلا أن البركة في قصة المقداد نزلت على ضروع الغنم فامتلات باللبن الكثير في غير وقت حلبها^(١).

[١٥] - تكثير السمن لأم مالك: عن جابر أن أم مالك كانت تهدي للنبي صلى الله عليه وسلم في عكة " إناء صغير للسمن " لها سمنا فيأتيها بنوها فيسألون الأدم وليس عندهم شيء فتعمد إلى الذي كانت تهدي فيه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فتجد فيه سمنا فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته فأنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال عصرتيها قالت نعم قال لو تركتها ما زال قائما (٢).

المبحث الخامس: معجزات الرسول ﷺ في تكثير الماء القليل

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم في بيئة صحراوية جافة، وكان هو وأصحابه يخرجون كثيرا للغزوات دفاعا عن الدين، وكانوا يتعرضون لقلّة الماء أو فقده فيعطشون ويحتاجون الماء أيضا للطهارة للعبادة، فكان الله سبحانه يري الصحابة حوارق تكثير الماء القليل على يد النبي صلى الله عليه وسلم، ونسوق إليك طرفا من هذه الحوادث التي سجلتها كتب السنة من أوثق مصادرها.

[١] - فوران الماء من بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الحديبية: عن جابر رضي الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة «: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.» فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما لكم قالوا: يا رسول الله، ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتك قال: فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون قال فشربنا وتوضأنا فقلت لجابر كم كنتم يومئذ قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة، وقد روى سلمة بن الأكوع مثل هذه القصة (٣).

[٢] - تكثير ماء بئر الحديبية: وعن البراء رضي الله عنه قال كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة، والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة فجلس النبي صلى الله عليه وسلم على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومج في البئر، فمكثنا غير بعيد ثم استقيننا حتى روينا وروت أو صدرت ركائبنا، وروى هذه الحادثة أيضا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه (٤).

[٣] - معجزة دغفقة الماء من الإناء: مر بناء في معجزة تكثير الطعام حديث سلمة كيف بارك الله في طعام قليل كربضة العنز فكفى ألفا وأربع مئة من الصحابة رضي الله عنهم وفي تمامه قال سلمة: فقال نبي الله

(١) - أخرجه مسلم ك/ الأشربة ب/ إكرام الضيف وفضل إيفاره، وأحمد في المسند ٦/ ٢، والترمذي مختصرا ك/ الاستدانة ب/ كيف السلام وكذلك البيهقي في السنن الكبرى ٦/ ٨٨ وكذا النسائي في عمل اليوم والليلة ص ٢٨٣ وأخرجه البزار في مسنده ٦/ ٤٢ والأصبهاني في دلائل النبوة ١/ ١٣٤ «

(٢) - أخرجه مسلم ك/ الفضائل ب/ في معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأحمد في مسنده ٣/ ٣٤٠.

(٣) - أخرجه البخاري ك/ المغازي ب/ غزوة الحديبية ومسلم مختصرا ك/ الإمارة ب/ استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وابن خزيمة في صحيحه ١/ ٦٥ وابن حبان في صحيحه أيضا ١٤/ ٤٨٠ وأبو عوانة في مسنده ٤/ ٤٢٨ والدارمي في سننه ١/ ٢٧ وابن أبي شيبه في المصنف ٧/ ٣٨٧ وأحمد في المسند ٣/ ٣٢٩ والطبرسي في مسنده ١/ ٢٣٩ والفريابي في دلائل النبوة ص ٧٠ والأصبهاني في دلائل النبوة أيضا ١/ ٤٨ وغيرهم. أخرجه مسلم ك/ المغازي ب/ استحباب

خلط الأزواد إذا قلت، والبيهقي في دلائل النبوة ٤/ ١١٨، ١١٩.

(٤) - أخرجه البخاري ك/ المناقب ب/ علامات النبوة في الإسلام، والبيهقي في دلائل النبوة ٤/ ١١٠ - ١١١.

صلى الله عليه وسلم: " فهل من وضوء؟ " قال فجاء رجل بإداوة له فيها نظفة فأفرغها في قدح، فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة (١) (أي نصبه صبا شديدا) . ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم في تكثير الماء القليل:

[٤] - وضوء سبعين أو ثمانين رجلا من الماء النابع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وهي في الإناء: عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا بإناء من ماء فأقي بقدر حراح " القريب القعر مع سعة فيه " فيه شيء من ماء فوضع أصابعه فيه، قال أنس فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه، قال أنس فحزرت من توضحاً ما بين السبعين إلى الثمانين .. (٢) .

[٥] - وضوء ثلاثمائة من ماء نابع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم: عن أنس رضي الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بإناء وهو بالزوراء «موضع بالمدينة» فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم قال قتادة قلت لأنس كم كنتم، قال: ثلاث مائة أو زهاء ثلاث مائة ٣. قال الحافظ بن حجر في هاتين القصتين اللتين رواهما أنس رضي الله عنه: وظهر لي من مجموع الروايات أنهما قصتان في مواطنين، للتغاير في عدد من حضر، وهي مغايرة واضحة يبعد الجمع فيها، وكذلك تعيين المكان الذي وقع ذلك فيه (٤) . قال عياض: هذه القصة رواها الثقات من العدد الكثير عن الجهم الغفير عن الكافة متصلة بالصحابة، وكان ذلك في مواطن اجتماع الكثير منهم في المحافل ومجمع العساكر، ولم يرد عن أحد منهم إنكار على راوي ذلك، فهذا النوع ملحق بالقطعي من معجزاته. وقال القرطبي: قضية نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي (٥) ... قال: ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا (٦) .

وقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مثل قصة أنس: فعنه رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء، فقال اطلبوا فضلة من ماء، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال حي على الطهور المبارك، والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٧) .

(١) - أخرجه مسلم ك/ الجهاد والسير ب/ غزوة ذي قرد وغيرها والبيهقي في دلائل النبوة ٤/ ١١١. رواه مسلم ك/ المغازي ب/ استحباب خلط الأزواد إذا قلت.
(٢) - أخرجه البخاري ك/ الوضوء ب/ الوضوء من الثور، ومسلم ك/ الفضائل ب/ في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، وابن خزيمة في صحيحه ١/ ٦٥، وابن حبان في صحيحه ١٤/ ٤٨١، وأحمد في المسند ٣/ ١٤٧ وأبو يعلى في مسنده ٦/ ٧٢ وعبد بن حميد في مسنده ١/ ٤٠٣ والبيهقي في دلائل النبوة ٤/ ١٢٢.
(٣) - أخرجه البخاري ك/ المناقب ب/ علامات النبوة في الإسلام ومسلم ك/ الفضائل ب/ في معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابن حبان في صحيحه ١٤/ ٤٨٤ وأحمد في مسنده ٣/ ٢٨٩ والقرطبي في دلائل النبوة ص ٥٦ والأصبهاني في دلائل النبوة أيضا ١/ ١٢٧ وكذلك البيهقي في دلائل النبوة ٤/ ١٢٤ - ١٢٥.
(٤) - فتح الباري (٧/ ٢٨٣)، ط. دار الفكر، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
(٥) - التواتر المعنوي: هو أن يروي الجمع الذي يستحيل تواطؤه على الكذب حادثة معينة لا بلفظ واحد ولكن بمعنى واحد وألفاظ مختلفة.
(٦) - قال الحافظ: وحديث نبع الماء جاء من رواية أنس عند الشيخين وأحمد وغيرهم من خمسة طرق وعن جابر بن عبد الله من أربعة طرق وعن ابن مسعود عند البخاري والترمذي وعن ابن عباس عند أحمد والطبراني من طريقين وعن ابن أبي ليلى والد عبد الرحمن عند الطبراني ... وأما تكثير الماء بأن يلمسه يده أو يفتل فيه أو يأمر بوضوء شيء فيه كسهم من كئاته فجاء في حديث عمران بن حصين في الصحيحين وعن البراء بن عازب عند البخاري وأحمد من طريقين وعن أبي قتادة عند مسلم وعن أنس عند البيهقي في الدلائل وعن زياد بن الحارث الصديقي عنده وعن حبان بن الصنايح الصديقي.
(٧) - أخرجه البخاري ك/ المناقب ب/ علامات النبوة في الإسلام، وأحمد في المسند ١/ ٤٦٠، والدارمي في مسنده ١/ ٢٨ والبخاري في مسنده ٤/ ٣٠١ والشاشي والشاشي في مسنده ١/ ٣٥٩، وأبو يعلى في مسنده ٩/ ٢٥٣ والبيهقي في دلائل النبوة ٤/ ١٢٩ - ١٣٠ وغيرهم.

[٦] - قصة تكثير ماء المزداتين: عن عمران قال: كنا في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم (فذكر الحديث إلى قوله): فاشتكى إليه الناس من العطش، فنزل فدعا رجلا من أصحابه ودعا عليا فقال اذهبا فابتغيا الماء، فانطلقا فتلقيا امرأة بين مزداتين أو سطيحتين « وعاء يحمل فيه الماء في السفر » من ماء على يعير لها، فقالا لها: أين الماء؟ قالت: عهدي بالماء أمس هذه الساعة، ونفرنا خلوف « غائبون » قالوا لها: انطلقني إذا، قالت إلى أين؟ قالوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: الذي يقال له الصابئ؟ قالوا: هو الذي تعنين، فانطلقني، فجاآ بها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحدثاه الحديث، قال: فاستنزلهما عن يعيرها، ودعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإناء ففرغ فيه من أفواه المزداتين أو سطيحتين وأوكأ « شد أفواههما بخيط » أفواههما وأطلق العزالي « فم القرية الأسفل » ونودي في الناس: اسقوا واستقوا، فسقى من شاء واستقى من شاء... وهي قائمة تنظر إلى ما يفعل بمائها، وأتم الله لقد أفلح عنها وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملاءة منها حين ابتداء فيها، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اجمعوا لها، فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة « طعام يتخذ من مدقوقة الحنطة والشعير. » حتى جمعوا لها طعاما فجعلوه في ثوب وحملوها على يعيرها، ووضعوا الثوب بين يديها، قال لها: تعلمين ما رزئنا « ما نقصنا » من مائك شيئا ولكن الله هو الذي أسقانا (وفي صحيح مسلم قال الراوي عمران بن حصين - رضي الله عنه - فشرينا ونحن أربعون رجلا عطاشى حتى روينا وملأنا كل قرية معنا وإداوة) فأنت أهلها وقد احتبست عنهم قالوا: ما حبسك يا فلانة؟ قالت: العجب، لقيني رجلان فذهبا بي إلى هذا الذي يقال له الصابئ؟ ففعل كذا وكذا، فو الله إنه لأسحر الناس من بين هذه وهذه، وقالت بإصبعيها الوسطى والسبابة فرفعتهما إلى السماء [تعني السماء والأرض] أو إنه لرسول الله حقا، فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون الصرم « القوم التي هي منهم » الذي هي منه، فقالت يوما لقومها: ما أرى « الذي أرى وأعتقده. » أن هؤلاء القوم يدعونكم عمدا، فهل لكم في الإسلام؟ فأطاعوها فدخلوا في الإسلام(١).

[٧] - تكثير الماء في جفنة فارغة: اشتدت حاجة المسلمين للماء فكلف الرسول صلى الله عليه وسلم جابرا رضي الله عنه أن يبحث عن بقية ماء، فوجد قليلا من الماء في سقاء بالي، قال جابر: فأتيته به فأخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو، ويغمزه بيديه، ثم أعطانيه، فقال: يا جابر: ناد بجفنة، فقلت: يا جفنة الركب، فأتيت بها تحمل فوضعتها بين يديه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في الجفنة هكذا فبسطها وفرق بين أصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة، وقال: خذ يا جابر فصب علي وقل: باسم الله، فصببت عليه وقلت: باسم الله، فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت، فقال: يا جابر ناد من كان له حاجة بماء، قال: فأتى الناس فاستقوا حتى رووا، قال: فقلت: هل بقي أحد له حاجة، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده من الجفنة وهي ملاءى، وشكا الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع، فقال: عسى الله أن يطعمكم فأتينا سيف البحر « ساحل البحر »

(١) - أخرجه البخاري ك/ التيمم ب/ الصعيد الطيب وضوء المسلم ومسلم ك/ للمسجد ب/ قضاء الصلاة الفاتمة وابن خزيمة في صحيحه ١/ ٥٩ مختصرا وابن حبان في صحيحه ٤/ ١٢٢ وأحمد في المسند ٤/ ٤٣٤ والبخاري في مسنده ٩/ ٥٩ والطبراني في المعجم الكبير ١٨/ ١٣٣ وابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ٣١٧ والأصبهاني في دلائل النبوة ١/ ٣٧ والبيهقي في دلائل النبوة ٤/ ٢٧٧.

فزخر البحر زخرة « فاض » فألقى دابة، فأورينا « فأوقدنا.» على شقها النار فاطبخنا واشتوبنا وأكلنا حتى شبعنا، قال جابر: فدخلت أنا وفلان وفلان حتى عد خمسة في حجاج عينها « عظمها المستدير بها» ما يرانا أحد حتى خرجنا، فأخذنا ضلعا من أضلاعه فقوسناه، ثم دعونا بأعظم رجل في الركب، وأعظم جمل في الركب، وأعظم كفل « الكساء الذي يحويه راكب البعير على سنامه لئلا يسقط » في الركب، فدخل تحته ما يطأطئ رأسه (١).

[٨] - قصة ميضأة أبي قتادة رضي الله عنه: عن أبي قتادة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنكم تسرون عشيتكم وليلتكم وتأتون الماء إن شاء الله غدا فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد « لا ينتظر أحد أحدا.» ... ثم إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا بميضأة « إناء صغير يحمل فيه الماء للوضوء.» كانت معي فيها شيء من ماء قال فتوضأ منها وضواً دون وضوء « وضوء خفيفا » قال وبقي فيها شيء من ماء ثم قال لأبي قتادة احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ ... قال فانتبهنا إلى الناس حين امتد النهار وحمي كل شيء وهم يقولون: يا رسول الله، هلكننا عطشنا فقال لا هلك عليكم ثم قال أطلقوا لي غمري « القدح الصغير » قال ودعا بالميضأة فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصب وأبو قتادة يسقيهم فلم يعد أن رأى الناس ماء في الميضأة تكابوا « تراحموا » عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أحسنوا الملاء كلكم سيروى» ، قال ففعلوا فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصب وأسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ثم صب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي اشرب فقلت لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله، قال إن ساقى القوم آخرهم شربا، قال فشربت وشرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال فأتى الناس الماء جامين رواء « مسترحين قد رووا من الماء » وكانوا ثلاثمائة « ٢ » .

[٩] - قصة تكثير الماء في غزوة تبوك: قال معاذ بن جبل: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام غزوة تبوك ... ثم قال: إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ... والعين مثل الشراك تبض « ماء قليل جدا قاله النووي » بشيء من ماء ... ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلا قليلا حتى اجتمع الماء في شيء، قال: وغسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه يديه ووجهه ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء منهمر أو قال غزير قال حتى استقى الناس، ثم قال يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا « ٣ » .

المبحث السادس : معجزات شفاء المرضى وحوارها

(١) - أخرجه مسلم ك/ الزهد ب/ حديث جابر الطويل وابن حبان في صحيحه بنحوه ٤٥٧/١٤ والأصبهاني في دلائل النبوة ٥٦/١.
(٢) - والحديث أخرجه مسلم ك/ المساجد ومواضع الصلاة ب/ قضاء الصلاة الفاتية واستحباب تعجيل قضائها وأحمد في مسنده ٣٠٢/٥ وأبو يعلى في مسنده بنحوه ٧/٢٣٤-٢٣٥ وابن الجعد في مسنده ص ٤٥٠ والغرياني في دلائل النبوة ص ٦٢-٦٧ والأصبهاني في دلائل النبوة أيضا ٨٨/١، أحمد في مسنده ٥/٢٩٨ وإسناده صحيح على شرط مسلم، كما في تحقيق المسند ٣٧/٢٣٨.
(٣) - أخرجه مسلم ك/ الفضائل ب/ في معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابن خزيمة في صحيحه ٨٢/٢ وابن حبان في صحيحه ٤٦٩-٤٧٠ وعبد الرزاق في المصنف ٢/٥٤٥-٥٤٦ وأحمد في المسند ٥/٢٣٧ والطبراني في المعجم الكبير ٥٧/٢٠ والغرياني في دلائل النبوة ص ٥٩.

كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتعرضون لأنواع من المرض والجراح أثناء غزواتهم، فيأتيه بعضهم فيدعو الله لهم، فيكرمه الله بشفاء من دعا له على الفور أمام أعين المشاهدين، وقد سجلت السنة الصحيحة عددا من هذه المعجزات، نذكر منها مايلي:

[١] - شفاء علي رضي الله عنه من رمده في غزوة خيبر: عن سهل بن سعد رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه، فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى، فقال: أين علي؟ فقيل يشتكي عينيه، فأمر فدعي له فبصق في عينيه فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فو الله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم «أ» .

[٢] - شفاء ساق سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: عن يزيد بن أبي عبيد قال رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة أصابني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة! فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنفت فيه ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتى الساعة «أ» .

[٣] - شفاء ساق عبد الله بن عتيك: عن البراء بن عازب قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي رجلا من الأنصار، فأمر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز (وذكر قصة قتله) ثم قال: فعرفت أنني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب بابا بابا حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أنني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته؟ فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز! فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء! فقد قتل الله أبا رافع! فانتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته، فقال: ابسط رجلك، فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم أشتكها قط «أ» .

[٤] - ظهور أثر بركته في مسحه رأس حنظلة بن حذيم: مسح النبي صلى الله عليه وسلم رأس حنظلة بن حذيم وقال: بارك الله فيك أو بورك فيه، فكان حنظلة بعد ذلك إذا أتى بإنسان متورم الوجه أو بهيمة واردة الضرع، يتفل على يديه، ثم يضع يده على رأسه على الموضع الذي مسحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يمسح مكان الورم فيذهب الورم «أ» . هذا وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة والمسلمين من بعدهم أدعية يدعون بها لكشف المرض فيجدون الشفاء المستمر، وهذا موجود إلى يومنا هذا، وخاصة عند

(١) - أخرجه البخاري ك/ الجهاد والسير ب/ دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة ومسلم ك/ فضائل الصحابة ب/ من فضائل علي بن أبي طالب وابن حبان في صحيحه ٣٧٨/١٥ والبيهقي في السنن الكبرى ١٠٦/٩ والنسائي في السنن الكبرى ٤٦/٥ وسعيد بن منصور في السنن ٢/٢١٥ .

(٢) - أخرجه البخاري ك/ المغازي ب/ غزوة خيبر وأبو داود في السنن ك/ الطب ب/ كيف الرقى وابن حبان في صحيحه ٤٣٩/١٤ وأحمد في مسنده ٤٨/٤ .

(٣) - أخرجه البخاري ك/ المغازي ب/ قتل أبي رافع والبيهقي في السنن الكبرى ٨٠/٩ والرويان في مسنده ٢١٥/١ والأصبهاني في دلائل النبوة ١/١٢٥ والطبري في تاريخه ٥٥-٥٦ .

(٤) - رواه أحمد في مسنده ٦٧/٥ وقال في مجمع الزوائد ٤/٢١١: ورجاله ثقات ورواه أيضا الطبراني في المعجم الكبير ٤/٦ و ٤/١٣ وفي المعجم الأوسط ٣/١٩١ وابن قانع في معجم الصحابة ١/٢٠٣ وذكر البخاري في التاريخ الكبير ٣/٣٧ وابن حجر في الإصابة ٢/١٣٣، وذكر أن الحسن بن سفيان رواه في مسنده، وإسناده صحيح كما في تحقيق المسند ٣٤/٢٦٣ .

مراعاتهم لآداب الدعاء المشروع « انظر كتاب: " الأذكار " للحافظ النووي، وكتاب: الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية لجيلان العروسي. » ، ويدخل ذلك في تصديق الله لرسوله بإجابة دعاء أتباعه الصادقين.

المبحث السابع : شهادة الشجر برسالة النبي صلى الله عليه وسلم:

حيث شهد الشجر له بصدق الرسالة، وتحرك الشجر يشق الأرض شقاً، ونزل عذق النخلة امتثالاً لأمره صلى الله عليه وسلم، وسمع الصحابة حين جذع النخلة حين فارقه حتى رجع فسكنه كما يسكن الصبي، وهذه من الخوارق التي لا تجري إلا على يد رسول صادق مؤيد من الله سبحانه.

[١] - نزول العذق: «١» عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: بم أعرف أنك نبي؟!، قال: إن دعوت هذا العذق " غصنها الذي يكون فيه الرطب " من هذه النخلة تشهد أني رسول الله؟ فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: ارجع، فعاد فأسلم الأعرابي «١» .

[٢] - السلمة التي مشت: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين تريد؟، قال: إلى أهلي، قال هل لك في خير؟ قال: وما هو؟، قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، قال: ومن يشهد على ما تقول؟ قال هذه السلمة! " نوع من الشجر " فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهي بشاطئ الوادي - فأقبلت تخذ الأرض خذا « تشق الأرض شقاً » حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً، فشهدت ثلاثاً أنه كما قال ثم رجعت إلى منبتها، ورجع الأعرابي إلى قومه، وقال: إن اتبعوني أتيتكم بهم، وإلا رجعت فكنت معك «٢» .

[٣] - انقياد شجرتين له صلى الله عليه وسلم: عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: خرجت أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار... فذكر حديثاً عن جابر رضي الله عنه إلى قوله: سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا وادياً أفيح « متسعاً » فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته بإداوة « إناء صغير يحمل فيه الماء » من ماء، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحدهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال: انقادي علي ياذن الله، فانقادت معه كالبعير المخشوش « الذي في أنفه خشاش وهو عود يجعل في أنف البعير يشد به الزمام ليكون أسرع لانقياده. » الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الآخرة

(١) - أخرجه الترمذي في المناقب الباب التاسع، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ١٩٣/٣ وأخرجه أيضاً الحاكم في المستدرک ٦٧٦/٢ وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، قال ابن كثير في البداية والنهاية ١٣١/٦ وهذا إسناد جيد وأخرجه أيضاً المقدسي في المختار ٥٣٩/٩ والبيهقي في الاعتقاد ص ٤٨، وأخرج القصة بلفظ آخر وفيه أن الأعرابي من بني عامر أحمد في المسند ٢٢٣/١ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٨٠٧/٤ والأصبهاني في دلائل النبوة ٥١/١ والمقدسي في المختار ٥٥٥/٩ وذكر في مجمع الزوائد بنحوه ١٠/٩ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن الحجاج الشامي وهو ثقة وأخرجه كذلك الطبري في تاريخه ٥٣٠/١.

(٢) - أخرجه الدارمي ٢٢/١ وأبو يعلى في مسنده ٣٤/١٠ وابن حبان في صحيحه ٤٣٤/١٤ والطبراني في المعجم الكبير ٤٣١/١٢ والفاكهي في أخبار مكة ٢٩/٤ وقال في مجمع الزوائد ٢٩٢/٨: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو يعلى أيضاً واليزار وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١٣٠/٦ من رواية الحاكم قال: وهذا إسناد جيد وقال الذهبي: إسناده جيد ص ٣٤٤ من السيرة النبوية.

فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي علي بإذن الله فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم بينهما - يعني جمعهما - فقال: التثما علي بإذن الله، فالتأمتا، قال جابر: فخرجت أحضر « السرعة في الجري». « مخافة أن يحس رسول الله صلى الله عليه وسلم بقربي فيبتعد، فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا، وإذا الشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق»^١. « أي كما كانت.

[٤] - حنين الجذع شوقا إليه صلى الله عليه وسلم: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبرا؟ قال: إن شئتم، فجعلوا له منبرا، فلما كان يوم الجمعة دفع « أتجه » إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمها إليه تمن أنين الصبي الذي يسكن، قال: كانت تبكي علي ما كانت تسمع من الذكر عندها «^٢» .

قال الحافظ ابن كثير: وقد ورد من حديث جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن «^٣» .

المبحث الثامن : معجزات خارقة في شهادة الحيوان وانقياده

[١] - شهادة الذئب بنبوته صلى الله عليه وسلم: عن أبي سعيد الخدري: قال: عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى « جلس مفترشا رجله ناصبا يديه » الذئب على ذنبه، قال: ألا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله إلي! فقال يا عجي! ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الإنس!! فقال الذئب: ألا أحبرك بأعجب من ذلك؟ محمد صلى الله عليه وآله وسلم بيثرب يخبر الناس بأبناء ما قد سبق! قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي الصلاة جامعة، ثم خرج فقال للراعي: أخبرهم، فأخبرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ويكلم الرجل عذبة « طرفه » سوطه وشراك نعله « سير النعل الذي على ظهر القدم » ويخبره فخذ بهما أحدث أهله بعده «^٤» ،

(١) - أخرجه مسلم في آخر صحيحه ك/ الزهد والرقائق ب/ حديث جابر الطويل وابن حبان في صحيحه ١٤٥٥-٤٥٦ والأصبهاني في دلائل النبوة ١/ ٥٣-٥٥ والبيهقي في السنن الكبرى ١/ ٩٤ ورواه ابن عبد البر في التمهيد ١/ ٢٢٢ ورواه من حديث يعلى بن سبابة أحمد في مسنده ٤/ ١٧٢ وابن قانع في معجم الصحابة ٣/ ٢٢١ وغيرهما قال ابن عبد البر في التمهيد ١/ ٢٢٢: روي عن يعلى بن سبابة من وجوه. ونسبه في مجمع الزوائد ٦/ ٦، ٧ إلى أحمد والطبراني بنحوه وحسن إسناده وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٦/ ١٤٥-١٤٨. (٢) - أخرجه البخاري ك/ المناقب ب/ علامات النبوة في الإسلام وابن ماجه ك/ إقامة الصلاة ب/ ما جاء في بدء شأن المنبر والتزمذي ك/ المناقب ب/ في آيات إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحمد في مسنده ٣/ ٣٠٠ والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ١٩٥ وابن حبان في صحيحه ١٤٣٥-٤٣٨، والمقدسي في المختارة ٤/ ٣٥٦ والدارمي في السنن ١/ ٢٩ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤/ ٧٩٧-٨٠٢ وذكر له طرقا عن جماعة من الصحابة، والأصبهاني في دلائل النبوة ١/ ٤٦ وأبو يعلى في مسنده ٥/ ١٤٢ وابن الجعد في مسنده ص ٤٦٦ وابن المبارك في الزهد ص ٣٦٢ وذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ١٣٨-١٣١ من رواية الشافعي والبخاري في مسنده وأبي بكر بن أبي شيبة وعبد بن حميد الليثي أيضا. ونسبه اللالكائي في كتابه المذكور أنفا إلى ابن خزيمة. (٣) - البداية والنهاية ٦/ ١٣١، وذكر الحديث من رواية أبي أنس وجابر وسهل بن سعد وابن عباس وابن عمر وأبي سعيد وعائشة وأم سلمة رضي الله عنهم جميعا. (٤) - القصة وردت من رواية أبي سعيد الخدري ومن رواية أبي هريرة وقد أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٠٦ و ٣/ ٨٣-٨٨. قال ابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ١٥٠: وهذا إسناد على شرط الصحيح. وابن حبان في صحيحه ١٤٩/ ٤ والمستدرک ٤/ ٥١٤ وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه وعبد بن حميد في مسنده ١/ ٢٧٧ وإسحاق بن راهوية في مسنده ١/ ٣٥٧ ومعمر بن راشد في الجامع ١١/ ٣٨٣ والأصبهاني في دلائل النبوة ١/ ١١٢-١١٣ والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٤١-٤٢ وقال: هذا إسناد صحيح.

وذكر الحافظ ابن عدي عن ابن أبي داود أن ذرية هذا الراعي في مدينة مرو، وأنه يقال لهم: بنو مكلم الذئب «أ» ، واستدل البيهقي بذلك على اشتهاار القصة وقوة الحديث «أ» .

[٢] - شكوى جمل له من صاحبه: عن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلفه ذات يوم... فدخل حائطا لرجل من الأنصار، فإذا جمل فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه، فأتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمسح ذفراه «العظم الشاخص خلف الأذن» فسكت، فقال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكأ إلي أنك تجيعه وتدئبه «تدم عليه العمل فيتعب» (٣) .

[٣] - استجابة جمل استصعب على أهله: عن أنس بن مالك قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون «يسقون» عليه، وإن الجمل استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وإن الأنصار جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: قوموا، فقاموا، فدخل الحائط - والجمل في ناحية فمشى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه، فقالت الأنصار: يا نبي الله إنه قد صار مثل الكلب الكلب «أصابه داء الكلب، وهو مرض معد ينتقل فيروسه في اللعاب بالعض من الفصيلة الكلبية إلى الإنسان وغيره» وإنما نخاف عليك صولته، فقال: ليس علي منه بأس، فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن نعقل، فنحن أحق أن نسجد لك، فقال: لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها «أ» . قال أبو نعيم في ما تضمنته هذه الحادثة وأمثالها: إما أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم أعطي علما بمنطق هذه البهائم، فذلك له آية كما كان لسليمان عليه السلام آية يعلم منطق الطير، أو أنه علم ذلك بالوحي، وأي ذلك كان ففيه أعجوبة وآية معجزة «أ» .

[٤] - تأدب الوحش معه صلى الله عليه وسلم: قالت عائشة رضي الله عنها: كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحش «حيوان البر الوحشي مثل حمار الوحش وبقر الوحش» فإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعب واشتد وأقبل وأدبر، فإذا أحس برسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل روض فلم يترمم "

(١) - الكامل لابن عدي ٢/ ١٥٠ .

(٢) - دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٤٤، وعنه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ١٥٢، وانظر الإصابة لابن حجر لمعرفة اسم مكلم الذئب ١/ ١٤١ .

(٣) - والحديث أخرجه أبو داود ك/ الجهاد ب/ ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم والحاكم في المستدرک ٢/ ١٠٩، وقال: صحيح الإسناد والمقدسي في الأحاديث المختارة ٩/ ١٥٨ - ١٦٠ وأبو عوانة في مسنده ١/ ١٦٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/ ١٣، وابن أبي شيبه في المصنف ٦/ ٣٢٢ وأحمد في المسند ١/ ٢٠٤ وأبو يعلى في مسنده ١٢/ ١٥٩ والأصبهاني في دلائل النبوة ١/ ١٥٩ قال الذهبي في تاريخ الإسلام: أخرج مسلم منه إلى قوله: حائش نخل، وباقية على شرط مسلم ص ٣٤٨ من السيرة النبوية، وصححه الألباني أيضا في صحيح سنن أبي داود ٢/ ٤٨٤ .

(٤) - أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٥٨ وجود إسناده المنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ٣٥ قال ابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ١٤٢: هذا إسناد جيد، وقد روى النسائي بعضه. وأخرجه المقدسي في الأحاديث المختارة ٥/ ٢٦٦ وحسن إسناده قال في مجمع الزوائد ٩/ ٤: رواه أحمد والبراز ورجال الصحيح غير حفص ابن أخي أنس وهو ثقة وذكر له الحافظ ابن كثير شواهد في البداية والنهاية ٦/ ١٤٢ وما بعدها، والهيثمي في المجمع ٩/ ٤ وما بعدها. وذكر نحوه الذهبي في تاريخ الإسلام ص ٣٤٨ من السيرة النبوية، وفيه: ما سجد لي، ولكن سخره الله لي، وانظر تحقيق المسند ٢٠/ ٦٥ - ٦٦ .

(٥) - دلائل النبوة ٢/ ٤٩٩ لابو نعيم .

أي سكن ولم يتحرك " ما دام رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت كراهية أن يؤذيه «^أ» .

[٥] - ظهور البركة في فرس أبي طلحة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن أهل المدينة فرعوا مرة فركب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرسا لأبي طلحة كان يقطف أو كان فيه قطاف « بطء في السير ». فلما رجع قال وجدنا فرسكم هذا بجرا «الواسع الجري الشديد العدو» فكان بعد ذلك لا يجارى «^ب» .

[٦] - ظهور أثر البركة في بعير جابر رضي الله عنه: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزاة فأبطأ بي جملي وأعياء، فأتى علي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: جابر! فقلت: نعم، قال: ما شأنك؟ قلت: أبطأ علي جملي وأعياء، فتخلفت، فنزل يحجنه بمحجنه « يغمزه بالمحجن، والمحجن: العصا المعوجة، وكل معوج الرأس » ثم قال: اركب فركبت، فلقد رأيتك أكفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «^ج». كي لا يسبقه

المبحث التاسع : معجزات خارقة متفرقة

[١]- تسبيح الطعام: قال عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- وهو يتكلم عن المعجزات في عهد صلى الله عليه وسلم: ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل «^د» .

[٢] - معرفته بلحم شاة أخذت بغير إذن أهلها: عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شاة واتخذت لهم طعاما، فلما رجع قالت: يا رسول الله: إنا اتخذنا لكم طعاما فادخلوا فكلوا، فدخل رسول الله وأصحابه، وكانوا لا يبدؤون حتى يبتدئ النبي فأخذ النبي لقمة فلم يستطع أن يسيغها، فقال النبي: هذه شاة ذبحت بغير إذن أهلها، فقالت المرأة يا رسول الله إنا لا نحتشم « لا نستحي.» من آل سعد بن معاذ ولا يحتشمون منا، نأخذ منهم، ويأخذون منا «^{هـ}» .

[٣]- تكثير المال ببركته صلى الله عليه وسلم: كان على سلمان الفارسي رضي الله عنه مال، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم (قطعة من الذهب) فاستقلها سلمان وقال: وأين تقع هذه من الذي علي يا رسول الله، قال: خذها، فإن الله سيؤدي بها عنك، فأخذتها فوزنت لهم منها- والذي نفس سلمان بيده- أربعين أوقية «^و» .

(١) - أخرجه أحمد في المسند ١١٢/٦ و ١٥٠/٦ وإسحاق بن راهواه في مسنده ٦١٧/٣ وأبو يعلى في مسنده ٤١٨/٧ والطحاوي في شرح معاني الآثار ٤/١٩٥، والطبراني في المعجم الأوسط ٣٤٨/٦ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٤: رواه أحمد وأبو يعلى والبيهقي والطبراني في الأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح. وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٦/١٥٤ عن إسناد أحمد: على شرط الصحيح، وقال الذهبي عن الحديث في تاريخ الإسلام: صحيح ص ٣٤٩ من السيرة النبوية.

(٢) - أخرجه البخاري ك/ الجهاد والسير ب/ الفرس القطوف ومسلم ك/ الفضائل ب/ في شجاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقدمه للحرب والتمذي ك/ الجهاد ب/ ما جاء في الخروج عند الفرع وابن ماجه ك/ الجهاد ب/ الخروج في النفي والنسائي في السنن الكبرى ٦/٢٦٣ وأحمد في المسند ٣/٢٦١ وابن حبان في صحيحه ١٤/٢٨٤ وغيرهم.

(٣) - أخرجه البخاري ك/ البيوع ب/ شراء الدواب ومسلم ك/ المساقاة ب/ بيع البعير واستثناء ركوبه والنسائي ك/ البيوع ب/ البيع يكون فيه الشرط الفاسد وأحمد في المسند ٣/٣٨٥ وابن حبان في صحيحه ١٤/٤٥٠ وأبو عوانة في مسنده ٣/٢٤٨، والنسائي في السنن الكبرى ٤/٤٤، والبيهقي في السنن الكبرى ٥/٣٣٧.

(٤) - أخرجه البخاري ك/ المناقب ب/ علامات النبوة، والترمذي ك/ المناقب ب/ في آيات إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابن خزيمة في صحيحه ١/١٠٢ والدارمي في السنن ١/٢٨ والشاشي في مسنده ١/٣٥٩ وأحمد في المسند ١/٤٦٠ وأبو يعلى في مسنده ٩/٢٥٣ واللالكائي في اعتقاد أهل السنة ٤/٨٠٣ وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة ٥/١٧٢٥ واللالكائي في كرامات الأولياء ١/١٣٤ والفريابي في دلائل النبوة ص ٦٨ والأصبهاني في دلائل النبوة ١/١٢٠

(٥) - أخرجه أبو داود ك/ البيوع ب/ في اجتناب الشبهات وضححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢/٦٤١ والأرنؤوط في تخرجه جامع الأصول ١١/٣٩٢ والحاكم في المستدرک ٤/٢٦٢ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه أحمد في مسنده ٣/٣٥١ واللفظ له والبيهقي في السنن الكبرى ٥/٣٣٥ والدارقطني في سننه ٤/٢٨٥-٢٨٦.

(٦) - الأوقية وزن معين يساوي من الذهب أربعة دنانير، والدينار يساوي أربعة جرامات وربعاً من الذهب تقريبا، والحديث أخرجه أحمد في المسند ٥/٤٤٤ وإسناده حسن كما في تحقيق المسند ٣٩/١٤٧.

[٤] - حصول الضوء في العصا لبعض أصحابه: عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن عباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة ظلماء حندس « شديدة الظلمة » فكان مع كل واحد منهما عصا فأضاءت عصا أحدهما كأشد شيء، فلما تفرقا أضاءت عصا كل واحد منهما، حتى وصل إلى أهله « أ » .

[٥] - الذاكرة الخارقة لأبي هريرة رضي الله عنه: كان أبو هريرة رضي الله عنه يشتكي أنه ينسى كثيرا من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم: من يبسط رداءه حتى اقضي مقالتي ثم يقبضه فلن ينسى شيئا سمعه مني! قال أبو هريرة: فبسطت بردة كانت على، فو الذي بعثه بالحق ما نسيت شيئا سمعته منه « ١ » . وهذا الحديث من علامات النبوة؛ لأن أبا هريرة كان أحفظ الناس بعد ذلك للأحاديث النبوية في عصره، وقد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثا. قال الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره، قال أبو الزعيرة كاتب مروان: أرسل مروان إلى أبي هريرة فجعل يحدثه - وكان أجلسني خلف السرير أكتب ما يحدث به - حتى إذا كان في رأس الحول أرسل إليه فسأله، وأمرني أن انظر فما غير حرفا عن حرف . « أ » .

[٦] - إسماع الله الصحابة صوت النبي صلى الله عليه وسلم وهم في منازلهم: قال عبد الرحمن بن معاذ التيمي رضي الله عنه: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى، ففتحت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا، فطفق يعلمهم مناسكهم ... الحديث « أ » .

[٧] - عاقبة النصراني المستهزئ: روى أنس رضي الله عنه قال: كان رجل نصرانيا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، فعاد نصرانيا ولحق بأهل الكتاب، فأعجبوا به ورفعوه، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له!! فأماتته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه! فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه!! فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض فعملوا أنه ليس من الناس فألقوه، وتركوه منبوذا « أ » .

[٨] - خاتم النبوة: ويلحق بالخوارق ما وجد من علامة على ظهره الشريف صلى الله عليه وسلم تدل على نبوته، وقد كان أهل الكتاب يعلمون هذه العلامة، وذكر أحد علمائهم ذلك لسلمان الفارسي رضي الله عنه ليعرف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما ذهب سلمان إلى المدينة النبوية تحقق من ذلك فرأى الخاتم،

(١) - أخرجه البخاري ك/ مناقب الأنصار ب/ منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر وابن حبان في صحيحه ٣٧٨/٥ واللفظ له، عدا جملة: حتى وصل إلى أهله، فهي في البخاري بمعناها والنسائي في السنن الكبرى ٦٨/٥ والطيالسي في مسنده ٢٧١/١ والبيهقي في الاعتقاد ص ٣١٠ ومعمر بن راشد في الجامع ١١/ ٢٨٠ وأحمد في مسنده ١٣٧/٣ وعبد بن حميد في مسنده ٣٧٢/١ من المنتخب وغيرهم وانظر فتح الباري ٧/ ١٢٥ .

(٢) - حديث أبو هريرة أخرجه البخاري ك/ العلم ب/ حفظ العلم ومسلم ك/ فضائل الصحابة ب/ من فضائل أبي هريرة والترمذي ك/ المناقب ب/ مناقب لأبي هريرة والنسائي في السنن الكبرى ٤٣٩/٣ والحميدي في مسنده ٤٨٣/٢، والطبراني في الأوسط ١/ ٢٤٧ بنحوه وقد أخرج الحديث غير هؤلاء فانظر للتوسع في تحريجه الإصابة للحافظ ابن حجر ٧/ ٤٣٦ - ٤٣٨ . وقصة مروان في الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر ٧/ ٤٣١، ٤٣٣، ٤٣٨ .

(٣) - أخرجه أبو داود ك/ للناسك ب/ ما يذكر الإمام في خطبته بمنى والنسائي ك/ مناسك الحج ب/ ما ذكر في منى وأحمد في المسند ٤/ ٦١ والبيهقي في السنن الكبرى ١٢٧/٥ وابن قانع في معجم الصحابة ٢/ ١٥١، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١/ ٣٦٩ .

(٤) - أخرجه البخاري ك/ المناقب ب/ علامات النبوة في الإسلام ومسلم ك/ صفات المنافقين وأحكامهم وأبو يعلى في مسنده ٧/ ٢٢ وأحمد في مسنده ٣/ ٢٢٢ و٢٢٢ وعبد بن حميد في مسنده ١/ ٣٨١ من المنتخب وانظر فتح الباري ٦/ ٦٢٥ .

ورأى الخاتم أيضا جماعة من الصحابة. فعن السائب ابن يزيد يقول ذهبت بي خالتي إلى النبي فقالت: يا رسول الله إن ابن أخي وجع، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، ثم توضع فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة «أ»، وقد رأى خاتم النبوة من الصحابة أيضا: جابر بن سمرة «أ»، وأبو زيد الأنصاري «أ»، وعبد الله بن سرجس «أ» وغيرهم «رضي الله عنهم أجمعين». ووجود هذه العلامة الخلقية المطابقة لما ورد في كتب أهل الكتاب أمر لا يقدر عليه إلا الخلاق سبحانه.

وهكذا تشهد الخوارق للعادات والسنن الكونية التي جاء ذكرها في كتاب الله بأن محمدا هو رسول الله المصدق من الله بمخرق السنن تأييدا له، كانشقاق القمر وحادثة الإسراء، ونصره له أثناء الهجرة، وفي غزوة بدر بإنزال المطر وإلقاء النعاس على أتباعه، وإنزال الملائكة للقتال معهم، وإرسال الريح على أعدائه والجنود التي لا ترى كما في غزوة الأحزاب، وغيرها من الحوادث، ولقد استفاضت الأخبار في زمن الصحابة بوقائع تأييد الله لرسوله بمخرق العادات والسنن الكونية بما يعد شهادة من الله له وتصديقا لرسالته، وقد حفظ المسلمون هذه الوقائع في كتب الحديث بأدق مقاييس الحفظ والتوثيق التي لا تعرف البشرية لها مثيلا، مما جاء مفصلا لما ذكره القرآن من المعجزات أو التي انفردت بها السنة من الحوادث الكثيرة التي وقعت للرسول وأصحابه كحوادث تكثير الطعام القليل حتى يكفي حاجة المجموعات أو المئات أو الآلاف من أصحاب رسول الله في إقامتهم أو أثناء رحلاتهم وغزواتهم أو تعرض بعضهم لقلّة الطعام. وحوادث نبع الماء من إناء صغير من بين أصابعه حين يضع يده فيه حتى يسقي منه جيش بأكمله، أو مباركة الماء في أوعيته أو منابعه.

وحوادث حفظ الله له من المتأمرين عليه لقتله أو تسميمه، وشفاء الله لمن يدعو له من المرضى أو المصابين. وحوادث استجابة الشجر لأمره، وحنين الجذع حزنا على فراقه. وشهادة الحيوان بنبوته، وتخطب الحيوانات معه، وتسبيح الطعام بين يديه، وإضاءة العصا لبعض أصحابه، واستجابة الله لدعائه دون أن يخيبه، وتغيير الكثير من السنن له إجابة لدعوته ولمن دعا لهم أو دعا عليهم. وهذه الدلائل وأمثالها هي التي كانت سببا لزيادة الإيمان واليقين عند المسلمين كما كانت سببا في تحول الكفار من العداء الشديد والكرهية المستحكمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإيمان به والحب له أكثر من حب الآباء والأبناء، وحملتهم على تقديم الأرواح والمهج للذب عنه ونشر دينه الذي بعث به. (°)

(١) - أخرجه البخاري ك/ المرضى ب/ من ذهب بالصبي المريض ليدعى له ومسلم ك/ الفضائل ب/ إثبات خاتم النبوة وصفته وخله من جسده صلى الله عليه وآله وسلم والتزمذي ك/ المناقب ب/ في خاتم النبوة.

(٢) - أخرجه مسلم ك/ الفضائل ب/ إثبات خاتم النبوة ...

(٣) - أحمد في المسند ٧٧/٥ والحاكم في المستدرک ٦٦٣/٢ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) - مسلم ك/ الفضائل ب/ إثبات خاتم النبوة. « للاطلاع على عدد من الروايات في وصف خاتم النبوة، انظر دلائل النبوة لليهوتي ٢٥٩-٢٦٧ وروى فيه أن رجلا يهوديا أراد الاطلاع على ذلك الخاتم، قال: وإنما كانوا يبحثون عن ذلك لأنه مكتوب عندهم بصفته.

٥ - بينات الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته للشيخ الزنادي ٢٢٢-٣١١

الفصل الخامس

الدليل الخامس وهو حول الدلائل المعنوية، كاستجابة الله دعاءه، وعصمته له من القتل، وانتشار رسالته عليه الصلاة والسلام، فهذا النوع من الدلائل يدل على تأييد الله له ومعيته لشخصه ثم لدعوته ودينه، ولا يؤيد الله دعياً يفترى عليه الكذب بمثل هذا.

تمهيد : انتصب محمد مع ضعفه وفقره وقلة أعوانه وأنصاره، مخالفاً لجميع أهل الأرض آحادهم وأوساطهم وسلاطينهم وجبابرتهم، فضلل آراءهم وسفه أحلامهم وأبطل مللهم وهدم دولهم، وظهر دينه على الأديان في مدة قليلة شرقاً وغرباً، وزاد على مر العصور والأزمان، ولم يقدر الأعداء مع كثرة عددهم وعددهم وشدة شوكتهم وشكيمتهم ، وفرط تعصبهم وحميتهم وبذل غاية جهدهم في إطفاء نور دينه وطمس آثار مذهبه. كذلك استجابة الله دعائه ، كدعاء النبي على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه، فلم تبق له بقية.. وو، وعصمة الله له من القتل، وانتشار رسالته عليه الصلاة والسلام ، فهذا النوع من الدلائل يدل على تأييد الله له ومعيته لشخصه ثم لدعوته ودينه ، ولا يؤيد الله دعياً يفترى عليه الكذب بمثل هذا،. فهل يكون ذلك إلا بعون إلهي وتأييد سماوي، ولنعم ما قال غملائييل معلم اليهود لهم في حق الأنبياء الكذبة : (التصق به عدد من الرجال نحو أربعمائة، الذي قتل وجميع الذين انقادوا إليه تبددوا وصاروا لا شيء)٣٧.. (بعد هذا قام يهودا الجليلي في أيام الاكنتاب، وأزاع وراءه شعباً غفيراً، فذاك أيضاً هلك وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا) . ٣٨ (والآن أقول لكم تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم لأنه إن كان هذا الرأي وهذا العمل من الناس فسوف ينتقض) ٣٩ (وإن كان من الله فلا تقدر أن تنتقضوه لثلاث توجدهم محاربين لله أيضاً) كما هو مصرح به في الباب الخامس من كتاب الأعمال، والآية السابعة من الزبور الأول: (لأن الرب يعرف طريق الصديقين وطريق المنافقين تهلك) والآية السادسة من الزبور الخامس: (وتهلك كل الذين يتكلمون بالكذب، الرجل السافك الدماء والغاش يرذله الرب) ، والآية السادسة عشرة من الزبور الرابع والثلاثين: (وجه الرب على الذين يعملون المساوي لبييد من الأرض ذكرهم) وفي الزبور السابع والثلاثين ١٧: (لأن سواعد الخطاة تنكروا، والرب يعضد الصديقين) ٢٠ (الخطاة فيهلكون، وأعداء الرب جميعاً إذ يمجدون ويرتفعون، يبیدون، وكالدخان يفنون) ، فلو لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم من الصديقين لأهلك الرب طريقه ورذله وأباد ذكره من الأرض، وكسر سواعده وأفناه كالدخان. لكنه لم يفعل شيئاً منها، فكان محمد صلى الله عليه وسلم من الصديقين(١)

المبحث الأول: حمايته من كل ما يكاد به، ونجاته من كل محاولات الاغتيال:

عادته الدنيا كلها ولم ينافق ولم يداهن ولم يتنازل عن مبادئه أبداً بل ظل ثابتاً عليها في ظل كل الظروف ، فبدأ بدعوة العرب بترك عبادة الأصنام ، وعندما عرضوا عليه الملك والمال والنساء رفض ! وعندما عرض عليه العرب عبادة ربه سنه وعبادته هو الاصنام سنه رفض ! ووو .. وبدأ بدعوة الملوك كسرى وقيصر رغم انه من عادات الملوك الرفض حرصاً على ملكهم وهذا شئ مستفز بالنسبة لهم والرسول كان مستضعفاً ولكنه كان لا يخشى في الحق أبداً ، واثقاً بتأييد الله له وبنصره ، ثم ولم يتحالف مع جماعه ضد جماعه ولم يخون من خانته وكل هذا يدل رفعتة .

كان مؤيّد ومحمي من الأعداء الكثر الأقوياء لم يتمكنوا من الوصول إليه رغم كثرة عددهم وقوتهم وتمكنهم من مقاليد الحكم والسلطة... فقد أمضى النبي ﷺ في مكة ١٣ عاماً وحيداً ضعيفاً فقيراً ليس له من يحميه سوى الحماية المعنوية من عمه الشيخ المسن ابو طالب الذي لن يستطيع منع العرب من قتله لو أرادوا ذلك

...ورغم أن النبي ﷺ سقته دينهم وأهان ألهتهم وأصنامهم ووصف المشركين بأنهم كالأنعام بل هم أضل وبأنهم صم بكم عمي لا يعقلون .. ومع كل هذا الاستعداد الرهيب لهم وإغضابه لهم لم يتمكنوا منه وهو الرجل الذي يمشي وحده وينام وحده دون حراسة،

قال سهيل بن عمرو : قال: إني رأيت رجلا وحيدا لا مال له ولا عتر، قام في ظلّ هذا البيت فقال: إني رسول الله، وإني سأظهر، فكنا بين ضاحك وهازل وراجم ومستجهل، فما زال أمره ينمى ويصعد حتى دنا له طوعا وكرها، والله لو كان من عند غير الله لكان كالكسرة في يدي أي فتى من فتیان قريش، وإن هذا، وأشار إلى أبي سفيان، ليعلم من هذا الأمر مثل ما أعلم، ولكن قد ختم على قلبه حسد بني عبد المطلب. (١) وذلك لأنه كان وحيدا فقيرا ضعيفا ومع ذلك قهر كل خصومه بشكل لم يشهد له التاريخ مثيلا ... وكذلك في المدينة كان النبي ﷺ يمشي في وسط الناس بدون حراسة وينام لوحده مع أهله ومع ذلك لم يتمكنوا من الوصول إليه ورغم أن التاريخ القديم والحديث شهد إغتيالات لحكام وملوك يسكنون في قصور مُحصنة غاية التحصين والحراس يملئون تلك الحصون ومع ذلك تم اغتيالهم .. ومع ان النبي ﷺ أتى بما هو اشد إثارة للحقد والغضب عندما قام بتسفيه كل الديانات التي على سطح الأرض، وقام باستعداد كل الأمم عربهم وعجمهم واليهود والنصارى والمجوس وغيرهم، فكل تلك الأمم كانت تريد قتله ومع ذلك لم يتمكنوا منه وهو الرجل الذي يمشي وسط الناس ويعيش عيشة البسطاء بدون تكلف ولا حراسة أليست هذه من اعظم آيات النبوة التي تُبين حفظ الله تعالى لهذا النبي الكريم ﷺ وكيف صرف أعداءه عنه ؟

ما أتى به محمد يُمثّل نهاية كل الإمبراطوريات والدول التي كانت موجودة في ذلك الوقت ، فقد كان يُمثّل تهديدا وجوديًا لكل مُخالف له ، وكان يُعلن هذا في كل وقت بأن الإسلام سينتصر على باقي الأديان وسيُزيل الله تعالى به دول الروم والفرس واليهود والنصارى ومشركي العرب ومع كل هذا التهديد المتكرر من النبي ﷺ، ومع أنه كان في متناول أيديهم فإنهم لم يستطيعوا أن ينالوا منه وقد حاول كسرى فأماته الله كما ذكرنا في الدليل الرابع وحاول هرقل ثم انسحب في تبوك .

نزل قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧] قبل نزول هذه الآية الكريمة كان بعض الصحابة رضي الله عنهم يتطوعون لحراسة النبي أما بعد نزولها قال ﷺ لمن يجرسه ((يا أيها الناس، انصرفوا عني، فقد عصمني الله)) (٢) . ، فلو كان النبي ﷺ مُدعيا للنبوة هل كان سيخاطر هذه المخاطرة بالمشي دون حراسة وقد كثر أعداءه المترصين به من العرب والعجم في الجزيرة العربية وخارجها ، فقد كان المشركون في مكة يريدون قتله وكذلك اليهود في المدينة والمجوس في بلاد فارس والروم في الشام وكذلك المنافقين وكثير من الأعراب في الجزيرة كلهم يريدون أن ينالوا من النبي لتنتهي الدعوة الإسلامية للأبد، فهل سيكون ﷺ بهذه الثقة المطلقة بحفظ الله تعالى له لو لم يكن متصلا بالوحي ؟؟ وقد قال أحد الذين اعتنقوا الإسلام أن هذه الآية كانت سببا في

(١) - تثبت دلائل النبوة ، القاضي عبد الجبار المعتزلي (٢/ ٣١٧)

(٢) - رواه الترمذي ح (٣٠٤٦)، وضححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (٢٤٨٩) رواه الحاكم

إسلامه ، لأن الكاذب يخدع كل الناس ولكن لا يخدع نفسه ، فلو لم يكن النبي واثقا من حفظ الله تعالى له لما خاطر هذه المخاطرة الرهيبة وفي الآية دليلا من دلائل النبوة، أولهما: إخبار الله له بحفظه ، وقد كان.

قال الماوردي: "فمن معجزاته: عصمته من أعدائه، وهم الجُمُ الغفير، والعددُ الكثير، وهم على أتم حَنَقٍ عليه، وأشدُّ طلبٍ لِنَفِيهِ، وهو بينهم مسترسلٌ قاهر، ولهم مخالطٌ ومكاثر، ترمُّقه أبصارهم شزراً، وترتد عنه أيديهم دُعرًا، وقد هاجر عنه أصحابه حذراً حتى استكمل مدته فيهم ثلاث عشرة سنة، ثم خرج عنهم سليماً، لم يكلم في نفسٍ ولا جسد، وما كان ذلك إلا بعصمةٍ إلهيةٍ وعده الله تعالى بها فحققها، حيث يقول: {والله يعصمك من الناس} فَعَصَمَهُ مِنْهُمْ". (١)

والدليل الآخرُ في الآية من دلائل النبوة، يظهر لمن عرف أن النبي كان مقصوداً بالقتل من أعدائه، فكان الصحابة يحرسونه خوفاً عليه، فلما نزلت الآية صرفهم عن حراسته، ليقينه بما أنزل الله إليه، ولو كان دعياً لما غرر بنفسه، ولما عَرَّضَ نفسه للسوء، وقد صدق المستشرق بارتلمي هيلر في قوله: "لما وعد الله رسوله بالحفظ بقوله: {والله يعصمك من الناس}، صرف النبي حراسه، والمرء لا يكذب على نفسه، فلو كان لهذا القرآن مصدر غير السماء لأبقى محمد على حراسته". (٢)

قال ابن تيمية مستدلاً لنبوة النبي بتأييد الله لنبيه وحفظه له ونصره لدينه: "وقد أيده تأييداً لا يؤيد به إلا الأنبياء، بل لم يؤيد أحدٌ من الأنبياء كما أُيِّد به، كما أنه بُعث بأفضل الكتب إلى أفضل الأمم بأفضل الشرائع، وجعله سيد ولد آدم ، فلا يعرف قط أحد ادعى النبوة وهو كاذب؛ إلا قطع الله دابره وأذله وأظهر كذبه وفجوره ، وكل من أيده الله من المدعين للنبوة لم يكن إلا صادقاً، كما أيده نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان، بل وأيده شعبياً وهوداً وصالحاً، فإن سنة الله أن ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وهذا هو الواقع، فمن كان لا يعلم ما يفعله الله إلا بالعادة، فهذه عادة الله وسنته يعرف بها ما يصنع، ومن كان يعلم ذلك بمقتضى حكمته؛ فإنه يعلم أنه لا يؤيد من ادعى النبوة وكذب عليه". (٣)

جاءت أم جميل، امرأة عمه أبي لهب إلى النبي ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله، إنها امرأة بذيئة، وأخاف أن تؤذيك، فلو قُمت، قال: ((إنها لن تراني))، فجاءت أم جميل، فقالت لأبي بكر: إن صاحبك هجاني! قال: لا، وما يقول الشعر، قالت: أنت عندي مُصَدِّق، وانصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله، لم ترك؟! قال: ((لا، لم يزل ملك يسترني عنها بجناحه)). (٤)

وكذا أرادت قريش أن تقتل النبي مراراً قبل هجرته، لكن الله نجاه منهم وحماه، فلما عزم النبي - صلى الله عليه وسلم - على الخروج من مكة مهاجراً، رصدوا له على باب بيته، فخرج عليه الصلاة والسلام من بينهم، وقد أعمى الله أبصارهم عنه، فلم يروه حال خروجه. (٥)

(١) - أعلام النبوة (١٢٧).

(٢) - ربح محمدًا ولم أخسر المسيح، عبد المعطي الدلالاني ص (١٠٨).

(٣) - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (١/٤١٠).

(٤) - رواه أبو يعلى في مسنده ح (٢٣٥٨)، والبخاري ح (٢٢٩٤)، وصححه ابن حبان ح (٦٥١١).

(٥) - انظر الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام، للسهيبي (٤/١٧٨).

وفي هذا يقول سبحانه: {وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين} [الأَنْفال: ٣٠]، لقد رد الله مكرهم في نخورهم، ونجى نبيه عليه الصلاة والسلام.

وخرج - صلى الله عليه وسلم - من مكة مستخفياً تحوطه عناية الله، حتى وصل وصاحبُه إلى غار ثور، واختبأ فيه عن أعين المشركين الذين جدوا بالبحث عنه حتى وصلوا إلى الغار، ووقفوا ببابه، وظن أبو بكر - رضي الله عنه - الهلكة، فقال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : لو أن أحدهم نظر إلى تحت قدميه لأبصرنا، فأجابه النبي - صلى الله عليه وسلم - بلسان الواثق من ربه، المتوكل عليه، العالم بأنه لا يسلمه إلى مرام أعدائه: ((ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟)). (١) {إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنودٍ لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم} [التوبة: ٤٠]، وهكذا نجى النبي من بين أيديهم، واتجه صوب المدينة المنورة من جديد، تحوطه رعاية الله، وتكلمه عنايته.

من دلائل النبوة حماية الله لأنبيائه، وإنجاءه لمن شاء منهم من أيدي أعدائهم، رغم ما يترصد بهم السفهاء من سوء، ولقد قال نوح عليه السلام متحدياً كفار قومه: {يا قوم إن كان كُبرٌ عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّةً ثم اقبضوا إليّ ولا تنظروني} [يونس: ٧١]، فلم يصلوا إليه بسوء لحماية الله له. ومثله قول أخيه هود عليه السلام: {قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون إني توكلت على الله ربي وربكم} [هود: ٥٤ - ٥٦]. ولما أراد السفهاء قتل إبراهيم عليه السلام، وألقوه في النار أنجاه الله منها بقدرته وفضله {قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين - قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم - وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأَخسرين} [الأنبياء: ٦٨ - ٧٠]. وكذا كان الحال مع نبينا ﷺ، فقد أنجاه الله من المؤامرات التي واجهته من لدن بعثته عليه الصلاة والسلام وهذا الدليل استدل به اليهود على صدق النبي ﷺ:

ففي حديث سحر النبي ﷺ من قبل لبيد بن الأعصم اليهودي (٢)، فقالت أخت لبيد بن الأعصم: إن يكن نبيا فسيخبر، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله (٣). و المرأة اليهودية أتت رسول الله بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك. قال: «ما كان الله ليسلطك علي» (٤)، وفي رواية أبو داود من حديث جابر بن عبد الله يحدث: أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية (مشوية)، ثم أهدتها لرسول الله ﷺ، فأخذ رسول الله الذراع فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «ارفعوا أيديكم». وأرسل رسول الله ﷺ إلى اليهودية فدعاها، فقال لها: «أسممت هذه الشاة؟» قالت اليهودية: من أخبرك؟ قال: «أخبرتني هذه في يدي» للذراع، قالت: نعم. قال: «فما أردت إلى ذلك؟». قالت: قلت: إن كان نبيا فلن يضره، وإن لم يكن نبيا استرحنا منه. فعفا عنها

(١) - رواه البخاري ح (٢٦٥٣)، ومسلم ح (٢٣٨١).

(٢) - متفق عليه (البخاري: كتاب الطب، باب السحر، رقم: ٥٤٣٣، ومسلم: كتاب السلام، باب السحر، رقم: ٢١٨٩)، وسيأتي نصه صفحة.

(٣) - فتح الباري (٢٣٧/١٠).

(٤) - متفق عليه (البخاري: كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب قبول الهدية من المشركين، رقم: ٢٦١٧، ومسلم: كتاب السلام، باب السم، رقم: ٢١٩٠).

رسول الله ولم يعاقبها) (أ)

وفي هزيمة أحد أفسحت لليهود مجالاً ينفسون فيه عن أحقادهم ويظهرون ضغائنهم على الإسلام ونبيه، وقالوا: ما محمد إلا طالب ملك، ما أصيب هكذا نبي قط، أصيب في بدنه وأصيب في أصحابه، حتى أن ذلك استفز عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستأذنه في قتل الرؤوس اليهودية التي نفثت سمومها في قلب المحنة فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم: يا عمر إن الله مظهر دينه ومعزّ نبياه، ولليهود ذمة فلا أقتلهم «أ» وقد بدأت هذه المحاولات من بداية البعثة: فعن ابن عباس (ن: أن الملائمة من قريش اجتمعوا في الحجر، فتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، لو قد رأينا محمداً قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله. قال: فأقبلت فاطمة تبكي حتى دخلت على أبيها، فقالت: هؤلاء الملائمة من قومك في الحجر قد تعاهدوا أن لو قد رأوك قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك، قال: يا بنية أدني وضوءاً فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: هو هذا. فخفضوا أبصارهم وعقروا في مجالسهم، فلم يرفعوا إليه أبصارهم، ولم يقيم منهم رجل، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رءوسهم، فأخذ قبضة من تراب فحصبهم بها، وقال: «شاهت الوجوه». قال: فما أصابت رجلاً منهم حصاة إلا قد قتل يوم بدر كافراً(ب).

أبو جهل فرعون هذه الأمة رام أيضاً قتل النبي ﷺ حين أقبل يختال ذات يوم في جنبات مكة فقال: هل يعرّف محمدٌ وجهه بين أظهركم [يعني بالسجود والصلاة]؟ فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعقرن وجهه في التراب. فأتى رسول الله وهو يصلي، زعم لي طأ على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي [أي يختمي] بيديه، فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخنديقاً من نارٍ وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله : ((لو دنا مني لاختطفته الملائكة عُضواً عُضواً)). (ج) وهذه معجزة عظيمة رآها عدو الإسلام أبو جهل، فقد رأى أجنحة ملائكة الله وهي تحمي النبي ، وأيقن بأن الله حماه بجنده وعونه، لكن منعه الكبر وحُب الزعامة والحرص عليها من الإذعان للحق والانقياد له، فحاله وحال غيره من المشركين كما قال الله: {فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون} (الأنعام: ٣٣). قال النووي: "ولهذا الحديث أمثلة كثيرة في عصمته ﷺ من أبي جهل وغيره ، ثم أراد به ضرراً، قال الله تعالى: {والله يعصمك من الناس} (ه).

وحادثة الهجرة عندما أرادوا أن يقتلوا النبي ﷺ قبل هجرته، فجعل النبي مكانه علي بن أبي طالب، وخرج من بيته مع أن الكفار قد أحاطوا به من كل جانب؛ إلا أن الله قد أعمى أبصارهم عنه (٦) ، وفي هذا يقول سبحانه: {وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين}

(١) - سنن أبي داود (كتاب الديات، باب فيمن سقى رجلاً سما أو أطعمه فمات أيقاد به، رقم: ٤٥١٠) وهو صحيح لغيره كما قال الألباني في مشكاة المصابيح رقم: ٥٨٧٤.

(٢) - الواقدي: ٣١٧/١ - ٣١٨، للمقريزي: إمتاع الأسماع ١/١٦٥.

(٣) - أخرجه الإمام أحمد (٣٤٧٥) وإسناده صحيح كما قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٨١/٦) رقم: ٢٨٢٤.

(٤) - رواد مسلم ح (٢٧٩٧)

٥ - (شرح مسلم على صحيح النووي (١٧/١٤٠)).

٦ - انظر الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام، للسهيلى (١٧٨/٤).

[الأَنْفَال: ٣٠] وخرج من مكة مستخفياً تحوطه عناية الله، حتى وصل وصاحبه إلى غار ثور، واختبأ فيه عن أعين المشركين الذين جدوا بالبحث عنه حتى وصلوا إلى الغار، ووقفوا ببابه، وظن أبو بكر - رضي الله عنه - الهلكة، فقال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : لو أن أحدهم نظر إلى تحت قدميه لأبصرنا، فأجابه النبي - صلى الله عليه وسلم - بلسان الواثق من ربه، المتوكل عليه، العالم بأنه لا يسلمه إلى مرام أعدائه: ((ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟)). (١)

أما قريش فلم تستسلم، ولم تفتّر عزيمتها في محاولة قتل النبي والنيل منه، فأرسلوا إلى قبائل العرب يضعون لهم الجوائز إن هم قتلوا النبي وصاحبه، لكنهما كانا يسييران في حفظ الله ورعايته، وجاز النبي قديداً، فأدركه سراقه بن مالك، يقول الصديق: وتبعنا سراقه بن مالك، ونحن في جلدٍ من الأرض [أي في أرض صلبة]، فقلت: أتينا يا رسول الله، فقال: ((لا تحزن، إن الله معنا)) فدعا عليه رسول الله، فارتطمت فرسه إلى بطنها، وفي رواية للبخاري يروي سراقه الخبر فيقول: (حتى إذا سمعت قراءة رسول الله وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض، حتى بلغت الركبتين، فخزرت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تُخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عُثانٌ ساطع في السماء مثل الدخان) (٢) فقال سراقه: (إني قد علمت أنكما قد دعوتما عليّ، فادعوا لي، فالله لكما أن أُرّد عنكما الطلب، فدعا - صلى الله عليه وسلم - الله فنجاه، فرجع لا يلقي أحداً من الطلب إلا قال: قد كُفيتكم ما ها هنا، فلا يلقي أحداً إلا ردّه). (٣) قال أنس: (فكان أوّل النهار جاهداً على نبي الله - صلى الله عليه وسلم -، وكان آخر النهار مسلحاً له) (٤). واستمرت هذه المحاولات في المدينة أيضاً، كما تقدم في حديث لبيد بن الأعصم، وحادثة الشاة المسمومة في خيبر في السنة الخامسة وكذلك حادثه بني النضير الذي أرادوا أن يلقوا الصخرة على النبي ﷺ وهو جالس تحت بيت من بيوتهم، فكان هذا سبباً لجلاتهم من المدينة (٥).

ولم تكن هذه المحاولات قاصرة على اليهود، بل حتى قريش كانوا مستمرين في ذلك؛ فلما رجع المشركين إلى مكة بعد بدر، أقبل عمير بن وهب حتى جلس إلى صفوان بن أمية في الحجر، فقال صفوان: قبح الله العيش بعد قتلى بدر. قال: أجل والله ما في العيش خير بعدهم، ولولا دين علي لا أجد له قضاء، وعيال لا أدع لهم شيئاً، لرحلت إلى محمد فقتلته إن ملأت عيني منه، فإن لي عنده علة أعتل بها عليه، أقول قدمت من أجل ابني هذا الأسير. قال: فرح صفوان وقال له: علي دينك وعيالك أسوة عيالي في النفقة، لا يسعني شيء فأعجز عنهم. فاتفقا وحمله صفوان وجهزه، وأمر بسيف عمير فصقل وسم، وقال عمير لصفوان: اكنم خبري أياما. وقدم عمير المدينة فنزل بباب المسجد وعقل راحلته، وأخذ السيف وعمد إلى رسول الله (، فنظر إليه عمر وهو في نفر من الأنصار، ففرغ ودخل إلى رسول الله (، فقال: يا رسول الله لا تأمنه على شيء. فقال: «أدخله علي». فخرج عمر فأمر أصحابه أن يدخلوا إلى رسول الله (ويحترسوا من عمير، وأقبل عمر وعمير

١ - رواه البخاري ح (٣٦٥٣)، ومسلم ح (٢٣٨١).

٢ - رواه البخاري ح (٣٩٠٦).

٣ - رواه البخاري ح (٣٦١٥)، ومسلم ح (٢٠٠٩).

٤ - رواه البخاري ح (٣٩١١).

٥ - انظر: الرجح المختوم في سيرة المعصوم، للمباركفوري (ص: ٢٩٣)، دار الحديث، القاهرة.

حتى دخلا على رسول الله ومع عمير سيفه، فقال رسول الله لعمر: «تأخر عنه». فلما دنا عمير قال: أنعموا صباحا -وهي تحية الجاهلية- فقال رسول الله (: «قد أكرمنا الله عن تحيتك، وجعل تحيتنا تحية أهل الجنة وهو السلام». فقال عمير: إن عهدك بما لحديث. فقال: «ما أقدمك يا عمير؟». قال: قدمت على أسيري عندهم، تفادونا في أسراننا، فإنكم العشيرة والأهل. فقال: «ما بال سيف في عنقك؟». فقال: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئا، إنما نسيته في عنقي حين نزلت. فقال رسول الله: «اصدقي ما أقدمك يا عمير؟». قال: ما قدمت إلا في طلب أسيري. قال: «فماذا شرطت لصفوان في الحجر؟». ففزع عمير وقال: ماذا شرطت له؟ قال: «تحملت له بقتلي على أن يعول أولادك، ويقضي دينك، والله حائل بينك وبين ذلك». فقال عمير: أشهد أنك رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله، كنا يا رسول الله نكذبك بالوحي وبما يأتيك من السماء، وإن هذا الحديث كان بيني وبين صفوان في الحجر -كما قلت- لم يطلع عليه أحد، فأخبرك الله به، فالحمد لله الذي ساقني هذا المساق، وفرح به المسلمون وقال له رسول الله: «اجلس يا عمير نواسك». وقال لأصحابه: «علموا أحاكم القرآن». وأطلق له أسيره، فقال عمير: ائذن لي يا رسول الله، فألحق بقريش، فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام لعل الله أن يهديهم، فأذن له فلحق بمكة، وجعل صفوان يقول لقريش: أبشروا بفتح ينسيكم وقعة بدر. وجعل يسأل كل راكب قدم من المدينة هل كان بما من حدث، حتى قدم عليهم رجل فقال لهم: قد أسلم عمير. فلعنه المشركون وقال صفوان: لله علي إلا أكلمه أبدا ولا أنفعه بشيء. ثم قدم عمير فدعاهم إلى الإسلام، ونصحهم بجهد، فاسلم بسببه بشر كثير^(١).

ويحدث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه غزا مع رسول الله قَبْلَ نَجْد، فلما رجع رسول الله أدركتهم نومة القيلولة في وادٍ كثير الشجر، يقول جابر: فنزل رسول الله وتفرق الناس، يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله تحت سَمْرَةٍ، فعلق بها سيفه، فَمِنَّا نَوْمَةٌ، ثم إذا رسول الله يدعوننا فجئناه، فإذا أعرابي جالس، فقال رسول الله: ((إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صَلْتًا، فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فهذا هو ذا جالس)) ثم لم يعاقبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وفي رواية لأحمد أنه قام على رأس رسول الله بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ فقال: ((الله عز وجل)). فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله فقال: من يمنعك مني؟ فقال الأعرابي: كن كخير أخذ. فقال - صلى الله عليه وسلم -: ((أتشهد أن لا إله إلا الله؟)) قال: لا، ولكني أعاهدك أن لا أقَاتِلَكَ، ولا أكونَ مع قوم يقاتلونك، فحلى سبيله، فذهب إلى أصحابه، فقال: قد جئْتُكم من عند خير الناس^(٢). وفي هذا الحديث دلائلٌ مختلفة على نبوة النبي ، منها: ثبات النبي بتأييد الله له، ثم حماية الله له من القتل ، ومنها تأييده له بالملائكة، فقد وقع في رواية لابن إسحاق أن جبريل دفع بصدر المشرك فسقط سيفه. وأخيراً: عفو النبي عن الرجل مع رفضه للإسلام، وذلك خلق من أخلاق النبوة، وإلا فمن يصنع ذلك مع غريمه وعدوه الذي كاد أن يقتله؟ وقد صدق الأعرابي حين قال: جئْتُكم من عند خير الناس. {أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضل الله فماله من هاد}

١ - رواه الطبراني في معجمه الكبير ح (١١٧)، وابن هشام في السيرة (٢١٣/٣). الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر (٧٢٦/٤) وذكر أنه أخرجه موسى بن عقيب في المغازي عن ابن شهاب مرسلًا، وابن إسحاق في المغازي عن محمد بن جعفر مرسلًا أيضًا، وجاء موصولًا أخرجه ابن مندة والطبراني عن أنس.

٢ - (٢) رواه البخاري ح (٤١٣٧)، ومسلم ح (٨٤٣)، ورواية أحمد في المسند ح (١٤٥١٢).

[الزمر: ٣٦]، وفي هذا كله ما يشهد له ﷺ بالنبوة لتأييد الله إياه وحفظه له ، وغير ذلك من المحاولات التي باءت بالفشل، مما يدل على صدق قوله تعالى: {والله يعصمك من الناس} [المائدة: ٦٧] . وهذا يدل على صدق النبي ﷺ ، وأنه محفوظ من كل أذى حتى يبلغ دين الله كاملا، لذلك كان النبي ﷺ يدخل في فم الأسد - كما يقال - وهو مطمئن القلب رابط الجأش، كما فعل في حنين وأحد وغيرها من المعارك، ومنع الناس من حراسته لما علم بحفظ الله، وفي حادثة الهجرة عندما طوق المشركون الغار، ولم يكن بينهم وبين النبي ﷺ إلا أن ينظر أحدهم إلى قدمه، في هذه الحال العصبية أحس النبي بتوتر أبي بكر الصديق وشدة اضطرابه وخوفه فقال له: «لا تحزن إن الله معنا» (١) . يقول تعالى: {إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها} [التوبة: ٤٠] أي ثبات هذا وأي قلب يستطيع أن يهدأ في مثل هذا الموقف؟ إنما حقا النبوة.

المبحث الثاني : استجابة الله عز وجل لدعائه صلى الله عليه وسلم:

ومن علامات تصديق الله لنبيه أن يجيب دعاءه إذا دعاه في عظيم المطالب ومادونها، وقد كان هذا ظاهرا في علاقة الرسول بربه فما كان يخيب دعوته وما كان الله ليستجيب دعاء من يدعي النبوة كذبا وزورا، بل لقد أكرم الله أتباعه صلى الله عليه وسلم بإجابة دعائهم، وإن كانت دعوات غيره منها ما يستجاب له ومنها ما لا يستجاب له ، وكرامات أتباعه شهادة من الله له بصدق رسالته، وإن كان فضل الله وكرمه يشمل جميع المضطرين من عباده كما قال تعالى: {أمن يجيب المضطر إذا دعاه} [النمل: ٦٢] لأن المضطر قد علم أن لا ملجأ له إلا إلى الله فيجيبه بعظيم كرمه، لكن ذلك لا يكون بصفة متكررة للكافرين ولا بصفة دائمة للمؤمنين.

(أ) استجابة دعائه في الاستسقاء: عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجه المنبر ورسول قائم يخطب، فاستقبل رسول الله قائما فقال: يا رسول الله! هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا، قال فرفع رسول الله يديه فقال: اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة «قطعة من الغيم» ولا شيئا وما بيننا وبين سلع « جبل في المدينة » من بيت ولا دار، قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس سنا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبله قائما، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله بمسكها قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والجبال والآجام « الحصن.» والظراب « الجبال الصغار.» والأودية ومنابت الشجر، قال: فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس « ٢ » .

ومن يملك تكوين المطر في الجو الجاف وإنزاله إلا الله سبحانه وتعالى وعلى إثر دعاء رسوله عطاء وإمساكا، وتلك الاستجابة الإلهية لا تكون لمن يدعي النبوة ويفتري على الله الكذب، وفي رواية أخرى عن

١ - أخرجه البخاري (كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: ٣٦١٥) .

٢ - أخرجه البخاري ك/ الاستسقاء ب/ الاستسقاء في المسجد الجامع. واللفظ له، ومسلم ك/ صلاة الاستسقاء ب/ الدعاء في الاستسقاء.

أنس بن مالك رضي الله عنه أيضا: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينزل عن منبره حتى وقعت قطرات من المطر على لحيته، وأنه عند ما دعا الله أن يمسك المطر بقيت المدينة محاطة بالسحاب في مثل الإكليل، ولم يأت أحد من جهة من الجهات إلا حدث بالمطر الغزير وسال وادي قناة «أحد وديان المدينة» شهرا «أ».

وقال عمر رضي الله عنه: خرجنا إلى تبوك في قيظ «: الحر الشديد». شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع، حتى إن الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع لنا، فقال: أتحب ذلك؟ قال: نعم، فرفع يده فلم يرجعهما حتى قالت السماء «يعني تحرك السحاب فيها فأظلمت» فأظلمت ثم سكبت فملاؤها ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجد لها جازت العسكر «أ» .

(ب) - استجابة دعائه صلى الله عليه وسلم فيما دعا فيه: لقد كان رسول الله مستجاب الدعوة

فيما يدعو فيه ربه من قضاء الحوائج وتفريج الكرب وشفاء المرض وتحقيق المطالب وحلول البركة، حتى تواتر هذا الأمر عنه، فكان ذلك شاهدا من حاله بتصديق الله له بإجابة دعائه: وحوادث إجابة دعائه كثيرة:

* منها: أنه لما قدم المدينة كانت من أوبا أرض الله كما قالت عائشة رضي الله عنها فدعا الله أن ينقل حمى المدينة إلى الجحفة «قرية بين مكة والمدينة» وأن يجعل المدينة صحيحة فكان ذلك «آ» .

ودعا الله لأم أبي هريرة أن تسلم، فلما رجع أبو هريرة إلى البيت أعلنت إسلامها «أ» .

ودعا لعبد الله بن عباس بالفقه في الدين «و» ، فأصبح أحد علماء الأمة، حتى لقب بحبر الأمة وترجمان القرآن.

* ودعا لأنس بن مالك بالمال والولد والبركة في ذلك، فكان من أكثر الأنصار مالا وولدا(أ)

* ودعا للسائب بن يزيد بالبركة، فبلغ أربعاً وتسعين سنة وهو جلد معتدل يتمتع بسمعه وبصره «أ» .

* ودعا لقبيلة دوس بالهداية ، فهداهم الله بعد أن أبوا الإسلام «أ» .

* ودعا لأم خالد بنت خالد بن سعيد بطول العمر وهي صبية، فبقيت حتى ذكر من بقائها «أ» .

(١) - أخرجه البخاري ك/ الاستسقاء ب/ من تمطر حتى يتحادر المطر على لحيته، وانظر ب/ الدعاء إذا ذكر المطر: حوالينا ولا علينا.

(٢) - أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٥٣/١.

(٣) - أخرجه البخاري ك/ الدعوات ب/ الدعاء يرفع الوباء والوجع وفي الحج باب كراهية النبي أن تعرى للمدينة، ومسلم ك/ الحج ب/ الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها.

(٤) - أخرجه مسلم ك/ فضائل الصحابة ب/ من فضائل أبي هريرة، وأحمد باقي مسند المكثرين.

(٥) - أخرجه البخاري ك/ الوضوء ب/ وضع الماء عند الخلاء، وأحمد في باقي مسند بني هاشم بداية مسند عبد الله بن العباس.

(٦) - أخرجه البخاري ك/ الصوم ب/ من زار قوما فلم يفطر عندهم، وأحمد في باقي مسند المكثرين مسند أنس بن مالك، قال أنس: - فإني لمن أكثر الأنصار مالا، وحديثي ابني أمينة أنه دفن لصلبي مقدم حجاج البصرة بضع وعشرون ومائة، انظر صحيح البخاري ك/ الصوم ب/ من زار قوما فلم يفطر عندهم.

(٧) - أخرجه البخاري ك/ الوضوء ب/ استعمال فضل وضوء الناس، ومسلم ك/ الفضائل ب/ إثبات خاتم النبوة وصفته ومجمله من جسده.

(٨) - أخرجه البخاري ك/ الجهاد والسير ب/ الدعاء للمشركين بالهدى لئلا يفهم، ومسلم ك/ فضائل الصحابة ب/ من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومنينة وتيمم. وقال الحافظ ابن حجر: وقع مصداق ذلك (يعني الدعوة لهم بالهداية) ، فذكر ابن الكلبي أن حبيب بن عمرو بن حنيفة الدوسي كان حاكما على دوس، وكان يقول: إني لأعلم أن للخلق خالقا لكي لا أدري من هو؟ فلما سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم خرج إليه ومعه خمسة وسبعون رجلا من قومه فأسلم وأسلموا، فتح الباري ١٠٢/٨ بتصرف.

- * ودعا لأبي زيد بن أخطب ومسح على وجهه، فعاش مائة وعشرين سنة وليس في رأسه إلا شعرات بيض «أ»
- * ودعا لعروة البارقي بالبركة في صفقة يمينه، فكان كثير الربح وكذلك عبد الله بن جعفر «آ»
- * واشتكى إليه جرير بن عبد الله أنه لا يثبت على فرسه، فدعا الله له فلم يسقط عن فرس بعد ذلك «أ» .
- * واشتكى إليه علي بن أبي طالب ضعف الخبرة في القضاء، فدعا له بالبصيرة في القضاء، قال علي: فما شككت في قضاء بعد هذا «ؤ» .
- * ودعا له أيضا بالشفاء من مرض ألم به، قال علي: فما اشتكيت ذلك الوجع بعد «آ» . واستأذنه شاب في الزنا فصرفه عن ذلك بأسلوب حكيم «ل» ثم دعا له بتحسين فرجه فكان ذلك الفتى لا يلتفت إلى شيء «أ»
- * ودعا لطفل صغير بالهداية عندما خير بين أبيه المسلم وأمه الكافرة فاختار أباه المسلم «أ»
- * ودعا الله عز وجل أن يعز الإسلام إما بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام فاستجاب الله له وهدى عمر بن الخطاب في اليوم الثاني «أ» .
- * ودعا لقبيلة ثقيف بالهداية، فأقبلوا مهتدين بعد أن حاربوا المسلمين «أ» .
- * ودعا لأصحابه يوم بدر بالرزق ففتح الله عليهم بعد ذلك «أ» .
- * ودعا لجعيل الأشجعي بالبركة في فرسه وكانت عجفاء ضعيفة، فأصبحت تسابق الناس وباع مما أنتجته بمال كثير «أ» .
- * ودعا لأم المؤمنين أم سلمة بأن يذهب الله غيرها، فاستجاب الله سبحانه له «أ»

-
- (١) - أخرجه البخاري ك/ الجهاد والسير ب/ من تكلم بالفارسية والبطانية، وأبو داود ك/ اللباس ب/ فيما يدعى لمن ليس ثوبا جديدا، وأحمد في باقي مسند الأنصار حديث أم خالد بن خالد بن سعيد بن العاص.
- (٢) - أخرجه الترمذي ك/ المناقب ب/ في آيات إثبات نبوة النبي وما قد خصه الله عز وجل، وذكر الألباني في صحيح سنن الترمذي ١٩٣ / ٣ .
- (٣) - مسند أحمد ١ / ٢٠٤ ، وابن سعد ٤ / ٣٦ - ٣٧ والنسائي في الكبرى ٨٦٠٤ ، وأبو داود مختصرا، وإسناد أحمد على شرط مسلم، تحقيق المسند ٣ / ٢٧٩ .
- (٤) - أخرجه البخاري ك/ المغازي ب/ غزوة ذي الخليفة، ومسلم ك/ فضائل الصحابة ب/ من فضائل جرير بن عبد الله.
- (٥) - أخرجه الحاكم في المستدرک ٣ / ١٤٥ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأحمد في المسند، وهو حديث صحيح كما في تحقيق المسند ٢ / ٣٥٦ ، ٦٨ .
- (٦) - مسند أحمد ١ / ٨٣ ، وصححه ابن حجر كما في تحقيق المسند ٢ / ٦٩ .
- (٧) - حيث قال له: - أدنه، فدنا منه قريبا، فقال: أتجبه لأملك قال: لا والله جعلني فداك، قال: ولا الناس يجونه لأمتهم، ثم سأله هل يجبه لابنته أو أخته أو عمته أو خالته فأجاب بالنفي، فأعلمه أن الناس كذلك لا يجونه لبناتهم ولا لأخواتهم ولا لعلماتهم ولا لخالاتهم ثم وضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وحسن فرجه، فكان الفتى لا يلتفت إلى شيء.
- (٨) - (مسند أحمد ٥ / ٢٥٦ - ٢٥٧ والطبراني في الكبير وإسناده صحيح كما في تحقيق المسند ٣٦ / ٥٤٥ .
- (٩) - أخرجه ابن ماجه ك/ الأحكام ب/ تخيير الصبي بين أبوية، وأحمد في باقي مسند الأنصار من حديث أبي سلمة الأنصاري، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢ / ٤١ .
- (١٠) - أخرجه الترمذي ك/ المناقب ب/ في مناقب عمر بن الخطاب، وابن ماجه ك/ المقدمة ب/ فضل عمر، وأحمد في مسند المكتوبين من الصحابة والحاكم في المستدرک ٣ / ٥٧٤ ، وصححه الألباني في سنن الترمذي ٣ / ٢٠٤ .
- (١١) - مصنف ابن أبي شيبة ٦ / ٤٢٣ ، البخاري ك/ المغازي ب/ قوله تعالى: ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم [التوبة: ٢٥] .
- (١٢) - المستدرک ٢ / ١٤٤ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأحمد وأبو داود والبيهقي.
- (١٣) - النسائي في السنن الكبرى ٥ / ٢٥٣ ، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في الإصابة ١ / ٤٩٠ .
- (١٤) - النسائي في السنن الكبرى ٣ / ٢٨٦ ، ففي مسند أبي يعلى ١٢ / ٣٣٨ : فكانت في النساء كأنها ليست منهن لا تجد ما يجدن من الغيرة.

* ودعا الله أن يعين أصحابه الذين توجهوا لقتل كعب بن الأشرف الذي آذى المسلمين فنجحوا في مهمتهم، رغم تحصنه وصعوبة النيل منه . إلى غير ذلك من أنواع الدعوات لمن دعا لهم « أ » .

(ج) - استجابة دعائه صلى الله عليه وسلم على من دعا عليهم:

وقد حصل ذلك في حوادث متعددة، فمن ذلك أنه دعا على الكفار حين رأى منهم إدارا عن الحق، فقال: اللهم سبع كسبع يوسف، فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع « أ » .

* ودعا على سبعة من قريش كانوا يهزؤون به وبالإسلام، فقال عبد الله بن مسعود إنه رآهم صرعى في قليب بدر « أ » .

* ودعا على عامر بن الطفيل عندما هدد بغزو المدينة، فأصابته غدة « العقدية في الجسم يطيف بها (الشحم) » ومات على ظهر فرسه « أ » .

* ودعا على رجل تكبر وأبى أن يأكل بيمينه زاعما أنه لا يستطيع، فقال: لا استطعت!! فما رفعها إلى فيه « أ » .

وكان ابن أبي لهب يسب النبي صلى الله عليه وسلم فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: اللهم سلط عليه كلبك، فخرج إلى الشام تاجراً فنزل منزلاً فقال: إني أخاف دعوة محمد، فطمأنه رفاقه وناموا حوله وجعلوه وسطهم، فجاء الأسد ودخل إليه قاصداً إياه فافترسه « أ » . إلى غير ذلك من دعواته صلى الله عليه وسلم على من دعا عليهم ، وإجابة دعواته على من كفر به شهادة من الله على صدق رسالته، وعلى أن الكفر به جريمة يستحق صاحبها العقوبة ، ولقد شهد المؤمنون والكافرون إجابة الله لدعاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حرق السنن المعتادة له، وفي إكرام من دعا لهم، وفي الانتقام ممن دعا عليهم، وكان ذلك سبباً في قوة إيمان المؤمنين وفي إقناع المشككين والكافرين برسالته، وحفظ جيل الصحابة تلك الوقائع بأسماء أصحابها وأماكنها وظروفها وأبلغوها إلى التابعين، وحملها التابعون عنهم إلى من بعدهم بتوثيق دقيق كما سبق بيانه ، ويستحيل أن يتحقق ذلك التأييد من الله لمن يدعي الكذب عليه ويفتري دعوى الرسالة وليس بمرسل .

المبحث الثالث : جوابه الحاضر على أسئلة المشككين:

- (١) - أخرجه البخاري ك/ المغازي ب/ قتل كعب بن الأشرف، ومسلم ك/ الجهاد والسير ب/ قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود. للاستزادة انظر دلائل النبوة لسعيد باشنفر ١/ ٣٥٥ - ٤٨٠، ٢/ ٤٩٧ - ٥٣٦ .
- (٢) - أخرجه البخاري ك/ الجمعة ب/ دعاء النبي أجعلها عليهم سنين كسنتين يوسف، ومسلم ك/ صفة القيامة والجنة والنار ب/ الدخان، ورؤيتهم الدخان إما من من بخار حرارة الأرض، أو لتخليهم ذلك من شدة الجوع كما ذكره الحافظ ابن حجر في شرح الحديث.
- (٣) - أخرجه البخاري ك/ الوضوء ب/ إذا ألقى على ظهر المصلي قدر أو حيفة لم تفسد عليه، ومسلم ك/ الجهاد والسير ب/ ما لقي النبي من أذى المشركين. والسبعة الذين دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هم: عمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأميرة ابن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد.
- (٤) - المستدرک ٤/ ٩٢، أخرجه البخاري ك/ المغازي ب/ غزوة الرجيع ورعل وذكوان ...
- (٥) - أخرجه مسلم ك/ الأشربة ب/ آداب الطعام والشراب وأحكامها، وأحمد في أول مسند اللذين أجمعين من حديث سلمة بن الأكوع، والدارمي ك/ الأطلعة الأطلعة ب/ الأكل باليمين.
- (٦) - الحاكم في المستدرک ٢/ ٥٨٨، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وحسنه الحافظ في الفتح ٤/ ٣٩. للاستزادة انظر دلائل النبوة لسعيد باشنفر ١/ ٣٥٥ - ٤٨٠، ٢/ ٤٩٧ - ٥٣٦ .

لقد كان من أدلة صدق النبي (صلى الله عليه وسلم) جوابه الحاضر على الأسئلة المفاجئة التي كان يواجهه بها المشككون في صدقه، ولا يتأتى ذلك لشخص كاذب مهما أوتي من فطنة، بل لا يصدر إلا عن نبي مؤيد بوحى من السماء فنوعية الأسئلة غامضة مما تواضعوا عليه بكتهم وأخبرتهم به أنبياءهم الكثيرة وما أخفوا علمه عن العامة ، فمن أمثلة ذلك. عن أنس قال سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وهو في أرض يخترق، فأتى النبي (، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي؛ فما أول أشرط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ ... الحديث السابق) (١) .

وعن ثوبان مولى رسول الله قال: كنت قائما عند رسول الله فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد. فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله. فقال رسول الله: «إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي». فقال اليهودي: جئت أسألك. فقال له رسول الله: «أينفعك شيء إن حدثتك؟» قال: أسمع بأذني. فنكت رسول الله بعود معه، فقال: «سل». فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله: «هم في الظلمة دون الجسر». قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: «فقراء المهاجرين». قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة كبد النون». قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها». قال: فما شراهم عليه؟ قال: «من عين فيها تسمى سلسيلا». قال: صدقت. قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض، إلا نبي أو رجل أو رجلان. قال: «ينفعك إن حدثتك؟». قال: أسمع بأذني ، قال: جئت أسألك عن الولد؟ ، قال: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آتانا بإذن الله». قال اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبي. ثم انصرف فذهب فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : «لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه، وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به» (٢) .

عن ابن عباس (قال: حضرت عصابة من اليهود نبي الله (يوما، فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن، لا يعلمهن إلا نبي قال: «سلوني عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله، وما أخذ يعقوب - عليه السلام - على بنيه، لئن حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعني على الإسلام». قالوا: فذلك لك. قال: «فسلوني عما شئتم». قالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن؛ أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل كيف يكون الذكر منه؟ وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في النوم، ومن وليه من الملائكة؟ قال: «فعليلكم عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم لتتابعني». قال: فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق. قال: «فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى - صلى الله عليه وسلم - هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب - عليه السلام - مرض مرضا شديدا، وطال سقمه، فنذر لله نذرا لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرم من أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه، وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل وأحب الشراب إليه

١ - أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، باب من كان عدوا لجبريل، رقم: ٤٢١٠) .

٢ - أخرجه مسلم (كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة، رقم: ٣١٥) .

ألبانها؟ قالوا: اللهم نعم. قال: «اللهم اشهد عليهم، فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ، وأن ماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله؛ إن علا ماء الرجل على ماء المرأة كان ذكرًا بإذن الله، وإن علا ماء المرأة على ماء الرجل كان أنثى بإذن الله؟». قالوا: اللهم نعم. قال: «اللهم اشهد عليهم، فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه». قالوا: اللهم نعم. قال: «اللهم اشهد». قالوا: وأنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجتمعك أو نفارقك؟ قال: «فإن وليي جبريل - عليه السلام - ولم يبعث الله نبيًا قط إلا وهو وليه». قالوا: فعندها نفارقك؟ لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدقناك. قال: «فما يمنعكم من أن تصدقوه». قالوا: إنه عدونا. قال: فعند ذلك قال الله عز وجل {قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله} إلى قوله عز وجل {كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون} (فعند ذلك باءوا بغضب على غضب (١)).

وفي رواية عن ابن عباس، قال: أقبلت يهود إلى رسول الله، فقالوا: يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأنا بمن عرفنا أنك نبي واتبعناك، فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قالوا: الله على ما نقول وكيل. قال: «هاتوا». قالوا: أخبرنا عن علامة النبي؟ قال: «تنام عيناه ولا ينام قلبه». قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر؟ قال: «يلتقي الماءان؛ فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت، وإذا علا ماء المرأة آنتت». قالوا: أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه؟ قال: «كان يشتهي عرق النساء، فلم يجد شيئًا يلائمه إلا ألبان الإبل فحرم لحومها». قالوا: صدقت، قالوا: أخبرنا ما هذا الرعد؟ قال: «ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب، بيده أو في يده مخراق من نار يزرع به السحاب، يسوقه حيث أمر الله». قالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع؟ قال: «صوته». قالوا: صدقت، إنما بقيت واحدة وهي التي نبايعك إن أخبرتنا بها، فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر، فأخبرنا من صاحبك؟ قال: «جبريل عليه السلام». قالوا: جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان. فأنزل الله عز وجل (من كان عدوا لجبريل... إلى آخر الآية (١)).

فلو كان النبي رجلاً كاذباً - وحاشاه -، هل يغامر هذه المغامرة، ويرضى بهذا الاختبار العلني من علماء وأحبار، وهو لا يعرف ما هي الأسئلة أو إجابتها، ويقول (سلوني عما شئتم)؟! لو كان يأخذ من أساطير الأولين، أليس المفترض أنه يقول: انتظروني حتى أراجع مراجعي أو مشايخي، أم أنه كان مطمئناً إلى صدق نفسه، واثقاً بمن أرسله وأنه لا يخذله أبداً، ومع أنهم يسألونه في علوم لم يدرسها، ولا يعرفها قومه، إلا أنه كان يجيب عليها بكل دقة، والعجب أن هذا الأسئلة ليست في علم واحد، بل هي في عدة علوم، فبعضها طبية، وبعضها غيبية لا يمكن لأحد أن يطلع عليها إلا بوحى، أليس في هذا أوضح دليل على صدق رسالته؟.

١ - أخرجه الإمام أحمد (٢٥١٠) وهو حسن، وصححه الشيخ أحمد شاكر برقم: ٢٥١٤.

٢ - د. عبدالمحسن المطيري، الأدلة الجلية على صدق خير البرية ص ٧٧ - ٨١.

المبحث الرابع : تأييد الله له في كل معاركه مع عدم التكافؤ بينه وبين عدوه لا في العدد ولا في العدد :

أشار القرآن إلى حفظ الله له في الغار والعدو على بابه فقال تعالى: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ [التوبة: ٤٠] .

وفي بدر كان الجيشان غير متكافئين، واللقاء حتمي بينهما، أيد الله جيش الإسلام والنبوة بآيات خارقة للسنن المعروفة، ومن ذلك:

(أ) إنزال المطر عليهم: قال تعالى: ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾ [الأنفال: ١١] ، فذكر سبحانه أنه أنزل المطر على المؤمنين لأربعة أسباب: للتطهير من الحدث، ولإذهاب وسوسة الشيطان، ولتثبيت القلوب، ولتليد الأرض الرملية في بدر لتثبت عليها أقدام المؤمنين في سيرهم ، قال مجاهد: أنزل الله المطر فأطفأ الغبار وتلبدت الأرض وطابت نفوسهم وثبتت أقدامهم ، وقال عروة بن الزبير: وكان نزول المطر سببا في إذهاب وسوسة الشيطان الذي أراد به تشييط المؤمنين عن القتال بعد احتلامهم بالليل حيث كانوا يصلون مجننين، فحين نزول المطر وجد الماء الذي اغتسلوا به من الجنابة، وأذهب الله بذلك رجز الشيطان(١).

ولقد أثبت العلم الحديث أن عضلات القلب عبارة عن ألياف عضلية في شكل خيوط طولية وعرضية تلف القلب، فإذا أفرزت مادة (الأدرينالين) عملت على ارتخاء عضلات القلب وبالتالي ترتخي تلك الألياف والحبال العضلية، كما تعمل على ارتعاش الأطراف، وقد وجد أن من أسرع الوسائل لتخفيض مادة (الأدرينالين) هو أن يرش الجسم بالماء فيربط على القلب بتلك الحبال العضلية بانقباض العضلات، ويزول الارتخاء، كما تثبت الأقدام من ارتعاشها، وصدق الله القائل: وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام [الأنفال: ١١] .

[ب] تقليل عدد كل فريق في نظر الفريق الآخر : ومن آيات الله في هذه المعركة أن جعل كل فريق يرى عدد الفريق الآخر قليلا، وذلك لحكمة أرادها الله تعالى وهي أن تتم هذه المعركة وينتصر الحق على الباطل. قال تعالى: ﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور﴾ [الأنفال: ٤٤] قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: لما دنا القوم بعضهم من بعض قلل الله المسلمين في أعين المشركين وقلل المشركين في أعين المسلمين «أ» .

(ج) إنزال الملائكة للقتال مع المؤمنين: فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نظر إلى المشركين يوم بدر وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فدعا الله سبحانه مادا يديه مستقبلا القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، أن ينصره على المشركين قائلا: اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم

(١) - أخرجه بمعناه الطبري بسند حسن عن ابن عباس، انظر التفسير الصحيح ٢/ ٣٨٨، وذكره السيوطي في الدر المنثور عند الآية المذكورة.

(٢) - انظر فتح القدير للشوكاني عند قوله تعالى: وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم [الأنفال: ٤٥] .

أبدا، وأتاه أبو بكر وقال: يا نبي الله كفك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله سبحانه قوله: { إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين (٩) [الأنفال: ٩] } «٢»، فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يثب في الدرع ويقول: { سيهزم الجمع ويولون الدبر } [القمر: ٤٥] «٣» ، بل إنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يحدد مواضع قتل المشركين، فيقول: هذا مصرع فلان إن شاء الله تعالى غدا وويضع يده على الأرض، وهذا مصرع فلان إن شاء الله تعالى غدا وويضع يده على الأرض، فكان الأمر كما قال «٤» .

وأمد الله المسلمين في تلك الغزوة بألف من الملائكة الكرام وأمرهم بالقتال مع المؤمنين وأوحى إليهم أن يثبتوا المؤمنين، ووعد سبحانه أنه سيلقي الرعب في قلوب الكافرين. قال تعالى: إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان (١٢) [الأنفال: ١٢] قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: إن النبي قال يوم بدر: هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب «٥» ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط من فوقه، وصوت الفارس فوقه يقول: أقدم حينوم، إذ نظر إلى المشرك أمامه مستلقيا، فنظر إليه، فإذا هو قد خطم أنفه «٦»: أصيب أنفه وضرب. «٧» ، وشق وجهه، كضربة السوط، فاحضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة «٨» ، وقال أبو داود المازني: إني لأتبع رجلا من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري «٩» ، وجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيرا، فقال العباس: إن هذا والله ما أسرني! لقد أسرني رجل أجلح «١٠» من انحسر شعره عن جانبي رأسه. «١١» من أحسن الناس وجهها، على فرس أبلق «١٢» ما فيه سواد وبياض «١٣» ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله، فقال: اسكت، فقد أيدك الله بملك كريم «١٤» ، وقال الربيع بن أنس: كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم، بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به «١٥» .

وانتهت المعركة بهزيمة المشركين فقتل منهم سبعون، وأسر كذلك سبعون في وقت وجيز، والله الحمد والمنة ، وقال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما تعدون أهل بدر فيكم؟، قال: من أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها - قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة «١٦» .

-
- (١) - أخرجه مسلم ك/ الجهاد والسير ب/ الإمداد بالملائكة، والترمذي ك/ التفسير ب/ ومن سورة الأنفال وابن حبان في صحيحه ١١٤ / ١١، وأحمد في المسند ٣٠ / ١ وأبو عوانة في مسنده ٤ / ٢٥٥ وابن أبي شيبة في المصنف ٧ / ٣٥٧ وغيرهم، وأخرج البخاري منه جملة الدعاء ك/ التفسير ب/ بل الساعة موعدهم.
- (٢) - أخرجه مسلم ك/ الجهاد والسير ب/ غزوة بدر وفي ك/ صفة القيامة والجنة والنار ب/ عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وأبو داود ك/ الجهاد ب/ في الأسير ينال منه الضرب والنسائي ك/ الجنائز ب/ أرواح المؤمنين وأحمد في المسند ١ / ٢٦ وابن حبان في صحيحه ١١ / ٢٥ وغيرهم.
- (٣) - أخرجه البخاري ك/ المغازي ب/ شهود الملائكة بدرا والطبراني في المعجم الكبير ١١ / ٣٤٢.
- (٤) - أخرجه مسلم ك/ الجهاد ب/ الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وابن حبان في صحيحه ١١ / ١١٥ والبيهقي في مسنده ١ / ٣٠٦ وعبد بن حميد في مسنده ١ / ٤١ من المنتخب والأصبهان في دلائل النبوة ١ / ١١٩.
- (٥) - أخرجه أحمد في المسند ٥ / ٤٥٠، وابن هشام في السيرة وسنده حسن، وأخرجه ابن جرير في تفسيره عنده قوله تعالى: أن بمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة [آل عمران: ١٢٤] .
- (٦) - أخرجه أحمد في مسنده ١ / ١١٧ و ٤ / ٢٨٣ وابن أبي شيبة في المصنف ٧ / ٣٥٧ والطبراني في تفسيره ٤ / ٧٨ وفي تاريخه ٢ / ٤٠ قال في مجمع الزوائد ٦ / ٧٦: رواه أحمد والبيهقي ورجال أحمد رجال الصحيح غير حازمة بن مضرب وهو ثقة، وإسناده صحيح كما في تحقيق المسند ٢ / ٢٦١.
- (٧) - أخرجه البيهقي ويونس بن بكير في زيادات المغازي كما قال الحافظ في الفتح ٧ / ٣١٢.
- (٨) - أخرجه البخاري ك/ المغازي ب/ شهود الملائكة بدرا.

[د] إلقاء النعاس على المؤمنين: كان الصحابة على وجل من قتلهم وكثرة عدوهم، فألقى الله عليهم النعاس أمنة منه. قال تعالى: إذ يغشيكم النعاس أمنة منه [الأنفال: ١١] وكذلك حصل في معركة أحد، فقد قال أبو طلحة: كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد، ولقد سقط السيف من يدي مرارا، يسقط وأخذه «أ» ، قال ابن كثير رحمه الله: وهذا من فضل الله ورحمته بهم ونعمته عليهم، كما قال: {فإن مع العسر يسرا (٥) إن مع العسر يسرا} [الشرح: ٥ - ٦] ، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: النعاس في القتال أمنة من الله، وفي الصلاة من الشيطان «أ» .

قتال الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم في معركة أحد: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام «أ» .

نصرة الله لرسوله ﷺ بالريح والملائكة في غزوة الأحزاب: تجتمع الأحزاب من الكفار لقتال النبي ، وكان عددهم نحو من عشرة آلاف، وتماثلوا مع اليهود القاطنين في شرق المدينة على حرب النبي وأصحابه، واشتد الحال على المسلمين الذين حفرُوا خندقا بينهم وبين الكفار، واستمر الكفار قريبا من شهر وهم يحاصرون المدينة ، فدعا النبي ربه أن ينصره على المتماثلين على الإسلام فقال: اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزمهم «أ» ، فاستجاب الله دعاء رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأرسل على الأحزاب ريحا شديدة افضت مضاجعهم، وجنودا زلزلتهم مع ما ألقى الله بينهم من التخاذل فأجمعوا أمرهم على الرحيل وترك المدينة النبوية.

قال حذيفة رضي الله عنه: لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقر «البرد» ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة، فلم يجبه منا أحد، ثم الثانية ثم الثالثة [يعني من شدة الخوف والبرد والجوع] ، ثم قال: يا حذيفة، قم فأتنا بخبر القوم، ولا تدعهم علي «ولا تهيجهم علي» ، قال حذيفة: فلم أجد بدا إذ دعاني باسمي أن أقوم، فمضيت وأنا من أشد الناس فرعا وأشدهم قرا، فدعا له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فذهب عنه الخوف والبرد، قال حذيفة: فكأنني أمشي في حمام «المكان الذي يغتسل فيه بالماء الحار» ، حتى أتيتهم، فإذا أبو سفيان يصلي «يدفع» ظهره بالنار، فوضعت سهما في كبد قوسي، وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تدعهم علي، ولو رميته لأصبتة، وهو يقول: الرحيل الرحيل، ثم إني شجعت نفسي فدخلت العسكر، فإذا أدنى الناس مني بنو عامر، يقولون: يا آل عامر، الرحيل الرحيل، لا مقام لكم،

(١) - (٣) أخرجه البخاري ك/ المغازي ب/ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاसा [آل عمران: ١٥٤] ، والنسائي في السنن الكبرى ٦/ ٣٤٩ وابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٣٧٠.

(٢) - أخرجه الطبري في تفسيره ٤/ ١٤١ وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ١/ ٤١٩، وسنده صحيح، انظر التفسير الصحيح ٢/ ٣٨٨.

(٣) - (١) مسلم ك/ الفضائل ب/ في قتال جبريل وميكائيل عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، والبخاري مختصرا ك/ المغازي ب/ إذ هم طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما [آل عمران: ١٢٢] وأحمد في مسنده ١/ ١٧١، والشاشي في مسنده ١/ ١٨٥.

(٤) - أخرجه البخاري ك/ المغازي ب/ غزوة الخندق ومسلم ك/ الجهاد والسير ب/ استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو والترمذي ك/ الجهاد ب/ ما جاء في الدعاء عند القتال، وغيرهم.

وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرا، فو الله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالمهم وفرشهم، الريح تضرب بها، ثم إني خرجت نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما انتصف بي الطريق أو نحو من ذلك، إذا أنا بنحو من عشرين فارسا أو نحو ذلك معتمين، فقالوا: أخبر صاحبك أن الله قد كفاه، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كأنا أمشي في حمام، فأصابني البرد حين رجعت وقررت، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبر القوم وأني تركتهم يرحلون، وألبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، وكان إذا حزه «أي نابه واشتد عليه». أمر صلى، فلم أبرح نائما حتى الصبح، فلما أن أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قم يا نومان «أ» .

وأنزل الله تعالى في كتابه ذكر هذه الحادثة، وذكر حال المؤمنين والمنافقين وأهل الكتاب فيها، وكيف تم النصر، فقال سبحانه: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا (٩) إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (١٠) هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا (١١) وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا (١٢) وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا { [الأحزاب: ٩ - ١٣] .

وقال سبحانه: {ولما رأ المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما (٢٢) من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا (٢٣) ليحزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان عفورا رحيفا (٢٤) ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا (٢٥) وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا (٢٦) وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديرا } . [الأحزاب: ٢٢ - ٢٧] ، والريح التي أرسلها الله على الأحزاب، قال مجاهد: هي ريح الصبا، والجنود هم الملائكة ، وفي الصحيح قال النبي ﷺ " نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور «أ» ، أي صرف الله عنهم عدوهم بالريح التي أرسلها عليهم، والجنود من الملائكة وغيرهم التي بعثها الله عليهم: وكفى الله المؤمنين القتال [الأحزاب: ٢٥] أي لم يحتاجوا إلى منازلهم ومبارزتهم، بل صرفهم القوي العزيز بحوله وقوته ، وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده» «أ» .

(١) - القصة صحيحة مركبة من رواية مسلم ك/ الجهاد والسير ب/ غزوة الأحزاب والحاكم ٣/ ٣٣ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأبو عوانة في مسنده ٤/ ٣١٩ - ٣٢١ والقصة رواها أيضا ابن حبان في صحيحه ١٦/ ٦٧ وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٣٥٤ وانظر فقه السيرة للقرظي بتخريج الألباني .
(٢) - الصبا: ريح مهبها من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار. (٣) الدبور: ريح تهب من المغرب تقابل القبول وهي ريح الصبا. والحديث رواه البخاري ك/ الاستسقاء ب/ قول النبي صلى الله عليه وسلم: نصرت بالصبا ومسلم ك/ صلاة الاستسقاء ب/ في ريح الصبا والدبور وابن حبان في صحيحه ١٤/ ٣٣١، وأحمد في المسند ١/ ٢٢٣ وغيرهم. راجع تفسير ابن جرير الطبري.
(٣) - البخاري ك/ المغازي ب/ غزوة الخندق ومسلم ك/ الذكر والدعاء ب/ التعود من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

قال سليمان بن صرد رضي الله عنه: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول حين أجلى الأحزاب عنه: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم»^١، وقد تحقق ذلك فلم تغز المدينة بعد ذلك، بل غزا النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفار قريش وفتح مكة فيكون هذا الخبر أيضا من دلائل النبوة لأنه إخبار بغيب المستقبل.

ما ظهر من معجزات خوارق العادة في غزوة حنين: أعجب المسلمون بكثرتهم في غزوة حنين، فلم يغن عنهم ذلك شيئا عندما باغتهم العدو بالهجوم، فانهزموا وضاعت عليهم الأرض بما رحبت، ولم يثبت إلا النبي صلى الله عليه وسلم مع قلة من الصحابة، قال سلمة بن الأكوع: ومررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزما «يعني سلمة» وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد رأى ابن الأكوع فرعا، فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة (وفي رواية أنه دعا حينئذ واستنصر وقال اللهم نزل نصرك) «آ» ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال شامت «قبحت» الوجوه، فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله عز وجل، وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين «آ» وفي رواية أنه أخذ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: "انهزموا ورب محمد" فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فمازلت أرى حدهم كليلًا وأمهم مدبرا «أ» ،

إنه موقف مدهش الذي وقفه النبي في غزوة حنين، منفردا بين الأعداء، وقد انكشف المسلمون وولوا مدبرين، فطفق هو يركض بغلته إلى جهة العدو، والعباس بن عبد المطلب أخذ بلحامها يكفها إرادة ألا تسرع، فأقبل المشركون إلى رسول الله ، فلما غشوه لم يفر ولم ينكص، بل نزل عن بغلته كأنما يمكنهم من نفسه، وجعل يقول: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب» . كأنما يتحداهم ويدلهم على مكانه، فوالله ما نالوا منه نيلا، بل أيده الله بجنده، وكف عنه أيديهم بيده (°).

(١) - أخرجه البخاري ك/ المغازي ب/ غزوة الخندق وأحمد في مسنده ٢٦٢/٤ والطبراني في الكبير ١٨٢/١ والدارمي في السنن ٩٨/٧.

(٢) - رواه مسلم ك/ الجهاد والسير ب/ غزوة حنين.

(٣) - أخرجه مسلم ك/ الجهاد والسير ب/ في غزوة حنين وابن حبان في صحيحه ٤٥١/١٤ وأبو عوانة في مسنده بنحوه ٢٧٨-٢٧٩ والدارمي في السنن بنحوه ٢٨٩/٢ وابن أبي شيبة في المصنف بنحوه ٤١٩/٧ والرويات في مسنده ٢٥٣/٢ وغيرهم.

(٤) - أخرجه مسلم ك/ الجهاد والسير ب/ في غزوة حنين والحاكم في المستدرک ٣٧٠/٣ وأبو عوانة في مسنده ٢٧٧-٢٧٨ والبيهقي في السنن الكبرى ١٩٧ وعبد الرزاق في المصنف ٣٨٠/٥ وأحمد في المسند ٢٠٧/١ وغيرهم.

(٥) - متفق عليه (البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب: من قال خذها وأنا ابن فلان، رقم: ٢٨٧٧، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين،

رقم: ١٧٧٦). النبا العظيم، للعلامة د. محمد عبد الله دراز، ص: ٤٩.

الفصل السادس

الدليل السادس يدور حول وأخلاقه الفاضلة وآدابه وسجاياه وفطرته الحميدة فأخلاق النبي وأحواله الشخصية الدالة على كماله ونبوته إذ لم تجتمع فيه هذه الصفات وتلك الكمالات إلا من تأديب الله له .

المبحث الأول: أثر أخلاقه وتفردا في الدلالة على صدق نبوته

من الأدلة الواضحة على صدق النبي ﷺ وصحة نبوته، أخلاقه الفاضلة، وآدابه الكاملة، وسجاياه الرشيدة، وفطرته الحميدة، وهذه الأخلاق العظيمة شهد له فيها أعداؤه وغيرهم، وكان متحملاً بها قبل الإسلام وبعده؛ "ودلائل صدق النبي الصادق وكذب المتنبئ الكذاب كثيرة جداً، فإن من ادعى النبوة وكان صادقاً؛ فهو من أفضل خلق الله وأكملهم في العلم والدين، فإنه لا أحد أفضل من رسل الله وأنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه... وإن كان المدعي للنبوة كاذباً فهو من أكفر خلق الله وشرهم.. ولما كان هذا من أعلى الدرجات وهذا من أسفل الدرجات؛ كان بينهما من الفروق والدلائل والبراهين التي تدل على صدق أحدها وكذب الآخر ما يظهر لكل من عرف حالهما، ولهذا كانت دلائل الأنبياء وأعلامهم الدالة على صدقهم كثيرة متنوعة، كما أن دلائل كذب المتنبئين كثيرة متنوعة". (١)

وبهذا النوع من الدلائل آمن الرهط الأول من المسلمين بالنبي قبل أن تظهر على يديه معجزاته الباهرة، فأول أهل الأرض إيماناً به خديجة رضي الله عنها، استدلّت لنبوة زوجها بما عرفته من كمال أخلاقه، وعظيم خلاله، فقالت له وقد رجع إليها من غار حراء خائفاً: (كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق). (٢) فجعلت رضي الله عنها من كرم خلاله دليلاً على صدقه ونبوته، يكفيه في ذلك وصف ربه له {وإنك لعلى خلق عظيم} [القلم: ٥]، وكثير من العقلاء رأوا في أخلاقه ﷺ دليلاً كافياً على نبوته، من هؤلاء هرقل ملك الروم الذي بلغه أمر النبي، فسأل أبا سفيان - وهو يومئذ على الكفر - عن صفاته وأخلاقه. فلما استبان له نبوته قال: "فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه".

فإذا أنت سعدت بنظرك إلى سيرته العامة، لقيت من جوانبها مجموعة رائعة من الأخلاق العظيمة، حسبك الآن منها أمثلة يسيرة، إذا ما تأملت صورته لك إنساناً من الطهر ملء ثيابه، والجد حشو إهابه، يأبى لسانه أن يخوض فيما لا يعلمه، وتأبى عيناه أن تخفيا خلاف ما يعلنه، ويأبى سمعه أن يصغي إلى غلو المادحين له: تواضع هو حلية العظماء، وصراحة نادرة في الزعماء، وثبت قلما تجده عند العلماء، فأني من مثله الختل أو التزوير، أو الغرور أو التغرير؟ حاشا لله! أما هذه الأمثلة اليسيرة التي تتصل بالجانب الخلقى منه عند رأينا الاكتفاء بها في الدلالة على نبوته :

١ - يتبرأ من علم الغيب: جلست جويريات يضربن بالدف في صبيحة عرس الربيع بنت معوذ الأنصارية، وجعلن يذكرن آباءهن من شهداء بدر حتى قالت جارية منهن: وفينا نبي يعلم ما في غد. فقال: «لا تقولي

(١) - الجواب الصحيح (١/ ١٢٧ - ١٢٩).

(٢) - رواه البخاري ح (٤)، ومسلم ح (١٦٠).

هكذا، وقولي ما كنت تقولين^(١)»، ومصداقه في كتاب الله تعالى: {قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب} [سورة الأنعام: ٦٠]، {ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير} [سورة الأعراف: ١٨٨]

٢- لا يظهر خلاف ما يبطن: كان عبد الله بن أبي السرح أحد النفر الذين استنهم النبي من الأمان يوم الفتح؛ لفرط إيذائهم للمسلمين وصددهم عن الإسلام، فلما جاء إلى النبي لم يبأعه إلا بعد أن شفع له عثمان رضي الله عنه ثلاثا. ثم أقبل على أصحابه فقال: «أما كان فيكم رجل رشيد، يقوم إلى هذا حين كففت يدي عن بيعته فيقتله؟» فقالوا: ما ندري ما في نفسك، ألا أوأأت إلينا بعينك! فقال (: «إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين^(٢)» .

٣- خوفه من التقلد على الله: عن عائشة قالت: دعي رسول الله (إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه. فقال: «أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم» (٣)، وقال البخاري: باب ما كان النبي (يسأل مما لم ينزل عليه الوحي، فيقول لا أدري أو لم يجب، حتى ينزل عليه الوحي ولم يقل برأي ولا بقياس لقوله تعالى: {بما أراك الله} وقال ابن مسعود: سئل النبي (عن الروح فسكت حتى نزلت الآية^(٤) . قوله: (باب ما كان النبي يسأل مما لم ينزل عليه الوحي، فيقول لا أدري ، أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي) أي كان له إذا سئل عن الشيء الذي لم يوح إليه فيه حالان: إما أن يقول لا أدري، وإما أن يسكت حتى يأتيه بيان ذلك بالوحي، والمراد بالوحي أعم من المتعبد بتلاوته ومن غيره، وقد وردت فيه عدة أحاديث منها حديث ابن عمر " جاء رجل إلى النبي فقال: أي البقاع خير؟ قال: «لا أدري» . فأتاه جبريل فسأله فقال: «لا أدري» . فقال: «سل ربك» فانتفض جبريل انتفاضة. الحديث أخرجه ابن حبان، وللحاكم نحوه من حديث جبير ابن مطعم، وحديث أبي هريرة أن رسول الله قال: «ما أدري الحدود كفارة لأهلها أم لا» هو عند الدارقطني والحاكم (٥) .

٤ - لا يدري ماذا سيكون حظه عند الله: ولما توفي عثمان بن مظعون قالت أم العلاء امرأة من الأنصار: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال (: «وما يدريك أن الله أكرمه؟» فقالت: بأبي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله؟ قال: أما هو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول ما يفعل بي» . قالت: فوالله لا أزكي أحدا بعده أبدا) رواه البخاري (٦) ، ومصداقه في كتاب الله تعالى: {قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم} [سورة الأحقاف الآية: ٩] ، أترأه لو كان حين يتحامي الكذب يتحاماه دهاء وسياسة، خشية أن يكشف الغيب قريبا أو بعيدا عن خلاف

١ - البخاري (كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدار، رقم: ٣٧٧٩) .

٢ - أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام، رقم: ٢٦٨٣)، والنسائي (كتاب تحريم الدم، باب الحكم في المرتد، رقم: ٤٠٦٧) وإسناده حسن.

٣ - أخرجه مسلم (كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على فطرة، رقم: ٢٦٦٢) .

٤ - صحيح البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يسأل مما لم ينزل عليه الوحي ، والحديث الذي في الباب رقمه: ٧٣٠٩) .

٥ - فتح الباري لابن حجر (٣٠٣/١٣) .

٦ - في كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في الأكفان، رقم: ١١٨٦) .

ما يقول، ما الذي كان يمنعه أن يتقول ما يشاء في شأن ما بعد الموت، وهو لا يخشى من يراجعه فيه، ولا يهاب حكم التاريخ عليه؟ بل منعه الخلق العظيم، وتقدير المسؤولية الكبرى أمام حاكم آخر أعلى من التاريخ وأهله { فلنسلأن الذين أرسل إليهم ولنسلأن المرسلين، فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين } [الأعراف الآيتان: ٦، ٧] (١).

المبحث الثاني: لناخذ خلق الصدق من أخلاقه الذي عرف به

فعن ابن عباس قال: لما نزلت { وأندر عشيرتك الأقربين } ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله حتى صعد الصفا فهتف: «يا صباحاه». فقالوا: من هذا فقالوا: محمد. فاجتمعوا إليه، فقال: «يا بني فلان يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب» فاجتمعوا إليه، فقال: «أرايتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟» قالوا: ما جربنا عليك كذبا. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». قال أبو لهب: تبا لك ما جمعتنا إلا لهذا؟! ثم قام فنزلت { تبت يدا أبي لهب وتب } (٢)، فانظر إلى قولهم: (ما جربنا عليك كذبا) يعنى ولا حتى مرة واحدة، قيلت هذه الكلمة أمام هذه الجموع، ولم ينكرها أحد، مع أنه عاشروهم أربعين سنة قبل أن يبعث ومع هذا ما جربوا عليه كذبا قط. بل حتى من لم يعرفه كان إذا رآه علم أنه صادق: عن عبد الله بن سلام (وكان من أحبار يهود) قال: لما قدم رسول الله المدينة، انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله، فجئت في الناس لأنظر إليه فلما استثبت وجه رسول الله عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: «أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام» (٣).

يقول ابن روضة: لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بداهته تنبيك بالخبر (٤)، ومن سمع كلامه علم صدقه؛ فقد روي عن ابن عباس: أن ضمادا قدم مكة، وكان من أزد شنوءة، وكان يرقى من هذه الريح، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمدا مجنون. فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي. قال: فلقبه فقال: يا محمد إني أرقى من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من شاء، فهل لك؟ فقال رسول الله: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد». قال: فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ثلاث مرات قال: فقال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن ناعوس البحر. قال: فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام. قال: فبايعه فقال رسول الله: «وعلى قومك؟» قال: وعلى قومي. قال: فبعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سرية فمروا

(١) - النبأ العظيم، ص: ٣٤-٣٦، وقد زدت بعض الزيادات.

(٢) - متفق عليه (البخاري: تفسير القرآن، باب تباب خسران وتبويب تدمير، رقم: ٤٦٨٧، ومسلم: الإيمان، باب قوله تعالى: (وأندر عشيرتك الأقربين) (رقم: ٢٠٨)

(٣) - أخرجه الإمام أحمد (٢٣٢٧٢)، والترمذي (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، رقم: ٢٤٨٥)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في قيام الليل، رقم: ١٣٣٤)، والدارمي (كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الليل، رقم: ١٤٦٠)، وإسناده صحيح، صححه الترمذي والألباني (صحيح الترمذي ٣٠٣/٢) وعبد القادر الأرنؤوط (جامع الأصول ٥٥١/٩) وغيرهم.

(٤) - انظر: ديوان عبد الله بن روضة، (ص: ٩٥) جمع ودراسة وتحقيق د. حسن محمد باجودة، القاهرة، مكتبة التراث، ١٩٧٢.

بقومه، فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئاً. فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة. فقال: ردوها؛ فإن هؤلاء قوم ضماد) (١).

فمن عاشره شهد بصدقه، ومن رآه من أول وهلة شهد بصدقه، ومن سمع كلامه شهد بصدقه، ومن سمع عنه ولم يره شهد بصدقه، وعدوه شهد بصدقه كما شهد أبو جهل فأنزل الله {فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون} [الأنعام: ٣٣]، فهل بعد هذا مطعن فيه؟. ومن المعلوم ضرورة أنه لا يمكن لرجل كاذب، مداوم على الكذب، ويدعي كل يوم أنه أتاه وحى جديد من الله تعالى، ومع هذا لم يستطع أحد أن يلاحظ ذلك عليه ويعرف حقيقته، فإنه من كان في قلبه خلاف ما يبطن فلا بد أن يزل، وأن تعرف حقيقته بفلتات لسانه ولحن قوله، كما قال تعالى عن المنافقين: {ولو نشاء لأريناكمم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم} [محمد: ٣٠]، وقد روي عن عثمان بن عفان أنه قال: (ما أسر أحد سريرة إلا أبدأها على صفحات وجهه وفلتات لسانه) (٢).

واعلم أنك مهما أزحت عن نفسك راحة اليقين. وأرخت لها عنان الشك، وتركتها تفترض أسوأ الفروض في الواقعة الواحدة، والحادثة الفذة من هذه السيرة المكرمة، فإنك متى وقفت منها على مجموعة صالحة، لا تملك أن تدفع هذا اليقين عن نفسك، إلا بعد أن تتهم وجدانك وتشك في سلامة عقلك، فنحن قد نرى الناس يدرسون حياة الشعراء في أشعارهم، فيأخذون عن الشاعر من كلامه صورة كاملة؛ تتمثل فيها عقائده، وعوائده، وأخلاقه، ومجرى تفكيره، وأسلوب معيشته، ولا يمنعهم زخرف الشعر وطلاؤه عن استنباط خيلته (فهم وإظهار ما يراد إخفاؤه)، وكشف رغوته عن صريحه (كشف الزيف عن الحقيقة)؛ ذلك أن للحقيقة قوة غالبة تنفذ من حجب الكتمان، فتقرأ بين السطور وتعرف في لحن القول، والإنسان مهما أمعن في تصنعه ومداهنته لا يخلو من فلتات في قوله وفعله، تنم على طبعه إذا أحفظ أو أخرج، أو احتاج أو ظفر، أو خلا بمن يطمئن إليه،

ومهما تكن عند امرئ من خليقة** وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فما ظنك بهذه الحياة النبوية، التي تعطيك في كل حلقة من حلقاتها مرآة صافية لنفس صاحبها، فتريك باطنه من ظاهره، وتريك الصدق والإخلاص ماثلاً في كل قول من أقواله وكل فعل من أفعاله. بل كان الناظر إليه إذا قويت فطنته وحسنت فراسته، يرى أخلاقه العالية تلوح في محياه ولو لم يتكلم أو يعمل. ومن هنا كان كثير ممن شرح الله صدورهم للإسلام لا يسألون رسول الله على ما قال برهانا، فمنهم العشير (الزوج أو المعاشر أو الصديق القريب) الذي عرفه بعظمة سيرته؛ ومنهم الغريب الذي عرفه بسيماه في وجهه ﷺ كما حصل لعبد الله بن سلام(٣).

(١) - أخرجه مسلم (كتاب الجمعة، تخفيف الصلاة والخطبة، رقم: ٨٦٨).

(٢) - ذكر ابن تيمية في الجواب الصحيح (٤٨٧/٦) ولم يذكر من ترجمه، وكذا ذكر ابن مفلح في الفروع (١٥٣/١) ولم يعزه لمصدر، ولم أجده بعد طول عناء في البحث في مظانه، ولكن المعنى صحيح على كل حال.

(٣) - النبأ العظيم، ص: ٣٨.

ثم إن الكاذب لو استطاع أن يكذب على كل الناس؛ فإنه لن يكذب على نفسه ويصدق كذبه، ومن هذه الأمثلة على هذه الحقيقة قوله تعالى: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين} [المائدة: ٦٧] ، عن عائشة قالت: كان النبي يحرس حتى نزلت هذه الآية فأخرج رسول الله رأسه من القبة، فقال لهم: «يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله». (١) ، فهل هذا فعل كاذب، كيف لكاذب أن يطرد الذين يحرسونه بزعم أن الله سيعصمه، وهو يعلم في قرارة ذاته كذب نفسه، والعرب قد رمت عن قوس واحدة تترصد له في كل طريق، ألا يخاف أن يغتال؟! إن هذا الأمر لا يفعله إلا رجل صادق، يأوي إلى ركن شديد، واثق من أن الذي أرسله سيحميه من كل المخاطر.

ومن لطيف الاستدلال - في هذا المقام - استدلال بعضهم لصدقه بزواجه من أكثر من تسع نسوة؛ ووجه ذلك أن الإنسان الكاذب قد يستطيع أن يتحرز من الناس في حياته الخارجية، بحيث لا يستطيع أحد أن يجد عليه كذبا، لكن هذا لا يحصل للإنسان مع زوجته؛ فإن العادة حرت بسقوط كلفة وانسباط الرجل مع أهله، وزوجته أعلم الناس بحاله، فلما كان احتمال أن هذه الزوجة تتواطأ مع زوجها في إخفاء كذبه؛ إذن للنبي (أن يكتر من الأزواج، فالنبي (صلى الله عليه وسلم) مع كثرة أزواجه لم تنقل إحداهن عن حياته الخاصة إلا كل كمال يمكن أن يوصف به إنسان، فلو أمكن أن تتواطأ واحدة، فإنه لا يمكن أن يتواطأ كلهن على ستر كذبه، وإخفاء عيبه فهذا في غاية من البعد، لاسيما أن بعضهن كصفية بنت حبي بن أخطب، التي تزوجها بعد أن حارب قومها، وقتل منهم الكثير، ثم سبها ثم أعتقها وتزوجها، وأم حبيبة كان متزوجا لها وهو يجارب أباهما أبا سفيان، وجويرية بنت الحارث كانت من سبايا بني المصطلق، ثم أعانها على مكاتبها وتزوجها (٢) ، ألم يكن لهؤلاء النسوة أكبر دافع للثأر منه، ولو بتشويه صورته حتى لو بعد موته؟ بلى، ولكن كل هذا لم يحصل فدل على ماذا ، فهذا خلق واحد من أخلاقه (استدل به على صحة نبوته؛ فما بالك بأخلاقه الأخرى.

لما أراد محمد النبي ﷺ الهجرة إلى المدينة ، خلف على بن أبي طالب ، ليرد الودائع التي كانت عنده إلى أصحابها !! الودائع ...؟! كيف كان رجال قريش يستودعونه أموالهم وتحفهم ، مع ما كان بينه وبينهم ؟ لقد كان بين محمد وبين قريش لون من ألوان العدا ، قل أن يكون له في شدته مثل ، هو يسفه دينهم ، ويسب أهنتهم ، ويدعوهم إلى ترك ما ألفوه ، وما كان عليه آباؤهم ، وهم يؤذونه في جسده وفي أهله وأصحابه ، شردوهم إلى الحبشة أولاً ، وإلى يثرب ثانياً ، وقاطعوهم مقاطعة شاملة ، وحبسوهم في الشعب ثلاث سنين . فكيف كانوا مع هذا كله يستودعونه أموالهم ؟ وكيف كان يحفظها لهم ؟ هل يمكن أن يستودع حزب الشعب مثلاً أمواله رجالاً من الحزب الوطني ؟ هل يأتمن الحزب الديمقراطي في أميركا مثلاً عضواً في الحزب الجمهوري على وثائقه؟ هل في الدنيا حزبان متنافران متناحران يودع أحدهما الآخر ما يخاف عليه من الضياع ؟ هل في تواريخ الأمم كلها رجل واحد ، كانت له مثل هذه المنقبة ؟ رجل يبقى شريفاً أميناً في سلمه وفي حربه ، وفي بغضه وفي حبه ويكون مع أعداء حزبه ، مثله في شيعته وصحبه ؟ وتكون الأمانة عنده فوق العواطف والمنافع

(١) - أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن، باب من سورة المائدة، رقم: ٣٠٤٦) وحسنه الألباني (صحيح الترمذي رقم: ٢٤٤٠).

(٢) - النبأ العظيم، للعلامة د. محمد عبد الله دراز، ص: ٤٩، انظر في ترجمة أمهات المؤمنين: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن، لمحمد علي

الصابوني (ص: ٣٠٧-٣١٦). وانظر الدلائل الجلية على صدق خير البرية، د. عبدالحسن المطيري ص ٦٩

والأغراض ، وتكون الثقة به حقيقة ثابتة ، يؤمن بها القريب والبعيد ، والعدو الصديق ؟ إنها حادثة غريبة جداً ، تدل على أن محمداً كان في أخلاقه الشخصية طبقة وحده في تاريخ الجنس البشري ، وإنه لو لم يكن بالوحي أعظم الأنبياء ، لكان بهذه الأخلاق أعظم العظماء (١).

وقد ألفت في أخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وشمائله العطرة، وصفاته الزكية، وعاداته الحميدة مؤلفات كثيرة، من أشهرها كتاب شمائل النبي (صلى الله عليه وسلم) للترمذي، ولأبي بكر المقرئ، ولأبي العباس المستغفري، وكتاب الأنوار في شمائل المختار للبغوي ، وغيرها كثير .

المبحث الثالث: وتعالیه وترفعه على فرص التعالي

كان هدفه أسمى من ذلك لقد تحمل في أداء الرسالة أنواع المتاعب والمشاق فلم يُعَيِّرُهُ ذَلِكَ عَنِ الْمُنْهَجِ الأول ولم يطمع في مال أحد ولا في جاهه بل صبر على تلك المشاق والمتاعب ولم يظهر في عزمه فتور ولا في اصطباره فُصُورٌ ثم أنه لما قهر الأعداء وقويت شوكته ونفذت أوامره في الأموال والارواح فلم يتغير عن منهجه الأول في الزهد في الدنيا والاقبال على الآخرة وكل من أنصف علم أن المزور وحاشاه ﷺ من ذكر ذلك لا يكون كذلك فان المزور إنما يروج الكذب والباطل على الحق لكي يتمكّن من الدنيا فاذا وجدها لم يملك نفسه عن الإنتفاع بها... فإن مدعى النبوة إما أن يكون أصدق الناس وإما أن يكون أكذب الناس وحقيقته حتماً سيعلمها الناس فإنه لو كان كذاب سينكشف أمره لا محال فكيف لكاذب ومنافق إن يمثل ويكذب على كل الناس وكيف له أن يستمر في خداعه وكيف له أن يكذب ويمثل حتى على أقرب الناس له كزوجاته على آثا لم نرى واحدة منهن تكشف كذبه أو تقول عنه كلمه سيئة في حقه سواء في حياته أو بعد مماته بالعكس كانوا ينقلون أخبار عبادته وصدقه وزهده فهذا يدل على تميّزه وصدقه ، إنه لم يستغل فرص التعالي وهي كثيرة؟! يقول المستشرق الفرنسي اميل درمنغم (أ): " .. ولد لمحمد ﷺ من [مارية القبطية] ابنه إبراهيم فمات طفلاً، فحزن عليه كثيراً ودفنه بيده وبكاه، ووافق يوم موته كسوف الشمس فقال المسلمون: إنها انكسفت لموته، ولكن محمداً -صلى الله عليه وسلم- كان من سمّو النفس أن صحح ذلك الاعتقاد فقال: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد..". فقول مثل هذا مما لا يصدر عن كاذب مدعي للنبوة.. "فلو كان محمد ﷺ من مدعي النبوة لانتهاز هذه الفرصة وقال لقد انكسفت الشمس لوفاة ابني ولكنه لم يفعل ذلك بل قام بتصحيح اعتقاد الناس وقال أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته .. ومن هذا الباب حديث أنس بن مالك، قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون (يسقون) عليه، وإن الحمل استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وإن الأنصار جاءوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني، عليه وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل. فقال رسول الله لأصحابه: «قوموا» . فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية، فمشى النبي (نحوه)، فقالت الأنصار: يا نبي الله إنه قد صار مثل الكلب الكلب (أصابه داء الكلب) وأنا نخاف عليك صولته. فقال:

(١) - مقالات في كلمات (الجزء الأول) الطبعة السادسة ٢٠٠٧م ، دار المناق. ص ١١٢ . ١١٣ .

(٢) - إميل درمنغم Emile Dermenghem في كتابه "حياة محمد" ص ٣١٨

«ليس علي منه بأس» . فلما نظر الجمل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه، فأخذ رسول الله بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك! ونحن نعقل، فنحن أحق أن نسجد لك. فقال: «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر . . .» (١) . فلم يستغل النبي (صلى الله عليه وسلم) سجود الجمل له ليعظم نفسه أو يرفعها، بل قال: لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر.

لقد كان النبي ﷺ يكره الإطراء والمدح! عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَبَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ " رواه البخاري وكان يكره أن يقوم الناس له : عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصَا فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ " لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعْرَابُ يُعْظَمُ بَعْضُهَا بَعْضًا " رواه ابوداود ومن يقرأ السيرة النبوية لن يجد سوى التواضع من هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ولن يجد أي موقف فيه تكبر أو تفاخر أو تباهي أو تعالي هل هذه طبيعة رجل صادق مخلص ... أم طبيعة رجل مدعي كما تزعمون؟

المبحث الرابع : انتفاء الغرض الشخصي

من أدلة صدق النبي عدم إرادة المصلحة الشخصية لنفسه من هذه الدعوة؛ وقد نبه الله تعالى على هذا الدليل بقوله: {قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين} [ص: ٨٦]، وهذا على خلاف أصحاب المذاهب والأفكار الباطلة والدجالين والكذابين؛ فإنهم يسعون لتحقيق مصالح شخصية ومآرب ذاتية من جاه ومال ونساء واتباع ومنصب وشهرة وغير ذلك، بينما لا تجد هذا في النبي، فهو من أفقر الناس؛ حيث كان تمر ثلاثة أهلة ولا يوقد في بيت رسول الله نار، وإنما كان طعامه التمر والماء، وتأتي الفقيرة إلى بيت رسول الله، فلا تجد عائشة (إلا تمرة واحدة فتعطيها إياها)، وأحياناً يأتي الفقير فيرسل النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى بيوته التسعة، فلا يجد فيها شيئاً حتى التمرة، ليس في بيوته التسعة إلا الماء (٢) .

ولقد خيره ربه بين أن يكون عبداً رسولاً أو ملكاً رسولاً، فاختار أن يكون عبداً رسولاً؛ عن أبي هريرة قال: جلس جبريل إلى النبي (فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة. فلما نزل قال: يا محمد أرسلني إليك ربك، قال: أفملكاً نبياً يجعلك أو عبداً رسولاً؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد. قال: «بل عبداً رسولاً» (٣) ، فكان أزهدهم الناس في الدنيا وزخرفها، عن عمر بن الخطاب: رأيت النبي وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من آدم (الجلد) حشوها ليف، وإن عند رجله قرظاً (ورق شجر يدبغ به) مصبوباً، وعند رأسه أهب (الجلد ما لم يدبغ) معلقة، فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيته، فقال: «ما يبكيك؟» فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله. فقال: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة» (٤) .

(١) - أخرجه الإمام أحمد (١٢٢٠٣) وإسناده حسن. (صححه الألباني في صحيح الترغيب، رقم: ١٩٣٦) وقد تقدم في ذكر آيات النبي (صلى الله عليه وسلم) (٢) - متفق عليه عن أبي هريرة (البخاري: كتاب المناقب، باب قول الله: (ويؤثرون على أنفسهم ...) ، رقم: ٣٧٩٨، ومسلم: كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيتاره، رقم: ٢٠٥٤) .
(٣) - أخرجه الإمام أحمد (٧١٢٠) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/٣) رقم: ١٠٠٢ .
(٤) - متفق عليه (البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله (تبتغي مرضات أزواجك..)) ، رقم: ٤٩١٣، ومسلم: كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء، رقم: ١٤٧٩) .

وعن عبد الله بن مسعود قال: اضطجع النبي على حصير فأثر في جلده، فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله لو كنت آذنتنا ففرشنا لك عليه شيئاً يقيك منه، فقال رسول الله (ﷺ): «ما لي وللدنيا إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» (١).

وكان لا يجب أن يرفعه الناس فوق قدره: عن ابن عباس أنه سمع عمر يقول على المنبر: سمعت النبي يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، وإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله» (٢)، وعن أنس بن مالك: أن رجلاً قال: يا سيدنا وابن سيدنا ويا خيرنا وابن خيرنا. فقال رسول الله (ﷺ): «يا أيها الناس عليكم بتقواكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلي الله عز وجل» (٣). وعن عبد الله بن الشخير العامري: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله (ﷺ)، فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «السيد الله تبارك وتعالى». قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طُؤلاً، فقال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستحربنكم الشيطان» (٤) وكان لا يجب أن يقوم له أحد إذا دخل: وعن أنس قال: ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله (ﷺ)، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا؛ لما يعلموا من كراهيته لذلك (٥).

ولا يجب أحداً أن يقف فوق رأسه كما تفعل الملوك والقيصرة: فقد أخرج مسلم عن جابر قال: اشتكى رسول الله (ﷺ) فصلينا وراءه وهو قاعد وأبو بكر يسمع الناس تكبيره، فالتفت إلينا فرآنا قياماً، فأشار إلينا فقعدنا فصلينا بصلاته قعوداً، فلما سلم قال: «إن كدتم أنفاً لتفعلون فعل فارس والروم، يقومون على ملوكهم وهم قعود، فلا تفعلوا؛ ائتموا بأئمتكم إن صلى قائماً فصلوا قياماً، وإن صلى قاعداً فصلوا قعوداً» (٦)، وهذا أمر عجيب؛ فقد ذكر الفقهاء أن القيام في صلاة الفريضة من أركان الصلاة (٧)، ومع هذا لما أحس النبي أن هذا الأمر سوف يؤدي إلى تعظيمه أمرهم بالقعود، وعن أبي مسعود قال: أتى النبي رجل فكلمه فجعل ترعد فرائضه، فقال له: «هون عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد (ما قطع طولاً وملح وجفف في الهواء والشمس)» (٨).

بل كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يلزم خاصته وأهله بالزهد أيضاً، فقد خير أمهات المؤمنين بين البقاء معه على هذه الحال ولهن الجنة، وبين الدنيا ويطلقهن، فاخترن البقاء معه (٩) قال تعالى: ﴿يا أيها النبي قل

(١) - أخرج الترمذي (كتاب الزهد، باب ما جاء في أخذ المال بحقه، رقم: ٢٣٧٧)، وابن ماجه (كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، رقم: ٤١٠٩) وإسناده صحيح؛ انظر: صحيح سنن ابن ماجه للألباني (٣٩٤/٢) رقم ٣٣١٧.

(٢) - أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله (واذكر في الكتاب مريم ...) ، رقم: ٣٤٤٥.

(٣) - أخرجه الإمام أحمد (رقم: ١٢١٤١) وإسناده صحيح. كما في غاية المرام للألباني ص ٩٧ رقم: ١٢٣ المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٥.

(٤) - أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، باب في كراهية التماذج، رقم: ٤٨٠٦) وأحمد (١٥٨٧٦) وإسناده صحيح انظر: غاية المرام في توحيد الحلال والحرام للألباني ص ٩٩، رقم ١٢٧، وصحيح سنن أبي داود (٩١٢/٣) رقم ٤٠٢١.

(٥) - أخرجه الإمام أحمد (١١٩٣٦) والترمذي (كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل، رقم: ٢٧٥٤) وإسناده صحيح. انظر السلسلة الصحيحة للألباني (٦٩٨/١) رقم ٣٥٨.

(٦) - أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، باب اتمام المأموم بالإمام، رقم: ٤١٣).

(٧) - انظر كتاب الكافي لابن قدامة المقدسي (٢٧٩/١)، تحقيق د. عبد الله التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.

(٨) - أخرجه ابن ماجه (كتاب الأطعمة، باب القديد، رقم: ٣٣١٢) وهو صحيح كما قال الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٣٢/٢) رقم: ٢٦٧٧.

(٩) - الحديث متفق عليه عن عائشة (البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك ...)) ، رقم: ٤٧٨٦، ومسلم: كتاب الطلاق، باب أن أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً ... ، رقم: ١٤٧٥.

لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما { [الأحزاب: ٢٨-٢٩] .

وجاءته فاطمة ابنته تسأله خادما من السبي، فوزعه النبي (صلى الله عليه وسلم) على الناس، ولم يعط فاطمة منها شيئا، مع شدة حبه لها وشدة حاجتها له: عن علي قال: شكت فاطمة إلى النبي ما تلقى في يدها من الرحي، فأتي بسبي فأتته تسأله، فلم تره فأخبرت بذلك عائشة، فلما جاء النبي أخبرته، فأتانا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا لنقوم فقال: «على مكانكما». فجاء فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، فقال: ألا أدلكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم» (١) .

وفي رواية أبي داود قال علي لابن أعبد: ألا أحدثك عني وعن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكانت أحب أهله إليه، وكانت عندي فجرت بالرحى حتى أثرت بيدها، واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها وقمت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت القدر حتى دكنت ثيابها وأصابها من ذلك ضرر، فسمعنا أن رقيقا أتى بهم إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقلت: لو أتيت أباك فسألتيه خادما يكفيك. فأتته فوجدت عنده حدائثا (رجالا يتحدثون) فاستحييت فرجعت، فغدا علينا ونحن في لفاعنا (غطائنا)، فجلس عند رأسها فأدخلت رأسها في اللفاح حياء من أبيها، فقال: «ما كان حاجتك أمس إلى آل محمد؟» فسكتت مرتين، فقلت: أنا والله أحدثك يا رسول الله؛ إن هذه جرت عندي بالرحى حتى أثرت في يدها، واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت القدر حتى دكنت ثيابها، وبلغنا أنه قد أتاك رقيق أو خادم، فقلت لها: سليه خادما... (٢) . فانظر كيف قسم النبي (صلى الله عليه وسلم) السبي ولم يعط فاطمة منه شيئا! .

من المشهور أن للنبي قبل النبوة له مكانة عظيمة في قومه، ولا ينادونه إلا الأمين والصادق، وإذا اختلفوا في شيء تحاكموا إليه (٣)، وكان متزوجا من امرأة غنية، وله أعرق نسب في قريش، فعنده المال والمرأة الجميلة والمكانة المرموقة والسمعة الطيبة والنسب الشريف، فكيف يترك هذا كله ليحاربه الناس أجمعين ويرمونه وأصحابه عن قوس واحدة، ثم بعد هذا كله ليس له من فعله أي مصلحة دنيوية لا له ولا لأبنائه ولا لأهله، بل حتى لما مات لم يعط الخلافة لأحد قرابته، فما كان لرجل يترك الكذب أربعين سنة، حتى صار طبعا له وسجية من سجايه الثابتة التي يصعب انتزاعها منه، بل حتى لو أراد الكذب لأبت عليه طباعه وسجايه ذلك، ثم بعد هذا التاريخ الطويل والسمعة السامية يقوم وينتحل الكذب، وليس أي كذب بل أشد أنواعه وهو الكذب على الله تعالى، وهو مع هذا لا يهدف لمصلحة ولا لغرض شخصي؟ إن هذا لا يمكن أن يتصوره عاقل.

(١) - متفق عليه (البخاري: كتاب فرض الخمس، باب الدليل أن الخمس لنوائيه، رقم: ٣١١٣، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التسيح أول النهار وعند وعند النوم، رقم: ٢٧٢٧) .

(٢) - أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، باب في التسيح عند النوم، رقم: ٥٠٦٢) .

(٣) - كما حصل عندما اختلفت قريش عند بناء الكعبة، فيمن يضع الحجر الأسود في مكانه، فاحتكموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ففرض الخصام بأن بسط بسط عبائه ووضع الحجر الأسود عليها، وأمر كل رأس قبيلة أن يأخذ طرفا من أطراف العباءة، فحملوه كلهم حتى وضعوه في مكانه. (انظر الرحيق المختوم، ص: ٥٨) .

إن عدم رغبة النبي في متاع الدنيا دليل أنه إنما فعل هذا طاعة لله، بوحى منه سبحانه وقد وفق بعض المستشرقين المنصفين لفهم هذا المعنى وإدراكه؛ يقول (كارليل): (ومما يبطل دعوى القائلين أن محمداً لم يكن صادقاً في رسالته، أنه قضى عنفوان شبابه وحرارة صباه في تلك العيشة الهادئة المطمئنة، ولم يحاول أثناءها إحداث ضجة ولا دوي، مما يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه وسلطان، ولم يك إلا بعد أن ذهب الشباب وأقبل المشيب) (١). وقد استدلل بهذا الدليل حبيب النجار الذي في سورة يس؛ كما قال تعالى: ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون﴾ [يس: ٢٠-٢١] ، وهذا الدليل حق، وكان كل نبي يأتي إلى قومه يقول لهم هذا الأمر، ففي سورة الشعراء قال نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام: ﴿وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على رب العالمين﴾ [الشعراء: ١٠٩، ١٢٧] ، [١٤٥، ١٦٤، ١٨٠].

المبحث الخامس حلم النبي وزهده وبساطته وتواضعه وتعبدته :

ومن عظيم أخلاقه وجميل خلاله ؛ عفوه عمن ظلمه، وحلمه على من جهل عليه، وذلك أن لا حظاً لنفسه في نفسه. ((وما انتقم رسول الله لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها)). (٢) ، وعن أنس بن مالك قال: لم يكن النبي ﷺ سباباً ولا فحاشاً ولا لعاناً. كان يقول لأحدنا عند المعتبة: ((ماله؟ ترب جبينه)). (٣) ، ولما سئلت أم المؤمنين عائشة عن خلق رسول الله ؛ قالت: ((لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صحابياً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح)). (٤)

زهده : وإن من دلائل نبوته زهادته في الدنيا وإعراضه عنها ترقباً لجزاء الله في الآخرة، ولو كان دعياً يفترى الكذب لما فرط في دنيا يفترى ابتغاء الكسب فيها، فأعراضه ﷺ عن الدنيا وزهده في متاعها مع تواضعه وبساطته دليل نبوته ورسالته، فقد كان النبي يؤثر حياة الزهد، ويدعو الله أن يجعله من أهلها، فكثيراً ما تبتل إلى ربه مناجياً: ((اللهم أحيني مسكيناً، وأميتني مسكيناً، واحشني في زمرة المساكين يوم القيامة)). (٥) ، وخيره ربه بين الملك في الأرض وبين حياة الشظف والقلة، فاختار شظف العيش زهاده منه في الدنيا وترفعاً على متاعها، ففي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن ملكاً نزل من السماء، فقال: يا محمد أرسلني إليك ربك. قال: أفملكاً نبياً يجعلك أو عبداً رسولاً؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد. فقال - صلى الله عليه وسلم -: ((بل عبداً رسولاً)). (٦)

وإذا تأملنا حياة النبي ﷺ، ونظرنا كيف كان يعيش في بيته، فإننا راؤون عجباً، فلکم بقي عليه الصلاة والسلام طويلاً على الجوع، لا يجد ما يأكله، وهو رسول الله وصفوته من خلقه، يقول أبو هريرة: (ما شبع آل

(١) - الأبطال، لكارليل، (ص: ٥١) عن كتاب الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، د. محمود ماضي، (ص: ١٢٧) ، مكتبة دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.

(٢) - رواه البخاري ح (٣٢٩٦)، ومسلم ح (٤٢٩٤).

(٣) - رواه البخاري ح (٦٠٣١).

(٤) - رواه الترمذي ح (٢٠١٦)، وضححه الألباني في مشكاة المصابيح ح (٥٨٢٠).

(٥) - رواه الترمذي ح (٢٣٥٢)، وابن ماجه ح (٤١٢٦)، وضححه الألباني في صحيح ابن ماجه ح (٣٣٢٨).

(٦) - رواه أحمد ح (٧١٢٠)، وضححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (١٠٠٢).

محمد من طعام ثلاثة أيام حتى قبض). (١) ورآه عمر يتلوى من الجوع، فما يجد رديء التمر يسد به جوعته، ثم رأى ما أصاب الناس من الدنيا فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي، ما يجد دَقَلاً (التمر الرديء) يملأ به بطنه(٢)، وحين يجد النبي طعاماً فإنما يجد خبز الشعير فحسب، يقول ابن عباس حاكياً حال ابن عمه ﷺ: (كان رسول الله يبيت الليالي المتتابعة طاوياً، وأهلُه لا يجدون عشاء، وكان أكثرُ خبزهم خبز الشعير). (٣) ومع ذلك فما كان يجد ما يشبعه منه.

وهذا الشعير الذي لم يشبع منه النبي كان من رديء الشعير، لا من جيده، فقد كان غير منخول، سئل سهل بن سعد: هل أكل رسول الله النقي [أي من الشعير]؟ فقال سهل: ما رأى رسول الله النقي من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله، فقيل له: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطحنه ونفخه، فيطير ما طار، وما بقي ثريناه [أي: بللناه بالماء] فأكلناه. (٤) وبعد وفاة النبي دُعي أبو هريرة إلى شاة مشوية، فأبى أن يأكل، وقال: خرج رسول الله من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير. (٥)

وفي مرة يطرق باب النبي ضيف، فلا يجد عليه الصلاة والسلام ما يضيفه، فيرسل إلى بيوته يسأل نساءه، فلا يجد عندهن شيئاً سوى الماء، فلم يجد رسول الله بُدأً من الطلب من أصحابه أن يضيفوه. (٦)، ومع ذلك كله فقد كان لسانه لا يفتر أن يطلب دوام حال الكفاف والزهادة، فيقول داعياً ربه: ((اللهم ارزق آل محمد قوتاً)). (٧)، قال القرطبي: "معنى الحديث أنه طلب الكفاف، فإن القوت ما يقوت البدن ويكف عن الحاجة، الحاجة، وفي هذه الحالة سلامة من آفات الغنى والفقر جميعاً". (٨)، وإذا تساءلنا عن أثاث بيت النبي فإنه ما كان يعيش إلا كسائر لأصحابه، أما وساده فتصفه أم المؤمنين عائشة وتقول: (كان وسادة رسول الله التي يتكى عليها من آدم [جلد مدبوغ]، حشوها ليف). (٩) وأما فراشه فحصير يترك أثراً في جنبه، يقول ابن مسعود: نام رسول الله على حصير، فقام وقد أثّر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاء [فراشاً] فقال: ((ما لي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها)). (١٠)

ودخل عليه عمر فرآه مضطجعاً على حصير قد أثر في جنبه، وألقى ببصره في خزانة رسول الله فإذا فيها قبضة من شعير، نحو الصاع، وقبضة أخرى من ورق الشجر في ناحية الغرفة، قال عمر: فابتدرت عيناى بالبكاء. فقال: ((ما بيكيك يا ابن الخطاب؟)) قلت: يا نبي الله، وما لي لا أبكي، وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى! وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله وصفوته، وهذه خزانتك! فقال: ((يا ابن الخطاب، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة، ولهم الدنيا؟)) قلت: بلى

(١) - رواه البخاري ح (٥٣٧٤).

(٢) - رواه مسلم ح (٢٩٧٨).

(٣) - رواه الترمذي ح (٢٣٦٠)، وابن ماجه ح (٣٣٤٧)، وأحمد ح (٢٣٠٣)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه ح (٢٧٠٣).

(٤) - رواه البخاري ح (٥٤١٣).

(٥) - رواه البخاري ح (٥٤١٤).

(٦) - انظره في البخاري ح (٣٧٩٨)، ومسلم ح (٢٠٥٤).

(٧) - رواه البخاري ح (٦٤٦٠)، ومسلم ح (١٠٥٥).

(٨) - نقله عنه ابن حجر في فتح الباري ح (٢٩٩ / ١١).

(٩) - رواه البخاري ح (٦٤٥٦)، ومسلم ح (٢٠٨٢)، اللفظ له.

(١٠) - رواه الترمذي ح (٢٣٧٧)، وابن ماجه ح (٤١٠٩)، وأحمد ح (٣٧٠١)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ح (٣٣١٧).

(١) ودخلت امرأة أنصارية بيته فرأت فراشه مثنية، فانطلقت، فبعثت بفراش فيه صوف إلى بيت النبي فلما رآه قال: (رُذِيه يا عائشة، فوالله لو شئت لأجرى الله عليّ جبال الذهب والفضة). قالت عائشة: فرددته. (٢)

أنته ابنته فاطمة ذات يوم بكسرة خبز شعير، فأكلها النبي وقال: (هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاث) (٣)، وتدور الأيام دورتها، وتقبل الدنيا على المسلمين، فيقف عمرو بن العاص يخطب الناس بمصر فقال: فقال: (ما أبعد هديكم من هدي نبيكم أما هو فكان أزهّد الناس في الدنيا، وأنتم أرغبُ الناس فيها). (٤) ، وأبصر النبي جبل أحدٍ فقال لأصحابه: ((ما أحب أنه تحوّل لي ذهباً، يمكث عندي منه دينارٌ فوق ثلاث، إلا ديناراً أرصده لدين))، ثم قال: ((إن الأكثرين هم الأقلون إلا من قال بالمال هكذا وهكذا، وقليل ما هم)) وأشار أبو شهاب بين يديه وعن يمينه وعن شماله، أي يفرقه. (٥) ، وتروي عائشة من خبره عجباً، فتذكر أنه كان في بيته بعض قطعٍ من ذهب، فقال رسول الله: ((ما فعلت الذهب)) فقالت عائشة: هي عندي، فقال: ((اثني بها))، تقول عائشة: فحجثُ بها، فوضعها في يده ثم قال بها [أي رماها]، وقال: ((ما ظن محمد بالله لو لقي الله عز وجل وهذه عنده؟ أنفقيها)) (٦)

وكيف لا يكون هذا حاله، وهو الأسوة الحسنة الذي أوصى أصحابه بالاقتصاد من الدنيا، فكان أسبقهم إلى ذلك، يقول سلمان: (إن رسول الله عهد إلينا عهداً أن يكون بلعةً أحدنا من الدنيا كزاد الراكب). (٧) وحين غادر الدنيا ماذا ترك لأهله منها؟ و يجيب عمرو بن الحارث أخو أم المؤمنين جويرية فيقول: (ما ترك رسول الله عند موته درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً؛ إلا بغلته البيضاء وسلاحه، وأرضاً جعلها صدقة). (٨) ويروي الإمام أحمد أن النبي مات ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شعير. (٩) وكما زهد النبي عن الدنيا زمن حياته، فإنه لم يبتغ جر نفع من منافعها إلى أهله وذويه بعد موته، فإنه لا يبتغي أن يجر لأهله شيئاً من زخارفها، لذا قال: ((لا نورث، ما تركناه صدقة)). (١٠)

وهكذا فإنه يحق لنا أن نتساءل عن الكسب الدنيوي الذي جناه النبي من نبوته، فإنه عاش عيشة المساكين التي تمنّاها ودعا الله بدوامها، فكان طعامه خشب الشعير، وروي التمر، إذا ما تيسر له ذلك، وأما وساده وفراشه فهما دليل آخر على استعلاء النبي على الدنيا التي هجرها بإرادته واختياره، وصدق فيه قول الشاعر:

تواضعه : ولقائل أن يقول: إن كثيرين قد يزهّدون بالمال في سبيل الرفعة عند الناس، فما أعظمها من لذة أن يشير الناس إليه ببناهم، وأن يستبقوا إلى إجلال الزاهد وخدمته، فيكون له في ذلك ما يدعوه على

(١) - رواه البخاري ح (٤٩١٣)، ومسلم ح (١٤٧٩)، واللفظ له.
(٢) - رواه البيهقي في الشعب ح (١٤٤٩)، وأحمد في التجدد ح (٧٧)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ح (٣٢٨٧).
(٣) - رواه أحمد ح (١٢٨١١).
(٤) - رواه أحمد ح (١٧٣٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ح (٣٢٩٤).
(٥) - رواه البخاري ح (٢٣٨٨)، ومسلم ح (٩٤).
(٦) - رواه أحمد ح (٢٤٩٦٤).
(٧) - رواه أحمد ح (٢٣١٩٩).
(٨) - رواه البخاري ح (٢٧٣٩).
(٩) - رواه أحمد ح (٢٧١٩).
(١٠) - رواه البخاري ح (٣٠٩٤)، ومسلم ح (١٧٥٧).

الصبر على الحرمان والفاقة ، وهذا كله صحيح، فتلك نفوس رتعت بالكبر، وأحبت من الدنيا العلو فيها ، أما النبي فقد جمع إلى الزهد التواضع للناس، ولم يمنعه من ذلك جلاله قدره عند الله ورفعة مكانته عند مولاه وعند المسلمين ، ولنفتح هذا السفر الخالد، ونقرأ فيه ما يحكيه لنا أبو رفاعة، فقد دخل المسجد والنبي يخطب، فقال: يا رسول الله، رجل غريب، جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه ، قال أبو رفاعة: فأقبل عليّ رسول الله ، وترك خطبته، ... وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته، فأتى آخرها. (١) قال النووي: " وفيه تواضع النبي ورفقه بالمسلمين، وشفقته عليهم، وحفض جناحه لهم ". (٢)

وحين تلاحقه نظرات الإعجاب من أصحابه، فتناسب على ألسنتهم عبارات الثناء الممزوجة بالحب، حينها كان - صلى الله عليه وسلم - ينهاتهم عن إطرائه والمبالغة في مدحه ، فما فتى لسانه يقول: ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم، وإنما أنا عبده، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه)). (٣) ودخل عليه رجل فقال: يا سيدنا وابنَ سيدنا، ويا خيرنا وابنَ خيرنا. فقال رسول الله: (يا أيها الناس عليكم بتقواكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بنُ عبدِ الله، عبدُ الله ورسولُه، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلي الله عز وجل). (٤)

وحين انطلق الصحابة إلى غزوة بدر، كانوا يتعاقبون، كلُّ ثلاثة نفرٍ على بعير، وكان صاحبنا النبي في الركوب عليّ وأبو لبابة. قال ابن مسعود: وكان إذا كانت عُقْبَةُ النبي [أي إذا انتهت مرحلة النبي في الركوب] قال له: اركب حتى نمشي عنك. فيقول لهما: (ما أنتما بأقوى مني ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما). (٥) وحين شرع الصحابة في حفر الخندق لم يركن النبي إلى منزلته بين أصحابه، ولم يترفع النبي عن العمل معهم في الحفر ونقل التراب، يقول البراء بن مالك: كان النبي ينقل معنا التراب يوم الأحزاب، ولقد رأيته وارى التراب بياض بطنه يقول: والله لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزركن سكينه علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأعداء قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أئينا (٦)

وكان يمقت كل مظاهر الكبر والتميز عن الناس، ومنه كراهيته أن يقوم له أصحابه، فقد كان يكره ذلك ويمنعهم منه، يقول أنس: (ما كان شخصاً أحبَّ إليهم من رسول الله ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا؛ لما يعلمون من كراهيته لذلك)(٧) ومن كان هذا نعته فجدير أن يبغض ووقوف أحد فوق رأسه كما يُفعل للملوك، وهاهو يصلي في مرض وفاته قاعداً، وصلى أصحابه وراءه قياماً .. يقول جابر: فالتفت إلينا، فرآنا قياماً، فأشار إلينا، فقعدنا، فصلينا بصلاته بعوداً، فلما سلم قال: ((إن كدتم أنفأ لتفعلون فعل فارسَ والروم، يقومون على ملوكهم

(١) - رواه مسلم ح (٨٧٦).

(٢) - شرح النووي على صحيح مسلم (٦/١٦٥).

(٣) - رواه البخاري ح (٣٤٤٥).

(٤) - رواه أحمد ح (١٢١٤١).

(٥) - رواه أحمد ح (٣٧٦٩).

(٦) - رواه البخاري ح (٣٠٣٤)، ومسلم (١٨٠٣).

(٧) - رواه أحمد ح (١١٩٣٦)، والترمذي ح (٢٧٥٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وهم قعود، فلا تفعلوا؛ ائتموا بأئمتكم، إن صلى قائماً فصلوا قياماً، وإن صلى قاعداً فصلوا قعوداً)). (١) .
 وكان يجيب دعوة الداعي، كائناً ما كان طعامه، يقول: (لو دعيتُ إلى كُرَاعٍ لأجبتُ، ولو أهدى إلي كُرَاعٌ
 لقبلتُ). (٢) والكُرَاع ما دون كعب الدابة، والحديث دليل على حُسن خُلُقِهِ، وتواضُعِهِ وجبرِهِ لقلوب الناس (٣)
 الناس (٤)

ورغم ازدحام وقته وشرف منزلته؛ فإنه ما كان يأنف من كثير مما يأنف منه دهماء الناس، فضلاً عن
 أكابره، فما كان يجد حرجاً أن يمشي في حاجة الضعفاء ويسعى في قضاء أمورهم، يقول عبد الله بن أبي أوفى
 قال: (كان رسول الله يكثر الذكر، ويُقل اللغو، ويطيب الصلاة، ويقصر الخطبة، ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة
 والمسكين، فيقضي له الحاجة) (٥) ويحكي خادمه أنس بن مالك أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت: يا
 رسول الله، إن لي إليك حاجة فقال: ((يا أم فلان، انظري أي السكك شئت حتى أفضي لك حاجتك)). قال
 أنس: فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها. (٦)

لكن تواضعه ما كان ليمنع هيئته في صدور الناس وهم يقفون بين يديه ، فقد أتاه رجل، فكلمه، فجعل
 الرجل تزعد فرائضه، فقال له : ((هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأةٍ تأكل القديد)) [اللحم
 الجفف]. (٧) وتواضعه ليس خلقاً يتزين به أمام الناس، بل هو خُلة شريفة لم تفارقه حتى وهو في بيته وبين
 أهله، فقد سُئلت عائشة: ما كان يصنع في بيته؟ قالت: (كان يكون في مهنة أهله تعني: خدمة أهله فإذا
 حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة)، وفي رواية لأحمد: (كان بشراً من البشر، يَفْلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم
 نفسه). (٨) ولقد خيره ربه بين أن يكون عبداً رسولاً أو ملكاً رسولاً، فاختار أن يكون عبداً رسولاً، فعن أبي
 هريرة أن النبي حكى عن ملك نزل إليه، فقال: يا محمد، أرسلني إليك ربك قال: أفملكاً نبياً يجعلك أو عبداً
 رسولاً؟ فقال جبريل: تواضع لربك يا محمد. فقال عليه الصلاة والسلام: ((بل عبداً رسولاً)). (٩)

تعبه لربه وخوفه منه : وإن من دلائل نبوته وأمارات صدقه ما رأينا من تعبه لله تعالى وخشيته منه،
 ولو كان دعياً لما تعبد لله، ولما أتعب نفسه، ولا ألزمها ضروب العبادة التي قرحت رجليه، بل لكان صنع ما
 يصنعه سائر الأعداء من مقارفة الشهوات واستحلال المحرمات، فكل ما انتهى الدعي أمراً صيره ديناً وشرعة
 ،ومن ذلك ما فعله مسيلمة الكذاب ، فقد أحل لأتباعه الخمر والزنا، ووضع عنهم الصلاة، فتكاليف الشريعة
 لا يطبقها الأعداء، لذا سرعان ما يتخلصون منها ،أما النبي فكان أعبد الناس لله وأخوفهم منه بما عرف من
 عظمته وقوته، يقول عليه السلام: إني لأرجو أن أكون أحشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي (١٠)

(١) - رواد مسلم ح (٤١٣).
 (٢) - رواد البخاري ح (٥١٧٨).
 (٣) - فتح الباري (٩/١٥٤).
 (٤) - رواد النسائي ح (١٤١٤)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ح (٥٨٣٣).
 (٥) - رواد مسلم ح (٤٢٩٣).
 (٦) - رواد ابن ماجه ح (٣٣١٢)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ح (٢٦٧٧).
 (٧) - رواد البخاري ح (٦٧٦)، وأحمد ح (٢٥٦٦٢).
 (٨) - رواد أحمد ح (٧١٢٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (١٠٠٢).
 (٩) - رواد مسلم ح (١٨٦٨).

وشواهد خوف النبي من الله وتعبده لله كثيرة، منها أن صاحبه أبا بكر رأى شيباً في شعره، فقال: يا رسول الله قد شُبت؟ فقال: ((شيبتي هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت)). (١) قال الطيبي: "وذلك لما في هذه السور من أهوال يوم القيامة والمثالثات النوازل بالأمم الماضية: أخذ مني مأخذه، حتى شُبت قبل أوامه". (٢) فالذي شيب رسول الله ما قرأه في هذه السور من الأهوال التي يرهبها الأتقياء العارفون برهيم، الذين قدره حق قدره. وتصف أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها وحلّه من ربه، فتقول: ما رأيت رسول الله مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته، وكان إذا رأى غيماً أو رجاً عُرف ذلك في وجهه. فقلت: يا رسول الله، إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عُرف في وجهك الكراهية! فقال: ((يا عائشة، ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عُذّب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: {هذا عارض ممطرنا} (الأحقاف: ٢٤) (٣)

وذات ليلة يرى النبي في منامه أخبار الفتن وهو في بيت أم سلمة، فيأمر أن تستيقظ نساؤه، وأن يقمن لقيام الليل فرحاً وتعوداً مما يأتي من الفتن، تقول أم سلمة: فاستيقظ رسول الله فرحاً، يقول: ((سبحان الله! ماذا أنزل الليلة من الخزائن؟ وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات، يا رَبِّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة)). (٤) وفي ليلة أخرى رآه بعض أزواجه وهو يتلوى في آخر الليل على فراشه، لا يجد الكرى إلى عينيه سبيلاً، فما الذي أرقه - صلى الله عليه وسلم -؟ يجيبنا عبد الله بن عمرو، فيقول: كان رسول الله نائماً، فوجد تمرة تحت جنبه، فأخذها فأكلها، ثم جعل يتضور من آخر الليل، وفرغ لذلك بعض أزواجه فقال: (إني وجدت تمرة تحت جنبي، فأكلتها، فخشيتُ أن تكون من تمر الصدقة). (٥) إن الذي أرق النبي خوفاً أن تكون التمرة التي أكلها من تمر الصدقة التي لا تحل له.

وأما عبادة النبي لربه، فهي شاهد لا مرأى في صدقه، فهي مما لا يصدر عن دعي يكذب على الله ويضل الناس باسمه، وحاشاه أن يكون دعياً، فما من دعي يكذب على ربه ثم يجهد نفسه بالعبادة له، تروي لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حال النبي في ليله، فتقول: كان النبي يقوم من الليل حتى تنفطر قدماه. فقلتُ له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: ((أفلا أكون عبداً شكوراً؟)). (٦)

وتصف عائشة رضي الله عنها صفة صلاته، فتقول: (كان يصلي إحدى عشرة ركعة، كانت تلك صلاته، يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه، ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر، ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المنادي للصلاة) (٧) ويصف عليّ حاله في يوم بدر حين تعب الصحابة وأسلموا أعينهم للنوم، فيقول: (ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله تحت شجرة يصلي ويبكي

(١) - رواه الترمذي ح (٣٢٩٧)، وصححه الألباني ح (٢٦٢٧)

(٢) - تحفة الأحوذني (١٣١/٩).

(٣) - رواه البخاري ح (٤٨٢٩)، ومسلم ح (٨٩٩).

(٤) - رواه البخاري ح (١٠٥٨).

(٥) - رواه أحمد ح (١١٤٠٠)، وابن ماجه ح (٢٢٠١).

(٦) - رواه البخاري ح (٤٨٢٧)، ومسلم ح (٢٨٢٠).

(٧) - رواه البخاري ح (١١٢٣)، ومسلم ح (٧٢٤).

حتى أصبح). (١) وتكرر بكاؤه وهو يتضرع بين يدي ربه ومولاه عارفاً قدره وراجياً فضله، يقول عبد الله بن الشَّخِير قال: (أُتِيْتُ رَسُولَ اللَّهِ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل [أي القدر] من البكاء). (٢) لقد كان كما وصفه ربه {إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه} (المزمل: ٢٠)، فهل سمعت الدنيا عن مدح للنبوة يقوم نصف ليله يتضرع لربه ويبكي بين يديه.

وأما صومه: فكان يداوم على صيام يومي الإثنين والخميس تقريباً إلى ربه وابتغاء رضاه، فعن أبي هريرة أن رسول الله قال: ((تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَأَجِبُ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ)). (٣) ولم يكن صيامه هذا فحسب، بل كان يصوم الأيام المتتابعة، يقول أنس: (كان رسول الله يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه شيئاً، ويصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئاً، وكان لا تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّياً إِلَّا رَأَيْتَهُ، وَلَا نَائِماً إِلَّا رَأَيْتَهُ). (٤) وما كان يُفَوِّتُ عَلَى نَفْسِهِ أَجْرَ الصَّوْمِ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ الْهَوَاجِرِ، يَبْتَغِي فِي ذَلِكَ الْمَحَبَّةَ مِنْ رَبِّهِ وَالزَّلْفَى إِلَيْهِ، يَقُولُ صَاحِبُهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي سَفَرٍ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا لِيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَمَا مِنَّا صَائِمٌ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ وَعَبْدُ اللَّهِ بِنُ رِوَاةٍ). (٥)

وبقي هذا حاله، لم يتوان عن عبادة ربه، حتى لبي نداء ربه، وهو في كل ذلك يمتثل: {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين} (الحجر: ٩٩)، ولو كان دَعِيّاً لأراح نفسه وأحبابه من جهد القيام في الليل وتفطير الأقدام، ومن الصيام في الهواجر، لكن هيهات، كيف يريح نفسه وربه يأمره: {فإذا فرغت فانصب - وإلى ربك فارغب}؟ (الشرح: ٧ - ٨). (٦)

(١) - رواه أحمد ح (١٠٦٢).
(٢) - رواه النسائي ح (١١٩٩)، وأبو داود ح (٧٦٩)، وأحمد ح (١٥٧٢٢)، واللفظ له، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ح (١٠٠٠).
(٣) - رواه الترمذي ح (٦٧٨)، وابن ماجه ح (١٧٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ح (١٠٤١).
(٤) - رواه البخاري ح (١١٤١)، ومسلم ح (١١٥٨).
(٥) - رواه أحمد ح (٢٠٧٠٧).
(٦) - راجع دلائل النبوة لمنقذ بن محمود السقار مبحث دلالة أخلاقه على نبوته نشر رابطة العالم الاسلامي

الدليل السابع : محمد في نبوءات الأسفار العالمية

وجاء خاتم النبيين ، النبي الأمي المنتظر

تمهيد : طرق إثبات نبوة محمد بن عبد الله كثيرة ومتنوعة، ومن أهم هذه الطرق: البشارات التي صدرت عن الأنبياء السابقين، وهي تبشر بمقدم نبي خاتم يؤسس دين الله الذي ارتضاه إلى قيام الساعة كما تقول البشارات ، وتأتي أهمية هذا الطريق الذي حرص المسلمون على الاهتمام به في كونه يقيم الحجة على أهل الكتاب بما يعتقدونه من الكتب التي أشارت إلى مبعث هذا النبي قبل قرون متفاوتة في البعد ، وأهل الكتاب من يهود ونصارى مقرّون بوجود هذه البشارات، ومقرّون بدلائها على النبي الخاتم أو النبي العظيم القادم، لكنهم يصرون على أنه رجل من بني إسرائيل، يزعم النصارى أنه عيسى ابن مريم ، بينما ما زال اليهود ينتظرونه! ، وقد حوى الكتاب المقدس رغم ما تعرض له من العبث والتحريف الكثير من النبوءات المبشرة بالنبي الخاتم، والتي لم تتحقق، ونتساءل متى ستتحقق، وقد مرّ على مقدم المسيح زهاء ألفي سنة من غير أن تتحقق هذه النبوءات؟ إن دعوى عدم تحقق هذه النبوءات مع تطاول الأيام يزري بالكتاب المقدس عند قارئيه.

لذا فإننا نوجه دعوة صادقة للتمعن في نبوءات الكتاب وقراءتها قراءة جديدة في ضوء ظهور الإسلام ونبيه، ونحن على ثقة بأن ذلك سيفضي إلى كشف الحقيقة والإيمان بنبوة نبينا محمد ، ولا نقول ذلك رجماً بالغيب، بل هي الحقيقة التاريخية التي أعلن عنها كل من تبصر في أمر هذا النبي وأحواله كما شهد بذلك العديد من اللاهوتيين من أهل الكتاب المعاصرين الذين آمنوا بمحمد وكتبوا في نبوءات الكتاب المقدس حوله الكثير ، وكما شهد هرقل ملك الروم برسالته حين جاءه كتاب النبي يدعو للإسلام فأرسل إلى روما يسأل عن خبر النبي الخاتم، فلما جاءه الرد قال لقومه: "يا معشر الروم: إني قد جمعتكم لخير، إنه قد أتاني كتاب من هذا الرجل يدعوني إلى دينه، وإنه والله للنبي الذي كنا ننتظره، ونحن نجد في كتبنا، فلهما نتبعه ونصدق، فتسلم لنا دنيانا وأخرتنا"، وفي رواية البخاري أنه قال: "يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتباعدوا هذا النبي" فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان. قال: "ردوهم علي"، وقال لهم: "إني قلت مقالتي آنفاً أحتبر بما شدتكم على دينكم، فقد رأيثُ فسجدوا له ورضوا عنه. (١)

ولئن كان هرقل قد نكل عن مقتضيات شهادته فلم يدخل في الإسلام كحال الكثيرين ممن يعرفون الحق فيصمّون عن اتباعه فإن النجاشي ملك الحبشة آمن بالنبي كما نقلنا الحادثة سابقاً، وقال لأخبار مملكته: "يا معشر القسيسين والرهبان، ما يزيد ما يقول هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه، مرحباً بكم ومن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله، والذي بشر به عيسى ابن مريم، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه". (٢) ، وأكد سطوع البشارة به ﷺ في كتب أهل الكتاب إسلام العشرات من علماء أهل الكتاب

١ - رواد البخاري ح (٧)، ومسلم ح (١٧٧٣). وراجع شرح النووي على صحيح مسلم (١٠٧/١٢).

٢ - رواد أبو داود ح (٣٢٠٥)، وأحمد ح (٤٨٣٦) وابن أبي شيبة ح (٣٦٦٤٠).

المعتبرين بل المئات كالحسن بن أيوب، وعبدالله الترجمان، وزيادة النصب الراسي، والقس عبد الأحد داود، وإبراهيم خليل، وموريس بوكاي وغيرهم كثير.

ولسوف نسمي النبي القادم المبشر به في كثير من المواضع في بحثنا بالنبي المنتظر، أو المسيح المنتظر جرياً على المصطلح الذي درج اليهود على استعماله، للدلالة على هذا النبي الموعود. وقد يتمسك بعضهم بأحقية عيسى بهذا الاسم من غيره، حيث لقب به فنقول: إن تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح تسمية اصطلاحية ليست خاصة به، حيث كان اليهود يسمون أنبياءهم وملوكهم، بل وملوك غيرهم بهذا الاسم، لعادتهم في مسح ملوكهم وأنبيائهم بالزيت، ثم اعتادوا تسميتهم بالمسيح، ولولم يسحوا. فقد سمي كورش ملك فارس مسيحاً " يقول الرب لمسيحه لكورش " (إشعيا ٤٥ / ١)، وكذا داود كانا مسيحاً "والصانع رحمة لمسيحه لداود" (المزمور ١٨ / ٥٠)، وشاول الملك سمي مسيحاً، إذ لما أراد أبيشاي قتل شاول وهو نائم نجاه داود " فقال داود لأبيشاي: لا تهلكه فمن الذي يمد يده إلى مسيح الرب ويتبرأ" (صموئيل (١) ٢٦ / ٧ - ٩). وكذلك جاء في سفر المزامير "لا تمسوا مسحائي، ولا تسيئوا إلى أنبيائي" (المزمور ١٠٥ / ١٥)، فهذا اللقب الشريف ليس خاصاً بالمسيح عيسى ابن مريم، أما **المسيح المنتظر هو لقب يستحقه النبي القادم** لما يؤتبه الله من الملك والظفر والبركة والكتاب والشريعة التي فاقت بركة الممسوحين بالزيت من ملوك بني إسرائيل.

والمسيح المنتظر لقب للنبي القادم الذي كانت تنتظره بنو إسرائيل، لذا تساءل اليهود لما رأوا يوحنا المعمدان إن كان هو المسيح القادم " فاعترف ولم ينكر، وأقر: إنه لست المسيح المنتظر ولا النبي!"، يقول عوض سمعان: " إن المتفحصين لعلاقة الرسل والحواريين بالمسيح يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه إنسان... كانوا ينتظرون المسيح، لكن المسيح بالنسبة إلى أفكارهم التي توارثوها عن أجدادهم لم يكن سوى رسول ممتاز - يقصد رئيس وحاكم وصاحب شريعة جديدة - يأتي من عند الله" (١).

وقد سبق أن ظن شعب إسرائيل - المتلهف لظهور النبي العظيم المظفر - أن يوحنا المعمدان هو المسيح المنتظر " إذ كان الشعب ينتظر، والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا، لعله المسيح" (لوقا ٣ / ١٥)، وهذه الجموع المتربصة للخلاص لما رأت المسيح قالوا فيه ما قالوه من قبل عن يوحنا المعمدان "قالوا للمرأة: إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن، لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم" (يوحنا ٤ / ٤٢).

ولعل البعض يهتف مطالباً بالكشف عن النص الصريح الذي يبشر بمحمد ويبين بجلاء اسمه وصفته التي لا ينازعه فيها أحد، وحق له ذلك، لكن يحول دون تحقيقه أمران متعلقان بالكتاب المقدس وتراجمه، وهما لا يعزبان عن فهم المتضلعين في كتب القوم المقدسة، الذين يدركون السبب الذي أضاع أو أغمض كثيراً من البشارات الكتابية.

أولهما: أن لأهل الكتاب عادة في ترجمة الأسماء إلى معانيها، فيوردون في الترجمة المعنى دون الاسم، وقد يزيدون تفسيراً للعبارة، ويقحمونه في النص، ولكم ضاع بسبب هذا الصنيع من دلالات واضحات، منها نبوءة المسيح عن البارقليط، والذي تسميه التراجم الحديثة: المعزي، ومنها بشارته النبي حجي بمقدم (محمد) التي ترجمها المترجمون بمشتهى، فضاعت الكثير من دلالات قول النبي حجي: "ويأتي مشتهدى كل الأمم" (حجي ٢ / ٧)، ونحوه ما جاء في المزامير (٦ / ٨٤) عندما ذكرت المزامير اسم مدينة المسيح القادم، أسمتها: وادي بكة وتقرأ: (بعميق هبكا)، فترجمها المترجمون إلى العربية إلى وادي البكاء، وترجمتها نسخة الرهبانية اليسوعية إلى "وادي البلسان"؛ لتضيق دلالتها على كل عربي يعرف أن بكة هي بلد محمد {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين} (آل عمران: ٩٦).

وضرب رحمة الله الهندي في كتابه المتاع "إظهار الحق" لهذا الصنيع من المترجمين ثلاثة عشر مثلاً قارن فيها بين طبعات مختلفة للكتاب المقدس، ليقف منها على أثر هذا الصنيع في ضياع دلالات النصوص، منها: أنه جاء في الطبعة العربية (١٨١١ م) "سمى إبراهيم اسم الموضوع: مكان يرحم الله زائره" (انظر التكوين ٢٢ / ١٤) فاسم المكان العبراني أبدله المترجم بمعناه، وفي طبعة (١٨٤٤ م) العربية قال: "دعا اسم ذلك الموضوع: الرب يرى"، وبذلك ضاع الاسم الصحيح، واختلقت المعاني، ومثله كثير.. ثم يقول رحمة الله الهندي: "فهؤلاء المترجمون لو بدلوا في البشارات المحمدية لفظ رسول الله بلفظ آخر، فلا استبعاد منهم"، وفي هذا الصدد نقل العلامة رحمة الله الهندي أيضاً عن حيدر القرشي صاحب كتاب "خلاصة سيف المسلمين" قوله: "إن القسيس أوسكان الأرمني ترجم كتاب إشعيا باللسان الأرمني في سنة ألف وستمئة وست وستين، وطبعت هذه الترجمة في سنة ألف وسبعمائة وثلاث وثلاثين في مطبعة أنتوني بورتولي، ويوجد في هذه الترجمة في الباب الثاني والأربعين هذه الفقرة: "سبحوا الله تسيحاً جديداً، وأثر سلطنته على ظهره، واسمه أحمد" (إشعيا ٤٢ / ١٠ - ١١). (١)

ثانيهما: الكتاب المقدس كثير الاستعارات، تكثر فيه الرموز والإشارات خاصة فيما يتعلق بالمستقبل، يقول الدكتور سمعان كهلون في كتابه "مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين": "وأما اصطلاح الكتاب المقدس فإنه ذو استعارات وافرة غامضة وخاصة العهد العتيق"، ويقول أيضاً: "واصطلاح العهد الجديد أيضاً هو استعاري جداً، وخاصة مسامرات مخلصنا، وقد اشتهرت آراء كثيرة فاسدة لكون بعض معلمي النصارى شرحوها شرحاً حرفياً... " (١)، لذا ينبغي أن يدرك القارئ المشاق التي يعانها مفسروا النبوءات الكتابية ونحن نبحت عن الكلمة الأصلية أو الاسم الذي أضاعه المترجمون، كما سيدرك القارئ طبيعة الكتاب المقدس في التعبير عن الحقائق عن طريق الاستعارة والإلغاز.

هذه الصعوبة لن يشعر بها أولئك الذين يتفخرون بأن كتابهم قد حوى الكثير من النبوءات التي تحققت فيما بعد كقيام الاتحاد السوفيتي وإسرائيل وحتى شخص كسينجر، وذلك كله عن طريق الإلغاز أو بحساب

(١) - انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (١٠٩٧ - ١١٠٧)، (٤ / ١٢٠٨ - ١٢٠٩). ود. منقذ السقار، هل بشر الكتاب المقدس بمحمد ص ٩ - ١٨ دار الاسلام للنشر والتوزيع ط ٢٠٠٧ / ١
(٢) - انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (٧٠٢ / ٢ - ٧٠٣).

الجمّل أو سوى ذلك، ويقولون أيضاً بورود مئات النبوءات التي تشير إلى السيد المسيح، فإن النصارى يرون أن في العهد القديم ألف نبوءة عن المسيح ، وهنا نتساءل هل من المعقول أن يخلو الكتاب المقدس من نبوءة عن ذلك الرجل الذي غيّر مسار التاريخ باسم الله، أما كان ينبغي أن يكون له في هذه النبوءات نصيب، ولو نبوءة واحدة تحذر من حاله ودعوته أو تبشر بها؟! والإجابة عن هذا السؤال صمت مطبق من أولئك الذين يدعون أنهم الوحيدون المؤهلون لحل ألغاز ورموز هذا الكتاب واستخراج نبوءاته وفهم مراميه.

لكن ظهور كلمة النبي ودينه، يعتبر المفتاح الذي نلج به إلى نبوءات العهد القديم والجديد ، ففي طيات أسفار التوراة نبوءة وميزان يكشف الدعي الكاذب، ويجليه بوصفه وحاله، يقول سفر التثنية " وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه... فيموت ذلك النبي... فلا تخف منه" (التثنية ١٨ / ٢٠ - ٢٢) ، وقد قال غملائيل الفريسي كلمة حق: "والآن أقول لكم: تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم، لأنه إن كان هذا الرأي أو هذا العمل من الناس فسوف ينتقض، وإن كان من الله فلا تقدرون أن تنقضوه، لئلا توجدوا محاربين لله أيضاً " (أعمال ٥ / ٣٨ - ٣٩)، ودعوة نبينا لم تنتقض، بل ملأت الخافقين، وسادت الدنيا قروناً طوالاً.

فسلامته - صلى الله عليه وسلم - من القتل، وانتصاره على عدوه، وانتشار دعوته ودينه، دليل وبرهان على صدقه ورسالته " الرب يعلم طريق الأبرار، أما طريق الأشرار فتهلك" (المزمور ١ / ٦) ، وكذا قال: "وتهلك كل الذين يتكلمون بالكذب، رجل الدماء والغش يكرهه الرب" (المزمور ٥ / ٦)، لأن "المستقيمين يسكنون الأرض، والكاملين يقون فيها، أما الأشرار فينقضون من الأرض، والغادرون يستأصلون منها" (الأمثال ٢ / ٢١ - ٢٢)، لقد دلت هذه النصوص على صدق رسول الله ﷺ في نبوته ورسالته، لسلامته من الأذى وتعام أمره ودينه وانتشار دعوته في العالمين.

نبوءات التوراة فهمها التلاميذ بشكل خاطئ وألبسوها خطأ بالمسيح .

شغف كتاب الأناجيل بالنبوءات التوراتية، وعمدوا في تكلف ظاهر إلى تحريف معاني الكثير من النصوص التوراتية، ليجعلوا منها نبوءات عن المسيح، إن محبتهم للمسيح أو امتهاهم للتحريف قد جعلهم يخطئون في فهم كثير من النبوءات التي تحدثت عن المسيا المنتظر. إن نبوءات العهد القديم بظهور (يسوع المسيح)، ولا يكاد يخلو كتاب تنصيري من ذكرها أو ذكر بعضها، وقد فند ذلك هذه النبوءات النقاد الغربيون والتي ادعاها مؤلفو الأناجيل الأربعة، وأثبتها في كتابه وأضاف عليها د. سامي عامري ((محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة)) ص ١٨٨-٢٢٩ (مكتبة النافذة ٢٠٠٧م)، وهي في حقيقتها، قاطعة أن كتاب الأناجيل كانوا بشرًا مسوقين باجتهداتهم الشخصية التي تعارض العقل والوحي. أما هنا فأثبتنا ما ذكره د. منقذ السقار للاختصار

الأولى: من صور ذلك أنه جاء في المزامير عن النبي القادم "قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك" (المزمور ١١٠ / ١)، وهذه النبوءة بالمسيح المنتظر لا يراد منها المسيح ابن مريم بحال من الأحوال ، وقد أخطأ بطرس أو من نسبها إلى بطرس حين فسرها بذلك، فقال: " لأن داود لم يصعد إلى

السموات، وهو نفسه يقول: قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك، فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً" (أعمال ٢ / ٢٩ - ٣٧).

ودليل الخطأ في فهم بطرس، وكذا فهم النصارى من بعده أن المسيح أنكر أن يكون هو المسيح الموعود على لسان داود نفسه فقال: "فيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون في المسيح، ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود، قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً: قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؟ فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة، ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بته" (متى ٢٢ / ٤١ - ٤٦) لقد كان جواب المسيح مسكتاً، إن النبي القادم ليس من ذرية داود بدليل أن داود جعله سيده، والأب لا يقول ذلك عن ابنه.

فالمسيح سأل اليهود عن المسيح المنتظر الذي بشر به داود وغيره من الأنبياء: "ماذا تظنون في المسيح؟ ابن من هو؟" فأجابوه: "ابن داود"، فخطأهم وقال: "فإن كان داود يدعوه رباً، فكيف يكون ابنه!"، فالمسيح القادم ليس من أبناء داود الذي وصفه بقوله: ربي أو سيدي، ومن المعلوم أن المسيح - حسب متى ولوقا هو من ذرية النبي داود -، وكثيراً ما نودي "يا ابن داود" (انظر متى ١ / ١، ٩ / ٢٧، ولوقا ١٩ / ٣٨)، وفي مرقس أن المسيح قال: "كيف يقول الكتبة: إن المسيح ابن داود؟ لأن داود نفسه قال بالروح القدس: قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك، فداود نفسه يدعوه رباً، فمن أين هو ابنه؟! " (مرقس ١٢ / ٣٧).

وهو ما ذكره لوقا أيضاً " وقال لهم: كيف يقولون: إن المسيح ابن داود، وداود نفسه يقول في كتاب المزامير: قال الرب لربي: اجلس عن يميني، حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك، فإذا داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه!" (لوقا ٢٠ / ٤٠ - ٤٤)، ورغم هذا البيان يصر النصارى إلى يومنا هذا أن المسيح عيسى عليه السلام هو من بشر به داود في نبوءته مع قولهم بأنه ابن داود!!!

أما الثانية: نقل بولس في الرسالة إلى العبرانيين بشارة الله لداود بابنه سليمان، وجعلها نبوءة بالمسيح عليه السلام، فيقول: "كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء.. صائراً أعظم من الملائكة، بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم، لأنه لمن من الملائكة قال قط: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك، وأيضاً أنا أكون له أباً، وهو يكون لي ابناً" (عبرانيين ١ / ٥).

وقد اقتبس الكاتب العبارة الواردة في سفر صموئيل الثاني (٧ / ١٤)، وجعلها نبوءة عن المسيح، ففيه: "أنا أكون له أباً، وهو يكون لي ابناً" فقد ظن كاتب أن هذه العبارة نبوءة عن المسيح عليه السلام، فنقلها في رسالته، إلا أن هذا الاقتباس غير صحيح، فالنص جاء في سياق الحديث إلى داود، فقد أمر الله النبي ناثان أن يقول لداود: "فهكذا تقول لعبدي داود... متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم نسلك الذي يخرج من أحشائك، وأثبت مملكته، هو يبني بيتاً لاسمي، وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد، أنا أكون له أباً، وهو

يكون لي ابناً، وإن تعوج أودبه بقضيب الناس وبضريات بني آدم... كذلك كلم ناثان داود" (صموئيل (٢) ١٧ / ٨ - ١٧).

فالمنتبى عنه يخرج من أحشاء داود، وليس من أحفاده، وهو يملك على بني إسرائيل بعد اضطجاع داود مع آبائه أي موته، وهو باي بيت الله، وهو متوعد بالعذاب إن مال عن دين الله، وكل هذا قد تحقق في سليمان كما تذكر التوراة. إن أياً من تلك المواعيد لم يتحقق في المسيح عليه السلام، فهو عندهم إله لا يصح أن يتوعد بالعذاب من الله، لأنه لا يخطئ أصلاً، كما أنه لم يبن لله بيتاً، ولم يملك على بني إسرائيل يوماً واحداً، ولم يثبت كرسي مملكته، لأنه لا مملكة له أصلاً في هذا العالم، كما أخبر هو، فقال: "أجاب يسوع: مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود، ولكن الآن ليست مملكتي من هنا" (يوحنا ١٨ / ٣٦)، كما وقد جاء في سفر أخبار الأيام الأول أن اسم صاحب النبوة يكون سليمان، فقد قال لداود: "هوذا يولد لك ابن، يكون صاحب راحة، وأريجه من جميع أعدائه حواليه، لأن اسمه يكون سليمان، فأجعل سلاماً وسكينة في إسرائيل في أيامه، هو يبني بيتاً لاسمي، وهو يكون لي ابناً، وأنا له أباً، وأثبت كرسي ملكه على إسرائيل إلى الأبد" (الأيام (١) ٢٢ / ٩).

الثالثة : ومن تحريف الإنجيليين لنبوءات التوراة أو خطفهم في فهمها ما صنعه متى في قوله عن المسيح وعودته من مصر إبان طفولته: " كان هناك إلى وفاة هيرودس، لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: من مصر دعوتُ ابني " (متى ٢ / ١٤ - ١٥)، فقد زعم أن ذلك يحقق النبوءة التوراتية التي في سفر هوشع (١١ / ١ - ٢)، لكن النص الذي في هوشع لا علاقة له بالمسيح، فالنص يتحدث عن عودة شعب إسرائيل من مصر مع موسى، والحديث في أصل السياق عن يعقوب، ثم ينتقل للحديث عن أبنائه وعودتهم من مصر ثم عبادتهم للأوثان بعد ذلك وإعراضهم عن دعوات الله لهم، فيقول: " لما كان إسرائيل غلاماً أحببته، ومن مصر دعوت ابني، كلما دعوا ولوا وجوههم، وذبحوا لبعاليم، وقربوا للأصنام" (هوشع ١١ / ١ - ٢).

فالنص لا علاقة له بالمسيح، فعبادة الأصنام التي يتحدث عنها النص حصلت قبل المسيح، ولا تنطبق على معاصري المسيح، لأن اليهود تابوا عن عبادة الأوثان قبل ميلاد المسيح بقرون، بعدما أطلقوا من أسر بابل، ثم لم يعودوا إليها بعد تلك التوبة كما هو معلوم في كتب التاريخ، واستخدام هذه الصيغة (ابني) في شعب بني إسرائيل معهود في التوراة، فقد جاء فيها: "عندما تذهب لترجع إلى مصر... فتقول لفرعون: هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر، قلت لك: أطلق ابني ليعبديني" (الخروج ٤ / ٢١ - ٢٣).

لقد عانى المسيح طويلاً من سوء فهم التلاميذ لكلامه، وإبان حياته وصحح لهم مراراً الكثير من أخطائهم في فهم النبوءات، بل وسائر الكلام، لقد عجزوا عن فهم البسيط من كلامه، فأني لهم أن يفهموا النبوءات؟ فذات مرة " أوصاهم قائلاً: انظروا وتحرزوا من خمير الفريسيين وخمير هيرودس، ففكروا قائلين بعضهم لبعض: ليس عندنا خمير. فعلم يسوع، وقال لهم: لماذا تفكرون أن ليس عندكم خمير؟ ألا تشعرون بعد ولا تفهمون؟ أحتي الآن قلوبكم غليظة؟ ألكم أعين ولا تبصرون؟ ولكم آذان ولا تسمعون ولا تذكرون؟" (مرقس ٨ / ١٥ - ١٨)، كيف لا تفهمون أي ما عنيت الخبز الحقيقي بكلامي؟

وفي مرة أخرى كلمهم، فلم يفهموه " فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا: إن هذا الكلام صعب، من يقدر أن يسمعه؟ " (يوحنا ٦ / ٦٠) ، لقد كانوا يسيئون فهم البسيط من كلامه، ثم يستنكفون عن سؤاله عما أعجم عليهم، من ذلك ما زعمه مرقس حين قال: "كان يعلم تلاميذه ويقول لهم: إن ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الناس، فيقتلونه، وبعد أن يقتل يقوم في اليوم الثالث، وأما هم فلم يفهموا القول، وخافوا أن يسألوه" (مرقس ٩ / ٣١ - ٣٢) ، ويمتد سوء الفهم وغلظة الذهن في فهم كلام الناموس حتى إلى أولئك المتعلمين والصفوة من بني إسرائيل، فهذا هو نيقوديموس يسيء فهم كلام المسيح حين قال له: " الحق الحق أقول لك، إن كان أحد لا يولد من فوق، لا يقدر أن يرى ملكوت الله. قال له نيقوديموس: كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ؟ أعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد؟ .. أجاب يسوع وقال له: أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا! " (يوحنا ٣ / ٣ - ١٠) ، لم يفهم معنى الولادة الروحية الجديدة وظن أن الولادة من فوق تقتضي أن يدخل الرجل مرة أخرى في بطن أمه!

فلئن كان هذا حال معلم إسرائيل فماذا عساه يكون حال متى العشار أو يوحنا صياد السمك وبطرس، وهما تلميذان عاميان عديما العلم، كما شهد بذلك سفر أعمال الرسل " فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا، ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا " (أعمال ٤ / ١٣) ، فإن تلاميذ المسيح جهال العالم كما أخبر بولس عن المسيح "يختار جهال العالم ليخزي الحكماء" (كورنثوس (١) ١ / ٢٧) ، وكثير من كلام المسيح وأفعاله لم يفهمها التلاميذ إبان حياة المسيح إلا كما يتمنون لصلته بالنبوءات التوراتية، ثم ظنوا بعد رفعه أنها كان نبوءات عن المسيح "ووجد يسوع جحشاً، فجلس عليه كما هو مكتوب: لا تخافي يا ابنة صهيون، هوذا ملكك يأتي جالساً على جحش أتان، وهذه الأمور لم يفهمها تلاميذه أولاً، ولكن لما تمجد يسوع حينئذ تذكروا أن هذه كانت مكتوبة عنه، وأنهم صنعوا هذه له" (يوحنا ١٢ / ١٤ - ١٦) ، فقد غلب على كثير من بني إسرائيل لفرط شوقهم إلى المخلص الغالب المظفر، غلب على ظنهم أنه المسيح عيسى عليه السلام، "فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا: هذا بالحقيقة هو النبي، آخرون قالوا: هذا هو المسيح، وآخرون قالوا: أعل المسيح من الجليل يأتي؟ ألم يقل الكتاب: إنه من نسل داود ومن بيت لحم القرية التي كان داود فيها يأتي المسيح؟ " (يوحنا ٧ / ٣٨ - ٤١) ، فالجموع أيضاً على اختلاف ثقافتها كانت تحاول البحث عن الخلاص من خلال المسيح عليه السلام، ومن المعلوم أن المسيح لم يحقق هذه النبوءة التي كانوا يريدون، فقد كانوا يبحثون عن من يملك عليهم وينتقم ويخلصهم من الآلام ويحل السلام في ربوع اليهود، استطاع المسيح بفصاحته أن يجذب له كثيراً من أتباعه (الذين هم في الأصل يهوداً ينتظرون المسيح)، وهم منحوه هذا اللقب ، لقد منحوه من عندياتهم ما لم يقله.

كثرة معاتبات المسيح وتوبيخاته للتلاميذ على قلة فهمهم وإيمانهم .

الأناجيل تروى لنا أن السيد المسيح كان دائم التوبيخ لهؤلاء التلاميذ لسوء فهمهم وقلة إدراكهم وضعف إيمانهم وتشككهم الدائم فيه، رغم أنهم أقرب الناس إليه، يقول إنجيل مرقس : "فقال لهم المسيح أفأنتم أيضا

هكذا غير فاهمين" (١٨: ٧) في آخر (فقال لهم كيف لا تفهمون)، (٨: ٢١) وفي ثالث "لأنهم لم يفهموا إذ كانت قلوبهم غليظة" (٦: ٥٢)، كذلك يجبرنا إنجيل متي أن المسيح قال لتلاميذه "أحتي الآن لا تفهمون" (١٦: ٨) وفي إصحاح آخر "فقال يسوع هل أنتم أيضا حتى الآن غير فاهمين" (١٥: ١٦) كما يجبرنا إنجيل لوقا ما يؤكد ما سبق "وأما هم فلم يفهموا من ذلك شيئا" (لوقا ١٨: ٣٤).

وعندما تكلم عن ايليا النبي (إلياس في القرآن) فهم التلاميذ خطأ أن يوحنا المعمدان هو ايليا وقد عاد ثانية إلى الأرض "حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان" (متي ١٧: ١١) على الرغم أن يوحنا المعمدان (بحي) أعلنها صريحة في بداية رسالته (لست المسيح ولا ايليا ولا النبي) إنجيل يوحنا: ٢، كذلك كان سوء فهمهم ملكوت السموات الذي كان يبشر بقدومه السيد المسيح، فرغم بلوغ دعوة المسيح ختامها فقد أدرك التلاميذ خطأ أن المسيح سيأتي بملكوت أرضي وبدولة بني اسرائيل وقد أملوا في أن ييأوا عروشاً في هذا الملكوت القادم (١) ونتج عن هذا التوبيخ المستمر لتلاميذه خوف هؤلاء التلاميذ من سؤال السيد المسيح واستيضاح ما لم يدركوه بعقولهم "وأما هم فلم يفهموا القول وخافوا أن يسألوه" (مرقس ٩: ٣٢) وقد بلغ هذا التوبيخ الذروة في قول المسيح "ألا تشعرون بعد ولا تفهمون، أحتي الآن قلوبكم غليظة، ألكم أعين ولا تبصرون ولكم آذان ولا تسمعون ولا تذكرون" (مرقس ٨: ١٧).

أما عن إيمان هؤلاء التلاميذ فدعنا نستعرض أقوال المسيح عن ذلك، يقول إنجيل متي (ثم تقدم التلاميذ إلى يسوع على انفراد وقالوا لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه - شيطان في جسد غلام - قال لهم يسوع لعدم إيمانكم) (١٧: ١٩)، وفي مناسبة أخرى "فقال لهم ما بالكم خائفين يا قليلي الإيمان" (متي ١٦: ٨) ووبخ المسيح تلاميذه قائلاً "أيها الجليل غير المؤمن المتتوي، إلى متى أكون معكم، إلى متى احتملكم" متي (١٧: ١٤) وكذلك (كيف لا إيمان لكم) مرقس (٤: ٤٠) كما أن المسيح انتهر بطرس أحد هؤلاء التلاميذ قائلاً له (اذهب عني يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس) مرقس (٨: ٣٣) ووبخه قائلاً (يا قليل الإيمان لماذا شككت) متي (١٤: ٣١) وتذكر الأناجيل أن هذا البطرس قد تنكر لمعلمه السيد المسيح وأنكر معرفته ثلاث مرات. (فتفرست فيه وقالت وهذا كان معه فأنكره قائلاً لست أعرفه يا امرأة) لوقا (٢٢: ٥٦ - ٥٧) وفي الليلة التي أراد فيها اليهود القاء القبض على المسيح وكان الحزن والاكتئاب والخوف يسيطرون عليه، لم يشاركه التلاميذ أحزانه ولم يخففوا من حالته النفسية، بل تركوه وحيداً يصلي داعياً الله أن يعبر به تلك الأزمة وينقذه من أيدي أعدائه، وراحوا هم في سبات عميق (ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً فقال لبطرس أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة) متي (٢٦: ٤٠) ورغم هذا التنبيه والتوبيخ لم يعروه التفاتاً واستمروا في نومهم (ثم جاء فوجدهم أيضاً نياماً) متي (٢٦: ٤٣).

وعندما أقبل اليهود والجنود الرومانيون للإمساك بالمسيح (حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا) متي (٤٦: ٥٦)، هكذا تخلى التلاميذ عن معلمهم وفروا مذعورين كل يحاول النجاة بنفسه فصدق فيهم قوله: (لماذا

(١) - تأملات في الأناجيل والعقيدة د. بماء النحال ص: ١٠ ط ١٩٩٤ / عن أهداف المسيح وتلاميذه: هرمان راماروس: أستاذ اللغات الشرقية في أكاديمية هيمبورج.

تفكرون في أنفسكم يا قليلي الإيمان) متى (١٦ : ٨). وبالطبع لا أحد ينسى خيانة يهوذا الاسخريوطي أحد هؤلاء التلاميذ للمسيح مقابل القليل من الفضة (حينئذ ذهب واحد من الاثني عشر الذي يدعى يهوذا الاسخريوطي الى رؤساء الكهنة وقال ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه إليكم: فجعلوا له ثلاثين من الفضة) متى (٢٦ : ١٤ - ١٥).

هكذا كان تلاميذ المسيح الاثني عشر وهم حاملوا الإنجيل والتراث اليهودي، هكذا فهمهم وهكذا كان إيمانهم، ومما هو جدير بالذكر أن المسيحيين في القرن الأول الميلادي تداولوا عشرات النسخ من الأناجيل ثم اعتمد آباء الكنيسة أربع نسخ منها فقط وذلك في مجمع هييو عام ٣٩٣ م وفي مجمع قرطاجنة عام ٣٩٧ م وتم استبعاد ورفض أي أناجيل أخرى، ويتساءل فولتير في مقال بعنوان المناقضات: من حوّل الكنيسة سلطة الحكم بأن أربعة فقط من الخمسين إنجيلا التي دوت في القرن الأول هي وحدها المعتمدة وموحي بها من عند الله؟ (من الأناجيل المستبعدة: إنجيل بطرس - إنجيل اندراوس - إنجيل فيلبس - إنجيل برتولماوس - إنجيل توما - إنجيل يعقوب - إنجيل ماتيياس - إنجيل المصريين -- إنجيل برنابا - إنجيل العبريين - إنجيل نيقوديموس - إنجيل الطفولة .. الخ.)

المسيح لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر أو المسّيّ بل كان دائم التهرّب من هذه التهمة!

وإذا كان كثيرون من معاصري المسيح ادعوا أن عيسى عليه السلام هو المسيا المنتظر، كما قالوا من قبل عن يوحنا المعمدان، فهل ادعى عيسى أو قال لتلاميذه أنه المنتظر، وهل حقق عليه السلام نبوءات المسيح المنتظر؟

١ - ذات يوم سأل تلاميذه عما يقوله الناس عنه، ثم سأهم " فقال لهم: وأنتم من تقولون إني أنا؟ فأجاب بطرس وقال له: أنت المسيح، فانتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه، وابتدأ يعلمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً، ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل" (مرقس ٨ / ٢٩ - ٣١)، لقد نهرهم ونهاهم أن يقولوا ذلك عنه، وأخبرهم بأنه سيتعرض للمؤامرة والقتل، وهي بلا ريب عكس ما يتوقع من المسيح الظافر، أي أنه أفهمهم أنه ليس هو المسيح المنتصر الذي تنتظرون، والذي يوقنون أن من صفاته الغلبة والظفر والديمومة، لا الألم والموت!!

وفي رواية لوقا تأكيد ذلك "فأجاب بطرس وقال: مسيح الله، فانتهرهم، وأوصى أن لا يقولوا ذلك لأحد، قائلاً: إنه ينبغي أن ابن الإنسان يتألم" (لوقا ٩ / ٢٠ - ٢١)، وانتهاه التلاميذ ونهيههم عن إطلاق اللقب عليه ليس خوفاً من اليهود، فقد أخبر تلاميذه عن تحقق وقوع المؤامرة والألم، وعليه فلا فائدة من إنكار حقيقته لو كان هو المسيح المنتظر، لكنه منعهم لأن ما يقولونه ليس هو الحقيقة.

لكن بطرس كبير الحوارين رفض الإدعان لهذه الحقيقة، وهي أن المسيح هو العبد المتألم المتعرض للقتل، ليس الملك الظافر المنتظر، فاندفع يؤنب المسيح على ما يسوقه من خبر عن نفسه، ولندع الكلام لمتى وهو ينقل

لنا هذا المشهد بقوله: "ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى اورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويقتل، وفي اليوم الثالث يقوم، فأخذه بطرس إليه، وابتدأ ينتهره قائلاً: حاشاك يا رب، لا يكون لك هذا". فواجهه المسيح بصرامة تناسب أهمية الموضوع الذي يحتج عليه "فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله، لكن بما للناس" (متى ١٦ / ٢١ - ٢٣).

هذا الذهول الذي وقع لبطرس أصاب سائر التلاميذ، فقد سمعوه يقول: "وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع، قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزماً أن يموت" فاندفعوا يعبرون عن استنكارهم لفكرة المسيح المتألم المقتول، وتساءلوا مستنكرين: هل كان المسيح يتحدث عن نفسه، "أجاب الجمع: نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد، فكيف تقول أنت: إنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان، من هو هذا ابن الإنسان؟! " (يوحنا ١٢ / ٣٤)، لقد صدمتهم الحقيقة التي يصرح لهم بها المسيح، إنها تهدم كل أوامهم عنه في أنه المسيا العظيم الظافر الذي طال انتظار اليهود إليه!!

يقول د. منقذ السقار : يوافقنا القس الحضري في أن المسيح عليه السلام ليس المسيا الظافر الذي ينتظره اليهود، لكنه المسيا الروحي، ثم يلفت أنظارنا "إلى حقيقة في غاية الأهمية، وهي أن يسوع كان يحاول جاهداً أن يخفي نفسه كمسيا عن الجماهير، لذلك عندما كان يلاحظ وجود بعض الثغرات التي من خلالها كان يمكن للجماهير أن تراه كمسيا؛ كان يسرع لإغلاقها" (١). و يقول الأب متى المسكين: "التلاميذ جمعوا من الأدلة في حياة المسيح ما يؤكد لهم أنه المسيا، ولكن كل مرة يحاولون أن يثيروا هذا الافتراض بمنعهم المسيح .. إخفاء المسيح لمسيانته أرهق العلماء للغاية، وقالوا فيه ما قالوا". (٢)

٢- حرص عليه السلام على نفي كونه المسيا مرة بعد مرة "فلما رأى الناس الآية (المعجزة) التي صنعها يسوع قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم، وأما يسوع فإذ علم أنهم مزعمون أن يأتيوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضاً إلى الجبل وحده" (يوحنا ٦ / ١٤ - ١٥). لماذا هرب؟ لأنه ليس الملك المنتظر، وهم مصرون على تملكه لما يرونه من معجزاته عليه السلام، ولما يجدونه في أنفسهم من شوق وأمل بالخلاص من ظلم الرومان.

يقول القس الحضري: "إن جماعة الغيورين كانت تنتظر المسيا السياسي، وعندما رأت يسوع الذي يعظ بملكوت الله القريب؛ ظنت أنه هو فعلاً ذلك المسيا السياسي، ولذلك أرادت أن تختطفه، وتنصبه ملكاً على حزب الغيورين، لكي يكون زعيماً لهم، فيجمع شملهم ويدعم صفوفهم، ولكن المسيا يسوع ينصرف وحده إلى الجبل، لأن ملكوته ليس من هذا العالم، ولا يريد هذا الملك الذي يتقاتل ويتحارب عليه الناس". (٣)

وذات مرة قال فيلبس لصديقه ثنائيل: "وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة"، فجاء ثنائيل إلى المسيح عليه السلام وسأله "وقال له: يا معلم أنت ابن الله؟

(١) - تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس حنا جرجس الحضري (١/ ٢٧٢). عن د. منقذ السقار، هل بشر الكتاب المقدس بمحمد ص ٢٧-٣٦
(٢) - الإنجيل بحسب القديس لوقا، الأب متى المسكين، ص (٣٩٢)، ويرى الأب المسكين أن سبب إخفاء المسيح لمسيانته "حتى يمكنه أن يتم خدمة ابن الإنسان أو العبد المتألم".
٣ - تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس حنا جرجس الحضري (١/ ٢٣٨).

أنت ملك إسرائيل؟ أجاب يسوع وقال له: هل آمنت لأني قلت لك: إني رأيتك تحت التينة، سوف ترى أعظم من هذا" (يوحنا ١ / ٤٥ - ٥٠)، فقد أجابه بسؤال، وأعلمه أنه سيرى المزيد من المعجزات، ولم يصرح له أنه الملك المنتظر.

٣- وفي بلاط بيلاطس نفى أن يكون الملك المنتظر لليهود، كما زعموا وأشاعوا " أجاب يسوع : مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود، ولكن الآن ليست مملكتي من هنا" (يوحنا ١٨ / ٣٦)، فمملكته روحانية، في الجنة، وليست مملكة اليهود المنتظرة، المملكة الزمانية المادية، التي يخشاها الرومان، و"المعروف من النبوات أن مسيا سيكون ملكاً وكاهناً" ، لذلك ثبتت براءته من هذه التهمة في بلاط بيلاطس الذي سأله قائلاً " : أنت ملك اليهود؟ فأجابه وقال: أنت تقول، فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع: إني لا أجد علة في هذا الإنسان" (لوقا ٢٣ / ٢ - ٤)، فجواب المسيح لا يمكن اعتباره مجال من الأحوال إقراراً، فهو يقول له: أنت الذي تقول ذلك، ولست أنا، وقد اقتنع بيلاطس ببراءته فقال: " أنا لست أجد فيه علة واحدة" (يوحنا ١٨ / ٣٨)، وفي إنجيل يوحنا أن المسيح بين لبلاطس أن سبب إرسالته الشهادة للحق وليس التملك على البشر، فقد قال: " أنت تقول: إني ملك، لهذا قد ولدت أنا، ولهذا قد أتيت إلى العالم، لأشهد للحق، كل من هو من الحق يسمع صوتي" (يوحنا ١٨ / ٣٧).

٤- ومن أدرك أن عيسى ليس المسيح المنتظر يهوذا الاسخريوطي الذي يرى القس الخضري أن سبب خيانتة للمسيح أنه كان من طائفة الغيورين التي تحلم بمجيء المسيا القادم الظافر، فتبددت آماله، وساورته شكوك في مسيانية المسيح " بعد أن سمع في كفر ناحوم عظة السيد عن خبز الحياة الذي سيكون طعاماً للآخرين، فكيف يمكن أن يكون المسيا ذبيحة، ونحن نريد مسيا عسكرياً قوياً يجر من العدو؟ ولقد ازدادت شكوكه في مسيانية يسوع عندما سمعه يأمر بطرس بدفع الجزية للمستعمر (متى ١٧ / ٢٤ - ٢٧) ". (٢)

٥- وثمة آخرون أدركوا أنه ليس المسيح المنتظر مستدلين بمعرفتهم بأصل المسيح عيسى ونسبه وقومه، بينما المنتظر القادم غريب لا يعرفه اليهود "قال قوم من أهل أورشليم: أليس هذا هو الذي يطلبون أن يقتلوه، وها هو يتكلم جهاراً، ولا يقولون له شيئاً، أعل الرؤساء عرفوا يقيناً أن هذا هو المسيح حقاً؟ ولكن هذا نعلم من أين هو، وأما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من أين هو" (يوحنا ٧ / ٢٥ - ٢٧)، ذلك أن المسيح القادم غريب عن بني إسرائيل ، وقد أكد المسيح صدق العلامة التي ذكرها للمسيح الغائب، فقال في نفس السياق: فنادى يسوع وهو يعلم في الهيكل قائلاً: تعرفوني، وتعرفون من أين أنا، ومن نفسي لم آت، بل الذي أرسلني هو حق، الذي أنتم لستم تعرفونه، أنا أعرفه لأني منه وهو أرسلني ... فأمن به كثيرون من الجمع، وقالوا: أعل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التي عملها هذا! " (يوحنا ٧ / ٢٥ - ٣١)، فذكر المسيح أنه رسول من عند الله، وأنه ليس الذي ينتظرونه، فذاك لا يعرفونه.

١ - الإنجيل بحسب القديس لوقا، الأب متى المسكين، ص (٧١٥)

(٢) - تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس حنا جرجس الخضري (١ / ٢٣٦)، وانظر قاموس الكتاب المقدس، ص (١٠٩٠).

وقد آمن به الذين كلمهم، وفهم من المؤمنون أنه ليس المسيح المنتظر، فتأمل قول يوحنا: "فآمن به كثيرون من الجمع، وقالوا: أعلل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التي عملها هذا؟" (يوحنا ٧ / ٣٠ - ٣١)، وعيسى عليه السلام هو ابن داود كما في نسبه الذي ذكره متى ولوقا، وقد دعي مراراً "يا يسوع ابن داود" (مرقس ١٠ / ٤٧)، (وانظر متى ١ / ١، ٢٠ / ٣١، ولوقا ١٨ / ٢٨، وغيرها)، أما المسيح المنتظر، الملك القادم فليس من ذرية داود، كما شهد المسيح بذلك "فيما كان الفريسيون مجتمعين سألمهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون في المسيح، ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود، قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً: قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؟ فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة، ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بته" (متى ٢٢ / ٤١ - ٤٦)، فالمسيح - عليه السلام - يشهد بصراحة أنه ليس المسيح المنتظر.

٦- والمسيح لا يمكن أن يحقق النبوءات المبشرة بالملك العظيم القادم، ولا يمكن أن يصبح ملكاً على كرسي داود وغيره، لأنه من ذرية الملك الفاسق يهوياقيم بن يوشيا، أحد أجداد المسيح كما في سفر الأيام الأول "بنو يوشيا: البكر يوحانان، الثاني يهوياقيم، الثالث صدقيا، الرابع شلوم. وابنا يهوياقيم: يكنيا ابنه، وصدقيا ابنه" (الأيام ١) (٣ / ١٤ - ١٥)، فيهوياقيم جد للمسيح (حسب روايات الكتاب المقدس)، واسم يهوياقيم أسقطه متى من نسبه المزعوم للمسيح، بين يوشيا وحفيده يكنيا، وقد حرم الله الملك على ذريته كما ذكرت التوراة "قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا: لا يكون له جالس على كرسي داود، وتكون جثته مطروحة للحر نهاراً ولليلاً... " (إرميا ٣٦ / ٣٠)، فكيف يقول النصارى - الذين يزعمون أن المسيح من ذرية يكنيا ابن الفاسق يهوياقيم - بأن الذي سيملك ويحقق النبوءات هو المسيح!؟

٧- ثم إن التأمل في سيرة المسيح وأقواله وأحواله يمنع أن يكون هو الملك القادم، الملك المنتظر، فالمسيح لم يملك على بني إسرائيل يوماً واحداً، وما حملت رسالته أي خلاص دنيوي لبني إسرائيل، كذاك النبي الذي ينتظرونه، بل كثيراً ما هرب المسيح خوفاً من بطش اليهود، فأين هو من الملك الظافر الذي يوطئه الله هامات أعدائه، وتدين الأرض له ولأمته، فالنبي الآتي يسحق ملوك وشعوب زمانه كما أخبر يعقوب "يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب" (التكوين ٤٩ / ١٠)، وقال عنه داود: "تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار، جلالك وبهاءك، وبجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة والبر، فتريك يمينك مخاوف، نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك، شعوب تحتك يسقطون. كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب ملكك" (المزمور ٤٥ / ١ - ٦).

أما المسيح عيسى عليه السلام فكان يدفع الجزية للرومان "ولما جاءوا إلى كفر ناحوم تقدم الذين يأخذون الدرهمين إلى بطرس وقالوا: أما يوفى معلمكم الدرهمين؟ قال: بلى، فلما دخل البيت سبقه يسوع قائلاً: ماذا تظن يا سمعان، ممن يأخذ ملوك الأرض الجبائية أو الجزية أمن بنبيهم أم من الأجانب؟ قال له بطرس: من الأجانب، قال له يسوع: فإذا البنون أحرار، ولكن لئلا نعتهم اذهب إلى البحر، وألق صنارة، والسمكة التي

تطلع أولاً خذها، ومتى فتحت فها تجد أستايراً، فخذها وأعطهم عني وعنك" (متى ١٧ / ٢٤ - ٢٧)، فأين حال دافع الجزية من الملك الذي تسقط تحت قدميه شعوب خاضعة ذليلة لسلطانه.

والمسيح عليه السلام رفض أن يكون قاضياً بين اثنين يختصمان، فهل تراه يدعي الملك والسلطان، "قال له واحد من الجمع: يا معلّم، قل لأخي أن يقاسمني الميراث، فقال له: يا إنسان من أقامني عليكما قاضياً أو مقسماً؟! " (لوقا ١٢ / ١٣ - ١٤).

٨- ولئن أصر النصارى على مخالفة الكتاب فقالوا: المسيح هو الملك الموعد الظافر الذي تخضع له الشعوب، وأن ذلك سيحققه حال عودته الثانية، فإن ذلك مما تدحضه النبوءة التي ذكرها الملاك لمريم، حيث أخبرها أن المسيح سيملك على بيت يعقوب فحسب، فغاية ما يمكن أن يملك عليه هو شعب إسرائيل، فقد قال لها الملاك: " ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية" (لوقا ١ / ٣٣)، فيما المسيح الموعد "له يكون خضوع شعوب" (التكوين ٤٩ / ١٠)، و " شعوب تحتك يسقطون " (المزمور ٤٥ / ٥)، فملكه أعظم من مملكة بني إسرائيل.

ويجدر هنا أن ننبه إلى أن وعد الله لبني إسرائيل بالملك القادم على كرسي داود وعد مشروط بطاعتهم لله وعملهم وفق مشيئته، كسائر وعود الله لبني إسرائيل، فالله لا يجابي أحداً من خلقه، فيخصهم بما لا يستحقونه، لقد نقض بنو إسرائيل عهدهم مع الله مراراً وتكراراً، فرفضهم الله إلى الأبد "لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد! لماذا يدخن غضبك على غنم مرعاك! اذكر جماعتك التي اقتنيتها منذ القدم وفديتها " (المزمور ٧٤ / ١ - ٢)، لقد رفض الله هذه الأمة العاتية القاسية، وكان رفضه لها أبدياً، فلن يكون لهم الملك الموعد، لأنهم لم يوفوا بشرط وميثاق الله العظيم.

وقد يشكل في هذا الباب ما جاء في قصة المرأة السامرية التي أتت المسيح ورأت أعاجيبه وآياته، فأخبرته بإيمانها بمجيء المسيا، فكان جوابه لها أنه هو المسيا، " قالت له المرأة: أنا أعلم أن مسيا الذي يقال له المسيح يأتي، فمتى جاء ذلك يجربنا بكل شيء، قال لها يسوع: أنا الذي أكلمك هو " (يوحنا ٤ / ٢٥ - ٢٦). ولست أشك في وقوع التحريف في هذه العبارة، بدليل أن هذا النص يخالف ما عهدناه من المسيح، وبدليل أن أحداً من التلاميذ - بما فيهم يوحنا كاتب القصة - لم يكن يسمع حديثه، وهو يتحدث مع المرأة، فلا يعرفون عن موضوع الحديث بينهما " قال لها يسوع: أنا الذي أكلمك هو، وعند ذلك جاء تلاميذه وكانوا يتعجبون أنه يتكلم مع امرأة. ولكن لم يقل أحد: ماذا تطلب؟ أو لماذا تتكلم معها " (يوحنا ٤ / ٢٦ - ٢٧)، وأوضح الأدلة على وقوع التحريف في هذه القصة أن المرأة التي رأت أعاجيبه، وقال لها هذا القول المدعى، لم تكن تؤمن أنه المسيح المنتظر، لأنها لم تسمع منه ذلك، ولو سمعته لآمنت وصدقت، فقد انطلقت تبشر به، وهي غير متيقنة أنه المسيح المنتظر "فتركت المرأة جرحها، ومضت إلى المدينة وقالت للناس: هلموا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت، أعل هذا هو المسيح؟ " (يوحنا ٤ / ٢٨ - ٢٩).

ومما تقدم ظهر جلياً أن المسيح لم يدع أنه المسيح الذي تنتظره اليهود، وإن زعم ذلك بعض معاصريه، الذين كانوا يتوقون للمخلص العظيم الذي يسلطه الله على أعدائه، وقد صدق بولتمان في كتابه "يسوع" حين قال: "إن يسوع لم يعتبر نفسه المسيا"، ووافقه الكثير من العصرين كما نقل عنهم الأسقف برنار بارتمان، فقالوا "بأن يسوع لم يعتبر نفسه المسيا، بل إن التلاميذ هم الذين أعطوه هذا اللقب بعد موته وقيامته من الاموات، الأمر الذي كان يرفضه بشدة أثناء حياته على الأرض"، ونختم بقول شارل جنير: "والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين، هي: أن المسيح لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه إنه ابن الله (١)".

يوحنا و "النبي" المرتقب :

ظهر يوحنا المعمدان "يحيى بن زكريا" نبياً في اليهود في مطلع القرن الأول من الميلاد ليبشر بالمسيح قريبه الذي ولد معه في نفس العام- ويمهد له الطريق ، وعند ما ظهر يوحنا كان اليهود يعلمون يقيناً من نبوءات كتبهم أنه لا يزال هناك في عالم الأنبياء ثلاثة لم يظهروا بعد ولذلك أرسلوا إليه يسألونه. "هذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم، كهنة ولاويين ليسألوه: من أنت؟ فاعترف ولم ينكر وأقر: إني لست أنا المسيح، فسألوه: إذا ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا ، النبي أنت؟ فأجاب: لا ، فقالوا له: ماذا تقول عن نفسك؟ قال: أنا صوت صاروخ في البرية. قوموا طريق الرب كما قال أشعيا النبي، فسألوه وقالوا له: فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي؟ أجابهم يوحنا قائلاً: أنا أعمد بماء، ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه.. الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه" (يوحنا (١: ١٩-٢٧)).

من الواضح إذن أن لكل واحد من الثلاثة الذين كان ينتظرهم اليهود اسماً يعرف به، وأن أسماء أولئك الثلاثة هي: إيليا - والمسيح- والنبي.

ومن الواضح كذلك أن النبي المرتقب هو آخر الثلاثة ظهوراً، أي يأتي بعد إيليا والمسيح وذلك لكونه آخر من سأل عنه اليهود يوحنا المعمدان ، ولما كان اليهود قد اشتهروا بظهور الأنبياء فيهم، فإن تسمية هذا النبي المرتقب الأخير باسم "النبي" يعني ولا شك أنه نبي ولكنه ليس ككل الأنبياء ، إنه نبي أمره جلال ونبؤه عظيم. إنه نبي الزمان أو هو "النبي" المرتقب.

وحتى بعد ظهور "المسيح" استمر اليهود يخلطون بينه وبين "النبي" المرتقب فقد حدث "في اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً: إن عطش أحد فليقبل إلي ويشرب .. فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام، قالوا: هذا بالحقيقة هو النبي ، وآخرون قالوا: "هذا هو المسيح.. فحدث انشقاق في الجمع لسببه" (يوحنا (٧: ٣٧-٤٣)).

لقد ظهر النبي إيليا "إلياس" في بني إسرائيل في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد، وإيليا هذا -انتهت حياته برفعه إلى السماء حياً ، ولقد استمر اليهود حتى ميلاد المسيح ينتظرون إيليا أو ظهور نبي يتقدم إليهم بروح إيليا ، ولقد كانت بشارة الملاك للنبي زكريا أنه سيرزق بابن اسمه يحيى "يوحنا" يتقدم بروح إيليا، إذ قال له

(١) - انظر: للمسيحية، نشأتها وتطورها، شارل جنير، ص (٥٠)، تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس حنا جرجس الخضري (١/ ٢٨٠، ٢٨٢).

الملاك: "وخمراً ومسكرًا لا يشرب ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس.. ويرد كثيرون من بني إسرائيل إلى الرب إلههم. ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته" (لوقا ١٥: ١٣-١٧).

ولقد علم المسيح من حوله أن إيليا المنتظر قد جاء في شخص يوحنا بن زكريا فقد "ابتدأ يسوع يقول للجموع عن يوحنا.. ماذا خرجتم لتنظروا؟ أنبياء؟ نعم أقول لكم وأفضل من نبي، الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان.. إن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي" متى ١١: ٧-١٤، ومرة أخرى "سأله تلاميذه قائلين: فلماذا يقول الكتبة: إن إيليا ينبغي أن يأتي أولاً "قبل المسيح"، فأجاب يسوع وقال لهم: إن إيليا يأتي ويرد كل شيء ولكني أقول لكم: إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا كل ما أرادوا.... حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان" متى (١٧: ١٠-١٣).

والذي عملوه في يوحنا المعمدان أن حاكمًا فاجرًا يدعى هيرودس قطع رأسه وقدمه على طبق إرضاء لراقصة فاحرة جزاء تنديده بعلاقة هيرودس بامرأة أخيه المدعوة هيروديا،

وخلاصة القول الذي لا جدال فيه: إن نبوءات الأنبياء السابقين ومعتقدات الجيل المعاصر للمسيح كانت تقرب يقينا إنتظار ثلاثة مشهورين في عالم الأنبياء هم على الترتيب: إيليا، ثم المسيح، ثم النبي، ولقد قرر المسيح صراحة أن إيليا قد جاء في شخص يوحنا المعمدان ومن المعتقد بين المسيحيين والمسلمين -أن المسيح قد جاء في القرن الأول من الميلاد، لم يبق -إذن- بعد المسيح إلا أن يأتي "النبي" المرتقب، النبي الذي يكتمل به الزمان، وفي مجيئه يأتي "ملكوت السموات"، ويذكر التاريخ أن محمدًا نبي الإسلام قد أرسل كتبًا إلى الملوك والحكام من الجيران يدعوهم فيها إلى الإسلام منهم: كسرى ملك فارس وهرقل إمبراطور الروم والنجاشي ملك الحبشة والمقوقس الزعيم الديني لأقباط مصر التي كانت آنذاك تحت حكم الروم، وقد جاء في رد المقوقس: "سلام عليك -أما بعد: فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيًا بقي وكنت أظن أنه يخرج بالشام. وقد أكرمت رسولك"، وقد بعث إليه بجاريتين هما مارية وسيرين. وقد عرفت الأولى باسم مارية القبطية التي تزوجها النبي وولدت له إبراهيم. أما سيرين فقد تزوجها حسان بن ثابت.

ولا شك أن التمهيد التاريخي لكتاب المقوقس يقر بصحته لسببين على الأقل:

أحدهما: إن إرسال مارية إلى النبي باعتبارها ردًا كريمًا على كتابه إلى المقوقس ثم زواج النبي منها، وولادتها إبراهيم، ثم موته طفلًا وحزن النبي عليه وحديثه الشهير في رثائه ثم مقالة بعض المسلمين حين وافق موت إبراهيم كسوف الشمس فحسبوا ذلك معجزة وما كان من رد النبي عليهم حين قال قولته الخالدة: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا تحسبان لموت أحد ولا لحياته" كل ذلك حقائق تاريخية مسلم بها.

وأما الثاني: فهو قول المؤرخين المسلمين بأن المقوقس لم يسلم على الرغم من رده المهذب، فإن هذا يعني تحريم الدقة فيما كتبه، وكان بوسعهم إدعاء خلاف ذلك بعد أن انتشر الإسلام وساد.

بعد ذلك نقول: إن قول المقوقس في رسالته: "قد علمت أن نبيًا بقي" فهو يتفق وما في الأناجيل حتى اليوم. وأما قوله: "وكنت أظن أنه يخرج بالشام". فإنه يعني بوضوح أن توقع خروجه من الشام أو فلسطين مثلًا

لا يعدو كونه مسألة ظنية، بدليل قوله: "كنت أظن"، وهو قد توقع خروجه بالشام لأن الشائع أن أنبياء كثيرين ظهروا في تلك البقعة من الأرض، فمن المتوقع -قياسًا على ذلك- أن يظهر النبي المرتقب فيها أيضًا.

بيد أن قول المسيح الذي قذف به في وجه رؤساء الكهنة وشيوخ اليهود في لقائه الغاضب بهم: "أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره" (متى ٢١: ٤٣) إن هذا القول يعني بوضوح وبساطة أن عهد خروج الأنبياء في تلك البقعة قد انتهى. لأن رسالة الله قد نزعته من تلك الأمة اليهودية العاصية. ثم تفضل الله بها على أمة أخرى يشهد المسيح أنها ستكون جدية بها. إنها "أمة الملكوت":

عندما ظهر يوحنا المعمدان النبي كان " يركز في بركة اليهودية قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات" (متى ٣: ٣-٤) ، ولما "سمع يسوع أن يوحنا أسلم الروح، انصرف إلى الجليل وترك الناصرة ، من ذلك الزمان ابتداء يسوع يركز ويقول: " توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات" (متى ٤: ١٢-١٧). "وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب" (متى ٤: ٢٣)

"ثم دعا "المسيح" تلاميذه الاثنى عشر.. هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا إلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قالين: إنه قد اقترب ملكوت السموات ، اشفوا مرضى ، طهروا برصاً ... مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا" (متى ١٠: ١-٨) ، وعلمهم المسيح أن يدعوا في صلاتهم بأن يأتي ملكوت السموات "وإذ كان يصلي في موضع، لما فرغ قال واحد من تلاميذه: علمنا أن نصلي كما علم يوحنا "المعمدان" أيضًا تلاميذه ، فقال لهم: متى صليتم فقولوا: أبانا الذي في السموات. ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك. اغفر لنا خطايانا " لوقا (١١: ١-٤) . وكذلك تلك الصلاة الربانية هي تعليم المسيح في موعظة الجبل الشهيرة. " متى ٦: ٩-١٣".

مما سبق نتبين بوضوح أن: يوحنا المعمدان والمسيح، وتلاميذه جاءوا يبشرون باقتراب ملكوت السموات ومن البدهي -إذن- أن هذا الملكوت شيء يأتي بعد المسيح ، ولقد رأينا أن المسيح تنبأ للإسرائيليين بانتزاع الملكوت منهم. فقال لهم: "إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره" ، ومن ثم نتبين كما سيثبت لاحقاً أن ملكوت الله الذي كان في بني إسرائيل ثم نزع منهم لم يكن سوى النبوة وما يرتبط بها من وحي ورسالة وكتب سماوية ، وأن المسيح حين تنبأ بنزعه منهم فإنه تنبأ كذلك بإعطائه لأمة أخرى تكون أفضل من تلك الأمة الإسرائيلية التي وصفت منذ عهد المبرك في تورا موسى بأنها: "أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم" (تثنية ٣٢: ٢٨) .

وعندما جاء يوحنا المعمدان يمهد للمسيح كان قوله للإسرائيليين: "يا أولاد الأفاعي، من أراكم أن تحربوا من الغضب الآتي فاصنعوا أثمارًا تليق بالتوبة ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أبًا، لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادًا لإبراهيم" (متى ٣: ٧-٩). (١)

فهل قال محمد ﷺ عن نفسه أنه النبي الموعود؟ بالتأكيد !.

رأينا أن المسيح عليه السلام لم يدع أنه النبي المنتظر، فهل أخبر محمد ﷺ أنه ذلك النبي الموعود، الذي بشرت به الأنبياء؟

إن وجود البشارة بالنبي ﷺ في كتب الأنبياء من أهم ما أكدت عليه النصوص القرآنية والنبوية، التي أخبرت أنه ما من نبي إلا ودَّكر أمته بأمر هذا النبي، وأخذ عليهم في ذلك الميثاق لئن بعث محمد ليؤمنن به، قال تعالى: {وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين} (آل عمران: ٨١) وقال علي رضي الله عنه: (ما بعث الله نبياً آدم فمن دونه إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وليتبعنه) (١).

ومن هؤلاء الأنبياء المبشرين بالنبي القادم النبي إبراهيم عليه السلام، حيث دعا {ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم} [البقرة: ١٢٩] ، ومنهم عيسى عليه السلام {وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد} [الصف: ٦] ، وقد قال ﷺ : ((إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم بأول أمري: أنا دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج منها نور ساطع أضاءت منه قصور الشام)) (٢).

ولما كان اهتمام الأنبياء بالنبي الخاتم بالغاً كان من الطبيعي أن تتحدث كتبهم عنه وعن صفاته وأحواله ، وقد أكد القرآن الكريم على وجود البشارة بنبينا في كتب اليهود والنصارى فقال: {الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم} (الأعراف: ١٥٧).

وقال الله تعالى مخبراً بوجود النبوءات عن النبي محمد وعن أمته وأصحابه في التوراة والإنجيل : {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيماً} (الفتح: ٢٩)

ولم يخبر القرآن الكريم - بالتفاصيل - عن صفات رسول الله وأحواله المذكورة في كتب أهل الكتاب، لكنه أخبر عن حقيقة مهمة، وهي أن أهل الكتاب يعرفون رسول الله معرفتهم أبناءهم، لكثرة ما حدثتهم الأنبياء والكتب عنه {الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون} (٣)

١ - رواه الطبري في تفسيره (٣/٣٣٢).

(٢) - (١) رواه أحمد في المسند ح (١٦٧١٢)، وابن حبان في صحيحه ح (٦٤٠٤).

[الأنعام: ٢٠] وهذه المعرفة ولا ريب تصدر عن كثرة أو وضوح البشارات الواردة في كتبهم عنه عليه الصلاة والسلام .

قال ﷺ : إن " مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين (١)" وفي رواية مسلم: عن رسول الله ﷺ: " مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابنتى بيوتا فأحسنها وأجملها وأكملها، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها، فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون: ألا وضعت هاهنا لبنة فيتم بنيانك " فقال محمد صلى الله عليه وسلم: «فكنت أنا اللبنة» وفي رواية: «فأنا موضع اللبنة، جئت فختمت الأنبياء» (٢) وفي رواية الترمذي: وأنا في النبيين موضع تلك اللبنة وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ، قال: إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم، غير فخر (٣). وقال ﷺ عن أمته: نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا" (٤)

وهناك مثل للنبي عن أمته مطابق لمثل المسيح عن أمة الملكوت قال: " إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أوتي أهل التوراة التوراة، فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا، فأعطوا قيراطا قيراطا، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل، فعملوا إلى صلاة العصر، ثم عجزوا، فأعطوا قيراطا قيراطا، ثم أوتينا القرآن، فعملنا إلى غروب الشمس، فأعطينا قيراطين قيراطين، فقال: أهل الكتابين: أي ربنا، أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين، وأعطينا قيراطا قيراطا، ونحن كنا أكثر عملا؟ قال: قال الله عز وجل: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا، قال: فهو فضلي أوتيته من أشياء (٥) ."

وقد أخبر عيسى عليه السلام عن الأمة الأخيرة التي تنال من الأجر أكثر مما نالته الأمم الصالحة السابقة في قوله في هذا المثل: " فإن ملكوت السماوات يشبه بإنسان رب بيت خرج في الصباح الباكر ليستأجر عمالا لكرمه، واتفق مع العمال على أن يدفع لكل منهم دينارا في اليوم، وأرسلهم إلى كرمه، ثم خرج نحو الساعة التاسعة صباحا، فلقي في ساحة المدينة عمالا آخرين بلا عمل، فقال لهم: اذهبوا أنتم أيضا واعملوا في كرمي فأعطيكم ما يحق لكم! فذهبوا، ثم خرج إلى الساحة أيضا نحو الساعة الثانية عشرة ظهرا. ثم نحو الثالثة بعد الظهر، أرسل مزيدا من العمال إلى كرمه، ونحو الساعة الخامسة بعد الظهر، خرج أيضا فلقي عمالا آخرين بلا عمل، فسألهم: لماذا تقفون هنا طول النهار بلا عمل؟ أجابوه: لأنه لم يستأجرنا أحد. فقال: اذهبوا أنتم أيضا إلى كرمي! وعند ما حل المساء، قال رب الكرم لوكيله: ادع العمال وادفع الأجرة مبتدئا بالآخرين ومنتهيا إلى الأولين، فجاء الذين عملوا من الساعة الخامسة وأخذ كل منهم دينارا، فلما جاء الأولون، ظنوا أنهم سيأخذون أكثر. ولكن كل واحد منهم نال دينارا واحدا، وفيما هم يقبضون الدينار، تدمروا على رب البيت، قائلين: هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة فقط، وأنت قد ساويتهم بنا نحن الذين عملنا طول النهار

(١) - أخرجه البخاري ح (٣٥٣٥) وجمع كبير من المحدثين بألفاظ متقاربة

(٢) - أخرجه مسلم ح (٢٢٨٦) و ح (٢٢٨٧) وغيره

(٣) - الترمذي ح (٣٦١٣)

(٤) - البخاري ح (٨٧٦)

(٥) - صحيح البخاري ح (٥٥٧) ورقم (٢٢٦٨)، وأحمد ح (٦١٣٣) وأخرجه أبو يعلى (٥٤٥٤) وأخرجه الطيالسي (١٨٢٠).

تحت حر الشمس! فأجاب واحدا منهم: يا صاحبي، أنا ما ظلمتك؛ ألم تتفق معي على دينار؟ خذ ما هو لك وامض في سبيلك: فأنا أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك، أما يحق لي أن أتصرف بمالي كما أريد؟ أم أن عينك شريرة لأنني أنا صالح؟ فهكذا يصير الآخرون أولين، والأولون آخريين. " (متى ٢٠ : ١ - ١٦)

وهو نفس المعنى عن نبي الإسلام ﷺ في الحديث عن أجر أمة الإسلام مقارنة مع الأمم السابقة: ومزيد مراجعة النصوص المتعلقة بـ " ملكوت السماوات " ملكوت الله .. تتضح الصورة بصورة أجلي:

متى ٦ : ٣٣ (لوقا ١٢ : ٣١) : " أما أنتم، فاطلبوا أولا ملكوت الله وبره، وهذه كلها تزداد لكم "

لوقا ١٠ : ٩ - ١١ ، ١١ : ٢٠ : " واشفوا المرضى الذين فيها، وقولوا لهم: قد اقترب منكم ملكوت الله! وأية مدينة دخلتم ولم يقبلكم أهلها، فاخرجوا إلى شوارعها، وقولوا: حتى غبار مدينتكم العالق بأقدامنا نفضه عليكم، ولكن اعلموا هذا: أن ملكوت الله قد اقترب "

متى ٢١ : ٤٣ : " لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله سينزع من أيديكم ويسلم إلى شعب يؤدي ثمره " ، " مرقس ١ : ١٥ : " قد اكتمل الزمان واقترب ملكوت الله ، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل " ، مرقس ٤ : ١١ : " فقال لهم: «قد أعطي لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله. أما الذين من خارج، فكل شيء يقدم لهم بالأمثال "

مرقس ٤ : ٢٦ : " وقال: «إن ملكوت الله يشبه بإنسان يلقي البذر على الأرض ... " مرقس ٤ : ٣٠ - ٣٢ : " وقال: «بماذا نشبه ملكوت الله، وبأي مثل نمثله؟ إنه يشبه ببزرة خردل، تكون عند بذرها على الأرض أصغر من كل ما على الأرض من بزور، ولكن متى تم زرعها، تطلع أغصانا كبيرة، حتى إن طيور السماء تستطيع أن تبيت في ظلها. " ، مرقس ١٠ : ١٤ - ١٥ : " فلما رأى يسوع ذلك، غضب وقال لهم: «دعوا الصغار يأتون إلي، ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله الحق أقول لكم: من لا يقبل ملكوت الله كأنه ولد صغير، لن يدخله أبدا " ، لوقا ٤ : ٣٤ : " روح الرب علي، لأنه مسحني لأبشر الفقراء؛ أرسلني لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعميان بالبصر، لأطلق المسحوقين أحرارا، وأبشر بسنة القبول عند الرب " .. والنتيجة المستخلصة من النصوص السابقة:

١ - ملكوت الله، أو السماوات، هو ليس ملكوت عيسى عليه السلام.

٢ - عيسى عليه السلام، هو مجرد مبلغ عن ظهور هذا الملكوت.

٣ - بعث عيسى للإخبار بنقل الملكوت من بني إسرائيل إلى أمة أخرى (بني إسماعيل) .

٤ - سيدخل الكثير من الفقراء وأهل الشرك الملكوت قبل بني إسرائيل (فقراء مكة دخلوا الإسلام قبل الكثير من اليهود الذين أسلموا) .

٥ - اقتراب ظهور الملكوت (لا نبي بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم) .

٦- من علامات هذا الملكوت نموه وتعاضمه السريع ، سيبسط ملكوت الله سلطانه على القلوب وسيظهر أتباعه من ذنوبهم ، وينشر وارث ظله وسلطانه على الكثير من الأمم، بخلاف الملكوت القديم القاصر على بني إسرائيل .

وزيدة القول هي تكذيب مزاعم الكنيسة وظهور حقيقة ملكوت الإسلام السماوي. ويزداد هذا الأمر وضوحا إذا لحظنا تطابق المثل القرآني عن أمة الإسلام مع المثل الوارد في الكتاب الديني النصراني المكتشف في نجع حمادى سنة ١٩٤٥ م، والذي لا تعترف الكنيسة اليوم بشرعيته، وهو " رسالة يعقوب السرية. "The Apocryphon of James" المثل القرآني : { محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما } . [سورة الفتح ٢٩]

المثل كما هو في " رسالة يعقوب السرية": شبه ملكوت السماء بنخلة خرج منها برعم (شطأ) ثم تدلت من هذا البرعم ثمار حوله، وأخرجت هذه الثمار ورقا. وحين استوت واستغلظت هذه الثمار جف منبعها. وأصبحت هذه الثمار الخارجة من البرعم مع تلك الخارجة من الشجرة الأصلية. " وهذا المثل كما هو في رسالة يعقوب أقرب إلى المثل القرآني منه إلى مثل مرقس ٤ : ٣٠ - ٣٢، كما أنه يعرف " الشجرة" المثمرة بأنها النخلة، وقد قال رسول الله: " مثل المؤمن مثل النخلة، ما أخذت منها من شيء ينفعك" .(١) وسنحاول خلال الصفحات القادمة تلمس بعض هذه النبوءات، راجين أن نوفق في إزالة الكثير مما أصابها من غبار التحريف، محترزين عن الكثير من سوء الفهم الذي وقع فيه النصارى في فهم هذه النبوءات.

أهم اكتشاف حديث!

يروى الدكتور محمد معروف الدواليبي قصة الحوار بين الإسلام والمسيحية وهو كان عضوا بارزا في الحوار، كيف بدأ الحوار وعلام انتهى : أنه قد عثر في مغاور قمران شمالي البحر الميت على مجموعة من المخطوطات، نجد بينها سفر إشعياء الصحيح بكامله، في حين أن المنشور في العهد القديم هو جزء منه، وفي سفر إشعياء المكتشف جاء حرفيا:

" بعد المسيح يأتي نبي عربي من بلاد فاران - بلاد إسماعيل - وعلى اليهود أن يتبعوه، وعلامته أنه إن نجا من القتل، فإنه النبي المنتظر، لأنه يفلت من السيف المسلول على رقبته، ويعود إليها بعد ذلك بعشرة آلاف قديس".

(١) - محمد ﷺ في الكتب المقدسة ، د. سامي عامري ص : ٣٣٤ - ٣٣٩ مركز التنوير الإسلامي للخدمات المعرفية والنشر بالقاهرة ط١ / ٢٠٠٦ م والحديث أخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب مثل المؤمن مثل النخلة رقم ٢٨١١ (مثل المسلم) من حيث كثرة النفع واستمرار الخير. (فوق الناس) ذهبت أقدارهم وجمالت. (البوادي) جمع بادية وهي خلاف الحاضرة من المدن. (فاستحييت) أي أن أقول هي النخلة توقيرا لمن هم أكبر مني في المجلس]

أصدر البابا بولس السادس سنة ١٩٦٥ م وثيقة هامة، كانت بمثابة اعتراف رسمي نصراني بالدين الإسلامي، ولأول مرة، جاء فيها: " إن كل من آمن بعد اليوم بالله الخالق السموات والأرض، ورب إبراهيم وموسى، فهو ناج عند الله، وداخل في سلامه، وفي مقدمتهم المسلمون".

وبدعوة رسمية سافر وفد إسلامي إلى الفاتيكان، واجتمع بالكاردينال بيمونللي وزير الدولة في حكومة الفاتيكان فيما يتعلق بالعلاقات بين الإسلام والنصرانية، وبدأ الحوار على الرغم من طلب السفير "الإسرائيلي" في روما وقف الحوار، وبعد انتهاء اللقاءات المتعددة بين عدد من العلماء المسلمين وكبار مسؤولي الفاتيكان، وقف الكاردينال بيمونللي مخاطباً العلماء: في هذا اليوم أوقف التنصير الكاثوليكي في العالم الإسلامي، ثم قرأ بشارة سفر إشعياء التي تنطبق تماماً على الواقع، ولكن مع الأسف، فإن هذا الباب لم يلبث أن توفي في ظروف لا ندرىها، كما توفي من بعده بقليل الكاردينال بيمونللي في ظروف غامضة، وبوفاتها توقف الحوار بين الإسلام والنصرانية" (١).

ذرية ابراهيم المباركة :

طلب إبراهيم من الله الصلاح في ابنه إسماعيل: " قال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك" (التكوين ١٧ / ١٨) ، فاستجاب الله له وبشره بالبركة فيه وفي ابن آخر يهبه الله له، فقد بشره بميلاد إسحاق من زوجته سارة فقال: " وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً، أباركها فتكون أمماً، وملوك شعوب منها يكونون ... وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده ، وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره، وأكثره كثيراً جداً، اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة" (التكوين ١٧ / ١٦ - ٢٠).

العهد والاصطفاء مشروط بالعمل الصالح، والبركة التي أُعطيتها إبراهيم إنما هي بسبب عمله الصالح، "تتبارك في نسلك جميع أمم الأرض، من أجل أن إبراهيم سمع لقولي، وحفظ ما يحفظ لي أوامري وفرائضي وشرايعي" (التكوين ٢٦ / ٤).

فالعامل بوصايا الله هو سبب هذه البركة، ويعتبر اليهود والنصارى من بعدهم أن الوعد في إسحاق وعد أبدي لن ينتقل إلى غيرهم، كن كلمة (الأبد) لا تعني بالضرورة الاستمرار إلى قيام الساعة، بل تعني طول الفترة فحسب، ومثل هذا الاستخدام معهود في التوراة، يقول سفر الملوك: "فبرص نعمان يلصق بك وبنسلك إلى الأبد" (الملوك ٢) (٢٧ / ٥)، فالأبدية هنا غير مقصودة، وإلا لزم أن نرى ذريته اليوم أمة كبيرة تتوالد مصابة بالبرص. وعليه نقول: إن العهد قد بدأ بإسحاق وهو وعد أبدي متطاول إلى أجيال بعيدة، وهو ما تم حين بعث الله النبيين في بني إسرائيل، وأرسل إليهم الكتب، وأيدهم بسلطانه وغلبته على الأمم التي جاورتهم، وأقام لهم مملكة ظافرة إلى حين. وفي سفر الأيام "وقال لي: إن سليمان ابنك، هو يبني بيتي ودياري، لأني اخترته لي

(١) - د. شوقي أبو خليل الحوار دائما.. ص ١١. (دار الفكر) ، صحيفة "المسلمون" الشهيرة عدد ١٢٢٩ الصفحة الخامسة بتاريخ الاثنين ١ ربيع الأول ١٤١٢ هـ الموافق ل ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٩١ م ، د. سامي عامري ، محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب المقدسة مركز التنوير الإسلامي للخدمات المعرفية والنشر بالقاهرة ، الأولى - ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م

ابناً، وأنا أكون له أباً، وأثبت مملكته إلى الأبد" (الأيام (١) / ٢٨ / ٦)، وقد انتهت مملكتهم منذ ما يربو على ألفين وخمسمائة سنة على يد مختنصر البابلي، فالمراد بالأبدية الوقت الطويل فحسب.

ووقت سفر التثنية الأبدية بما يساوي عشرة أجيال، فقال: "لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب، حتى الجيل العاشر، لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد، من أجل أنهم لم يلاقوكم بالخبز والماء" (التثنية ٣٣ / ٣ - ٤)، فالجيل الحادي عشر للمؤابي غير محروم من جماعة الرب، وهو دون الأبد والقيامة. ومثله قول دانيال لنبوخذ نصر: "فتكلم دانيال مع الملك: يا أيها الملك عش إلى الأبد" (دانيال ٦ / ٢١)، أي عش طويلاً. نعم لقد استبدلت البركة باللعن والطرده، فقد رذلهم الله واستبدلهم بغيرهم بعد أن تنكروا لشريعته ودينه " والآن إليكم هذه الوصية أيها الكهنة، إن كنتم لا تسمعون ولا تجعلون في القلب لتعطوا مجداً لاسمي، قال رب الجنود: فإني أرسل عليكم اللعن، وألعن بركاتكم، بل قد لعنتها لأنكم لستم جاعلين في القلب، ها أنا ذا أنتهر لكم الزرع، وأمدّ الفرث على وجوهكم" (ملاخي ٢ / ١ - ٣).

وعليه نقول: إن العهد قد بدأ بإسحاق وهو وعد أبدي متناول إلى أجيال بعيدة، وهو ما تم حين بعث الله النبيين في بني إسرائيل، وأرسل إليهم الكتب، وأيدهم بسلطانه وغلبته على الأمم التي جاورتهم، وأقام لهم مملكة ظافرة إلى حين. ويتفق اليهود والنصارى مع المسلمين في أن بركة إسحاق أثمرت النبوة والملك والكتاب والكثرة والغلبة، لكنهم يعتبرون وعد إسماعيل وبركته أثمر الكثرة فقط، " وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره، وأكثره كثيراً جداً، اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة " (التكوين ١٧ / ٢٠). وهذا التفريق أيضاً بخلاف ما جاء في النصوص التي لم تفرق بالألفاظ والمعاني بين الأخوين المباركين، وعليه فبركة إسماعيل هي كبركة إسحاق: نبوة وكتاب وحكم وكثرة. فمتى تحقق ذلك لإسماعيل؟ متى اجتمع له ذلك؟

نقول: لم يجتمع له ذلك إلا في بعثة نبينا من ذريته، فتحوّل قبائل بنيه المتفرقة الضعيفة إلى ملك عظيم ساد الدنيا، واجتمع إلى كثرتهم النبوة والكتاب، فتحقق ما وعد الله إبراهيم وهاجر في ابنهما إسماعيل، وإلا فأين تحققت البركة في إسماعيل الذي أخبر النص عن حاله، فقال: " يكون إنساناً وحشياً، يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه " (التكوين ١٦ / ١٢) أي أنه يغلب تارة فيسود الجميع كما يسود الجميع عليه تارة أخرى، وقد ساد العرب المسلمون الأمم برسول الله ودولته، وفيما عدا ذلك كانوا أذل الأمم وأضعفها وأبعدها عن أن يكونوا محلاً لبركة الله، إذ لا بركة في قبائل وثنية تكاثرت على عبادة الأوثان والظلم، فمثل هؤلاء لا يكونون في بركة الله.

وإذا عدنا إلى النصوص العربية القديمة التي تحدثت عن إسماعيل نجد النص كالتالي " وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً (بماد ماد) اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة (لجوى جدول) " (التكوين ١٦ / ٢) فكلمتي (ماد ماد) و (لجوى جدول) هما رمزان وضعوا بدل اسم النبي محمد، فكلمة (ماد ماد) حسب حساب الجمل الذي يهتم به اليهود ويرمزون به في كتبهم ونبوءاتهم تساوي ٩٢، ومثله كلمة " لجوى جدول " وهو ما يساوي كلمة " محمد "، وكان السموّل أحد أحبار اليهود المهتدين إلى الإسلام قد نبه إلى ذلك، ومثله فعل الخبر المهتدي عبد السلام في رسالته " الرسالة الهادية".

ونقول: إن ما جاء في سفر التكوين عن وجود بركة في العرب تمثلت بنبوّة وملك يقيمهم الله في العرب هو النقطة الأساس التي يخالفنا فيها أهل الكتاب، وهي المدخل الأهم لنبوّات الكتاب المقدس، إذ أن كثيراً مما يذكره المسلمون من نصوص توراتية يرونها نبوءات بالرسول محمد، كثير من هذه النصوص يراها النصارى أيضاً نبوءات بالمسيح أو غيره من أنبياء اليهود، ويمنعون أن تخرج هذه النبوءات عن بني إسرائيل.

أما الكتاب المقدس فقد كان واضحاً في انتقال النبوة عن بني إسرائيل إلى أمة سواهم كالعرب؟ كما في نصوص كثيرة ستمر منها (إشعيا ١ / ١ - ٦) ومنها نص رفع البركة عنهم، وأحلهم الله غضبه وانتقامه ولعناته "والآن إليكم هذه الوصية أيها الكهنة، إن كنتم لا تسمعون ولا تجعلون في القلب لتعطوا مجداً لاسمي، قال رب الجنود: فإني أرسل عليكم اللعن، وألعن بركاتكم، بل قد لعنتها، لأنكم لستم جاعلين في القلب، ها أنا ذا أنتهر لكم الزرع وأمدّ الفرت على وجوهكم" (ملاخي ٢ / ١ - ٣).

وقال المسيح وهو يخاطب جموعهم: "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرأؤون .. ويل لكم أيها القادة العميان .. أيها الجهال والعميان .. أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تحربون من دينونة جهنم، .. يا أورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين" (متى ٢٣ / ١٣ - ٣٧)، لذا حرّمهم الله من أن يكون النبي الموعود القادم منهم، لأنهم نقضوا عهد الله وميثاقه، فلن يكون القادم من ذرية داود عليه السلام، أي لن يكون هو المسيح عليه صلوات الله وسلامه.

وقد كان السبب الرئيس في كراهية اليهود للمسيح أنه صدع بالحقيقة بين ظهرائهم، فأعلمهم أن ملكوت الله واصطفاه سينزع منهم، ويعطى لأمة أخرى، وإذا أردنا إثبات ذلك؛ فإننا نعود إلى أول محاولة آثمة راموا منها قتله، وذلك حين حدثهم عن انصراف النبي إيليا عن أراميل بني إسرائيل إلى أرملة صيداوية، وأن النبي أليشع طهر نعمان السرياني دون سائر البرص الذين كانوا في بني إسرائيل (انظر لوقا ٤ / ٢٥ - ٢٧)، فكانت النتيجة أن "امتلاً غضباً جميع الذين في المجمع حين سمعوا هذا، وأخرجوه خارج المدينة، وجاؤوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم عليه حتى يطرحوه إلى أسفل" (لوقا ٤ / ٢٨ - ٢٩)، فكان هذا أول الشر بين اليهود والمسيح (١).

وعد الله لإبراهيم بمباركة اسماعيل وبجعله مثمرا وإكثار نسله وجعله أمة عظيمة

يقول الله لإبراهيم عليه السلام: وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره، وأكثره كثيراً جداً، اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة "التكوين (١٧: ٢٠)، وهنا نسأل اليهود والمسيحيين .. ما المقصود بعبارة "سأباركه حقاً! في نسخة أخرى" ثم بعبارة "وأجعله مثمرا" .. ثم إكثار الذرية "وأكثر ذريته جداً" .. ما معنى سأباركه؟ أليست مباركة الله لإسماعيل يجعل النبوة في ذريته؟ .. هل الله بارك فرعون وعابدي الأوثان مثلاً؟ يجيب الكتاب عن ذلك: الله يبارك اسحاق في سفر التكوين (١١: ٢٥) "وكان بعد موت إبراهيم ان الله بارك اسحق ابنه وسكن اسحق عند بئر لحي رثي" كيف بارك الله اسحاق؟ .. أليس بأن رضي عنه و جعل النبوة

١ - د. منقذ السقار، هل بشر الكتاب المقدس بمحمد صلى الله عليه وسلم ص ٤١-٤٨ دار الاسلام للنشر والتوزيع ط١/٢٠٠٧.

في نسله؟ .. كلنا يعلم أن كل انبياء بني اسرائيل كانوا من نسل إسحاق.

ما معنى كلمة سأبارك اسماعيل؟ .. أليس معناها سأباركه كما باركت اسحق و كما باركت يعقوب؟ .. وبالتالي سيأتي نبي من نسله يقول له الله في اشعياء (٦ : ٧) : "كل غنم قيذار تجتمع اليك كباش نبايوت تخدمك تصعد مقبولة على مذبحي وأزّين بيت جمالي" .. أليس قيذار و نبايوت؟ .. ابناء اسماعيل الذين سكنوا جزيرة العرب كما قال الكتاب المقدس .. فمن هو ذلك النبي عبد الله و الذي اجتمعت تحت إمرته كل جزيرة العرب ودخلوا في دين الله معه .. وعبدوا الله وحده بعد أن كانوا عبدة أوثان؟ .. هل هو يسوع الناصري .. أم بولس؟! .. و أين يقدم الحجاج الهدي و الذبائح و أين بيت جمال الله ذلك؟ .. ألم يتنبأ يسوع بهدم و خراب الهيكل بيت الله في القدس؟ .. أليس بيت جمال الله هو بيت الله الحرام بجزيرة العرب بمكة و الموجود إلى الآن شاهدا على صدق رسالة النبي محمد بن عبد الله؟

نقرأ في التكوين (١٤:١٩) أن الله يبارك ابراهيم "وباركه وقال مبارك ابرام من الله العلي مالك السموات والارض" كيف بارك الله ابراهيم؟ .. أليس بأن رضي عنه و جعل النبوة في نسله؟ وكذلك لما بارك الله شمشون صار نبيا "ودعت اسمه شمشون فكبر الصبي وباركه الرب" و في التكوين (٢٧ : ٣٠) اسحاق بارك يعقوب ولم يبارك عيسو فكان كل الأنبياء من ذرية يعقوب الذي هو اسرائيل "وحدث عندما فرغ اسحق من بركة يعقوب و يعقوب قد خرج من لدن اسحق ابيه أن عيسو أحاه أتى من صيده"

و في سفر التثنية ١:٣٣ "هذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني اسرائيل قبل موته أقبل الرب من سيناء وأشرف عليهم من ساعير وتألّق في جبال فاران جاء محاطا بعشرة آلاف من الرجال القديسين" .. ما معنى البركة هنا .. أليس التبشير بنبوة المسيح بن مريم عليه السلام من بعده و خروجه بجبال ساعير التي هي بفلسطين وكذلك التبشير بنبوة النبي محمد الذي يأتي من فاران التي سكنها اسماعيل و بفتحها لمكة و معه عشرة آلاف من الصحابة؟

ما معنى وأجعله مثمرا .. أليس الإثمار يأتي نتيجة رضوان الله كما في المزمير (١٠٥ : ٢٤) "جعل شعبه مثمرا جدا و اعزه على اعدائه" أليس ذلك ما قاله المسيح لبني اسرائيل في انجيل متى لأمة بني اسرائيل حين أخبر باستبدالهم فقال "لذلك أقول لكم :إن ملكوت الله سينزع من أيديكم ويسلم إلى شعب يؤدي ثمره " ما معنى يؤدي ثمره .. أليس يؤدي ما عليه من طاعة و عبادة لله الواحد الأحد؟ .. ما معني "وأكثر ذريته جدا فيكون أبا لاثني عشر رئيسا ويصبح أمة كبيرة" . أليس إكثار ذرية اسماعيل ليكون المنتهى بتكوين الأمة المباركة العظيمة التي ستأتي من نسل اسماعيل بعد أن باركه الله بجعل النبوة في نسله؟ يقول التكوين (٢١ : ١٧ - ٢١) "وسمع الله بكاء الصبي فنأدى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها : ما الذي يزعجك يا هاجر لا تخافي لان الله قد سمع بكاء الصبي من حيث هو ملقى قومي واحملي الصبي وتشبثي به لأني سأجعله أمة عظيمة" .. من هي هذه الأمة العظيمة التي ستأتي من نسل اسماعيل ابن هاجر؟ انها أمة الإسلام و محمد هو الرسول الذي أرسله الله من نسل اسماعيل عليه السلام. يقول الله في التكوين (٢١ : ١٣) "وسأقيم من ابن الجارية أمة أيضا لأنه من ذريتك" ابن الجارية هو اسماعيل عليه السلام .. الأمة الأولى من ذرية اسحاق التي أمه

سارة وهي أمة بني اسرائيل .. فمن هي الأمة التي من ذرية اسماعيل .. أليست هي الأمة المسلمة و نبيها هو محمد بن عبد الله الذي هو من نسل إسماعيل؟ إن اليهود والنصارى يقولون إن ابراهيم قد طرد اسماعيل و أمه الجارية هاجر .. ولكننا نجد الكتاب المقدس يقول غير ذلك ففي التكوين (٢٥: ٩) "ودفنه اسحق واسماعيل ابنه في مغارة المكفيلة في حقل عفرون بن صوحر الحثي الذي امام ممرا" .. و أين باقي أبناء ابراهيم من زوجته الثالثة قطورة وباقي نسائه السراي .. لا ذكر لهم لأن الله لم يباركهم .. يجب أن يفهم ذلك؟ يقول الكتاب المقدس في اخبار الأيام الأول ٢٨:١ "ابنا ابراهيم اسحق و اسماعيل" وهذا يدل على الإخوة ومشاركة ميراث البركة.

تخصّص الفريسي بولس والفريسيون في التجسس على المسيح عليه السلام للإيقاع به و هم الذين قال لهم المسيح بن مريم عليه السلام "ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون" و الذي يخبرنا ايضا الكتاب المقدس في انجيل متى أن المسيح كان يحذر تلاميذه من تعاليمهم و هم الذين منهم بولس فيقول "كيف لا تفهمون اني ليس عن الخبز قلت لكم ان تتحرزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين. حينئذ فهموا انه لم يقل ان يتحرزوا من خمير الخبز بل من تعليم الفريسيين والصدوقيين" (متى ١١:٦-١٢) يقول بولس ما ليس بحق في رسالته إلى يهود (غلاطية ٤: ٣٠) "اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة" .. وهذا النص لسارة زوجة ابراهيم عن اسماعيل بعد أن رأته يمزح "ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح. فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها. لان ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق. فقبح الكلام جدا في عيني ابراهيم لسبب ابنه. فقال الله لإبراهيم لا يقبح في عينيك من اجل الغلام ومن اجل جاريتك. في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها. لأنه بإسحق يدعى لك نسل. و ابن الجارية ايضا سأجعله امة لأنه نسلك!!" .. سارة الانسانة أخذتها الغيرة بعد أن رأته اسماعيل يمزح .. فهل يحكم الله بناء على غيرة امرأة! ألم يقل الله عن اسماعيل "سَأُبَارِكُهُ حَقًّا" كما فعل مع اسحق و يقول "وابن الجارية ايضا سأجعله امة لأنه نسلك" .. فمن هذا النبي الذي من نسل اسماعيل و تنبأ به اشعيا و دخلت جزيرة العرب في دينه لتعبد الله وحده .. وأقام منهم أمة مسلمة لله؟ .. إن الأمر الذي اتى به بولس "اطرد ابن الجارية" ليس من أوامر الله ولكنه من أوامر سارة الغيورة التي يصفها الكتاب المقدس بالكاذبة حين أنكرت أنها ضحكت أمام الرب "فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة ... فأنكرت سارة قائلة لم اضحك" . هل ستجعلون أوامر سارة كأوامر الله؟ وجعلتموها ايضا وعودا .. لا تتبدل ولا تتحرف ؟ !

يقول القس عبدالمسيح لا نبي بعد المسيح عليه السلام؟! ثم قال هذا القس لقد ورد في التكوين (١٧ : ١٩) "فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق واقيم عهدي معه عهدا ابديا لنسله من بعده". ثم قال القس عبد المسيح الآتي: إن يسوع لم يخبر بأن هناك أنبياء من بعده لينكر نبوة النبي محمد بن عبد الله؟ نقول ايها القس احترم عقول القراء فالكتاب المقدس يقول أن كل هؤلاء كانوا انبياء ورسلا بعد أن رفع يسوع فلماذا تؤمن بهم؟ .. "وكان في انطاكية في الكنيسة هناك انبياء ومعلمون" اعمال الرسل (١٣: ١) .. ايضا "وهو اعطى البعض ان يكونوا رسلا والبعض انبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين" .. أضف إلى

ذلك "فوضع الله اناسا في الكنيسة اولا رسلا ثانيا انبياء ثالثا معلمين ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء اعوانا تدابير وانواع ألسنة" .. رابعا "ان كان احد يحسب نفسه نبيا او روحيا فليعلم ما اكتبه اليكم انه وصايا الرب" كورنثوس الأولى (١٤ : ٣٧) .. خامسا "يهودا وسيلا اذ كانا هما ايضا نبين وعظا الاخوة بكلام كثير وشدداهم"

قام القس بالتركيز على كلمة عهدا أبديا .. و بأنه لن يقوم الأنبياء إلا من نسل اسحاق .. وقد شرحنا سابقا معنى كلمة أبدي في الكتاب المقدس وأنها لا تعني بلا نهاية كما يقول القس الذي يكذب على نفسه و يخدع تابعيه؟ .. ونضيف على ما ذكر سابقا التالي :

ا- ها هو الرب يتكلم لموسى عن هارون و أولاده بأنهم سيكونون كهنة الرب للأبد "وتمسحهم كما مسحت اباهم ليكهنوا لي ويكون ذلك لتصير لهم مسحتهم كهنوتا ابديا في اجيالهم" الخروج ٤٠ : ١٥ و لكننا نجد الكتاب المقدس على لسان بولس يلغي ذلك فيقول أن يسوع لم يكن من اللاويين أبناء هارون و مع ذلك كان كاهنا لله؟ فيقول بولس لاغيا كلام الرب السابق و عهده اللاويين من أبناء هارون "فانه يصير ابطال الوصية السابقة من اجل ضعفها وعدم نفعها. اذ الناموس لم يكمل شيئا" العبرانيين (٧ : ١٨) ألم يكن العهد الكهنوتي أبديا مع أبناء هارون اللاويين؟ .. فلماذا جاء يسوع كاهنا و هو لم يكن من أبناء هارون اللاويين؟! .. لماذا إذن تنكروا رسالة النبي محمد الذي ليس من نسل إسحق إذا كنتم تثبتون كهانة يسوع الذي ليس من بني لاوي بل تقولون إنه من نسل يهوذا؟

ب- يأخذ الله عهدا أبديا بالختان مع ابراهيم و نسله من بعده للأبد فيقول "واقم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في اجيالهم عهدا ابديا ... هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر. فتختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم" سفر التكوين ١٧ : ١٠ .. ويقول ايضا "يختن ختاننا وليد بيتك والمبتاع بفضتك فيكون عهدي في لحمكم عهدا ابديا" التكوين (١٧ : ١٣) لكننا نجد الكتاب المقدس يقول على لسان بولس أن هذا ليس عهدا أبديا؟! .. اقرأوا "ها انا بولس اقول لكم انه ان اختنتم لا ينفعكم المسيح شيئا" غلاطية (٥ : ٢) ايضا "لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئا" غلاطية (٦ : ١٥).

ج- الرب يأخذ عهدا أبديا على بني اسرائيل عهدا بحفظ السبت .. "فيحفظ بنو اسرائيل السبت ليصنعوا السبت في اجيالهم عهدا ابديا" خروج (٣١ : ١٦) ثم نجد بولس في العهد الجديد يلغي ذلك و يقول إن يسوع بالصلب قد جاء ليخلصه من الفرائض و منها السبت "اذ مح الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدا لنا وقد رفعه من الوسط مسمرا اياه بالصليب ... فلا يحكم عليكم احد في اكل او شرب او من جهة عيد او هلال او سبت".

ونختم بالبشارة من سفر التكوين الذي يقول عن نوح "وبارك الله نوحا وبنيه وقال لهم اثمروا واكثروا وملاؤا الارض" وإني هنا اتساءل .. ألم يكن كل الأنبياء من نسل نوح .. ومنهم المسيح بن مريم عليه السلام؟

.. لما بارك الله نوحا وابناه خرج كل الأنبياء من ذريتهم ومنهم ابراهيم واسحق ويعقوب وداود ويسوع؟ فلماذا تنكرون على الله أنه حينما يبارك اسماعيل يخرج من ذريته عبد الله ورسوله محمد؟! و صدق الله تعالى حين أخبرنا عن دعاء ابراهيم و اسماعيل عليهما السلام {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} .. و عن دعاء ابراهيم عليه السلام "وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ".

مكة (بگة) القبلة الجديدة وبيت الله الجديد !!

قدم ابراهيم ابنه ذبيحا لله وذلك على جبل الرب والبركة لإبراهيم في ذريته محفوظة له بعد أن قام بالاستسلام لأمر الله، وهم بذبح ابنه الوحيد، وفي التوراة المتداولة أن بين اسماعيل واسحق أربعة عشرة سنة (انظر التكوين ١٦ / ١٦ ، ٢١ / ٥) .. وحرف أهل الكتاب اسم الذبيح، وحرفوا اسم المكان المعظم الذي جرت فيه أحداث القصة، فسمتها التوراة السامرية " الأرض المرشدة ". فيما سمتة التوراة العبرانية " المريا "، ولعله تحريف لكلمة " المروة "، وهو اسم لجبل يقع داخل المسجد الحرام في مكة المكرمة، أي في المكان الذي درج فيه إسماعيل. لكن اتفق النصان العبري والسامري على تسمية ذلك الموضع "جبل الله"، ولم يكن هذا الاسم مستخدماً لبقعة معينة حينذاك، لذا اختلف اليهود في تحديد مكانه اختلافاً بيناً، فقال السامريون: هو جبل جرزيم. وقال العبرانيون: بل هو جبل أورشليم الذي بني عليه الهيكل بعد القصة بعدة قرون (الأيام ٢) (٣ / ١)، يقول الدكتور بوست في قاموس الكتاب المقدس: "يظن الأكترون أن موضع الهيكل هو نفس الموضع الذي فيه أمر إبراهيم أن يستعد لتقديم إسحاق، غير أن التقليد السامري يقول: إن موضع الذبح لإسحاق كان على جبل جرزيم". (١) ويقول محققو نسخة الرهبانية اليسوعية: "ويبقى مكان الذبيحة مجهولاً".

والحق أن المكان معروف غير مجهول، لأن قصة الذبح جرت في الأرض المرشدة، وهي أرض العبادة، وهي مكة أو بلاد فاران، واختلافهم دليل على صحة ذلك، واتفقهم على اسم المكان بجبل الرب صحيح، لكنهم اختلفوا في تحديده لرجهم بالظنون، وقد ربطوه بتسميات ظهرت بعد الحادثة بقرون عدة، وتجاهلوا البيت المعظم الذي بني في تلك البقعة حينذاك، ويسمى بيت الله، كما سمي الجبل الذي في تلك البقعة جبل الله.

وبقي هذا الاختلاف من أهم الاختلافات التي تفرق السامريين عن العبرانيين، وقد أدرك المسيح هذا الخلاف، فذات مرة دخلت عليه امرأة سامرية، وسألته عن المكان الحقيقي المعد للعبادة، فأفصح لها المسيح أن المكان ليس جبل جرزيم السامري، ولا جبل عيبال العبراني الذي بني عليه الهيكل، " قالت له المرأة: يا سيد أرى أنك نبي، آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون أن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه، قال لها يسوع: يا امرأة صدقيني، إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب، ...ولكن تأتي

ساعة، وهي الآن، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له، " (يوحنا ٤ / ١٩ - ٢٤).

فمن هم الساجدون الحقيقيون الذين يسجدون في غير قبلة السامريين والعبرانيين، إنهم الأمة الجديدة التي تولد بعد حين، إذ لم تدع أمة قداسة قبلتها سوى أمة الإسلام التي يفد إليها ملايين المسلمين سنوياً في مكة المكرمة، وقوله عن ساعة قدوم الساجدين الحقيقيين " ولكن تأتي ساعة وهي الآن"، يفيد اقتربها لا حلولها، كما في متى: " أقول لكم: من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة، وآتياً على سحاب السماء" (متى ٢٦ / ٦٤)، وقد مات المخاطبون وفنوا، ولم يروه آتياً على سحاب السماء.

وقد قال ميخا النبي عن مكة والبيت الحرام وعن إتيان الناس للحج عند جبل عرفات: " يكون في آخر الأيام بيت الرب مبنياً على قتل الجبال، وفي أرفع رؤوس العوالي يأتين جميع الأمم، ويقولون: تعالوا نطلع إلى جبل الرب" (ميخا ٤ / ١ - ٢).

كما رمز النبي إشعيا لمكة في نص آخر بالعاقرة، وتحدث عن الجموع الكثيرة التي تأتي إليها، ويعدّها بالأمان والبركة والعز، فقال: " ترغمي أيتها العاقرة التي لم تلد، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخص، لأن بني المستوحشة (بني اسماعيل) أكثر من بني ذات البعل (القدس)، قال الرب: أوسع مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك، لا تمسكي، أطيلي أطنابك وشددي أوتادك، لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار، ويرث نسلك أمماً، ويعمر مدناً خربة، لا تخافي لأنك لا تخزين، ولا تحجلي لأنك لا تستحين، فإنك تنسين خزفي صباح، وعار ترملك لا تذكرينه بعد.. قال راحمك الرب: أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية، هانذا أبني بالإثم حجارتك، وبالباقيات الأزرق أؤسسك، وأجعل شرفك ياقوتاً، وأبوابك حجارة بھرمانية، وكل تخومك حجارة كريمة، وكل بنيك تلاميذ الرب، وسلام بنيك كثيراً، بالبر تثبتين بعيدة عن الظلم فلا تخافين، وعن الارتعاب فلا يدنو منك، ها إنهم يجتمعون اجتماعاً ليس من عندي، من اجتمع عليك فإليك يسقط، " (إشعيا ٥٤ / ١ - ١٧).

في النص مقارنة لمكة بأورشليم، فسمى مكة بالعاقرة لأنها لم تلد قبل محمد النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولا يجوز أن يريد بالعاقرة بيت المقدس، لأنه بيت الأنبياء ومعدن الوحي، وقد يشكل هنا أن نبوة إسماعيل كانت في مكة، فلا تسمى حينذاك عاقراً، لكن المراد منه مقارنة نسبية مع أنبياء أورشليم. وقوله: "لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل"، يقصد فيه أن زوارها أو أبناءها أكثر من زوار أورشليم التي يسميها ذات البعل، ولفظة بنو المستوحشة يراد منها ذرية إسماعيل، الذي وصفته التوراة - كما سبق - بأنه وحشي " وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه: إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنساناً وحشياً، يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه" (التكوين ١٦ / ١١ - ١٢).

كما تحدثت المزامير عن مدينة المسيح المخلص، المدينة المباركة التي فيها بيت الله، والتي تتضاعف فيها الحسنات، فالعمل فيها يعدل الألوف في سواها، وقد سماها باسمها (بكة)، فجاء فيها: " طوبى للساكين في

بيتك أبداً يسبحونك، سلاه، طوبى لأناس عزهم بك، طرق بيتك في قلوبهم، عابرين في وادي البكاء (١)
يصبرونه ينبوعاً، أيضاً ببركات يغطون مورة، يذهبون من قوة إلى قوة، يرون قدام الله في صهيون، يا رب إله
الجنود اسمع صلاتي وأصغ يا إله يعقوب، سلاه، يا مجننا انظر يا الله والتفت إلى وجه مسيحك، لأن يوماً واحداً
في ديارك خير من ألف، اخترت الوقوف على العتبة في بيت إلهي على السكن في خيام الأشرار " (المزمور ٨٤ /
٤ - ١٠).

جاء ذكر " مكة " في المزامير في النسخ الإنجليزية المتداولة الآن، في هذا النص: " طوبى لأناس أنت قوتهم
المتلهفون لأتباع طرقك المفضية إلى بيتك المقدس. وإذ يعبرون في وادي البكاء الجاف، يجعلونه ينابيع ماء،
ويغمرهم المطر الخريفي بالبركات. ينمون من قوة إلى قوة، إذ يمثل كل واحد أمام الله في صهيون. يا رب إله
الجنود اسمع صلاتي، واصغ إلي يا إله يعقوب. " (المزامير ٨٤ : ٦ - ٨) ، والترجمة الكاثوليكية تقول: "يجتازون
في وادي البكاء، فيجعلونه ينابيع ماء لأن المشتري (محمد) يغمرهم ببركاته، فينطلقون من قوة إلى قوة، إلى أن
يتجلى لهم إله الآلهة في صهيون " (٧ - ٨) .

كلمة " البكاء " في النص السابق هي في الأصل العربي: " بكه. = Bacah = " وكما هو ظاهر في التراجم
الشهيرة كالترجمة الفرنسية " لويس سوجن = Louis = Segond " والترجمة الإنجليزية " الترجمة العالمية الجديدة " ...
International Version == The New " فإن الحرف الأول قد كتب كبيراً Capital مما يدل على أن هذه
الكلمة هي اسم لمكان لا مجرد معنى للفظ. ونحن نعلم أن هذا الاسم هو أحد أسماء مكة المكرمة، وقد جاء
هذا الاسم بهذا المعنى في [آل عمران ٩٦] : { إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين } .
الترجمة الإنجليزية للعدد الخامس من الفصل ٨٤ من نفس المزمور في " الترجمة العالمية الحديثة = The
New International Version = " تذكر صراحة كلمة " = Pilgrimage = حج " . وقد اعترف بتعلق
النص بالحج المعلقون على الترجمة الإنجليزية " ترجمة الملك جيمس Bible == King James version = Study
= وغيرهم ممن علق على المزمور .

وفي الحديث هنا عن الحج إشارة ودلالة لا تخطئهما العين على بعثة نبي صاحب أهمية خاصة، وأن
مكان بعثته سيكون قبلة للناس. علما إن كلمة (أ) " حج " العربية مرادفة تماما من حيث المعنى والأصل لنفس
الكلمة في العبرية واللغات السامية الأخرى. فكلمة " حجاج = Hagag = " العبرية هي نفس كلمة " حجاج "
العربية = Hajaj = والفرق الوحيد لفظ الحرف الثالث من الأبجدية السامية وهو الجيم التي يلفظها العرب
جيما. وشرعية موسى تستخدم هذه الكلمة بعينها وهي = Hagag = أو " حجاج = haghagh = " وذلك
عند ما تأمر بأداء طقوس الإحتفال وتعني الكلمة الدوران حول بناء أو مذبح أو حجر، بخطوات مهولة
منتظمة ومدربة، تأدية لطقس أو عيد ديني يحتوي على السرور والإنشاد!!

(١) - سبق التنبيه إلى أن استخدام كلمة البكاء بدلاً من (بكة) تحريف وترجمة لما لا يترجم، فالأسماء لا تترجم، لذا حافظت على صورة الكلمة بعض الترجمات العالمية، ففي الترجمة الإنجليزية: " through the valley of Ba'ca make it a well " فذكر أن اسم الوادي (بكة)، ومثله في الترجمة الفرنسية ""
Lorsqu'ils traversent la vallée de Baca

(١) - كما يقول عبد الأحد داود القس السابق في كتابه " محمد (صلى الله عليه وسلم) في الكتاب المقدس "

أما النبع فهو بئر زمزم، النبع الفياض، علما وأنه قد جاء في هامش الترجمة الفرنسية = La Bible de Semeur = "أن العديد من المخطوطات العبرية والترجمة اليونانية القديمة جاء فيها: " هو (الله) أنشأ واحة". ونسبة الفعل إلى الله تؤكد محور الحديث هنا عن زمزم الذي نبع بمعجزة إلهية. أما حديث الترجمة الكاثوليكية عن "المشترع" ففيه إشارة بارزة إلى محمد صلى الله عليه وسلم، إذ أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو صاحب شريعة جديدة أفاضت بركاتها على المسلمين باعتراف مشاهير القانونيين في زماننا، حتى تحولوا من "قوة إلى قوة".

ويدلل عبد الحق فديارتي (محمد في الاسفار العالمية) على هذا المعنى الواضح لهذه البشارة بقوله إن:

١- بيت الرب المذكور في هذا النص لا يمكن أن يكون غير الذي في مكة، لأن الهيكل المقدس لم يكن قد بني بعد في القدس، وما كان هناك بيت آخر مقدس غير بيت إبراهيم في مكة أثناء كتابة هذا المزمور .

٢- كان داود النبي عليه السلام ينتظر الأمر الإلهي بغزو فلسطين، وحتى ينال مراده من الله، ذهب إلى مكة حيث البيت الذي بناه إبراهيم الأب عليه السلام ليدعو الله هناك.

يقول د. سامي عامري(١) : وقد جاء في مخطوطات لفظ " صهيون " بعد " طرقتك المفضية إلى بيتك

المقدس " في العدد الخامس، وكما رأيت فإن هذه الكلمة غير موجودة في الترجمة الكاثوليكية، كما أنها غير موجودة في " النص العبري الساكن للنص الماسوري للعهد القديم " كما هو مذكور في هامش المزمور ٦٨ : ٥ في التعليق الشهير على الكتاب المقدس = The Harper Collins Study Bible =

يقول للدكتور عبد المجيد الزنداني(٢) تعليقا على الكلمة الانجليزية " صهيون ": " المجتمع الديني الذي

خلص لعبادة الله، أو المدينة الفاضلة كما جاء ذلك في قاموس = Dictionary Webster s

Seventh New Collegiate.: وعند الرجوع إلى أصل الكلمة (Zion) العبري تبين أنها مقتبسة من

جذر يعني: جفاف، صحراوي، أجرد (أرض أو مكان) جاف، مكان مقفر ، برية. وهذا كله يشير إلى أن

المكان المعبر عنه بكلمه Zion في النص الإنجليزي هو برية مكة الجرداء المقفرة الجافة .

ويقول فديارتي في كتابه: " محمد في الأسفار العالمية " إن " صهيون " هي بالعبرية " سيبون " وهي من

الجذر العبري " سياه " الذي يعني " جاف " وتعني صهيون " جاف " و " أرض صحراوية ". بالإضافة إلى ذلك يوجد صهيونان (أورشليم عتيقة وأورشليم جديدة) (٣).

وقد كتبت لفظة أورشليم في سفر نشيد الإنشاد ٥ : ١٦ في النص العبري في صيغة المثني، وجاء في

رسالة بولس إلى العبرانيين ١٢ : ٢٢ : " ولكنكم قد اقتربتم إلى جبل صهيون، إلى مدينة الله الحي، أورشليم

السماوية. بل تقدمتم إلى حفلة يجتمع فيها عدد لا يحصى من الملائكة"، وجاء في رسالة بولس إلى غلاطية ٤ :

(١) - د. سامي عامري محمد في الكتب المقدسة ص (٢٨٠- ٣٠٢) مركز التنوير الاسلامي للخدمات المعرفية ط١/٢٠٠٦ ويشير الدكتور سامي لمراجعة كتاب Exhaustive Concordance of the Bible = The New Strongs = جيمس سترنج Strong James والمعجم العبري ص ٩٩ فقره: رقم ٦٧٢٣ .

(٢) - بحث بعنوان " البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم في الكتب السماوية السابقة: "

(٣) - محمد في الاسفار العالمية ص ١٣١- ١٣٣ عن د. سامي عامري .

٢٥: "ولفظة هاجر تطلق على جبل سيناء، في بلاد العرب، وتمثل أورشليم الحالية، فإنها مع بنيتها في العبودية .. فهناك إذن أورشليمان .. وصهيونان.

وقد قال سهيل التغلبي، المسيحي: (١) بعد أن ذكر أن صهيون الأولى تقع في القدس: " نسخ السيد المسيح هذا المفهوم وأصبح " صهيون" يعني ملكوت السموات التي بشر بها وبأورشليم الجديدة التي ستكون في اليوم الأخير مأوى للصالحين والأبرار. " .. وهذا القول يظهر وجود أورشليمين، وإن كان قد ظهر خطؤه في معرفة أورشليم الثانية.

ومما يظهر أن صهيون المذكورة هي مكة، ما جاء في سفر إشعياء (٥٢: ١ - ٢): " استيقظي، استيقظي تسربلي بقوتك يا صهيون، ارتدي ثياب بهائك يا أورشليم، المدينة المقدسة، إذ لن يدخلك بعد اليوم أغلف ولا نجس. انفضي عنك الغبار، وانفضي واجلسي وفكي عن عنقك الأغلال يا أورشليم، أيتها المسبية ابنة صهيون. " الأوصاف المذكورة في هذه النبوءة لا تنطبق إلا على مكة:

ثياب البهاء التي تحلت بها مكة هي التحلل من الأوثان والأزلام، في حين أن القدس كانت معمورة بأوثان الرومان قبل المسيح وبعده بقرون. مكة هي التي لا يدخلها غير المختونين، أما القدس فقد عاش فيها أيام المسيح وإلى اليوم الكثير من الذين لا يختنون كالنصارى والوثنيين، وقد اضطر النصارى إلى الزعم أن كلمة " الأغلف" لها دلالة مجازية! قال تعالى: { إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا } [سورة التوبة ٢٨]. أما القدس فأخلط الناس يرتعون فيها، وقد فرخ فيها الكثير من المارقين عن الحق، أديانهم الباطلة (شهود يهوه، القاديانية، البهائية ...).

كما تنطبق الصفات الواردة حول " صهيون" في سفر إشعياء (٢: ٣) على مكة لا على القدس: " ويحدث في آخر الأيام، أن جبل هيكلك الرب يصبح أسمى من كل الجبال، ويعلو فوق كل التلال، فتتوافد إليه جميع الأمم. " : الحديث عن آخر الزمان، وظهور أمر مكة واجتماع الناس حولها جاء بعد علو شأن القدس. أمر مكة هو الذي ازداد علوا وقدرًا بتوسيع دائرة أرض الإسلام، في حين أن القدس قد انتقلت ملكيتها بين أمم عدة على مدى القرون التي بيننا وبين النبي إشعياء. تجج شعوب كثيرة إلى مكة كل سنة. ويعتبر الحج أحد خمس قواعد بني عليها الإسلام. أما القدس فلا " يحج" إليها إلا عدد قليل من النصارى. كما أن أمر الحج في النصرانية غير ذي بال عند القوم ولا يذكر أبداً في أصول الملة عند الكنيسة.

من مكة خرجت " شريعة الأمم". وما خرجت من القدس شريعة يسوعية وإنما تم فيها، طبق اعتقاد الكنيسة، إلغاء الشريعة لأنها كما قال بولس " معيبة"!!!! كلمة الرب (القرآن والسنة النبوية) قد أعلنت من مكة حيث نزلت الكثير من السور القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة. أما أناجيل النصارى ورسائل بولس، فلم تكتب في القدس كما هو معلوم.

وجاء في سفر إشعياء ٣٣: ١٩ - ٢٤: " لن ترى الشعب الشرس فيما بعد، الذي يتكلم لغة أجنبية لا تفهمها. التفت إلى صهيون مدينة أعيادنا، فتكتحل عينك بمراى أورشليم، المسكن المطمئن والخيمة الثابتة التي

(١) - سهيل التغلبي " مسيحي"، " الصهيونية تحرف الإنجيل" هامش ص ٦

لا تقلع أوتادها إلى الأبد ولا تنقطع حبالها هناك يكون الرب لنا بجلاله مكان أنهار وجداول واسعة لا يبهر فيها قارب ذو مجداف، ولا تمخر فيها سفينة عظيمة، لأن الرب هو قاضينا، الرب هو مشترعنا، هو ملكنا وسيخلصنا لقد استرخت حبال أشرعتك، فلا يمكنك شدة قاعدة السارية أو نشر الشراع، حينئذ نقسم الغنائم الوفيرة. حتى العرج ينهبون السلب. لن يقول مقيم في صهيون إنه مريض، وينزع الرب إثم الشعب الساكن فيها" صهيون هنا أيضا هي مكة لا القدس، ومن الأدلة على ذلك: بيت الرب يقع في أرض قوم يتكلمون لغة أجنبية، أي غير لغة بني إسرائيل. وقد كان عرب مكة يتكلمون اللغة العربية، أما بيت المقدس فقد كانت أهم أماكن تواجد بني إسرائيل زمن المسيح ابن مريم عليهما السلام. صهيون الموعودة ستكون مقر أمان إلى يوم القيامة، ومعلوم بالاضطرار حرمة الحرب في مكة، كما أنها لم تعرف الحروب عامة، في حين أن القدس قد حلت بها الكثير من الحروب والمجازر. ظهرت الشريعة الإلهية والحكم والسلطان الأرضي لنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم في مكة، وما عرفت القدس سلطة المسيح عليها. ظهرت الغنائم الوفيرة لأهل مكة مع ظهور الإسلام، أما القدس فقد عرفت صلب المسيح كما هو معتقد النصارى.

وجاء في سفر إشعياء ٤٠ : ٩ - ١١ : " اصعدي إلى جبل شامخ يا حاملة البشارة إلى صهيون. ارفعي صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم. اهتفي ولا تجزعي. قولي لمدن يهوذا: ها إلهكم قادم بقدرته وقوته، وذراعه تحكم له، وها أجرته معه ومكافاته أمامه. يرعى قطيعه كراع، ويجمع الحملان بذراعه، وفي أحضانه يحملها ويقود المرضعات برفق".

ويظهر من هذه النبوءة أن المنتظر في صهيون: سيكون قويا جلدا، لا ضعيفا مهينا. سيكون صاحب ذراع قوي يقيم بها دولة. سيرى ثمرة جهادة في أيام حياته. سيرعى بنفسه قومه وسيكون قائدهم الحقيقي. سيكون رفيقا بالضعفاء، حافظا لجناح الرحمة لمن هم تحت أمره. هذه الصفات دقيقة في وصف محمد صلى الله عليه وسلم القائد الحاكم في أمة الإسلام الذي أقام دولة الإسلام في حياته... ولا تنطبق على يسوع الكنيسة الذي عاش مستضعفا ومات مقتولا!!

وجاء في سفر إشعياء ٦٠ : ١ - ٧ : " قومي استضيئي، فإن نورك قد جاء، ومجد الرب أشرق عليك. ها إن الظلمة تغمر الأرض، والليل الدامس يكتنف الشعوب، ولكن الرب يشرق عليك، ويتجلى مجده حولك، فتقبل الأمم إلى نورك، وتتوافد الملوك إلى إشراق ضيائك. تأملي حولك وانظري، فها هم جميعا قد اجتمعوا، وأتوا إليك. يجيء أبناؤك من مكان بعيد، وتحمل بناتك على الأذرع. عندئذ تنظرين وتهللين، وتطغى الإثارة على قلبك، وتمتلئين فرحا لأن ثروات البحر تتحول إليك وغنى الأمم يتدفق عليك. تكتنظ أرضك بكثرة الإبل. من أرض مديان وعيفة تغشاك بكران، تتقاطر إليك من شبا محملة بالذهب واللبن وتذيع تسبيح الرب. جميع قطعان قيذار تجتمع إليك، وكباش نبايوت تخدمك، تقدم قرايين مقبولة على مذبحي، وأبجد بيتي البهي. "

إن دواب ابنا إسماعيل: قيذار، ونبايوت (البكر: سفر التكوين ٢٥ : ١٣) ، لم تجتمع لغير بيت الله الكعبة. وما اجتمعت قط لهيكل أورشليم. ولم تندفق ثروات الأرض وخيرات الأمم البعيدة على أرض غير أرض مكة. أما أورشليم فقد انهكتها الغزوات والحروب وانفض عنها أهلها، بالإضافة إلى أنها " الأرض المقدسة لبني إسرائيل " لا " الأمم "!

وجاء في سفر إشعياء ٦٠ : ١٠ - ٢٢ : " يعمر الغرباء أسوارك، ويخدمك ملوكهم، لأني في غضبي عاقبتك، وفي رضاي رحمتك. تفتتح أبوابك دائما ولا توصل ليل نهار، ليحمل إليك الناس ثروة الأمم، وفي موكب يساق إليك ملوكهم، لأن الأمة والمملكة التي لا تخضع لك تهلك، وهذه الشعوب تتعرض للخراب الساحق. يأتي إليك مجد لبنان بسروه وسنديانه وشريينه لتزيين موضع مقدسي، فاجعل موطنيء قدمي مجيدا. ويقبل إليك أبناء مضايقيك خاضعين، وكل الذين احتقروك ينحنون عند قدميك، يدعونك مدينة الرب، صهيون قدوس إسرائيل. وبعد أن كنت مهجورة ممقوتة لا يعبر بك أحد، سأجعلك بهيمة إلى الأبد، وفرح كل الأجيال، وتشريين لبن الأمم، وترضعين ثدي الملوك، وتدرकिन أي أنا الرب مخلصك وفاديك عزيز يعقوب. وعوضا عن النحاس أجلب لك الذهب، وبدل الحديد آتي لك بالفضة، وعوض الخشب نحاسا، وبدل الحجارة حديدا، وأجعل ولاتك مصدر سلام، ومسخريك يعاملونك بالعدل.

ولا يسمع بظلم في أرضك، ولا بدمار أو خراب داخل تخومك، وتدعين أسوارك خلاصا، وبواباتك تسايح. ولا تعود الشمس نورا لك في النهار ولا يشرق ضوء القمر عليك لأن الرب يكون نورك الأبدي، وإهلك يكون مجدك. ولا تغرب شمسك من بعد، ولا يتضاءل قمرك، لأن الرب يكون نورك الأبدي، وتنقضي أيام مناحتك. ويكون شعبك جميعا أبرارا ويرثون الأرض إلى الأبد، فهم غصن غرسي وعمل يدي لأتمجد. ويضحى أقلهم ألفا، وأصغرهم أمة قوية، أنا الرب أسرع في تحقيق ذلك في حينه. "

إنها صفات متزاحمة متلاحمة، تؤكد أن البشارة المذكورة متعلقة بمكة كما يقول المسلمون، لا أورشليم القدس كما يزعم النصارى، إذ مكة هي التي فتحت أبوابها ليل نهار ولم توصل حتى أن الواحد ليس بإمكانه أن يطوف بالكعبة لوحده ولو كان في آخر الليل لكثرة الطائفين ولا استمرار هذه العبادة منذ قرون طويلة، أما القدس فقد تعرضت إلى نكبات شديدة وتوقفت العبادة في الهيكل مرات عديدة. مكة (الكعبة) هي التي أقبلت إليها الشعوب حاملة الخيرات، وهي التي خضع لها الملوك والجبابة، وكان نور العدل والخير ملازما لها ولأهلها. أما القدس فلم تتوجه لها الأمم قبل ظهور النصرانية، وما توجه لها النصارى توجه المسلمين إلى مكة، بل الحج عند القوم شعيرة مهملة وعبادة منسية.

ومكة (الكعبة) هي التي أشرق عليها نور التوحيد وامتنع على ظلمة الشرك أن تقتحم حصونها إلى الأبد وأنزل الله سبحانه قوله: { وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا } [سورة الإسراء ٨١] ، أما القدس فقد عربد فيها المشركون قرونا طوالا قبل المسيح وبعده..

جاء في سفر إشعياء ٦٥ : ٨ - ١٠ : " ولكن هذا ما يقوله الرب: كما أن (الكرام) لا يطرح العنقود الفاسد إذ يقال له إن في عنبه بعض الخمر الطيب، كذلك لن أطرح من أمامي كل إسرائيل لثلا أقضي على خدامي جميعا. بل أخرج من صلب يعقوب ذرية، ومن يهوذا وارثا لجبالي، فيملكها مختاري، ويقيم فيها عبيدي، وتصبح أرض شارون مرعى للقطعان، ووادي عخور مريض بقر لشعبي الذي طلبني "

سفر إشعياء ٦٥ : ١٤ - ١٥ : " ويترنمون في غبطة القلب وأنتم تعولون من أسى القلب، وتولولون من انكسار الروح، وتخلفون اسمكم لعنة على شفاه مختاري، ويميتكم الرب ويطلق على عبيده اسما آخر. "

سفر إشعياء ٦٥ : ١٧ - ١٩ : " لأنني ها أنا أخلق سماوات جديدة وأرضا جديدة، تمحو ذكر الأولى فلا تعود تخطر على بال إنما افرحوا وابتهجوا إلى الأبد بما أنا خالقه، فها أنا أخلق أورشليم بمحجة، وشعبها فرحا. وأبتهج بأورشليم وأغتبط بشعبي، ولا يعود يسمع فيها صوت بكاء أو نحيب. "

يفهم من هذه النصوص أن من أبناء يعقوب ويهوذا من سيرثون "جبال الله" .. وقد كان، فقد أسلم طائفة من أبناء يعقوب ويهوذا، وملكو جبلا كثيرة ما ملكها من بقوا على اليهودية من بني إسرائيل. أما "شارون" فهي أرض خصبة في فلسطين معروفة بزهورها الحمراء، وقد ربطت شارون هذه ببلاد العرب في سفر إشعياء (٣٣ : ٩) حيث جاء النص العبري "ها شارون كعربة" أي - كما يقول فدياريق - "شارون هي مثل البلاد العربية" ولكن حوت "البلاد العربية" إلى "البرية" في التراجم المتداولة. وقد أعطيت خصوبة شارون إلى البلاد العربية كما هو قول النبي إشعياء في سفره (٣٥ : ١ - ٢) : " ستفرح الصحراء والفقر الأجرد، وتبتهج البرية وتزهر كالورد. تزهو ازدهارا، وتبتهج أشد بمحجة ويضفي عليها مجد لبنان وجلال الكرم وشارون ويشهدون مجد الرب وبهاء إلهنا. "

وقد اختلفت الآراء فيما يتعلق ب " وادي عخور"، لكن معناها الحرفي هو " أرض حزن وفقر" وهي ستصبح أرض طمأنينة وأمن، وكذلك كانت مكة وصارت مع ظهور نبي الإسلام. من رفضوا الإسلام من بني إسرائيل بكوا من سويداء قلوبهم وولولوا من انكسار أنفسهم، أما من قبلوا الإسلام منهم فقد ترموا في غبطة القلب. السماء والأرض الجديدتان: هما أمة وشريعة تظهران بعد خمول ذكر بني إسرائيل. الأمة: أمة الإسلام، والشريعة هي شريعة الإسلام.

الوادي الذي اسمه " بكه" هو في الأصل العبري = Bacah = بكه" و " الهاء" في آخر الكلمة دليل على أن هذا المكان معروف بين الناس. نازلوا هذا الوادي سيسبحون ربهم دائما. وهذا يصح بالحرف على سكان مكة أهل التعبد والتبتل وكذلك الحجاج والمعتمرون المتوافدون على مكة للتعبد والتبتل. الظهور أمام الرب في صهيون دليل على الحج السنوي في مكة. وليسمح لي معربو الكتاب المقدس أن أسألهم أن " يتقوا الله!! " وأن يسايروا التراجم الانجليزية الحديثة في ما ذهبت إليه من وضع كلمة " بكه" بدل " وادي البكاء!!؟؟!! ". إن مكة التي استفاض الخبر عن أنه سوف يخرج منها الله سبحانه، نبي آخر الزمان، والتي أصبحت قبله آخر الأمم، ومركز المتعبدين في الأرض، وهي التي تهوى إليها الأفئدة ... هي أيضا مركز العالم، وهذه حقيقة علمية تم اكتشافها أخيرا^(١) .

(١) - يروي العالم المصري الدكتور حسين كمال الدين قصة الاكتشاف الغريب فيذكر: " أنه بدأ البحث وكان هدفه مختلفا تماما، حيث كان يجري بحثا ليعد وسيلة تساعد كل شخص في أي مكان من العالم، على معرفة وتحديد مكان القبلة، لأنه شعر في رحلاته العديدة للخارج أن هذه هي مشكلة كل مسلم عند ما يكون في مكان ليست فيه مساجد تحدد مكان القبلة، أو يكون في بلاد غريبة، كما يحدث لمئات الآلاف من طلاب البعثات في الخارج، لذلك فكر حسين كمال الدين في عمل خريطة جديدة للكعبة الأرضية لتحديد اتجاهات القبلة عليها. وبعد أن وضع الخطوط الأولى في البحث التمهيدي لإعداد هذه الخريطة، ورسم عليها القارات الخمس، ظهر له فجأة هذا الاكتشاف الذي أثار دهشته.. فقد وجد العالم المصري أن موقع مكة المكرمة في وسط العالم. وأمسك بيده "برجلا" وضع طرفه على مدينة مكة، ومر بالطرف الآخر على أطراف جميع القارات فتأكد له أن اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة توزيعا منتظما.. ووجد مكة - في هذه الحالة - هي مركز الأرض اليابسة. " (محمد كامل عبد الصمد الإعجاز العلمي في الإسلام - السنة ص ١٤٣ - ١٤٤) يذكر العلماء أن الأرض شأنها شأن أي كوكب آخر تتبادل مع الكواكب والنجوم قوة جذب تصدر من باطنها.. وهذا الباطن يتركز في مركز لها يصدر منه ما يمكن أن نسميه إشعاعا، وقد اكتشف عالم أمريكي في علم الطبوغرافيا أن مركز تلافي الإشعاعات الكونية هو مكة وهو عالم غير مسلم! (المصدر السابق ص ١٤٥)

اعتراض النصارى : يقول سام شمعون : " يدعي بدوي أن المزمير (٨٤ : ٦) يشير إلى حج المسلمين إلى الكعبة في مكة، ذلك أن كلمة "البكا" هي اسم آخر لمكة في القرآن . مرة أخرى تظهر القراءة الدقيقة للنص الاعتقاد الخاطيء من وراء هذا التفكير . فالعهد القديم يذكر أن "البكا" لا تقع في الجزيرة العربية بل شمالي إسرائيل وهذا ما ذكر في النص: " يذهبون من قوة إلى قوة يرون قدام الله في صهيون. " (المزمير ٨٤ : ٧) . كما أن كلمة "البكا" تعني باللغة العربية "الانتحاب" أو "شجر البلسم". لذلك أمكن ترجمة " وادي البكا" على أنه وادي أشجر البلسم ونجد إشارة إلى هكذا مكان في وادي الرفاثيين وهي منطقة تبعد حوالي ٣ - ٤ أميال جنوبي غربي أورشليم: " ثم عاد الفلسطينيون فصعدوا أيضا وانتشروا في وادي الرفاثيين. فسأل داود من الرب فقال: " لا تصعد، بل در من ورائهم وهلم عليهم مقابل أشجار البكا" (صموئيل الثاني ٥ : ٢٢ - ٢٣) . وبما أن وادي البكا لا يبعد أكثر من خمسة أميال عن أورشليم، أمكن لكاتب المزمير أن يذكر حجاجا يجتازون وادي البكا للمثول أمام الله في صهيون (الأعداد ٥ - ٧) . والقارئ مدعو لمراجعة المسافة بين أورشليم ومكة ومن ثمة استعمال المنطق ليستنتج احتمال دعوة كاتب المزمير للحجاج الإسرائيليين أن يعرجوا على مكة في طريقهم إلى موسم الحج السنوي في جبل صهيون. (١)

الرد من وجوه: هيكل أورشليم لم يكن موجودا في زمن داود صاحب المزمور . لم يرد في الكتاب المقدس أن وادي البكا يقع شمالي إسرائيل. ذكرنا من قبل معنى " صهيون". لماذا قام شمعون بترجمة كلمة " بكة" رغم أن المترجمين الأوائل لم يفعلوا ذلك!!! كلمة "بكة" دليل على اسم المكان، والحجة هي ورود أمر شبيه بهذه الصورة في الكتاب المقدس، فقد جاء ذكر، Valley of Ajalon , Valley of Eshcol , Valley of Zared , Valley of Gerar والمقابل العربي لهذه الأسماء في تراجم الكتاب المقدس: وادي جرار، وادي زرد، وادي اشكول، وادي ايلون.. وكما ترى لم تترجم أسماء هذه الأماكن.. ولكن انقلب الأمر مع " بكة" التي تحولت على أيدي أقطاب الكنيسة العربية إلى " بكاء"!!

هل أمر ضبط مكان " وادي البكا" عند النصارى، بهذه البساطة التي ذكرها " شمعون"؟! اقرأ ما جاء في طائفة من أشهر التعليقات على الكتاب المقدس حول المزمور السابق الذكر:

- جاء في كتاب = The Harper Collins Study Bible = وهو تعليق على الترجمة الشهيرة، Standard Version The New Revised = وقد وصفه الباحث بيل مويرز بقوله: " ليس بإمكان أي أحد يبحث عن معنى في الكتاب المقدس دون أن يكون هذا الكتاب بين يديه" ، في الصفحة ٨٧٩ تعليقا على المزمور ٨٤ : ٦ : " وإذ يعبرون في وادي البكاء الجاف": " وادي بكة" مجهول، لكن يظهر أنها منطقة قاحلة في الطريق إلى أورشليم. "

جاء في كتاب The New John Gill Exposition of the Entire Bible == بعض المعلقين قالوا أن أرض " بكة" تقع في المكان المذكور في سفر صموئيل الثاني ٥ : ٢٢ - ٢٣ وقال آخرون

(١) - جاء الاعتراض في كتاب " ردا على د. جمال بدوي" محمد في الكتاب المقدس = Muhammad in te Bible = Answering Dr Jamal Badawi: "" للمنصر المعروف والذي يعد أوقع الطاعنين في الإسلام في أمريكا، " سام شمعون = Sam Shamoun = "ص ١٣ (من الترجمة العربية)

أما تقع في المكان المذكور في سفر القضاة ٢: ١-٥ (!!) .. ثم أضاف هذا التعليق الموسع أن هذا المكان هو كل منطقة يمر عبرها الحجاج إلى صهيون!!!

في التعليق المسمى "The International Bible Commentary" جاء عنوان هذا المزمور هكذا: " شهادة حاج" .. ورغم أن المشرف على هذا التعليق هو الاعتدالي الشهير ف. ف. بروس صاحب الجدلليات الباطلة في الانتصار للكتاب المقدس فإننا لم نقرأ أي تعليق على كلمة " بكه" !! .. ولو أنها كانت تعني ذاك المكان في فلسطين لما تردد في ذكره!

ترجمة = The New American Bible = وهي الترجمة الانجليزية الرسمية للكنيسة الكاثوليكية. وقد طبعت معها دراسة مقتضبة هامة (مقدمات وشرح) . جاء في التعليق في الهامش: " وادي بكة: عبرية غامضة، ربما هو وادي في الطريق إلى اورشليم".

- جاء في كتاب C. H. Spurgeons The Treasury of David : " من الراجح أنه توجد هنا إشارة إلى مكان، وهو مكان لن يفك (مبني للمجهول) لغزه (أي: لن يعرف) ، لكن المعنى العام واضح بصورة كافية. هناك فرحة الحجاج ... "

التعليق المسمى Bible ==The International Study وهو تعليق على أكثر التراجم الإنجليزية استعمالا في الولايات المتحدة (كما تدل على ذلك الاحصائيات) ... وقد لاقى هذا التعليق المرافق رواجاً ونجاحاً. جاء في الصفحة ٨٦٨ تعليقا على ورود كلمة " بكة": " المكان مجهول وربما هو رمزي"!!!! خلاصة هذه النقطة:

* اعترفت هذه الشروح التي يشرف عليها أئمة الدراسات الكتابية في الغرب، على اختلاف مشاربهم المعرفية وتوجهاتهم، أن " بكة" هي أرض لا يعلمون مكانها.. ولو أنها كانت المكان الذي أشار إليه النصراني المعارض لقطعوا بذلك!

* غاية ما استطاعه المعلقون هو الاجتهاد.. الفضفاض.. الذي يظهر أنه لا حجة لهم في اجتهادهم.

* أوردت جل التراجم الإنجليزية الحديثة هذه الكلمة على صورتها الأولى دون ترجمتها.

* اعترفت الشروح السابقة بأن نص المزمور متعلق بالحج.

* لا يملك النصراني تفسيراً يقينياً لورود كلمة " بكه" في نص المزمور.

الحقائق الثلاث الأخيرة تقوي حجة المسلمين الذي يقررون أنهم يعرفون أين تقع " بكة" (دون حاجة إلى ترجمة معناها) .. كما أنهم قادرون على ربط هذا المكان بالحج و " النبع الفيض" (بئر زمزم) .

جاء في معجم الكتاب المقدس Knowledge ==The Treasury of Scripture: حول عبارة " بكا" في هذا المزمور: " بكا: ربما هي شجيرة عريضة، ما زال العرب يسمونها بهذا الاسم (انظر سفر

صموئيل الثاني (٥ : ٢٣) .. وجاء في التعليق الكلاسيكي (في ١٠ مجلدات) على العهد القديم ل س .
ف. كيل Keil.F.C وفرنز دليتزsch Franz Delitzsch والمسمى = Commentary on the
=Old Testament والذي نشرت أول طبعاته سنة ١٨٦٦ م وأظهر فيه مؤلفاه معرفة باللغة العربية
بالإضافة إلى اتقائهما للغة العبرية، أن كلمة "بكا" هي اسم لشجرة معروفة في "مكة". وهي باللغة العربية
شجرة "التوت".

ونقول: شجرة البكا كانت معروفة ومشهورة في مكة العربية.. وهي اسم لواد في فلسطين لم يستطع أساطين
الدرسات الكتابية في الغرب القطع بمكانه!! كلام يستعصي على الائتلاف.. بل الحق أن مكة العربية كانت
تسمى "بكه" بسبب كثرة شجر التوت فيها. ولا داعي للقفز من بلاد العرب إلى بلاد الشام فرارا من بشارة
النبي داود عليه السلام بحج المسلمين إلى مكة (١) !

وزعم شمعون أن رحلة الحج إلى أورشليم غير معقولة لبعده المسافة.. والرد هو أن سليمان بن داود عليهما
السلام (وداود هو صاحب المزمور) كان عليه أن يمر على مكة لبلوغ أرض شيبا ليتزوج ملكتها.. وقد حكم
عليه السلام منطقة شيبا، وهذا يدل على صلة قومه بمكة والعبور إليها وعلى أن الرحلة ليست شاقة على
الصورة التي يصورها شمعون، كما أن المشقة لا تمنع من أداء الفريضة وإظهار الإذعان لأمر الله.. ثم، إن داود
نفسه قد انتقل إلى بلاد العرب (صحراء فاران) بعد موت صموئيل كما هو مذكور في سفر صموئيل الأول
٢٥ : ٢ (كما هو في كثير من التراجم العربية والإنجليزية..).

وقال القس لبيب ميخائيل في كتابه "أعظم من جميع الأنبياء" معترضا على المسلمين: " وقالوا أن
الكلمات المذكورة في المزمور الرابع والثمانين والتي تقول " طوبى لأناس عزهم بك طرق بيتك في قلوبهم. عابرين
في وادي البكاء يصيرونه ينبوعا.. يذهبون من قوة إلى قوة. يرون قدام الله في صهيون" (مزمور ٨٤ : ٥ - ٧)
هي نبوة عن محمد، لأن وادي البكاء ممكن أن ينطق وادي "بكة"، و "بكة" هي "مكة"، ومحمد جاء من
مكة، ولست أرى نفسي بحاجة للتعليق على هذا التفسير، لأنه يحمل في كلماته ما يخرج عنه أي قواعد
للتفسير.."

الرد : هي عثرة ليس لها مقييل، مشعرة بخلو صاحبها من التحصيل، أيها القارئ.. إن واقع الحال هو
أن الأصل العبري يقول "بكه"، لا أن " وادي البكاء" يمكن أن ينطق "بكه" بزعم المسلمين كما يدعي هذا
المفلس من حلية العلم والأدب.. فمن المحرف؟!.. إن بقية النص يقررون أن " العبارة العبرية تنطق كما
تنطق كلمة "بكه" .. ويزعمون أن " بكاء" تفسير للكلمة العبرية.. والقس " غير اللبيب" يجعل ترجمته العربية
المحرفة، الأصل المتحاكم إليه..

الخلاصة : سماها النص العبري بكه، وتقرأ: (بعيمق هبكا)، أي وادي بكه. والنص كما جاء في ترجمة
الكاثوليك كالتالي: "يجتازون في وادي البكاء، فيجعلونه ينابيع ماء، لأن المشترك يغمهم ببركاته، فينطلقون من

(١) - نقلا عن د . سامي عامري محمد في الكتب المقدسة (٢٨٠-٣٠٠) مرجع سابق

قوة إلى قوة، إلى أن يتحلى لهم إله الآلهة في صهيون" (٨٣ / ٧ - ٨). وهذا الاسم العظيم (بكة) هو اسم بلد محمد الاسم الذي سُمي القرآن الكريم به مكة البلد الحرام {إن أول بيتٍ وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين} [آل عمران: ٩٦]، وبركة هذا البيت بما جعل الله لقاطنيه وقاصديه من مضاعفة الحسنات عنده، فصلاة فيه كما أخبر نبينا تعدل أكثر من ألف صلاة فيما سواه (١)، فصدق فيه قول المزمور: "لأن يوماً واحداً في ديارك خير من ألف".

لكن علماء الكتاب المقدس لن يسلموا لنا بأن المقصود من وادي البكاء وادي مكة (بكة)، فقد أحالوا وادي البكاء من اسم جغرافي إلى فكرة تجريدية، لن تستطيع أن تعرف لها مكاناً على الخارطة، فقالوا: "أما وادي البكاء المذكور في المزمور ٨٤: ٦ فرمما يكون بقعة جغرافية. ولكن يرجح أنه مجرد فكرة تحمل معنى عميقاً، فإن أولئك الذين لهم اختبار طيب مع الرب، بنعمته تتحول المآسي في حياتهم إلى أفراح". (٢) لكن ترجمات عربية وعالمية تخلصت من اسم (بكا و وادي البكاء)، واستبدلتها بكلمة (وادي البلسان) كما في الرهبانية اليسوعية وغيرها، وقد اعتمدوا في ذلك على مخطوطات قديمة.

يقول الآباء اليسوعيون في نسخة الرهبانية اليسوعية تعليقاً على استخدامهم لفظة "وادي البلسان": "في الترجمات القديمة وفي بعض المخطوطات "وادي البكاء"، ولفظ الكلمتين واحد". (٣) ورغم ما يكتنف تغيير اسم (بكا) إلى (البكاء والبلسان) من تحريف متعمد؛ فإن ثمة دلالة واضحة في كلا الكلمتين (البكاء والبلسان) التي درجت النسخ والتراجم على استعمالهما، فكلاهما يدل على مكة المكرمة دون غيرها. فإن بكاً سميت كذلك نسبة إلى شجر البلسان الذي يخرج منه مادة صمغية تشبه دموع البكاء، وهو شجر ينبت - حسب اعتراف علماء الكتاب المقدس - في مكة المكرمة، يقول كتاب قاموس الكتاب المقدس عن أشجار البكا: "ربما يقصد به شجر البلسم أو ما يشبهه. ففي بلاد العرب، قرب مكة شجر بهذا الاسم، يشبه شجر البلسم أو البلسان، وله عصاره بيضاء لاسعة، وقد سمي شجر البكا، نسبة لن تلك الأشجار تنضج بالصمغ، أو نسبة لقطرات الندى التي تقع عليه". (٤)

وتزيدنا دائرة المعارف الكتابية يقيناً بأن وادي البلسان هو وادي مكة المكرمة، فتقول: "أما البلسان الحقيقي الذي ذكره المؤلفون القدماء فهو "بلسم مكة" الذي مازالت مصر تستورده من شبه الجزيرة العربية - كما كان الأمر قديماً -، وهو عصير الشجرة المعروفة علمياً باسم (Balsamo Dendron Apabatsmum) والتي تنمو في جنوب الجزيرة العربية وفي الحبشة، وهي شجرة صغيرة غير منتظمة الشكل، قشرتها ضاربة إلى الصفرة في لون شجرة الدلب". (٥)

أمة الملكوت القادم : الأمة الجديدة، وصفاتها؟

(١) - وذلك في قوله - صلى الله عليه وسلم -: ((صلاة في مسجدي هذا [أي مسجد المدينة المنورة] خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام)). رواه البخاري ح (١١٩٠)، ومسلم ح (١٣٩٥).
(٢) - انظر: دائرة المعارف الكتابية (٢/ ١٨٧)، وقاموس الكتاب المقدس، ص (٥٠٧).
(٣) - وفي قاموس الكتاب المقدس ورد أن "كلمة Baca (بكا) قد تعني بلسان". انظر: ص (١٧٨).
(٤) - قاموس الكتاب المقدس، ص (٥٠٧)، وانظر دائرة المعارف الكتابية (٢/ ١٨٧).
(٥) - دائرة المعارف الكتابية (٢/ ١٨٩) والفقرة كلها عن د. منقذ السقار، هل بشر الكتاب المقدس بمحمد صلى الله عليه وسلم ص ٤٨ وما بعدها.

يقول إشعيا على لسان الوحي: " أصغيتُ إلى الذين لم يسألوا، وُجِدت من الذين لم يطلبوني، قلت: ها أنذا ها أنذا لأمةٍ لم تسمَّ باسمي. بسطت يدي طول النهار إلى شعب متمرد سائر في طريق غير صالح وراء أفكاره، شعب يغيظني بوجهي دائماً.... " (إشعيا ٦٥ / ١ - ٣). ذكر النص انتقال النبوة والأمر عن الأمة القاسية العاصية إلى أمة لم تطلب الله قبل، ولم تسم باسم الله. إنها الأمة الأمية التي لم ينزل عليها كتاب.

ويؤكد حزقيال رفع الملك والشريعة من بني إسرائيل، ودفعه لأمة مهملة وضيعة، فيقول: " إني أنا الرب، وضعتُ الشجرة الرفيعة، ورفعتُ الشجرة الوضيعة، وأبيستُ الشجرة الخضراء، وأفرختُ الشجرة اليابسة، أنا الرب تكلمت وفعلت " (حزقيال ١٧ / ٣٢).

وقال يوحنا المعمدان في سياق تحذيره بني إسرائيل من الغضب الآتي الذي سيسلطه الله عليهم: " والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار، أنا أعمدكم بماء التوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار " (متى ٣ / ١٠ - ١١)، (وانظر مثل التينة التي لا تثمر في لوقا ١٣ / ٦ - ٩) لقد كان المسيح الفرصة الأخيرة للإبقاء على الاصطفاء والاختيار، فقد وضع الفأس على أصل الشجرة، فلما كفروا به وحاولوا قتله، قطعت الشجرة الخضراء وبيست، ودفعت للنار، نار الغضب الإلهي والضلال، وأزهرت شجرة أخرى كانت يابسة.

نعم، لقد أبيس الله شجرة بني إسرائيل وأحرقها، وأفرخ شجرة أخرى كانت يابسة لم تظهر فيها النبوات من لدن إسماعيل عليه السلام، فكانت هي الأمة التي سلطها الله على بني إسرائيل، وهو أمر لا يخفى على من تأمل حاله عليه الصلاة والسلام مع يهود بني النضير ثم يهود بني قينقاع ثم فتكه ببني قريظة، وقضاؤه على آخر تجمعاتهم في جزيرة العرب، في غزوة خيبر.

ويقول النبي حزقيال أيضاً: " أنت أيها النجس الشرير رئيس إسرائيل الذي قد جاء يومه في زمان إثم النهاية، هكذا قال السيد الرب: انزعِ العمامة وارفعِ التاج، هذه لا تلك، ارفعِ الوضيع، وضعِ الرفيع، منقلباً، منقلباً، منقلباً أجعله، هذا لا يكون حتى يأتي الذي له الحكم، فأعطيه إياه " (حزقيال ٢١ / ٢٥ - ٢٧).

فإذا جاء صاحب الحكم، النبي الخاتم، تنقلب الأمور، وترفع العمامة أي تنسخ الشريعة من بني إسرائيل، فالعمامة رمز للكهنة الهارونيين الموكلين بأمر الشريعة في أسباط بني إسرائيل، والذين أمروا بملايس خاصة، منها العمامة. (انظر الخروج ٢٨ / ٣٦ - ٣٧) كما يرفع التاج (الملك)، وحينئذ تصبح الأمة المزدولة أمة مختارة، والأمة المختارة أمة مردولة، كما قال داود: " الحجر الذي رفضه البنائون قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا " (المزمور ١١٨ / ٢٢ - ٢٣) لكنه حقيقة.

وقد ضرب المسيح للتلاميذ مثل الكرامين ثم قال: " الحجر الذي رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا، لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره " (متى ٢١ / ٤٢ - ٤٣). وقد قال المسيح لتلاميذه بعد أن قص عليهم مثلاً من أمثال الملكوت

(مثل الزرع): " فانظروا كيف تسمعون، لأن من له سيعطى، ومن ليس له فالذي يظنه له يؤخذ منه " (لوقا ٨ / ١٨)، وهكذا فهذه النصوص ذكرت أول صفة من صفات أمة الملكوت، إنها أمة مرذولة وضيعة لم تتعبد لله ولم ترسل إليها شرائعها، أمة يعجب بنو إسرائيل أن تتحول لها الريادة والاختيار.

ويقول الرب موضحاً صفة أخرى من صفات الأمة الجديدة التي ستنال ميراث البركة والنبوة من بني إسرائيل: " فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته، وقال: أحجب وجهي عنهم، وانظر ماذا تكون آخرتهم، إنهم جيل متقلب، أولاد لا أمانة فيهم، هم أغاروني بما ليس إلهاً، أغاظوني بأباطيلهم، فأنا أغيرهم بما ليس شعباً، بأمة غبية أغيظهم " (التثنية ٣٢ / ١٩ - ٢١)، إن الأمة المصطفاة، الأمة التي كانت مرذولة، هي الأمة الجاهلة أو الغبية التي يغيب الله بها بني إسرائيل، وقد قال الله تعالى عن محمد وأصحابه الكرام: { ليغيظ بهم الكفار } (الفتح: ٢٩)، وقد كاد بنو إسرائيل لهذه الأمة الجديدة فقالوا: " بأمة غبية أغيظهم " مع أن وصف الغباء لا توصف به الأمم، وإن وصفت بالجهل أو القسوة، فمن هذه الأمة الجاهلة أو الغبية التي ينتقم الله بها من بني إسرائيل؟ إنها أمة العرب { هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين } (الجمعة: ٢).

لكن بولس يخطئ ويجعل هذه الأمة الغبية أمة اليونان، فيقول مؤكداً انتقال الملكوت عن بني إسرائيل، لكنه يخطئ في تعيين الأمة الوارثة للملكوت: " لا فرق بين اليهودي واليوناني، لأن رباً واحداً للجميع، غنياً لجميع الذين يدعون به ... لكني أقول: أعلل إسرائيل لم يعلم، أولاً موسى يقول أنا أغيركم بما ليس أمة، بأمة غبية أغيظكم، ثم إشعياء يتجاسر ويقول: وجدت من الذين لم يطلبوني وصرت ظاهراً للذين لم يسألوا عني، أما من جهة إسرائيل فيقول: طول النهار، بسطت يديّ إلى شعب معاند ومقاوم " (رومية ١٠ / ١٢ - ٢١)، فهو يؤمن بانتقال الملكوت عن بني إسرائيل، لكنه يجعل الأمة الجديدة أمة اليونان الذين توجه لدعوتهم، وقد آمنوا به كما آمن كثير غيرهم، فلا وجه لخصوصهم به، والمعنى الذي يقصده للملكوت هو الاستجابة لدعوته، وهو معنى يضيق كثيراً عما نذكره من صفات أمة الملكوت العظيمة.

وأيضاً لا يصح أن تكون أمة اليونان هي الأمة الغبية التي ترث الملكوت، لأن اليونان أمة حضارة وعلم، وبولس نفسه يقول عن اليونانيين: " لأن اليهود يسألون آية، واليونانيين يطلبون حكمة " (كورنثوس (١) ١ / ٢٢)، فكيف يوصف طلاب الحكمة بالغباء أو الجهل؟!

فالأمة الجديدة هي - ولا ريب - أمة العرب الموعودة بالبركة دون سائر الأمم، وقد جاء في كلام إشعياء متنبئاً بالنبي الذي يظهر منها، فذكر أنه يهرب من قومه، ثم ينتصر عليهم، ويفني مجدهم بعد برهة، ليبدأ بعدها بجد جديد، وهو النبي الذي تسقط على يديه دولة بابل الفارسية، وتنكسر عند قدميه ألفتها المنحوتة فيقول: " قال لي السيد: اذهب أقم الحارس، ليخبر بما يرى، فرأى ركاباً أزواج فرسان، ركاب حمير، ركاب جمال، فأصغى إصغاء شديداً، ثم صرخ كأسد: أيها السيد أنا قائم على المرصد دائماً في النهار، وأنا واقف على المحرس كل الليالي، وهوذا ركاب من الرجال، أزواج من الفرسان. فأجاب وقال: سقطت، سقطت بابل، وجميع تماثيل آلفتها المنحوتة كسرهما إلى الأرض، يا دياستي وبني بيدري، ما سمعته من رب الجنود إله إسرائيل أخبرتك به، وحي

من جهة دومة. صرخ إليّ صارخ من سعير: يا حارس ما من الليل، يا حارس ما من الليل. قال الحارس: أتى صباح وأيضاً ليل، إن كنتم تطلبون فاطلبوا. ارجعوا تعالوا، وحي من جهة بلاد العرب، في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين، هاتوا ماء ملاقاتة العطشان، يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخيزه، فإنهم من السيوف قد هربوا ... قال لي السيد: في مدة سنة كسنة الأجير، يفنى كل مجد قي دار " (إشعيا ٢١ / ٦ - ١٦).

والنص بعد حديثه عن سقوط فارس يعود ليتحدث إلى الددانيين من أهل تيماء، ويطلب منهم حماية الهارب إلى بلادهم الوعرة، ويشرهم بفناء مجد أبناء قي دار بن إسماعيل بعد برهة بسيطة، والددانيون كما قال قاموس الكتاب المقدس هم سكان تيماء في شمال الحجاز (١)، ولا تخفى الوعورة في تضاريس تلك البلاد، والنص يبشر بانتصار المسلمين بعد سنة أو ثمان في معركة بدر أو فتح مكة على أبناء قي دار، وقي دار هو الابن الثاني لإسماعيل. (انظر التكوين ٢٥ / ١٣).

واسم قي دار يطلق أيضاً على البلاد التي غلب عليها ذرية قي دار كما في قوله: "قال الرب: قوموا اصعدوا إلى قي دار" (إرميا ٤٩ / ٢٨)، وهو المراد بقوله " يفنى كل مجد قي دار"، فهو يبشر بانتصار المسلمين على أبناء بلاد قي دار، ويقول إشعيا في وصف تلك الأمة: " من أنهض من المشرق الذي يلاقيه النصر عند رجليه دفع أمامه أمماً، وعلى ملوك سلطه، جعلهم كالتراب بسيفه، وكالغش المنذري بقوسه، طردهم، مر سالماً في طريق لم يسلكه برجليه، من فعل وصنع داعياً الأجيال من البدء. أنا الرب الأول، ومع الآخرين أنا هو " (إشعيا ٤١ / ٢ - ٤) وإذا كان النص نبوءة فبمن تحققت النبوءة؟ ومن ذا المسلط على الشعوب من قبل الرب الآتي من المشرق؟ وهي ما قد يطلق على بلاد العرب كما جاء في إرمياء "اصعدوا إلى قي دار، أخرجوا بني المشرق " (إرمياء ٤٩ / ٢٨).

ولقد كان المسلمون هم الأمة التي عذب الله بني إسرائيل على يديها، بعد أن عذبهم على يد بختنصر " لأنهم ردلوا شريعة رب الجنود واستهانوا بكلام قدوس إسرائيل، من أجل ذلك حمي غضب الرب على شعبه، ومد يده عليه وضربه حتى ارتعدت الجبال، وصارت جثثهم كالزبل في الأزقة" (إشعيا ٥ / ٢٤ - ٢٥).

ويعضي النص ليحكى عن عذاب آخر قادم على يد أمة، بل أمم قوية البطش، وهو سوى العذاب الأول "مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد، فيرفع راية للأمم من بعيد ويصفر لهم من أقصى الأرض، فإذا هم بالعجلة يأتون سريعاً، ليس فيهم رازح ولا عاثر، لا ينعمسون ولا ينامون ولا تنحل حزم أحقاتهم، ولا تنقطع سيور أحذيتهم، الذين سهامهم مسنونة، وجميع قسيهم ممدودة، حوافر خيلهم تحسب كالصوان، وبكراهم كالزوبعة، لهم زحمة كاللبوة، ويزمحرون كالشبل، ويهرون ويمسكون الفريسة، ويستخلصونها ولا منقذ، يهرون عليهم في ذلك اليوم كهدير البحر، فإن نظر إلى الأرض فهوذا ظلام الضيق والنور قد أظلم بسحبها " (إشعيا ٥ / ٢٦ - ٣٠)، فحكى هذا النص شجاعة أصحابه صلى الله عليه وسلم كما قال الله: {محمد رسول الله

والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة { (الفتح: ٢٩) .

وفي نص آخر يتحدث أشعيا عن الفرح والبهجة والعز الذي يحصل في ديار قيذار من انتصار هذا النبي .. " لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيذار. لتترنم سكان سالع ، من رؤوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا الرب مجدداً، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر، الرب كالجبار، كرجل حروب غيرته، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه" (إشعيا ٤٢ / ١١ - ١٣). وكان النص يتحدث عن السبب الذي يدعو لهذا الفرح، ألا وهو ظهور النبي المنتظر " هوذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي، وضعت روحي عليه، فيخرج الحق للأمم، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته. قسبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفئ، إلى الأمان يخرج الحق، لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته " (إشعيا ٤٢ / ١ - ٤)، فمن هو الفاتح صاحب الشريعة الذي لا ينكسر، من ذا الذي أخرج الحق لكل أمم الأرض، إنه محمد صلى الله عليه وسلم .

ويتوعد النبي إشعيا بني إسرائيل الذين يحرفون كتاب الله ولا يلتزمون شريعته، يتوعدهم بالنبي صاحب السفر المختوم، النبي الذي لا يعرف القراءة، فيقول: "الرب قد سكب عليكم روح سبات وأغمض عيونكم، الأنبياء ورؤساؤكم الناظرون غطاءهم، وصارت لكم رؤيا الكل مثل كلام السفر المختوم الذي يدفعونه لعارف الكتابة قائلين: اقرأ هذا، فيقول: لا أستطيع لأنه مختوم، أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له: اقرأ هذا، فيقول: لا أعرف الكتابة. (١)

فقال السيد: لأن هذا الشعب قد اقترب إلي بفمه وأكرمني بشفتيه، وأما قلبه فأبعده عني، وصارت مخافتهم مني وصية الناس معلمة، لذلك هانذا أعود أصنع بهذا الشعب عجباً وعجيباً، فتبديد حكمة حكمائه، ويحتفي فهم فهمائه، ويل للذين يتعمقون ليكنتموا رأيهم عن الرب، فتصير أعمالهم في الظلمة ويقولون: من يبصرنا ومن يعرفنا، يا تحريفكم، هل يحسب الجابل كالطين حتى يقول المصنوع عن صانعه: لم يصنعني، أو تقول الجبلية عن جابلها: لم يفهم، أليس في مدة يسيرة جداً يتحول لبنان بستاناً، والبستان يحسب وعراً، ويسمع في ذلك اليوم الصم أقوال السفر وتنظر من القتام والظلمة عيون " (إشعيا ٢٩ / ١٠ - ١٨)، إنه ذات المعنى الذي يتحدث عنه النصوص، شجرة خضراء تذبل، وأخرى يابسة تحضر وتورق، وذلك حين يفتح السفر المختوم على يد النبي الأمي.

وقوله: " أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له: اقرأ هذا، فيقول: لا أعرف الكتابة "، يسجل اللحظة العظيمة التي يبدأ نزول الوحي فيها على النبي صلى الله عليه وسلم، ففي صحيح البخاري عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: .. جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال:

(١) - النص في جميع الترجمات العالمية: بمعنى: "لا أعرف القراءة" فيما سوى الترجمة العربية، ولا يخفى أنه أريد من تحريف الترجمة العربية، وتحويل العبارة من (لا أعرف القراءة) إلى (لا أعرف الكتابة) نوع من التحريف أريد منه صرف القارئ العربي عن تحقق القصة بألفاظها في غار حراء. وفي النص العبراني: والتي تلفظ (كرا) تعني القراءة، لا الكتابة.

فأخذني، فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: {اقرأ باسم ربك الذي خلق - خلق الإنسان من علق - اقرأ وربك الأكرم} (العلق: ١ - ٣). (١)

وما قاله إشعيا عن أمة اليهود صدقه فيه المسيح، حين قال لليهود: "فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم، يا مراؤون، حسناً تنبأ عنكم إشعيا قائلاً: يقترب إلي هذا الشعب بفمه، ويكرمني بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً، وباطلاً يعبدونني، وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس" (متى ١٥ / ٦ - ٩). فهذه النبوة للنبي إشعيا لم تتحقق حتى زمن المسيح عليه السلام، "لذلك هانذا أعود أصنع بهذا الشعب عجباً وعجيباً، فتبید حكمة حكمائه ويختفي فهم فهمائه .. أليس في مدة يسيرة جداً يتحول لبنان بستاناً، والبستان يحسب وعراً، ويسمع في ذلك اليوم الصمّ أقوال السفر، وتنظر من القتام والظلمة عيون" (إشعيا ٢٩ / ١٤ - ١٨).

إنه يتوعدهم بالنبي صاحب السفر المختوم، النبي الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ويتحدث قبله عن النبي القارئ الذي لا يقرأ السفر، لأنه مختوم، فالنبي القارئ هو عيسى عليه السلام. (انظر لوقا ٤ / ١٦ - ١٨)، لكنه لن يقرأ السفر المختوم الذي سيقراه النبي الذي لا يعرف الكتابة "وصارت لكم رؤيا الكل مثل كلام السفر المختوم الذي يدفعونه لعارف الكتابة قائلين: اقرأ هذا، فيقول: لا أستطيع، لأنه مختوم، أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له: اقرأ هذا، فيقول: لا أعرف الكتابة" (أ).

النبي الأمي راكب الجمل في سفر أشعيا .

من أشهر ما وصف به نبي الإسلام وعرف به، "أميته" صلى الله عليه وسلم. وإذا كانت الأمية في غيره نقيصة، فإنها فيه حجة مدعمة لنبوته، فهو الذي أتى بالقرآن المعجز ببيانه وبلاغته، وإخباره بالمغيبات وبالشرائع المذهلة والضوابط الأخلاقية المتقنة. وإذا كان العالم المتمرس بالعلوم عاجزاً عن يأتي بمثل هذا القرآن، فكيف برجل أمي لا يقرأ ولا يكتب! وقد وصف الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم في أكثر من موضع من القرآن الكريم بالأمية: {الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم} [الأعراف ١٥٧] ، {فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تتقون} [الأعراف ١٥٨] أي الذي لم يكن يكتب أو يقرأ. وهو صلى الله عليه وسلم لم يتعلم هذا القرآن ولم يعلمه، وقد وعده ربه بأن يحفظ له كتابه هذا في صدره: {لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه} [القيامة ١٦ - ١٧] .

وتركيز القرآن على صفة الأمية في نبي الإسلام، وذكره أنه قد جاء التنصيص على هذه الصفة في أسفار النصارى يجعلنا نطمئن لوجود ما جاء ذكره في القرآن في ما بين أيدي هؤلاء. ولا نحتاج إلى كبير عناء للعثور

(١) - رواه البخاري في صحيحه ح (٤).

(٢) - منقول عن كتاب د. منقذ بن محمود السقار ، هل بشر الكتاب المقدس بمحمد ص ٦١-٦٩ بتصرف .

على مرادنا في الكتاب المقدس، يتوعد إشعياء النبي بني إسرائيل الذين يحرفون كتاب الله ولا يلتزمون شريعته، يتوعدهم بالنبي صاحب السفر المختوم، النبي الذي لا يعرف القراءة: " أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له اقرأ هذا فيقول لا أعرف الكتابة. " (سفر إشعياء ٢٩: ١٢) قبل أن نضع هذا النص على مشرحة البحث بين يدي العقل المنصف، علينا أن نلفت الانتباه إلى أن هذا النص في صورته العربية التي نقلناها، محرف، والسبب أن أصحاب الترجمة العربية التي بين أيدينا يعلمون معنى هذا النص، ولذلك شوهوه، والمقارنة بين التراجم الإنجليزية والفرنسية ... وبين النص العربي السابق سيكشف لك الأمر: **The New**

:International Version

،Or if you give the scroll to someone who cannot read, and say
"، dont know how to read.I "he will answer , "Read this ,please"

:The New American Standard Bible

Then the book will be given to the one who is
،illiterate, saying

" .And he will say ,=I "Please read this
=. cannot read

:The New American Bible

When it is handed to one who can not who can not read, with the
request:= read this
=he replies,= i can not read ،

.:Louis Segond

Je ne sais pas lire =:Et qui repondne sait pas lire ,en disant:Lis donc
cela! Ou comme un livre que Ion donne A un homme qui

وتعريب هذه النصوص، على اختلاف طفيف بينها: " أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف القراءة، مع الرجاء: " اقرأ
هذا" فيجيب: " لا أعرف القراءة".

من أهم مواضع الخلاف بين هذه التراجم وبين النص العربي، إضافة عبارة " مع الرجاء "، وهذه الزيادة لا تعيننا
في هذا المقام.. وإنما الذي يعيننا هو استعمال كلمة " القراءة" في هذه التراجم محل كلمة " الكتابة" في المقابل
العربي....

ويبدو أن آباء الكنيسة الأولين لم يجدوا لهذه الكلمات معنى، فهذا هو القمص تادرس يعقوب ملطي في تفسيره لسفر إشعياء (نشر كنيسة مارجرجس باسبرتنج) والذي جمع مادته من "نخبة ممتازة من تفسيرات آباء الكنيسة الأولين"، قد فسر الفصل ٢٩ من سفر إشعياء بأكمله إلا العدد موضوع حديثنا، ولكن نصارى اليوم يعرفون معنى هذا النص ولذلك حرفوا ترجمته العربية!!

حتى نفهم معنى ما جاء في نبوءة إشعياء، علينا أن نعود بالذاكرة إلى الورا، إلى ما قبل ١٤ قرن سلف: أخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: " أول ما بدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حيب إليه الخلاء. وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، قبل أن يترع إلى أهله، ويتزود إلى ذلك. ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء. فجاءه الملك.

فقال: اقرأ.

قال: ما أنا بقارئ.

قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد.

ثم أرسلني

فقال: اقرأ.

فقلت: ما أنا بقارئ.

فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني

فقال: اقرأ.

فقلت: ما أنا بقارئ.

فأخذني فغطني الثالثة

ثم قال: اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ... الحديث "

إنه من البين لكل ذي عينين، التطابق الواضح بين ما جاء في هذا الحديث وبين ما جاء في سفر اشعياء ٢٩: ١٢ " لقد دفع كتاب الوحي إلى نبي الإسلام ليقرأه: " اقرأ .. فقال هذا النبي: " ما أنا بقارئ" أي أنا أمي لا أعرف القراءة. ملاحظة أخرى لا بد من ذكرها وهي أن الكلمة العبرية المستعملة في النص العبري هي " اقرأ"، وهي نفس الكلمة الواردة في الحديث سابق الذكر.. فتأمل!!!

اعتراض النصارى: جاء في هامش الترجمة الكاثوليكية" الكتاب المقدس الأمريكي الجديد = The New American Bible = "أن نص إشعياء ٢٩: ٩ - ١٢ متعلق بالقدس (أورشليم) ، وهو يشير إلى رفض القدس (أهلها) تصديق أن الله سيخلصها.. **الرد:** أسطورة خلاص القدس على يد المسيح (النصراني) لم تتحقق، بل قام القائد الروماني تيتوس سنة ٦٦ م باحتلال القدس وتخريب المعبد، وقام الإمبراطور الروماني أدريانوس سنة ١٣٥ م بإزالة معالم القدس والهيكل تماما، ثم أصبحت المدينة وما جاورها قرونا طوالا في ملك

المسلمين الموحدين، ثم ها هي اليوم مأسورة في قفص اليهود الذين وصفهم المسيح بأنهم "أولاد الأفاعي" .. إن حمل نص إشعيا على محمد صلى الله عليه وسلم يحافظ على المعنى التنبئي الحرفي للنص، في حين أن جملة على "القدس" وأهلها ينقله إلى المعنى المجازي.. البعيد.. والأول أولى بل هو الحق!

نكمل مع رواية البخاري: ونزل النبي من على غار حراء خائفاً فرعاً، وذهب إلى ورقة بن نوفل - وكان من علماء أهل الكتاب - فقص عليه الخبر، فعرف ورقة نبوة النبي بما قرأ في سفر النبي إشعيا، فقال: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك .. لم يأت رجل بما جئت به إلا أودي، وإن يُدركني يومك حياً أنصرك نصراً مؤزراً. (١)

وأما معرفته بإخراج قريش للنبي ومعاداته، فقد عرفه ورقة من سفر إشعيا أيضاً حيث جاءت فيه البشارة بالنبي الذي يبعث في بلاد وعرة من أرض العرب، يقول السفر التوراتي في الإصحاح الحادي والعشرين: "وحي من جهة بلاد العرب، في الوعر في بلاد العرب تبيتين، يا قوافل الددانيين هاتوا ماء لملاقاة العطشان، يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بجبزه، فإنهم من السيوف قد هربوا" (إشعيا ٢١ / ١٣ - ١٤)، فالنص التوراتي يتحدث إلى قبائل الددانيين في أرض تيماء، لينجدوا النبي الذي خرج مع أصحابه هرباً من وجه السيوف، ويشير إلى مكان بعثته الوعر من بلاد العرب، وهي صفة مكة المكرمة، مكان مولده وبعثته.

فشهادة ورقة وهو من علماء أهل الكتاب دليل ساطع على نبوة النبي وهذه الشهادة موثقة معتبرة، فقد استخرجها من كتب أهل الكتاب، مما تبقى بها من آثار الأنبياء وأنوار الوحي {ويقول الذين كفروا لست برسلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب} [الرعد: ٤٣]. ومن شهد لبنينا بالرسالة من أهل الكتاب النجاشي ملك الحبشة؛ فإنه آمن بالرسول لما دخل عليه جعفر بن أبي طالب فقال له: إن الله بعث فينا رسوله، وهو الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم: {ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد} [الصف: ٦] فأمرنا أن نعبد الله، ولا نشرك به شيئاً، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر. فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبك في ابن مريم؟ قال: يقول فيه قول الله، هو روح الله وكلمته، أخرجته من البطن العذراء التي لم يقربها بشر. قال: فتناول النجاشي عوداً من الأرض فقال: يا معشر القسيسين والرهبان، ما يزيد ما يقول هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله، والذي بشر به عيسى ابن مريم، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه. (٢) لقد أسلم بما آتاه الله من معرفة بالكتب قبل الإسلام، ورأى فيها دليلاً صادقاً من دلائل نبوته ﷺ فلما مات رحمه الله؛ نعاه النبي إلى أصحابه في اليوم الذي مات فيه، وصلى عليه صلاة الغائب، وقال: ((مات اليوم رجل صالح، فقوموا، فصلوا على أخيكم أضحمة)). (٣) رحمه الله، فقد كان إسلامه دليلاً من دلائل نبوة النبي.

(١) - حديث البخاري في الصحيح رقم (٤)

(٢) - رواه أبو داود ح (٣٢٠٥)، وأحمد ح (٤٨٣٦) وابن أبي شيبة ح (٣٦٦٤٠).

(٣) - رواه البخاري ح (٣٨٧٧)، ومسلم ح (٩٥٢).

إنه راكب الجمل : قال إشعياء ٢١ : ٦ - ١٠ : " لأنه هكذا قال الرب لي : اذهب وأقم رقيباً ليعلن ما يراه. وعند ما يشاهد راكبين فرساناً أزواجاً أزواجاً، أو راكبين على حمير، وراكبين على جمال، فليصغ إصغاء شديداً. ثم هتف الرقيب: ها أنا أفق على برج المراقبة يوماً بعد يوم أيها الرب، وأقوم على المحرس طوال الليل. فيها ركب قادم، فرسان أزواج أزواج. فأجاب: سقطت سقطت بابل وتحطمت سائر أصنامها على الأرض. آه يا شعبي المطحون والمشتت، لقد أنبأتكم بكل ما سمعته من الرب القدير إله إسرائيل. "

تخبر هذه الأعداد عن قدوم طائفتين: أصحاب الراكب على حمار، وأصحاب الراكب على جمل. لا يتردد أي نصراني في القول إن ما جاء في هذه الأعداد عن الراكب على الحمار ما هو إلا نبوءة عن عيسى عليه السلام لما جاء في إنجيل يوحنا ١٢ : ١٤ : " ووجد يسوع جحشا فركب عليه، كما قد كتب: " لا تخافي يا بنت صهيون، فإن ملك قادم إليك راكباً على جحش أتان". والإشارة في " قد كتب" إلى سفر إشعياء ٤٠ : ٩ وسفر زكريا ٩ : ٩ كما هو منصوص عليه في هامش " الترجمة الأمريكية الجديدة. American BibleA The New == " فالبشارة بالمسيح في العهد القديم، كما يقول النصارى، هي بركوب الحمار. أما الراكب على الجمل فهو بلا ريب محمد صلى الله عليه وسلم. فهو الراكب على الجمل " القصواء". وهو صلوات الله عليه وسلم الذي تحطمت سائر أصنام العراق (بابل) على يدي أمتة المباركة، ولم تبلغها يد أمة أخرى قبلها بإزالة أو إبادة..

فالبشارة إذن هي بنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ولا يمكن نسبتها إلى نبي آخر. وقد فهم هذا النص على هذه الصورة النجاشي النصراني، فقد قال ابن القيم " .. وكتب إلى النجاشي: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة أسلم أنت فيني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحسنة فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاته على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فيني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى.

وبعث بالكتاب مع عمرو بن أمية الضمري فقال ابن إسحاق: إن عمراً قال له يا أوصحة إن علي القول وعليك الاستماع إنك كأنك في الرقة علينا وكأننا في الثقة بك منك لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا لنناه ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه وقد أخذنا الحجة عليك من فيك الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفي ذلك موقع الحز وإصابة المفصل وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم رسله إلى الناس فرجاءك لما لم يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه بخير سالف وأجر ينتظر.

فقال النجاشي: أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب وأن بشارته موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وأن العيان ليس بأشقى من الخير ثم كتب النجاشي جواب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم " بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشي أوصحة سلام عليك يا نبي الله من الله

ورحمة الله وبركاته الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروفا إنه كما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين" والثفروق علاقة ما بين النواة والقشر. (١)

وستقرأ لاحقاً أن هذا الوصف لمحمد صلى الله عليه وسلم موجود حتى في كتب الجوس وكتب الهندوس (كتاب آثر فيدا: ٢٠: ١٢٧ في حديثه عن ركوب " نارشنجزا" على جمل) .

موسى عليه السلام يبشر بظهور نبي ورسول مثله صاحب شريعة وملك .

وينزل موسى عليه السلام عن جبل الطور بعد ما كلمه ربه، فيقول مخاطباً بني إسرائيل : "قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلموا، أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلبه، وأما النبي الذي يطغى، فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبي. وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصبر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تخف منه " (التثنية ١٨ / ١٧ - ٢٢).

والنص كما هو واضح يتحدث عن نبي عظيم يأتي بعد موسى عليه السلام، ويذكر صفات هذا النبي، والتي نستطيع من خلالها معرفة من يكون، ويزعم النصارى أن هذا النبي قد جاء، وهو عيسى عليه السلام، لكن النص دال على نبينا ﷺ ، إذ لا دليل عند النصارى على تخصيصه بالمسيح، واليهود تدعي أنه يوشع وبعضهم يقول صموئيل ، بينما يظهر في النص عند تحليله أدلة كُثر تشهد بأن المقصود به هو نبينا إذ يذكر النص التوراتي أوصاف هذا المبعوث المبشر به :

(١) أنه نبي " أقيم لهم نبياً "، والنصارى يدعون للمسيح الإلهية، بل يدعي الأرثوذكس أنه الله نفسه، فكيف يقول لهم: أقيم نبياً، ولا يقول: أقيم نفسي، أو أقيم إلهاً.

(٢) أنه من غير بني إسرائيل، بل هو من بين إخوتهم أي أبناء عمومتهم "من وسط إخوتهم" ، وعمومة بني إسرائيل هم بنو عيسو بن إسحاق، وبنو إسماعيل بن إبراهيم، ومن المعهود في التوراة إطلاق لفظ " الأخ " على ابن العم، ومن ذلك قول موسى لبني إسرائيل: " أنتم مارون بتختم إخوتكم بنو عيسو " (التثنية ٢ / ٤)، وبنو عيسو بن إسحاق هم أبناء عمومة لبني إسرائيل، وجاء نحوه في وصف أدوم، وهو من ذرية عيسو " وأرسل موسى رسالاً من قادش إلى ملك أدوم، هكذا يقول أخوك إسرائيل: قد عرفت كل المشقة التي أصابتنا" (العدد ٢٠ / ١٤)، وفي موضع آخر " لا تكره أدومياً لأنه أخوك " (التثنية ٢٣ / ٧). فسماه أخاً، وأراد أنه من أبناء عمومة إسرائيل.

ومثله سمي سفر الأيام الملك صدقياً أحياناً للملك يهوياكين، فقال: "أرسل الملك نبوخذ ناصراً فأتى به (أي الملك يهوياكين) إلى بابل مع آنية بيت الرب الثمينة، وملك صدقياً أخاه على يهوذا وأورشليم" (الأيام (٢) / ٣٦ / ١٠)، وهو في الحقيقة عمه، كما نص عليه سفر الملوك، فقال: "ملك ملك بابل متنيا عمه عوضاً عنه، وغيّر اسمه إلى صدقياً" (الملوك (٢) / ٢٤ / ١٧ - ١٨)، فاستخدم لفظ الأخ، ومراده العم، مما يؤكد صحة هذا الاستخدام في قوله: "إخوتهم"، ومراده أبناء عمومتهم، وعليه فهذا النبي يحتمل أن يكون من العرب تحقيقاً للبركة الموعودة في نسل إسماعيل، وقد يكون من بني عيسو بكر إسحاق. لكن أحداً من بني عيسو لم يدع أنه النبي المنتظر.

(٣) والأهم هذا النبي من خصائصه أنه مثل لموسى الذي لم يقم في بني إسرائيل نبي مثله (التثنية: ٣٤ / ١٠)، وقد جاء في النسخة السامرية من التوراة ما تعريبه: "ولا يقوم أيضاً نبي في بني إسرائيل كموسى الذي ناجاه الله" (التثنية ٣٤ / ١٠)، وهذه الخصلة، أي المثلية لموسى متحققة في نبينا ﷺ، متمتعة في أخيهما المسيح عليهما جميعاً صلوات الله وسلامه، حيث نرى الكثير من أمثلة التشابه بين موسى ومحمد ﷺ، والتي لا نجدتها في المسيح، من ذلك ميلادهما الطبيعي، وزواجهما، وكونهما صاحبا شريعة، وكل منهما بعث بالسيف على عدوه، وكلاهما قاد أمته، وملك عليهما، وكلاهما بشر، بينما تزعم النصراني بأن المسيح إله، وهذا ينقض كل مثل لو كان.

وقد وصف المسيح النبي القادم بمثلية موسى، صارفاً إياه عن نفسه فقال: "لا تظنوا أنني أشكوكم إلى الآب، يوجد الذي يشكوكم، وهو موسى الذي عليه رجاؤكم، لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني، لأنه هو كتب عني، فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذلك فكيف تصدقون كلامي" (يوحنا ٥ / ٤٥ - ٤٧)، فسماه موسى المرجو أو المنتظر، لمشابهته له، وعن هذا الذي يشكو بني إسرائيل يقول المسيح: "أجاب يسوع: أنا ليس بي شيطان، لكني أكرم أبي وأنتم تهينونني، أنا لست أطلب مجدي، يوجد من يطلب ويدين" (يوحنا ٨ / ٤٩ - ٥٠).

(٤) من صفات هذا النبي أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، والوحي الذي يأتيه وحي شفاهي، يغير ما جاء الأنبياء قبله من صحف مكتوبة "وأجعل كلامي في فمه"، وقد كان المسيح عليه السلام قارئاً (انظر لوقا ٤ / ١٦ - ١٨).

(٥) أنه يتمكن من بلاغ كامل دينه، فهو "يكلّمهم بكل ما أوصيه به" وهو وصف منطبق على محمد ﷺ، فقد كان من أواخر ما نزل من القرآن عليه قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة: ٣]، وقد وصفه المسيح في نبوءة البارقليط، التي يأتي شرحها، فقال: "وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم" (يوحنا ١٤ / ٢٦).

ولا يمكن أن يكون المسيح عليه السلام هو ذلك النبي الذي يبلغ كل ما يوصيه به ربه، فقد رفع المسيح عليه السلام، ولديه الكثير مما يود أن يبلغه إلى تلاميذه، لكنه لم يتمكن من بلاغه، لكنه بشرهم بالقادم الذي سيخبرهم بكل الحق، لأنه النبي الذي تكمل رسالته، ولا يحول دون بلاغها قتله أو إيذاء قومه، يقول عليه السلام: " إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به" (يوحنا ١٦ / ١٢ - ١٣)

(٦) أن الذي لا يسمع لكلام هذا النبي فإن الله يعاقبه، " ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي، أنا أطلبه"، وقد فسرها بطرس، فقال: " ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب"، فهو نبي واجب السمع والطاعة على كل أحد. ومن لم يسمع له تعرض لعقوبة الله، وهو ما حاق بجميع أعداء النبي حيث انتقم الله من كل من كذبه من مشركي العرب والعجم، وقد قال المسيح عنه في نبوءة الكرامين - ويأتي شرحها-: "ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه" (متى ٢١ / ٤٤)، فهو الحجر الصلب الذي يفني أعداءه العصاة، والذي بشر بمقدمه النبي دانيال "وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً، ومملكها لا يترك لشعب آخر، وتسحق وتفني كل هذه الممالك، وهي تثبت إلى الأبد، لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب" (دانيال ٢ / ٢١ - ٤٥) وأما المسيح عليه السلام فلم يكن له هذه القوة وتلك المنعة، ولم يتوعد حتى قاتليه، فكيف بأولئك الذين لم يسمعوا كلامه، فقد قال لوقا في سياق قصة الصلب " فقال يسوع: يا أبتاه اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لوقا ٢٣ / ٣٤)، فأين هو من خبر ذلك " الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلبه".

(٧) من صفات هذا النبي أنه لا يُقتل، بل يعصم الله دمه عن أن يتسلط عليه السفهاء بالقتل، فالنبي الكذاب عاقبته "يموت ذلك النبي"، أي يقتل، فالقتل نوع منه، ولأن كل أحد يموت، وهنا يزعم النصراني بأن المسيح قتل، فلا يمكن أن يكون هو النبي الموعود، وبالرجوع إلى التراجم القديمة للنص نرى أن ثمة تحريفاً وقع في الترجمة، فقد جاء في طبعة ١٨٤٤م "فليقتل ذلك النبي"، ولا يخفى سبب هذا التحريف.

(٨) يتحدث عن الغيوب ويصدق الواقع كلامه، وهذا النوع من المعجزات يكثر في القرآن والسنة كما جاء سابقاً، ويكفي هنا أن أورد نبوءة واحدة مما تنبأ به، فكان كما أخبر، ففي عام ٦١٧ م كادت دولة الفرس أن تزيل الإمبراطورية الرومانية من خارطة الدنيا، فقد وصلت جيوش كسرى أبرويز الثاني إلى وادي النيل، ودانت له أجزاء عظيمة من مملكة الرومان، ففي سنوات معدودة تمكن جيش الفرس من السيطرة على بلاد الشام وبعض مصر، واحتلت جيوشهم أنطاكية شمالاً، مما يؤذن بنهاية وشيكة للإمبراطورية الرومانية، وأراد هرقل أن يهرب من القسطنطينية، لولا أن كبير أساقفة الروم أفضعه بالصمود وطلب الصلح الذليل من الفرس، ووسط هذه الأحداث، وخلافاً لكل التوقعات أعلن النبي أن الروم سينتصرون على الفرس في بضع سنين، أي فيما لا

يزيد عن تسع سنين، فقد نزل عليه قوله: {غلبت الروم - في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون - في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون - بنصر الله} (الروم: ٢ - ٥).

وكان كما تنبأ، ففي عام ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥ م استطاع هرقل أن يتخلص من لهوه ومجونه، وشن ثلاث حملات ناجحة أخرجت الفرس من بلاد الشام، وفي عام ٦٢٧ م واصل الرومان زحفهم حتى وصلوا إلى ضفاف دجلة داخل حدود الدولة الفارسية، واضطر الفرس لطلب الصلح مع الرومان، وأعادوا لهم الصليب المقدس الذي كان قد وقع بأيديهم، فمن ذا الذي أخبر محمداً بهذه النبوءة العظيمة؟ إنه النبي الذي تنبأ عنه موسى عليه السلام، يقول المؤرخ إدوار جين: "في ذلك الوقت، حين تنبأ القرآن بهذه النبوءة، لم تكن أية نبوءة أبعد منها وقوعاً، لأن السنين الاثنتي عشر الأولى من حكومة هرقل كانت تؤذن بانتهاء الإمبراطورية الرومانية". (١)

وهكذا ظهر لكل ناظر منصف أن النبي الذي تنبأ عنه موسى لم تتحقق أوصافه في المسيح العظيم عليه الصلاة والسلام، وتحققت في أخيه محمد صلى الله عليهما وسلم تسليماً كثيراً، ومما يؤكد ذلك أنه هذه الصفات مجتمعة لم تتوافر في غيره من الأنبياء، فإن اليهود لا يقولون بمجيء هذا المسيح فيما سبق، بل مازالوا ينتظرونه، إذ لما بعث يحيى عليه السلام ظنه اليهود النبي الموعود، وأقبلوا عليه يسألونه "النبي أنت؟ فأجابهم: لا" (يوحنا ١ / ٢١)، أي لست النبي الذي تنتظره اليهود، ثم أراد تلاميذ المسيح أن تتحقق النبوءة في المسيح، فذات مرة لما رأوا معجزاته "قالوا: إن هذا بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم، وأما يسوع فإذ علم أنهم مزعمون أن يأتيوا ويحتطفوه ليجعلوه ملكاً، انصرف أيضاً إلى الجبل وحده" (يوحنا ٦ / ١٤ - ١٥)، فقد أراد تلاميذ المسيح تنصيبه ملكاً ليحققوا النبوءة الموجودة لديهم عن النبي المنتظر الذي يملك ويحقق النصر لشعبه، فلما علم المسيح عليه السلام أنه ليس النبي الموعود هرب من بين أيديهم.

ويرى النصارى أن ثمة إشكالاً في النص التوراتي (التثنية ١٨ / ١٧ - ٢٢) يمنع قول المسلمين، فقد جاء في مقدمة سياق النص أن الله لما كلم موسى قال: "يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي... قد أحسنوا في ما تكلموا: أقيم لهم نبياً من وسط إخوتكم مثلك" (التثنية ١٨ / ١٥ - ١٨)، فقد وصفت النبي بأنه "من وسطك" أي من بني إسرائيل، ولذا ينبغي حمل المقطع الثاني من النص على ما جاء في المقطع الأول، فالنبي "من وسطك" أو كما جاء في بعض التراجم "من بينك" أي أنه إسرائيلي.

لكن التحقيق يرد هذه الزيادة التي يراها المحققون تحريفاً، بدليل أن موسى لم يذكرها، وهو يعيد خبر النبي على مسامع بني إسرائيل، فقال: "قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبياً من وسط إخوتكم مثلك" (التثنية ١٨ / ١٧ - ١٨)، ولو كانت من كلام الله لما صح أن يهملها.

كما أن هذه الزيادة لم ترد في اقتباس بطرس واستفانوس للنص كما جاء في أعمال الرسل قال بطرس: "فإن موسى قال للآباء: إن نبياً مثلي سيقم لكم الرب إلهكم من إخوتكم، له تسمعون في كل ما يكلمكم به" (أعمال ٣ / ٢٢)، وقال استفانوس: "هذا هو موسى الذي قال لبني إسرائيل: نبياً مثلي سيقم لكم الرب

إلهكم من إخوانكم، له تسمعون" (أعمال ٧ / ٣٧)، فلم يذكرنا تلك الزيادة، ولو كانت أصلية لذكرت في سائر المواضع^(١).

نبوءة موسى وحبوق عن البركة الموعودة في أرض فاران :

وقبيل وفاة موسى عليه السلام ساق لبني إسرائيل خبراً مباركاً، فقد جاء في سفر التثنية : "هذه البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلاًلاً من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة، فأحب الشعب، جميع قديسيه في يدك، وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك" (التثنية ٣٣ / ١ - ٣).

وأكد هذه النبوءة النبي حبوق، حيث ذكر خبراً أفزعه، لأنه يشير إلى انتقال النبوءة بعيداً عن قومه بني إسرائيل، يقول: "يا رب قد سمعت خبرك، فجزعت، يا رب عملك في وسط السنين أحيه، في وسط السنين عَرف، في الغضب اذكر الرحمة، الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران. سلاه. جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من تسبيحه، وكان لمعان كالنور. له من يده شعاع، وهناك استتار قدرته، قدامه ذهب الوبأ، وعند رجله خرجت الحمى، وقف وقاس الأرض، نظر فرجف الأمم" (حبوق ٣ / ٣ - ٦). وقبل أن نمضي في تحليل النص نتوقف مع الاختلاف الكبير الذي تعرض له هذا النص في الترجمات المختلفة.

فقد جاء في الترجمة السبعينية: "واستعلن من جبل فاران، ومعه ربوة من أطهار الملائكة عن يمينه، فوهب لهم وأحبهم، ورحم شعبهم، وباركهم وبارك على أظهاره، وهم يدركون آثار رجليك، ويقبلون من كلماتك. أسلم لنا موسى مثله، وأعطاهم ميراثاً لجماعة يعقوب".

وفي ترجمة الآباء اليسوعيين: "وتحلى من جبل فاران، وأتى من رُبي القدس، وعن يمينه قبس شريعة لهم". وفي ترجمة ١٦٢٢ م العربية: "شرف من جبل فاران، وجاء مع ربوات القدس، من يمينه الشريعة"، ومعنى ربوات القدس أي ألوف القديسين الأطهار، كما في ترجمة ١٨٤١ م "واستعلن من جبل فاران، ومعه ألوف الأطهار، في يمينه سنة من نار".

واستخدام ربوات بمعنى ألوف أو الجماعات الكثيرة معهود في الكتاب المقدس "ألوف ألوف تخدمه، وربوات ربوات وقوف قدامه" (دانيال ٧ / ١٠)، ومثله قوله: "كان يقول: ارجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل" (العدد ١٠ / ٣٦)، فالربوات القادمين من فاران هم الجماعات الكثيرة من القديسين، الآتين مع قدوسهم الذي تلاًلاً في فاران.

والنص التوراتي يتحدث عن ثلاثة أماكن تخرج منها البركة، أولها: جبل سيناء حيث كلم الله موسى وثانيها: ساعير، وهو جبل يقع في أرض يهوذا. (انظر يشوع ١٥ / ١٠)، وثالثها: هو جبل فاران، وتنبئ المواضع التي ورد فيها ذكر "فاران" في الكتاب المقدس أنها تقع في صحراء فلسطين في جنوبها، لكن تذكر التوراة أيضاً أن

(١) - هل بشر الكتاب المقدس محمد د. مقذ السقار ص ٧٥ - ٨٣، البشارة بني الإسلام في التوراة والإنجيل. أحمد حجازي السقا. دار البيان العربي. القاهرة، ١٩٧٧م. إظهار الحق. رحمة الله الهندي. (٤ / ١١١٦ - ١١٣٢) تحقيق: محمد أحمد ملكاوي. ط ١. دار الحديث. القاهرة، ١٤٠٤هـ.

إسماعيل قد نشأ في برية فاران. (انظر التكوين ٢١ / ٢١)، ومن المعلوم تاريخياً أنه نشأ في مكة المكرمة في الحجاز ، ويرى المسلمون أن النص نبوءة عن ظهور عيسى عليه السلام في سعيير في فلسطين، ثم محمد صلى الله عليه وسلم في جبل فاران، حيث يأتي ومعه الآلاف من الأطهار مؤيدين بالشرعية من الله عز وجل ، وذلك متحقق في رسول الله لأمر:

(١) أن جبل فاران هو جبل مكة، حيث سكن إسماعيل، تقول التوراة عن إسماعيل: "كان الله مع الغلام فكبر، وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر" (التكوين ٢١ / ٢٠ - ٢١).

وقد انتشر أبناؤه في هذه المنطقة، فتقول التوراة: "هؤلاء هم بنو إسماعيل ... وسكنوا من حويلة إلى شور" (التكوين ٢٥ / ١٦ - ١٨)، وحويلة كما جاء في قاموس الكتاب المقدس منطقة في شمال أرض اليمن، بينما شور في جنوب فلسطين^(١) وعليه فإن إسماعيل وأبناءه سكنوا هذه البلاد الممتدة جنوب الحجاز وشماله، وهو يشمل أرض فاران التي سكنها إسماعيل.

كما وقد قامت الأدلة التاريخية على أن فاران هي الحجاز، حيث بنى إسماعيل وأبوه الكعبة، وحيث تفجر زمزم تحت قدميه، وهو ما اعترف به عدد من المؤرخين كما نقل عنهم المؤرخ الهندي مولانا عبد الحق فدرياتي في كتابه "محمد في الأسفار الدينية العالمية"، ومن هؤلاء المؤرخ الكنسي يوسيبوس في كتابه (The Onomasticon) " أماكن الكتاب المقدس"، فقد ذكر بأن فاران في صحراء العرب، وقد ترجمه اللاهوتي جيروم من اليونانية إلى اللاتينية، فوافقه وزاد عليه بقوله: إن صحراء السرسيين تسمى فاران^(٢) ، وجاء في قاموس Strong's Hebrew Bible Dictionary أن فاران هي صحراء العرب، حيث يقول: "Paran, a desert of Arabia".

(٢) أن وجود منطقة اسمها فاران في جنوب سيناء لا يمنع من وجود فاران أخرى، هي تلك التي سكنها إسماعيل، فقد ورد مثلاً إطلاق اسم سعيير على المنطقة التي تقع في أرض أدوم والتي هي حالياً في الأردن، وتكرر ذلك الإطلاق في مواضع عديدة في الكتاب، ولم تمنع كثرتها أن يطلق ذات الاسم على جبل في وسط فلسطين غربي القدس في أرض سبط يهوذا. (انظر يشوع ١٥ / ١٠). ولنا أن نسأل أولئك الذين يصرون على أن فاران هي فاران سيناء: من هو القدوس الذي تلاًلأ من ذلكم الجبل الذي لا يرتبط بأدنى علاقة بأي من أحداث الإنسانية المهمة، فمن الذي تلاًلأ عليه؟

(٣) لا يقبل قول القائل بأن النص يحكي عن أمر ماضي، إذ التعبير عن الأمور المستقبلية بصيغة الماضي معهود في لغة الكتاب المقدس. يقول اسبينوزا: " أقدم الكتاب استعملوا الزمن المستقبل للدلالة على الحاضر، وعلى الماضي بلا تمييز كما استعملوا الماضي للدلالة على المستقبل ... فنتج عن ذلك كثير من المتشابهات" ، وأكد على صحة هذا الاستخدام القس الدكتور منيس عبد النور بقوله: «تعبير الماضي عن المستقبل، لحنمية

١ - انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص (٣٢٩).

٢ - Eusebius Werke: Bd. 1. H?lfte. Das Onomastikon, Leipzig: J. C. Hinrichs, 1904, p.166,167,172 - ٢

حدوث الأمر، فأنت تتحدث عن شيء قادم بصيغة الماضي، لأنك متأكد من وقوعه» (١)، وضرب له مثلاً بما جاء في رسالة بطرس من أن الله: «لم يشفق على ملائكة قد أخطؤوا، بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم، وسلمهم محروسين للقضاء» (بطرس (٢) / ٢ / ٤).

٤) ونقول: لم خص جبل فاران بالذكر دون سائر الجبال لو كان الأمر مجرد إشارة إلى انتشار مجد الله كما زعم بعض كتاب اليهود، فإن مجد الله لم يتوقف عند حدود فاران أو جبل سعير.

٥) ومما يؤكد أن الأمر متعلق بنبوءة الحديث عن آلاف القديسين، والذين تسميهم بعض التراجم "أطهار الملائكة" أي أطهار الأتباع، إذ يطلق هذا اللفظ ويراد به: الأتباع، كما جاء في سفر الرؤيا أن "ميخائيل وملائكته حاربوا التنين، وحارب التنين وملائكته... (الرؤيا ١٢ / ٧). فمتى شهدت فاران مثل هذه الألوف من الأطهار إلا عند ظهور محمد ﷺ وأصحابه؟

٦) وما جاء في سفر حبقوق يؤيد قول المسلمين حيث يقول: "الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران. سلاه. جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من تسيححه، وكان المعان كالنور. له من يده شعاع، وهناك استتار قدرته، قدامه ذهب الوبأ، وعند رجله خرجت الحمى، وقف وقاس الأرض، نظر فرجف الأمم... (حبقوق ٣ / ٣ - ٦) فالنص شاهد على أنه ثمة نبوءة قاهرة تلمع كالنور، ويملاً الآفاق دوي أذان هذا النبي بالتسييح، وتيمان كما يذكر محررو الكتاب المقدس هي كلمة عبرية معناها: "الجنوب"، لذا يقول النص الكاثوليكي للتوراة: "الله يأتي من الجنوب، والقدوس من جبل فاران"، ولما كان المخاطبون في فلسطين فإن الوحي المبشر به يأتي من جهة الجنوب أي من جزيرة العرب، فالقدوس سيبعث في جبل فاران، ومن هذا كله فالقدوس المتألف في جبال فاران هو نبي الإسلام، فكل الصفات المذكورة لنبي فاران متحققة فيه، ولا تتحقق في سواه من الأنبياء الكرام^٢.

المزامير تبشر بصفات نبي آخر الزمان

وها هي المزامير تبشر بالنبي الخاتم، ويصفه أحد مزاميرها، فيقول مخاطباً إياه باسم الملك: "فاض قلبي بكلام صالح، متكلم أنا بإنشائي للملك، لساني قلم كاتب ماهر: أنت أبرع جمالاً من بني البشر، انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد، تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك، وبجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة والبر، فتريك يمينك مخاوف، تُبئلك المسنونة في قلب أعداء الملك، شعوبٌ تحتك يسقطون. كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب ملكك. أحببت البر وأبغضت الإثم، من أجل ذلك مسحك إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك... بنات ملوك بين حظياتك، جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير.

١ - شيهات وهمية حول الكتاب المقدس، القس منيس عبد النور، ص (١٨٧).

(٢) - محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكعب المقدسة، د. سامي عامري، ص ٢٥٢، مركز التنوير الإسلامي للخدمات المعرفية والنشر بالقاهرة، الأولى ٢٠٠٦ م، وكذلك: هل بشر الكتاب المقدس بمحمد ص ٨٣-٨٩، وإظهار الحق لرحمة الله الهندي ٤ / ١١٣٥

اسمعي يا بنت وانظري، وأميلي أذنك، انسي شعبك وبيت أبيك، فيشتهي الملك حسنك، لأنه هو سيدك فاسجدي له ... عوضاً عن آباتك يكون بنوك، تقيمهم رؤساء في كل الأرض، أذكر اسمك في كل دور فدور. من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد " (المزمور ٤٥ / ١ - ١٧).

ويسلم النصراني بأن النص نبوءة بالنبي الآتي، ويزعمون أنه عيسى عليه السلام، فيما يرى المسلمون أن الصفات التي رمزت في النص إنما تعود إلى محمد ﷺ وتمنع أن يكون المعني به عيسى أو غيره من الأنبياء الكرام، ففي النص تسع أوصاف لهذا النبي، وهي:

(١) كونه صاحب حسن لا يعدل في البشر " بهي في الحسن أفضل من بني البشر "، ولا يجوز للنصراني القول بأنه المسيح، وهم الذين يقولون: تحققت في المسيح نبوءة إشعيا، وفيها أن المتنبئ به "لا صورة له ولا جمال فنظر إليه، ولا منظر فنشتهيه " (إشعيا ٥٢ / ٢)، وهذا المعنى الذي لا نوافقهم عليه^(١) أكده علماءهم اعتماداً على نص إشعيا السابق، فقال أكليمنس الإسكندراني: "إن جماله كان في روحه وفي أعماله، وأما منظره فكان حقيراً"^(٢) وقال ترتليان: "أما شكله فكان عديم الحسن الجسماني، وبالبحري كان بعيداً عن أي مجد جسدي"^(٣) ومثله قال جوستين^(٤) وأوريجانوس^(٥) وغيرهما. فمن كان هذا قوله بالمسيح لا يحق له أن يقول بأنه أيضاً: "أبرع جمالاً من بني البشر". وقد جاءت الآثار تتحدث عن حسن نبينا وفيض جماله بعد أن كساه الله بلباس النبوة، فلم ير أجمل منه. ففي الأثر الصحيح يقول البراء بن مالك: (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسنه خلقاً، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير).^(٦)

(٢) أن النبوة وكلامها يخرج من شفثيه "انسكبت النعمة على شفثيك"، فقد كان أمياً، ووحيه غير مكتوب، فيما كانت لإبراهيم وموسى صحفياً، كما كان عيسى قارئاً. (انظر لوقا ٤ / ١٦). وقد جاءت نصوص كتابية عدة تؤكد أمية النبي القادم منها ما سبق في سفر التثنية "أجعل كلامي في فمه" (التثنية ١٨ / ١٨)، وما جاء في إشعيا "أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف القراءة، فيقال له: اقرأ، فيقول: لا أعرف الكتابة" (إشعيا ٢٩ / ١٢). وفي غير الترجمة العربية المتداولة "لا أعرف القراءة" وهي تماثل - كما سبق - قول النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء: ((ما أنا بقارئ)).

(٣) كونه مبارك إلى الأبد، صاحب رسالة خالدة "باركك الله إلى الأبد... كرسيك يا الله إلى دهر الدهور".

(١) - لا يعث الله نبياً إلا غاية في الحسن، فذلك ادعى لتصديقهم وعدم عيبهم بخلقهم، وقد وصف رسول الله عيسى عليه السلام خصوصاً بأنه كان غاية في الحسن، فقد رآه في رؤيا عند الكعبة ((فأريت رجلاً آدم كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال، له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم، قد رجليها، فهي تقطر ماءً... فسألت: من هذا؟ فقلت: هذا هو المسيح بن مريم)). رواد مسلم ح (١٦٩).

(٢) - Clement of Alexandria, The instructor 3.

(٣) - Tertullian, Against marcion 3. 7 / Tertullian, An Answer to the Jew 14.

(٤) - Justin, First apology 50.

(٥) - Origen, Against Celsus 6. 75.

(٦) - رواد البخاري في صحيحه ح (٣٥٤٩).

٤) كونه صاحب سيف يقهر به أعداءه لإقامة الحق والعدل " تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار ...
بجلالك اقتحم. من أجل الحق والدعة والبر، فتريك يمينك مخاوف. نُبُلك المسنونة في قلب أعداء الملك، شعوب
تحتك يستقون "، والمسيح عليه السلام لم يحمل سيفاً ولا أسقط أعداءه، ولا صوب نبله في قلوب أعدائه
لنشر دعوة الحق، كما لم يكن ملكاً في قومه.

٥) وهذا النبي محب للخير، مبغض للإثم كحال جميع الأنبياء، لكن الله فضله عليهم " مسحك الله
إهلك بدهن الابتهاج أكثر من رفقاتك ".

٦) يؤتى لهذا النبي بالهدايا لعزه، وبنات الملوك يكن في خدمته أو في نسائه " بنات ملوك بين حظياتك
.. بنت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بمهدية .. "، وقد تزوج النبي بصفية بنت حبي بن أخطب سيد
قومه، كما أهدت إليه مارية القبطية، وكانت شهربانو بنت يزيد ملك فارس تحت ابنه الحسين - رضي الله
عنه -.

٧) تدين له الأمم بالخضوع، وتدخل الأمم في دينه بفرح وابتهاج " بملابس مطرزة وتحضر إلى الملك، في
إثراها عذارى صاحباتها، مقدمات إليك، يحضرن بفرح وابتهاج يدخلن إلى قصر الملك ".

٨) يستبدل قومه بالعز بعد الذل " عوضاً عن آباءك يكون بنوك، تقيمهم رؤساء في كل الأرض ".

٩) يكتب له الذكر الحميد سائر الدهر " أذكر اسمك دور فدور، من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى
الدهر والأبد " فهو أحمد ومحمد صلى الله عليه وسلم.

داود عليه السلام يبشر بنبي من غير ذريته

ويتحدث داود عن النبي القادم فيقول: " قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً
لقدميك، يرسل الرب قضيب عرك من صهيون، تسلط في وسط أعدائك شعبك، فتدب في يوم قوتك في زينة
مقدسة .. أقسم الرب ولن يندم: أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق. الرب عن يمينك، يحطم في يوم
رجزه ملوكاً يدين بين الأمم، ملأ جثثاً، أرضاً واسعة سحق رؤوسها .. " (المزمور ١١٠ / ١ - ٦) ... ويرى
اليهود والنصارى في النص نبوءة بالمسيح القادم من ذرية داود من اليهود.

وقد أبطل المسيح لليهود قولهم، وأفهمهم أن القادم لن يكون من ذرية داود، ففي متى: " كان الفريسيون
مجتمعين، سألمهم يسوع: ماذا تظنون في المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود. قال لهم: فكيف يدعوه داود
بالروح رباً قائلاً: قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك، فإن كان داود يدعوه رباً
فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيب بكلمة " (متى ٢٢ / ٤١ - ٤٦) وفي مرقس " فداود نفسه
يدعوه رباً فمن أين هو ابنه " (مرقس ١٢ / ٣٧) و (انظر لوقا ٢٠ / ٤١ - ٤٤) ... وتسمية عيسى عليه
السلام للنبي بالمسيح سبق التنبيه عليها.

فلقب "المسيح المنتظر" يتعلق بمسيح يملك ويسحق أعداءه، وهو ما رأينا تنكر المسيح عليه السلام له في مواطن عديدة، منها أنه قال لبيلاطس: "مملكتي ليست في هذا العالم" (يوحنا ١٨ / ٣٦)، أي أنها مملكة روحية. وهي غير المملكة التي يبشر بها داود في مزاميره، حيث قال: "أضع أعداءك موطئاً لقدميك، يرسل الرب قضيب عزك من صهيون، تسلط في وسط أعدائك شعبك .. يحطم في يوم رجزه ملوكاً يدين بين الأمم، ملأ جثثاً، أرضاً واسعة سحق رؤوسها ..".

وهو الذي قال عنه يعقوب: "له خضوع شعوب" (التكوين ٤٩ / ١٠). وينقل القس الدكتور فهيم عزيز عميد كلية اللاهوت للبروتستانت في مصر عن علماء الغرب إنكارهم " أن يسوع كان يتصرف ويتكلم كمسيح لليهود أو المسيا الذي كان ينتظره العهد القديم".

وقد تنبأ وبشر سليمان أيضاً في المزامير بالنبي الملك ﷺ ، فقال: " ويملك من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصي الأرض، أمامه تجثو أهل البرية، وأعداؤه يلحسون التراب، ملوك ترشيش والجزائر يرسلون مقدمة، ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية، ويسجد له كل الملوك، كل الأمم تتعبد له، لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له، يشفق على المسكين والبائس ويخلص أنفوس الفقراء، من الظلم والخطف يفدي أنفسهم، ويكرم دمهم في عينيه، ويعيش ويعطيه من ذهب شبا، ويصلي لأجله دائماً، اليوم كله يباركه، تكون حفنة بر في الأرض في رؤوس الجبال، تتمايل مثل لبنان ثمرتها ويزهرون من المدينة مثل عشب الأرض.

يكون اسمه إلى الدهر، قدام الشمس يمتد اسمه، ويتباركون به، كل أمم الأرض يطوبونه، مبارك الرب الله إله إسرائيل الصانع العجائب وحده، ومبارك اسم مجده إلى الدهر ولتمتلئ الأرض كلها من مجده، آمين ثم آمين " (المزمور ٧٢ / ٨ - ١٩)، فمن هو الذي سجدت وأذعنت وذلت له الملوك، ومجده الله في كل الدهور؟ لا ريب أنه محمد ﷺ الذي دانت لسلطانه أعظم ممالك عصره، الروم والفرس.

البشارة بالملكوت "الدين الجديد"

ومن الألقاب التي أعطيت للدين الجديد وأتباعه في الكتاب المقدس " الملكوت " أو " ملكوت السماوات "، الذي أنبأ المسيح عن انتقاله عن أمة اليهود إلى أمة أخرى، فقال: " إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره " (متى ٢١ / ٤٣).

هذا الملكوت تقاطرت الأنبياء على البشارة به " كان الناموس والأنبياء إلى يوحنا، ومن ذلك الوقت يبشر بملكوت الله، وكل واحد يغتصب نفسه إليه " (لوقا ١٦ / ١٦ - ١٧). والملكوت قد بشر باقتراب عصره النبي يوحنا المعمدان، يقول متى: " جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات " (متى ٣ / ١ - ٢).

وتحدث المعمدان عن الملكوت القادم فقال لليهود متوعداً: " يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي ... والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار، أنا أعمدكم بماء التوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه، هو سيعمدكم

بالروح القدس ونار، الذي رفضه في يده، وسينقي بيدرته ويجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ. حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليتعمد منه " (متى ٣ / ١ - ١٣). (١) ولنتوقف سريعاً مع الصفات التي ذكرها يوحنا المعمدان لصاحب الملكوت.

فأولها: أنه يأتي بعده، فلا يمكن أن يكون هذا الآتي بعده هو المسيح الذي أتى في أيام يوحنا المعمدان.

وثانيها: أنه قوي، وقوته تفوق قوة يوحنا المعمدان، ومثل هذا الوصف لا ينطبق على المسيح الذي يزعم النصارى مصرعه على الصليب قريباً مما جرى ليوحنا المعمدان، وأنى هذا من غلبة رسول الله ﷺ على سائر أعدائه! ثم بلغ من القوة أنه طهر الأرض من رجس الوثنية بالروح والنار أي بدعوته العظيمة وقوته القاهرة، وكل ما تقدم لا ينطبق على أحد سوى رسول الله وبعد وفاة يوحنا المعمدان جدد يسوع البشارة باقتراب الملكوت، " ابتداءً يسوع يركز ويقول: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات " (متى ٤ / ١٧)، " وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم، ويكرز ببشارة الملكوت " (متى ٤ / ٢٣)، " كان يسير في مدينة وقرية يركز ويبشر بملكوت الله، ومعه الإثنا عشر " (لوقا ٨ / ١).

وقد اعتبر المسيح عليه السلام البشارة بالملكوت مهمته الأولى، بل الوحيدة، فقال: " فقال لهم: إنه ينبغي لي أن أبشر المدن الأخر أيضاً بملكوت الله، لأني لهذا قد أرسلت " (لوقا ٤ / ٣٤). وأمر تلاميذه بأن يبشروا باقتراب الملكوت فقال: " اكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السماوات " (متى ١٠ / ٧). ثم علم المسيح تلاميذه أن يقولوا في صلاتهم تلك العبارة التي ما يزال النصارى يرددونها إلى اليوم " أبانا الذي في السماوات .. ليأت ملكوتك " (لوقا ١٠ / ٢). ومن خلال هذا كله نستطيع أن نقول بأن رسالة عيسى كانت بشارة بالملكوت الذي بشر به يوحنا المعمدان، ووصفاً بعض ما يكتنفه، وهذا الملكوت هو بعد المسيح في أمة تعمل أمثاله، ولا تضعه كما أضعه اليهود.

فما هو هذا الملكوت؟

يجيب النصارى بأن الملكوت "شيوخ الملة المسيحية في جميع العالم وإحاطتها كل الدنيا بعد نزول المسيح"، وفسره آخرون بأنه انتصار الكنيسة على الملحدين وفسره آخرون بأنه البشارة بالخلاص بدم المسيح، يقول القمص تادرس يعقوب ملطي في تفسيره لإنجيل متى: "فإن الملكوت الذي أعلنه السيد المسيح هو "بشارة الملكوت" أو "إنجيل الملكوت" ... تعبر عن أخبار الخلاص المفرحة التي قدمها لنا الله في ابنه يسوع". ويعجب المسلمون لانصراف النصارى عن معنى الملكوت وتعلقهم بما لا طائل وراءه، فلقد انتصرت الكنيسة وحكمت أوربا قرونًا عدة، ولم نر ما يستحق أن يكون أمراً يبشر به المعمدان والمسيح والتلاميذ.

(١) - يعلق الأب متى المسكين - على هذه الفقرة التي تشير إلى قوة صاحب الملكوت القادم -، فيقول بأن المعمدان وتلاميذه "خاب أملهم فيه [المسيح]، لأنهم انتظروه يحمل بيده مذارته - رفضه - ليجمع التبن للحريق، فإذا به وديع متواضع، لا يسمع أحد صوته في الشوارع، محب للخطاة، ويأكل ويشرب مع العشارين، ويغفر للزناة .. فإن كان المسيح هكذا لطيفاً مع الخطاة يصنع الآيات والمعجزات وحسب؛ فقد أخطأ المعمدان في حساباته وأوصافه عن مسيا الآتي الأقوى منه، ومعروف كيف أن المعمدان كان شخصية حديدية نارية أربع الكعبة والفرسيين ... فنظر وإذا المسيح أهدأ من نسيم الصباح". الإنجيل بحسب القديس متى، الأب متى المسكين، ص (٣٨١).

وكذلك فإن أخبار الخلاص المزعوم لا يمكن أن تكون هي البشارة التي كان المسيح يطوف مبشراً بها في المدن والقرى، فأقرب تلاميذه لم يفهموا هذا المعنى، ومنهم التلميذان المنطلقان لعمواس بعد حادثة الصلب، فقد كانا يبيكان لفوات الخلاص بموت المسيح " فقال لهما: ما هذا الكلام الذي تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين... كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه، ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل، ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك " (لوقا ٢٤ / ١٧ - ٢١). لقد جهل التلميذان موضوع الخلاص بموت المسيح، فهما يبحثان عن خلاص آخر، وهو الخلاص الدنيوي الذي ينتظره بنو إسرائيل.

وأيضاً جهلت الجموع المؤمنة التي شهدت الصلب أن الصلب هو البشارة المفرحة التي كان يبشر بها المسيح فرجعوا وهم يبكون وينوحون " وكل الجموع الذين كانوا مجتمعين لهذا المنظر لما أبصروا ما كان، رجعوا وهم يقرعون صدورهم " (لوقا ٢٣ / ٤٨ - ٤٩). ولا يمكن أن يكون الملكوت الموعود هو الخلاص بدم المسيح لأن النصوص ذكرت أموراً تحدث قبل مجيء الملكوت، فهي علامات تتحقق قبل حلول الملكوت، ومن بينها قيام أمة جديدة ومملكة جديدة، وهو ما لم يتحقق قبل انتشار المسيحية في العالم، ولا حين صلب المسيح، يقول متى: "فسألوه قائلين: يا معلّم متى يكون هذا؟ وما هي العلامة عندما يصير هذا؟"

فقال: انظروا لا تضلوا، فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: إني أنا هو، والزمان قد قرب، فلا تذهبوا وراءهم، فإذا سمعتم بحروب وقلاقل فلا تجزعوا، لأنه لا بد أن يكون هذا أولاً، ولكن لا يكون المنتهى سريعاً. ثم قال لهم: تقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتكون زلازل عظيمة في أماكن ومجاعات وأوبئة، وتكون مخاوف وعلامات عظيمة من السماء.. وقال لهم مثلاً: انظروا إلى شجرة التين وكل الأشجار، متى أفرخت تنظرون وتعلمون من أنفسكم أن الصيف قد قرب، هكذا أنتم أيضاً، متى رأيتم هذه الأشياء صائرة، فاعلموا أن ملكوت الله قريب.. الحق أقول لكم: إنه لا يمضي هذا الجليل حتى يكون الكل، السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول، فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة، فيصادفكم ذلك اليوم بغتة، لأنه كالفتح يأتي على جميع الجالسين على وجه كل الأرض، اسهروا إذأ وتضرعوا في كل حين، لكي تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون، وتقفوا قدام ابن الإنسان " (لوقا ٢١ / ٦ - ٣٦).

وفي قوله: "وتقفوا قدام ابن الإنسان" ما يربط الملكوت بشخص ابن الإنسان القادم، فهو لا يتحدث عن انتشار المسيحية، بل يتحدث عن ظهور النبي الخاتم ابن الإنسان، ويدعوهم للاستعداد للقاءه. فالملكوت هو أمة تعمل وفق إرادة ورضاء صاحب الملكوت جل جلاله.

يقول وليم باركلي في تفسيره لسفر الأعمال: "الملكوت هو مجتمع على الأرض، تُنقذ فيه إرادة الله تماماً كما في السماء".

وفي أحد تشبيهات المسيح للملكوت أبان لتلاميذه عن سبب انتقاله عن بني إسرائيل فقال: "اسمعوا مثلاً آخر، كان إنسان رب بيت، غرس كرماً، وأحاطه بسياج، وحفر فيه معصرة وبني برجاً، وسلمه إلى كرامين

وسافر. ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره، فأخذ الكرامون عبيده، وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً، ثم أرسل إليهم أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين، ففعلوا بهم كذلك. فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً: يهابون ابني، وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث، هلموا نقتله ونأخذ ميراثه، فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم، وقتلوه. فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟ قالوا له: أولئك الأردباء يهلكهم هلاكاً ردياً، ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطون الأثمار في أوقاتها. قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا، لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره، ومن سقط على هذا الحجر يتضرص، ومن سقط هو عليه يسحقه.

ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم " (متى ٢١ / ٣٣ - ٤٥)، (وانظر لوقا ٢٠ / ٩ - ١٩)، فمن تراه تكون الأمة العظيمة التي إذا غزت أمة سحقتها، وإذا أرادتها أمة نكصت على عقبيها؟ لا ريب أنها الأمة التي هزمت أعظم دولتين في عصرها: الروم والفرس، وانساحت في الأرض، وملكّت خلال قرن واحد ما بين الصين وفرنسا، إنها أمة الإسلام.

ونبوءة متى السالفة تحيل على نبوءة في كتب الأنبياء، وهي ما جاء في مزامير داود عن الآتي باسم الرب "أحمدك لأنك استجبت لي، وصرت لي خلاصاً، الحجر الذي رفضه البنائون قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا، هذا هو اليوم الذي صنعه الرب، نبتهج ونفرح فيه، آه يا رب خلّص، آه يا رب أنقذ، مبارك الآتي باسم الرب" (المزمور ١١٨ / ٢١ - ٢٥).

وقد قال ﷺ : ((مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتاً، فأحسنها وأجملها وأكملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها، فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون: ألا وضعت هاهنا لبنة، فيتم بنيانك، فقال ﷺ فكنّت أنا اللبنة)). (١) إنه الحجر الذي تمت به النبوات. (١) رواه البخاري ح (٣٥٣٥)، ومسلم ح (٢٢٨٦).

وقبل أن نتقل إلى شرح النبوءة يحسن بنا أن ننوه إلى الخطأ الذي وقع فيه بطرس حين زعم أن المسيح هو الحجر الذي رفضه البنائون، فقال: "يسوع الناصري الذي صلبتموه أنتم ... هذا هو الحجر الذي احتقرتموه أيها البنائون، الذي صار رأس الزاوية، وليس بأحد غيره الخلاص، لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص" (أعمال ٤ / ١٠ - ١٢)، مع أن الحجر الذي أخبر عنه داود ثم المسيح نبوءة غالبية، وأمة ظافرة، وهذه النبوءة ليست في بني إسرائيل كما شهد المسيح عليه السلام.

ولبطرس عذر في خطئه، فهو إنسان عامي عديم العلم كما شهد له أولئك الذين استمعوا لحديثه وتعجبوا من المعجزات التي صنعها، فقد قال في ذات السياق: " فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا، ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان، تعجبوا " (أعمال ٤ / ١٣).

وهذا المثل العجيب من المسيح (مثل الكرامين) يحكي تنكر اليهود لنعم الله واصطفائه لهم بقتلهم أنبياءه وهجر شريعته، ويحكي انتقال الملكوت إلى أمة تقوم بأمر الله تعالى وتقوى على أعدائها وتسحقهم، وهذه الأمة مردولة محتقرة "الحجر الذي رفضه البنائون قد صار رأس الزاوية"، لكن الله اختارها رغم عجب اليهود من تحول الملكوت إلى هذه الأمة المرذولة، لكنه قدر الله العظيم "من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا" ..

فمن تكون هذه الأمة المرذولة؟ إنها أمة العرب، أبناء الجارية هاجر، التي يذريها الكتاب المقدس، فقد قالت سارة: "اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن الجارية لا يرث مع ابني إسحاق" (التكوين ٢١ / ١٠). وقال بولس مفتخراً على العرب محتقراً لهم: "ماذا يقول الكتاب؟ اطرد الجارية وابنها، لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة، إذاً أيها الإخوة: لسنا أولاد جارية، بل أولاد الحرة" (غلاطية ٤ / ٣٠ - ٣١).

وقد ضرب المسيح المزيد من الأمثال للملكوت القادم، فبيّن في مثل آخر أنه ليس في بني إسرائيل، الأمة التي لم تستحق اصطفاء الله لها، يقول متى: "جعل يسوع يكلمهم أيضاً بأمثال قائلاً: يشبه ملكوت السموات إنساناً ملكاً صنع عرساً لابنه، وأرسل عبيده ليدعوا المدعوين إلى العرس، فلم يريدوا أن يأتوا، فأرسل أيضاً عبداً آخرين قائلاً: قولوا للمدعوين: هوذا غذائي أعددت، ثيابي ومسمناتي قد ذبحت، وكل شيء معد، تعالوا إلى العرس ولكنهم تماونوا ومضوا، واحد إلى حقلة، وآخر إلى تجارته، والباقيون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوه، فلما سمع الملك غضب وأرسل جنوده، وأهلك أولئك القتاتلين وأحرق مدينتهم، ثم قال لعبيده: أما العرس فمستعد، وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين، فاذهبوا إلى مفارق الطرق، وكل من وجدتموه فادعوه إلى العرس، فخرج أولئك العبيد إلى الطرق، وجمعوا كل الذين وجدوهم أشراراً وصالحين، فامتأل العرس من المتكئين، فلما دخل الملك لينظر المتكئين رأى هناك إنساناً لم يكن لابساً لباس العرس، فقال له: يا صاحب كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس؟ فسكت، حينئذ قال الملك للخدام: اربطوا رجليه ويديه وخذوه، واطرحوه في الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان، لأن كثيرين يدعون، وقليلين ينتخبون" (متى ٢٢ / ١ - ١٤).

وفي مثل آخر بين لهم أنواع الناس في قبول الملكوت والإذعان له، ودعاهم لقبوله والإذعان له، فقال: "فكلهم كثيراً بأمثال قائلاً: هوذا الزارع قد خرج ليزرع، وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق، فجاءت الطيور وأكلته، وسقط آخر على الأماكن المحجرة، حيث لم تكن له تربة كثيرة، فنبت حلالاً، إذ لم يكن له عمق أرض، ولكن لما أشرقت الشمس احترق، وإذ لم يكن له أصل جف، وسقط آخر على الشوك فطلع الشوك وخنقه، وسقط آخر على الأرض الجيدة، فأعطى ثمراً، بعض مائة، وآخر ستين، وآخر ثلاثين، من له أذنان للسمع فليسمع... فاسمعوا أنتم مثل الزارع، كل من يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم، فيأتي الشرير ويخطف ما قد زرع في قلبه، هذا هو المزرع على الطريق، والمزرع على الأماكن المحجرة هو الذي يسمع الكلمة وحالاً يقبلها بفرح، ولكن ليس له أصل في ذاته بل هو إلى حين، فإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالاً يعثر، والمزرع بين الشوك هو الذي يسمع الكلمة، وهم هذا العالم وغرور الغنى يخنقان الكلمة، فيصير

بلا ثمر ، وأما المزروع على الأرض الجيدة فهو الذي يسمع الكلمة ويفهم، وهو الذي يأتي بثمر فيصنع بعض
مائة وآخر ستين وآخر ثلاثين" (متى ١٣ / ١ - ٢٣).

ويتطابق هذا المثل الإنجيلي مع المثل الذي ضربه النبي ﷺ لأحوال الناس مع دعوته، حيث قال: ((مثل ما
بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلاً
والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا، وزرعوا وأصابت منها
طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به
فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)). (رواه البخاري في صحيحه
ح (٧٩).

وحدث المسيح تلاميذه عن انتشار الملوكوت الذي هو أصغر البذور، لكنه أعظمها انتشاراً، يقول متى:
"قدم لهم مثلاً آخر قائلاً: يشبه ملكوت السموات حبة خردل، أخذها إنسان، وزرعها في حقله، وهي أصغر
جميع البذور، لكن متى نمت فهي أكبر البقول، وتصير شجرة، حتى إن طيور السماء تأتي وتتاوى في
أغصانها. قال لهم مثلاً آخر: يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكياس دقيق حتى
اختمر الجميع، هذا كله كلم به يسوع الجموع بأمثال، وبدون مثل لم يكن يكلمهم" (متى ١٣ / ٣١ - ٣٤).
(انظر مرقس ٤ / ٣٠ - ٣٢).

يقول الأنبا أثناسيوس في تفسيره لإنجيل متى: "وتكاد الأمثلة في هذا الإصحاح أن تصف الملوكوت على
الأرض من بدايته إلى نهاية العالم، ففي المثل الأول يزرع الملوكوت في القلوب، وفي الثاني يحاربه الشيطان فيزرع
فيه زواناً، ولكن لا بد أن ينمو الملوكوت منتشراً في العالم ويصير شجرة ضخمة (حبة الخردل)، على أن روح أبناء
الملوكوت لا بد أن تكون هي الاندماج في العالم لتخليصه من الداخل كالخميرة". (١)

وفي نص آخر يتحدث عن هيمنة الشريعة الجديدة على سائر الشرائع السابقة ونسخها لها، فيقول: " أيضاً
يشبه ملكوت السموات كنزاً مخفياً في حقل وجدده إنسان، فأخفاه، ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له
واشترى ذلك الحقل.

أيضاً يشبه ملكوت السموات إنساناً تاجراً يطلب لآلئ حسنة، فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن، مضى
وباع كل ما كان له، واشتراها" (متى ١٣ / ٤٤ - ٤٦)، وقد قال المسيح مبشراً بالقادم الذي ينسخ الشرائع
بشريعته: "لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم:
إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل" (متى ٥ / ١٧ -
١٨)، فمن هو هذا الذي له الكل، إنه ذات النبي الذي يسميه بولس بالكامل، ومجيئه فقط يبطل الشريعة
وينسخها "وأما النبوات فستبطل، والألسنة فستنتهي، والعلم فسيبطل، لأننا نعلم بعض العلم، ونتنبأ بعض
التنبؤ، ولكن متى جاء الكامل فحينئذ يبطل ما هو بعض" (كورنثوس (١) ١٢ / ٨ - ١٠).

(١) - تفسير إنجيل متى، الأنبا أثناسيوس، ص (٢١١). وانظر د. منقذ السقار، هل بشر الكتاب المقدس بمحمد

وكما تحدث المسيح عن هذا النبي تحدث عن تأخر زمان ظهوره عن النبوات السابقة، لكن ذلك لن يمنع عظيم الأجر والثواب لأمته، فضرب هذا المثل وقال: " فإن ملكوت السماوات يشبه رجلاً رب بيت خرج مع الصباح ليستأجر فَعَلَةً لكرمه، فاتفق مع الفعلة على دينار في اليوم وأرسلهم إلى كرمه، ثم خرج نحو الساعة الثالثة، ورأى آخرين قياماً في السوق بطالين، فقال لهم: اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم، فمضوا، وخرج أيضاً نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل ذلك، ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياماً بطالين، فقال لهم: لماذا وقفتم ههنا، كلَّ النهار بطالين؟ قالوا له: لأنه لم يستأجرنا أحد. قال لهم: اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم. فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله: ادع الفعلة وأعطيهم الأجرة مبتدئاً من الآخرين إلى الأولين. فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا ديناراً ديناراً، فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر، فأخذوا هم أيضاً ديناراً ديناراً، وفيما هم يأخذون تدمروا على رب البيت قائلين: هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة، وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر. فأجاب وقال لواحد منهم: يا صاحب ما ظلمتك، أما اتفقت معي على دينار؟ فخذ الذي لك واذهب، فإني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك. أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بما لي أم عينك شريفة لأني أنا صالح! هكذا يكون الآخرون أولين، والأولون آخرين، لأن كثيرين يُدعون، وقليلون ينتخبون " (متى ٢٠ / ١ - ١٦)، وهكذا فاز الآخرون بالأجر والثواب.

فالآخرون هم الأولون السابقون كما قال المسيح وأكد رسول الله ﷺ بقوله: ((نحن الآخرون السابقون)) (١)، وقوله: ((مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثّل رجل استأجر أجراً فقال: من يعمل لي غدوة إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط، فعملت النصارى، ثم قال من يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم. فغضبت اليهود والنصارى فقالوا: مالنا أكثر عملاً وأقل عطاءً؟ قال: هل نقصتكم من حقكم؟ قالوا: لا. قال: فذلك فضلي أوتيته من أشياء)) (٢).

البشارة ب (محماد) مشتهى الأمم

وبعد عودة بني إسرائيل من السبي، وتخفيفاً لأحزانهم، ساق لهم النبي حجي بشارة من الله فيها: " لا تخافوا، لأنه هكذا قال رب الجنود، هي مرة بعد قليل، فأزلزل السماوات والأرض والبحر واليابسة، وأنزل كل الأمم، ويأتي مشتهى كل الأمم، فأملأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول قال رب الجنود، وفي هذا المكان أعطي السلام يقول رب الجنود " (حجي ٢ / ٦ - ٩). وهذه النبوءة لا ريب تتحدث عن القادم الذي وعد به إبراهيم، وبشر به يعقوب (ب شيلون) وموسى ثم داود عليهم الصلاة والسلام.

(١) - رواه البخاري ح (٨٣٦).

(٢) - رواه البخاري ح (٢٢٦٨).

وقبل أن نلج في تحديد شخصية هذا المشتبهى من كل الأمم نتوقف مع القس السابق عبد الأحد داود، وهو الخبير باللغات القديمة، إذ يسوق لنا النص بالعبرانية: " لسوف أزلزل كل الأرض، وسوف يأتي (محمد) لكل الأمم ... وفي هذا المكان أعطي السلام"، فقد جاء في العبرية لفظة "محمد" أو "حمدت" كما في قراءة أخرى حديثة، ولفظة "محمد" في العبرانية تستعمل عادة لتعني: "الأمنية الكبيرة" أو "المشتهى"، والنص حسب الترجمة العبرانية المتداولة: (فباؤا حمدات كول هاجوييم). لكن لو أبقينا الاسم على حاله دون ترجمة، كما ينبغي أن يكون في الأسماء، فإننا واجدون لفظة "محمد" هي الصيغة العبرية لاسم أحمد، والذي أضاعها المترجمون عندما ترجموا الأسماء أيضاً، يقول المؤرخ ول ديورانت: "ولفظ محمد مشتق من الحمد، وهو مبالغة فيه، كأنه حمد مرة بعد مرة، ويمكن أن تنطبق عليه بعض فقرات في التوراة تبشر به". (١)

وجاء في تمام النبوءة الحديث عن البيت الأخير لله، والذي هو أعظم مجدداً من البيت الأول، ثم يقول: " في هذا المكان أعطي السلام"، وقد استخدمت الترجمة العبرية لفظة "شالوم" والتي من الممكن أن تعني الإسلام، فالسلام والإسلام مشتقان من لفظة واحدة. (٢) وقوله: " في هذا المكان أعطي السلام"، قد تتحدث عن عقد الأمان الذي عم تلك الأرض والذي أعطاه عمر بن الخطاب لأهل القدس عندما فتحها، فتكون النبوءة عن إعطاء السلام ولم تنسبه إلى المشتبهى، ذلك أن الأمر تم بعد وفاته في أتباعه وأصحابه الكرام. ولا ريب أن النبوءة لا تتحدث عن المسيح، إذ لا تقارب بين ألفاظ النبوءة واسمه، أو بين معانيه وما عهد عنه عليه السلام، إذ لم يستتب الأمان في القدس حال بعثته، بل بشر اليهود بخراب هيكلهم بعد حين، كما كان رسولاً إلى بني إسرائيل فحسب، وليس لكل الأمم، والقادم هو مشتبهى الأمم جميعاً، وليس خاصاً بيت يعقوب كما جاء في وصف المسيح مراراً.

وهذا الاستعمال لكلمة "السلام" بمعنى "الإسلام" يراه عبد الأحد داود لازماً في موضع آخر من الكتاب المقدس، فقد جاء في إنجيل لوقا أن الملائكة ترنموا عند ميلاد المسيح قائلين: "المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة" (لوقا ٢ / ١٤). ويتساءل القس السابق عبد الأحد داود أي سلام حل على الأرض بعد ميلاد المسيح، فقد تتابع القتل والحروب ما تزال تطحن، وإلى قيام الساعة، ولذلك فإن الترجمة الصحيحة لكلمة "إيرينا" اليونانية في العبرانية: "شالوم"، وهي في العربية "الإسلام" كما "السلام". وإن أصر النصارى على تفسير كلمة "إيرينا" بالسلام، فقد جعلوا من عيسى مناقضاً لنفسه، إذ قال: "جئت لألقي ناراً على الأرض ... أتظنون أنني جئت لأعطي سلاماً على الأرض. كلا أقول لكم، بل انقساماً ... " (لوقا ١٢ / ٤٩ - ٥١)، وفي متى: "لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً، بل سيفاً" (متى ١٠ / ٣٤).

وتبعاً لهذا يرى عبد الأحد داود أن صانعي السلام هم المسلمون، وذلك في قول المسيح: "طوبى لصانعي السلام، لأنهم يدعون أبناء الله" (متى ٥ / ٩)، فيرى أن الترجمة الدقيقة هي "طوبى للمسلمين"، وليس

(١) - قصة الحضارة (١٣ / ٣٧٥).

(٢) - ومثل هذا في القرآن في قوله: {يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة} (البقرة: ٢٠٨).

صانعي السلام الخيالي، الذي لم ولن يوجد على الأرض، كما لا يستطيع أحد ينتمي إلى فرق النصراري المختلفة والمتباغضة طوال تاريخ النصرانية، لا يستطيع أن يقول بأن السلام قد تحقق في نفوس المؤمنين، إذ الأحقاد المتطاولة بينهم تكذب ذلك كله.

وجاء في تمام الأنشودة المزعومة للملائكة: " وبالناس المسرة "، واستخدم النص اليوناني كلمة " يودكيا " وهي كلمة مشتقة من الفعل اليوناني " دوكيو "، ومعناها كما في القاموس الإغريقي: " لطيف، محسن، دمث ... " ومن معانيها أيضاً السرور - المحبة - الرضا - الرغبة، الشهرة... فكل هذه الإطلاقات تصح في ترجمة كلمة " يودوكيا " التي يصح أيضاً أن تترجم في العبرانية إلى (محمد، ما حامود) المشتقة من الفعل " حمد " ومعناها: المرغوب فيه جداً، أو البهيج، أو الرائع أو المحبوب أو اللطيف، وهذا كله يتفق مع المعاني التي تفيدها كلمة محمد وأحمد، واللذان تقاربان في الاشتقاق كلمتي (حمداً ومحمداً) العبرانيتين، ومثل هذا التقارب يدل على أن لهما أساس واحد مشترك كما هو الحال في كثير من كلمات اللغات السامية.

وينبه الأب السابق عبد الأحد داود إلى وجود هذا النص في إنجيل لوقا اليوناني، في الوقت الذي كانت فيه عبارات سريانية حين مقالها، ولا يمكن - حتى مع بذل الجهد وفرض الأمانة في الترجمة - أن تترجم كلمة ما من لغة إلى أخرى، وتفيد نفس المعاني الأصلية للكلمة. ومع ضياع الأصول لا يمكن التحقق من دقة هذه الترجمة.

والترجمة الصحيحة للترنيمة كما يرى عبد الأحد داود هي: " الحمد لله في الأعالي، وعلى الأرض إسلام، وللناس أحمد ". (١)

البشارة بإيلياء

ومن الأسماء التي رمز الكتاب المقدس بها إلى النبي ﷺ " إيلياء " وهي وفق حساب الجمل اليهودي تساوي ٥٣. (٢) وهو أيضاً اسم لنبي عظيم أرسله الله عز وجل إلى بني إسرائيل، وكان ذلك في القرن التاسع قبل الميلاد، وهو الذي يسميه القرآن إلياس، وفي آخر أسفار التوراة العبرانية يتحدث النبي ملاخي في سفره القصير عن عصيان بني إسرائيل وعن إيليا أو إيلياء القادم الجديد، وهو غير إلياس الذي كان قد توفي منذ سبعة قرون، فيقول ملاخي بأن الله يقول: " هأنذا أرسل ملاكي، فيهيء الطريق أمامي، ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه، وملاك العهد الذي تسرون به، هو ذا يأتي، قال رب الجنود، من يحتمل يوم مجيئه، ومن يثبت عند ظهوره، لأنه مثل نار الممحص، ومثل أشنان القصار ... (ملاخي ٣ / ١ - ٢).

فالنص في سفر النبي ملاخي يتحدث عن اثنين، أحدهما الذي يهيئ الطريق أمام القادم من عند الرب. والثاني هو الذي يأتي بغتة إلى الهيكل، ويسميه: السيد، وملاك العهد. وهو الذي يطلبه بنو إسرائيل وينتظرونه. وفي آخر سفره يقول ملاخي، وحديثه مازال متصلاً عن هذا القادم وعن تبديل بني إسرائيل وكفرهم فيقول: "

(١) - انظر: محمد في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ص (١٤٧ - ١٦٥)، الإنجيل والصليب، عبد الأحد داود، ص (٣٣ - ٥٥)، البشارة بني الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا (٢ / ٣٧٠ - ٣٧٢). وهل لشر الكتاب المقدس بمحمد، منقذ السقار .
(٢) - (أ=١، ي=١٠، ل=٣٠)، وهو ما تساويه كلمة أحمد (أ=١، ح=٨، م=٤٠، د=٤).

اذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرته بها في حوريب على كل إسرائيل الفرائض والأحكام. هاأنذا أرسل إليكم
إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف، فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آباءهم،
لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن " (ملاخي ٤ / ٤ - ٥).

فقد سمى ملاخي النبي القادم إيليا بعد أن ذكرهم بوصية موسى على جبل حوريب والتي ذكر فيها
موسى النبي القادم مثله من بين إخوة بني إسرائيل، قال المفسر صاحب "تحفة الجليل": " إن إيلياء الرسول
المذكور في آخر سفر ملاخي هو ملغوز، وهذا هو حبر العالم الذي يأتي في آخر الزمان ". (١)

ويرى النصارى أن النبي الذي يمهد الطريق هو يوحنا المعمدان المسمى بإيليا في النص يقول مرقس: " كما
هو مكتوب في الأنبياء ها أنا أرسل ملاكي الذي يهيب طريقتك قدامك .. كان يوحنا المعمدان يعمد في البرية
... وكان يكرز قائلاً: يأتي بعدي من أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أنحني وأحل سيور حذائه، أنا عمدتكم
بالماء، وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس، وفي تلك الأيام جاء يسوع .. " (مرقس ١ / ٢ - ٩)، وهو ما نقله
لوقا عن لسان المسيح: " بل ماذا خرجتم لتنظروا، أنبياء؟ نعم أقول لكم: وأفضل من نبي، هذا هو الذي كتب
عنه: ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيب طريقتك قدامك، لأني أقول لكم: إنه بين المولودين من
النساء ليس نبي أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت الله أعظم منه " (لوقا ٧ / ٢٦). فالمهد
للطريق - حسب رأي النصارى - هو يوحنا المعمدان، والمهد له المنتظر هو عيسى عليه السلام. ويعتبرون الأول
إيليا لقول متى على لسان المسيح في سياق حديثه عن يوحنا المعمدان: " ماذا خرجتم لتنظروا. أنبياء؟ نعم أقول
لكم وأفضل من نبي، فإن هذا هو الذي كتب عنه: ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيب طريقتك
قدامك. الحق أقول لكم: لم يبق بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت
السموات أعظم منه ... لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبؤوا. وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع
أن يأتي، من له أذنان للسمع فليسمع " (متى ١١ / ٩ - ١٥).

ويذكر متى أيضاً بأن المسيح قال: " إن إيليا يأتي أولاً ويرد كل شيء، ولكني أقول لكم: إن إيليا قد جاء ولم
يعرفوه ... حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان " (متى ١٧ / ١٠ - ١٣). وهكذا يرى
النصارى أن المبشر المهد للطريق هو يوحنا (إيليا)، والمبشر به هو المسيح. والصحيح أن إيليا رمز للنبي القادم،
وليس للنبي المهد لطريقه.

وقبل أن نلج لفهم حقيقة هذه النبوءة نرى لزماً أن ننبه ببعض ما تعرضت له هذه النصوص من تحريف،
ففي ملاخي " ملاك العهد "، وهو في الترجمات القديمة: "رسول الختان"، وفي الترجمة الحديثة يقول: "أرسل
ملاكي"، وفي القديمة: "أرسل رسولي"، وفي بعض الطبوعات: " يأتي السيد " وفي بعضها: " الولي "، وفي
أخرى: " إيليا "، وفي نصوص الأناجيل تحريف للاقتباس من ملاخي الذي استعمل ضمير المتكلم " الطريق
أمامي"، وفي الأناجيل أصبح الضمير راجعاً على المسيح " يهيب طريقتك قدامك "

(١) - الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن باجي البغدادي، ص (٦٥٤).

كما نرى يد التحريف قد طالت كلام المسيح والمعمدان حين زعم الإنجيليون أن المسيح اعتبر المعمدان هو الممهد لدعوته "هذا هو الذي كتب عنه: ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك" (لوقا ٧ / ٢٦)، وأنه سماه إيليا المنتظر "ولكني أقول لكم: إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه ... حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان" (متى ١٧ / ١٢ - ١٣).

ومن التحريف قولهم أن المعمدان أخبر أن القوي الذي بشر بقدمه بعده هو المسيح "ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه، هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي، الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه .. وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال: هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم، هذا هو الذي قلت عنه: يأتي بعدي رجل صار قدامي، لأنه كان قبلي" (يوحنا ١ / ٢٦ - ٤٠).

ودعوانا التحريف ليس مردها عدم اتفاق هذه النصوص مع المسألة التي نحن بصدد إثباتها، بل مرده أن يوحنا المعمدان أنكر أن يكون هو النبي إيليا الممهد بين يدي السيد القادم، فقد نفى هو ذلك عن نفسه لما جاءه رسل اليهود من الكهنة واللاويين " ليسألوه من أنت؟ فاعترف ولم ينكر، وأقر: إني لست أنا المسيح، فسألوه إذاً ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا. النبي أنت؟ فأجاب: لا " (يوحنا ١ / ١٩ - ٢١)، فهذا نص صريح ينكر فيه يوحنا أنه إيليا الممهد للطريق، كما هو ليس المسيح المنتظر أو النبي القادم.

ويلزم من قول المعمدان تكذيب المسيح في قوله بأن إيليا قد جاء أو أن يكون المعمدان كاذباً حين أنكر أنه إيليا، أو يلزم القول بأن التلاميذ لم يفهموا كلام المسيح، وهذا الأخير هو الأولى، فقد أخطأ متى حين قال: " حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان "، لقد ظنوا أنهم فهموا، بينما الحقيقة أنهم لم يفهموا، لقد كان يحدثهم عن نفسه، فهو النبي القادم الذي يهيئ الطريق للقادم المنتظر "هأنذا أرسل ملاكي، فيهيئ الطريق أمامي، ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه، وملاك العهد الذي تسرون به، هو ذا يأتي، قال رب الجنود".

ثم إن صفات إيليا لا تنطبق على المعمدان، لأنه يأتي بعد المسيح، فقد قال المسيح عنه: " إيليا المزمع أن يأتي" والمسيح والمعمدان متعاصران. وعندما يأتي إيليا فإنه " يرد كل شيء "، و " فيرد قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم "، ومثل هذا لم ينقل عن المعمدان الذي عاش في الصحراء، طعامه الجراد والعسل، ولباسه وبر الإبل، وغاية ما صنعه تعميم من جاءه تائباً. (انظر متى ٣ / ١ - ٥). ولا يمكن التسليم بأن المعمدان كان تمهيداً للمسيح، إذ كيف يقال ذلك، والمعمدان قبيل مقتله - حسب الأناجيل - لا يعرف حقيقة المسيح، ويرسل تلاميذه ليسألوا المسيح " أنت هو الآتي أم نتظر غيرك؟ " (متى ٣ / ١١).

فكيف يقال بأنه أرسل بين يديه، وهو لم يعرف حقيقته؟ ثم ماذا صنع يوحنا بين يدي مقدم المسيح؟ هل صنع شيئاً يتعلق بالمهمة التي تزعمها الأناجيل له؟

لم يرد عنه سوى البشارة بالملكوت كما بشر به المسيح بعده. (انظر متى ٣ / ١) كما كان يعمد الذين يأتونه معترفين بخطاياهم. (انظر متى ٣ / ٦)، وهذا الذي صنعه المسيح أيضاً، وهو ما يؤكد أن دعوتها واحدة،

ألا وهي البشارة بالني - صلى الله عليه وسلم - نبي الملكوت، كما قال: " فقال لهم: إنه ينبغي لي أن أبشر المدن الأخر أيضاً بملكوت الله، لأني لهذا قد أرسلت " (لوقا ٤ / ٣٤)، فقد أرسل للبشارة بالملكوت القادم، فهو مُمهد ومبشر بين يديه.

والحق أن المعمدان وعيسى صاحبا دعوة واحدة، أي كلاهما بعث مبشراً بالني الخاتم، فهما المبشران بالني الخاتم، والذي أسماه متى بملكوت السماوات، فقد بشر باقتراب عصره النبي يوحنا المعمدان، " جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات " (متى ٣ / ١ - ٢). وبعد وفاة يوحنا المعمدان جدد يسوع البشارة بالملكوت، " ابتداء يسوع يكرز ويقول: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات " (متى ٤ / ١٧)، " وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت " (متى ٤ / ٢٣).

وأمر تلاميذه بأن يبشروا باقتراب الملكوت فقال: " اكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السماوات " (متى ١٠ / ٧)، لقد كانت دعوتهما واحدة، وهي البشارة والتمهيد للنبي القادم.

وكما لم يتحقق في المعمدان صفات الممهد للنبي القادم، فإن الصفات التي ذكرها يوحنا المعمدان للآتي بعده لم تتحقق في المسيح، فقد قال المعمدان: " أنا أعمدكم بماء التوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار، الذي رفضه في يده، وسينقي بيده، ويجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ، حينئذٍ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه " (متى ٣ / ١١ - ١٣).

فالقادم المبشر به سيعمد بالروح القدس والنار، أما المسيح عليه السلام فلم يعمد أحداً طوال حياته، وإن كان شاع بين الناس أنه يعمد، لكنه لم يفعل ذلك حقيقة، وإن صنعه تلاميذه باسمه " فلما علم الرب أن الفريسيين سمعوا أن يسوع يصير ويعمد تلاميذ أكثر من يوحنا، مع أن يسوع نفسه لم يكن يعمد بل تلاميذه " (يوحنا ٤ / ١ - ٢).

وذكر المعمدان أن الآتي بعده يعمد بالروح والنار، أي يملك سلطان الدين والدنيا لتغيير المنكر والحفز على التوبة، فهو لا يتوقف عن حدود الطهارة الظاهرية للجسد بالاعتسال بالماء، بل يهتم بطهارة الباطن، ووسيلته ما يأتي به روح القدس (جبريل) من وحي وبلاغ وبيان، كما قام بتطهير كثير من الأرض من الوثنية بالنار.

ومثل هذه المعمودية لم يفعلها المسيح الذي عمد تلاميذه بالماء، وكانت بشارته استمراراً للمعمودية المعمدان، وهي البشارة بالتوبة ومغفرة الخطايا فإن المسيح دعا - بعد حادثة الصلب والقيامة - كل واحد من تلاميذه " أن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا " (لوقا ٢٤ / ٤٧)، فلم تختلف معموديته - عليه السلام - عن معمودية المعمدان في شيء. (انظر يوحنا ٣ / ٢٢ - ٢٣).

واستمر تلاميذه بعده يعمدون بالماء كما كان المعمدان يعمد، ولما جاء بولس إلى جاء إلى أفسس، فإذا وجد تلاميذ قال لهم: هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم. قالوا له: ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس. فقال لهم:

فماذا اعتمدتم؟ فقالوا: بمعمودية يوحنا. فقال بولس: إن يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده، أي بالمسيح يسوع، فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع" (أعمال ١٩ / ١ - ٥)، ولو كان للمسيح - عليه السلام - تعميده يخالف ما عليه تعميده المعمدان - عليه السلام - لعرف بين التلاميذ وشاع. كما وصف المعمدان النبي القادم بعده بأنه " أقوى مني"، وليس في دعوة المسيح أو حياته الشخصية ما يشير إلى هذه القوة، فكلاهما لم يبعث بشرع جديد، كما لم يملك على قومه، ولم يكن لأي منهما نفوذ أو سلطان، بل تزعم النصارى - باطلاً - أن كلاهما مات مقتولاً! فأين القوة التي ذكرها المعمدان؟

كما لم يحقق المسيح قول المعمدان عن النبي الآتي: "رفشه في يده، وسينقي بيده، ويجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ" وهذه كناية يفسرها الدكتور وليم أدي بقوله: "كناية عن نهاية العمل كله، ويمكن أن يكون القصد من هذا التشبيه: الإشارة إلى تأديب الله للناس وقصاصه لهم في هذه الحياة"، بل هو كناية أبعد من ذلك، إذ تبين سلطانه الذي ينقي الأصل الذي أنزله الله على أنبيائه مما علق فيه، فيحذف الترهات الدخيلة ويزيفها.

وعليه فالآتي المبشر به هو محمد ﷺ، وهو فقط الذي أتى إلى أرض القدس والهيكل بغتة يوم أسري به إلى بيت المقدس، بينما نشأ المسيح ويوحنا في ربوع الهيكل، وهو النبي الذي سمته بعض الترجمات برسول الختان، إذ كان قد دعا إليه ونبه إلى أنه من سنن الهدى، والتزمه المسلمون بعده. (١)

المسيح يبشر بالبارقليط

لكن أعظم بشارات العهد الجديد بالنبي الخاتم هي نبوءات المسيح عن مجيء البارقليط إلى هذا العالم، وينفرد يوحنا في إنجيله بذكر هذه البشارات المتوالية من المسيح بهذا النبي المنتظر، حيث يقول المسيح موصياً تلاميذه:

" إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر، ليملك معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكن معكم، ويكون فيكم ... إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً.

الذي لا يجني لا يحفظ كلامي، والكلام الذي تسمعونه ليس لي، بل للآب الذي أرسلني، بهذا كلمتكم وأنا عندكم، وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم ... قلت لكم الآن قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون، لا أتكلّم أيضاً معكم كثيراً، لأن رئيس هذا العالم يأتي، وليس له فيّ شيء" (يوحنا ١٤ / ١٥ - ٣٠).

وفي الإصحاح الذي يليه يعظ المسيح تلاميذه طالباً منهم حفظ وصاياه، ثم يقول: " متى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم

(١) - د . منقذ السقار ، هل بشر الكتاب المقدس بمحمد ص ١١٥ وما بعدها .

معي في الابتداء، قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا ، سيخرجونكم من المجمع، بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله... قد ملاً الحزن قلوبكم، لكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم... ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة، أما على خطية فلا أنهم لا يؤمنون بي، وأما على بر فلأني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضاً، وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين... إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذلك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية، ذلك يمجدني، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" (يوحنا ١٥ / ٢٦ - ١٦ / ١٤).

في هذه النصوص يتحدث المسيح عن صفات الآتي بعده، فمن هو هذا الآتي؟

البارقليط عند النصارى :

يجيب النصارى بأن الآتي هو روح القدس الذي نزل على التلاميذ يوم الخمسين ليعزيهم في فقدهم للسيد المسيح، وهناك " صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة ، وملاً كل البيت حيث كانوا جالسين، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأشجار من نار، واستقرت على كل واحد منهم، وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدءوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا " (أعمال ٢ / ١ - ٤).

ولا تذكر أسفار العهد الجديد شيئاً سوى ما سبق عن هذا الذي حصل يوم الخمسين من قيامة المسيح ، يقول الأنبا أنطاسيوس في تفسيره لإنجيل يوحنا: " البارقليط هو روح الله القدوس نفسه المعزي، البارقليط: المعزي " الروح القدس الذي يرسله الأب باسمي " (يوحنا ١٤ / ٢٦)، وهو الذي نزل عليهم يوم الخمسين (أعمال ٢ / ١ - ٤) فامتلاًوا به وخرجوا للتبشير، وهو مع الكنيسة وفي المؤمنين، وهو هبة ملازمة للإيمان والعماد" (١)، ويقول معجم اللاهوت الكتابي: " لفظ بارقليط، (باليونانية parakletos) لفظ مأخوذ من كتابات القديس يوحنا، وهو يعبر ليس عن طبيعة شخص، بل عن وظيفته.. فهو من يلعب دور المساعد الإيجابي، والمحامي، والمؤيد، ويقوم بهذه المهمة يسوع المسيح الذي هو "شفيع لنا عند الأب وهو كفارة عن خطايانا" في السماء (يوحنا ١) (١ / ٢)، كما يقوم بها أيضاً الروح القدس الذي يحقق حضور يسوع فعلياً من حيث هو الشاهد والمدافع عنه بين المؤمنين" (٢)

البارقليط عند المسلمين

ويعتقد المسلمون أن ما جاء في يوحنا عن المعزي رئيس هذا العالم الآتي، إنما هو بشارة من المسيح بنينا ﷺ ، وذلك يظهر من أمور: منها أن لفظة " المعزي " لفظة حديثة استبدلتها التراجم الجديدة للعهد الجديد، فيما كانت التراجم العربية القديمة (١٨٢٠م، ١٨٣١م، ١٨٤٤م) تضع الكلمة اليونانية (البارقليط) كما هي، وهو ما تصنعه كثير من التراجم العالمية.

(١) - تفسير إنجيل يوحنا، الأنبا أنطاسيوس، ص (١١٨).

(٢) - معجم اللاهوت الكتابي (مادة بارقليط)، وانظر: تفسير إنجيل يوحنا، الأنبا أنطاسيوس، ص (٢٠٥).

وفي تفسير كلمة " بارقليط " اليوناني نقول: إن هذا اللفظ اليوناني الأصل، لا يخلو من أحد حالين، الأول أنه " باراكلي توس ". فيكون حسب قول النصارى بمعنى: المعزي والمعين والوكيل ، والثاني أنه " بيركلوتوس "، فيكون قريباً من معنى: محمد وأحمد، ويقول أسقف بني سويف الأنبا أنناسيوس في تفسيره لإنجيل يوحنا: " إن لفظ بارقليط إذا حرف نطقه قليلاً يصير " بيركلييت "، ومعناه: الحمد أو الشكر، وهو قريب من لفظ أحمد ". (١)

ويسأل عبد الوهاب النجار الدكتور كارلو نيلنو (الحاصل على الدكتوراه في آداب اليهود اليونانية القديمة) عن معنى كلمة " بيركلوتس " فيقول: " الذي له حمد كثير "، ومما يؤكد خطأ الترجمة أن اللفظة اليونانية (بيركلوتس) اسم لا صفة، فقد كان من عادة اليونانيين زيادة السين في آخر الأسماء، وهو ما لا يصنعونه في الصفات.

ويرى عبد الأحد داود أن تفسير الكنيسة للبارقليط بأنه " شخص يدعى للمساعدة أو شفيع أو محام أو وسيط " غير صحيح، فإن كلمة بارقليط اليونانية لا تفيد أيّاً من هذه المعاني ، فالمعزي في اليونانية يدعى (باراكالون أو باريجوريتس)، والحامي تعريب للفظة (سانجرس)، وأما الوسيط أو الشفيع فتستعمل له لفظة " ميديتيا "، وعليه فعزوف الكنيسة عن معنى الحمد إلى أي من هذه المعاني إنما هو نوع من التحريف. ويوافقه القس الدكتور سمسون، فيقول: " الاسم المعزي ليس ترجمة دقيقة جداً " (٢). ويعترف به معجم اللاهوت الكتابي، حين كتب مؤلفوه: " ومعنى " المعزي " - المشتق على الأرجح من أصل لغوي خاطئ - غير وارد في العهد الجديد ". (٣)

ومما سبق يتضح أن ثمة خلافاً بين المسلمين والنصارى في الأصل اليوناني لكلمة " بارقليط " حيث يعتقد المسلمون أن أصلها " بيركلوتوس " وأن ثمة تحريفاً قام به النصارى لإخفاء دلالة الكلمة على اسم النبي ﷺ أحمد: الذي له حمد كثير. ومثل هذا التحريف لا يستغرب وقوعه في كتب القوم، ففيها من الطوام مما يجعل تحريف كلمة " البيرقليط " من السهل الهين ، كما أن وقوع التصحيف والتغير في الأسماء كثير عند الترجمة بين اللغات وفي الطبعات، فاسم " بارباس " في الترجمة البروتستانتية هو في نسخة الكاثوليك " بارابا "، وكذا (المسيا، ماشيح) و (شيلون، شيلوه) وسوى ذلك، وكلمة " البارقليط " مترجمة عن السريانية لغة المسيح الأصلية فلا يبعد أن يقع مثل هذا التحوير حين الترجمة.

ولجلاء التحريف في هذه الفقرة فإن أدوين جونس في كتابه " نشأة الديانة المسيحية " يعترف بأن معنى البارقليط: محمد، لكنه يطمس اعترافه بكذبة وطامة لا تنطلي على أهل العلم والتحقيق، فيقول بأن المسيحيين أدخلوا هذا الاسم في إنجيل يوحنا جهلاً منهم بعد ظهور الإسلام وتأثرهم بالثقافة الدينية للمسلمين.

وأما المستشرق النمساوي المتعصب لويس سيرنجر (ت ١٨٩٣م) في كتابه عن سيرة النبي فيحل المسألة بطريقة لا ريب أنها ستدهش القارئ وتثير عجبه، فيزعم أن اسم النبي الحقيقي هو قثم، وأن النبي تسمى باسم محمد في المدينة المنورة، بعد اختلاطه بالنصارى، وقد التقطه من خلال قراءته لنبوءات الأناجيل عن البارقليط

(١) - تفسير إنجيل يوحنا، الأنبا أنناسيوس، ص (١١٧).

(٢) - الروح القدس أو قوة في الأعالى (٢ / ٢٠٦).

(٣) - معجم اللاهوت الكتابي (مادة بارقليط).

(المنحما بالسريانية)، وقد أیده عدد من المستشرقين منهم المستشرق الفرنسي اليهودي هرتويغ درنبرغ (Hartwig Derenbourg) (ت ١٩٠٨م) ، والمستشرق الألماني المتعصب ثيودور نولدكه (ت ١٩٣٠م) صاحب كتاب "تاريخ القرآن"، والمستشرق الإيطالي الأمير ليون كياتاني في كتابه الشهير حوليات الإسلام (١) (nalli dell' Islam)

البارقليط بشر نبي، وليس روح القدس

وأياً كان المعنى للبارقليط: أحمد أو المعزي فإن الأوصاف والمقدمات التي ذكرها المسيح للبارقليط تمنع أن يكون المقصود به روح القدس، وتؤكد أنه كائن بشري يعطيه الله النبوة. وذلك واضح من خلال التأمل في نصوص يوحنا عن البارقليط.

١ - فإن يوحنا استعمل في حديثه عن البارقليط أفعالاً حسية (الكلام، والسمع، والتوبيخ) في قوله: " كل ما يسمع يتكلم به " وهذه الصفات لا تنطبق على الألسنة النارية التي هبت على التلاميذ يوم الخمسين، إذ لم ينقل أن الألسنة النارية تكلمت يومذاك بشيء، وأما الروح فغاية ما يصنع إنما هو الإلهام القلبي، وأما الكلام فهو صفة بشرية، لا روحية. وقد فهم أوائل النصارى قول يوحنا بأنه بشارته بكائن بشري، وادعى مونتوس في القرن الثاني (١٨٧م) أنه البارقليط القادم، ومثله صنع ماني في القرن الرابع فادعى أنه البارقليط، وتشبه بالمسيح فاختار اثنا عشر تلميذاً وسبعون أسقفاً أرسلهم إلى بلاد المشرق، ولو كان فهمهم للبارقليط أنه الأقوم الثالث لما تجرؤوا على هذه الدعوى. (٢)

٢ - ومن صفات الآتي أنه يجيء بعد ذهاب المسيح من الدنيا، فالمسيح وذلك الرسول المعزي لا يجتمعان في الدنيا، وهذا ما يؤكد مرة أخرى أن المعزي لا يمكن أن يكون الروح القدس الذي أيد المسيح طيلة حياته، بينما المعزي لا يأتي الدنيا والمسيح فيها " إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي " ، وروح القدس سابق في الوجود على المسيح، وموجود في التلاميذ من قبل ذهاب المسيح، فقد كان شاهداً عند خلق السماوات والأرض. (انظر التكوين ١ / ٢)، وكان مع بني إسرائيل طويلاً "أين الذي جعل في وسطهم روح قدسه" (إشعيا ٦٣ / ١١). وكان لروح القدس دور في ولادة عيسى، حيث أن أمه " وجدت حبل من الروح القدس " (متى ١ / ١٨)، فدل ذلك على وجوده، كما اجتمعا سوياً يوم تعميد المسيح، حين "نزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة" (لوقا ٣ / ٢٢)، وأعطاه المسيح للتلاميذ قبل ذهابه حين قال لهم: " ولما قال هذا نفخ، وقال لهم: اقبلوا الروح القدس " (يوحنا ٢٠ / ٢٢)، وحسب الرهبانية اليسوعية: "ونفخ فيهم، وقال: خذوا الروح القدس"، وهكذا فالروح القدس موجود مع المسيح وقبله، وقد أعطي للتلاميذ، وأما المعزي أو الروح القدس القادم، فهو " إن لم أنطلق لا يأتيكم "، فهو ليس الروح القدس الذي يتحدث عنه المسيحيون.

(١) - انظر تاريخ العرب في الإسلام، جواد علي، ص (٩٧ - ٩٨).

(٢) - انظر: الجواب المسح لما لفته عبد المسيح، خير الدين الألوسي (١ / ٢٨٦ - ٢٩١)، محمد في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ص (٢٢٤ - ٢٢٥)، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا (٢ / ٢٧٦ - ٢٧٨). وهل بشر الكتاب المقدس بمحمد ص ١٢٥ - ١٣٠.

٣ - ومما يدل على بشرية الروح القدس أنه من نفس نوع المسيح، والمسيح كان بشراً، وهو يقول عنه: "وأنا أطلب من الآب فيعطيكُم معزياً آخر"، وهنا يستخدم النص اليوناني كلمة (allon) وهي تستخدم للدلالة على الآخر من نفس النوع، فيما تستخدم كلمة (hetenos) للدلالة على آخر من نوع مغاير. وإذا قلنا إن المقصود من ذلك رسول آخر أصبح كلامنا معقولاً، ونفتقد هذه المعقولة إذا قلنا: إن المقصود هو روح القدس الآخر، لأن روح القدس واحد وغير متعدد.

٤ - ثم إن الآتي عرضة للتكذيب من قبل اليهود والتلاميذ، لذا فإن المسيح يكثر من الوصية بالإيمان به وأتباعه، فيقول لهم: "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي"، ويقول: "قلت لكم قبل أن يكون، حتى إذا كان تؤمنوا"، ويؤكد على صدقه فيقول: "لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به"، وهذه الوصية لا معنى لها إن كان الآتي هو الروح القدس، حيث نزل على شكل ألسنة نارية، فكان أثرها في نفوسهم معرفتهم للغات مختلفة، فمثل هذا لا يحتاج إلى وصية للإيمان به والتأكيد على صدقه، لأنه يقوم في القلب من غير حاجة لرده أو قدرة على تكذيبه. ٥ - كما أن الروح القدس أحد أطراف الثالوث، وينبغي وفق عقيدة النصارى أن يكون التلاميذ مؤمنين به، فلم أوصاهم بالإيمان به؟

٦ - وروح القدس وفق كلام النصارى إله مساو للآب في ألوهيته، وعليه فهو يقدر أن يتكلم من عند نفسه، وروح الحق الآتي "لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به".

٧ - ودل نص يوحنا على تأخر زمن إتيان البارقليط، فقد قال المسيح لهم: "إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحملوها الآن، وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق"، فثمة أمور يخبر بها هذا النبي لا يستطيع التلاميذ إدراكها، لأن البشرية لم تصل لحالة الرشد التام في فهم هذا الدين الكامل الذي يشمل مناحي الحياة المختلفة، ومن غير المعقول أن تكون إدراكات التلاميذ قد اختلفت خلال عشرة أيام من صعود المسيح إلى السماء، وليس في النصوص ما يدل على مثل هذا التغيير، بل إن النصارى ينقلون عنهم أنهم بعد نزول الروح عليهم قد أسقطوا كثيراً من أحكام الشريعة وأحلوا المحرمات، فسقوط الأحكام عندهم أهون من زيادة ما كانوا ليحملوها أو يطبقوها زمن المسيح. فالبارقليط يأتي بشريعة ذات أحكام تثقل على المكلفين الضعفاء، كما قال الله: {إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً} (المزمّل: ٥).

٨ - كما أن المسيح أخبر أنه قبل أن يأتي البارقليط ستقع أحداث هامة وبارزة "سيخرجونكم من الجوامع، بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله"، وهذا الأمر إنما حصل بعد الخمسين، بل بعد قرون من رفع المسيح، فالنص لا يتحدث عن اضطهاد الرومان أو اليهود لأتباع المسيح، وإنما يتحدث عن اضطهاد رجال الكنيسة لأتباع المسيح الموحدين، وهم - أي رجال الكهنوت - يظنون أنهم بذلك يحسنون صنعاً، ويقدمون خدمة لله ودينه، فقررت مجامعهم طرد آريوس والموحدين، وأخرجوهم من الجوامع الكنسية، وحكموا عليهم بالحرمان والاضطهاد، واستمر الاضطهاد بأتباع المسيح حتى ندر الموحدون قبيل ظهور الإسلام.

٩ - وذكر يوحنا أن المسيح خبّر تلاميذه بأوصاف البارقليط، والتي لم تتمثل بالروح القدس الحال على التلاميذ يوم الخمسين، فهو شاهد تنضاف شهادته إلى شهادة التلاميذ في المسيح " فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً " فأين شهد الروح القدس للمسيح؟ وبم شهد؟ بينما نجد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شهد للمسيح بالبراءة من الكفر وادعاء الألوهية والبنوة لله، كما شهد ببراءة أمه مما رماها به اليهود {وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً} (النساء: ١٥٦).

١٠ - وأخبر المسيح عن تمجيد الآتي له، فقال: "ذاك يمجديني، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم " ولم يمجد المسيح أحد ظهر بعده كما مجده نبي الإسلام، فقد أثنى عليه، وبين فضله على سائر العالمين ، في حين أنه لم ينقل لنا أي من أسفار العهد الجديد أن روح القدس أثنى على المسيح أو مجده يوم الخمسين، حين نزل على شكل ألسنة نارية.

١١ - وأخبر المسيح أن البارقليط يمكث إلى الأبد، أي دينه وشريعته، بينما نجد أن ما أعطيه التلاميذ من قدرات يوم الخمسين إن صح اختفت بوفاتهم، ولم ينقل مثله عن رجال الكنيسة بعدهم. وأما رسولنا فيمكث إلى الأبد بهدية ورسالته، وإذ لا نبي بعده ولا رسالة.

١٢ - كما أن البارقليط " يذكركم بكل ما قلته لكم " وليس من حاجة بعد رفعه بعشرة أيام إلى مثل هذا التذكير، ولم ينقل العهد الجديد أن روح القدس ذكرهم بشيء، بل إننا نجد كتاباتهم ورسائلهم فيها ما يدل على تقادم الزمن ونسيان الكاتب لبعض التفاصيل التي يذكرها غيره، بينما ذكر رسول الله ﷺ بكل ما غفلت عنه البشرية من أوامر الله التي أنزلها على أنبيائه ومنهم المسيح عليه السلام.

١٣ - والبارقليط له مهمات لم يقيم بها الروح القدس يوم الخمسين فهو " متى جاء ذلك يبكت العالم على خطية، وعلى بر، وعلى دينونة " ولم يوبخ الروح القدس أحداً يوم الخمسين ، بل هذا هو صنيع رسول الله مع البشرية الكافرة ، ويرى عبد الأحد داود أن التوبيخ على البر قد فسره المسيح بقوله بعده: " وأما على بر فلأني ذاهب إلى أبي ولا تروني "، ومعناه أنه سيوبخ القائلين بصلبه، المنكرين لنجاته من كيد أعدائه، وقد أخبرهم أنه سيطلبونه ولن يجدوه، لأنه سيصعد إلى السماء، " يا أولادي أنا معكم زماناً قليلاً بعد، ستطلبوني، وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا، أقول لكم أنتم الآن ... " (يوحنا ١٣ / ٣٢) ، كما سيوبخ النبي الآتي الشيطان ويدينه بما يبيته من هدي ووحى "وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين "، وصفة التوبيخ لا تناسب من سمي بالمعزي، وقيل بأنه جاء إلى التلاميذ يعزيهم بفقد سيدهم ونيبهم، ثم العزاء إنما يكون في المصائب، والمسيح كان يبشرهم بذهابه ومجيء الآتي بعده.

كما أن العزاء إنما يكون حين المصيبة وبعدها بقليل، وليس بعد عشرة أيام (موعد نزول الروح القدس على التلاميذ)، ثم لماذا لم يقدم المعزي القادم العزاء لأم المسيح، فقد كانت أولى به، ثم لا يجوز للنصارى أن يعتبروا قتل المسيح على الصليب مصيبة تستوجب العزاء، إذ هو برأيهم سبب الخلاص والسعادة الأبدية

للإبشيرية، فوقوعه فرحة ما بعدها فرحة، وإصرار النصارى على أن التلاميذ احتاجوا لعزاء الروح القدس يبطل عقيدة الفداء والخلص.

ومن استعراض ما سبق ثبت بأن روح القدس ليس هو البارقليط، فكل صفات البارقليط صفات لنبي يأتي بعد عيسى، وهو النبي الذي بشر به موسى عليه السلام، فالبارقليط " لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به "، وكذا الذي بشر به موسى " أجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به "، وهو وصف النبي ﷺ كما قال الله {وما ينطق عن الهوى - إن هو إلا وحي يوحى - علمه شديد القوى} (النجم: ٣ - ٥). بل كل ما ذكر عن البارقليط له شواهد في القرآن والسنة تقول بأن الرسول ﷺ هو صاحب هذه النبوءة، إذ هو الشاهد للمسيح، وهو المخبر بالغيوب، الذي لا نبي بعده، وقد ارتضى الله دينه إلى قيام الساعة ديناً (١)..

اعتراضات المنصر بفاندر وردود العلامة الهندي عليها

ويثير المنصر بفاندر في وجه المسلمين أسئلة يراها تمنع من صرف البارقليط إلى النبي محمد أولها: أنه ورد في البارقليط أنه روح الحق ثلاث مرات، وفي مرة رابعة ورد أنه روح القدس (٢) وهي كما يقول القس بفاندر ألفاظ مترادفة تدل على الروح القدس.

والعلامة رحمة الله الهندي في كتابه العظيم "إظهار الحق" يسلم بترادف هذه الألفاظ، ويؤكد أن لفظة (روح الله) دالة على الأنبياء أيضاً، كما جاء في رسالة يوحنا الأولى: "فلا تؤمنوا أيها الأحماء بكل روح من الأرواح، بل امتحنوا الأرواح حتى تعلموا هل هي من عند الله أم لا؟ لأن كثيرين من الأنبياء الكذبة برزوا إلى هذا العالم" (يوحنا ١) / ٤ - ١)، فالأنبياء الصادقون هم روح الله، والأنبياء الكذبة هم روح الشيطان.

وبين يوحنا كيفية معرفة روح الحق من روح الضلال، أي معرفة الأنبياء الصادقين وتمييزهم عن الأنبياء الكذبة، فقال: " بهذا تعرفون روح الله: كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله، وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله، وهذا هو روح ضد المسيح الذي سمعتم أنه يأتي، والآن هو في العالم" (يوحنا ١) / ٤ - ٢). ورسولنا هو روح الحق بل دليل قول يوحنا، لأنه يعترف بالمسيح أنه رسول من عند الله، وأنه جسد، وأنه من الله كما سائر الناس هم من الله، أي أن الله خلقهم. وبولس هو روح الضلال الذي يعتبر المسيح إلهاً، وهو الموجود في العالم حينذاك.

ثانيها: أن الخطاب في إنجيل يوحنا توجه للحواريين كما في قوله " يعلمكم " و " أرسله إليكم ".... وعليه فينبغي أن يوجد البارقليط في زمنهم.

وتمنع رحمة الله الهندي هذا الفهم، بل المراد: النصارى بعدهم. وأقامهم المسيح مقام التلاميذ، وهو أمر معهود في أسفار العهد الجديد، فقد جاء في متى في خطاب رؤساء الكهنة والشيوخ والجمع " أقول لكم: من

(١) - انظر: محمد في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ص (٢١٦)، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، مونس بوكاي، ص (١٣١ - ١٣٢)، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا (٢/ ٢٧٢ - ٢٧٤، ٢٨٠)، هل بشر الكتاب المقدس بمحمد ١٣٠-١٣٤، إظهار الحق للهندي، ١١٨٥/٤ وما بعدها.

(٢) - يذكر مونس بوكاي ومحمد عبد الحليم أبو السعد أن النص في المخطوطة السينائية ليس فيه ذكر الروح القدس. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، مونس بوكاي، ص (١٣٢)، دراسة نقدية تحليلية لإنجيل مرقس، محمد عبد الحليم أبو السعد، ص (١٩٢).

الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة، وآتياً على سحاب السماء" (متى ٢٦ / ٦٤)، وقد مات المخاطبون وفنوا، ولم يروه آتياً على سحاب السماء، ومثله قول المسيح: "وقال له: الحق الحق أقول لكم: من الآن ترون السماء مفتوحة، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان" (يوحنا ١ / ٥١).

ثالثها: أن البارقليط لا يراه العالم ولا يعرفه، فقد جاء "لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكن معكم، ويكون فيكم" بينما محمد ﷺ قد عرفه الناس ورأوه. ويرد العلامة رحمة الله الهندي بأن هذا ليس بشيء، لأن روح القدس عندهم هو الله أو روح الله، والعالم يعرف ربه أكثر من معرفته بمحمد، فهي لا تصدق على تأويلهم بحال، ويرى رحمة الله الهندي أن المقصود بالنص هو أن العالم لا يعرف هذا النبي المعرفة الحقيقية (أي نبوته) أما أنتم واليهود فتعرفونه، لإخبار المسيح والأنبياء لكم عنه، وأما سائر الناس فهم كما قال المسيح: "لأنهم مبصرين لا يبصرون، وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون" (متى ١٣ / ١٣). (١) وليس المقصود بقوله: "لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكن معكم" ليس مقصوداً الرؤية البصرية والمعرفة الحسية، بل المعرفة الإيمانية. ومثله ما جاء في يوحنا "أجاب يسوع: لستم تعرفوني أنا، ولا أبي، لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً" (يوحنا ٨ / ١٩) ومثله في الأناجيل كثير. يقول متى هنري في تفسيره لإنجيل يوحنا: إن كلمة (يرى) في النص اليوناني لا تفيد رؤية العين، بل رؤية البصيرة، ولربما كان عدم معرفتهم بالمنتظر القادم أنه غريب وليس من اليهود "وأما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من أين هو" (يوحنا ٧ / ٢٧).

رابعها: جاء في وصف البارقليط أنه "مقيم عندكم وثابت فيكم"، فدل حسب رأي القس فندر على وجوده مع الحواريين، ولا يصدق هذا على محمد ﷺ. ويرى رحمة الله الهندي أن النص في تراجم وطبعات أخرى: "مستقر معكم وسيكون فيكم"، وفي غيرها: "ماكن معكم ويكون فيكم"، والمعنى في ذلك كله الاستقبال وليس الآنية، بمعنى أنه سيقم عندكم أو يمكث عندكم. ذلك أن النص دل على ذلك، فهو يقول بعدم وجوده بينهم ذلك الوقت "قد قلت لكم قبل أن يكون، حتى متى إذا كان تؤمنوا"، و "إن لم أنطلق لم يأتكم البارقليط". وهو ما يقوله النصارى حين يؤمنون أن مجيئه وحلوله كان في يوم الخمسين، ومثله أخبر حزقيال عن خروج يأجوج ومأجوج بصيغة الحاضر، وهم لم يخرجوا بعد فقال: "ها هو قد جاء وصار، يقول الرب: هذا هو اليوم الذي قلت عنه" (حزقيال ٣٩ / ٨)، ومثله في (يوحنا ٥ / ٢٥).

خامسها: جاء في كتاب الأعمال: "وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الأب الذي سمعتموه مني، لأن يوحنا عمد الماء، وأما أنتم فستعمدون بالروح القدس، ليس بعد هذه الأيام بكثير" (أعمال ١ / ٤ - ٥)، ويرى بافندر أن هذا "يدل على أن بارقليط هو الروح النازل يوم الدار، لأن المراد بموعده الأب هو بارقليط".

وفي رده يبين رحمة الله الهندي أن ما جاء في الأعمال وعد آخر لا علاقة له بالبارقليط الذي تحدث عنه يوحنا فحسب، فقد وعدوا بمجيء الروح القدس في وعد آخر، وتحقق الموعد بما ذكر لوقا في الأعمال. أما ما ذكره يوحنا عن مجيء البارقليط فلا صلة له بهذه المسألة (١).

كما اعترض آخرون من النصارى على انطباق هذه النبوءة على نبينا ﷺ لأن البارقليط سيرسله المسيح " ولكن إن ذهبت أرسله إليكم"، ومثله في قوله: "المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب"، في حين أن محمداً رسول الله لا المسيح، وقد تغافل القائل عن قول الله: "المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب"، فهو رسول الآب، ونسبة الإرسال إلى المسيح مجازية غير حقيقية، ومثلها في قوله: " قال لها ملاك الرب: تكثيراً أكثر نسلك، فلا يعد من الكثرة " (التكوين ١٦ / ١٠)، والمكثّر المبارك لنسل هاجر وغيرها هو الله، وليس ملاك، لكن لما كان الملاك هو واسطة الإخبار نسب الفعل إلى نفسه.

ونحو هذا الصنيع وقع في سفر الملوك، فقد نسب النبي إيليا إلى نفسه العقوبة الإلهية التي سيعاقب بها الرب الملك آخاب، فقد " قال آخاب لايليا: هل وجدتني يا عدوي؟ فقال: قد وجدتك، لأنك قد بعثت نفسك لعمل الشر في عيني الرب، هانذا أجلب عليك شراً، وأبيد نسلك، وأقطع لاآخاب كل بائل بجائط ومحجوز ومطلق في إسرائيل " (الملوك (١) ٢١ / ٢٠ - ٢١)، فقد نسب النبي إيليا إلى نفسه ما هو في الحقيقة صنيع الله وعقوبته، وهذه النسبة غير حقيقية، ولكنه استحقها لكونه المبلغ عن الله لهذه العقوبة (٢).

ومثله سواء بسواء ما قاله المسيح في نبوءته عن البارقليط، وبذلك فإننا نرى في البارقليط النبوءة التي ذكرها القرآن الكريم {وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد} (الصف: ٦).

ترتيب مختلف للنبوءات وصفات النبي المنتظر في الكتب السابقة

١ - النبي الخاتم هو النبي الأمي

يتوعد النبي إشعيا بني إسرائيل الذين يحرفون كتاب الله ولا يلتزمون شريعته، يتوعدهم ويهددهم بالنبي صاحب السفر المختوم، النبي الذي لا يعرف القراءة، فيقول في الإصحاح التاسع والعشرين: " أو يُدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له: اقرأ هذا، فيقول: لا أعرف القراءة " (إشعيا ٢٩ / ١٠ - ١٣)، وقد أشار القرآن الكريم إلى أمية النبي وأنها مذكورة عند أهل التوراة والإنجيل قال تعالى: {الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل} [الأعراف: ١٥٧]، فأتمية النبي وكيفية بدء الوحي إليه لأول مرة موجود عند أهل الكتاب إلى يومنا هذا. كما في أشعيا: " ويدفع الكتاب للأمّي ويقال له: اقرأ هذا أرجوك فيقول: أنا أمّي " (أشعيا ٢٩ : ١٢) أي لست بقارئ، وهذا ترجمة للنص الذي ورد في نسخة الملك جيمس للكتاب المقدس المعتمدة عند النصارى وهي أوثق النسخ للتوراة والإنجيل عندهم .

(١) - انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (٤ / ١١٩٨ - ١٢٠٤).

(٢) - د. منقذ السقار، هل بشر الكتاب المقدس بمحمد صلى الله عليه وسلم ص ١٣٩

أما في النسخة المسماة (Good News Bible) ورد ما ترجمته كالآتي: " إذا تعطيه إلى شخص لا يستطيع القراءة وتطلب إليه أن يقرأ عليك سيجيب بأنه لا يعرف كيف " ، بينما نجد هذا النص الواضح في الطبقات الإنجليزية نرى أن القسس العرب قد حرفوا هذا النص في نسخته العربية فجعلوا العبارة كالآتي: " أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له: اقرأ هذا فيقول: لا أعرف الكتابة (١) " .

فانظر كيف حرفوا النص! فالسائل يطلب القراءة والني ينفي عن نفسه معرفة الكتابة! وهذا التحريف مقصود لئلا تتطابق الحادثة المذكورة في النص السابق مع قصة نزول جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم ومطالبته له بالقراءة فنفي النبي عن نفسه القدرة على القراءة ، " قال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ" (٢) ، وكم من الزمن قد مر بعد عيسى عليه السلام، وما نزل وحي على نبي أمي إلا على النبي الأمي محمد ﷺ ، الذي يجدون أميته مكتوبة عندهم حتى يومنا هذا.

ونزل النبي من على غار حراء خائفاً فزعاً، وذهب إلى ورقة بن نوفل - وكان من علماء أهل الكتاب - فقص عليه الخبر، فعرف ورقة نبوة النبي بما قرأ في سفر النبي إشعيا، فقال: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك .. لم يأت رجل بما جئت به إلا أودي، وإن يُدركني يومك حياً أنصرك نصراً مؤزراً. (٣) وأما معرفته بإخراج قريش للنبي ﷺ ومعاداته، فقد عرفه ورقة من سفر إشعيا أيضاً حيث جاءت فيه البشارة بالنبي الذي يبعث في بلاد وعره من أرض العرب، يقول السفر التوراتي " وحي من جهة بلاد العرب، في الوعر في بلاد العرب تبيتين، يا قوافل الددانيين هاتوا ماء لملاقات العطشان، يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه، فإنهم من السيوف قد هربوا " (إشعيا ٢١ / ١٣ - ١٤) ، فالنص التوراتي يتحدث إلى قبائل الددانيين في أرض تيماء، لينحدوا النبي الذي خرج مع أصحابه هرباً من وجه السيوف، ويشير إلى مكان بعثته الوعر من بلاد العرب، وهي صفة مكة المكرمة، مكان مولده ، فشهادة ورقة - وهو من علماء أهل الكتاب - دليل ساطع على نبوة النبي ﷺ ، وهذه الشهادة موثقة معتبرة، فقد استخراجها من كتب أهل الكتاب، مما تبقى بها من آثار الأنبياء وأنوار الوحي {ويقول الذين كفروا لست برسلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب } (الرعد: ٤٣) .

٢ - اسم النبي صلى الله عليه وسلم في الكتاب المقدس

التوراة: نشيد الأنشاد: الاصحاح الخامس: الفقرة ١٦: " كلامه أحلى الكلام إنه محمد العظيم هذا حبيبي وهذا خليلي "

١ - لا تزال نسخ التوراة باللغة العبرية تحمل اسم محمد جلياً واضحاً إلى يومنا هذا. ففي نشيد الأنشاد من التوراة في الاصحاح الخامس الفقرة السادسة عشر وردت هذه الكلمات: ((حكومتكم فكلو محمدتم زيه دودي فزيه ريعي)) .

(١) - النصوص العربية كلها مقتبسة من " الكتاب المقدس " / دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .

(٢) - فتح الباري ك/ التفسير ب/ تفسير سورة: اقرأ باسم ربك الذي خلق (١)

(٣) - رواه البخاري ح (٤)

ومعنى هذا: "كلامه أحلى الكلام إنه محمد العظيم هذا حبيبي وهذا خليلي". فاللفظ العبري يذكر اسم محمد جليا واضحا ويلحقه ب (يم) التي تستعمل في العبرية للتعظيم ، واسم محمد مذكور أيضا في المعجم المفهرس للتوراة (١) عند بيانه هذا اللفظ المتعلق بالنص السابق "محمديم" (٢) .

لكن يد التحريف عند اليهود والنصارى تأبى التسليم بأن لفظ "محمد" هو اسم النبي وتصر على أنه صفة للنبي وليس اسما له؛ فيقولون إن معنى لفظ "محمديم" هو "المتصف بالصفات الحميدة" كما جاء في نسخة الملك جيمس المعتمدة عند النصارى: "كلامه أحلى الكلام إنه صاحب الصفات الحميدة هذا حبيبي وهذا خليلي" نسخة القياسية المنقحة وعليه يكون المعنى لهذه الإشارة عندهم "كلامه أحلى الكلام" (٣) إنه صاحب الصفات الحميدة".

فمن هو، يا أهل الكتاب، غير "محمديم" محمد العظيم الرسول ﷺ الذي كلامه أحسن الكلام وهو المحمود في صفاته كلها، وهو حبيب الله و خليله كما جاء ذلك في نفس النشيد عقب ذكر اسمه. " هذا هو حبيبي وهذا هو خليلي".

٢- وأما ما جاء عن اسمه عند النصارى، فقد ورد في عدة أماكن، منها ما جاء في إنجيل يوحنا (٧/١٦) في قول عيسى عليه السلام وهو يخاطب أصحابه: " لكني أقول لكم إنه من الخير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي (الفارقليط) . وكلمة "المعزي" أصلها منقول عن الكلمة اليونانية (باراكلي طوس) المحرفة عن الكلمة (بيركلوطوس) التي تعني محمدا أو أحمد. " إن التفاوت بين اللفظين يسير جدا، وإن الحروف اليونانية كانت متشابهة، وإن تصحيف " بيركلوطوس" إلى " باراكلي طوس" من الكاتب في بعض النسخ قريب من القياس، ثم رجح أهل التثليث هذه النسخة على النسخ الأخرى. " (٤) .

٣- في إنجيل " برنابا" الذي استبعده الكنيسة عام ٤٩٢ م بأمر من البابا جلاسيوس، وحرمت قراءته وصوره من كل مكان، لكن مكتبة البابا كانت تحتوي على هذا الكتاب. وشاء الله أن يظهر هذا الإنجيل على يد راهب لاتيني اسمه " فرامرينو" الذي عثر على رسائل " الإبريانوس" وفيها ذكر إنجيل برنابا يستشهد به، فدفعه حب الاستطلاع إلى البحث عن إنجيل برنابا وتوصل إلى مبتغاه عندما صار أحد المقرئين إلى البابا" سكتش الخامس. " فوجد في هذا الإنجيل أنه سيزعم أن عيسى هو ابن الله وسيبقى ذلك إلى أن يأتي محمد رسول الله فيصحح هذا الخطأ. يقول إنجيل برنابا في الباب "٢٢٠": " وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله الذي متى

(١) - The New Strong Exhaustive Concordance of th Bible, James, LL.D.S.T.D.Thom as Nelson Publishers, - (١) Nashville, USA, 1984, P.64) Hebrew Dictionary .)

(٢) - لغة الإنجليزية يكتبونه كما يلي Machmad. : ولافتقار اللغة الإنجليزية للحرف "ح" فإنهم يعبرون عنه بالحرفين "Ch" ويجعلونه أقرب إلى حرف الخاء كما ورد ذلك في المعجم المفهرس المذكور بأن هذا الحرف المكون من "Ch" أقرب ما يكون للخاء الألمانية، أي أن استعمال "Ch" جاء بدلا عن حرف الخاء، فيكون الاسم هو محمد، اسم النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) - كما جاء في النسخة القياسية المنقحة. Revised Standard Version of the Bible, The Inernational Council of Churches of Christ in the United Sates, 1971.

(٤) - ورد تفصيل سابق لهذه النقطة ويراجع إظهار الحق «رحمة الله بن خليل الهندي» ، وأشار إلى هذا التحريف مطران الموصل الذي أسلم، وسمى نفسه عبد الأحد، وهو عبد الأحد داود الآشوري، وذلك في كتابه: محمد في الكتاب المقدس ص ٢١٦.

جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله. " وقد أسلم «فرامرينو» وعمل على نشر هذا الإنجيل الذي حاربه الكنيسة بين الناس (١).

٤- هذا وقد كان اسم النبي صلى الله عليه وسلم موجودا بجلاء في كتب اليهود والنصارى عبر التاريخ ، وكان علماء المسلمين يحتاجون الأحبار والرهبان بما هو موجود من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم، ومن ذلك: جاء في سفر أشعيا: " إني جعلت اسمك محمدا، يا محمد يا قدوس الرب، اسمك موجود من الأبد" ذكر هذه الفقرة علي بن ربن الطبري (الذي كان نصرانيا فهده الله للإسلام) في كتابه: الدين والدولة، وقد توفي عام ٢٤٧ هـ (٢).

وجاء في سفر أشعيا أيضا: " سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد" (٣) وجاء في سفر حقوق: " إن الله جاء من التيمان، والقدوس من جبل فاران، لقد أضاءت السماء من بهاء محمد، وامتألت الأرض من حمده" ذكره علي بن ربن الطبري في كتابه الدين والدولة (٤) ، وذكره إبراهيم خليل أحمد، الذي كان قسا نصرانيا فاسلم في عصرنا ونشر العبارة السابقة في كتاب له عام ١٤٠٩ هـ.

وجاء في سفر أشعيا أيضا: " وما أعطيه لا أعطيه لغيره، أحمد يحمد الله حمدا حديثا، يأتي من أفضل الأرض، فتفرح به البرية وسكانها، ويوحدون الله على كل شرف، ويعظمونه على كل رابية" (٥) ، وذكره عبد الله الترجمان الذي كان اسمه: انسلم تورميديا، وكان قسا من أسبانيا فأسلم وتوفي عام ٨٣٢ هـ ، ولقد روى جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن لي أسماء، أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب» (٦) . قال الله تعالى: {وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين } [الصف: ٦] .

- " المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض إسلام، وللناس أحمد"

ويقول مطران الموصل السابق الذي هداه الله للإسلام، وهو البروفيسور عبد الأحد داود الآشوري (في كتابه: محمد في الكتاب المقدس) (٧) : " إن العبارة الشائعة عند النصارى: " المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة" لم تكن هكذا، بل كانت: " المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض إسلام، وللناس أحمد"

(١) - «خليل سعادة» في مقدمته لترجمته لإنجيل برنابا إلى اللغة العربية، وقد نقل قصة فرامرينو مما هو مدون في مقدمة النسخة الإسبانية كما رواها المستشرق سايل، في مقدمة له لترجمة القرآن.

(٢) - وذكرها صالح بن حسين الهاشمي المتوفى عام ٦٦٨ هـ في كتابه: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل، وذكرها القراني المتوفى عام ٦٨٢ هـ في كتابه: الأجوبة الفاخرة، وذكرها ابن تيمية المتوفى عام ٧٢٨ هـ في كتابه: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح؛ وذكرها ابن قيم الجوزية المتوفى عام ٧٥١ هـ في كتابه: هداية الخياري من اليهود والنصارى.

(٣) - ذكره الأئمة: صالح الهاشمي والقراني وابن تيمية وابن القيم في كتبهم السابق ذكرها.

(٤) - وذكره علي بن محمد الماوردي المتوفى عام ٤٥٠ هـ في كتابه: أعلام النبوة، وأبو عبيد الخزرجي المتوفى عام ٥٨٢ هـ في كتابه: مقامع هامات الصليبان ومراتب روضات الإيمان؛ وذكره القرطبي المتوفى عام ٦٧١ هـ في كتابه الإعلام؛ وكذلك ذكره الهاشمي والقراني وابن تيمية وابن القيم في كتبهم التي سبق ذكرها.

(٥) - ذكره الأئمة: الخزرجي والهاشمي والقرطبي والقراني وابن تيمية وابن القيم في كتبهم التي سبق ذكرها.

(٦) - أخرجه البخاري ك/ المناقب ب/ ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسلم ك/ الفضائل ب/ في أسمائه صلى الله عليه وسلم، والترمذي ك/ الأدب ب/ ما جاء في أسماء النبي، والنسائي في السنن الكبرى ٦/ ٤٨٩ وأحمد في المسند ٤/ ٨٠ وغيرهم.

(٧) - فصل: الإسلام والأحمديات التي أعلنتها الملاحكة ص ١٤٥-١٥٤.

٥- ولقد جاء ذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة عند الهندوس فقد جاء في كتاب " السامافيدا" الجزء الثاني: الفقرة ٦، ٨ ما نصه: " أحمد تلقى الشريعة من ربه وهي مملوءة بالحكمة وقد قبست من النور كما يقبس من الشمس" ..

٦- وجاء في كتاب أدروافيدم (أدهروويدم) وهو كتاب مقدس عند الهندوس (١) " أيها الناس اسمعوا وعوا يبعث محمد بين أظهر الناس .. وعظمته تحمد حتى في الجنة ويجعلها خاضعة له وهو المحامد" (محمد) .

٧- وجاء في كتاب هندوسي آخر هو بفوشيا برانم " بهوشى بهوشى برانم" (٢):

" في ذلك الحين يبعث أجنبي مع أصحابه باسم محمد الملقب بأستاذ العالم (أي رسول العالم) ، والمملك يطهره بالخمسة المطهرات" ، وفي قوله الخمسة المطهرات إشارة إلى الصلوات الخمس التي يتطهر بها المسلم من ذنوبه كل يوم (٣) .

٣- نسب النبي الأمي الخاتم (صلى الله عليه وسلم)

لقد دعا سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام الله وهما بمكة أن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة له، وأن يبعث فيهم رسولا منهم، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى دعاءهما في قوله تعالى: ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم (١٢٨) ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [البقرة: ١٢٨ - ١٢٩] .

١- وقد جاء في التوراة ذكر للوعد الإلهي لإبراهيم أن يجعل من ذرية إسماعيل أمة هداية عظيمة، فقد ورد في سفر التكوين ما يأتي: " وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا. اثني عشر رئيسا يلد، واجعله أمة كبيرة. " الإصحاح ١٧ العبارات من ١٩ - ٢١ .

٢- وورد فيه أيضا: " وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك" (٢١، / ١٢ و ١٣) ، ولم تكن هناك أمة هداية من نسل إسماعيل إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم التي قال الله عنها: كنتم خير أمة أخرجت للناس [آل عمران: ١١٠] .

٣- وقد جاء في التوراة في سفر التثنية (١٨ ، / ١٧) على لسان موسى عليه السلام: " قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا. أقيم لهم نبيا من وسط أخواتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه. " s will scnd them a prophct like you from among their own people: " من وسط إخوتهم" في النسخة الإنجليزية الحديثة Bible Good News والمقصود بإخوتهم أبناء إسماعيل عليه السلام، لأنه

(١) - الجزء العشرين، الفصل ١٢٧، الفقرة ١ - ٣.

(٢) - الجزء ٣، الفصل ٣، العبارة ٥ وما بعدها.

(٣) - مأخوذ من كتاب التيارات الخفية في الديانات الهندية القديمة لمؤلفه " تى محمد". أما النصوص الفارسية والهندية في نهاية هذا المبحث فمأخوذة من كتاب: Muhammad in Parsi, Hindoo and Buddhist Scriptures, A.H.Vidyarthi and U.Ali

أخو إسحاق عليه السلام الذي ينسب إليه بنو إسرائيل، حيث هما ابنا إبراهيم الخليل عليه السلام، ومحمد صلى الله عليه وسلم من ذرية إسماعيل ولو كانت البشارة تخص أحدا من بني إسرائيل لقلت: "منهم" (١).

فمحمد ﷺ هو من وسط إخوانهم، وهو مثل موسى عليه السلام نبي ورسول وصاحب شريعة جديدة، وحارب المشركين وتزوج وكان راعي غنم، ولا تنطبق هذه البشارة على يوشع كما يزعم اليهود لأن يوشع لم يوح إليه بكتاب، كما جاء في سفر التثنية: (٣٤ الفقرة: ١٠) "ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى". كما أن البشارة لا تنطبق على عيسى عليه السلام كما يزعم النصارى، إذ لم يكن مثل موسى عليه السلام من وجوه؛ فقد ولد من غير أب وتكلم في المهد ولم تكن له شريعة كما لموسى عليه السلام، ولم يمّت بل رفعه الله تعالى إليه.

٤ - وفي إنجيل متى (٢١ / ٤١ - ٤٢). جاء ما يلي: "قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب. الحجر الذي رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل آثاره".

وهذا معناه أن الرسالة تنتقل من بني إسرائيل إلى أمة أخرى، فيكون الرسول المبشر به من غير بني إسرائيل.

٤ - مكان بعثته (صلى الله عليه وسلم)

١ - تذكر التوراة المكان الذي نشأ فيه إسماعيل عليه السلام، فقد جاء في سفر التكوين (٢١، / ٢١ - ٢٢): "وفتح الله عينها (يقصد هاجر) فأبصرت بئر ماء (زمزم) فذهبت ومألت القرية ماء وسقت الغلام (إسماعيل) وكان الله مع الغلام فكبر. وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس وسكن في بيرة فاران"، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن إسماعيل عليه السلام كان راميا، فقد مر على نفر من قبيلة أسلم يرمون بالسهام، فقال لهم: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا» (٢).

٢ - كما جاء في التوراة في سفر أشعيا: "وحي من جهة بلاد العرب، في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانين. هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بحبزه. فإنهم من أمام السيوف قد هربوا. من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب. فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قي دار وبقية عدد قسي أبطال بني قي دار تقل، لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم" سفر أشعيا: (٢١ / ١٢)، "وحي من جهة بلاد العرب" وهذا إعلان عن المكان والأمة التي سيخرج منها الرسول حاملا الوحي من الله إلى الناس.

٣ - وبأبي تحديد آخر للمكان الذي سترتفع فيه الدعوة الجديدة بشعاراتها الجديدة التي ترفع من رؤوس الجبال ويهتف بها الناس، فتقول التوراة في سفر أشعيا (٤٢ / ١٠ - ١١): "غنوا للرب أغنية جديدة،

١ - لقد تبه الخرفون لهذا فبدلوا العبارة التي تعني "من وسط إخوانهم" في النسخة الإنجليزية الحديثة Good News Bible: إلى عبارة تعني «من بين قومهم»: [ص. (From among their own people)].

٢ - أخرجه البخاري ك/ الجهاد والسير ب/ التحريض على الرمي، وابن ماجه في السنن ك/ الجهاد ب/ الرمي في سبيل الله، وأحمد في مسنده ١/ ٣٦٤ و ٤/ ٥٠ وابن حبان في صحيحه ١٠/ ٥٤٨ وغيرهم.

تسيححه من أقصى الأرض، أيها المنحدرون في البحر وملؤه، والجزائر وسكانها، لترفع البرية ومدنّها صوتها (رفع الصوت بالأذان) الديار التي سكنها قي دار (أحد أبناء إسماعيل كما تذكر التوراة) لتترنم سكان سابع (جبل بالمدينة) من رؤوس الجبال ليهتفوا (رفع الصوت بالأذان) ، والأغنية عندهم هي الهتاف بذكر الله الذي يرفع به الصوت من رؤوس الجبال، وهذا لا ينطق إلا على الأذان عند المسلمين، كما أن سكان سابع والديار التي سكنها قي دار هي أماكن في جزيرة العرب، وكل ذلك يدل على أن مكان الرسالة الجديدة والرسول المبشر به هو جزيرة العرب.

٤- وجاء في التوراة في سفر التثنية (٣٣ ، / ٠٢) : " جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير وتلألأ من جبل فاران" ويرى بعض شراح التوراة ممن أسلم أن هذه العبارة الموجودة في

التوراة تشير إلى أماكن نزول الهدى الإلهي إلى الأرض ،فمجيئه من سيناء: إعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام ، وإشراقه من ساعير: إعطاؤه الإنجيل للمسيح عيسى عليه السلام. وساعير: سلسلة جبال ممتدة في الجهة الشرقية من وادي عربية في فلسطين وهي الأرض التي عاش فيها عيسى عليه السلام ،وتلألؤه من جبل فاران: إنزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وفاران هو الاسم القديم لأرض مكة التي سكنها إسماعيل عليه السلام.

٥- وجاء في التوراة أن داود عليه السلام يترنم ببيت الله ويتمنى أن يكون فيه، ويعلل ذلك بمضاعفة الأجر هناك (المزمور ٨٤ الفقرة ١-٢-٣-٤ و ١٠). يقول في الفقرة ٦ : " ما أسعد أولئك الذين يتلقون قوتهم منك، الذين يتوقون لأداء الحج إلى جبل المجتمع الديني الذي خلص لعبادة الله (١) وهم يبرون عبر وادي بكة الجفاف فيصبح مكانا للينابيع"(٢).

the valley of Bmake it a well ps 6: 48

(BACA) ba cah (وادي بكة يصبرونه بئرا) وذلك في المعجم سترونغ المفهرس الشامل للكتاب (المقدس) ص ٩٥ وفي نسخة أخرى: " فيصبرونه بئرا أو ينبوعا (٣) ."

و وادي بكة قد ورد ذكره في القرآن الكريم وأنه هو الذي فيه البيت الحرام قال تعالى: {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين (٩٦) فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين } [آل عمران: ٩٦-٩٧] ،وقد ذكر الله جفاف هذا الوادي بقوله- سبحانه- وهو يذكر دعاء إبراهيم عليه السلام: {ربنا إني أسكنت من

(١) - هو بالنص الإنجليزي، Zion ومعنى: Zion المجتمع الديني الذي خلص لعبادة الله، أو المدينة الفاضلة كما جاء ذلك في قاموس Websters Seventh New Collegiate Dictionary: ذكر معاني أخرى لا تستقيم مع الموضوع الجغرافي المذكور في النص. وعند الرجوع إلى أصل الكلمة العبري تبين أنها مقتبسة من جذر يعني: جفاف، صحراوي، أجرد (أرض أو مكان) جاف، مكان مقفر، برية. وهذا كله يشير إلى أن المكان للعبر عنه بكلمة ZION في النص الإنجليزي هو برية مكة الجرداء المقفرة الجافة،

راجع كتاب The New Strong Exhaustive Concordance of the Bible, James Strong, LL.D.S.T.D. والمعجم العبري ص ٩٩، فقرة رقم: ٦٧٢٣. انظر نهاية للبحث، الفقرة [م] .

(٢) - Good News Bible ص ٥٨٥ .

(٣) - وادي بكة يصبرونه بئرا، المعجم سترونغ المفهرس الشامل للكتاب (المقدس) ص ٩٥، الكتاب المقدس الذي تصدره جمعية الكتاب المقدس بالشرق الأدنى.

ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم} [إبراهيم: ٣٧] ، ومعلوم أن هذا الوادي الجاف قد جعل الله فيه بئر
ززم عند ما سكنت هاجر فيه مع ابنها إسماعيل عليه السلام.

لكن أصبحت في الترجمات العربية " عابرين في وادي البكاء "

فقد أخرج النصارى العرب بالنص على وادي بكة! فحرفوه كما في الكتاب المقدس عندهم في الطبعة
العربية فقالوا: " عابرين في وادي البكاء "، وحذفوا أيضا لفظ " الحجاج " الذي ورد في النص الإنجليزي المذكورة
ترجمته سابقا ، ولا توجد صلة بين وادي بكة والبكاء، وقد ورد اسم " بكة " في النص الإنجليزي مبتدئا بحرف
كبير مما يدل على أنه علم غير قابل للترجمة (Baca) .

٦- كما جاء في الكتب الزرادشتية بشارات تشير إلى المكان الذي تظهر فيه دعوة محمد صلى الله عليه
وسلم، ومن ذلك: " إن أمة زرادشت حين ينبذون دينهم يتضعضعون وينهض رجل في بلاد العرب يهزم أتباعه
فارس ويخضع الفرس المتكبرين، وبعد عبادة النار في هياكلهم يولون وجوههم نحو كعبة إبراهيم التي تطهرت من
الأصنام.. " (١).

٥ - صفاته في كتبهم (صلى الله عليه وسلم)

من صفاته صلى الله عليه وسلم أنه أمي، وقد سبق بيانه.

٢ - كما وصف في سفر أشعيا (٢١ / :٠٦) بأنه (راكب الجمل) وفي هذا إشارة إلى أنه من الصحراء
وهكذا كان محمد صلى الله عليه وسلم.

٣- ووصف في المزامير (مزمور: ٧٢ الفقرة: ١٠). بأن: " ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية " ، وقد انتهى
ملوك اليمن ولم يظهر نبي دان له ملوك اليمن إلا محمد ﷺ .

٤ - ووصف فيها أيضا (مزمور: ٧٢ الفقرة: ١٥) بأنه " يصلى عليه ويبارك عليه كل وقت " وهكذا
شأن محمد صلى الله عليه وسلم، فالمسلمون يباركون عليه كل يوم عدة مرات في صلاتهم.

٥- ووصف فيها أيضا (مزمور: ٤٥ الفقرة: ٣) . بأنه " متقلد سيفاً "، وفيها أيضا الفقرة: ٥ من المزمور
السابق ما يلي: " وأنه يرمي بالنبل "

٦- وجاء في إنجيل متى (٢١ / :٤١ - ٤٤) . وصفه بأنه الحجر الذي أتم بناء النبوة، ففيه: " قال لهم
يسوع أما قرأتم قط في الكتب. الحجر الذي رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو
عجيب في أعيننا لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره" ، وأمة محمد صلى الله
عليه وسلم أمة أمية، لم يكن لها شأن بين الأمم، وكان من العجيب أن يكون الرسول الذي يخرج منها هو رأس

١ - من كتاب " محمد في الأسفار العالمية " للأستاذ عبد الحق . ، يذهب بعض الباحثين إلى أن الزرادشتية هي الجوسية، وقيل بل الجوسية أسبق من الزرادشتية، وإنما
زرادشت أظهر الجوسية وحددها في القرن الثالث الميلادي. قال النبي صلى الله عليه وسلم " سنوا بالجوس سنة أهل الكتاب " أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف ٢ / ٤٣٥
ومالك في الموطأ ١ / ٢٧٨ ومن طريقه الشافعي في مسنده ١ / ٢٠٩ ومن طريق الشافعي البيهقي في السنن الكبرى، وكذلك رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٩ / ٤٣٧
قال في مجمع الزوائد ٦ / ١٣ : رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم، وقال في تلخيص الخبير: ورواه (يعني الحديث) ابن أبي عاصم في كتاب النكاح بسند حسن. انظر
الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٢ / ١١٤٩ .

الزاوية في بناء النبوة. وقد أخرج البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» وتذكر هذه البشارة على لسان عيسى عليه السلام أن صاحب هذا الوصف ليس من بني إسرائيل، وأن النبوة ستنتزع من بني إسرائيل وتعطى لأمة أخرى " تعمل أثماره" أي تحقق ثماره، فكانت هذه الأمة التي كانت مزدرة في أعين الناس هي أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهي الأمة الجديدة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس.

٦- وجاء في سفر أشعيا (٢١ / ١٣ - ١٧) : " وحي من جهة بلاد العرب في الوعر في بلاد العرب تبيتين، يا قوافل الددانيين (١) هاتوا ماء ملاقاتة العطشان يا سكان أرض تيماء، وافوا الهارب بحبزه فإنهم من السيوف قد هربوا من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قي دار وبقية عدد قسي أبطال بني قي دار تقل؛ لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم". تفيد هذه البشارة أن الله أوحى إلى أشعيا: " لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم"، بأن وحيا سيأتي من جهة بلاد العرب: " وحي من جهة بلاد العرب"، وأن تلك الجهة من بلاد العرب هي الوعر التي تبيت فيها قوافل الددانيين، وددان قرب المدينة النبوية المنورة كما تدل على ذلك الخرائط الكنسية القديمة.

ويأمر الوحي الذي تلقاه أشعيا أهل تيماء أن يقدموا الشراب والطعام لهارب يهرب من أمام السيوف، ومجيء الأمر بعد الإخبار عن الوحي الذي يكون من جهة بلاد العرب قرينة بأن الهارب هو صاحب ذلك الوحي الذي يأمر الله أهل تيماء بمناصرته: " هاتوا ماء ملاقاتة العطشان. يا سكان أرض تيماء، وافوا الهارب بحبزه"، وأرض تيماء منطقتة من أعمال المدينة، وفيها يهود تيماء الذين انتقل معظمهم إلى يثرب .

ويذكر المؤرخون (الإخباريون) العرب نقلا عن اليهود في الجزيرة العربية أن أول قدوم اليهود الى الحجاز كان في زمن موسى عليه السلام عندما أرسلهم في حملة ضد العماليق في تيماء، وبعد قضائهم على العماليق وعودتهم إلى الشام بعد موت موسى منعوا من دخول الشام بحجة مخالفتهم لشريعة موسى لاستبقائهم ابنا لملك العماليق فاضطروا للعودة إلى الحجاز والاستقرار في تيماء ثم انتقل معظمهم إلى يثرب (٢) . فأهل يثرب من اليهود هم من أهل تيماء المخاطبين في النص وكان تاريخ مخاطبة اشعياء لاهل تيماء في هذا الاصحاح هو النصف الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد.

ويفيد الوحي إلى أشعيا أن الهارب هرب ومعه آخرون: " فإنهم من أمام السيوف قد هربوا"، ثم يذكر الوحي الخراب الذي يجل بمجد قي دار بعد سنة من هذه الحادثة، مما يدل على أن الهروب كان منهم، وأن عقابهم كان بسبب تلك الحادثة: " فإنه هكذا قال لي السيد (الله) : في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قي دار، وبقية عدد قسي أبطال بني قي دار تقل"، وتنطبق هذه البشارة على محمد صلى الله عليه وسلم وهجرته

١ - ددان: بلد أقرب من تيماء إلى المدينة النبوية المنورة. ، الكتاب المقدس «عند أهل الكتاب» ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط
 (٢) - كان ذلك منذ اثني عشر قرنا قبل الميلاد. ،الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، محمد بن عبد المنعم الحميري، مكتبة لبنان، ١٩٨٤ م ص ١٤٦-١٤٧. وجاء مثل ذلك في: وفاء الوفاء بأخبار المصطفى، للمسعودي، دار احياء التراث العربي بيروت ج ١ ص ١٥٩.

تمام الانطباق؛ فقد نزل الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم في بلاد العرب، وفي الوعر من بلاد العرب، في مكة والمدينة. وهاجر الرسول ﷺ من مكة من أرض بني قيدار (أحد أبناء اسماعيل من قريش) الذين كانوا قد عينوا من كل بطن من بطونهم شابا جلدا ليجتمعوا لقتل محمد صلى الله عليه وسلم ليلة هجرته، فجاء الشباب ومعهم أسلحتهم فخرج الرسول مهاجرا (هاربا) ، فتعقبته قريش بسيفها وقسيها كما تذكر العبارة:

" فإتبعهم من أمام السيوف قد هربوا، من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدودة".

ثم عاقب الله قريشا (أبناء قيدار) بعد سنة ونيف من هجرته صلى الله عليه وسلم بما حدث في غزوة بدر من هزيمة نكراء أذهبت مجد قريش، وقتلت عددا من أبطالهم: " كما قال لي السيد (الله) : في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار، وبقية عدد قسي أبطال بني قيدار تقل"، وتؤكد العبارة أن هذا الإخبار وأن هذا التبشير بنزول الوحي في بلاد العرب وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم وما يجري له من هجرة ونصر هو بوحى من الله: " لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم"

إن ما حملته هذه البشارة من معان لا بد أن يكون قد وقع؛ لأنه يقع في عصر آلة الحرب فيه السيف والنبل، وقد انتهى عصر الحرب بالسيف والنبل.

* فهل نزل وحي في بلاد العرب غير القرآن؟!

* وهل هناك نبي هاجر من مكة إلى المدينة واستقبله أهل تيماء غير محمد صلى الله عليه وسلم؟!

* وهل هناك هزيمة لقريش بعد عام من الهجرة إلا على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر؟!

إن هذه البشارة تدل على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنها إعلان إلهي عن مقدمه ينقلها أحد أنبياء بني إسرائيل (أشعيا) (١) ، وبقي هذا النص إلى يومنا هذا على الرغم من حرص كفرة أهل الكتاب على التحريف والتبديل.

٧- وجاء في صفته في المزمير (المزمور ٤٥ الفقرة ٣) : " انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد تقلد سيفك"

٨- وجاء في التوراة في سفر أشعيا (٤٢ / ١) في وصفه: " هو ذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي، وضعت روعي عليه فيخرج الحق للأمم. لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته". وهذا يتطابق مع ما نقله الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو رضي الله عنه من التوراة التي قرأها في زمنه، فقد قال عطاء بن يسار له: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب (هو رفع الصوت بالخصام). في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة

السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا^(١)

٩ - وجاء في صفة الدين الذي يأتي به ما يأتي:

أولا: الأذان للصلاة كما سبق بيانه.

ثانيا: الصلاة كتفا إلى كتف: فقد جاء في التوراة في سفر صفيانيا (٣ الفقرة ٩ - ١٠) ما يأتي:

" لأني حينئذ أحول الشعوب إلى شفة نقية ليدعوا كلهم باسم الرب ليعبدوه بكتف واحدة"

وبالإسلام توحدت لغة العبادة لله، فيقرأ القرآن في الصلاة بلغة واحدة هي العربية، ويصفون كتفا إلى كتف..."

ثالثا: تحويل القبلة: فقد جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح ٤ الفقرة ٢٠ - ٢١ ما يأتي:

إن امرأة سامرية تقول لعيسى عليه السلام: " آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه، قال لها يسوع يا امرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون"، وهذا إعلان بأن القبلة ستتحوّل من بيت المقدس. ولا يكون ذلك إلا على يد رسول، كما حدث على يد النبي صلى الله عليه وسلم وفقا لأمر الله القائل: {فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون} [البقرة: ١٤٤]

رابعا: الهداية إلى جميع الدين الحق: فقد جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح ١٦ الفقرة ١٢ - ١٣. ما يأتي: يقول عيسى عليه السلام: " إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية"، قال الله تعالى: {ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين} [النحل: ٨٩]. وقال تعالى: {وما ينطق عن الهوى (٣) إن هو إلا وحي يوحى} [النجم: ٣ - ٤].

خامسا: ذكر بعض شعائر دينه صلى الله عليه وسلم في الكتب السابقة: فقد جاء في كتاب بفوشيا برانم^(٢) وصف لأصحاب محمد ﷺ بأنهم: " هم الذين يختنون، ولا يربون القرع، ويربون اللحي، وهم مجاهدون وينادون الناس للدعاء (ينادون للصلاة لأن الصلاة دعاء) بصوت عال، ويأكلون أكثر الحيوانات إلا الخنزير، ولا يستعملون الدرباء (نبات يخرج به الهنود الدم من جسم الإنسان ويعدون هذا العمل تطهيرا من الخطايا) للتطهير بل الشهداء هم المتطهرون، ويسمون "بمسلي" (يسمون بالمسلمين) بسبب أنهم يقاتلون من يلبس الحق بالباطل، ودينهم هذا يخرج منا وأنا الخالق".

(١) - أخرجه البخاري ك/ البيوع ب/ كراهية السحب في الأسواق، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٤٥ وأحمد في المسند ٢/ ٦٧٨.

(٢) - الجزء ٣ - فصل ٣، وهو من كتب الهندوس كما سبق ذلك.

وجاء في كتاب " محمد في الأسفار العالمية" ما ترجمه الأستاذ عبد الحق من كتب الزرادشتية بشأن محمد وأصحابه " إن أمة زرادشت حين ينبذون دينهم يتضعضعون، وينهض رجل في بلاد العرب يهزم أتباعه فارس، ويخضع الفرس المتكبرين، وبعد عبادة النار في هياكلهم يولون وجوههم نحو كعبة إبراهيم التي تطهرت من الأصنام، ويومئذ يصبحون هم أتباع النبي رحمة للعالمين، وسادة لفارس ومديان وطوس وبلخ (الأماكن المقدسة للزرادشتيين) وإن نبيهم ليكونن فصيحاً يتحدث بالمعجزات" (١).

أفلا يؤمنون

وبعد هذه الأمثلة من البشارات التي أشرنا إليها، يتضح لنا أن الكتب المقدسة عند الأمم والشعوب قد أشارت إلى النبي الخاتم الذي يبعث وذلك قبل بعثته بقرون كثيرة. قال تعالى: وإنه لفي زبر الأولين (١٩٦) [الشعراء: ١٩٦] ، وقد تواترت هذه البشارات والأخبار المبشرة ببعثته بين شعوب الأرض جميعاً، ذلك أن رسل الله عليهم السلام قد بشروا أقوامهم بمحمد ﷺ، فكانت هذه البشارات في الكتب السابقة سبباً في إسلام كثير من الناس.

كما أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا ينتظرون مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث آمن به من آمن من علمائهم وأخبارهم، كعبد الله بن سلام. قال تعالى: قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (١٠) [الأحقاف: ١٠] ، ومن أهل الكتاب من أعرض عن دين الله وعن اتباع محمد ﷺ بغيا وحسداً من عند أنفسهم، وأصروا على عداوته وبغضه، فعمدوا إلى النصوص التي تبين صفاته، فحرفوها وبدلوها، وعملوا على إخفاء كثير من النصوص الصحيحة عن عامة الناس، قال تعالى: {تجعلونه قراطيس تبدوها وتخفون كثيراً} [الأنعام: ٩١] ، وقال تعالى: {من الذين هادوا يجرفون الكلم عن مواضعه} [النساء: ٤٦] ، وقال تعالى: {وجعلنا قلوبهم قاسية يجرفون الكلم عن مواضعه} [المائدة: ١٣] .

واستمر تحريفهم وتبديلهم طوال العصور، وإلى يومنا هذا، ولكن بقيت إشارات واضحة إلى يومنا هذا في كتبهم آية بينة تصف محمداً صلى الله عليه وسلم، وتشهد بصدقه صلى الله عليه وسلم، وأنه رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين، وقد وجدنا هذه الكتب تصفه صلى الله عليه وسلم بأنه أمي، وتذكر اسمه، ونسبه ومكان بعثته وزمانها، وتصف كلامه وأخلاقه، والشريعة التي يأتي بها كما تصف هجرته وهزيمة أعدائه أمامه. ولم تنطبق هذه الصفات على أحد إلا على محمد صلى الله عليه وسلم .

فهل آن الأوان لمن ضلوا عن الحق أن يتبعوا الهدى، ويؤمنوا بدين الله، وبرسول الله والحق الذي نزل عليه (٢) ؟! قال تعالى: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون} [آل عمران: ١١٠] .

١ - " محمد في الأسفار العالمية" ص ٤٧ .

(٢) - هذا التلخيص عن كتاب الشيخ الزنداني ، بينات الرسول ومعجزاته ص ٢٥ - ٦٤

بقايا أهل الكتاب ينتظرون النبي والذين أسلموا بسبب البشارات:

قال رسول الله ﷺ: "إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب (١)"، وذلك لابتعادهم عن الحق وإمعانهم في الضلال، أما بعض أهل الكتاب فقد كانوا ينتظرون خاتم النبيين، وأما بعد بعثته صلى الله عليه وسلم، فقد شاهدنا سرعة إقبال أهل المدينة على الإسلام يحثهم على ذلك ما كانوا يسمعون من اليهود عن مقدمه، وما كانوا يستفتحون به على أعدائهم كما بينا، بينما كان أهل مكة يصدون عنه ويحاربونه.

وكان عبد الله بن سلام ممن أسلم أيضا على هذه البشارات وهو أعلم أحبار اليهود القاطنين في المدينة المنورة باعتراف اليهود أنفسهم، وهو ممن قال الله تعالى فيه: {قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين} [الأحقاف: ١٠]، وكان عبد الله بن سلام قد بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة، فأتاه يسأله عن أشياء فقال: إني سألتك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟، وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟، وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو أمه؟ قال: أخبرني به جبريل آنفا. فقال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة. قال: «أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت. وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد»، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله. قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بحت، فأسألهم عنى قبل أن يعلموا بإسلامي. فجاءت اليهود؛ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟» قالوا خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟» قالوا: أعاده الله من ذلك، فأعاد عليهم، فقالوا مثل ذلك. فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. قالوا: شرنا وابن شرنا، وتنقصوه. قال: هذا كنت أخاف يا رسول الله (٢).

وكان زيد بن سعدة ممن أسلم على هذه البشارات أيضا، وهو من علماء اليهود حيث تعرف على صفات النبي ﷺ وقال في قصة طويلة: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلما (٣).

وممن أسلم على ذلك أيضا من اليهود كعب الأحبار بعد معرفته بتلك البشارات، وقد سأله عبد الله بن عباس كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال كعب: نجد محمد بن عبد الله، يولد بمكة ويهاجر إلى طابة ويكون ملكه بالشام، وليس بفحاش ولا صحاب بالأسواق، ولا يكافئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، أمته الحمادون يحمدون الله في كل سراء وضراء ويكبرون الله على كل نجد، يوضؤون أطرافهم

(١) - أخرجه مسلم .

(٢) - أخرجه البخاري ك/ مناقب الأنصار ب/ حديثي حامد بن عمر.

(٣) - أخرج الطبراني عن عبد الله بن سلام قال الهيثمي ٨ / ٢٤٠: رواه الطبراني ورجاله ثقات؛ وروى ابن ماجه منه طرفا.

ويأتزون في أوساطهم، يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم، دويهم في مساجدهم كدوي النحل، يستمع مناديهم في جو السماء" (١) .

وكان ممن أسلم على هذه البشارات جماعة من أهل الكتاب من نصارى الحبشة، ذكرهم الله - سبحانه - بقوله: {الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون (٥٢) وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين (٥٣) أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون} [القصص: ٥٢ - ٥٤] .

وقد ورد في الروايات التاريخية أن وفدا من نصارى الحبشة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم، فسألوه عن الدين فأجابهم وعرفوا من أوصافه ما في كتبهم فأسلموا فكان ذلك مثار حنق وأذية المشركين لكن هذا الوفد أعرض عنهم كما قال تعالى: { وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين } [القصص: ٥٥] .

وكان ممن أسلم على البشارات في الكتب السابقة سلمان الفارسي رضي الله عنه الذي لقي أحد رهبان النصرانية فذكر له علامات النبي المنتظر، وصفة المدينة ذات النخل التي سيهاجر إليها النبي وهياً الله لسلمان الفارسي أسبابا ساقته إلى المدينة المنورة فانطبقت عليها أوصاف المدينة التي ذكرها له الراهب فمكث فيها حتى جاءها النبي مهاجرا فتعرف على صفاته التي ذكرت له وأسلم بعد أن رأى التطابق بين الوصف والحقيقة.

وكان ممن صدق بالنبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ورقة بن نوفل القرشي الذي كان على الديانة النصرانية، فعند ما قص له النبي صلى الله عليه وسلم ما جاءه من الوحي بواسطة الملك جبريل قال: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ... ، ثم تمنى أن يطول به العمر لنصر النبي صلى الله عليه وسلم حين يعاديه الناس «أ» .

وكان ممن صدق النبي صلى الله عليه وسلم من النصارى ملك الحبشة، حيث سمع من أصحاب النبي ﷺ حقيقة دين الإسلام المطابق لما جاء به عيسى عليه السلام «أ» ، ولذلك دخل في الإسلام، وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم حين وفاته.

وممن أسلم من النصارى أيضا عدي بن حاتم الطائي عندما سمع نقد بعض الأمور في ديانتهم من النبي ﷺ «أ» . وممن أقر بنبوته محمد ﷺ ولم يدخل في الإسلام هرقل ملك النصارى الروم الذي قال لأبي سفيان بن حرب (بعد أن سأله عن أحوال وصفات محمد صلى الله عليه وسلم): قد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه . ومثله المقوقس

(١) - سنن الدارمي ج ١ / ١٧٠ .

(٢) - البخاري ك / بدء الوحي ب / حدثنا يحيى بن بكير .

(٣) - انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣٧٤ دار إحياء التراث العربي .

(٤) - فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: إيه يا عدي بن حاتم! ألم تك ركوسيا؟ قال: قلت بلى . قال: أولم تكن تسيّر في قومك بالرياح؟ قال: قلت بلى، قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك قال: قلت: أجل والله، وقال: وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل . انظر السيرة النبوية لابن كثير ٤ / ١٢٣ دار إحياء التراث العربي .

عظيم القبط في مصر الذي أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم جاريتين وأهدى له أيضا بغلة يركبها كما مر سابقا.

وكذلك دخل في الإسلام على أساس هذه البشارات عدد كبير من الأبحار والرهبان وغيرهم من أهل الديانات عبر التاريخ وإلى يومنا هذا ،ومما يؤسف له أن تلك البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم قد تعرضت للتحريف والاختفاء من قبل بعض علماء اليهودية والنصرانية عبر التاريخ، وما زالت تلك التغيرات تطرأ على الكتب إلى يومنا هذا، ويوجد كثير من البشارات التي تعرضت للإخفاء والتحريف في النسخ التي كان يحتج بها علماء المسلمين عبر التاريخ على اليهود والنصارى، كما كان يحتج بها من أسلم منهم على قومه، كما مرّ بيانه ، وبالرغم من هذا التحريف فقد أبقى الله في هذه الكتب من نور البشارات بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم ما يقيم الحجة في عصرنا على أهل هذه الكتب، ويثبت إيمان المؤمنين منهم .

ومن العصر الوسيط والحديث : إليك نخبة من القسس وعلماء الكتاب المقدس ألفوا كتب في نقض عقائدهم وذكر والبشائر الموجودة عندهم بمحمد ،

الحسن بن أيوب: من كبار علماء النصارى له كتاب مثير يحكي قصة اسلامه "لماذا أسلمت" وهو موجود ومتاح على الشبكة وكتب رسالة إلى أخيه يدعوه إلى الإسلام ، ويبين له ضلالات النصارى، ونقل ابن تيمية منه فقرات كثيرة في كتابه "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" وقد سلك الحسن بن أيوب هذا المنهج، كما سلكه السموأل في إفحام اليهود .

شموايل بن يهوذا: وبعد تحوله للإسلام تسمى السموأل بن يحيى بن عباس وهو معروف باسم السموأل المغربي، (١١٣٠ بغداد - ١١٨٠ مراغة) هو عالم رياضياتي ومهندس وطبيب مسلم، من عائلة يهودية ووالده حاخام كبير في المغرب، انتقل مع أسرته من فاس إلى بغداد لفترة ثم انتقل لبلاد فارس، اعتنق الإسلام سنة ١١٦٣ . تأثر بسيرة الرسول وغزوات الإسلام التي رآها نصرا وتأييدا إلهيا، ووجد أن التوراة تشير لنبوّة المصطفى. ويعد كتابه مرجعا مهما لتاريخ القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي، فقد كان معاصرا لأكبر حبر يهودي (ابن ميمون) والذي ألمح لكتاب السموأل في رسالته ليهود اليمن، ولكن اليهود تجاهلوا كتابه ولم يردوا عليه. يبرهن السموأل في كتابه أن النسخ قد حدث في التوراة، وأنها ليست من تأليف موسى، ويذكر البشارات بخاتم النبيين ويقص علينا ما يعتقدوه اليهود في عيسى ومحمد والإسلام. وقد اعتمد على كتابه بعض النصارى الأوروبيين في القرون الوسطى للرد على اليهود. وأشار إليه ابن القيم في عديد من كتبه، وأخذ عنه كثير في الرد على اليهود، بل ونقل منه نصًا. وأهم كتابه : "بذل المجهود في إفهام اليهود" و " غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود." تميز بقدرته الفائقة على المقارنة المنطقية بين الإسلام واليهودية.

(واللاهوتي انسيلم ترميدا" المعروف بعبده الله الترجمان) من علماء النصارى أسلم وله كتاب : "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب" ،سندكر نبذة عن الكتاب .

(وزيادة النصب الراسي) نسبة لمدينة نصيبين ، وهو من علماء النصارى توفي في القرن ١١ هـ له كتاب "البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح" وكتابه منشور ومتاح على الشبكة .

استاذ علم اللاهوت وقسيس طائفة الكلدان الكاثوليك ديفيد بنجامين كلداني (١٨٦٧-١٩٤٠) أسلم وتسمى ب د/ عبد الأحد داود. و ألف أجمل الكتب في الدلالة على وجود " محمد في الكتاب المقدس ". يقول عبد الأحد داود نفسه في كتبه عن تحوله : عناية الله به ، إذ يقول لما سئل : كيف صرت مسلماً ؟ كتب : إن اهتدائي للإسلام لا يمكن أن يعزى لأي سبب سوى عناية الله عز وجل ، وبدون هداية الله فإن كل القراءات والأبحاث ، ومختلف الجهود التي تبذل للوصول إلى الحقيقة لن تكون مجدية ، واللحظة التي آمنت بها بوحدانية الله ، وبنبيه الكريم صلوات الله عليه ، أصبحت نقطة تحولي نحو السلوك النموذجي المؤمن . ومن الأسباب التي ذكرها أيضاً والتي جعلته يعلن عصيانه على الكنيسة، أنها تطلب من أن يؤمن بالشفاعة بين الله وبين خلقه في عدد من الأمور ، كالشفاعة للخلاص من الجحيم ، وكافتقار البشر إلى الشفيح المطلق بصورة مطلقة ، وأن هذا الشفيح إله تام وإنسان تام ، وأن رهبان الكنيسة أيضاً شفعاء مطلقون ، كما تأمره الكنيسة بالتوسل إلى شفعاء لا يمكن حصرهم .

فكرة عن كتابين هامين : كتاب: "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب": تأليف: عبد الله الترجمان الأندلسي ت ٨٢٣ هـ، القس أنسلم تورميذا سابقاً.

١. هذا الكتاب عرض فيه كاتبه عقائد النصارى ونقدها نقداً علمياً ملتزماً فيه بالموضوعية التامة، فيعرض مقولة النصارى في القضية المراد نقدها والأدلة التي يستندون عليها ثم يناقشها مناقشة عقلية ونقلية.

٢. يطرح الأسئلة والاستفهامات الإنكارية لما يدعون وي طرح أيضاً الافتراضات العقلية ويسلم لهم جدلاً فيما يقولون استدراجاً لإبطال ما يدعون.

٣. بين ما وقع بين الأناجيل من تضارب وتناقض، الأمر الذي يؤكد أنها من وضع بشر.

٤. أقام الأدلة على نبوة سيدنا محمد من أناجيلهم وبشارات أنبيائهم، وفسرها التفسير الصحيح بناءً على معاني بعض الألفاظ اليونانية وماذا يُقابل هذا المعنى باللغة العربية كمعنى "الفارقليط" مثلاً الذي يقابله في اللغة العربية لفظ "أحمد". فهذا الكتاب يحتوي على شهادة عالم مسيحي متبحر بأن نعت النبي موجود في كتب المسيحية بصراحة، فقد بشرت "بالفارقليط" ومعناه "أحمد".

ويقول د/ محمود علي حمادة: هذا الكتاب تبدو قيمته العلمية عندما نُدرك أن صاحبه كان قريب عهد بالمسيحية؛ بل واحداً من قساوستها تلقى دراسة في الكتاب المقدس وانقطع لطلب العلم فترة طويلة استطاع فيها أن يصحب أساطين العلم بالديانة النصرانية (١).

أما الكتاب الثاني : محمّد في الكتاب المقدس: تأليف القس د/ عبد الأحد داود. ١٨٦٧م ، يتميز هذا الكتاب القيم بجملة من الإيجابيات في دراسة البشارات بالنبي الخاتم - صلى الله عليه وسلم - في الكتاب المقدس من هذه الملاحظات الإيجابية ما يلي :

- ١ . بين مدى التحريف الذي وقع في التوراة والإنجيل وكذلك التناقض والتعارض بين نصوصهما.
- ٢ . علمه بخبايا النصرانية مكنه من كشف الزيف والضلال في الكتاب المقدس.
- ٣ . أتى بالحقائق من مصادرها، فقد درس وتعمق في اللاهوت وترقي في المناصب العلمية.
- ٤ . يقود قراءه إلى محاولة العثور على الحقيقة فينتقد بصورة حيادية بعيداً عن العداية والأخبارية لنبي دون نبي، فهو ينظر إلى الأنبياء نظرة مستقيمة ويؤمن بجميع الرسل الذين أرسلهم الله عزَّ وَجَلَّ لهداية البشرية.
- ٥ . درايته بما تعتقده الكنائس مكنه من كشف الأباطيل وفضح العقائد الباطلة التي تروج لها الكنيسة، والتي لا تتفق مع العقل؛ بل ولا تتفق مع الواقع التاريخي.
- ٦ . ثقافته الإسلامية الواسعة مكنته أيضاً من دراسة الكتاب المقدس في ضوء وجهة نظر مستقيمة معتدلة بعيدة عن الجور وإلقاء الأحكام والفصل في القضايا جزأفاً بدون دليل، ولكن الحيدة والنزاهة والموضوعية هي السمات البارزة في نقده لتلك النبوءات التي حرفوها وفسروها على حسب أهوائهم لطمس الحقيقة ولصرف دالاتها عن وجهها المراد.

وقد استخدم د/ عبد الأحد داود في نقده المعايير التالية:

* عرض القضايا على الحقائق العلمية الثابتة، فإن وافقت العلم قُبلت وإلا وجب ردها.

* المناقشة العقلية والاستدلال المنطقي في تحليل القضايا.

* المقابلة بين النسخ في تفسير الألفاظ التي تُشير إلى النبي الخاتم وعند التحول بين صفحات الكتاب يتضح الآتي:

١ . حرصه الشديد على الطرف الآخر "النصارى" فقد أخبر عن نفسه أنه يراعى مشاعر النصارى ولا يستعمل معهم الجدل العقيم بل يدعو الناس للبحث والاستقصاء في ود وتجرد وموضوعية فيقول: (وليس لدي أية نية أو رغبة في إيذاء مشاعر أصدقائي النصارى، فأنا أحب المسيح، وأحب موسى، وإبراهيم كما أحب محمداً وكافة الأنبياء الآخرين، ولا يسهدف ما أكتبه إثارة جدل مرير عقيم مع الكنائس؛ بل لا تعدو الغاية أن تكون دعوة لها، لبحث واستقصاء رضيّ ودّي لهذه المسألة البالغة الأهمية وبروح من المحبة والتجرد) (١).

٢ . اعتمد على نصوص صريحة من الكتاب المقدس لا تسمح بأي جدل لغوي وتشير إشارات واضحة إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - مثل استدلاله بالنص الذي يقول: "أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك،

وأجعل كلامي في فمه" ويقول: فإذا كانت هذه الكلمات لا تنطبق على سيدنا "محمد" فإذا تبقي غير متحققة ولا نافذة فالمسيح لم يدع أبدًا أنه النبي المشار إليه (١).

٣. يعرض التفسير الخاطئ الذي يراه المسيحيون ثم يصوبه بالتفسير الصحيح ثم يسوق القرائن التي تؤيد ما ذهب إليه ويعضد رأيه، فالنصارى يفسرون بيت الرب بأنه كنيسة المسيح وهذا تفسير خاطئ فيقول: (وكذلك فإن بيت الرب الذي يمجّد اسمه فيه والمشار إليه في الإصحاح (٦٠ الجملة ٧)، هو بيت الله الحرام في مكة، وليس كنيسة المسيح، كما يعتقد المفسرون المسيحيون، وإن رعية قيدار لم ينضموا مطلقًا إلى كنيسة المسيح، والحقيقة أن القرى التابعة "لقيدار" وسكانها هم الناس الوحيدون في هذا العالم، الذين لم يتأثروا من ذلك الحين بأية تعاليم من كنيسة المسيح) (٢).

٤. وكان من منهجه في دراسة البشارات بالنبي الخاتم، دراسة أصول معاني الكلمات اليهودية مثل: أ. "ماحماد" أو أحمد ومعانيها فيقول: إن السبيل الوحيد لفهم معني الكتاب المقدس وروحه هو دراسته من وجهة النظر الإسلامية فمن هنا فقط يمكن الفهم والتقدير والمحبة لحقيقة الوحي الإلهي، وهنا فقط يمكن الكشف عن الزيف والخداع وعناصر التحريف والمغايرة في أسوأ مظاهرها ثم بعد ذلك استئصالها. ويقول: ومن وجهة النظر هذه فإنني أرحب بالكلمة اليونانية "يودوكيا" والتي في معناها الصحيح والحرفي تتفق بصورة عجيبة مع الكلمات العبرية "ماحماد، ماحامود، حمدا وحمد" والتي تستعمل بصورة متكررة في العهد القديم.

ب. "حاماد أو حمده" إن هذا الفعل يتألف من حروف ساكنة أصلية (ح م د) وهي معروفة لجميع اللهجات السامية، حيثما جاءت هذه الحروف في الكتابات المقدسة اليهودية فإذا تعني "يشتهي، يقع في الحب، يشناق إلى، يتلذذ ويتذوق، ويرغب بعمق" وأولئك الذين يعرفون اللغة العربية سوف يفهمون بصورة طبيعية المعني الشامل لكلمة "شهوة" والتي تعني بالإنجليزية "الرغبة الشديدة أو التلهف أو الجشع والطمع أو الرغبة الجارحة والشهية" هذا هو بالدقة معني الفعل "حاماد" في المخطوطات العبرية.

ج. "ماحماد، ماحمود" (أرميا ١ / ١٠ - ١١ / ٣؛ ٤): هاتان صيغتان لاسم الفاعل واسم المفعول مشتقتان من الفعل "حمد" معناها "المرغوب فيه جدًّا، البهيج، الرائع، اللطيف" لهذا فإن الصيغة العربية "محمد" والعبرية "ماحماد؛ ماحامود" هي مشتقة من أصل واحد ومن نفس الفعل أو الجذر وإنما بالرغم من الفروق البسيطة في التهجئة، فلها أساس ومعنى واحد مشترك، وعليه فلا يكون هناك مثقال ذرة من شك في ذلك (٣).

د. اتخذ من الأحداث التاريخية شاهد صدق على ما يقوله، خاصة في قضية عهد الله مع إبراهيم عليه السلام وحق الابن الأكبر إسماعيل في وراثة عهد أبيه وحكمه وبالتالي يجب الإيمان بالحقائق الصادقة التالية: ١. أن إسماعيل هو الابن الأكبر الشرعي لأبيه إبراهيم. ٢. أن العهد المبرم بين الله وإبراهيم كان في نفس الوقت عهدًا مبرمًا بين الله وإسماعيل ذلك لأن العهد قد أبرم قبل ميلاد إسحاق. وغير ذلك من الحقائق التي ذكرها

(١) - محمد في الكتاب المقدس: ص ٣١.

(٢) - المرجع السابق: ص ٣٤.

(٣) - محمد في الكتاب المقدس: ص ١٦٢ - ١٦٣.

(١). والكتاب في جملته يعتبر إضافة حقيقية للمكتبة الإسلامية يمتاز بعمق الدراسة والتحليل وحيوية المناقشة وروعة الفصل في كثير من القضايا المتنازع عليها في النصرانية خاصة في البشارات بالنبي الخاتم - صلى الله عليه وسلم - (٢).

ومن عهدنا المعاصر هنالك الآلاف من علماء أهل الكتاب البارزين من لاهوتيين ومنصرين وقساوسة وشمامسة أسلموا فأسلم على أيديهم المئات من الأهل والأصحاب والأتباع ، سنعرض رؤوس أقلام لبعض المعاصرين الذين هدى الله بهم الكثيرين ، يروون ما تعرضوا له وكيف نثر الله النور على أعينهم فابصروا ، فنثروه على من حولهم بفضل الله مثل :

إليك /٢٧: شخصية مميزة : د. وديع أحمد الشماس ، يوسف استس دكتوراه في علوم اللاهوت ، المبشر د. مارك هانس مؤسس معهد الزيتونة للعلوم الإسلامية في كاليفورنيا ، المبشر جي ميشيل رئيس البعثة التبشيرية الألمانية في أفريقيا ، المبشر ابراهيم فلوبوس الاستاذ بكلية اللاهوت الانجيلية ، القمص المصري عزت اسحاق معوض ، المبشر القس الامريكى كينيث جينكيز ، جرجس بشاي استاذ اللاهوت بالاكليركية ، القس المبشر الفلبيني عيسى بيشاو ، القس المصري فوزي صبحي سمعان بكنيسة ماري جرجس ، الاسقف المبشر الامريكى مصطفى مولاني ، رئيس الاساقفة التنزاني ابو بكر موايوبو الامين العام لمجلس الكنائس العالمي لشؤون افريقيا ، القس المبشر الانجليزي جلال الدين لودبرنتون ، القس اسحاق هلال مسيحة رئيس لجنة التنصير في أفريقيا ، القس الراهب الفلبيني ماركو كوريس ، د. ميلر أكبر مبشر وداعية في كندا ، الراهب القسيس مونجوزا قسيس الكنيسة الكاثوليكية في زائير كان ينصّر قرى بأكملها ، الحاخام ابراهيم بولات من أوزبكستان ، القس يشوي ملك مندوب البابا شنودة لدى الكنيسة الايطالية ، محمد مجدي مرجان اشماس المصري أغنى المكتبة الاسلامية بكتاباته عن المسيحية والثالوث ، فريدريك دولا مارك كبير أساقفة جوهانسبرج ، المبشر ابراهيم نياس نواجي نياجي المنصر النيجيري كان ينصر قرى بأكملها ، المبشر د. هانز كونج السويسري أكبر علماء اللاهوت الكاثوليك ، القس المبشر الإندونيسي رحمة بورنومو ، بلال فيلبس أصبح من أكبر دعاة هذا العصر ، القس الإثيوبي ملقاه وغيرهم مئات بل ألوف و و ... وكل ماذكر هم مبشرون وقسس وعلماء لاهوت غيرتهم البشارات الموجودة في كتبهم وتناقضات العقيدة وإليك بعض تفاصيلهم رحلتهم ..

١ - قصة الدكتور وديع أحمد الشماس كما يرويها بنفسه : يقول: الحمد لله على نعمة الإسلام ، نعمة كبيرة لا تدانيها نعمة لأنه لم يعد على الأرض من يعبد الله وحده الا المسلمين ، ولقد مررت برحلة طويلة قارت ٤٠ عاما إلى أن هداني الله وسوف أصف لكم مراحل هذه الرحلة من عمري مرحلة مرحلة: مرحلة الطفولة: (زرع ثمار سوداء) كان أبي واعظا في الإسكندرية في جمعية أصدقاء الكتاب المقدس وكانت مهنته التبشير في القرى المحيطة والمناطق الفقيرة محاولة جذب فقراء المسلمين إلى المسيحية.

(١) - المرجع السابق: ص ٥٧ - ٥٨.

٢ - جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر «عرض ونقد» ص : ٤٦ وما بعدها ، د. رمضان مصطفى الدسوقي ، رسالة دكتوراة محفوظة بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر فرع المنصورة

* وأصر أبي أن أنضم إلى الشامسة منذ أن كان عمري ست سنوات وأن أنتظم في دروس مدارس الأحد وهناك يزرعون بذور الحقد السوداء في عقول الأطفال ومنها:

١- المسلمون اغتصبوا مصر من المسيحيين وعذبوا المسيحيين.

٢- المسلم أشد كفرا من البوذي وعابد البقر.

٣- القرآن ليس كتاب الله ولكن محمدا اخترعه.

٤- المسلمون يضطهدون النصارى لكي يتركوا مصر ويهاجروا.... وغير ذلك من البذور التي تزرع الحقد الأسود ضد المسلمين في قلوب الأطفال.

* وفي هذه الفترة المرحجة كان أبي يتكلم معنا سرا عن انحراف الكنائس عن المسيحية الحقيقية التي تحرم الصور والتماثيل والسجود للبطرك والاعتراف للقساوسة.

مرحلة الشباب (نزوج ثمار الحقد الأسود) أصبحت أستاذا في مدارس الأحد ومعلما للشمامسة وكان عمري ١٨ سنة وكان علي أن أحضر دروس الوعظ بالكنيسة والزيارة الدورية للأديرة (خاصة في الصيف) حيث يتم استدعاء متخصصين في مهاجمة الإسلام والنقد اللاذع للقرآن ومحمد ﷺ . وما يقال في هذه الاجتماعات:

القرآن مليء بالمتناقضات (ثم يذكروا نصف آية) مثل (ولا تقربوا الصلاة ...)

القرآن مليء بالألفاظ الجنسية ويفسرون كلمة (نكاح) على أنها الزنا أو اللواط يقولون أن النبي ومحمد (صلى الله عليه وسلم) قد أخذ تعاليم النصرانية من (بجيره) الراهب ثم حورها وإخترع بها دين الإسلام ثم قتل بجيره حتي لا يفتضح أمره..... ومن هذا الإستهزاء بالقرآن الكريم ومحمد (صلى الله عليه وسلم) الكثير والكثير ...

أسئلة محيرة: الشباب في هذه الفترة وأنا منهم نسأل القساوسة أسئلة كانت تحيرنا:

شاب مسيحي يسأل: س: ما رأيك بمحمد (صلى الله عليه وسلم)؟

القسيس يجاب: هو إنسان عبقرى وذكى.

س: هناك الكثير من العباقرة مثل (أفلاطون، سقراط، هامورابي ...) ولكن لم نجد لهم أتباعا ودين ينتشر بهذه السرعة إلي يومنا هذا؟ لماذا؟

ج: يختار القسيس في الإجابة.

شاب آخر يسأل: س: ما رأيك في القرآن؟

ج: كتاب يحتوي علي قصص للأنبياء ويحض الناس علي الفضائل ولكنه مليء بالأخطاء.

س: لماذا تخافون أن نقرأه وتكفرون من يلمسه أو يقرأه؟

ج: يصير القسيس أن من يقرأه كافر دون توضيح السبب!!

يسأل آخر: س: إذا كان محمد (صلى الله عليه وسلم) كاذبا فلماذا تركه الله ينشر دعوته ٢٣ سنة؟ بل وما زال دينه ينتشر إلى الآن؟ مع انه مكتوب في كتاب موسى (كتاب ارميا) ان الله وعد بإهلاك كل إنسان يدعي النبوة هو وأسرته في خلال عام؟

ج: يجيب القسيس (لعل الله يريد أن يختبر المسيحيين به) .

مواقف محيرة: ١- في عام ١٩٧١ أصدر البطرك (شنودة) قرار بحرمان الراهب روفائيل (راهب دير مينا) من الصلاة لأنه لم يذكر اسمه في الصلاة وقد حاول إقناعه الراهب (صموئيل) بالصلاة فانه يصلي لله وليس للبطرك ولكنه خاف أن يحرمه البطرك من الجنة أيضا!! وتساءل الراهب صموئيل هل يجزؤ شيخ الأزهر أن يحرم مسلم من الصلاة؟ مستحيل

٢- أشد ما كان يحيرني هو معرفتي بتكفير كل طائفة مسيحية للأخرى فسالت القمص (ميتاس روفائيل) أب اعترافي فأكد هذا وان هذا التكفير نافذ في الأرض والسماء.

فسألته متعجبا: معني هذا أننا كفار لتكفير بابا روما لنا؟

أجاب: للأسف نعم. سألته: وباقي الطوائف كفار بسبب تكفير بطرك الإسكندرية لهم؟

أجاب: للأسف نعم . سألته: وما موقفنا إذا يوم القيامة؟ أجب: الله يرحمنا!!!

بداية الاتجاه نحو الإسلام: وعند ما دخلت الكنيسة ووجدت صورة المسيح وتمثاله يعلو هيكلها فسألت نفسي كيف يكون هذا الضعيف المهان الذي استهزأ به وعذب ربا وإلها؟؟

* المفروض أن أعبد رب هذا الضعيف الهارب من بطش اليهود. وتعجبت حين علمت أن التوراة قد لعنت الصليب والمصلوب عليه وانه نجس وينجس الأرض التي يصلب عليها!! (تثنية ٢١ : ٢٢ - ٢٣) .

* وفي عام ١٩٨١: كنت كثير الجدل مع جاري المسلم (أحمد محمد الدمرداش حجازي) وذات يوم كلمني عن العدل في الإسلام (في الميراث، في الطلاق، القصاص.....) ثم سألتني هل عندكم مثل ذلك؟ أجبته لا.. لا يوجد.

* وبدأت أسأل نفسي كيف أتى رجل واحد بكل هذه التشريعات المحكمة والكاملة في العبادات والمعاملات بدون اختلافات؟ وكيف عجزت مليارات اليهود والنصارى عن إثبات انه مخترع؟

* من عام ١٩٨٢ وحتى ١٩٩٠: وكنت طبيبا في مستشفى (صدر كوم الشقافة) وكان الدكتور محمد الشاطي دائم التحدث مع زملاء عن أحاديث محمد ﷺ وكنت في بداية الأمر اشعر بنار الغيرة ولكن بعد مرور الوقت أحببت سماع هذه الأحاديث (قليلة الكلام كثيرة المعاني جميلة الألفاظ والسياق) وشعرت وقتها أن هذا الرجل نبي عظيم.

هل كان أبي مسلما: من العوامل الخفية التي أثرت علي هدايتي هي الصدمات التي كنت أكتشفها في أبي ومنها:

- ٣- هجر الكنائس والوعظ والجمعيات التبشيرية تماما.
 - ٤- كان يرفض تقبيل أيدي الكهنة (وهذا أمر عظيم عند النصارى) .
 - ٥- كان لا يؤمن بالجسد والدم (الخبز والخمر) أي لا يؤمن بتجسيد الإله.
 - ٦- بدلا من نزوله صباح يوم الجمعة للصلاة أصبح ينام ثم يغتسل وينزل وقت الظهر؟!!
 - ٧- ينتحل الأعذار للنزول وقت العصر والعودة متأخرا وقت العشاء
 - ٨- أصبح يرفض ذهاب البنات للكوافير .
 - ٩- ألفاظ جديدة أصبح يقولها (أعوذ بالله من الشيطان) (لا حول ولا قوة الا بالله) ...
 - ١٠- وبعد موت أبي ١٩٨٨ وجدت بالكتاب الخاص به قصاصات ورق صغيرة يوضح فيها أخطاء موجودة بالأناجيل وتصحيحها.
 - ١١- وعثرت علي كتاب جدي (والد أبي) طبعة ١٩٣٠ وفيها توضيح كامل عن التغيرات التي أحدثتها النصارى فيه منها تحويل كلمة (يا معلم) و (يا سيد) إلى (يا رب) !!! ليوهمو القارئ أن عبادة المسيح كانت منذ ولادته.
- الطريق إلى المسجد والقرب من عيادتي يوجد مسجد (هدى الإسلام) اقتربت منه وأخذت أنظر بداخله فوجدته لا يشبه الكنيسة مطلقا (لا مقاعد- لا رسومات- لا ثريات ضخمة لا سجاد فخم- لا أدوات موسيقى وإيقاع- لا غناء لا تصفيق) ووجدت أن العبادة في هذه المساجد هي الركوع والسجود لله فقط، لا فرق بين غنى وفقير يقفون جميعا في صفوف منتظمة وقارنت بين ذلك وعكسه الذي يحدث في الكنائس فكانت المقارنة دائما لصالح المساجد.
- في رحاب القرآن: قررت أن أقرأ القرآن واشترت مصحفا وتذكرت أن صديقي أحمد الدمرداش قال إن القرآن (لا يمسه إلا المطهرون) واغتسلت ولم أجد غير ماء بارد وقتها ثم قرأت القرآن وكنت أخشى أن أجد فيه اختلافات (بعد ما ضاعت ثقتي في التوراة والكتاب) وقرأت القرآن في يومين ولكني لم أجد ما كانوا يعلمونا إياه في الكنيسة عن القرآن.
- * الأعجب من هذا أن من يكلم محمد صلى الله عليه وسلم يخبره أنه سوف يموت؟! من يجرؤ أن يتكلم هكذا الا الله؟! ودعوت الله أن يهدين ويرشدني.

الرؤيا: وذات يوم غلبني النوم فوضعت المصحف بجوارى وقرب الفجر رأيت نورا في جدار الحجرة وظهر رجلا وجهه مضيء اقترب مني وأشار إلى المصحف فمدت يدي لأسلم عليه لكنه اختفى ووقع في قلبي أن هذا الرجل هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم يشير إلى أن القرآن هو طريق النور والهداية.

أخيرا- أسلمت وجهي لله: * وسألت أحد المحامين فدلني علي أن أتوجه لمديرية الأمن- قسم الشؤون الدينية- ولم أتم تلك الليلة وراودني الشيطان كثيرا (كيف تترك دين آباءك بهذه السهولة)؟

* وخرجت في السادسة صباحا ودخلت كنيسة (جرجس وأنطونيوس) وكانت الصلاة قائمة، وكانت الصلاة مليئة بالصور والتماثيل للمسيح ومريم والحواريين وآخرين إلي البطرک السابق (كيرلس) فكلمتهم: (لو أنكم علي حق وتفعلون المعجزات كما كانوا يعلمونا ففعلوا أي شيء ... أي علامة أو إشارة لأعلم إنني أسير في الطريق الخطأ) وبالطبع لا إجابة.

* وبكيت كثيرا علي عمر كبير ضاع في عبادة هذه الصور والتماثيل. وبعد البكاء شعرت أنني تطهرت من الوثنية وأني أسير في الطريق الصحيح طريق عبادة الله حقا.

* وذهبت إلى المديرية وبدأت رحلة طويلة شاقة مع الروتين ومع معاناة مع البيروقراطية وظنون الناس وبعد عشرة شهور تم إشهار إسلامي من الشهر العقاري في أغسطس ١٩٩٢

اللهم أحييني علي الإسلام وتوفني علي الإيمان اللهم أحفظ ذريتي من بعدي خاشعين، عابدين، يخافون معصيتك ويتقربون بطاعتك (قلت: آمين) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين^(١)

٢- الداعية الرائع يوسف استس دكتوراه في علوم اللاهوت

وُلِدَ يوسف إستس في عام ١٩٤٤م، لعائلة نصرانية شديدة الالتزام بالنصرانية تعيش في الغرب الأوسط لأمریکا، حتى إن آباءه وأجداده لم يبنوا الكنائس والمدارس فحسب، بل وهبوا أنفسهم لخدمة النصرانية كذلك ، كان يوسف مجتهدًا في البحث في الديانة النصرانية، كما درس الهندوسية واليهودية والبوذية ، وعلى مدى ٣٠ سنة لاحقة، عمل هو وأبوه معًا في مشاريع تجارية كثيرة، واستطاع يوسف جمع العديد من ملايين الدولارات في تلك السنوات ، لكنه لم يجد راحة البال التي لا يمكن تحقيقها إلا بمعرفة الحقيقة وسلوك الطريق الصحيح للهداية ، حصل على شهادة ماجستير في الفنون سنة ١٩٧٤م وشهادة الدكتوراه في علم اللاهوت.

بعد تعامله مع شخص مسلم مصري اسمه محمد اعتنق الإسلام سنة ١٩٩١ م هو وزوجه ووالده ووالدته وبعض القسس أصحابه ، ثم تعلّم بعدها اللغة العربية والدراسات الإسلامية من سنة ١٩٩١ م إلى سنة ١٩٩٨ م في مصر والمغرب وتركيا.

قرآن واحد، وعدة أناجيل: بدأ يوسف النقاش بسؤاله محمّدًا: كم نسخة من القرآن ظهرت طوال السنوات ١٤٠٠ سنة الماضية؟ فأخبره أنه ليس هناك إلا مصحف واحد، وأنه لم يتغير أبدًا، وأكّد له أن القرآن

(١) - للدكتور وديع صفحة على الأنترنت وعلى الفيس بوك يرد بها على النصارى شبههم فهو أعرف بهم وينقض لهم دلائلهم ويوضح البشارات النبوية بمحمد في كتبهم والنص منقول من كتاب د. سامي عامري ، محمد في الكتب المقدسة ص ٤٦٠ وما بعدها

قد حُفِظَ في صدور مئات الآلاف من الناس، وأنه لو بحث على مدى قرون لوجدت أن الملايين قد حفظوه تمامًا، وعلموه لمن بعدهم، يقول يوسف: "هكذا بدأنا الحوار معه، ولعلَّ ما أثار إعجابي أثناء الحوار أن محمدًا لم يتعرض للتجريح أو التهجم على معتقداتنا أو إنجيلنا وأشخاصنا، وظل الجميع مرتاحين لحديثه. تأثر يوسف بصديقه المسلم كثيرًا حتى تحدث عنه قائلاً: إن مثل هذا الرجل (محمد)، ينقصه جناحان ويصبح كالملائكة يطير بهما.

يوسف بعد إسلامه : يقول يوسف: تعلَّق قلبي بحب الإسلام وحب الوجدانية والإيمان بالله تعالى، وأصبحت أغار على الدين الإسلامي أشد من غيرتي من ذي قبل على النصرانية، وبدأت رحلة الدعوة إلى الإسلام وتقديم الصورة النقية، التي عرفتها عن الدين الإسلامي، الذي هو دين السماحة والخلق، ودين العطف والرحمة.

إسهاماته : لقد تعيَّر اتجاه يوسف إستس تمامًا، فأصبح داعيةً إلى الإسلام، يقوم بزيارة الدول الإسلامية وغيرها في سبيل الدعوة التي أصبحت من واجبه كمسلم؛ وذلك بعدما تعلَّم اللغة العربية والدراسات الإسلامية من سنة ١٩٩١م إلى سنة ١٩٩٨م. وله كذلك إصدارات عديدة من برامج تلفزيونية دعوية، وتسجيلات كاسيت توضح الصورة الشفافة وأثر الدين الإسلامي في نفوس البشرية، وقد ذهب إلى الكويت بدعوة من لجنة التعريف بالإسلام، وإلقاء عدة محاضرات دينية حول الدين الإسلامي وموقفه من الأديان الأخرى وعلاقته بها. أسلم على يدي الشيخ يوسف أربعون شخصًا؛ بعد إلقاء محاضرة دينية واحدة في المركز الإسلامي بالمكسيك. وقد اهتزت أرجاء المركز وتزلزلت عندما ردَّد هؤلاء الشهادة ترديدًا جماعيًا (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله). و يسلم على يديه يوميا العديد ممن أراد الله لهم الهداية.

٣- مارك هانسن (الشيخ حمزة يوسف) ولد في واشنطن لعائلة مثقفة .

وُلِدَ حمزة يوسف في عام ١٩٦٠م باسم مارك هانسن في واشنطن لعائلة مثقفة؛ فوالده أستاذ لمادة الإنسانيات في جامعة هارفارد، وأُمُّه خريجة جامعة بيركلي العريقة، أما جدُّه فكان عمدة لإحدى مدن كاليفورنيا، وترى حمزة في كاليفورنيا.

نشأته : نشأ في كاليفورنيا الشمالية في عائلة يونانية أرثوذكسية، دخل الجامعة قسم الفلسفة وتعرض خلالها لبعض المعرفة عن الشرق والعالم والأفكار الإسلامية، ثم قابل بعض المسلمين من الأمريكيين السود الذي أثروا فيه فقرر البحث في الدين الإسلامي، وفي سن ال ١٧ عام ١٩٧٧م اعتنق الإسلام في سانتا باربرا في كاليفورنيا بعد البحث في الأديان وكان قد انجذب بشدة لقراءة القرآن، وفي نهاية هذه الرحلة البحثية اعتنق الإسلام .

إسهاماته : في بدايات ١٩٩٠م بدأ حمزة التدريس لبعض التجمعات الإسلامية في سان فرانسيسكو، وفي ١٩٩٦م أسَّس معهد الزيتونة للعلوم الإسلامية في كاليفورنيا، وأصبح يُحاضر فيه ، ويصدر معهد الزيتونة

الكتب والمواد الصوتية التي تتحدث في القضايا المعاصرة التي تواجه الأمريكيين. كما أنّ للشيخ حمزة أيضًا مؤلفات عديدة، منها: قانون الجهاد - تعليم الأطفال في العصر الحديث - جدول أعمال لتغيير ظروفنا (١).

من أقواله: يقول: "إذا كان الناس في أمريكا يعتقدون أن أمريكا هي المجتمع المثالي، فلا أعتقد أنهم يطالعون نفس المصادر التي أطلعها: معدلات الاكتئاب، والانتحار، والاغتصاب، والجريمة، ووضع المدارس والإجهاض، والتفسخ الأسري، والطلاق". لكنه في ذات الوقت لا يجامل المسلمين، فهو يرى بوضوح أن "العقبة الأساسية أمام الدعوة الإسلامية في هذه الأراضي هم المسلمون أنفسهم بسلوكياتهم". ويُشخص مرضهم فيقول: "صراحة إن الذين هاجروا هاجروا بمشاكلهم، وعمرنا مساجدهم بها، والمسلم الجديد يتعب جدًا من هذه التناقضات".

داعية متميز ومحدد: يجب التحديد ويجيد مخاطبة الجمهور، ولا يعرف الكثيرون أنه صاحب فكرة برنامج (بالأشباب) الذي يذاع على mbc، وهو البرنامج الذي نجح في مخاطبة جماهير الشباب من خلال محتوى ديني جذاب الموقع الشخصي للشيخ حمزة يوسف.

٤- جي ميشيل .. المنصر الألماني رئيس البعثة التبشيرية في الصومال

J. Michel المنصر الألماني الذي كان رئيسًا للبعثة التبشيرية في الصومال.. يعمل طبيبًا للعيون، وقد اخترته منظمة التنصير بألمانيا الغربية لكي يكون رئيسًا للبعثة التبشيرية في الصومال، بجانب عمله طبيبًا لأمراض العيون. وكانت هذه البعثة التبشيرية اتخذت في خطتها مشروع تنصير القرن الإفريقي، على أن تكون الصومال هي نقطة الانطلاق لعمليات التنصير، وقد اتخذت هذه البعثة مشروعًا خيريًا كستار تخفي من ورائه نشاطها المشبوه، وكان هذا المشروع هو علاج أمراض العيون؛ كي تنفذ من خلاله إلى المواطنين، والتأثير عليهم بتغييرهم في الديانة المسيحية.

وبعد خمسة أشهر تلقت المنظمة تقارير تفيد بتفانيه في عمله كطبيب، وإهماله للشق الآخر من مهمته وهو التنصير، فتلقى (جي ميشيل) برقية من رئاسة المنظمة تطلب منه ضرورة ذهابه إلى إنجلترا لقضاء فترة تدريبية لمدة شهر، ثم السفر منها إلى تنزانيا.

في إنجلترا تعرّف جي ميشيل على صديق مسلم من الصومال يُدعى (محمد باهور)، الذي وطّد علاقة صداقته معه، وحدث أن دعاه ذات يوم لزيارة منزله، ويتحدث عن هذه الزيارة قائلاً: "بعد أن تعرّفت على صديق مسلم من الصومال اسمه محمد باهور، دعاني إلى زيارة منزله، فلبّيت دعوته، وكان الترحيب من أسرته، وأثناء الزيارة فوجئت برجلٍ يتكلم الإنجليزية بطلاقة مدهشة، وعلمت أنه والد صديقي محمد، وفرحتُ به، وتمنّيتُ أن أجذبه إلى الدين المسيحي؛ حتى تتحقّق عملية التنصير، وبدأتُ مع هذا الرجل عملية جذبه للمسيحية بالحديث عنها معه، وهو يُنصت إليّ بإصغاء تامّ، توقعتُ اقتناعه بما أقول، وبالتالي سيكون مفتاح التنصير في المنطقة كلها".

ويسترسل جي ميشيل رئيس البعثة التنصيرية حديثه بقوله: "بعد أن أسهبتُ في الكلام عن المسيحية كدين لا يرقى في مكانته أية ديانة أخرى، وأنا أتعزُّض لعظمة الإنجيل والمسيح عيسى ابن الله، فوجئت بوالد صديقي ممسكًا بنسخة من القرآن في يديه، وسألني أتعرف هذا الكتاب، فابتسمتُ ولم أُجب؛ خشية إثارته أو التلميح له بمهمتي، ولكن أحسستُ أن هذا الرجل يُدرك ما يدور بعقلي، فمنحني فرصة الخروج من المأزق، وبدأ هو يتحدَّث عن الإنجيل وعن المسيح، ومن خلال حديثه أدركتُ تمامًا أن المسلمين جميعًا يحبُّونه ويعترفون به، وخصوصًا أن الإسلام ذاته يدعو إلى الإيمان به وبغيره من الرسل والأنبياء، بل جعل ذلك من دعائم الإيمان بالإسلام.

ثم طلب مني والد صديقي أن أُوجِّه له أي سؤال في الإنجيل أو في القرآن، فقلتُ له: كيف؟! قال: في القرآن كل شيء"، ثم يستطرد قائلاً: "وتعددت زياراتي لوالد صديقي، وكنت مُراقبًا من أفراد البعثة، الذين طلبوا مني عدم الذهاب إلى هذا المنزل، وفوجئتُ بعد ذلك بقرار نقل صديقي، ثم اعتقاله دون سبب، أمَّا بالنسبة إلي فقد طلبوا مني الانتقال إلى كينيا لقضاء إجازة ممتعة على حدِّ تعبير منظمة التنصير، ووصلتني رسالة ساخنة من والدي يُطالبني فيها بالعودة إلى ألمانيا بأسرع ما يمكن".

ولكن جي ميشيل رئيس بعثة التنصير رفض الاستجابة لتعليمات رئاسته في ألمانيا، كما رفض الاستجابة لطلب والده، فكتب هذه البرقية إلى كلِّ منهما: "اطمئنوا تمامًا، كل شيء على ما يرام، وسأعتنق الإسلام". وعكف جي ميشيل على دراسة الإسلام وتفهُم تعاليمه وأركانه التي حثَّ عليها، بعدها أعلن اعتناقه للإسلام، وقام بتغيير اسمه إلى (عبد الجبار)، واستمرَّ عبد الجبار في الصومال يؤدِّي رسالته كطبيب مسلم يعرف حقَّ الله ثم حقَّ مرضاه، ويعامل الناس بأداب الإسلام التي تحلَّى بها في سلوكياته وأخلاقياته (١).

٥- إبراهيم خليل فلوبوس الأستاذ السابق بكلية اللاهوت الإنجيلية

الأستاذ السابق بكلية اللاهوت الإنجيلية، وواحد من الملايين الذين انقادوا لما وجدوا عليه آباءهم من غير بني الإسلام، نشأ في الكنيسة، وترقى في مدارس اللاهوت، وتبوأ مكانة مرموقة في سلم التبشير، وبأنامل يديه خط عصارة خبرته الطويلة في عدة مئات من الصفحات في رسالة الماجستير، والتي كانت تحت عنوان: "كيف ندمر الإسلام بالمسلمين؟!". في علم اللاهوت كان متخصصًا لا يجارى، وفي منظار الناسوت كان ابن الكنيسة الإنجيلية الأمريكية يتيه خيلاء، ولأسباب القوة والمنعة والحماية المتوفرة ما كان يقيم لعلماء الأزهر وزنًا أو احترامًا! إنه أستاذ اللاهوت والعقائد بأسيوط، والذي كان يعمل راعيًا للكنيسة الإنجيلية حتى عام ١٩٥٣م، ثم سكرتيرًا عامًا للإرسالية الألمانية السويسرية بأسوان، ومبشرًا (أي ينشر المسيحية) بين المسلمين في محافظات مصر من أسيوط إلى أسوان حتى عام ١٩٥٥م.

نشأة إبراهيم خليل فلوبوس: ولد في مدينة الإسكندرية في الثالث عشر من يناير عام ١٩١٩م في بيت نصراني، ودرس في مدارس الإرسالية الأمريكية، اضطر للهجرة إلى أسيوط حيث استأنف في كليتها التعليم

(١) - كتاب (عظماء أسلموا) للدكتور راغب السرجاني. محمد كامل عبد الصمد: الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء ١/١٨٢، ١٨٣.

الداخلي وحصل على الدبلوم عام ١٩٤١م - ١٩٤٢م، وسرعان ما تفتحت أمامه سبل العمل فالتحق بالقوات الأمريكية من عام ٤٢ وحتى عام ١٩٤٤م، حيث كان للقوات الأمريكية وقتذاك معامل كيميائية لتحليل فلزات المعادن التي تشكل هياكل الطائرات التي تسقط من أجل معرفة تراكيبها ونوعياتها.

وبحكم ثقافته وتمكنه من اللغة الإنجليزية في كلية أسيوط، ولأن الأمريكيان كانوا يهتمون اهتمامًا بالغًا بالخرابيين ويستوعبونهم في شركاتهم، فقد أمضى في هذا العمل سنتين.. لكن أخبار الحرب والنكبات دفعته لأن ينظر إلى العالم نظرة أعمق قادته للاتجاه إلى الدعوة من خلال الكنيسة التي كانت ترصد رغباته وتؤجج توجهاته، فالتحق بكلية اللاهوت سنة ١٩٤٥م، وأمضى بها ثلاث سنين.

وكانت دراسته تعتمد على دراسة مقدمات العهد القديم والجديد، والتفاسير والشروحات وتاريخ الكنيسة، ثم تاريخ الحركة التنصيرية وعلاقتها بالمسلمين، ومن ثم دراسة القرآن الكريم والأحاديث النبوية، والتركيز على الفرق التي خرجت عن الإسلام، أمثال الإسماعيلية، والعلوية، والقاديانية، والبهائية، وكان الهدف من ذلك كله هو زيادة المعرفة والخبرات لمحاربة القرآن بالقرآن، والإسلام بالنقاط السوداء في تاريخ المسلمين!

ويقول عن نفسه: كنا نحاور الأزهريين وأبناء الإسلام بالقرآن لنفتنهم، فنستخدم الآيات مبتورة تبتعد عن سياق النص، ونخدم بهذه المغالطة أهدافنا، وهناك كتب لدينا في هذا الموضوع أهمها كتاب (الهداية) من ٤ أجزاء، وكتاب (مصدر الإسلام)، إضافة إلى استعانتنا واستفادتنا من كتابات عملاء الاستشراق أمثال طه حسين، الذي استفادت الكنيسة من كتابه (الشعر الجاهلي) مائة في المائة، وكان طلاب كلية اللاهوت يعتبرونه من الكتب الأساسية لتدريس مادة الإسلام! وعلى هذا المنهج كانت رسالتي في الماجستير تحت عنوان "كيف ندمر الإسلام بالمسلمين؟".

قصة إسلام إبراهيم خليل فلوبوس: يتحدث "إبراهيم خليل أحمد" عن قصة دخوله الإسلام فيقول: "في إحدى الأمسيات من عام ١٩٥٥م سمعت القرآن مذاغًا بالمذيع، أحسست بالشفعة المقدسة التي أضاءت ذهني وقلبي للبحث عن الحقيقة، في تلك الأمسية عكفت على قراءة القرآن حتى أشرفت شمس النهار، وكان آيات القرآن نورًا يتلألأ، وكأنني أعيش في هالة من النور، ثم قرأت مرة ثانية، فثالثة، فرابعة حتى وجدت قوله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف: ١٥٧].

من هذه الآية قررت أن أقوم بدراسة متحررة للكتاب المقدس، وقررت الاستقالة من عملي كقسيس، وسكرتير عام للإرساليات الأمريكية بأسوان، ولما نفذت قراري.. تأمر علي مجموعة أطباء، وأشاعوا أنني مختل العقل، فصبرت وصمدت بكل ثقة في الله. فسافرت إلى القاهرة حيث عملت بشركة للمبيعات "استاندر ستاشينري"، وفي أثناء عملي بها طلب مني مدير الشركة طبع تفسير جزء عم باللغة الإنجليزية، فتعهدت له بإنجاز هذا العمل، وكان يظنني مسلمًا، وحمدت الله أنه لم يفتن مسيحيي، فكانت بالنسبة لي دراسة إسلامية

متحررة من ثياب الدبلوماسية، حتى شرح الله صدرى للإسلام، ووجدت أنه لا بد من الاستقالة من العمل كخطوة لإعلان إسلامي.

وفعلاً قدمت استقالتي في عام ١٩٥٩م، وأنشأت مكتباً تجارياً، ونجحت في عملي الجديد، وفي ٢٥ ديسمبر عام ١٩٥٩م أرسلت برقية للإرسالية الأمريكية بمصر الجديدة بأني آمنت بالله الواحد الأحد، وبمحمد نبياً ورسولاً، ثم قدمت طلباً إلى المحافظة للسير في الإجراءات الرسمية.. وتم تغيير اسمي من "إبراهيم خليل فلوبوس" إلى "إبراهيم خليل أحمد"، وتضمن القرار تغيير أسماء أولادي على النحو التالي: إسحاق إلى أسامة، وصموئيل إلى جمال، وماجدة إلى نجوى.

ثم يضيف قائلاً: إن الإيمان لا بد أن ينبع من القلب أولاً، والواقع أن إيماني بالإسلام تسلسل إلى قلبي خلال فترات طويلة. كنت دائماً أقرأ فيها القرآن الكريم، وأقرأ تاريخ الرسول الكريم، وأحاول أن أجد أساساً واحداً يمكن أن يقنعني أن محمداً هذا الإنسان الأمي الفقير البسيط، يستطيع وحده أن يحدث كل تلك الثورة التي غيرت تاريخ العالم ولا تزال.

وقد استوفيت كثيراً نظام التوحيد في الإسلام، وهو من أبرز معالم الإسلام {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١]، {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ} [الإخلاص: ١، ٢].

نعم.. التوحيد يجعلني عبداً لله وحده، ولست عبداً لأي إنسان.. التوحيد هنا يجر الإنسان، ويجعله غير خاضع لأي إنسان، وتلك هي الحرية الحقيقية؛ فلا عبودية إلا لله وحده.. عظيم جداً نظام الغفران في الإسلام؛ فالقاعدة الأساسية للإيمان تقوم على الصلة المباشرة بين العبد وربّه؛ فالإنسان في الإسلام يتوب إلى الله وحده، لا وجود لوسطاء، ولا لصكوك الغفران أو كراس الاعتراف؛ لأن العلاقة مباشرة بين الإنسان وربّه.

ثم يحتتم كلامه بقوله: كم شعرت براحة نفسية عميقة وأنا أقرأ القرآن الكريم، فكنت أقف طويلاً عند قوله تعالى: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} [الحشر: ٢١] كذا الآية الكريمة: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * إِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} [المائدة: ٨٢، ٨٣].

لذلك كله اتخذت قراري بإشهار إسلامي، بل عليّ القيام بالدعوة للدين الإسلامي الذي كنت من أشد أعدائه، يكفي أنني لم أدرس الإسلام في البداية إلا لكي أعرف كيف أطعنه وأحاربه، ولكن النتيجة كانت عكسية؛ فبدأت أشعر بصراع داخلي بيني وبين نفسي، واكتشفت أن ما كنت أبشر به وأقوله للناس كله زيف وكذب.

متاعب وصعوبات إبراهيم خليل فلوبوس: يقول عن المتاعب التي تعرض لها: "فارقني زوجتي بعد أن استنكرت عليّ وعلى أولادي الإسلام، كما قررت البيوتات الأجنبية التي تتعامل في الأدوات المكتبية ومهمات

المكاتب عدم التعامل معي، ومن ثم أغلقت مكنتي التجاري، واشتغلت كاتبًا بشركة بـ ١٥ جنيهاً شهرياً بعد أن كان دخلي ٨٠ جنيهاً.

وفي هذه الأثناء درست السيرة النبوية، وكانت دراستها لي عزاء ورحمة، ولكن حتى هذه الوظيفة المتواضعة لم أستمر فيها، فقد استطاع العملاء الأمريكيون أن يوغروا الشركة ضدي حتى فصلتني، وظللت بعدها ثلاثة أشهر بلا عمل حتى عينت في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وذلك إثر محاضرة قد ألقيتها، وكان عنوانها "لماذا أسلمت؟".

ثم يضيف قائلاً: "لقد تولت الكنيسة إثارة الجهات المسؤولة ضدي، حتى إن وزارتي الأوقاف والداخلية طلبتا مني أن أكف عن إلقاء المحاضرات، وإلا تعرضت لتطبيق قانون الوحدة الوطنية، متهمًا بالشغب وإثارة الفتن، وذلك بعد أن قمت بإلقاء العديد من المحاضرات في علم الأديان المقارن بالمساجد في الإسكندرية والمحلة الكبرى وأسيوط وأسوان وغيرها من المحافظات؛ فقد اهتزت الكنيسة لهذه المحاضرات بعد أن علمت أن كثيرًا من الشباب النصراني قد اعتنق الإسلام".

ثم يعاود الحديث في أسي: "هذا الاحتناق دفعني دفعًا إلى أن أقرر الهجرة إلى المملكة العربية السعودية؛ حيث أضع كل خبراتي في خدمة كلية الدعوة وأصول الدين".

مؤلفات إبراهيم خليل فلوبوس في الإسلام: كتب العديد من المؤلفات أبرزها "محمد في التوراة والإنجيل والقرآن"، "المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي"، و"تاريخ بني إسرائيل".

يقول في كتابه (محمد في التوراة والإنجيل والقرآن) ص ٩٨: "إن سيدنا عيسى تنبأ عن الرسول الكريم محمد بقوله: (وأما متى جاء ذلك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية) إنجيل يوحنا ١٦: ١٢ و ١٣"، ويقول في كتابه (محمد في التوراة والإنجيل والقرآن) ص ١١٤: "كلمة إنجيل كلمة يونانية تعني بشارة أو بشرى، ولعل هذا الذي نستفيد من سيرة سيدنا عيسى، أنه كان بشرى من الله للرحمة، وبشرى بتبشيره عن المسيا الذي سيأتي للعالمين هدى ورحمة، ألا وهو الرسول الكريم سيدنا محمد" (١).

٦- القمص المصري عزت إسحاق معوض: كان أحد الدعاة للالتزام بالنصرانية، لا يهدأ ولا يسكن عن مهمته التي يستعين بكل الوسائل من كتب وشرائط وغيرها في الدعوة إليها، وتدرج في المناصب الكنسية حتى أصبح "قُصًّا". ولكن بعد أن تعمق في دراسة النصرانية بدأت مشاعر الشك تراوده في العقيدة التي يدعو إليها، في الوقت الذي كان يشعر بارتياح عند سماعه للقرآن الكريم... ومن ثم كانت رحلة إيمانه التي يتحدث عنها قائلاً: "نشأت في أسرة مسيحية مترابطة والتحقت بقداس الأحد وعمري أربع سنوات... وفي سن الثامنة كنت أحد شمامسة الكنيسة، وتميزت على أقراني بإلمامي بالقبطية وقدرتي على القراءة من الكتاب المقدس على النصراني، ثم تمت إجراءات إعدادي للالتحاق بالكلية الأكليريكية لأصبح بعدها كاهنًا ثم قُصًّا،

(١) - راجع موقع قصة الإسلام لراغب السرجاني وكتابه

ولكنني عندما بلغت سن الشباب بدأت أرى ما يحدث من مهازل بين الشباب والشابات داخل الكنيسة وبعلم القساوسة، وبدأت أشعر بسخط داخلي على الكنيسة، وتلفت حولي فوجدت النساء يدخلن الكنيسة متبرجات ويجاورن الرجال، والجميع يصلي بلا طهارة، ويرددون ما يقوله القس بدون أن يفهموا شيئاً على الإطلاق، وإنما هو مجرد تعود على سماع هذا الكلام.

ويستمر القمص عزت إسحاق معوض -الذي تبرأ من صفته واسمه ليتحول إلى الداعية المسلم محمد أحمد الرفاعي- يستمر في حديثه قائلاً: "بينما كان الشك يراودني في النصرانية كان يجذبني شكل المسلمين في الصلاة والخشوع والسكينة التي تحيط بالمكان، برغم أنني كنت لا أفهم ما يرددون... وكنت عندما يقرأ القرآن كان يلفت انتباهي لسماعه وأحس بشيء غريب داخلي، برغم أنني نشأت على كراهية المسلمين... وكنت معجباً بصيام شهر رمضان وأجده أفضل من صيام الزيت الذي لم يرد ذكره في الكتاب المقدس، وبالفعل صمت أياماً من شهر رمضان قبل إسلامي".

وبمضي الداعية محمد أحمد الرفاعي في كلامه مستطرداً: "بدأت أشعر بأن النصرانية دين غير كامل ومشوه، غير أنني ظللت متأرجحاً بين النصرانية والإسلام ثلاث سنوات انقطعت خلالها عن الكنيسة تماماً،... وكان أول بلاء لي في الإسلام هو مقاطعة أهلي، ورفض أبي أن أحصل على حقوقي المادية عن نصيبي في شركة كانت بيننا، ولكنني لم أكرث، ودخلت الإسلام صفر اليدين، ولكن الله عوضني عن ذلك بأخوة الإسلام، ويعمل يدر عليّ دخلاً طيباً". و يلتقط أنفاسه وهو يحتتم كلامه قائلاً: "كل ما أمله الآن ألا أكون مسلماً إسلاماً يعود بالنفع عليّ وحدي فقط، ولكن أن أكون نافعاً لغيري وأساهم بما لديّ من علم بالنصرانية والإسلام في الدعوة لدين الله تعالى" (١).

٧- القس المبشر الأمريكي كينيث جينكينز : بالرغم من كونه أحد المتعصبين للكنيسة إلا أنه كان يدعو الرب أن يهديه للدين الصحيح، هذا الموضوع هو في الحقيقة كتيب أصدره القسيس السابق Kenneth L. Jenkins أو عبد الله الفاروق حالياً، وهو يصف قصة اعتناقه لهذا الدين العظيم.. يقول فيه: "كقسيس سابق وكرجل دين في الكنيسة كانت مهمتي هي إنارة الطريق للناس للخروج بهم من الظلمة التي هم بها.. وبعد اعتناقي الإسلام تولدت لديّ رغبة عارمة بنشر تجربتي مع هذا الدين؛ لعل نوره وبركته تحل على الذين لم يعرفوه بعد.. إن الأجوبة لمشاكل النصارى لا تستطيع أن تجدها في حوزة النصارى أنفسهم؛ لأنهم في أغلب الأحيان هم سبب مشاكلهم.. لكن في الإسلام الحل لجميع مشاكل النصارى والنصرانية ولجميع الديانات المزعومة في العالم، نسأل الله أن يجزينا على أعمالنا ونياتنا.. في الحقيقة أنا كنت من المتعصبين، وكنت لديّ يقين أنه لا يستطيع أحد الحصول على الخلاص ما لم يكن عضواً في كنيستنا!! وأيضاً كنت أستنكر على كل شخص لم يعرف الرب بالطريق التي عرفته أنا بها.. أنا كنت أؤمن أن يسوع المسيح والرب عبارة عن

(١) - موقع نور الحق، نقلاً عن صحيفة للمسلمين. قصته مميزة للتوسع راجع موقع قصة الاسلام للسراجاني

شخص واحد.. في الحقيقة في الكنيسة تعلمت أن التثليث غير صحيح، ولكنني بالوقت نفسه كنت أعتقد أن يسوع والآب وروح القدس شخص واحد !!

وبعد تخرجي في الجامعة كنت قد وصلت إلى مرحلة متقدمة من العمل في المجال الديني ، وبعد ست سنوات انتقلت للعيش في مدينة تكساس، وبسرعة التحقت لأصبح عضوًا في كنيسة هناك، وكان يعمل في إحدى الكنيستين شاب صغير بدون خبرة، في حين أن خبرتي في النصرانية كانت قد بلغت مبلغًا كبيرًا، وفوق المعتاد أيضًا. وفي الكنيسة الأخرى التي كنت عضوًا فيها كان هناك قسيس كبير في السن، ورغم ذلك لم يكن يمتلك المعرفة التي كنت أنا أمتلكها عن الكتاب المقدس؛ ولذلك فضلت الخروج منها حتى لا تحصل مشاكل بيني وبينه. عندها انتقلت للعمل في كنيسة أخرى في مدينة أخرى، وكان القائم على تلك الكنيسة رجلاً محنكًا وخبيرًا وعنده علم غزير، وعنده طريقة مدهشة في التعليم، ورغم أنه كان يمتلك أفكارًا لا أوافقها عليها إلا أنه كان في النهاية شخص يمتلك القدرة على كسب الأشخاص. في هذا الوقت بدأت أكتشف أشياء لم أكن أعلمها بالكنيسة، وجعلتني أفكر فيما أنا فيه من دين...!!!

مرحبا بكم في عالم الكنيسة الحقيقي : بسرعة اكتشفت أن في الكنيسة الكثير من الغيرة، وهي شائعة جدًا في السلم الكنسي.. وأيضًا أشياء كثيرة غيرت الأفكار التي كنت قد تعودت عليها.. على سبيل المثال، النساء يرتدين ملابس أنا كنت أعتبرها مخجلة، والكل يهتم بشكله من أجل لفت الانتباه -لا أكثر- للجنس الآخر!! الآن اكتشفت كيف أن المال يلعب لعبة كبرى في الكنائس، لقد أخبروني أن الكنيسة إذا لم تكن تملك العدد المحدد من الأعضاء فلا داعي أن تضيع وقتك بها؛ لأنك لن تجد المردود المالي المناسب لذلك.. عندها أخبرتهم أنني هنا لست من أجل المال، وأنا مستعد لعمل ذلك بدون أي مقابل، وحتى لو وجد عضو واحد فقط...!!

هنا بدأت أفكر بهؤلاء الذي كنت أتوسم فيهم الحكمة، كيف أنهم كانوا يعملون فقط من أجل المال! لقد اكتشفت أن المال والسلطة والمنفعة كانت أهم لديهم من تعريف الناس بالحقيقة.. هنا بدأت أسأل هؤلاء الأساتذة بعض الأسئلة، ولكن هذه المرة بشكل علني في وقت المحاضرات.. كنت أسألهم كيف ليسوع أن يكون هو الرب؟ وأيضًا في نفس الوقت روح القدس والآب والابن و...و... إلخ... ولكن لا جواب!!

كثير من هؤلاء القساوسة والوعاظ كانوا يقولون لي إنهم هم أيضًا لا يعرفون كيف يفسرونها، لكنهم في نفس الوقت يعتقدون أنهم مطالبون بالإيمان بها!! وكان اكتشاف الحجم الكبير من حالات الزنا والبغاء في الوسط الكنسي، وأيضًا انتشار المخدرات وتجارتها فيما بينهم، وأيضًا اكتشاف كثير من القساوسة الشواذ جنسيًا، أدى بي إلى تغيير طريقة تفكيري والبحث عن شيء آخر، ولكن ما هو...؟! وفي تلك الأيام استطعت أن أحصل على عمل جديد في المملكة العربية السعودية.

بداية جديدة : لم يمر وقت طويل حتى لاحظت الأسلوب المختلف للحياة لدى المسلمين ، الإسلام الموجود في السعودية يضم كافة الطبقات وكل الأعراق، تولدت لديَّ رغبة قوية في التعرف على هذا الدين

المميز... كنت مندهشًا لحياة الرسول وكنت أريد أن أعرف المزيد، طلبت مجموعة من الكتب من أحد الإخوان الذي كان نشطًا في الدعوة إلى الإسلام، كنت أحصل على جميع الكتب التي كنت أطلبها.. قرأتها كلها، بعدها أعطوني القرآن الكريم، وقمت بقراءته عدة مرات خلال عدة أشهر.. سألت أسئلة كثيرة جدًا، وكنت دائمًا أجد جوابًا مقنعًا.. الذي زاد في إعجابي هو عدم إصرار الشخص على الإجابة، بل إنه إن لم يكن يعرفها كان ببساطة يخبرني أنه لا يعرف، وأنه سوف يسأل لي عنها ويخبرني في وقت لاحق!

وكان دائمًا في اليوم التالي يحضر لي الإجابة، وأيضًا مما كان يشدني في هؤلاء الناس المحيرين هو اعتراهم بأنفسهم!! كنت أصاب بالدهشة عندما أرى النساء وهن محتشمات من الوجه إلى القدمين! لم أجد سلماً دينيًا أو تنافسًا بين الناس المنتسبين للعمل من أجل الدين، كما كان يحدث في أمريكا في الوسط الكنسي هناك.. كل هذا كان رائعًا، ولكن كان هناك شيء ينغص عليّ، وهو كيف لي أن أترك الدين الذي نشأت عليه؟ كيف أترك الكتاب المقدس؟ كان عندي اعتقاد أنه به شيء من الصحة بالرغم من العدد الكبير من التحريفات والمراجعات التي حصلت له.. عندها تم إعطائي شريط فيديو فيه مناظرة اسمها "هل الإنجيل كلمة الله؟"، وهي بين الشيخ أحمد ديدات وبين جيمي سواجارت.. وبعدها على الفور أعلنت إسلامي!!! وتم إعطائي نصيحة عما سوف أواجهه بالمستقبل.. إنها في الحقيقة ولادة جديدة لي بعد ظلام طويل.. كنت أفكر ماذا سوف يقول زملائي في الكنيسة عندما يعلمون بخبر اعتناقي للإسلام؟!

لم يكن هناك وقت طويل لأعلم؛ إذ عدت للولايات المتحدة الأمريكية من أجل الإجازة، أخذت الانتقادات تضربني من كل جهة على ما أنا عليه من "قلة الإيمان" على حد قولهم!! وأخذوا يصفوني بكل الأوصاف الممكنة، مثل الخائن والمنحل أخلاقيًا، وكذلك كان يفعل رؤساء الكنيسة.. ولكني لم أكن أعاباً بما كانوا يقولون؛ لأنني أنا الآن فرح ومسرور بما أنعم الله عليّ به من نعمة الإسلام.

أنا الآن أريد أن أكرس حياتي لخدمة الإسلام كما كنت في المسيحية، ولكن الفرق أن الإسلام لا يوجد فيه احتكار للتعليم الديني، بل الكل مطالب أن يتعلم.. تم إهدائي صحيح مسلم من قبل مدرس القرآن، عندها اكتشفت حاجتي لتعلم سيرة الرسول وأحاديثه وما عمله في حياته، فقامت بقراءة الأحاديث المتوفرة باللغة الإنجليزية قدر المستطاع.

أيضًا أدركت أن خبرتي بالمسيحية نافعة جدًا لي في التعامل مع النصارى ومحاججتهم.. حياتي تغيرت بشكل كامل، وأهم شيء تعلمته أن هذه الحياة إنما هي تحضيرية للحياة الأخروية. كذلك مما تعلمته أننا نجازى حتى بالنيات، أي أنك إذا نويت أن تعمل عملاً صالحًا ولم تقدر أن تعمله لظرف ما، فإن جزاء هذا العمل يكون لك، وهذا مختلف تمامًا عن النصرانية.

الآن من أهم أهدافي هو تعلم اللغة العربية، وتعلم المزيد عن الإسلام. وأنا الآن أعمل في حقل الدعوة لغير المسلمين ولغير الناطقين بالعربية، وأريد أن أكشف للعالم التناقضات والأخطاء والتلفيقات التي يحتويها الكتاب الذي يؤمن به الملايين حول العالم (الكتاب المقدس للنصارى). وأيضًا هناك جانب إيجابي مما تعلمته

من النصرانية أنه لا يستطيع أحد أن يحاجني؛ لأني أعرف معظم الخدع التي يحاول المنصرون استخدامها لخداع النصارى وغيرهم من عديمي الخبرة.. أسأل الله أن يهدينا جميعاً إلى سواء الصراط^١.

٨- جرجس بشاي أستاذ اللاهوت بالإكليريكية : مصطفى عبد الرؤوف ، هكذا اسمه بعد إشهار إسلامه، والذي كان قبل ذلك الراهب بشري جرجس بشاي الأستاذ بالكلية الإكليريكية، قال إنه اعتنق الإسلام في ١٩٩٣، وتم اعتماده رسمياً "كمسلم" في ٢٠٠٢م، رافضاً الحديث عن رحلته نحو الإسلام. في أول حواراته الإعلامية التي أكد أنه يفتح بمقتضاها النار على نفسه لتطرقة لعقيدة التثليث والصلب في "المسيحية"، روى رحلة اعتناقه للإسلام، وكيف درسه للتشكيك فيه فغلبه ليعلم إسلامه، ويتنازل عن مستحقاته لإخوته .

نشأت في أسرة مسيحية، وأقول مسيحية رغم أن النصارى يحبون إطلاق لفظة أقباط على أنفسهم، وهي كلمة تعني كل المصريين وليس المسيحيين، وبعد أن أنهيت الشهادة الإعدادية التحقت بالمدرسة الإكليريكية وأصبحت أحد الركائز في الكنيسة وأستاذ دكتور فيها، وبدأت أدرس الدين والعقيدة الإسلامية ليس حباً في الإسلام بل للمرة بل لإيجاد ثغرات للتشكيك في العقيدة الإسلامية، ولتشكيك المسلمين أنفسهم، وكان التكليف داخلئاً ونابغاً من إيماني بالمسيحية، فإن كنت لا تعلم فتلك مصيبة، وإن كنت تعلم فالمصيبة أقطع، والساكت عن الحق شيطان أحرص، والإنسان غير مسئول عن بدايته أو اختيار دينه أو اسمه.

وما استفزني في الإسلام وقتها أنه يشكك في صلب المسيح، لذلك بدأت دراستي بتوسع، وتساءلت : لماذا يقول الإسلام إن المسيح ليس إلهاً؟ فاعتراي الشك فمن هو الله ومن أنا؟! يقول الإنجيل: إن الله أرسل ابنه الوحيد حتى لا يهلك كل من يؤمن به، فكيف ترك الله ابنه لليهود حتى يقتلوه؟! فمثلاً لو ضرب شخص ابني فأضعف الإيمان أن أدافع عنه، وإذا افترضنا أن الله هو الذي نزل الأرض في صورة المسيح ومات، أيًا كانت صورته سواء هو الأب أو الابن أو الروح القدس، وظل ميتاً ثلاثة أيام ثم قام في اليوم الثالث وهو عيد القيامة، فمن أدار الكون خلال هذه الأيام الثلاثة أثناء موت الله، فهل الكون أدار نفسه بنفسه أم هناك قوة أدارته؟ وإذا كان هذا الكون قد أدار نفسه بنفسه وللحظة قوة إدارته، فسوف يستغني عن الخالق ووجوده، أما إذا كان هناك من أدار الكون بدلاً من الله الحي الميت فهو من يستحق العبادة -يضحك- "الحي أبقى من الميت". والله الذي مات أضعف من الله الموجود، لو افترضنا أن المسيح هو الله. إذن فهو الخالق والصانع فمن أقوى الصانع أم المصنوع. بالطبع الصانع. فكيف يتغلب المصنوع على الصانع، فالله خلق آدم وادم عصى الله؛ ولذلك أهبط الله آدم إلى الأرض وكان يستطيع أن يرجع آدم إلى الجنة مرة أخرى، إذن فربنا ليس في احتياج كي يهبط إلى الأرض بنفسه؛ كي يكفر عن خطية آدم، وإذا افترضنا جدلاً أن اليهود هم قتلة المسيح واليهود من ذرية آدم، فكيف للمخلوق أن يقتل الخالق!!

عقيدة التثليث مكملة للألوهية والصلب وعقيدة التثليث تقول: "باسم الأب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين". مما يعني أن الله هو الثلاثة، وإذا استخدمنا المعادلات الرياضية نصل إلى أن واحداً في ثلاثة بثلاثة

(١) - كتاب (عادوا إلى الفطرة.. ٧٠ قصة حقيقية مؤثرة) إعداد أبو إسلام أحمد بن علي. وراجع موقع قصة الاسلام للسرحاني

وليس واحدًا، فكيف يكون الأب والابن والروح القدس واحدًا وتقول الآية في الإنجيل: "لاهوته لا يفارق ناسوته طرفة عين"! فاللاهوت هو الله وهو الأب لا يفارق الابن طرفة عين، بل فارقه عندما مات الابن وصلب الصليب، وأنا أشبه نفسي بمن كان أعمى وذهب إلى طبيب جعله يبصر ويرى النور، فهل يستطيع هذا الإنسان أن يغمض عينيه مرة أخرى؟ محال، كذلك نعمة الإسلام.

إذا افترضنا أن هناك إنسانًا يحمل كرابجا وكلما رأى شخصًا ينهال عليه ضربًا، فهل سيحب هذا الشخص الكرابجا؟ محال، كذلك الصليب وهو أداة تعذيب كان يعاقب بها المجرمون والنصارى أنفسهم يقولون عن السيد المسيح إنه حمل صليب العار، فكيف يقدسون العار؟ وكيف يحبون الكرابجا "الصليب"؟ والأب لن ينزل الأرض لأجل غلظة ارتكبتها المخلوق والابن يعني الإنسان والإنسان يأكل ويشرب ويخرج، فهل من المعقول أن الله القدوس الطاهر يحمل "نجاسة"؟ وإذا كان القرآن يقول: {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} [مریم: ۳۳، ۳۴]، ويقول: {فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا} [التحریم: ۱۲]. فإذا كان عيسى بن مريم من روح الله، وروح الله سوف تعطي له الحق في الألوهية، فيكون كائنًا حيًا إلهًا؛ لأن كل كائن حي يحمل روحًا، والروح من عند الله.

يؤكد المسيحيون أن ما جاء في القرآن بعدم صلب المسيح مجرد خزعبلات والله يقول {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} [النساء: ۱۵۷] والصلب كان عقوبة المجرم شديد الإحرام وهي أقسى أنواع العقوبة بمثابة الإعدام الآن، فأى جرم ارتكبه الله حتى يصلب! والقول بتكفير خطيئة آدم باطل، فإذا كان من يتحدث مجنونًا فإن المستمع عاقل فما أهمية الإنسان حتى ينزل الله من عرشه إلى الأرض! يقول رب العزة في حديث قدسي عن نفسه: "يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وحنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وحنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا".

تربيت في كنيسة العذراء بشبرا، وخدمت في كنائس الإسكندرية وأسيوط. الرتب الكنسية أنواع منها الراهب والثاني القس وهو من يقوم بعمل القداست في الأديرة، وهناك القمص والكاهن والأنبا، ومن شروط الرهبنة عدم الزواج، كما يجب على القس أن يتزوج، وأنا حصلت على درجة أستاذ دكتور راهب في الكنيسة الأرثوذكسية، والحقيقة أن الرهبنة بدعة "وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"، ولم تكن الرهبنة على أيام السيد المسيح (١).

٩- القس الفلبيني عيسى بياجو: عمره أربعون سنة من الفلبين، متزوج وله ابن كان قسًا كاثوليكيًا ثم اهتدى إلى النور، وشرح الله صدره للإسلام، كان ذلك من أربع عشرة سنة يقول عن نفسه: اسمي الأصلي هو كريسانتو بياجو، درست في المعهد اللاهوتي، وحصلت على درجة الليسانس في اللاهوت، وعملت كقس كاثوليكي، سمعت عن المسلمين كمجموعة من الناس، ولم تكن عندي فكرة عما يدينون به. وفي ذلك الحين

(١) - المصدر: صحيفة صوت الأمة المصرية. وراجع موقع قصة الإسلام ل د. راغب السرجاني .

كنت لا أطيق حتى مجرد سماع اسمهم؛ نظرًا للدعاية العالمية التي تُوجَّه ضدهم. وحتى المسلمون المنتمون إلى جبهة تحرير مورو في الفلبين كان يُعطى الإيحاء بأنهم قراصنة وهمجيون، يسهل عليهم العدوان وسفك الدماء، هذا الشعور يشاركني فيه معظم نصارى الفلبين الذين يمثلون ٩٠% من السكان.

جاء يوم حضرت فيه محاضرة ألقاها منصرّ أمريكي اسمه بيتر جوينج عن الإسلام، فأخذتني الرغبة في التعرف على هذا الدين، وانطلقت لأقرأ بعض الرسائل عن أركان الإيمان، وأركان الإسلام، وعن قصص الأنبياء، فدهشت من أن الإسلام يؤمن بالأنبياء ومنهم المسيح . كانت مشكلتي نقص الكتب التي تتكلم عن الإسلام وعن القرآن، ولكني لم أئس؛ لأنني كنت أستحضر من كلام المبشر الأمريكي قوله: إن التوراة فيها أخطاء؛ مما أدخل الشك في نفسي، فبدأت أكوّن فكري عن الدين الحق الذي أؤمن به. ولم أجد الإجابات عن الأسئلة التي جالت آنفد في صدري حول الإنجيل، وكلما حللت مشكلة أو أجبت عن سؤال، ظهرت مشاكل كثيرة وأسئلة أكثر.

لجأت إلى تفرغ ذهني من كل فكرة مسبقة، ودعوت الله أن يهديني إلى الحق، وكان من المفارقات العجيبة أنني كقسيس كنت أعلم الناس ما لا أعتقد؛ فمثلاً لم أكن على الإطلاق مقتنعا بفكرة الخطيئة الأصلية، والصلب، إذ كيف يحمّل الله إنساناً ذنوب الآخرين؟ ! هذا ظلم، ولماذا لا يغفرها الله ابتداءً؟ وكيف يفعل الأب هذا بابنه؟ أليس هذا إيذاءً للأبناء بغير حق؟ وما الفرق بين هذا وبين ما يفعله الناس من إساءة معاملة الأطفال؟!

بدأت أبحث عن الوحي الحقيقي، فتأملت نص التوراة فلم أجد إلا كلاماً مليئاً بالأخطاء والتناقضات، لا ندري من كتبه ولا من جمعه؛ فأصل التوراة مفقود، وهناك أكثر من توراة. اهتزت عقيدتي تماماً، ولكني كنت أمارس عملي؛ لئلا أفقد مصدر دخلي وكل امتيازاتي. ومرت سنتان وأنا على هذا الحال حتى جاء يوم لقيت فيه جماعة من المسلمين يوزعون كتيبات عن الإسلام، فأخذت منهم واحداً قرأته بشغف، ثم سعت إلى مناقشة تلك الجماعة التي كانت توزع تلك الكتيبات، فقد كنت أحب الجدل والمناظرة، وهذا ليس غريباً؛ ففي الفلبين جماعات نصرانية متصارعة يقارب عددها ٢٠ ألف جماعة، وكثيراً ما كنت أمارس الجدل والمناظرة مع بعض تلك الجماعات، فلما جلست مع ذلك الفريق المسلم في إحدى الحدائق فوجئت بأن الذي يجاورني كان قسيساً كبيراً دخل الإسلام، أخذت أنصت لكلامه: عن النظام السياسي في الإسلام، فأعجبني؛ لأنني كنت أحب المساواة التي لم أجدتها في النظم البشرية، ولكني حينئذٍ وجدتها في دينٍ مبني على كلام الله ووحيه إلى خلقه.

سألت المتحدث عن سبب اعتناقه للإسلام، ثم عن الفرق بين القرآن والإنجيل، فأعطاني كتاباً لرجل اسمه أحمد ديدات، قرأت الكتاب فوجدت فيه الإجابة على كل تساؤلاتي حول الإنجيل، واقنعت تماماً، ثم أخذت أقابل ذلك الرجل كل يوم جمعة بعد الظهر لأسأله عن كل شيء، وكان من فضولي أن سألته عن محمد ، وهل هو من نسل إسماعيل؟ فقال: إن في التوراة الموجودة حالياً ذكر محمد ، وأعطاني مقاطع كثيرة من التوراة في هذا الصدد.

أخذت أبحث لأقتنع، وكان من دواعي اطمئناني أن إيماني بعيسى يجعلني أقبل الإيمان بمحمد ، واستمر بحثي شهرين، شعرت بعدها ببعض التردد؛ لخوفي على مستقبلي لأنني أعلم يقيناً أنني لو أسلمت فسأخسر كل شيء: المال، ودرجتي العلمية، والكنيسة، وسأخسر والدي وإخوتي، كان الشيء الذي هزني هو عجزني عن تدريس الناس العقيدة النصرانية؛ إذ أصبحت بارداً جداً وغير مقتنع بما أقول، تركت قراءة التوراة حتى لاحظ والداي ذلك.

ثم لقيت صديقي المسلم، وسألته عن الصلاة، فقال لي: الشهادة أولاً، فرفعت إصبعي بتلقائية وقلت خلفه: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولم أكن أعرف معنى هذا القول حتى شرحه هو لي بعد ذلك. وقلت: وأشهد أن عيسى رسول الله. كان في المجلس مسلمون كثيرون من جنسيات مختلفة، فقام الجميع وعانقوني وهنئوني، فقلت في نفسي: كل هؤلاء مسلمون رغم اختلاف جنسياتهم وألوانهم، لقد جمعهم الإسلام بلا تمييز، فلماذا التمييز في النصرانية حتى تجد جماعات نصرانية للبيض وجماعات نصرانية للسود؟! فرجعت إلى بيتي ونطقت بالشهادة باللغة الإنجليزية بيني وبين الله تعالى، فليس يهمني الناس.

بقيت على إسلامي من غير أن يعلم أحد من معارفي، وكنت أدخل الكنيسة لمدة ستة أسابيع؛ لأنزع بعد ذلك فتيل القنبلة وأعلن إسلامي، فغضب والداي أشد الغضب، وجاء الكاهن الأكبر إلى المنزل ليناقشني، فعرضت عليه ما عندي من تناقضات الإنجيل، فكلمني عن بعض الشبهات التي تثار حول الإسلام، فقلت له: أقنعني أولاً أن محمداً ليس رسولاً من عند الله. فوعدني، ولكن لم يرجع، وسمعت بعد ذلك أن الكنيسة كلها تصلي من أجلي لأرجع إلى عقلي، وكأنني صرت مجنوناً.

بدأت بعد ذلك أثبت قدمي في الإسلام -دراسة وتعلماً- وكنت ألقى بعد ذلك برامج إسلامية في التلفزيون والإذاعة المحلية التي تمولها الجهات الإسلامية، ثم تزوجت امرأة مسلمة رزقني الله منها عبد الصمد ابني الوحيد (١١ سنة). واعتنق الإسلام بعد ذلك أبي وأمي وأختي وزوجها وابن أخي و بنت أختي. وأحمد الله على أنني كنت سبب هدايتهم إلى الصراط المستقيم.

بعد هذه القصة المثيرة لإسلام عيسى بياجو سألتناه عن حال الدعوة في الفلبين، فقال: يدخل في الإسلام كل شهر أكثر من أربعمائة من نصارى الفلبين حسب السجلات الرسمية ، أما العدد الحقيقي فالمرجح أنه أكثر من ذلك، ومعظم أهل الفلبين مسيحيون بالاسم فقط ولا يجدون من يدعوهم إلى الإسلام، ومنهم من يقتنع بالإسلام، ولكن يعوقه عن اعتناقه عامل الخوف من المستقبل؛ لأنه سيفقد الأسرة وسيفقد العمل، فالناس هناك لا تقبل توظيف من ترك النصرانية.

سألناه عن خير وسيلة للدعوة إلى الإسلام، فقال: إنها المعاملة الطيبة بخلق الإسلام؛ فكثير ممن أسلموا كان دافعهم إلى الاقتراب من عقيدة التوحيد معاملة المسلمين الحسنة لهم، كأن يكون صاحب العمل مسلماً حسن المعاملة، أو زميلاً لمسلم حسن الصحبة ودمت الأخلاق، وكثير ممن أسلموا في الفلبين لم يسلموا إلا بعد أن عادوا إلى بلادهم بعد العمل في بلد إسلامي؛ إذ أحسوا بالفرق عندما فقدوا المناخ الإسلامي، فتبخرت كل

أوهامهم وشكوكهم حول الإسلام، فأعلنوا إسلامهم بعيدًا عن كل ضغط أو تأثير؛ ولذا أوصي بالدعوة الحسنة، وبعدم استعجال النتيجة؛ فالبذرة لا تنمو ما بين يوم وليلة.

وقال الأخ عيسى: إن بعض من أسلموا كان سبب إسلامهم تأثيرهم برؤية منظر المسلمين وهم يصلون؛ لأنه منظر عجيب حقًا.

سألناه: ماذا عن دعوة المسيحي المثقف ثقافة دينية؟ هل يكفي معه هذا وحده؟ فقال: مثل هذا نأخذ بيده، وندعوه إلى مقارنة أسفار الكتاب المقدس، ودراسة مقارنة الأديان، فتلك الوسائل أفضل لإقناعه.

ثم كان السؤال الأخير عن العقبات التي تحول دون دخول الناس في الإسلام، فقال: أول ما يصد الناس هو الفكرة الخاطئة التي تعشش في أذهانهم عن الإسلام، ثم هناك سلوكيات كثير من المسلمين، الذين -بأقوالهم وأفعالهم- يعطون صورة سيئة عن الإسلام، ثم فتوى بعض المسلمين من غير علم، وتأتي أخيرًا الشبهات التي تثار حول الإسلام من كونه يدعو إلى الإرهاب، ويسيء معاملة المرأة، فيدعو الرجل إلى طلاقها، وإلى الزواج بغيرها، وأنه يجرمها من حقوقها ويقهرها ولا يعطيها حريتها.

ولا شك أن هذه الشبهات كلها منحازة وخاطئة، ولكن -للأسف- تؤلف فيها كتب، وتروج بين غير المسلمين لتصددهم عن الإسلام، وهنا يأتي دورنا نحن الدعاة المسلمين لتقديم الصورة المشرفة الحقيقية، ونفض الغبار وهدم السور العالي الذي أقامه الإعلام الهدام؛ ليحول بين الناس وبين التعرف الحر على دين الله رب العالمين^(١).

١٠ - القس المصري السابق فوزي صبحي سمعان

كبر خلف أسوار الكاتدرائية كنيسة (ماري جرجس) في مدينة الزقازيق المصرية، وتحقق حلمه وأصبح قسًا.. ثم أصبح الشيخ فوزي صبحي عبد الرحمن المهدي الداعية ومدرس التربية الإسلامية في مدارس التربية الإسلامية في مدارس منارات جدة... خرج الفتى من الكنيسة غاضبًا من تمرده، هللًا من أفكاره الأكثر تمردًا.. لكن ماذا بيده؟.. كان لا بد أن يُسكت هذا التمرد في داخله.. بدأ يبحث في الأديان الأخرى وآخرها الإسلام.. واستمع إلى القرآن فاهتز له قلبه.. ونظر إلى المسلمين فوجد نظافة ووضوءًا وطهارة وصلوة وركوعًا وسجودًا.. واستدار ينظر إلى حاله فلا طهارة ولا اغتسال ولا وضوء. لم يكن ذلك كافيًا لإحداث الانقلاب كما أنه لم يرحمه من مطاردة الفكرة أية أسرار سبعة؟، وبدأ يستعرضها:

وابتهل إلى رب الخلق أجمعين الواحد الأحد وسجد يقول الفتى: "ولم أرفع رأسي من السجود إلا وصدري قد انشرح للإسلام"، وقبل أن يخرج من الكنيسة عرج على القس وألقى عليه بعض التساؤلات.. لم يجبه ولكن سأل: "هل تقرأ القرآن؟"، قال الفتى: "نعم".. أكفهر وجه القس وصرخ: "نحن فقط الذين نقرأ القرآن أما أنت والعامية فلا".. وخرج ولم يعد للكنيسة، والآن يقول الفتى: "كنت رجلًا تائهاً في لهيب الفيافي يقتلني العطش

(١) - المصدر: موقع المكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات بأبها.

ولا ألقى سوى السراب وإذا بي أجد ماء زمزم.. عشت تسع سنوات بين نفسي المتمردة والهروب منها.. قارنت بين الإسلام والنصرانية.. بين الأناجيل والقرآن وكانت الغلبة للحقيقة والنور" ..

اجتمع إخوة الفتى وتشاوروا واتخذوا القرار ووضعوا طريقة التنفيذ.. لا بد أن يقتل؛ لقد عصى الرب وأهان الكنيسة.. وجاء من يخبره ويشير عليه.. وهرب الفتى من قرينته.. قلبه على إخوته.. يدعو لهم بالهداية.. ويدق باب شقته دقًا خفيًا.. يفتح يجد أخته أمامه.. بكت وأخبرته بما أفرحه.. ستشهر إسلامها.. وبكى وأخبرها أنه طالما سهر الليالي يتهلل إلى الله أن يلحقها به.. ولأن الأم قد ماتت منذ أمد بعيد فقد ظلًا يتوسلان إلى الله أن يهدي قلب أبيهما إلى الإيمان.

ولم يمض وقت طويل حتى جاء ذلك اليوم.. عاد من عمله.. وجد أخته خلف الباب.. أسرعت إليه.. قالت له: "أبوك في انتظارك.. جاء ساعيًا إلى نور الحق" .. انكب على رأسه ويديه يقبلهما.. ويشهر الأب إسلامه ليموت على الإسلام بعد عام ونصف، وفارس آخر يلحق بالركب.. عبد الله المهدي.. أسلم وجاء ليكمل نصف دينه.. ولم يجد أمامه سوى أخت (الفتى) ليقترن بها ويسافرا معًا حيث يعمل إمامًا لأحد المساجد في الدوحة^١.

١١ - الأسقف الأمريكي مصطفى مولاني

جاء إلى مصر بعد أن استقال من منصبه كأسقف في إحدى الولايات الأمريكية ليدرس الإسلام على يد شيوخ الأزهر وعلمائه، كان يشعر بالشك في عقيدته بعد أن درس الفلسفة واللاهوت، وبعد أن كان يقوم بتدريس المواد الدينية في إحدى المدارس الثانوية الكاثوليكية، فقد كان شغوفًا بالبحث والدراسة حتى يستطيع أن يقوم بعمله خير قيام، ولكن دراساته وبحوثه لم تزد إلا شكًا في عقيدته وطبيعة عمله .

وبعد تخرجه بشهرين فقط عام ١٩٧١م ذهبت إلى أمريكا للتبشير، حيث تخرج الكلية مائتي قسيس كل عام، ويأتي الأساقفة الأمريكيون فيأخذون أغلبهم إلى أمريكا للعمل بالتبشير في مناطق مختلفة، وعملت أسقفًا بولاية "نيوجيرسي"، وأصبحت مسئولاً عن إعداد برامج التوجيه الديني لكل المستويات وتدريب القائمين بهذا العمل، وإلى جانب ذلك عملت مدرسًا للمواد الدينية بالمدسة الثانوية الكاثوليكية، وكنت مشغوفًا بالبحث والدراسة حتى أستطيع أن أؤدي واجبي تجاه إرشاد الناس.

وكنت كلما تعمقت في البحث والدراسة انتابني شعور غريب بالشك في عقيدتي، ولم أستطع أن أكتفم شكوكي، فقررت مفاتحة رئيس الأساقفة وقلت له: لدي شك في عملي، بل وفي إيماني بالله حسب عقيدتنا. فنصحتني بالتريث والتفكير، وأعطاني مهلة لمدة عام ريثما أفكر في الموضوع بهدوء.

ويتنهد ويفر بزفرات حارة وهو يهز رأسه قائلاً: "... وخلال هذا العام عكفت على البحث والدراسة وتوجت بحثي بالحصول على درجتين للماجستير، إحداها في التربية الدينية والأخرى في اللاهوت والكتاب،

(١) - مجلة الفيصل في عددها الصادر في أكتوبر ١٩٩٢ - بتصرف - وغيرها : صحف كثيرة راجع موقع قصة الاسلام .

ولكن هذه الدراسات والبحوث لم تزديني إلا شكًا في عقيدتي وعملي... وعدتُ إلى رئيس الأساقفة ومعني استقالي من عملي، فوافق".

لذلك قررت الاستقالة دون أن أعرف شيئًا عن الإسلام". وبعد أن استقال قرر أن يستأنف دراسته للحصول على الدكتوراه من جامعة هارفارد، وذلك بعد أن اشتغل في الكنيسة تسع سنوات. وفي فترة دراسته تلك كانت توافيه معلومات وبيانات عن الإسلام، فأراد أن يستزيد منها.. فماذا يفعل؟.. يجيب عن ذلك بقوله: "أردت أن أعرف المزيد عن الإسلام فدرست تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية، كما حرصت على حضور بعض المحاضرات لعدد من علماء المسلمين الذين يحاضرون في القرآن والحديث وأركان الإسلام وكل ما يتصل به، وذلك من باب حب الاستطلاع"

ويصمت برهة ليسترجع ذكريات حبيسة في نفسه، فيقول: "أذكر في ذلك الوقت أنني قد سمعت عن مصر والأزهر ودوره الإسلامي الكبير.. والغريب الذي أعجب منه كلما أسترجعه أن بداية معرفتي بالأزهر جاءت بعد رؤيتي لعرض تقدمه شيخان من الأزهر بزيهما الديني المميز اعترافًا وتقديرًا لدور الأزهر كأقدم جامعة في العالم، وذلك في أثناء الاحتفال بمرور ثلاثمائة عام على إنشاء جامعة هارفارد، حضره مندوبون عن جامعات العالم العريقة.. وهذه الصورة محفوظة في سجل الجامعة هناك؛ ولذلك قررت أن يكون موضوع رسالتي للدكتوراه عن علماء الدين الإسلامي: أهميتهم ودورهم في المجتمع المصري من أيام الشيخ عبد الحميد سليم وحتى الآن".

وعندما حضر إلى مصر -و شاء قدر الله أن يكون ذلك في شهر رمضان- راعى انتباهه ظاهرة غريبة بالنسبة له كأجنبي.. عنها يقول: "حين جئت إلى مصر في شهر رمضان شاهدت المجتمع المصري منتظمًا في أسلوب حياته القائم على أساس من الدين، فالناس يذهبون إلى المسجد عند سماع الأذان، ويتطهرون بماء الوضوء ثم يقفون في صفوف منتظمة، وعند الإفطار تخلو الشوارع من المارة".

عندئذٍ يضحك ساخرًا من نفسه عندما فسر في البداية خلو الشوارع من المارة بوجود تعليمات بحظر التجوال في ذلك الوقت، فيعبر عن ذلك بقوله: "ظننت في بداية الأمر أن هناك قانونًا يقضي بحظر التجوال بعد الغروب، ولكنني عرفت السبب بعد ذلك". ثم يعود ليكمل روايته عن تلك الظاهرة التي استرعت انتباهه في شهر رمضان، فيقول: "ورأيت أيضًا المسلمين يصلون العشاء والتراويح، ويذهب بعضهم إلى أعمالهم ومتاجرهم حتى ساعة متأخرة يقال عنها: السحور، ثم يصلون الفجر وينامون".

ثم يندفع في كلامه ليؤكد حكمًا استخلصه من مشاهداته في المجتمع المصري كمجتمع مسلم فيقول: "فالمجتمع -إذن- منظم على أساس من الدين، يكفي أنه قد شد انتباهي أن الأمن والأمان سائدان في شوارع القاهرة بشكل لم أرهما من قبل في أي مكان.. فأناس يسبرون في الشوارع ليلاً في أمن واطمئنان بدون أن يتعرضوا للاعتداء عليهم بالقتل أو غيره، في حين أن عندنا في نيويورك مثلاً يوجد كل يوم ثمانية قتلى في الشوارع، مع أن الأمريكيين لا يسبرون في الشوارع والطرق ليلاً؛ خوفًا على حياتهم، ليس ذلك في نيويورك وحدها بل في باقي

الولايات الأمريكية، فبرغم القوانين والعقوبات تنتشر الجرائم والانحرافات انتشارًا مخيفًا، ولكن الأمر يختلف في المجتمع المسلم كما هو الحال في مصر؛ فإيمان الناس بدينهم يجعلهم يطبقون تعاليمه بدون خوف من عقوبة أو قانون، بل احترامًا لمبادئهم وعقيدتهم، وهذا هو الفرق بين المجتمع هنا والمجتمع في الغرب حيث لا أمن ولا أمان"

وفي نبرة سعادة خفية كشفتها عيناه وهي تلمع كوميض الضوء وهو يصرخ قائلاً: "في لحظة اعتناقي للإسلام شعرت أنني أدخل عالماً نورانيًا يسمو بالروح والنفس، وذلك حينما تسلمت شهادة إشتهاري الإسلام.. قد شعرت بأني حصلت على أعلى شهادة في الدنيا، وأحسست في الوقت ذاته أنني ألقيت عن كاهلي عبئًا ثقيلاً من الهموم والقلق والشكوك والشقاء.. نعم، شعرت بسعادة غامرة لم أشعر بها من قبل" (١).

١٢- رئيس الأساقفة الترناني أبو بكر مواييبو الأمين العام لمجلس الكنائس العالمي لشئون

إفريقيا حائز على الدكتوراه في علم اللاهوت

في الثالث والعشرين من شهر ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٨٦م -وقبل يومين من أعياد الميلاد أعلن رئيس الأساقفة مارتن جون مواييبو لجماعة المصلّين بأنه سيترك المسيحية لدخول الإسلام، كان حشد المصلّين في حالة شللٍ تامٍّ للصدمة التي أصابتهم لسماع هذا الخبر، إلى درجة أنّ مساعد الأسقف قام من مقعده فأغلق الباب والنوافذ، وصرّح لأعضاء الكنيسة بأنّ رئيس الأساقفة قد جُنّ، فكيف استطاع الرّجل أن يفكّر بقول ذلك، في حين أنّه قبل ذلك يبضع دقائق كان يعزف آلاته الموسيقية بطريقةٍ تثير مشاعر أعضاء الكنيسة؟! لم يكونوا يعرفون بأنّ ما يجول في خاطر الأسقف سيكون قرارًا يعصف بألبابهم، وأنّ ذلك الترفيه لم يكن إلا حفلة وداع. لكنّ ردّ فعل المصلّين كان مُفجّعًا على حدّ سواء! فقد اتّصلوا بقوات الأمن لأخذ الرّجل "المجنون".

يسترجع أبو بكر ذكرياته قائلاً: "فيما بعد -وعندما كنت في المدرسة الداخليّة كتب إليّ أبي قائلاً بأنّه يريدني أن أصبح راهبًا وفي كلّ رسالةٍ كان يكتب لي ذلك"، فالأبناء في إفريقيا يُعلّمون احترام رغبات آبائهم أكثر من احترام رغباتهم الشخصية، "يا بني، قبل أن أغمض عيني (أموت)، سأكون مسرورًا إن أصبحت راهبًا".

هذا ما قاله الأب لابنه، وهكذا فعل الابن؛ وهو القرار الذي قاده إلى إنجلترا عام ١٩٦٤م للحصول على الدبلوم في إدارة الكنائس، وبعد ذلك بسنةٍ إلى ألمانيا للحصول على البكالوريوس. وبعودته بعد عامٍ أصبح أسقفًا عاملاً. وفيما بعد رجع ليحصل على الماجستير

"كلّ ذلك الوقت، كنت أفعل الأشياء بدون نقاش"، وقد بدأ بالتساؤل حين كان يعمل على الحصول على الدكتوراه، يقول مواييبو: "بدأت أتساءل باندهاش، فهناك المسيحية والإسلام واليهودية والبوذية، وكلّ دينٍ منها يدّعي أنّه الحقّ؛ فما هي الحقيقة؟ كنت أريد الحقيقة".

(١) - المصدر: كتاب (عادوا إلى الفطرة) إعداد أحمد بن علي. وموقع قصة الاسلام

وهكذا بدأ بحثه حتى اختزله إلى الأديان الرئيسيّة الأربعة وحصل على نسخة من القرآن الكريم وهل تتخيّلون ماذا حدث؟ يتذكر مواييبو قائلاً: "حين فتحت القرآن الكريم، كانت الآيات الأولى التي أقرأها هي: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ١-٤] ، كان هذا هو الوقت الذي بدأت فيه بذور الإسلام بالنموّ، وهو الدّين غير المعروف بالنّسبة إليه ، وفي ذلك الوقت اكتشف بأنّ القرآن الكريم هو الكتاب المقدّس الوحيد الذي لم يُشوّهُه الإنسان منذ الإيحاء به، وهذا ما قُلتُه كخاتمة في رسالتي للدكتوراه. ولم يكن يهتني إن كانوا سيمنحوني الدكتوراه أم لا؛ لأنّ هذه هي الحقيقة، وأنا كنت أبحث عن الحقيقة".

ونتيجةً لذلك قامت الكنيسة بتجريدته من بيته وسياراته. ولم تستطع زوجه تحمّل ذلك فحزمت حقائبها وأخذت أولادها وتركته، وذلك على الرغم من تأكيد مواييبو لها بأنّها ليست مُلزِمةً بدخول الإسلام. وعندما ذهب إلى والديه، اللّذين كانا أيضًا قد سمعا بقصّته: "طلب منّي أبي انتقاد الإسلام علانيةً، وقالت أمّي بأنّها لا تريد أن تسمع أيّ تُرّهاتٍ منّي".

لقد أصبح وحيدياً : انتقل مواييبو من رفاهية منزل رئيس الأساقفة ليعيش في بيتٍ مبنيٍّ من الطّين. وبدلاً من راتبه الكبير كعضوٍ في المجلس الكنسيّ العالميّ كأمينٍ عامٍّ لشرق إفريقيا، بدأ بكسب قوته كحطّابٍ، وحرّاثٍ لأراضي الآخرين وفي الأوقات التي لم يكن يعمل فيها كان يدعو إلى الإسلام علانيةً؛ ممّا قاده إلى سلسلةٍ من الأحكام القصيرة بالسّجن لعدم احترام المسيحيّة ، وحين كان يؤدّي فريضة الحجّ في عام ١٩٨٨م، حدثت الكارثة. فقد فُجّر بيته، وترتب على ذلك قتل أطفاله التوائم الثلاثة. ويتذكّر قائلاً: "الأسقف -وهو ابن خالتي- كان ضالّماً في تلك المؤامرة". ويضيف بأنّه بدلاً من أن يحبطه ذلك فقد فعل العكس؛ لأنّ عدد اللّذين كانوا يعلنون إسلامهم كان بازدياد، وهذا يشمل حماه أيضًا.

الغريب في الأمر أن "جون مواييبو" الذي تدرج في مراتب الكنيسة حتى وصل إلى رتبة رئيس الأساقفة في تنزانيا بعد أن اعتنق الإسلام وتسمى باسم "أبي بكر" ... لم يكتفِ بإسلامه، بل اجتهد في أن يأخذ بيد غيره من النصارى، ولا سيما اللّذين كانوا يترددون على الكنيسة ويلقي عليهم المواعظ والدروس حتى استطاع أن يقنع أكثر من خمسة آلاف شخص للدخول في دين الإسلام.

ورسالة الحاج أبي بكر مواييبو إلى المسلمين هي: "إنّ هناك حرباً على الإسلام... وقد أغرقوا العالم بالمطبوعات. والآن بالتحديد يعملون على جعل المسلمين يشعرون بالعار بوصفهم لهم بالأصوليين. فيجب على المسلمين ألا يقفوا عند طموحاتهم الشّخصيّة، ويجب عليهم أن يتّحدوا. فعليك أن تدافع عن جارك إن كنت تريد أن تكون أنت في أمان" ، يقول ذلك ويحضُّ المسلمين على أن يكونوا شجعاناً، مُستشهداً بالمركز الإسلاميّ العالميّ للدّعوة والشّيخ أحمد ديدات: "ذلك الرّجل ليس مُتعلّماً، لكن انظر إلى الطّريقة التي ينشر بها الإسلام" (١).

١٣ - جلال الدين لودبرنتون .. القس الإنجليزي

ولد ونشأ بين أبوين مسيحيين، وولع بدراسة اللاهوت وهو في سن مبكرة، وارتبط بالكنيسة الإنجليزية، وأعطى أعمال التبشير كل اهتمامه ، وحدث ذات يوم أن زاره صديق هندي مسلم تحدث معه في موضوع العقائد المسيحية ومقارنتها بالعقيدة الإسلامية، وانتهت الزيارة، إلا أنها لم تنته في نفسه، فقد أثارت انفعالاً شديداً في ضميره وعقله، وصار يتدبر كل ما قيل فيها من جدال؛ مما دفعه إلى إعادة النظر في العقائد المسيحية... ويعبر عن ذلك فيقول:

"عندئذ قررت أن أبحث بنفسي متجاهلاً عقائد الناس بعد أن أيقنت بضرورة البحث عن الحقيقة مهما طال المدى في هذا السبيل، ومهما كان الجهد حتى أصل لمزيد من المعرفة بعد أن قيل: إن الإنجيل وتعاليم المسيح قد أصابها التحريف. فعدتُ ثانيًا إلى الإنجيل أوليه دراسة دقيقة، فشعرت أن هناك نقصًا لم أستطع تحديده. عندئذ ملك عليّ نفسي رغبة أن أفرض كل وقتي لدراسة الإسلام.. وبالفعل كرست كل وقتي وجهدي له، ومن ذلك دراسة سيرة النبي محمد ، ولم أكن أعلم إلا القليل النادر عنه، ورغم أن المسيحيين أجمعوا على إنكار هذا النبي العظيم الذي ظهر في الجزيرة العربية... ولم يمض بي وقت طويل حتى أدركت أنه من المستحيل أن يتطرق الشك إلى جدية وصدق دعوته إلى الحق وإلى الله".

ثم أخذ يكرر هذا المعنى وهو يقول: "نعم شعرتُ أن لا خطيئة أكبر من إنكار هذا الرجل الباني بعد أن درست ما قدّمه للإنسانية، وجعل من المسلمين أقوى مجتمع رفيع يعاف الدنيا... إني غير مستطيع أن أحصي ما قدمه هذا الرسول من جليل الأعمال...". بعدها تساءل في ألمٍ ووجوم قائلاً: "أمام كل هذا الفضل وهذا الصفاء، أليس من المحزن الأليم حقًا أن يقدر في شأنه المسيحيون وغيرهم؟!".^(١)

١٤ - القس إسحاق هلال مسيحة ورئيس لجنة التنصير في إفريقيا

المهنة: راعي كنيسة المثلال المسيحي، ورئيس فخري لجمعيات خلاص النفوس المصرية بإفريقيا وغرب آسيا ، مواليد: ١٩٥٣/٥/٣ م - المنيا - جمهورية مصر العربية. ولدت في قرية البياضية مركز ملوي محافظة المنيا من والدين نصرانيين أرثوذكس، زرعا في نفوسنا ونحن صغار الحقد ضد الإسلام والمسلمين ، حين بدأت أدرس حياة الأنبياء بدأ الصراع الفكري في داخلي ، وكانت أسئلتي تثير المشاكل في أوساط الطلبة، مما جعل البابا (شنودة) الذي تولى بعد وفاة البابا (كيرلس) يصدر قرارًا بتعييني قسيسًا قبل موعد التنصيب بعامين كاملين - لإغرائي وإسكاتي فقد كانوا يشعرون بمناصرتي للإسلام- مع أنه كان مقررًا ألا يتم التنصيب إلا بعد مرور ٩ سنوات من بداية الدراسة اللاهوتية.

ثم عيّنت رئيسًا لكنيسة المثلال المسيحي بسوهاج، ورئيسًا فخريًا لجمعيات خلاق النفوس المصريّة (وهي جمعية تنصيرية قوية جدًا، ولها جذور في كثير من البلدان العربية وبالأخص دول الخليج)، وكان البابا يغدق عليّ الأموال؛ حتى لا أعود لمناقشة مثل تلك الأفكار، لكنني مع هذا كنت حريصًا على معرفة حقيقة الإسلام، ولم

(١) - المصدر: كتاب (عادوا إلى الفطرة) إعداد: أبو إسلام أحمد بن علي.

يخب النور الإسلامي الذي أنار قلبي فرحًا بمنصبي الجديد بل زاد، وبدأت علاقتي مع بعض المسلمين سرًا، وبدأت أدرس وأقرأ عن الإسلام..

وطلب مني إعداد رسالة الماجستير حول مقارنة الأديان، وأشرف على الرسالة أسقف البحث العلمي في مصر سنة ١٩٧٥م، واستغرقت في إعدادها أربع سنوات، وكان المشرف يعترض على ما جاء في الرسالة حول صدق نبوة الرسول محمد وأميته وتبشير المسيح بحبيته وأخيرًا تمت مناقشة الرسالة في الكنيسة الإنجليكانية بالقاهرة، واستغرقت المناقشة تسع ساعات وتركزت حول قضية النبوة والنبى، علمًا بأن الآيات صريحة في الإشارة إلى نبوته وختم النبوة به. وفي النهاية صدر قرار البابا بسحب الرسالة مني، وعدم الاعتراف بها. أخذت أفكر في أمر الإسلام تفكيرًا عميقًا حتى تكون هدايتي عن يقين تام، ولكن لم أكن أستطيع الحصول على الكتب الإسلامية، فقد شدد البابا الحراسة عليّ وعلى مكتبتي الخاصة.

على كرسي الاعتراف: بعد ذلك ذهبت إلى الإسكندرية لإحياء أسبوع مولد العذراء يوم الأحد أثناء صلاة القداس المعتاد، وفي فترة الراحة ذهبت إلى كرسي الاعتراف؛ لكي أسمع اعترافات الشعب الجاهل الذي يؤمن بأن القسيس بيده غفران الخطايا. جاءتني امرأة تعض أصابع الندم، قالت: "إني انحرفت ثلاث مرات وأنا أمام قداستك الآن أعتزف لك رجاء أن تغفر لي، وأعاهدك ألا أعود لذلك أبدًا"، ومن العادة المتبعة أن يقوم الكاهن برفع الصليب في وجه المعترف ويغفر له خطاياهم. وماكدت أرفع الصليب لأغفر لها حتى وقع ذهني على العبارة القرآنية الجميلة (قل هو الله أحد)، فعجز لساني عن النطق وبكيت بكاءً حارًا وقلت: "هذه جاءت لتنال غفران خطاياها مني، فمن يغفر لي خطاياي يوم الحساب والعقاب؟!".

هنا أدركت أن هناك كبير أكبر من كل كبير، إله واحد لا معبود سواه. ذهبت على الفور للقاء الأسقف وقلت له: "أنا أغفر الخطايا لعامة الناس، فمن يغفر لي خطاياي؟!". فأجاب دون اكتراث: "البابا". فسألته: "ومن يغفر للبابا؟!" فانتفض جسمه ووقف صارخًا وقال: "أنت قسيس مجنون، واللي أمر بتنصيبك مجنون، حتى وإن كان البابا؛ لأننا قلنا له لا تنصّب له لئلا يفسد الشعب بإسلامياته وفكره المنحل". بعد ذلك صدر قرار البابا بحبسي في دير (ماري مينا) بوادي النطرون.

كبير الرهبان يصلي: أخذوني معصوب العينين، وهناك استقبلني الرهبان استقبالاً عجيبيًا، كادوا لي فيه صنوف العذاب، علمًا بأنني حتى تلك اللحظة لم أسلم، كل منهم يحمل عصا يضربني بها وهو يقول: "هذا ما يصنع ببائع دينه وكنيسته"، استعملوا معي كل أساليب التعذيب الذي لا تزال آثاره موجودة على جسدي، وهي خير شاهد على صحة كلامي، حتى إنّه وصلت بهم أخلاقهم اللاإنسانية أنهم كانوا يدخلون عصا (المقشّة) في دبري يوميًا سبع مرّات في مواقيت صلاة الرهبان لمدة سبعة وتسعين يومًا، وأمروني بأن أرعى الخنازير.

وبعد ثلاثة أشهر أخذوني إلى كبير الرهبان لتأديبي دينيًا وتقديم النصيحة لي، فقال: "يا بُنيّ، إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، اصبر واحتسب. ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب". قلت

في نفسي: ليس هذا الكلام من الكتاب المقدس، ولا من أقوال القديسين. وما زلت في ذهولي بسبب هذا الكلام حتى رأيته يزيدني ذهولاً على ذهول بقوله: "يا بني، نصيحتي لك السر والكتمان إلى أن يعلن الحق مهما طال الزمان".

تُرى ماذا يعني بهذا الكلام وهو كبير الرهبان؟! ولم يطل بي الوقت حتى فهمت تفسير هذا الكلام المخير. فقد دخلت عليه ذات صباح لأوقظه، فتأخر في فتح الباب، فدفعته ودخلت وكانت المفاجأة الكبرى التي كانت نوراً لهدايي لهذا الدين الحق، دين الوحدة، عندما شاهدت رجلاً كبيراً في السن ذا لحية بيضاء وكان في عامه الخامس والستين، وإذا به قائماً يصلي صلاة المسلمين (صلاة الفجر).

تسمرتُ في مكاني أمام هذا المشهد الذي أراه، ولكي انتبهت بسرعة عندما خشيت أن يراه أحد من الرهبان، فأغلقت الباب. جاءني بعد ذلك وهو يقول: "يا بني، استر عليّ ربنا يستر عليك! أنا منذ ٢٣ سنة على هذا الحال؛ غذائي القرآن، وأنيس وحدتي توحيد الرحمن، ومؤنس وحشتي عبادة الواحد القهار، الحق أحق أن يتبع".

بعد أيام صدر أمر البابا برجوعي لكنيستي بعد نقلي من سوهاج إلى أسيوط، لكن الأشياء التي حدثت مع سورة الإخلاص وكرسي الاعتراف والراهب المتمسك بإسلامه جعلت في نفسي أثراً كبيراً، لكن ماذا أفعل وأنا محاصر من الأهل والأقارب وممنوع من الخروج من الكنيسة بأمر شنودة.

رحلة تنصيرية: بعد مرور عام جاءني خطاب، والمودع بالملف الخاص بإشهار إسلامي بمديرية أمن الشرقية - ج.م.ع، يأمرني فيه بالذهاب كرئيس للجنة المغادرة إلى السودان في رحلة تنصيرية، فذهبنا إلى السودان في الأول من سبتمبر ١٩٧٩م، وجلسنا به ثلاثة شهور وحسب التعليمات البابوية بأن كل من تقوم اللجنة بتنصيره يسلم مبلغ ٣٥ ألف جنيه مصري بخلاف المساعدات العينية، فكانت حصيلة الذين غررت بهم اللجنة تحت ضغط الحاجة والحرمان خمسة وثلاثين سودانياً من منطقة واو في جنوب السودان.

وبعد أن سلمتهم أموال المنحة البابوية اتصلت بالبابا من مطرانية أم درمان فقال: "خذوهم ليروا المقدسات المسيحية بمصر (الأديرة)". وتم خروجهم من السودان على أساس عمال يعقود للعمل بالأديرة لرعي الإبل والغنم والخنازير، وتم عمل عقود صورية حتى تتمكن لجنة التنصير من إخراجهم إلى مصر.

بعد نهاية الرحلة وأثناء رجوعنا بالباخرة (مارينا) في النيل، قمت أتفق المتنصرين الجدد، وعندما فتحت باب الكابينة (١٤) بالمفتاح الخاص بالطاقم العامل على الباخرة، فوجئت بأن المتنصر الجديد عبد المسيح - وكان اسمه محمد آدم - يصلي صلاة المسلمين. تحدثت إليه، فوجدته متمسكاً بعقيدته الإسلامية، فلم يغره المال، ولم يؤثر فيه بريق الدنيا الزائل.

خرجت منه، وبعد حوالي الساعة أرسلت له أحد المنصرين، فحضر لي بالجناح رقم ٣، وبعد أن خرج المنصر قلت له: "يا عبد المسيح، لماذا تصلي صلاة المسلمين بعد تنصرك؟" فقال: "بعث لكم جسدي

بأموالكم، أما قلبي وروحي وعقلي فملك الله الواحد القهار، لا أبيعهم بكنوز الدنيا وأنا أشهد أمامك بأن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله".

بعد هذه الأحداث التي أنارت لي طريق الإيمان وهدتني لأعتنق الدين الإسلامي، وجدت صعوبات كثيرة في إشهار إسلامي؛ نظرًا لأنني قس كبير ورئيس لجنة التنصير في إفريقيا، وقد حاولوا منع ذلك بكل الطرق؛ لأنه فضيحة كبيرة لهم..

ذهبت لأكثر من مديرية أمن لأشهر إسلامي؛ وخوفًا على الوحدة الوطنية أحضرت لي مديرية الشرقية فريقًا من القساوسة والمطارنة للجلوس معي، وهو المتبع بمصر لكل من يريد اعتناق الإسلام هدّدتني اللجنة المكلفة من ٤ قساوسة و ٣ مطارنة بأنها ستأخذ كل أموالي وممتلكاتي المنقولة والمحمولة والموجودة في البنك الأهلي المصري فرع سوهاج وأسيوط، والتي كانت تقدّر بحوالي ٤ مليون جنيه مصري، وثلاثة محلات ذهب، وورشة لتصنيع الذهب بحارة اليهود، وعمارة مكونة من أحد عشر طابقًا رقم ٤٩٩ شارع بور سعيد بالقاهرة، فتنازلت لهم عنها كلّها، فلا شيء يعدل لحظة الندم التي شعرت بها وأنا على كرسي الاعتراف.

بعدها كادت لي الكنيسة العدا، وأهدرت دمي، فتعرضت لثلاث محاولات اغتيال من أخي وأولاد عمي، فقاما بإطلاق النار عليّ في القاهرة، وأصابوني في كليتي اليسرى والتي تم استئصالها في ١٩٨٧/١/٧ م في مستشفى القصر العيني، والحادث قيّد بالمحضر رقم ١٧٦٢ / ١٩٨٦ بقسم قصر النيل مديرية أمن القاهرة بتاريخ ١٩٨٦/١١/١١ م. أصبحت بكلية واحدة وهي اليمنى، ويوجد بها ضيق الحالب بعد التضخم الذي حصل لها بقدرة الخالق الذي جعلها عوضًا عن كليتين.

ولكن للظروف الصعبة التي أمرت بها بعد أن جرّدتني الكنيسة من كل شيء، والتقارير الطبّية التي تفيد احتياجي لعملية تجميل لحوض الكلية وتوسيع للحالب؛ ولأنني لا أملك تكاليفها الكبيرة، أجريت لي أكثر من خمس عشرة عملية جراحية من بينها البروستاتا ولم تنجح واحدة منها؛ لأنها ليست العملية المطلوب إجراؤها حسب التقارير التي أحملها. ولما علم أبواي بإسلامي، أقدموا على الانتحار فأحرقا نفسيهما، والله المستعان^(١).

١٥ - ماركو كوريس .. الراهب الفلبيني

كان أصدقائي يزوروني كلّ يومٍ للذهاب إلى الكنيسة. وبعد شهرين تمّ تعميدي، فأصبحت عضوًا منتظمًا في صلاتهم. وبعد مرور خمسة أعوام، أقنعتني راهبنا بالعمل في الكهنوت كعاملٍ متطوّع، وبعد ذلك أصبحت المنشد الرئيسي، ثم القائد في الصلّاة، ثم معلّمًا في مدرسة الأحد، ثم أصبحت أخيرًا راهبًا رسميًا في الكنيسة. وكان عملي خاضعًا لبعثة التبشير الإنجيليّة القرويّة الحرّة (F.R.E.E). وهي بعثة تبشيرية مثل بعثة "يسوع هو الله" و"الناصري"، و"خبز الحياة"، إلخ، بدأت تعليم الناس الإنجيل وتعاليمه. وقرأت الإنجيل مرّتين من الغلاف إلى الغلاف. وأجبرت نفسي على حفظ أجزاء وآياتٍ منه عن ظهر قلبٍ؛ من أجل الدّفاع عن الدّين

(١) - المصادر: ١- كتاب عادوا إلى الفطرة (٧٠ قصة حقيقية مؤثرة) ٢- كتاب (إسلام القساوسة والحاخامات). ٣- جريدة للمسلمون العدد ٣٥٦، ٢٣ جمادى الأولى ١٤١٢هـ. وراجع موقع قصة الاسلام لأن القصة مختصرة لتناسب الكتاب فهي أشمل وأوسع .

الذي كنت أومن به. وأصبحت فخورًا بنفسى لهذا المنصب الذي حظيت به. وكنت غالبًا ما أقول لنفسى بأني لا أحتاج إلى أيّ تعاليم أو نصوص أخرى عدا الإنجيل.

ولكن مع ذلك، كان هناك فراغٌ روحيّ في داخلي. صليت، وصُمت، واجتهدت لإرضاء مشيئة الإله الذي كنت أعبد، ولم أكن أجد السعادة، أيضًا أن بعض أصدقائي من الرهبان ماديون. فهم يغمسون أنفسهم في الشهوة الجسديّة كالعلاقات المحرّمة مع النساء، والفساد، وتعطّشهم للشهرة، وعلى الرغم من كلّ ذلك فقد وصلت وبطريقة عمياء اعتناقى الدين بقوة؛ وذلك لأني كنت أعرف وحسب ما تقوله التعاليم (بأنّ الكثيرين يُدعّون، ولكنّ القليل منهم يُختارون). كنت دومًا أصليّ لیسوع المسيح ليغفر لي ذنوبي، وكذلك ذنوبهم فقد كنت أظنّ بأنّه هو الحلّ لكلّ مشكلاتي؛ ولذلك فإنّه يستطيع الاستجابة لكلّ دعائي، مع ذلك وبالنظر إلى حياة زملائي من الرهبان فإنّك لا تستطيع أن تجد بينهم أمثلةً جيّدةً مقارنةً بالرعيّة التي يعطونها. وهكذا بدأ إيماني يخفت، وناضلت بصعوبة بالغة على العمل في خدمة الصلّاة الجماعيّة (١).

١٦ - الدكتور ملير من أكبر داعية للنصرانية في كندا إلى أكبر داعية للإسلام فيها

كان من المبشرين النشطين جدًّا في الدعوة إلى النصرانية، وأيضًا هو من الذين لديهم علم غزير بالكتاب المقدس، وهذا رجل يجب الرياضيات بشكل كبير؛ لذلك يجب المنطق أو التسلسل المنطقي للأموار... في أحد الأيام أراد أن يقرأ القرآن بقصد أن يجد فيه بعض الأخطاء التي تعزز موقفه عند دعوته للمسلمين للدين النصراني.. كان يتوقع أن يجد القرآن كتابًا قديمًا مكتوبًا منذ ١٤ قرنًا يتكلم عن الصحراء وما إلى ذلك.. لكنه ذهل مما وجدته فيه، بل واكتشف أن هذا الكتاب يحوي أشياء لا توجد في أي كتاب آخر في هذا العالم!!

كان يتوقع أن يجد بعض الأحداث العصبية التي مرت على النبي محمد صلى الله عليه وسلم مثل وفاة زوجته خديجة رضي الله عنها، أو وفاة بناته وأولاده.. لكنه لم يجد شيئًا من ذلك.

بل الذي جعله في حيرة من أمره أنه وجد أن هناك سورة كاملة في القرآن تسمى سورة مريم، وفيها تشريف لمريم لا يوجد مثل له في كتب النصرارى ولا في أناجيلهم!! ولم يجد سورة باسم عائشة أو فاطمة رضي الله عنهم، وكذلك وجد أن عيسى ذُكر بالاسم ٢٥ مرة في القرآن، في حين أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يذكر إلا ٥ مرات فقط، فزادت حيرة الرجل! أخذ يقرأ القرآن بتمعن أكثر؛ لعله يجد مأخذًا عليه.. ولكنه صُعبق بآية عظيمة وعجيبة، ألا وهي الآية رقم ٨٢ في سورة النساء: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

يقول الدكتور ملير عن هذا الآية: "من المبادئ العلمية المعروفة في الوقت الحاضر هو مبدأ إيجاد الأخطاء أو تقصي الأخطاء في النظريات إلى أن تثبت صحتها ويسمى Falsification test.. والعجيب أن القرآن الكريم يدعو المسلمين وغير المسلمين إلى إيجاد الأخطاء فيه، ولن يجدوا..."، يقول أيضًا عن هذه الآية: "لا

(١) - المصدر: كتاب (عادوا إلى الفطرة). وراجع موقع قصة الاسلام لأن القصة أوسع وأدق مما ذكر.

يوجد مؤلف في العالم يمتلك الجرأة ويؤلف كتابًا ثم يقول: هذا الكتاب خالٍ من الأخطاء، ولكن القرآن على العكس تمامًا يقول لك: لا يوجد أخطاء، بل ويعرض عليك أن تجد فيه أخطاء ولن تجد.

أيضًا من الآيات التي وقف الدكتور ملير عندها طويلاً هي الآية رقم ٣٠ من سورة الأنبياء: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، يقول: "إن هذه الآية هي بالضبط موضوع البحث العلمي الذي حصل على جائزة نوبل في عام ١٩٧٣م، وكان عن نظرية الانفجار الكبير، وهي تنص أن الكون الموجود هو نتيجة انفجار ضخم حدث منه الكون بما فيه من سموات وكواكب"، فالرتق هو الشيء المتماص، في حين أن الفتق هو الشيء المتفكك، فسيحان الله!

يقول الدكتور ملير: "الآن نأتي إلى الشيء المذهل في أمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم والادعاء بأن الشياطين هي التي تعينه، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠-٢١٢]، {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [النحل: ٩٨]، أرايتم؟! هل هذه طريقة الشيطان في كتابة أي كتاب؟ يؤلف كتابًا ثم يقول قبل أن تقرأ هذا الكتاب: يجب عليك أن تتعوذ مني؟! إن هذه الآيات من الأمور الإعجازية في هذا الكتاب المعجز! وفيها رد منطقي لكل من قال بهذه الشبهة".

ومن القصص التي أدهت الدكتور ملير، ويعتبرها من المعجزات هي قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي لهب.. يقول الدكتور ملير: "هذا الرجل أبو لهب قبل ١٠ سنوات من وفاة أبي لهب نزلت سورة في القرآن اسمها سورة المسد، هذه السورة تقرر أن أبا لهب سوف يذهب إلى النار، أي بعبارة أخرى أن أبا لهب لن يدخل الإسلام. خلال عشر سنوات كل ما كان على أبي لهب أن يفعله هو أن يأتي أمام الناس ويقول: (محمد يقول إني لن أسلم وسوف أدخل النار، ولكني أعلن الآن أنني أريد أن أدخل في الإسلام وأصبح مسلمًا!! الآن ما رأيكم هل محمد صادق فيما يقول أم لا؟ هل الوحي الذي يأتيه وحي إلهي؟).. لكن "أبو لهب" لم يفعل ذلك تمامًا رغم أن كل أفعاله كانت هي مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم، لكنه لم يخالفه في هذا الأمر؛ يعني القصة كأنها تقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأبي لهب أنت تكهني وتريد أن تُنهيني، حسنا لديك الفرصة أن تنقض كلامي(١)!

١٧-الراهب مونجوزا قسيس الكنيسة الكاثوليكية بزائير .. كان ينصر قري بأكملها

تلفقني الكنيسة الكاثوليكية منذ صغري وصبغتني بالنصرانية، ثم كلفتني بالدعوة إلى النصرانية، كنت راهبًا أعمل بالدعوة وتنصير الناس، كنت مؤثرًا بالفعل، إذ أجتاح القرى فأنصر كل من فيها، وأنتقل إلى غيرها، وفي تلك الآونة كنت أحتلي إلى بيوت الأصدقاء، وكان منهم المسلم الذي تعجبني خصاله، وكانوا يتحدثون عن الإسلام بما يثير انتباهي فعلاً، مثل: وحدانية الخالق، وخلق الإسلام، وسماعته، والتراحم فيه، ويومًا رأيت

(١) - المصدر: كتاب (عادوا إلى الفطرة .. ٧٠ قصة حقيقية مؤثرة) رحلة الدكتور ميلر من أوسع وأهم الرجل الامتانية راجعها في الكتاب المذكور والموقع السابق

في يد أحدهم القرآن، فطلبته منه وتزامن معه الرحلة إلى فرنسا من أجل الدراسة، فأتاحت فرصة البحث العلمي والاطلاع المرکز في تلك المقارنة بالإسلام.

كانت الكنيسة تنتظري أن أعود إليها بقوة أكبر، لكن مشيئة الله وفضله خلصاني، وأخذنا بيدي إلى طريق الحق والدين الصحيح.

وقد تقدمت إلى منظمة الدعوة الإسلامية لتسجيل إسلامي، وكان رد الفعل كبيراً للغاية إذ، غضب رسمياً وهاج البابا في الفاتيكان، حيث كنت لهم يداً قوية، وأخذوا مني سيارتي ومنزلي وبعض حاجاتي، ثم بدأت تحرشاتهم بي (١).

١٨ - الحاخام ابراهيم بولات من أوزبكستان .. يتحول إلى داعية للإسلام !

تحدى الجميع واعتنق الدين الحنيف، فدخل نور الإيمان إلى قلبه، ومنذ ذلك اليوم وهو يعمل مؤذناً ومقرئاً للقرآن ويقوم بتحفيظ كتاب الله الكريم ، فضلاً عن أنه يعمل داعية للإسلام ، وقد اهتدى على يديه خلق كثير.. كان يتعامل مع المسلمين من بني وطنه فيجد فيهم مودة ورحمة، كانوا يجلون الكبير، ويرحمون الصغير، ويعودون المريض، ويعطفون على المسكين. رآهم يتزاورون ويجب بعضهم بعضاً، والأهم أنه رأى فيهم حرصاً على الدين واستمسكاً بحفظ القرآن وأداء الصلوات برغم القهر الشيوعي الملحد (٢)

١٩ - القس بيشوي ملك يكشف سر إسلامه، وهو مندوب البابا شنودة لدى الكنيسة الإيطالية

من قبل..

حياتي قبل الإسلام كأبي مسيحي أرثوذكسي يؤمن بيسوع، وبعقيدة الجسد والدم. ولقد حصلت على بكالوريوس الكلية الإكليريكية عام ١٩٨٢م، وتم رسمي -أي تعييني- في مجال الكهنوت والتي كانت متميزة بشهادة الجميع، ومن بينهم البابا شنودة بنفسه، وكنت مرتبطاً بالكنيسة ارتباطاً وثيقاً، حيث إن الكنيسة أقامت علاقة بين القساوسة والشباب المسيحي، علاقة تتمثل في الرعاية والمتابعة. حتى إنني انزعجت جداً من نفور كثير من الشباب المسيحي وقتئذٍ من بعض الشباب الذين يُطلق عليهم لفظ (وحشين) أي البلطجية؛ ولذا قمت بعقد اجتماع الوحشين والذي وجد قبولاً بعد ذلك من عدد كبير من القيادات في الكنيسة، بالرغم من رفضهم لهذا الاجتماع في بداية الأمر، حيث كانوا ينظرون لهؤلاء الشباب على أنهم بلطجية.

وكنت أتمنى أن تكون الرعاية في المسجد كما عرفتها في الكنائس من تعاهد الشباب، وحل مشكلاتهم!! وقد تميّزتُ وقمتُ بإخراج شرائط أحدثت ردود أفعال كبيرة في المجتمع النصراني كله مثل شريط "أنت أبويا وأنا أبوك" و"القداسات الثلاثة" و"طقسيات مرئية"، وهذا الشريط الأخير هو الذي قادني للتعمق في قضية الجسد والدم، والتي هي المدخل الأول لدخولي الإسلام.

* ما المقصود بقضية الجسد والدم في العقيدة الأرثوذكسية النصرانية؟ وكيف قادتك للدخول في الإسلام؟

(١) - المصدر: كتاب (إسلام القساوسة والحاخامات). وراجع موقع قصة الإسلام .

(٢) - المصدر: كتاب (إسلام القساوسة والحاخامات). وراجع موقع قصة الإسلام .

ذهبت للبابا شنودة وناقشته في قضية الجسد والدم، حيث إنَّ هذا الأمر هو لبّ العقيدة للمسيحي الأرثوذكسي، وأول سؤال طرحته على البابا هو: كم قداسًا في اليوم؟ فقال لي البابا شنودة: نحو عشرة آلاف قداس. فقلت له: هل هذا يعني أن جسد المسيح يتم تقسيمه عشرة آلاف مرة في اليوم الواحد؟ .. والبابا شنودة استشعر حينها أنني غير مؤمن بالعقيدة فقط، ولكن من استشعر فكرة إسلامي هو الأنبا بيشوي وكان حينها سكرتير المجمع المقدس وما ناقشت فيه البابا هو لبّ العقيدة الأرثوذكسية وتم بعدها عقد مجلس إكليريكي، وهذا المجلس عبارة عن مجلس تأديب والذي صدر فيه قرار وقفي عن العمل أكثر من مرة، وحصلت على شهادة من البطريركية القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة بتركي الكهنوت ورجوعي إلى اسمي بشهادة الميلاد وهو منير ملك داود.

ومن هنا نما إلى فكر البابا شنودة بأنني أريد الخروج من عباءة النصرانية، مما دعاني إلى تهدئة الأمر منذ عام ٢٠٠٣م إلى عام ٢٠٠٨م، حيث إنني أشهرت إسلامي عام ٢٠٠٨م وحتى هذه الفترة أمارس عبادات الإسلام في السر، وقيمت بتعليم نفسي بنفسي عن طريق المصحف المعلم، فمن يدخل الإسلام يكون أقوى من المسلم بالوراثة أحيانًا، إلا أنه تكون هناك نظرة غريبة من البعض تشير بأنه كان يومًا ما مسيحيًا.

- أنصح كل مسيحي أن يقرأ الإنجيل كي يصل إلى القرآن؛ لأن القرآن بالنسبة له هو شهادة الخصوم، ولذا فعليه أن يحب الإنجيل ويطلع إليه كي يصل من خلاله إلى القرآن؛ لأنه سيجد في الإنجيل العديد من المتناقضات التي ستهدم له العقيدة النصرانية أولاً، ثم عليه أن يبدأ في ترسيخ وبناء عقيدة الإسلام. حيث إن السيّد المسيح لم ينسب لنفسه صفة الألوهية قطّ، بل نفاها عن نفسه، والأغلبية الساحقة التي يتم الاعتماد عليها في الكنائس هي أن المسيحي لا يفكر؛ أي عندما يسأل أيّ شخص عن كيفية ولادة المسيح وكيف يعيش في الجسد وهو الله؟ يتم الرد عليه بأن هذه إيمانيات لا يمكن التفكير فيها، وهذا في حد ذاته كافٍ لطمس الحقيقة عن أي شخص مستنير..

- أما أمر أسرتي فقد تركتهم تمامًا، حيث إن زوجتي رفعت قضية خلع وهي الآن متزوجة من مسيحي ومعها أولادي الاثنان، وأنا الآن أشعر بأنه لا ينقصني شيء، على الرغم من أنه ينقصني كل شيء؛ حيث إنني فقدت أسرتي وأولادي، إلى جانب العامل المادي حيث إن راتبي في الكنيسة كان مغرًا جدًا.

سلكت طريق الدعوة إلا أنني اتبعت نهج الهدم لا البناء. والسبب في أنني ما زلت متواصلًا مع بعض الأقباط هو أنني لم أذكر الكنيسة ولا البابا بأي سوء، إلا أنني أتحدث معهم في جانب العقيدة، خاصة وأنني كنت أردّد الترانيم بصوت جيد، ولي العديد من شرائط الكاسيت التي أود أن أحوّلها إلى شرائط قرآن وتفسير، وأول مرة اعتليت فيها المنبر كانت بمسجد أبو بكر بشبرا وتم تسجيل الخطبة، ولكنني كنت مصدومًا عندما استمعت إليها مرة أخرى، ولم أكن مصدقًا أنني من ألقى هذه الخطبة^(١).

٢٠ - محمد مجدي مرجان .. الشماس المصري

(١) - مقطع صغير من حوار خاص لموقع قصة الإسلام مع القس بيشوي ملك سابقا أجراه هشام عبد المنعم

نشأ الدكتور محمد مجدي مرجان في أسرة نصرانية في مصر تنظر إلى الإسلام على أنه دخيل، ليست له جذور عميقة في هذا البلد صاحب الحضارة القديمة، تنتظر يوم الخلاص من كل ما هو إسلامي، أو يمتُّ إلى الإسلام بصلة، التحق بمدرسة الثالث شماسًا في إحدى الكاتدرائيات؛ ليكون أحد دعاة هذه العقيدة، يقول عن ذلك: "تم إلحاقني تلميذًا في مدرسة الثالث شماسًا في إحدى الكاتدرائيات، حيث تم إعدادي وتوجيهي، فأصبحت داعيًا لله (الثالوث)، منافحًا لنشر طقوسه وتعاليمه".

ظل مجدي مرجان يبحث عن الحقيقة في محاولة للوصول إليها؛ لذلك فهو يدعو غيره من النصارى وأصحاب الديانات للعودة إلى الإيمان الصادق عن طريق البحث والتنقيب، قائلاً: "فَلْتَبْحَثْ عقائدنا، وأصول إيماننا وغذاء أرواحنا؛ لنصل إلى الحقيقة التي تحجبها الأهواء والأغراض والميول والنزعات، فلننتزع عنا هذه وتلك، ولنستقبل الحقيقة؛ فترتاح العقول، وتسكن القلوب، وتهدأ النفوس، وتستقر الأرواح".

وبعد رحلة البحث الشاقة عن الحقيقة هداه الله إلى الإسلام، فأعلن إسلامه عن علم وقناعة و يقين، وها هو يقول: "وُلِدْتُ لأعبد المسيح، وأرفعه فوق الآلهة، فلما شبيت شككت، فبحثت عن الحقيقة، ونقبت فعرفت، وناداني المسيح: يا عبد الله، أنا بشر مثلك، فلا تشرك بالخالق وتعبد المخلوق، ولكن اقتد بي واعبد معي، ودعنا نبتهل معًا: (ربنا وإلهنا حمدك وسبحانك رب العالمين، وإياك نعبد وإياك نستعين). يا عبد الله، أنا وأنت وباقي الناس عبيد الرحمن. فأمنت بالله، وصدقت المسيح، وكفرت بالآلهة المصنوعة".

وصدق الحق إذ يقول: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّما يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذْبًا كَذِبًا يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام: ١٢٥]. وقد أهدى هذا المسلم الصادق (محمد مجدي مرجان) للمكتبة الإسلامية عددًا من الكتب التي تخدم الإسلام والمسلمين (١).

٢١ - فريدريك دولا مارك .. كبير أساقفة جوهانسبرج Frederic Marc countries

كبير أساقفة جوهانسبرج أعلن إسلامه في صحن المركز الإسلامي الكبير بجينيف مؤكداً استعداداه فوراً للتعريف بحقيقة الإسلام، والعمل على نشر تعاليمه في أنحاء القارة الإفريقية .تبدأ قصته عندما بدأ كبير الأساقفة يحاول الوصول إلى إجابة للشكوك التي تدور بداخله، فلقد درس الإسلام للوقوف على عدة أساسيات؛ وهي:

أولاً: الألوهية... ثانيًا: الوجدانية... ثالثًا: صورة عيسى -عليه السلام- في الإسلام، وهل هو إنسان أم إله؟! فيتحدث عن ذلك قائلاً: "لقد وصفني كل من عرفني برجاحة العقل والفكر، فهل أظل على حيرتي في هذه الأساسيات الثلاث التي لم أجد لها وضوحًا في النصرانية؟! (٢). إضافةً إلى أمر رابع، وهو دعوة المساواة بين الناس.

(١) - راجع كتاب (عظماء أسلموا) للدكتور راجب السرجاني. الشمس: كلمة سرانية تعني خدام الكنسية، ومرتبته دون القسيس. انظر: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، باب الثنين، مادة (شمس)، ص٤٩٤. محمد عبد العظيم علي: سر إسلام رواد الفكر الحر في أوربا وعلماء الدين المسيحي الأجلء ص١٣٩، ١٤٠، ١٤٦، ١٤٧.

لقد وجد كبير الأساقفة ما يبحث عنه في الإسلام؛ ففي الوجدانية والألوهية وجد بيانًا شافيًا في قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ١-٤].

إضافةً إلى العديد من الآيات القرآنية منها: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [البقرة: ١٦٣]، {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥].

أما النقطة الرابعة وهي دعوة المساواة بين الناس، فما تعيشه جنوب إفريقيا، وما يهز كيانا ويزلزل أركان دولتنا على مشهد ومسمع من العالم، لهو خير دليل على هدم تلك المساواة المزعومة، وما تعيشه البلاد أفضل ردّ على ذلك.

إسهامات فريدريك دولا مارك : دعا (دولا مارك) إلى الاهتمام بقارة إفريقيا، تلك القارة العذراء التي تشتاق إلى الإسلام كثيرًا، ويرى أن مستقبل الإسلام فيها لتلك الأسباب ولغيرها: أولاً: لأن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله للبشر.

ثانياً: توافقه وانسجامه مع الفطرة. ثالثاً: منطقته الواضح في أحص القضايا الاعتقادية (١) .

٢٢ - إبراهيم نياس نواجي نيوجي .. المنصر النيجيري

وُلِدَ إبراهيم نياس نواجي - نيوجي Ibrahim Niass Nwage في شرق نيجيريا، تربى وترعرع على نصرانيته، التي تُحطّط وترتّب للقضاء على الإسلام في تلك القارة، على الرغم مما تناقله أصحاب الرأي والعلم والمنطق عن مستقبل الإسلام في إفريقيا؛ حيث إن سرعة اعتناق الإسلام في إفريقيا يفوق كل تصوّر ، أعدّ ليكون أحد دعاة التنصير، مُنح كل عناية وتعليم، أصبح إبراهيم نياس نواجي - نيوجي مُنصّرًا يُشرف على كنيسة في شرق إفريقيا، هذه الكنيسة قام بجمع الأموال والتبرّعات لبنائها من سكان تلك القرية النصرانيّة، أصبحت الكنيسة مركزًا مهمًا للدعوة النصرانية ومزاولة طقوسها وعباداتها، أصبح مدعومًا من كل الهيئات والمؤسسات الكنسية، قام بتنفيذ كل ما يُوكل إليه، تحوّلت تلك القرية على يديه إلى نصرانية كاملة، وبدأت نشاطاته تتجاوز القرية إلى ما حولها.

قام إبراهيم نياس نواجي - نيوجي بتنفيذ واجبه على أكمل ما يكون، فتحوّلت تلك القرية على يديه إلى النصرانية، وبدأت نشاطاته تتجاوز القرية إلى ما حولها ، لكن شاء الله وأسلم نياس (اقرأ قصة اسلامه في كتاب عظماء أسلموا أو موقع قصة الإسلام)

إسهامات إبراهيم نياس نواجي نيوجي : بدأ إبراهيم نياس نواجي - نيوجي في الدعوة إلى دين الله، فبدأ بالذين تَنصَّرُوا على يديه قبل ذلك، فهاله الاندفاع الشديد من الأفارقة إلى الإسلام، وتحوّل كل الذين تَنصَّرُوا على يديه إلى مسلمين، وأسلم أضعافهم.

(١) - المصدر: كتاب (عظماء أسلموا) للدكتور راغب السرجاني.

كان عدد الذين يسكنون قريته وأسلموا على يديه ستة آلاف شخص، وأصبحت القرية بأكملها مسلمة، بعد ذلك فكر في إنشاء مسجد للدعوة الإسلامية، التفتّ حوله فلم يجد إلا الكنيسة التي هجرها سكان القرية بعد إسلامهم، حاول أن يُحوّل الكنيسة إلى مسجد، لكنه هوجم بمعارضة قوية، وهاجمته الصحف النصرانية، وتدخلت الحكومة وأوقفته عن العمل وقدمته للمحاكمة، لكنه دافع عن نفسه قائلاً: "إنه قام ببنائها من ماله ومن أموال أهل القرية الذين أسلموا؛ فهي ملكهم الخاص، ومن حُرّ ما لهم، والكنيسة لم يُعدّ لوجودها قيمة في قرية جميع أهلها قد أسلموا"، لم يستطع القاضي أن يُوجّه إليه تهمة، ولكنه حكم عليه بغرامة مالية، كان سببها هدم الكنيسة دون إذن من البلدية، وبعد أن خرج من السجن جمع التبرعات، وبنى المسجد الذي ظلّ يحلم ببنائه.

بعد ذلك فكر إبراهيم نياس في إنشاء مركز إسلامي بجانب المسجد؛ فقام بجولة لجمع التبرعات، ووضع حجر الأساس لمستشفى يخدم المسلمين، وبلغ عدد المسلمين الذين أسلموا على يديه نحو مائة وخمسين ألفاً، كلهم من قبيلة (الإيو) تلك القبيلة النصرانية(٥).

تحركت القوى المعادية للإسلام لوقف نشاط هذا الداعية الإسلامي، تحركت الصهيونية العالمية تؤازرها الصليبية العالمية لإيقاف هذا الرجل، أرسلت السفارة الصهيونية في نيجيريا رجالاً إفريقيًا يُظهرون أنه مسلم، ولما علم أن هذا الداعية محتاج للأموال قال له: "إن السفارة الإسرائيلية على استعداد لمنحك خمسة وخمسين ألف دولار أمريكي شريطة أن تصبح قاديانيًا"، لكن إبراهيم نياس رفض هذا العرض قائلاً: "إن معي ربي سيغني عنك وعن هذه الصفقة"، ثم تحركت القوى لتحطيم اتحاد نيجيريا ذاته؛ لقد انفصلت نيجيريا الشرقية عن الاتحاد معلنة اسمها الجديد (بيافرا)، فكان ذلك خطّة مستمرّة لتفتيت القارات إلى دويلات ضعيفة بلا جيوش وبلا اقتصاد؛ مما يُساعد على ابتلاعها وذوبانها وتنصيرها.

انفصلت نيجيريا الشرقية، قامت الحرب لتُهلِكَ المسلمين في الدفاع عن (بيافرا) الدولة الجديدة، وعندما رفض المسلمون الدخول في الحرب، وعلى رأسهم إبراهيم نياس نواجي - نيوجي، أصدرت حكومة بيافرا العسكرية أمرًا بمصادرة أملاكهم جميعاً، وفي مقدمتها المسجد والمركز الإسلامي، وبدأت عمليات الإبادة للمسلمين، كما قال تعالى: {أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: ٢، ٣]، فلعلّ المسلمين يستفيدون من دروس التاريخ وما حدث بنيجيريا؛ حتى لا يحدث ذلك في مكان آخر (١).

٢٣- هانز كونج السويسري .. أحد أكبر علماء اللاهوت الكاثوليكي

أكبر علماء اللاهوت الكاثوليكي، وأحد رواد البحث عن الحقيقة فهو ينشد الحق أينما كان، وبعد دراسات مضمّنة ومقارنات دقيقة في العقائد، متحرّياً الدقة الكاملة بعقلية يقظة وفكر يتوهّج وذكاء متوقد، ليصبح في عام ١٩٨٦ م مديراً لمعهد الأبحاث المسكوفية في (توبنجن) بألمانيا. بعد الدراسات التي أجراها،

(١) - المصادر: كتاب (عظماء أسلموا) للدكتور راغب السرجاني و موقع التوضيح و محمد عبد العظيم علي: سر إسلام رواد الفكر الحر في أوربا وعلماء الدين المسيحي الأجلاء، ص ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣ .

والبحوث التي أعدها، والمقارنات التي فَرَّقَ خلالها بين حق جليّ وباطل خفيّ، توصَّل إلى أن الإسلام هو دين سماوي حقيقي، وأن محمدًا رسول الله قد تلقى وحي الله، وبلغه كما أمره الله، ولم يجد أشهر علماء اللاهوت في ألمانيا بُدًا من إعلان الحقائق التي توصل إليها، فالحقيقة يتحتم إظهارها؛ إنصافًا للحق.

لقد شَجَرَ خلاف عنيف، وبدأ صراع بين حقٍّ يريد أن يعلنه أكبر علماء اللاهوت الدكتور هانز كونج، وبين رجال الأصولية الكاثوليكية الذين فوجئوا بعالم له مكانته العلمية الهائلة يدعو إلى الإسلام، ويصدِّق برسول الله ويؤمن به. ثم وصل الخلاف منتهاه مع بابا الفاتيكان بعد أن نشر كتابه الخطير المفصح عن الحقائق بأدلة وبراهين لا تقبل الشك، ذلك الكتاب هو (المسيحية والأديان الأخرى).

لقد كان من المثير حُفًّا تأكيد (هانز كونج) تسليماً وبقيناً جازماً بأن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو رسول حقيقي بمعنى الكلمة، وأن القول بغير ذلك زعم كاذب، ووهم باطل يفتقر للبرهان.

استطاع هانز كونج الدفاع عن الإسلام ومواجهة أفكار الكنيسة، وأن الكنيسة لا يمكنها أن تستمر بعد ذلك في إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه رسول الله تلقى وحي السماء، وهو رسول حقيقي بكل معاني الكلمة، لقد استطاع هانز كونج أن يُقيم الحجج الدامغة والبراهين الساطعة التي لا يتطرق إليها أدنى شك على تفنيد حجج خصومه الواهية عن دين الإسلام ونبى الإسلام، بل إنه -جنا في الإسلام واستمسًا بمبادئه- طلب من خصومه الساخطين عليه في الكنيسة الكاثوليكية أن يحاولوا فهم الإسلام، وأن يراعوا ضمائرهم، ويؤدوا واجبهم ولو لمرة واحدة في حياتهم تجاه هذه الديانة العالمية التي طال تجاهلها. ويبدو أن القساوسة الكاثوليك قد استجابوا لهذه الدعوة بدراسة القرآن وفهم مبادئ الإسلام وعقائده، فلما تبين لهم أنه الحق اعتنق الإسلام اثنان من القساوسة تابعين (لأبرشية باريس) بعد اقتناعهما وتصديقهما بما جاء في القرآن، من أقوال هانز كونج: "محمد نبي حقيقي بمعنى الكلمة، ولا يمكننا بعد إنكار أن محمدًا هو المرشد القائد على طريق النجاة"^(١).

٢٤ - رحمة بورنومو .. القس الإندونيسي

rahmat Purnomo القس الإندونيسي الذي سأله أحد معلمي القرآن سؤالاً كان سبباً في بداية اتجاهه إلى الإسلام وبداية شكوكه .. !! رحمة بورنومو (rahmat Purnomo) هو المسئول عن التنصير في كنيسة (بيتل إنجيل سبينوا) بإندونيسيا، وهو قسًا مشهورًا يتمتّع بالرفاهية والرخاء والتبجيل والاحترام، كان والده قسًا نصرانيًا على مذهب (بانتي كوستا)، وهو من المذاهب النصرانية المعروفة في تلك المنطقة، وكان جدُّه قسيسًا على مذهب البروتستانت، وكانت أمه (معلمة إنجيل للنساء) فهذا الرجل من أسرة نصرانية لها دورٌ كبير في نشر النصرانية بين الناس وتعليمهم إيّاها.

(١) - للمصادر: كتاب (عظماء أسلموا) للدكتور راجب السرجاني، ومفيد الغندور: الإسلام يصطفي من الغرب العظماء ص ١٧٠، ١٧١ و شوقي أبو خليل: الإسلام نهر يبحث عن مجرى، ص ١٥.

قصة إسلام رحمة بورنومو : بدأت قصته مع الإسلام عندما أرسلته الكنيسة إلى منطقة (دايري) للقيام بأعمال تنصيرية، وخلال قيامه بأعماله جاء إليه أحد معلّمي القرآن، وسأله سؤالاً غريباً كان سبباً في بداية اتجاهه إلى الإسلام .!

سأله قائلاً: إن كان عيسى المسيح إلهًا، فأين دليلك على ألوهيته؟! فردّ رحمة بورنومو على معلّم القرآن قائلاً: "سواء أكان هناك دليل أم لا، فالأمر لا يهْمُك، إن شئت فلتؤمن وإن شئت فلتكفر!"، ولكن هذا السؤال أثار كثيرًا في رحمة بورنومو، فأخذ يفكر فيه ويبحث عن إجابة لهذا السؤال في الإنجيل، فوجد اختلافًا كبيرًا بين الأناجيل؛ فإنجيل متى يقول: إن عيسى من بني البشر وإنجيل آخر يقول: إنه إله. وغيره يقول: إنه ابن الإله. فدبّ ذلك الأمر في نفسه الكثير من الشكوك(١).

ومن الأمور التي زلزلت النصرانية في داخله أيضًا، القول بأن ذنوب بني البشر لا تغفر لهم حتى يصلب عيسى عليه السلام؛ ففكر في هذه النقطة وقال: هل هذا صحيح؟ فكان الجواب: لا ، قام رحمة بورنومو بجهود كثيرة ليضع يده على الحقيقة، فانتمى إلى المذهب البروتستانتي، فلم يجد فيه إجابة على ما يبحث عنه، واتجه إلى الكثير من المذاهب، واتجه -أيضًا- إلى البوذية، ولكنه لم يجد طريق الهداية في كل هذه الديانات. ومن ثمّ قرر في النهاية الاتجاه لدراسة الإسلام على الرغم من كراهيته له وحقده عليه؛ بسبب الشبهات التي كانت تثار حوله .

وكان رحمة بورنومو قد وصل إلى حالة من الضياع فخلا بنفسه في غرفته، واتجه إلى الله قائلاً: "يا ربّ، إذا كنت موجودًا حقًا فخذُ بناصيتي إلى الهدى والنور، واهدني إلى دينك الحق الذي ارتضيته للناس" ، وفي يوم من الأيام رأى رؤيا، يتحدث عنها قائلاً: "رأيت العالم حولي في ظلام دامس، ولم يكن بوسعي أن أرى شيئًا، وإذا بشخصٍ يظهر أمامي، فأمعنتُ النظر فيه فإذا بنور حبيب يشع منه، يبدد الظلمة من حولي، تقدم الرجل المبارك نحوي فرأيتُه يلبس ثوبًا أبيض وعمامة بيضاء، له لحية جعدة الشعر، ووجه باسم لم أر قطُّ مثله جمالًا وإشراقًا، لقد خاطبني بصوت حبيب قائلاً: رَدَدَ الشهادتين وما كنت حينئذٍ أعلم شيئًا عن الشهادتين! فقال: قل: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله. فكررتهما وراءه ثلاث مرات، ثم انصرف عني".

بعد ذلك قام بورنومو بسؤال أحد المسلمين عن الشهادتين، وعن الرجل الذي رآه في المنام، فقال له: إنه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. فكان ذلك الأمر بمنزلة تحوُّل جذري في حياة بورنومو، حيث قام بإعلان اعتناقه الإسلام (١) .

٢٥ - بلال فيلبس والآن هو من علماء المسلمين الراضخين .

وُلِدَ بلال فيلبس عام ١٩٤٧م في جامايكا، ونشأ في كندا التي يحمل جنسيتها، وفي الخامسة والعشرين من عمره أعلن بلال إسلامه، وذلك في عام ١٩٧٢م.

(١) - المصادر: كتاب (عظماء أسلموا) للدكتور راجب السرجاني ، محمد عبد العظيم علي: سر إسلام رواد الفكر الحر في أوربا وعلماء الدين المسيحي الأجلة ص ١٦١-١٦٣. (٢) المصدر السابق ص ١٦٣.

يعود السبب الرئيسي لإسلام بلال فيليبس بعد إرادة الله إلى حُبِّه للاطلاع، ونهمه الشديد للقراءة؛ حيث قرأ بلال كل ما هو متاح من كتب عن الإسلام باللغة الإنجليزية، واقتنع أنه هو العلاج الناجع لكل مشاكل البشرية، ومن ثمَّ اتخذ هذا القرار، الذي يُعَدُّ أهم قرار في حياته.

إسهامات بلال فيليبس : عمل بلال فيليبس على نقل ما تعلمه من علوم الشرع واللغة إلى غيره من الناس؛ كما قام بإلقاء محاضرات عن أصول الدين الإسلامي لطلبة M.Ed في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة Shariff Kabunsuan Islamic University في مدينة (مينداناو) بالفلبين مدة ثلاث سنوات، وفي عام ١٩٩٤م أنشأ الدكتور بلال مركز المعلومات الإسلامية في دبي بالإمارات العربية المتحدة، والمعروف الآن بمركز Discover Islam، وله كتابات كثيرة جدا في العقيدة الإسلامية والفقهاء الإسلامي إقرأ قصته في موقع قصة الإسلام الموقع الشخصي للداعية بلال فيليبس: <http://www.bilalphilips.com>

٢٦ - ملقاه .. القس الإثيوبي

وُلد القس الإثيوبي ملقاه لأبٍ يهودي وأمٍّ نصرانية في إحدى قرى إثيوبيا، ودرس في صباه المبكر التوراة والإنجيل، واختار أن يصير نصرانياً كأُمَّه، ولم يكن اختياره نابغاً عن قناعة بالديانة النصرانية، ولكن للأفضلية التي يحظى بها أتباع هذه العقيدة في بلاده التي تُعَدُّ أحد معازل النصرانية في إفريقيا... أمَّا فكرته عن الدين الإسلامي، فكان يتصور أنه دين المتخلفين بسبب الافتراءات والأكاذيب التي كانت تُشاع عن الإسلام والمسلمين؛ ومن ثمَّ كَبُرَ ملقاه على بُغض الإسلام، وبحث عن مهنة تليق بمستوى أسرته الاجتماعي، وتُتيح له أن يجيا حياته في رغد من العيش، فلم يجد أفضل من السلك الكنسي؛ حيث سيحظى بالاحترام والمنصب الكبير، وقد ساعده على الالتحاق بالعمل في الكنيسة حفظه التوراة، وصار ملقاه قسًا يُشار إليه، وكانوا يُنادونه: (أبانا).

اقرأ قصة إسلام القس الإثيوبي ملقاه في موقع قصة الإسلام لقد كان مطلعًا على البشارات العديدة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لذا أشهر إسلامه عن اقتناع تامٍّ، وبعد ذلك أسلمت زوجته، وكذلك أطفاله الثلاثة، وغيَّر اسمه إلى (محمد سعيد).

ولكن لم يكن نبأ إسلام محمد سعيد سائرًا للكنيسة؛ فقامت بحرمانه من الامتيازات التي كان ينعم بها، ولم تكتفِ بذلك بل سعت حتى أدخلته السجن؛ ليلقى صنوفًا وألوانًا من التعذيب في محاولة لردِّه عن إيمانه؛ ليكون عبرة وعظة لكلِّ مَنْ يُفَكِّر في ترك النصرانية، وتحمَّل محمد سعيد كل ذلك ولم يتزحزح عن إيمانه، وعندما فشلت الكنيسة في ردِّه عن الإسلام، اضطرت إلى تركه؛ لكي لا يتحوَّل إلى رمزٍ وقدوة تُثير الطريق لكثير من رعايا الكنيسة إلى درب دين الحقِّ.

إسهامات محمد سعيد ملقاه : أصبح داعية للإسلام بعدما كان قسًا يدعو إلى النصرانية، وجعله الله سببًا في هداية نحو ٢٨٠ شخصًا، اعتنقوا الإسلام على يديه، واستفاد محمد سعيد من دراسته العميقة للتوراة والإنجيل في استكشاف الكثير من أوجه الإعجاز القرآني، وأنه بحكم عمله السابق كقسٍّ يُدرك الأساليب غير

السوية، التي يلجأ إليها المنصرون من أجل جذب الفقراء والمحتاجين إلى الديانة النصرانية؛ حيث يستغلون فقر الناس وعوزهم بالتظاهر بمواساتهم مادياً ومعنوياً، والاهتمام بهم صحياً وتعليمياً في محاولة لاكتساب وُدِّهم ومحبتهم، ومن ثمَّ السيطرة على عقولهم وإقناعهم بأن في النصرانية خلاصهم من عذاب الآخرة وفقر الدنيا.

وعن أسلوبه في الدعوة يقول: "أعتمد على معرفة عقيدة مَنْ أدعوه من غير المسلمين؛ ومن ثمَّ مناقشته في عقيدته وإظهار بطلانها ومخالفتها للفطرة والعقل، ثم بعد ذلك أقوم بشرح ما في الإسلام من نواحٍ خيرةٍ عديدة، مبيناً أنه الدين الحقُّ الذي اختاره الله للبشرية منذ بدء الخليقة؛ فالإسلام يعني التسليم لله بالربوبية والطاعة، والانقياد لأوامره عز وجل، واجتناب نواهيه".

وعن أمنية محمد سعيد يقول: "أمنيته الخاصة أن أتمكّن من هداية والدي ووالدي إلى دين الحقِّ... أما أمنيته العامّة فهي أن أستطيع أن أكون أحد فرسان الدعوة الإسلامية، وأن يُؤفّقني الله لما فيه خير أُمَّة الإسلام، وأن ينصرها ويُعلي شأن دينه" (١)

البشارة بالنبي الخاتم في كتب الهندوس والمجوس والبوذيين والصابئة

لم يأت نبي إلا أخبر قومه بالنبي المنتظر الخاتم، ولم تخل أمة من نذير وبشير يخبرها بحق الله عليها وما فيه صلاحها، لكن كتب الأقدمين أصابها خرم كبير وتغيرات، وبقي فيها من الخير القديم أثرات ورشحات، تبين لباحثي ومختصي اللغات وجود إسم أحمد ومحمد فيها بصفات التي كان عليها بمكة وصفات أصحابه وعبادتهم وإخلاصهم وجهادهم والكلام حول ذلك طويل وعريض الذيل خصوصاً في كتب الهندوس وقد تناوله الكثير من الهندوس وغيرهم باللغات الأجنبية والهندية والبنغالية والفارسية وترجم للعربية بعضه ومن أهم من تناول تلك المواضيع عبد الحق فديارتي وي. علي في كتاب: "محمد في الأسفار المقدسة الفارسية والهندية والبوذية" المرجع الأساسي لهذا البحث.

هذا بعض مما في كتب الهندوس: كتب العديد من علمائنا في موضوع البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم في كتب الهندوس وفصلوا الحديث فيها من خلال الرجوع إلى المصادر الأصلية ودراستها في ضوء قواعد اللغات القديمة والحقائق التاريخية والمعتقدات الدينية للهندوس، والأمر يحتاج إلى مؤلف مستقل للحديث عن هذا الأمر بالتفصيل والرد على اعتراضات الهندوس، ولكن في هذا المقام سنكتفي بذكر بضع بشارات في كتبهم لا تحتاج إلى كثير شرح لوضوحها، وما تركنا أكثر مما ذكر:

١- ذكر عبد الحق فديارتي في كتابه "محمد في الأسفار العالمية" أن اسم الرسول العربي "أحمد" مكتوب بلفظه العربي في "السامافيدا" من كتب البراهمة، وقد ورد في الفقرة السادسة والفقرة الثامنة من الجزء الثاني ونصها أن "أحمد تلقى الشريعة من ربه وهي مملوءة بالحكمة وقد قبست منه النور كما يقبس من الشمس" مذكر النص بالسنسكريتية .

(١) - المصادر: كتاب (عظماء أسلموا) للدكتور راغب السرجاني. ومجلة الفيصل، عدد إبريل ١٩٩٢م. محمد كامل عبد الصمد: الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء ١٥٥/١ و ١٥٦ و ١٥٧

ورد فديارتي على المفسرين البرهيين، فنقل عن أحدهم "سينا أشاريا" أنه وقف عند كلمة "أحمد" فالتمس لها معنى هندي وركب منها ثلاثة مقاطع وهي "اهم" و"آت" و"هي" .. وقد حاول أن يجعلها تفيد "إنني وحدي تلقيت الحكمة من أبي" ليكون الحديث منسوباً إلى البرهمي "فاتزا كانفا" من أسرة كنفاء، ولكن كما يؤكد ذلك فديارتي، لا يصدق هذا القول على فاتزا لأنه ليس وحده من تلقى الحكمة من أبيه.

وقال البروفسور أشيت كومار بندهو بدهايايا المدير السابق لأكاديمية اللغة السنسكريتية (١) إن الترجمة الصحيحة لهذا النص هي "أحمدي (أي أحمد) تلقى سفراً إلهياً"، وأضاف أن أهمية هذه البشارة تظهر في أنها تكررت أربع مرات في كتب الفيديا: ((في سام فيدا مقطع إندرا، الفصل ٣، منترا ١٥٢ - سام فيدا أوترشيك، منترا ١٥٠٠ - ريج فيدا ٨ : ٦ : ١٠ - آثارفا فيدا ٢٠ : ٩ : ١٩، منترا ١)) ، وقد ترجم هذا النص أكثر من ترجمة، كترجمة رامش دوتا وترجمة بريتوش ذكور وهما ترجمتان غير متطابقتان، واختار سري بيجان بيهاري جوسوامي عند ترجمته للآثارفا فيدا ألا يترجم هذا العدد ويتركه كما هو مما يدل على أن معناه غير ما زعم سينا أشاريا وأن وراءه سرا عظيماً.

وأثبت البروفسور أشيت أن "الأحمد" في هذا النص هو نبي الإسلام ومما استدل به لإثبات هذا الأمر: المتحدث في هذا النص هو "كمبا" (ربما يقصد "كانفا" الذي ذكره الباحث فديارتي) ، وهو من الشخصيات الدينية في الديانة الهندوسية، ومن المعلوم وجود عدد كبير من الشخصيات الدينية التي بلغت مقاما كالذي بلغه "كمبا"، وبالتالي فتخصيص الحديث هنا عن "كمبا" بالذات لا حجة تعضده. إذ لا يمكن القول إن جميع الشخصيات الدينية الهندوسية الأخرى قد حرمت هذه العطية من "إندرا" ولم يؤتمها إلا "كمبا".

كما أن كلمة "أحمدي" اسم علم ، وليست وصف في السنسكريتية.

٢ - نقل الباحث قيس الكلبي في كتابه "محمد خاتم الرسل في التوراة والإنجيل" (الترجمة العربية، ٨٩) هذه النبوءة من كتاب (جيراز بهوي) "محمد رحمة لكل الأمم" عن سفر آثارفا فيدا، كندا ٢٠، سوكنيا ١٢٧، مانثرا ١ - ٢ :

" استمعوا أيها الناس بكل شغف، الرجل صاحب الحمد (أي محمد) الذي يبعث بين الناس، سنحير هذا المهاجر (لنحميه) من ستين ألفاً وتسعين عدواً محمولين على عشرين جمال هذه الأجمال التي تضرب لكل شرف حتى تتصل إلى السماء. هو يعطي إلى مانه رشي مئة ذهبية نقدية وعشر حلقات وثلاثمائة جواد عربي وعشرة آلاف بقرة. "

٣ - هنالك كتاب قيم في هذا الباب باللغة الإنجليزية عنوانه Muhammed in the Vedas and the Puranas = "محمد في كتب الفيديا والبورانا" وهو من تأليف "الدكتور فيد براكاش أوبادهايايا" ، وقد ترجمه البروفسور (أشيت كومار) من اللغة الهندية إلى اللغة البنغالية، ثم نقله الدكتور "غوري بهاتشاريا" إلى الإنجليزية، والكتاب هو في الأصل: ثلاثة كتب للدكتور "فيد براكاش" وكتاب رابع من تأليف الدكتور

^١ - في بحثه تحت عنوان "محمد في كتب الفيديا والمهبرانا" ص ١١٩ - ١٢٠ (ضمن كتاب "محمد في كتب الفيديا والبورانا")

أشيت كومار" وملحق وخاتمة كتبهما مترجم الكتاب إلى اللغة الإنجليزية، وهذه الكتابات مضمنة في الترجمة الإنجليزية دون حذف، وتتكون هذه الطبعة من ١٦٧ صفحة دسمة، نشر. (N.S.Noordeen) الكتاب دراسة صارمة في النصوص وتتبع النبوءات المتفرقة في الكتب الهندوسية المقدسة الكثيرة الصفحات وكذلك الكتب البوذية والنصرانية.

أثبت المؤلف في الفصل الأول أن كلمة "نارشنغزا" - وهي اسم المبشر به في الكتب الهندوسية - تعني "محمد" إذ هي كما يقول تتكون من جزئين "نار" أي "رجل، إنسان" و "أشنغزا" أي "محمد، محمود". وأثبت أن هذا اللفظ لا يمكن أن يطلق على غير إنسان: ملك، روح.. وقد جاء التمجيد لك "نارشنغزا" في كثير من كتب الفيدا: وجاء وصف "نارشنغزا" في آثر فيدا ٢٠: ١٢٧: ٢ بأنه سيكون راكبا للجمل، مع العلم أن الجمل ما كان هو المركوب في الكثير من الأحيان في الأزمان الغابرة بل لم يتم تدجينه إلا قبل بضع قرون من ميلاد المسيح عليه السلام كما أنه مركوب البلاد الصحراوية، والهند ليست بلادا صحراوية .

تحدث الكاتب عن صفات هذا ال "نارشنغزا" كما جاءت في "الفيدا" فهو: "المحجوب" وحب محمد ﷺ متمكن في قلوب مئات الملايين من البشر ، و "صاحب الكلام الحلو" ومحمد ﷺ هو من أوتي "جوامع الكلم"، ومعجزته الأولى كتاب أبرز ما فيه بلاغته التي بلغت الذروة ، وهو "كافي": صاحب صلة خاصة بالله، أي: رسوله ، وهو "شارشي" أي صاحب الشخصية الجذابة.. وهل انجذبت البرية لرجل انجذابا لعظمة محمد صلى الله عليه وسلم؟! ، وهو "براتا- دهاما- نجن" أي الذي يضيء كل بيت. والسياق يدل على أن المعنى هو: الذي ينشر المعرفة في كل بيت. وتلك هي وظيفة الأنبياء.

وجاء في ريج فيدا ١: ١٠٦: ٤ أن "نارشنغزا" سوف يصد الناس عن الذنوب، أي أنه صاحب شريعة صالحة مصلحة ، وهو في آثر فيدا صاحب ١٢ زوجة، وكذلك كان محمد صلى الله عليه وسلم ، - يعطيه الله ١٠٠٠٠ بقرة (وهذا معنى رمزي يقصد به ١٠٠٠٠ رجل صالح، وقد تم فتح مكة وإقامة صرح دولة الإسلام على يد هذا العدد من صحابة محمد صلى الله عليه وسلم) .

٤- وتحت عنوان "معنى أفاتار" بين فيد باركاش أن معنى "أفاتار" من الناحية الحرفية هو "الإتيان إلى العالم"، أما من ناحية المعنى فالأفاتار في الكتب الهندوسية هو النبي في الكتب المقدسة الأخرى ، والأفاتار إذن هو "صاحب صلة خاصة بالله"، ويسأل المؤلف من هو الشخص الذي يحمل صلة خاصة بالله؟ ويجب بعد ذلك بأن أولهم من جاءت تسميته في ريج فيدا ٢: ١٢: ٦ بأنه "كيري". وهذه الكلمة كما يقول فيد بكراش تعني "أحمد" - وقد سبق للمؤلف أن أشار إلى أن الشخصية المقدسة قد تذكر الشخصية بأكثر من اسم، وقدم عدة أمثلة على ذلك-.

تحدث فيد عن الظروف التي يظهر فيها ال "أفاتار" (بصيغة الجمع) وهي ١٢ خلاصتها: عند ما يظهر الفساد في الأرض ويعم ويظم، وتندرس كثير من آثار الوحي السابق، وتظهر تعاليم باطلة تنسب زورا إلى

الوحي الحق، ويصبح الدين مغنما، وتغدو البدعة دينا... في هذه الظروف يظهر ال "أفاتار" لحماية الصالحين والضعفاء وإعادة الحق إلى نصابه.

الظروف التي يظهر فيها الأفاتار الأخير هي في ١١ نقطة خلاصتها سيادة أحكام الجاهلية العمياء في الأرض من طرود الشرك، وعبادة الأحجار التي تعطى أسماء الآلهة، وسيادة النفاق، وواد البنات وعدم التزام أحكام الفيديا.

أهم خصائص الأفاتار الأخير:

- يقود جوادا مميذا خاصا صاحب سرعة معجزة: والبراق هو الدابة التي أسرت بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى ثم إلى السماء السابعة وعادت به بعد ذلك إلى الأرض بسرعة خارقة.

سيكون متسلطا بالسيوف على أعدائه، وهذا الأمر ينطبق على محمد صلى الله عليه وسلم القاتل " وجعل رزقي تحت ظل رمحي " (البخاري، أحمد..). وأشار المؤلف إلى أن عبارة " سيف " تدل على أن الأفاتار قد جاء قبل أيامنا هذه، لأن السلاح في زماننا هو القنابل والصواريخ لا السيوف!

سيكون له أربعة إخوة معينين له، ومحمد صلى الله عليه وسلم كان له أربعة إخوة في الله من أخص خاصته نشروا الإسلام في الآفاق وهم: الصديق وعمر وعثمان وعلي رضوان الله

عليهم جميعا، وقد جاء في كلكي بورانا ٢: ٥ أن الأفاتار الأخير يقول: " يا رب! بإعانة إخوتي الأربعة سأهدم الشيطان. ". وقد انحسأ الشيطان لما رأى إنجازات المسلمين على يد الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم.

ستعيه الملائكة في نشر الحق ومحاربة الكفر، وقد استفاض الحديث عن نزول الملائكة لنصرة محمد صلى الله عليه وسلم في الحرب والسلم.

سيكون الأفاتار الأخير جميلا جدا حتى أنه يصعب وصفه. وقد سبق بيان جمال النبي صلى الله عليه وسلم. يفهم من بهاغات بورانا ١٢: ٢: ٢٠ أن الأفاتار الأخير سيكون محتونا، ومعلوم تميز محمد صلى الله عليه وسلم وأمته من بعده بهذا الأمر عن كثير من الأمم.

رائحة الأفاتار الأخير زكية كما جاء في بهاغات بورانا ١٢: ٢: ٢٢، وقد ذكرنا هذه الخصلة النبوية من قبل. سيكون معلما لطائفة كبيرة من الناس، وسيجلب لهم الخير، وسيرة محمد صلى الله عليه وسلم تظهر أنه كام معلما لأمة عظيمة وأن الله قد هداها على يديه.

سيولد في اليوم الثاني عشر من النصف الأول من شهر مدهف كما يفهم من كلكي بورانا ٢: ٢٥، وقد ولد محمد صلى الله عليه وسلم في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول.

سيولد في مدينة " شمهال " كما هو مذكور في كلكي بورانا ٢: ٤ في بيت رئيس الكهنة ومعنى " شمهال " كما قرر ذلك النقاد المسلمون: " بيت سلام وأمن " - علما أنه لا يوجد مكان اسمه بالحرف " شمهال " -، وسيكون

اسم ابيه "فشنو يش" (بهاغات بورانا ١٢ : ٢ : ١٨) أي "عبد الله" واسم أمه "سوماتي" (كلكي بورانا ٢ : ٤ و ١١ : ٢) أي "لطيفة ومتأملة وآمنة (مذكر أو مؤنث)" ، ومحمد صلى الله عليه وسلم قد ولد في مكة المسماة بـ "دار الأمان" قريبا من الكعبة البيت الذي يقده المتدينون العرب، اسم أبيه "عبد الله" واسم أمه "آمنة".
جاء في كلكي بورانا أن كلكي أفاتار سيذهب إلى جبل ليتلقى المعرفة من "برشورام"، ثم سيذهب إلى الشمال ثم يرجع، وقد تلقى محمد صلى الله عليه وسلم الوحي في أحد جبال مكة، ثم هاجر شمالا إلى المدينة ثم عاد بعد ذلك إلى مكة ...

٥- أصرح بشارة في كتب الهندوس، وأكثرها إثارة، ما جاء في "أوبوناشيد ألو (أو الله) = Upanishad = Allo (وقد نقل فديارتي هذه البشارة في كتابه^١ ونقل صورتها باللغة السنسكريتية الأصلية وترجمتها الإنجليزية وهذه العربية منه) :

- ١- اسم الإله هو الله، هو واحد. مترا، فارونا ... هي صفاته، والله هو، حقيقة، فارونا الذي هو ملك العالم. يا أيها الأصدقاء، تأملوا وانظروا إلى الله على أنه إلهكم. هو فارونا وكالأصدقاء يصلح أعمال كل الناس.
- ٢- هو اندرا. إندرا البديع. الله هو الأكبر. الأفضل، الكامل القدوس.
- ٣- محمد، رسول الله، هو أعظم رسل الله، الله هو ألفا (أي الأول) ، الله هو أوميغا (أي الآخر) ، والله هو، حقيقة، رازق العالم بأكمله.
- ٤- لله الأعمال العظيمة. الله، حقيقة، خلق الشمس والقمر والنجوم.
- ٥- بعث الله الريتشي، وخلق الشمس، والقمر والنجوم. أرسل الله كل الريتشي وخلق السماوات.
- ٦- الله هو مظهر الأرض والفضاء، الله أكبر، ولا إله غيره، قل أيها العابد (أترافا ريتشي) " لا إله إلا الله".
- ٧- كان الله في البدء. هو رازق الطير والوحوش والحيوانات التي تعيش في البحر، والتي لا ترى بالعين، هو مزيل كل الشرور والمصائب.

محمد هو رسول الله، سيد الكائنات. إذن، قل الله واحد، لا إله غيره. "

لقد صرحت هذه البشارة بشهادة الإسلام بصورة مباشرة مذهلة، وحتى لا يرتاب المسلم في صدق الترجمة، نذكر أن ناجندرا ناث فاشو Vasu Nagendra Nath في الموسوعة الهندية = Vishwa Kosh =المجلد الثاني قد أشار إلى أن هذا الأوبانيشاد قد ذكر رسولية محمد (صلى الله عليه وسلم) مرتين".

اعتراضات هندوسية على هذه البشارة البديعة:

(١) - " محمد في الأسفار العالمية" م ١ ص ١٦٤ - ١٦٩ الطبعة الثالثة المراجعة ١٩٩٧ وراجع د. سامي عامري محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب المقدسة ص ٤١١ وما بعدها .

لا شك أن هذه البشارة الصريحة الفصيحة، قد أثارت الهندوس وحفزتهم للتشكيك في أصالتها لأنها تؤدي إلى نسف دينهم. ومن الذين شككوا في هذا النص الباحث الهندوسي ناجندرا ناث فاشو Nagendra Nath Vasu في الموسوعة الهندية = Vishwa Kosh = المجلد الثالث، وحثته أن العديد من الهندوس قد أسلموا لما قرؤوا هذا السفر، وأن مؤلفه لا بد أن يكون رجل دين هندوسي اعتنق الإسلام.

الرد: أهم الكتب المقدسة، عند الهندوس، بعد البورانا، هي الأوبانيشاد، Upanishad وهي سلسلة من الكتب المقدسة على درجة من الأهمية حتى أنها اعتبرت أسفاراً للحكمة الإلهية، ولذلك فإن العديد من النقاد الهندوس يعتبرون الأوبانيشاد أرفع بكثير من كتب الفيدا، وهذا الحكم موجود في الأوبانيشاد نفسها.

وتعتبر غاية الأوبانيشاد، الوصول إلى المعرفة الإلهية والاقتراب أكثر من الرب.

وزعت الأوبانيشاد على كتب الفيدا الأربعة. وتعتبر الكثير منها ملاحق لها، من ذلك أن "ألو أوبانيشد" هو أوبانيشاد الأثارفا فيدا. والفصل الأربعة من ياجر فيدا يعتبر الأوبانيشاد الخاص به ويسمى "إيش أوبانيشاد". ولا شك أن هذه القيمة العالية والأهمية الخاصة تمنع أي احتمال لأن يدس مسلم بشارة على هذه الصورة في الكتب المقدسة الهندوسية.

انتشرت الكتب الهندوسية زمن دخول الإسلام الهند بصورة تجعل من المحال تصور أن يتمكن مسلم من أن يدخل سفراً أجنبياً على أسفار القوم.

- كيف من الممكن تصور تخلي رجال الدين الهندوس عن جميع النسخ التي يمتلكونها، وقبولهم النسخة المحرفة التي جاء بها هذا الهندوسي الذي اختار الإسلام، بل وترجمة هذا النص المدسوس بأكثر من لغة وتوزيعه على إخوانهم في الدين!!!!؟.

يملك الهندوس نسخاً قديمة جداً لكتبهم المقدسة، وهم يراعونها رعاية خاصة، ويسبغون عليها القداسة، فكيف تسلت كلمة التوحيد الإسلامية إلى تلك النسخ القديمة جداً والمحمية بعيداً عن المسلمين.

كيف من الممكن تصور إدخال مسلم هذه البشرى إلى الكتب المقدسة عند الهندوس، ونحن نعلم أن الهندوس يرون أن مجرد لمس المسلم لهذه الكتب يعد جريمة كبرى في ذاتها!!

الكتب المقدسة التي يحتفظ بها رجال الدين الهندوس في بيوتهم، ويرعونها بكل احترام وتبجيل، تضم هذه البشارة، فكيف رضوا بهذا الأمر!

نشرت الكتب المقدسة الهندوسية باللغة الكجراتية ولغات أخرى مع النص الأصلي، وكان الناشرون هم رجال الدين الهندوسي، وما تم حذف هذا الأوبانيشاد المصرح بشهادة الإسلام. والصورة السابقة لهذا الأوبانيشاد منقولة من نسخة نشرها رجال الدين الهندوس.

جاء ذكر هذا الأوبانيشاد في قائمة الأوبانيشاد القديمة.

الراجا" رادها كانت باها دور" جامع" شابد كالبأ درام" ذكر في معجمه القديم جدا للغة السنسكريتية أن هذا الأوبانيشاد كان هو أوبانيشاد الأثارفا فيدا.

مؤلف" واشاسبتيا"، وهو معجم قديم جدا للغة السنسكريتية، أشار إلى هذا الأوبانيشاد في كتابه، قبل دخول المسلمين الهند.

وأخيرا نذكر أن الدكتور ز. حق قد أشار في كتابه" النبي محمد في الأسفار المقدسة الهندوسية Hindu Scriptures ==Prophet Muhammad in أن عددا غير قليل من رجال الدين الهنود، في أيامنا، يشعرون بالحرج الشديد مما جاء في كتبهم المقدسة من الإعلان ببعثة نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، ولذلك أصبحوا يعلنون رفضهم لأسفار البورانا ولكن الغالبية الساحقة من علمائهم يخالفونهم.

أما فديارتي، فقد أشار في مقدمة الطبعة الثانية من كتابه إلى أنه لما ناظر أحد رجال الدين الهندوس، وأثبت له أن" راكب الجمل" في الكتب الهندوسية، هو محمد صلى الله عليه وسلم، لم يجد هذا الهندوسي من مفر غير الزعم أن هذا النص محرف!!!!

بعض البشائر في كتب الصابئة

أهم الكتب المقدسة عند الصابئة هي: كتاب" كتره ربه": أي" الكتر العظيم"، ويقال له" سدرأ- آدم" أي صحف آدم، صدرت ترجمة عربية بإشراف الطائفة المندائية في العراق للكثرة ربه من اللغة المندائية مباشرة.

وقال عباس العقاد في كتابه" إبراهيم أبو الأنبياء" ص ١٠٨: " والمشهود عن الصابئة أنهم يوقرون الكعبة في مكة، ويعتقدون أنها من بناء هرمس، أو إدريس عليه السلام. "

فيما يتعلق بموضوع البشائر في كتب الصابئة، نذكر أولا أن هذه الكتب لا تزال في عداد الكتب المهجورة عند الباحثين المسلمين، ولم تعرف إلى اليوم دراسة جادة وعميقة تظهر حالها وتسبر أغوارها وتكشف أسرارها وتفيد في خدمة الدعوة الإسلامية. أما الملاحظة الثانية، فهي أن هذه الكتب قد تعرضت لتحريف شديد نتيجة قلة عناية القوم بتوثيق كتبهم وتفسيرها مما يجعلنا نعتقد سلفا أن البشارة بالنبي الخاتم قد عانت هي أيضا التحريف والإهمال في النقل.

والآن يكفي أن نقدم هذه البشائر السريعة

* جاء في" الكتره ربه" أن ملك العرب المسمى" سيهولدايو" أي تالي الأنبياء سيخرج في زمن ملك الفرس أزدرجر (وهو الذي خرج في زمنه محمد صلى الله عليه وسلم) !!

* جاء في سفر" الكتره ربه"، في الكتاب الثامن عشر أن العرب سوف يخلفون ملوك الفرس في التمكين في الأرض.

* جاء في ديوان " حران كويته " أن حكم العرب يمتد إلى ٤٠٠٠ سنة قبل المسيح الدجال وأن " اللبنة في الجدار ستنادي به " إشارة إلى مثل " الحجر الذي رفضه البنائون " والذي بينا سابقا أنه نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم. وتؤكد هذه البشارة الصابئة أن هذا " الحجر "، عربي. وصدقت!

* تعتبر كتب الصابئة المقدسة إسماعيل " أبا لجميع المسلمين ".

* جاء في كتاب " الكثره ربه ": " أيها المسلمون المؤمنون وأيها المؤمنون المسلمون لا تتراجعوا عن عهدكم الذي عاهدتم الله عليه. (١) "

البشارة في كتب البوذية

بسط الباحث فيد براكاش في كتابه: " محمد في كتب الفيدا والبورانانا "، في الفصل السادس الحديث عن بشارة الكتب البوذية بني الإسلام صلى الله عليه وسلم.. فقال إن معنى " بوذا ": " العاقل، اللبيب ". وقد بشر جوتاما بوذا (وهو أشهر بوذا) ب " أنتم بوذا " أي " العاقل الأخير " وقد جاء في وصفه في " إنجيل بوذا = " لكاروس ص ٢١٧ على لسان " جوتاما بوذا "، في حديثه إلى " ناندا " أفضل حواريه: " يا ناندا، أنا لست أول بوذا في هذه الدنيا، ولست آخرهم. في زمن ما سيظهر بوذا في هذا العالم، وهو سيعطي (الناس) تعاليم الحق والبر. سيكون سلوكه طاهرا ومقدسا. قلبه سيكون نقيًا. سيملك معرفة وحكمة. سيكون قائد كل الناس وهاديهم. سيعلم الحقيقة، كما علمت الحقيقة. سيعطي العالم طريقة حياة نقية وتامة. يا ناندا، سيكون اسمه " ميتريا! " .

تحدث الباحث فيد براكاش عن صفات البوذا وانطباقها على نبي الإسلام، بعد أن نقل عن " وارن " أن كلمة بوذا لا يمكن أن تطلق على إله وإنما هي تطلق على إنسان، فقال إن البوذا يكون:

من طبقة أرستقراطية وعائلة غنية، ومحمد كان من تلك الطبقة ومن تلك العائلة.

بوذا له أطفال، ومحمد كان له الولد من الذكر والأنثى.

لبوذا الزوجة والعائلة كما أنه قائد، ومحمد صلى الله عليه وسلم كان له الزوج والعائلة وكان قائد الأمة من جميع النواحي.

بوذا يعيش حياته الطبيعية كاملة، ومحمد صلى الله عليه وسلم عاشها كذلك.

بوذا كان يقوم بنفسه بأموره الخاصة، فلا يكلها إلى غيره، وكذلك كان محمد صلى الله عليه وسلم.

البوذا داعية ومعروف أنه داعية، ومحمد صلى الله عليه وسلم مشهور بهذا الأمر.

(١) - نقلنا البشارات في ديانة الصابئة عن كتاب هشام محمد طلبة محمد صلى الله عليه وسلم في الترجوم والتلمود والتوراة. و د . سامي عامري محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب المقدسة ص ٤٣٤ وما بعدها .

عندما ينعزل بوذا عن الناس، يرسل له الله الملائكة والجن، وقد أرسل الله إلى نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم جبريل الملك عند ما كان في غار حراء كما أرسل إليه الجن ليسمعوا منه القرآن كما هو ظاهر من سورة "الجن".

كل بوذا يذكر الناس بالبوذا السابق، ويحذر الناس من شرور الشيطان وأفعاله المدمرة، كذلك فعل محمد صلى الله عليه وسلم عند ما كشف خطط الشياطين لإفساد الناس، كما قام بذكر عيسى في أكثر من سورة قرآنية وحديث نبوي شريف وهو النبي (البوذا) السابق له.

سيكون أتباع بوذا صالحين، لن يتمكن الشيطان من إضلالهم، وقد كان صحابة محمد جيلا فريدا من الأصفياء الأتقياء، رضوان الله عليهم جميعا!

أهم صفات البوذا أنه ليس له معلم من بين البشر، وقد كان محمد صلى الله عليه السلام معلما من ربه، ولا يعلم له معلم من بين الناس.

ويقول U.Ali في كتاب "Hindu ,Buddhist Scriptures ==Muhammad in "

Parsi، محمد في الأسفار الفارسية والهندية والبوذية" - وهو يريد إثبات عدم انطباق صفات البوذا ميترايا على عيسى عليه السلام وانطباقها على محمد صلى الله عليه وسلم، وقد ادعى النصارى أن منتظر البوذيين هو "يسوع المخلص"؟! - إن من صفات "البوذا ميترايا" كما يظهر من إنجيل بوذا ص ٢١٤: البوذا ميترايا يموت موة طبيعية، ومحمد صلى الله عليه وسلم مات كذلك في حين أن المسيح مات مقتولا (على زعم النصارى). البوذا يموت ليلا، وقد مات محمد صلى الله عليه وسلم ليلا كما يظهر ذلك من حديث عائشة رضي الله عنها، في حين أن المسيح قد مات في النهار كما هو ظاهر من مرقس ١٥: ٢٥..

بوذا جميل المنظر، وقد ذكرنا عند الحديث عن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم في سفر نشيد الإنشاد جمال محمد صلى الله عليه وسلم. وقد صح عن البراء بن مالك الصحابي رضي الله عنه في صحيح البخاري: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها ... " - أما فيما يتعلق بالمسيح فقد جاء في كتاب Comprehensive commentary on the holy bible = تأليف و. جنكز ويوسف أ. وارن هامش ص ٤٥٧ أن " جستين الشهيد (!) وكلمنت الإسكندري وترتليان وآباء متقدمين آخرين استنتجوا أن مخلصنا كان قبيحا"!!!؟

عند موت "البوذا ميترايا" لا يكون هناك بوذا آخر.. والمسيح ليس آخر الأنبياء عند النصارى (هو عند النصارى إله ونبي!!؟) لأن الحواريين هم أيضا أنبياء عندهم!!
وتحدث فيديركاش عن "ميترايا بوذا"، فقال:

- تعني كلمة "ميترايا": "الرحيم" وقد ذكر هذا الأمر كاتب بوذي في جريدة "القائد" ص ٧، العمود ٣، عدد ١٦ أكتوبر ١٩٣٠ وهربرت بايتر في كتاب "طريق بوذا" ص ١٥ وجوزيف إدكتر في كتاب "البوذية الصينية"

ص ٢٤٠.. وجاء في سورة " الأنبياء " الآية ١٠٧ قول الله سبحانه في وصف محمد صلى الله عليه وسلم: " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين".

" أنتيم بوذا ميترايا" سيحمل جميع صفات البوذا السابقة. وقد رأيت انطباقها على نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم.

ميترايا سيعقد اجتماعا تحت شجر، وقد عقد محمد صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان لنصرة الإسلام تحت شجرة وصلح الحديدية في مكان كثير الشجر.

يتميز بوذا بالمقارنة بغيره بأن عظام عنقه قوية وصلبة، ولذلك إذا أدار عنقه استدار بجميع بدنه، وقد علم من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، كما في حديث هند بن أبي هالة الطويل، أن محمدا صلى الله عليه وسلم: " إذا التفت التفت جميعا".

ويضيف ي. علي في كتابه السابق صفات أخرى: جاء في الكتب البوذية أن " ميترايا" صاحب كلام جميل عذب صاف يأسر القلوب، ومعلوم للعدو قبل الصديق عدوثة القرآن الكريم والحديث الشريف، فمن هو " ميترايا بوذا" غير محمد صلى الله عليه وسلم!!

البشائر في الأسفار المجوسية :

تضم الأسفار المجوسية قسمين هامين من الكتب الدينية: الأولى تعرف ب" دساتير" والثانية تعرف ب" أفستا" (ومعناها الأساس أو الأصل أو المتن أو السند) التي تعرف باللغة العربية ب" الأبتاق"، وتتكون كل منهما من جزئين " كردا دساتير" و" كلن دساتير" و" كردا أفستا" و" كلن أفستا".

هنالك تشابه كبير بين أصول الإسلام وأصول المجوسية ، في " دساتير" ص ٦٩: " هو واحد.. لا أحد نظير له" ... "ليس له مبتدأ ولا نهاية... ولا أب ولا أم ولا زوج ولا ولد". " يهب حياة ووجودا للكل". وجاء في دساتير ص ٦٦: " لم يوجد قبلك شيء ولن يبقى بعدك شيء". هو فوق كل ما من الممكن أن تتصوره". وجاء في " دساتير" ص ١٣: " عند ما يغادر المرء صاحب العمل الصالح بدنه، أرسله إلى الجنة". وجاء في دساتير ص ١٣: " أهل النار يمكثون فيها إلى الأبد. ويعذبون بكل من الحر الشديد والبرد الشديد"، جاءت في دساتير كثير من الأحكام الخاصة بحسن الخلق والزواج والعفة والوفاء بالوعد وتحريم الخمر وحلق شعر الوليد والتطهر والوضوء والتيمم و قبل كل " مقطع" في " دساتير" يوجد ما يشبه الاستعاذة وبسملة في القرآن.

بالإضافة إلى تشابهات أخرى حول معرفة النبي الصادق، وطريقة الوحي إليه، وعلاقته بالملائكة... وفيما يتعلق بالنار، فظاهر أنها ما كانت معبودة زمن زرادشت، وإنما إشعالها عند الزرادشتيين كان رمزا لإعطاء العهد على الالتزام بتتبع النور الإلهي المتمثل في الشريعة الإلهية كما هو ظاهر من قول زرادشت في كتاب " جاثا

إن القارئ للنصوص المقدسة للزرادشتية يرى أنها تتنبأ ببعثة نبي يصلح الأمر الذي أفسده الذين انحرفوا عن الدعوة الأولى، ومن هذه النبوءات:

ذكر م. إ. لكاث علي في مقاله: " نبوءة النبي الأخير، "أنه قد جاء ذكر نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم في كتب الزرادشتيين، في قولها أنه يظهر حكيم عظيم من بلاد رملية من الغرب وسيكون اسمه " أستفت إريتنا "أو" سوشينت Soeoshyant "ومكة الصحراوية الرملية تقع غرب فارس! وجاء في " بونداهش " ٣٠: ٦ - ٢٧ أن " سوشينت " هو خاتم النبيين

أثبت الباحثة عبد الحق فديارتي في كتابه " محمد في الأسفار العالمية المقدسة " ص ١٣٨ (الطبعة الثالثة المراجعة) أن كلمة " أستفت إريتنا " تعني " أحمد ". فقال أن كلمة " أستفت إريتنا " جذرها هو " أستو " وهو يعني في كل من اللغة السنسكريتية والزندية " حمد "، وبالتالي فمعنى الكلمة السابقة " أحمد "، وبين في نفس الصفحة السابقة أن كلمة " سوشينت " هي إسم المفعول المستقبلي future participle للفعل " سو " أو " ساف "، ويعني praiseworthy أي " محمد ". وأضاف أن هذا الفهم لم يتفرد به بل قاله أيضا مستشرق كبير غير مسلم، جاءت الإشارة في الهامش إلى موسوعة هاستنج، Hastings Encyclopedia مقال. = Saoshyant =

جاء في " أتاش نيايش " ٩ أن النار ستخمد ولن تضرم عند ما يأتي الزمان الذي سيقع فيه الإصلاح الكبير للعالم، حيث يعم الخبز. ولا شك أن نار الجوس لم تخمد إلا مع فتح المسلمين لبلاد فارس، ولا بد في هذا المقام من الإشارة إلى تمجيد هذا السفر الجوسي لإطفاء نار العبادة الجوسية!! فالدين الجديد، إذن، يخالف واقع الجوسية في آخر أيامها.

وجاء في " بونداهش ٣٠: ٤ - ٢٧، ٣٢: ٨، " باهمان ياشت ٣: ٦٢ "، أن هذا الإصلاح سيكون مع ظهور خاتم النبيين " سوشيانت "، والباحث " محمد عبد الغفار الهاشمي " يقدم لنا هذا البشارة من كتاب زرادشت باللغة الفارسية (١): " وتمسكوا بما جئتمكم به إلى أن يجيئكم صاحب الحمل الأحمر من بادية العرب ". ويعلق قائلا: " لا ريب أن هذه البشرى من زرادشت النبي الإيراني تدل على رجل يظهر في بادية العرب وهو محمد صلى الله عليه وسلم، وهو المعروف بصاحب الحمل الأحمر: " الناقة القصواء!! "

* جاء في كتاب الزند أفستا مثل يصور حال الإمبراطورية الفارسية والديانة الزردشتية كفروع شجرة مكونة من معادن مختلفة (مثل نبوءة دانيال، الفصل ٢). الفرع الأول من ذهب يمثل العصر الذهبي وهو تحت حكم الملك كشتاسب، Gushtasp الفروع الفضية والفولاذية ترمز لهرم (انحدار) الإمبراطورية. أما الفرع الحديدي فيرمز للكارثة الكبيرة التي ستصيب الإمبراطورية الفارسية وديانتها وبقية العالم، وانتصار الحق والفضيلة في آخر الزمان. أي أن الحق والفضيلة سينتصران على الإمبراطورية الفارسية ودينها، والعجيب، كما يقول

^١ - عن كتاب د. محمود بن الشريف الأديان في القرآن ص ٢٧١ ط ٤

الأستاذ هشام، أن أحد الكتب المقدسة عند الزرادشتين، تصف محطم الإمبراطورية الفارسية بالحق والفضيلة^(١)! وهل حطم إمبراطورية فارس غير محمد صلى الله عليه وسلم.

* قال العقاد في كتابه "مطلع النور" متحدثاً عما كتبه الأستاذ فديارتي في "محمد في الأسفار الدينية العالمية": "استخرج من كتاب زند افستا نبوءة عن رسول يوصف بأنه "رحمة للعالمين" سوشيانث "ويتصدى له عدو يسمى بالفارسية القديمة" أبا لهب"" أنجراميني" ويدعو إلى إله واحد لم يكن له كفؤاً أحد" هيج جيز باونمار" وليس له أول ولا آخر ولا ضريع ولا قريع ولا صاحب ولا أب ولا أم ولا صاحبة ولا ولد ولا ابن ولا مسكن ولا جسد ولا شكل ولا لون ولا رائحة"" جز آخاز وأنجام وانبار ودشمن ومانند ويار وبدر ومادر وزن وفرزند وحاي سوى وتن آسا وتناي ورنك وبوي است"، وهذه هي جملة الصفات التي يوصف بها الله سبحانه في الإسلام أحد صمد، ليس كمثله شيء، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤاً أحد، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً.

* قال العقاد في كتابه "مطلع النور" متحدثاً عما كتبه الأستاذ عبد الحق فديارتي: ".. وشفع ذلك بمقتبسات كثيرة من كتب الزردشتية، تنبئ عن دعوة الحق التي يجيء بها النبي الموعود وفيها إشارة إلى البادية العربية، ويترجم نبذة منها إلى اللغة الإنجليزية معناها بغير تصرف: "إن أمة زردشت حين يبنذون دينهم يتضعضعون وينهض رجل في بلاد العرب يهزم أتباعه فارس، ويخضع الفرس المتكبرين، وبعد عبادة النار في هياكلهم يولون وجوههم نحو كعبة (بيت عبادة) إبراهيم التي تطهرت من الأصنام، ويومئذ يصبحون وهم أتباع للنبي رحمة للعالمين وسادة لفارس ومديان وطوس وبلخ، وهي الأماكن المقدسة للزردشتيين ومن جاورهم، وأن نبينهم ليكونن فصيحاً يتحدث بالمعجزات". هذا النص الذي نقله العقاد عن فديارتي عن كتب الزردشتيين موجود في رسالة سازان الأول في كتاب "دساتير"، وسازان الأول هو أحد المصلحين في الديانة الزردشتية، ويعتقد أن رسالته هذه هي جزء من تعاليم زردشت. وقد ترجم هذا النص إلى الإنجليزية، أيضاً، ملا فيروز، ونشره في ترجمة لدساتير في حكم شاه نصر الدين كشر في فارس. وقد عاش ملا فيروز في بومباي في الهند وكان عالماً متقناً للغة البهلوية، والزندية، والفارسية، والعربية. وقد اتصل بعدة رجال دين زردشتيين من مشاهيرهم لجعل ترجمته أكثر مطابقة للنص الأصلي، وبجهوده، بفضل الله، تم نشر "دساتير" في أيامنا، والنص بالترجمة البهلوية ومقابله في اللغة الإنجليزية، ذكرها فديارتي^(٢)

البشارة في كتب الصابئة

يعتبر الصابئة المندائيين أنفسهم من الموحدين وقد جاء في "دراشا" ما يلي: "ملعون ومخزي من لا يعرف ولا يعلم بأن ربنا هو ملك النور السامي، الواحد الأحد. " والنظر في معتقد الصابئة اليوم وكتبهم المقدسة يكشفان أن القوم هم أهل كتاب، قد وصل أجدادهم بجبل الوحي والهداية، ونشأ الأولون على نور من ربهم وبينه من طريق الحق، قبل أن يخلف الأوائل نسل تنكبوا طريق الحق وضيعوا التوحيد (بمعناه الشامل)

^١ - الأستاذ هشام محمد طلبة في كتابه: "محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الترجوم والتلمود والتوراة.. " ص ص ٤٢ - ٤٣

^٢ - نقله مباشرة من كتاب فديارتي وعلي ص ص ٢٣ - ٢٤:

الذي هو حق الله على العبيد. ويعتقد الصابئة أنهم أتباع يحي عليه السلام، المعروف عند النصارى بيوحنا المعمدان، المعاصر لعيسى عليه السلام.

أطلق اسم الصابئة على عدة فرق، ولكن يظهر أن " صابئة" القرآن، هم هؤلاء الذين يعظمون يحي عليه السلام، الذين يسمون أنفسهم ب" المندائيين" أي العارفين بالله الحي. وهم اليوم أقلية تقدر هي حجمها بقرابة مئة ألف مندائي وتوجد في العراق أساسا، وتذكر كتبهم المقدسة أن أسلافهم كانوا في فلسطين قبل أن يخرجوا منهم بعد الفتن التي حلت بها. ويستعمل الصابئة اللغة الآرامية إلى اليوم وهي لغة أهل فلسطين في القرون الميلادية الأولى. ومما يلاحظ أن هناك تشابها كبيرا بين الشعائر والأحكام الإسلامية ونظائرها عند الصابئة، كالوضوء قبل الصلاة، والطهارة من الجنابة، والصوم، ومفسدات الوضوء والصلاة، وتحريم الربا والمسكرات ولحم الخنزير والدم والغيبة والنميمة، وإباحة تعدد الزوجات، قال عباس العقاد: " والمشهود عن الصابئة أنهم يوقرون الكعبة في مكة، ويعتقدون أنها من بناء هرمس، أو إدريس عليه السلام. (١)"

و الصابئي لا يعرف من عقيدته إلا القليل، وفي هذا الشأن يقول الصابئي نعيم بدوي: " إن رجال الدين الصابئي لا يعاونونا، لأنهم لا يقرون علنية الدين، فذلك يتعارض وباطنيته، إضافة إلى أن الدين ليس تبشيريًا.. يضاف إلى ذلك أن المثقفين من أبناء هذه الطائفة عموما، تنقصهم معرفة لغة الكتب الصابئية، فهي كتب مدونة باللغة المندائية" (٢).

أهم الكتب المقدسة عند الصابئة هي:

١ - كتاب " كتره ربه": أي " الكثر العظيم"، ويقال له " سدر- آدم" أي صحف آدم، وقد يكتفون بقولهم " السدره". وتنحصر مباحث هذا الكتاب بذكر بدء الخليقة والتطورات التي حدثت للبشر.

صدرت ترجمة عربية بإشراف الطائفة المندائية في العراق للكثرة ربه من اللغة المندائية مباشرة.

٢ - كتاب " سدره أويها" أي " تعاليم يحي" ويتضمن حياة يوحنا المعمدان من بدء ولادته إلى تاريخ وفاته، مع إرشاداته وتعاليمه الدينية.

٣ - كتاب " سدره أو نشماتا": أي كتاب التعميد وسر المعمودية، ويعتقدون أنه نزل على آدم أبي البشر، وأنه أساس الديانة الصابئة ومنه تستمد بقية المعلومات ويتضمن الكتاب أمور الموت والدفن وتحريم البكاء وإعلان الحداد، وكيفية خروج الروح من الجسد وتنقلاتها حتى تستقر في عالم الأنوار، وما يتعلق بالمعاد. كما يحتوي على نصوص الصلاة التي يقرأها رجال الدين في حفلات التعميد. هذه الكتب لا تزال في عداد الكتب المهجورة عند الباحثين المسلمين، ولم تعرف إلى اليوم دراسة جادة وعميقة تظهر حالها وتسبر أغوارها وتكشف أسرارها وتفيد في خدمة الدعوة الإسلامية. أما الملاحظة الثانية، فهي أن هذه الكتب قد تعرضت لتحريف

(١) - في كتابه " إبراهيم أبو الأنبياء" ص ١٠٨

(٢) - في كتاب " الصابئون المندائيون" ص ٤ - ٥

شديد نتيجة قلة عناية القوم بتوثيق كتبهم وتفسيرها مما يجعلنا نعتقد سلفا أن البشارة بالنبي الخاتم قد عانت هي أيضا التحريف والإهمال في النقل.

والآن يكفي أن نقدم هذه البشارات السريعة، وعسى أن يتولى أهل البحث الجاد الإفاضة في هذا الموضوع في دراسة مستقلة*:

١- جاء في "الكتره ربه" أن ملك العرب المسمى "سيهولدايو" أي تالي الأنبياء سيخرج في زمن ملك الفرس أزدجر (وهو الذي خرج في زمنه محمد صلى الله عليه وسلم)!!

٢- جاء في سفر "الكتره ربه"، في الكتاب الثامن عشر أن العرب سوف يخلفون ملوك الفرس في التمكين في الأرض.

٣- جاء في ديوان "حران كويته" أن حكم العرب يمتد إلى ٤٠٠٠ سنة قبل المسيح الدجال وأن "اللبنه في الجدار ستنادي به" إشارة إلى مثل "الحجر الذي رفضه البناؤون" والذي بينا سابقا أنه نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم . وتؤكد هذه البشارة الصائبية أن هذا "الحجر"، عربي . وصدقت!

٤- تعتبر كتب الصابئة المقدسة إسماعيل "أبا لجميع المسلمين".

٥- جاء في كتاب "الكتره ربه": "أيها المسلمون المؤمنون وأيها المؤمنون المسلمون لا تتراجعوا عن عهدكم الذي عاهدتم الله عليه. (١)"

(١) - البشارات في ديانة الصابئة عن كتاب هشام محمد طلبة محمد صلى الله عليه وسلم في الترجوم والتلمود والتوراة. راجع ص ٧٩، ٨٣، ١٠٩، وغيرها . وراجع د. سامي عامري محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة ص ٤٣٩ .

خاتمة الكتاب

الحمد لله على إتمام هذا العمل وتيسيره الذي أرجو الله أن يسد به بابا مهما في المكتبة الإسلامية ، فقد كانت فكرة الكتاب في البداية بسيطة ولم تكن بهذا التوسع والشمول ، لكنها منة الله عليّ أن يشمل الكتاب نواحي أوسع وأشمل فتأتي الدلائل متكاملة يكمل بعضها بعضا وتتآزر حتى تنطق بالشهادة لمحمد الأمي الأمين بالنبوة وأنه المنتظر في الكتب السابقة وهو المظفر والمنصور والمؤيد من السماء والذي يأتي بالشرع الجديد الشامل الذي يختتم الله به الشرائع .

لكن هنالك بعض الشبه التي تشعب على إتباع نبي الهدى والرحمة محمد بن عبدالله مثل العنف والسيوف والشهوانية وغيرها لم أرد عليها في الكتاب والسبب لأني سأفرد لها إن شاء الله في مؤلف مستقل يكون تكملة لهذا الكتاب لكن نقول كلمة في الختام :

إنّ المنصّرين إذا ما ولّوا أمرهم إلى الطعن في الإسلام، فإنهم يصنعون من الخاطر العابر أسطورة شائكة، ومن الأثر الساقط رواية متواترة، ومن الظنّ المرجوح حقيقة قاطعة .. والذي يعجب له الناظر في مصنّفات الدفاعيين النصراري يرى أنّ هؤلاء الكتاب إذا كانوا بصدد الردّ على الطعون في أسفارهم وعقائدهم؛ يعمدون إلى أبعد الفروض وأغرب الاحتمالات لدفع التناقض وردّ الزلل عن مقدساتهم، لكنهم إذا ما أنشؤا أقلامهم في صحائف القرآن الكريم وسيرة النبي الكريم ، تبدّل الحال وتبيّحت النفوس؛ فينكر القوم على المسلمين أوضح البراهين، وأصحّ الأسانيد، وأنقى المتون، متشبّثين بأوهى اعتراض، وأوهن شبهة، وأرق احتمال^١ .

إن أمثال البراهين السابقة شهدت لأنبياء الله من قبل بالنبوة، وأقامت للناس أعلاماً على صدقهم في دعواهم الرسالة، فقامت بهم حجة الله على خلقه، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيّ عن بينة. وما سقناه من دلائل نبوة نبينا - صلى الله عليه وسلم - إنما هو غيض من فيض أنوار النبوة التي حباها الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - . أوليس الصادق الأمين بنبي، وهو الذي ساق من الغيوب ما قارب الألف، مما أطلعه عليه ربه؟ أفيكذب في دعواه النبوة، ثم يطلعه الله على الغيوب التي يقيم بها حجته وبرهانه؟! أوليس رسول الله وحبيبه ذاك الذي تفتح لدعوته أبواب السماء، ويجيب الله دعوته ولا يخيب رجاءه؟! هل يجادل عاقل في نبوة من خرق الله له نواميس الكون ليؤكد صدقه في دعواه النبوة والرسالة؟ فكثرت الله ببركته - صلى الله عليه وسلم - قليل الطعام والشراب، وشق له القمر في كبد السماء، وشفى بنفته وريقه من شاء! إنه النبي الذي بشر بمقدمه الأنبياء، فهو دعوة أبيه إبراهيم، وبشارة أخيه عيسى، هو النبي المتألئى من فوق جبل فاران، والذي امتلأت الأرض من تسبيحه، فكان إسلام علماء أهل الكتاب صدى لذلك التسبيح^(٢) } ويقول الذين كفروا لست مرسلًا قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب } (الرعد: ٤٣) .

رأينا الأنبياء يبشرون بالنبي الخاتم نبياً تلو نبي. يبشرون بالنبي الذي أخذ عليهم الميثاق بأن يؤمنوا به إن جاء وينصرونه } وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم

(١) - راجع د . سامي عامري : ((هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى؟)) وتحت عنوان جانبي (نقض شبهة المنصيرين والمستشرقين، وإثبات إعجاز

القرآن الكريم في ضوء حقائق التاريخ والعلم). ص ٤٠ - ٨٧ .

(٢) - د. منقذ السقار ، دلائل النبوة ، خاتمة الكتاب

لتؤمنن به ولتنصرنه قال فأقروتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين {
[آل عمران: ٨١]}. وقام الأنبياء ببلاغ أقوامهم خبر هذا النبي

" جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبؤوا، وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي ". وحفظ لنا
الكتاب المقدس - رغم ما تعرض له من التحريف - بعضاً من هذه البشارات عن هذا النبي العظيم، فهو النبي
الذي يحقق وعد الله لإبراهيم وزوجه هاجر بالبركة في ابنها إسماعيل، وهو الذي " له خضوع شعوب ". وهو
النبي الذي ماثل موسى، وبشر به قومه بني إسرائيل، وهو النبي الذي تتلأأ نبوته عند جبال فاران، ويكون من
أمة تقوم بأمر ملكوت الله الذي سينزع من بني إسرائيل " ويعطى لأمة تعمل أثماره "، وذلك لأنهم " أغاروني
بغير إله، وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة، وأنا أيضاً أغريهم بغير شعب، وبشعب جاهل أغضبهم ".

وهكذا انتقلت النبوة والاصطفاء إلى أمة العرب المرذولة " الحجر الذي رفضه البنائون قد صار رأس الزاوية
". وذكرت النصوص الإنجيلية والتوراتية اسم النبي وصفاته، فقد سماه المسيح " البارقليط "، وهو بمعنى أحمد،
ووعدت به الملائكة " وعلى الأرض الإسلام، وللناس أحمد " (حسب ترجمة الأب السابق عبد الأحد داود).
وتحدثت الأسفار عن أرض هجرته "وحي من جهة بلاد العرب، في الوعر من بلاد العرب"، ودعت لنصرته
ومواساته "يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه". كما تحدثت النصوص عن انتصار هذا النبي، وأن دينه
سيبلغ ما بلغ الليل والنهار، فهو الذي "يده على كل واحد"، و "له يكون خضوع شعوب"، و "شعوب
تحتك يسقطون"، و "الرب عن يمينك يحطم في يوم رجزه ملوكاً يدين بين الأمم ملاً جثثاً، أرضاً واسعة سحق
رؤوسها"، "لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض". وهو الغضب الآتي على الكفرة، ومنهم اليهود
الذين حذرهم يوحنا المعمدان فقال: "يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي ... سيعمدكم
بالروح القدس ونار، الذي رفضه في يده، وسينقي بيدره، ويجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا
تطفأ"، و "من سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه".

وذكرت النبوات أيضاً بأن هذا القادم هو آخر الأنبياء، وأن سلطانه أي شريعته يمتد إلى الأبد "يقيم إله
السموات مملكة لن تنقرض أبداً ... وهي تثبت إلى الأبد"، و "أما قديسو العلي فيأخذون المملكة،
ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الأبدين" وكما قال - صلى الله عليه وسلم -: ((لا تزال طائفة من أمتي
ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون))، وفي رواية مسلم: ((حتى تقوم الساعة)) (١)، فهو الذي بشر
المسيح بدولته حين قال: "فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد". ورسالة هذا النبي ليست خاصة
بالعرب أو بني إسرائيل، بل هي عامة لكل الشعوب، فهو "يبكت العالم على خطية"، و "له يكون خضوع
شعوب"، وهو "مشتهى كل الأمم"، الذي "لتنعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة".

وهو النبي الأمي الذي حدثت عنه التوراة والإنجيل "وأجعل كلامي في فمه"، وهو الأمي المبشر بالنبوة في
غار حراء "أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف القراءة فيقال له: اقرأ. فيقول، لا أعرف الكتابة". وهو الذي لا ينطق
عن الهوى "لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به"، ويبلغ كامل دعوته، فلا يحول الموت أو القتل
دون بلاغه "فيكلمهم بكل ما أوصيه به". وهو صاحب شريعة مثل موسى "تنتظر الجزائر شريعته"، وشريعته
مؤيدة بالقوة "وعن يمينه نار شريعة لهم"، وشريعته شاملة لكل مناحي الحياة فهو "يعلمكم كل شيء"، و
"ويرشدكم إلى جميع الحق"، ومجيئه تنسخ شريعة موسى .. "لا يزول قضيب من يهودا، ومشتري من بين

رجليه، حتى يأتي". وهو أعظم العالمين، ولئن كانت النساء لم تلد مثل يوحنا المعمدان، فإن " الأصغر في ملكوت السماوات (تقصد النبوة الأخير والصغير بالنسبة لهم) أعظم منه ". وقد صدق كريستوفر ديفيز أستاذ علم مقارنة الأديان حين قال: " إن كل هذه النبوءات بمعانيها وأوصافها لا تنطبق إلا على النبي العربي محمد (١)"

إن أهم ميزات حياة خاتم النبيين (٢) :

أولاً- إنها أصح سيرة لتاريخ نبي مرسل، أو عظيم مصلح فقد وصلت إلينا سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصح الطرق العلمية و أقواها ثبوتاً مما لا يترك مجالاً للشك في وقائعها البارزة وأحداثها الكبرى، ومما ييسر لنا معرفة ما أضيف إليها في العصور المتأخرة من أحداث أو معجزات أو وقائع أوحى بها العقل الجاهل الراغب في إضفاء الصفة المدهشة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما أراد الله لرسوله أن يكون عليه من جلاله المقام و قدسية الرسالة، وعظمة السيرة. إن الميزة من صحة السيرة صحة لا يتطرق إليها شك لا توجد في سيرة رسول من رسل الله السابقين، فموسى عليه السلام قد اختلطت عندنا وقائع سيرته الصحيحة بما أدخل عليها اليهود من زيف وتحريف، ولا نستطيع أن نركن إلى التوراة الحاضرة لنستخرج منها سيرة صادقة لموسى عليه السلام، فقد أخذ كثير من النقاد الغربيين يشكون في بعض أسفارها وبعضهم يجزم بأن بعض أسفارها لم يكتب في حياة موسى عليه السلام ولا بعده بزمن قريب، وإنما كتب بعد زمن بعيد من غير أن يعرف كاتبها، وهذا وحده كاف للتشكيك في صحة سيرة موسى عليه السلام كما وردت في التوراة، ولذلك ليس أمام المسلم أن يؤمن بشيء من صحة سيرته إلا ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

ومثل ذلك يقال في سيرة عيسى عليه السلام، فهذه الأناجيل المعترف بها رسمياً لدى الكنائس المسيحية إنما أقرت في عهد متأخر عن السيد المسيح بمئات السنين، وقد اختيرت - بدون مسوغ علمي - من بين مئات الأناجيل التي كانت منتشرة في أيدي المسيحيين يومئذ. ثم إن نسبة هذه الأناجيل لكاتبها لم يثبت عن طريق علمي تطمئن النفس إليه، فهي لم ترو بسند متصل إلى كاتبها، على أن الخلاف قد وقع أيضاً بين النقاد الغربيين في أسماء بعض هؤلاء الكاتبيين من يكونون؟ وفي أي عصر كانوا؟

وإذا كان هذا شأن سير الرسل أصحاب الديانات المنتشرة في العالم، كان الشك أقوى في سيرة أصحاب الديانات والفلاسفة الآخرين الذين يعد أتباعهم بمئات الملايين في العالم، كبوذا وكونفوشيوس، فإن الروايات التي يتناقلها أتباعهم عن سيرتهم ليس لها أصل معتبر في نظر البحث العلمي، وإنما يتلقفها الكهان فيما بينهم، ويزيد فيها كل جيل عن سابقه بما هو من قبيل الأساطير والخرافات التي لا يصدقها العقل النير المتحرر الخالي من التعصب لتلك الديانات. وهكذا نجد أن أصح سيرة وأقواها ثبوتاً متواتراً هي سيرة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً- إن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم واضحة كل الوضوح في جميع مراحلها، منذ زواج أبيه عبد الله بأمه آمنة إلى وفاته صلى الله عليه وسلم، فنحن نعرف الشيء الكثير عن ولادته، وطفولته وشبابه، ومكسبه

(١) - هل بشر الكتاب المقدس محمد صلى الله عليه وسلم ، د. منقذ السقار ، خاتمة الكتاب .

(٢) - د. مصطفى السباعي ، السيرة النبوية دروس وعبر ص ١٥ و ما بعدها طبعه المكتب الاسلامي ط١٩٨٥/٣ وهي ملخص لما ذكره السيد سليمان الحسيني في

كتابه الرسالة المحمدية طبعه دار ابن كثير ١٤٢٣ .

قبل النبوة، ورحلاته خارج مكة، إلى أن بعثه الله رسولا كريما، ثم نعرف بشكل أدق وواضح وأكمل كل أحواله سنة فسنة، مما يجعل سيرته عليه الصلاة والسلام واضحة وضوح الشمس، كما قال بعض النقاد الغربيين: إن محمدا (عليه الصلاة والسلام) هو الوحيد الذي ولد على ضوء الشمس.

وهذا ما لم يتيسر مثله ولا قريب منه لرسول من رسل الله السابقين، فموسى عليه السلام لا نعرف شيئا قط عن طفولته وشبابه وطرق معيشته قبل النبوة، ونعرف الشيء القليل عن حياته بعد النبوة، مما لا يعطينا صورة مكتملة لشخصيته، ومثل ذلك يقال في عيسى عليه السلام، فنحن لا نعرف شيئا عن طفولته إلا ما تذكره الأناجيل الحاضرة، من أنه دخل هيكل اليهود، وناقش أحبارهم، فهذه هي الحادثة الوحيدة التي يذكرونها عن طفولته، ثم نحن لا نعلم من أحواله بعد النبوة إلا ما يتصل بدعوته، وقليلًا من أسلوب معيشته، وما عدا ذلك فأمر يغطيه الضباب الكثير.

فأين هذا مما تذكره مصادر السيرة الصحيحة من أدق التفاصيل في حياة رسولنا الشخصية، كأكله، وقيامه، وقعوده، ولباسه، وشكله، وهيئته، ومنطقه، ومعاملته لأسرته، وتعبده، وصلاته، ومعاشرته لأصحابه، بل بلغت الدقة في رواية سيرته أن يذكروا لنا عدد الشعرات البيض في رأسه ولحيته صلى الله عليه وسلم.

ثالثا- إن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحكي سيرة إنسان أكرمه الله بالرسالة، فلم تخرجه عن إنسانيته، ولم تلحق حياته بالأساطير، ولم تضيف عليه الألوهية قليلا ولا كثيرا، وإذا قارنا هذا بما يرويه المسيحيون عن سيرة عيسى عليه السلام، وما يرويه البوذيون عن بوذا، والوثنيون عن آلهتهم المعبودة، اتضح لنا الفرق جليا بين سيرته عليه السلام وسيرة هؤلاء، ولذلك أثر بعيد المدى في السلوك الإنساني والاجتماعي لاتباعهم، فادعاء الألوهية لعيسى عليه السلام وليبوزا جعلهما أبعد من أن يكونا قدوة نموذجية للإنسان في حياته الشخصية والاجتماعية، بينما ظل وسيظل محمد صلى الله عليه وسلم النثل النموذجي للإنسان الكامل لكل من أراد أن يعيش سعيدا كريما في نفسه وأسرته وبيئته، ومن هنا يقول الله تعالى في كتابه الكريم: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} [الأحزاب: ٢١].

رابعا- إن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم شاملة لكل النواحي الإنسانية في الإنسان، فهي تحكي لنا سيرة محمد الشاب الأمين المستقيم قبل أن يكرمه الله بالرسالة، كما تحكي لنا سيرة رسول الله الداعية إلى الله المتلمس أجدى الوسائل لقبول دعوته، الباذل منتهى طاقته وجهده في إبلاغ رسالته، كما تحكي لنا سيرته كرئيس دولة يضع لدولته أقوم النظم وأصحها، ويحميها بيقظته وإخلاصه وصدقه بما يكفل لها النجاح، كما تحكي لنا سيرة الرسول الزوج والأب في حنو العاطفة، وحسن المعاملة، والتمييز الواضح بين الحقوق والواجبات لكل من الزوج والزوجة والأولاد، كما تحكي لنا سيرة الرسول المرشد الذي يشرف على تربية أصحابه تربية مثالية ينقل فيها من روحه إلى أرواحهم، ومن نفسه إلى نفوسهم، مما يجعلهم يحاولون الاقتداء به في دقيق الأمور وكبيرها، كما تحكي لنا سيرة الرسول الصديق الذي يقوم بواجبات الصحبة، ويفي بالتزاماتها وآدابها، مما يجعل أصحابه يحبونه كحبهم لأنفسهم وأكثر من حبهم لأهلبيهم وأقربائهم، وسيرته تحكي لنا سيرة المحارب الشجاع، والقائد المنتصر، والسياسي الناجح، والجار الأمين، والمعاهد الصادق.

وقصارى القول: إن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم شاملة لجميع النواحي الإنسانية في المجتمع، مما يجعله القدوة الصالحة لكل داعية، وكل قائد، وكل أب، وكل زوج، وكل صديق، وكل مربي، وكل سياسي، وكل رئيس دولة، وهكذا.. ونحن لا نجد مثل هذا الشمول ولا قريبا منه فيما بقي لنا من سير الرسل السابقين، ومؤسسي الديانات والفلاسفة المتقدمين والمتأخرين،

فموسى يمثل زعيم الأمة الذي أنقذ أمته من العبودية، ووضع لها من القواعد والمبادئ ما يصلح لها وحدها، ولكننا لا نجد في سيرته ما يجعله قدوة للمحاربين، أو المرين أو السياسيين، أو رؤساء الدول أو الآباء، أو الأزواج مثلا، وعيسى عليه السلام يمثل الداعية الزاهد الذي غادر الدنيا وهو لا يملك مالا، ولا دارا، ولا متاعا، ولكنه في سيرته الموجودة بين أيدي المسيحيين، لا يمثل القائد المحارب، ولا رئيس الدولة، ولا الأب، ولا الزوج - لأنه لم يتزوج - ولا المشتري، ولا غير ذلك مما تمثله سيرة محمد صلى الله عليه وسلم. وقل مثل ذلك في بوذا، وكونفوشيوس، وأرسطو، وأفلاطون، ونابليون، وغيرهم من عظماء التاريخ، فإنهم لا يصلحون للقدوة - إن صلحوا - إلا لناحية واحدة من نواحي الحياة وبرزوا فيها واشتهروا بها، والإنسان الوحيد في التاريخ الذي يصلح أن يكون قدوة لجميع الفئات وجميع ذوي المواهب وجميع الناس هو محمد صلى الله عليه وسلم.

خامسا - إن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم وحدها تعطينا الدليل الذي لا ريب فيه على صدق رسالته ونبوته، إنها سيرة إنسان كامل سار بدعوته من نصر إلى نصر لا عن طريق الخوارق والمعجزات، بل عن طريق طبيعي بحت، فلقد دعا فأوذي، وبلغ فأصبح له الأنصار، واضطر إلى الحرب فحارب، وكان حكيما، موفقا في قيادته، فما أزفت ساعة وفاته إلا كانت دعوته تلف الجزيرة العربية كلها عن طريق الإيمان، لا عن طريق القهر والغلبة، ومن عرف ما كان عليه العرب من عادات وعقائد وما قاوموا به دعوته من شتى أنواع المقاومة حتى تدبير اغتياله، ومن عرف عدم التكافؤ بينه وبين محاربيه في كل معركة انتصر فيها، ومن عرف قصر المدة التي استغرقتها رسالته حتى وفاته، وهي ثلاث وعشرون سنة، أيقن أن محمدا رسول الله حقا، وأن ما كان يمنحه الله من قوة وثبات وتأثير ونصر ليس إلا لأنه نبي حقا، وما كان الله أن يؤيد من يكذب عليه هذا التأيد الفريد في التاريخ، فسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تثبت لنا صدق رسالته عن طريق عقلي بحت، وما وقع له صلى الله عليه وسلم من المعجزات لم يكن الأساس الأول في إيمان العرب بدعوته، بل إننا لا نجد له معجزه آمن معها الكفار المعاندون، على أن المعجزات المادية تكون حجة على من شاهدها، ومن المؤكد أن المسلمين الذين لم يروا النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يشاهدوا معجزاته، إنما آمنوا بصدق رسالته للأدلة العقلية القاطعة على دعواه النبوة، ومن هذه الأدلة العقلية: القرآن الكريم، فإنه معجزة عقلية، تلزم كل عاقل منصف أن بصدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة.

وهذا يختلف تماما عن سير الأنبياء السابقين المحفوظة لدى أتباعهم، فهي تدلنا على أن الناس إنما آمنوا بهم لما رأوا على أيديهم من معجزات وخوارق، دون أن يحكموا عقولهم في مبادئ دعواتهم فتدعن لها، وأوضح مثل لذلك السيد المسيح عليه السلام، فإن الله حكى لنا في القرآن الكريم أنه جعل الدعامة الأولى في إقناع اليهود بصدق رسالته أنه يبرئ الأكمه والأبرص، ويشفي المرضى، ويجيي الموتى، وينبئهم بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم، كل ذلك بإذن الله جل شأنه،

والأنجيل الحاضرة تروي لنا أن هذه المعجزات هي وحدها التي كانت سببا في إيمان الجماهير دفعة واحدة به، لا على أنه رسول كما يحكي القرآن الكريم، بل على أنه إله وابن إله -حاشا لله من ذلك- والمسيحية بعد المسيح انتشرت بالمعجزات وخوارق العادات - وفي سفر أعمال الرسل أكبر دليل على ذلك - حتى ليصح لنا أن نطلق على المسيحية التي يؤمن بها أتباعها أنها دين قام على المعجزات والخوارق، لا على الإقناع العقلي ومن هنا نرى هذه الميزة الواضحة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، أنه ما آمن به واحد عن طريق مشاهدته لمعجزة خارقة، بل عن اقتناع عقلي وجداني، وإذا كان الله قد أكرم رسوله بالمعجزات الخارقة، فما ذلك إلا إكرام له صلى الله عليه وسلم وإفحام لمعانديه المكابرين ومن تتبع القرآن الكريم وجد أنه اعتمد في الإقناع على المحاكمة العقلية، والمشاهدة المحسوسة لعظيم صنع الله، والمعرفة التامة بما كان عليه الرسول من أمية تجعل إتيانه بالقرآن الكريم دليلا على صدق رسالته صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَقَالُوا كَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِّن رَّبِّهِ فَلِئِمَّا الْآيَاتِ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ، أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١، ٥٠]، ولما اشتط كفار قريش في طلب المعجزات من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كانت تفعل الأمم الماضية، أمره الله أن يجيبهم بقوله: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣]. استمع إلى ذلك في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن تَحْتِهَا نَجْمٌ يَخْرُجُ أَشْرَارًا، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كَيْفَ سَأَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلاً، أَوْ يُكَونَ لَكَ يَبِئْسَ مَن زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِزَيْتِكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرؤه قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩١ - ٩٣].

هكذا يقرر القرآن بصراحة ووضوح أن محمدا صلى الله عليه وسلم إنسان رسول، وأنه لا يعتمد في دعوى الرسالة على الخوارق والمعجزات، وإنما يخاطب العقول والقلوب، ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ٢- أبحاث مؤتمر مكة المكرمة السابع (نصرة نبي الأئمة عليهم السلام)، والذي أقيم في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، في الفترة من ٥-٧/١٢/١٤٢٧هـ.
- ٣- الأبطال، توماس كارلايل، ترجمة محمد السباعي، سلسلة من الشرق والغرب، عدد ١١١، الدار القومية، القاهرة.
- ٤- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، للإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق د. ناجي محمد داود، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤٠٥هـ، مطبوعة بالآلة الكاتبة.
- ٥- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، للأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- ٦- أحسن الأجوبة عن سؤال أحد علماء أوروبا، عبد الله وليم كويليام، ترجمة معروف الرصافي، مطبعة الولاية، بغداد ١٣٣٠م.
- ٧- الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- ٨- أحكام أهل الذمة، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق سيد عمران، دار الحديث، القاهرة.
- ٩- آراء المستشرقين حول القرآن والتفسير، د. عمر إبراهيم رضوان، رسالة دكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤١٠هـ، مطبوعة بالحاسوب.
- ١٠- الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، د. قاسم السامرائي، دار الرفاعي للنشر والطباعة، الرياض، ط ١، ١٤٠٣هـ.
- ١١- الاستشراق في السيرة النبوية، عبد الله محمد النعيم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ١٤١٧هـ.

- ١٢- الإسلام حواطر وسوانح، هنري دي كاستري، ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا، مطبعة الشعب، القاهرة ١٩١١م.
- ١٣- الإسلام على مفترق الطرق، ليوبولد (محمد أسد) فايس، ترجمة د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٦، ١٩٦٥م.
- ١٤- الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة، د. محمد وقيع الله أحمد، طبعة جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز العالمية، ط ١، ١٤٢٧هـ.
- ١٥- الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، عبد العظيم المطعني، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة مصر، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- ١٦- الإسلام منهج حياة، فيليب حتي، تعريب د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٢م.
- ١٧- الإسلام والحضارة العربية، محمد كرد علي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ٣، ١٩٦٨م.
- ١٨- الإسلام والعرب، روم لاندو، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧م.
- ١٩- الإسلام والغرب والمستقبل، أنزولد تويني، تعريب د. نبيل صبحي، دار العربية بيروت ١٩٦٩م.
- ٢٠- الإسلام والمستشرقون، نخبة من العلماء المسلمين، مطبعة عالم المعرفة جدة، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- ٢١- الإسلام والمسيحية د. إليسكي جورافيسكي، كتاب رقم ٢١٥ من سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نوفمبر ١٩٩٦م
- ٢٢- الإسلام والوعي الحضاري، أ. د. أكرم بن ضياء العمري، دار الرسالة، بيروت.
- ٢٣- الإسلام، هنري ماسيه، ترجمة بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧م.
- الإسلام وحركة التاريخ، أنور الجندي. مطبعة الرسالة، القاهرة- ١٩٦٨م.
- ٢٤ - إمتاع الأسماع بما للرسول من الأتباع والأحوال والحفدة والمتاع، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة- ١٩٤١م.
- ٢٥- أشعة خاصة بنور الإسلام، إيتين (ناصر الدين) دينيه، ترجمة راشد رستم، سلسلة الثقافة الإسلامية رقم ١٧، المكتب الفني للنشر، بيروت ١٩٦٠م.
- ٢٦- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، طبعة دار أحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٧- الأمير نيقولا ميكافيلي، ترجمة فاروق سعد، طبعة دار الآفاق، بيروت ١٩٧٩م.
- ٢٨- إنسانية الإسلام، مارسيل بوازار، ترجمة د. عفيف دمشقية، دار الأدب، بيروت ١٩٨٠م.
- ٢٩- الانتصار للقرآن، د. صلاح الخالدي، مؤسسة الفرسان للنشر، عمان، الأردن.
- ٣٠- الاهتمام بالسيرة النبوية باللغة الإنكليزية، أ. د. محمد مهر علي.
- ٣١- الاهتمام بالسيرة النبوية باللغة البنغالية، أبو بكر محمد زكريا.
- ٣٢- الاهتمام بالسيرة النبوية باللغة الفرنسية، د. حسن إدريس عزوزي، هذه البحوث مقدمة لندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة النبوية، والتي أقيمت في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في الفترة ١٥-١٧/٣/١٤٢٥هـ.
- ٣٣- أهل الذمة في الإسلام أ. س ترتون، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي، سلسلة المكتبة التاريخية، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٧م.
- ٣٤- البحث عن الله، إيفلين كويولد، ترجمة عمر أبو النصر، المكتبة الاهلية، بيروت ١٩٣٤م.
- ٣٥- بداية المجتهد، لابن رشد، دار الفكر، بيروت.
- ٣٦- البداية والنهاية، لابن كثير، مكتبة دار المعارف، بيروت، ط ٣، ١٩٧٨م.
- ٣٧- البيروسترويك، لميخائيل جورباتشوف، طبعة بيروت.
- ٣٨- تاريخ اليعقوبي، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف ١٩٦٤م.
- ٣٩- تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان: كارل. ترجمة فارس والبعلبكي، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت- ١٩٦٨م.
- ٤٠- تاريخ مسلمي أسبانيا، رينهارت دوزي: الجزء الأول، ترجمة حسن حبشي، المؤسسة المصرية العامة- دار المعارف، القاهرة- ١٩٦٣م.
- ٤١- تاريخ العرب في الإسلام (السيرة النبوية)، جواد علي. الجزء الأول، بغداد، مطبعة الزعيم ١٩٦١م.
- ٤٢- تاريخ الدولة العربية، يوليوس فلهاوزن. ترجمة محمد عبد الهادي أبي ريدة، الطبعة الثانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة- ١٩٦٨م.
- ٤٣- تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية و صدر الإسلام، إسرائيل ولفنسون. مطبعة الاعتماد، القاهرة- ١٩٢٧م.
- ٤٤- تأثير الإسلام على أوروبا في العصور الوسطى، مونتكيري وات، ترجمة د. عادل نجم عبّو، دار الكتب في جامعة الموصل، ١٩٨٢م.
- ٤٥- تاريخ الأدب العربي، ريجس بلاشير، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٤م.
- ٤٦- تاريخ الأمم والملوك، للإمام الطبري، طبعة دار المعارف، مصر.
- ٤٧- تاريخ الحضارة الإسلامية، ف بارتولد، ترجمة حمزة طاهر، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، ١٩٦٦م.
- ٤٨- تاريخ العرب العام، ل. م. سيديو، ترجمة عادل زعيتر، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٤٨م.

- ٤٩- تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية، كلود كاهن، ترجمة د. بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت ١٩٧٢م.
- ٥٠- تراث الإسلام، تأليف جمهرة من المستشرقين بإشراف سير توماس أرنولد، تعريب وتعليق حرجيس فتح الله، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م.
- ٥١- تراث الإسلام، تأليف جماعة من الباحثين، تصنيف جوزيف شاخت، و س. أ. بوزورث، ترجمة محمد زهير السهموري ورفاقه، سلسلة عالم المعرفة، الأعداد ٨١ و ١٢، المجلس الوطني للثقافة، الكويت ١٩٧٨م.
- ٥٢- تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، تحقيق مجموعة من العلماء، طبعة دار الشعب.
- ٥٣- تفتيح فهم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، للإمام عبد الرحمن بن الجوزي، مكتبة الآداب، القاهرة ط١، ١٩٧٥م.
- ٥٤- تهذيب التفسير الصحيح، أ. د. حكمت بن بشير ياسين، تحت الطبع في مطبعة مجلة الدراسات الفقهية المعاصرة، الرياض.
- ٥٥- الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، جورج سارتون، تعريب د. عمر فروخ، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٥٢م.
- ٥٦- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، طبعة دار أحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥٧- جهود علماء المسلمين في دراسة الكتابات الاستشراقية حول القرآن الكريم، أ. د. علي بن إبراهيم النملة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- ٥٨- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، ترجمة محمد عبدالمهدي أبو ريذة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٣، ١٩٧٥م.
- ٥٩- حضارة العرب، كوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط٣.
- ٦٠- الحضارة العربية، جاك. س. ريسلر ترجمة غنيم عبدون، مراجعة د. أحمد الأهواني، الدار المصرية القاهرة.
- ٦١- حقوق الإنسان في الإسلام وتطبيقها في المملكة العربية السعودية، د. سليمان عبد الرحمن الحقييل، مؤسسة الممتاز، الرياض ط١.
- ٦٢- الحوار المسيحي الإسلامي استناداً إلى تصورات المسيحية عن المسلمين، للباحثة دعاء محمود فينو، والمنشور في مجلة إسلامية المعرفة، العدد ٤٤، ربيع ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- ٦٣- حوار عن بعد حول حقوق الإنسان في الإسلام، لمعالي الشيخ عبدالله بن بيه، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١، ١٤٢٤هـ.
- ٦٤- حياة محمد، واشنجتون إيرفينج، ترجمة علي حسين الخربوطلي، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٢م.
- ٦٥- حياة محمد، إميل درنغيم، ترجمة عادل زعيتر، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٤٩م.
- الحق المر، محمد جلال كشنك. مكتبة عمار، القاهرة- ١٩٦٨م.
- ٦٦- خلاصة سير سيد البشر ﷺ، محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري، تحقيق وشرح د. زهير بن إبراهيم الخالد، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ط١، ١٤٢١هـ.
- ٦٧- دولة الفكرة، محمد فتحي عثمان. الدار الكويتية، الكويت- ١٩٦٨م.
- ٦٨- الدفاع لارتكاب جريمة القتل في الوطن العربي، د. عبدالله معاوية، المركز العربي للدراسات الأمنية، الرياض.
- ٦٩- دراسات أسبانية للسيرة النبوية، د. عبدالقادر براده، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- ٧٠- الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، رودى بارت (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه)، ترجمة د. مصطفى ماهر، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
- ٧١- دراسات في حضارة الإسلام، هاملتون جب، تحرير ستانفورد شو ووليم بولك، ترجمة د. إحسان عباس ورفاقه، دار العلم للملايين، (بالمشاركة مع مؤسسة فرانكلين)، بيروت ١٩٦٤م.
- ٧٢- دراسة في مائة الأوائل، مايكل هارث، ترجمة خالد أسعد عيسى، وأحمد غسان سبانو، دار قتيبة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
- ٧٣- دستور الأخلاق في القرآن، للدكتور محمد عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٤، ١٤٠٢هـ.
- ٧٤- الدعوة إلى الإسلام، سير توماس أرنولد، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة وتعليق د. حسن إبراهيم حسن ورفاقه، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١م.
- ٧٥- دفاع عن الإسلام، لورافيشيا فاغليري، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٧٦م.
- ٧٦- دين الإسلام، لايتنر، ترجمة عبد الوهاب سليم التتير، المكتبة السلفية، دمشق، ط٢، ١٣٤٢هـ.
- ٧٧- رجال ونساء أسلموا، عرفات كامل العثي، دار القلم، الكويت ١٩٧٣-١٩٨٣م.
- ٧٨- الرسول القائد، محمود شيت خطّاب. الطبعة الثانية، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة، بغداد- ١٩٦٠م.
- ٧٩- الرحيق المختوم، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ط٤، ١٤٢٠هـ.
- ٨٠- الرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوي، ترجمة محمد الندوي، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٢هـ.
- ٨١- الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، نذير حمدان، دار المنارة، جدة، ط٢، ١٤٠٦هـ.

- ٨٢ - السلسلة الصحيحة، للشيخ الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢، ١٣٩٩هـ.
- ٨٣ - سلوة الكتيب بوفاة الحبيب ﷺ، لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق ودراسة صالح يوسف معتوق، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي.
- ٨٤ - سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، مراجعة وضبط وتعليق محمد محيي الدين بن عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، تركيا، استانبول .
- ٨٥ - سنن الدرامي، للإمام الدرامي، تحقيق وتخريج وفهرسة فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، نشر دار الريان للتراث القاهرة، ط١، ١٤٠٧ هـ .
- ٨٦ - سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي وحاشية الإمام السندي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٨٧ - سيرة الرسول: صور مقتبسة من القرآن الكريم، محمد عزة دروزة. الطبعة الثانية، مطبعة عيسى البابي، القاهرة- ١٩٦٥ م.
- ٨٨ - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة دار الكتاب العربية، بيروت.
- ٨٩ - سير أعلام النبلاء، تأليف الإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٤، ١٤٠٦هـ.
- ٩٠ - السيرة النبوية الصحيحة، أ. د. أكرم بن ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.
- ٩١ - السيرة النبوية، لابن هشام، طبعة الحلبي بتحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الأشيبلي، دار الفكر، بيروت.
- ٩٢ - السيرة النبوية، للذهبي، تحقيق حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤٠١هـ.
- ٩٣ - شرح صحيح مسلم للنووي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- ٩٤ - الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته، تأليف جماعة من الباحثين، تحرير ت كويلر يونغ، ترجمة د. عبدالرحمن محمد أيوب، سلسلة الألف كتاب، عدد ١١٦، دار النشر المتحدة القاهرة.
- ٩٥ - صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، للألباني، مكتبة الدليل، السعودية، ط٣، ١٤١٧هـ.
- ٩٦ - صحيح الجامع الصغير، للشيخ الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٣، ١٤٠٢هـ.
- ٩٧ - صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند، للشيخ الألباني، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط٣، ١٤٠٨ هـ .
- ٩٨ - صحيح سنن أبي داود باختصار السند، للشيخ الألباني، نشر مكتب التربية العربي، ط١، ١٤٠٩هـ.
- ٩٩ - صحيح سنن الترمذي، باختصار السند، للشيخ الألباني، نشر مكتب التربية العربي، ط١، ١٤٠٨هـ.
- ١٠٠ - صحيح سنن النسائي باختصار السند، للشيخ الألباني، نشر مكتب التربية العربي، ط١، ١٤٠٦هـ.
- ١٠١ - صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق الدكتور محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ١٠٢ - صحيفة ماينتشي Mainchi اليابانية بتاريخ ١٦/١٠/٢٠٠٦م.
- ١٠٣ - الطبقات الكبرى لابن سعد، دار صادر، بيروت.
- ١٠٤ - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، لابن قيم الجوزية، راجعه أحمد عبد الحلیم العسكري.
- ١٠٥ - العرب وأوربا، لويس يونغ، ترجمة ميشيل أزرق، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٩م.
- ١٠٦ - العقيدة الإسلامية، عبدالله وليم كوليام، تعريب محمد ضيا، مطبعة هندية، القاهرة ١٨٩٧م.
- ١٠٧ - العقيدة والشريعة في الإسلام، كولد تسيهر، ترجمة د. محمد يوسف موسى ورفاقه، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٩٥٩م.
- ١٠٨ - علم التاريخ عند المسلمين، فرانز روز نثال، ترجمة د. صالح أحمد العلي، مراجعة محمد توفيق حسين، مكتبة المثني (بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين)، بغداد ١٩٦٣م.
- ١٠٩ - العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ألدو ميلي، ترجمة د. محمد يوسف موسى، ود. عبدالحليم النجار، إصدار الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٢م.
- ١١٠ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، طبعة دار الفكر، بيروت، نسخة مصورة عن الطبعة السلفية المصرية.
- ١١١ - الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ لابن كثير، تحقيق محمد العيد الخطراوي، ومحيي الدين مستو، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.
- ١١٢ - فلسفة الفكر الإسلامي، هنري سيرويا، ترجمة محمد إبراهيم، سلسلة الثقافة الإسلامية، عدد ٣٢، دار الثقافة العربية، القاهرة ١٩٦١م.
- ١١٣ - في خطى محمد، نصري سلهب، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٠م.
- ١١٤ - في طريقتي إلى الإسلام، أحمد نسيم سوسه، الجزء الأول، المطبعة السلفية، القاهرة ١٩٣٦م، الجزء الثاني، مطبعة الغرى، النجف ١٩٨٣م.
- ١١٥ - فقه السيرة، محمد الغزالي. الطبعة السادسة، دار الكتب الحديثة، القاهرة- ١٩٦٥ م.
- ١١٦ - قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض ط١، ١٤١٢هـ.
- ١١٧ - قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من أساتذة اللاهوت، دار الثقافة، القاهرة، ط٨.
- ١١٨ - القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي، (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٨ م .

- ١١٩- القرآن الكريم والعلم العصري، موسى بوكاي، ترجمة فودي سوريا كمارا، دار المآثر، المدينة النبوية، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
- ١٢٠- القرآن والمستشرقون المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة ١٣٩٣ هـ.
- ١٢١- قصة الإنسان، جورج حنّا، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣ م.
- ١٢٢- قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران وآخرون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٤-١٩٦٧ م.
- ١٢٣- قطوف دانية من مآثر المسلمين وظلام الغرب، الشيخ إبراهيم النعمة، مطبعة الزهراء، الموصل، العراق سنة ١٤٢٤ هـ.
- ١٢٤- كتاب المغازي، الواقدي، تحقيق مارسدن جونز، مطبعة جامعة أكسفورد- ١٩٦٦ م.
- ١٢٥- لماذا يكرهونه؟! الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام ﷺ، د. باسم الخفاجي، كتاب البيان، الرياض، ط ١، ١٤٢٧ هـ.
- ١٢٦- مؤتمرات المستشرقين العالمية د المحسن بن علي سويسي - رسالة دكتوراه - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية الدعوة قسم الاستشراق بالمدينة المنورة.
- ١٢٧- مجلة البيان، مجلة شهرية تصدر عن المنتدى الإسلامي بالرياض، العددان ٢٣٠-٢٣١، شهري شوال وذو القعدة، ١٤٢٧ هـ.
- ١٢٨- مجلة التوحيد، مجلة إسلامية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة، العدد ٤١٨، شوال ١٤٢٧ هـ.
- ١٢٩- مجلة المستقبل، مجلة شهرية تصدرها الندوة العالمية للشباب الإسلامي، العدد ١٨٥، رمضان ١٤٢٧ هـ.
- ١٣٠- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مطابع الرياض .
- ١٣١- محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، لإبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعي العربي، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٥ م.
- ١٣٢- محمد الرسالة والرسول، نظمي لوقا، الطبعة الثانية، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٥٩ م.
- ١٣٣- محمد رسول الله، إيتين (ناصر الدين) دينيه، بالاشتراك مع سليمان إبراهيم الجزائري، ترجمة د. عبدالحليم محمد، ومحمد عبد الحليم محمود، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط ٣، ١٩٥٩ م.
- ١٣٤- محمد في الكتاب المقدس، أ. د. عبد الأحد داود، ترجمة فهمي شتّا، طبعة رئاسة المحاكم والشؤون الدينية بدولة قطر، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
- ١٣٥- محمد في المدينة، مونتكمري وات، تعريب شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- ١٣٦- محمد في مكة، مونتكمري وات، تعريب شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- ١٣٧- مختصر دراسة التاريخ، أرنولد توينبي، ترجمة فؤاد محمد شبل، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٠-١٩٦٥ م.
- ١٣٨- مختصر سيرة الرسول ﷺ للإمام محمد بن عبد الوهاب، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
- ١٣٩- المدخل لدراسة القرآن الكريم، د. محمد محمد أبو شهبه، الحديثة للطباعة القاهرة، ط ٢، ١٩٧٣ م.
- ١٤٠- المستدرك على الصحيحين، للحافظ الحاكم، وبذيله التلخيص، للحافظ الذهبي صورة عن الطبعة الهندية.
- ١٤١- المستشرقون والسيرة النبوية، عماد الدين خليل، بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر، مونتكمري وات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٥ م.
- ١٤٢- المستشرقون وترجمة القرآن، د. محمد صالح البنداق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.
- ١٤٣- المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٦٤-١٩٦٥ م.
- ١٤٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، بتحقيق شعيب الأرنؤوط ومجموعة من العلماء، إشراف معالي الأستاذ الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ.
- ١٤٥- معالم تاريخ الإنسانية هـ. ج. ولز تعريب عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة محمد مأمون نجا، ود. عبد الحميد يونس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٧-١٩٥٠ م.
- ١٤٦- من أجل معرفة العبادة والحب، بحث مقدم لندوة بناء المناهج: الأسس والمنطلقات بكلية التربية - جامعة الملك سعود - الرياض سنة ١٤٢٤ هـ.
- ١٤٧- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٤٠٥ هـ.
- ١٤٨- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله الطبعة السادسة، دار النفائس، بيروت - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ١٤٩- محمد رسول الله، إيتين دينيه (ناصر الدين) وسليمان إبراهيم الجزائري. ترجمة عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم، الطبعة الثالثة، الشركة العربية، القاهرة- ١٩٥٩ م.
- ١٥٠- مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، أحمد إبراهيم الشريف الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة- ١٩٦٥ م.
- ١٥١- محاضرات في تاريخ العرب، صالح أحمد العلي الجزء الأول، الطبعة الثالثة، بغداد، مطبعة الإرشاد- ١٩٦٤ م.
- ١٥٢- مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، محمد عبد الله عنان. الطبعة الرابعة، مؤسسة الخانجي، القاهرة- ١٩٦٢ م.
- ١٥٣- محمد في مكة، مونتغمري وات. تعريب شعبان بركات، المكتبة العصرية، بيروت.

١٥٤ - الموسوعة العربية الميسرة، مجموعة من الباحثين بإشراف محمد شفيق غربال، طبعة دار الشعب، القاهرة (بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر) ط٢، ١٩٧٢م.

١٥٥ - موسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

١٥٦ - الموقع الإلكتروني BBC Arabic.com، منشور ٢٠٠٦/٩/١٥م، ٢٠:٥٣:٣٧ GMT.

١٥٧ - موقف المستشرقين من القرآن الكريم، أ.د. عدنان محمد الوزان، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

١٥٨ - نحو نظام نقدي عادل، د. محمد عمر شابر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن.

١٥٩ - الموقع الإلكتروني www.quran-m.net

وهناك بعض الكتب ذكرت في هوامش الكتاب مع دور النشر لم تذكر بالقائمة ...

كتب الأديان ومقارنتها ولا يخلو الأمر من وجود كتب في الفهرس السابق وفي هوامش الكتاب :

- ١ - أبحاث في الفكر اليهودي: د/ حسن ظاظا، طبعة دار القلم دمشق، دار العلم والثقافة - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٢ - البشارة بني الإسلام في التوراة والإنجيل: د/ أحمد حجازي السقا، طبعة دار البيان العربي، مصر - ١٩٧٧ م.
- ٣ - الأجيال الجلية في دحض الدعوات النصرانية: للدكتور الطيبي، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا - طبعة مكتبة الإيمان بالمنصورة.
- ٤ - اختلافات في تراجم الكتاب المقدس: ل. م / أحمد عبد الوهاب - طبعة مكتبة وهبة - تاريخ الطبع ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٥ - أرض الميعاد: "انظرة قرآنية في العهود التوراتية": أ. د/ محمد أبو زيد أستاذ التفسير بجامعة تعز باليمن: بحث منشور في مجلة التراث العربي - دمشق، وهو رسالة ضوئية على شبكة الانترنت موقع المركز الفلسطيني للإعلام www.Plaestine.info.
- ٦ - الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة: أ/ زكي على السيد أبو غضه، طبعة دار الوفاء بالمنصورة - الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٧ - إسرائيل حرفت الأناجيل واخترعت أسطورة السامية: ل. م / أحمد عبد الوهاب طبعة: مكتبة وهبة. الطبعة الثانية - ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- ٨ - إسرائيل فتنة الأجيال "العصور القديمة" أ/ إبراهيم خليل أحمد طبعة: مكتبة الوعي العربي ١٩٦٩ م.
- ٩ - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: د/ علي عبد الواحد وافي، طبعة: دار نضرة مصر - القاهرة.
- ١٠ - الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي: د/ عبد العظيم المطعني، طبعة: دار الوفاء بالمنصورة - ١٩٩٢ م.
- ١١ - الإسلام والأديان "دراسة مقارنة": د/ مصطفى حلمي، طبعة: دار الدعوة - الطبعة الأولى - ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- ١٢ - أصول المسيحية: أ/ فؤاد محمد أحمد مصطفى، وزارة الإعلام والثقافة، الطبعة الأولى - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ١٣ - الأصولية في اليهودية: أ/ عبد الوهاب زيتون، الطبعة الأولى - المنارة - بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ١٤ - أضواء على اليهودية من خلال مصادرها: د/ محمد أحمد دياب عبد الحافظ، طبعة دار المنار - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.
- ١٥ - إظهار الحق: العلامة رحمة الله الهندي، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا، طبعة دار التراث العربي ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ١٦ - إغاثة اللهفان من مصاديق الشيطان: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهرير بابين قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ هـ) تحقيق محمد حامد الفقي، ط/ مكتبة عاطف.
- ١٧ - أقاليم النصارى: د/ أحمد حجازي السقا، طبعة دار الأنصار - الطبعة الأولى - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- ١٨ - اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة "بيان ونقد": د/ أحمد حجازي السقا، الطبعة ١١ - مكتبة الإيمان بالمنصورة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٩ - الأناجيل "دراسة مقارنة": د/ أحمد طاهر، طبعة: دار المعارف - بدون.
- ٢٠ - الإنجيل والصليب: د/ عبد الأحد داود، طبع في القاهرة سنة ١٣٥١ هـ.
- ٢١ - تأثر اليهودية بالأديان الوثنية: د/ فتحى محمد الرغبي، طبعة: دار البشير، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- ٢٢ - تاريخ الديانة اليهودية: أ/ محمد خليفة حسن، طبعة دار قباء - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.
- ٢٣ - تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم: أ/ آدم عبد الله الألوري، مكتبة وهبة - الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٢٤ - تاريخ الإنجيل والكنيسة: أ/ أحمد إدريس، طبعة: دار حراء للنشر والتوزيع - مكتبة المكرمة - بدون.
- ٢٥ - تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب: أ/ عبد الله الترجمان الأندلسي، طبعة دار المعارف، الطبعة الثالثة. تحقيق د/ محمد علي حمادة، ١٩٩٢ م.
- ٢٦ - التربية في التوراة "العهد القديم" عرض وتقوم بميزان الإسلام: د/ عابد توفيق الهاشمي، طبعة مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٧ - التطرف اليهودي - تاريخه - أسبابه - علاماته: د/ عبد الراضى محمد، طبعة مكتبة التوعية الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٢٨ - التعاليم الدينية اليهودية: د/ علي خليل، طبعة المركز الفلسطيني للإعلام - رسالة ضوئية على شبكة الانترنت على موقع

www.palestine.inbo.org

- ٢٩ - التعصب الصليبي: د/عمر عبد العزيز، طبعة دار الاستقامة-١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م.
- ٣٠ - التوراة السامرية: ترجمة الكاهن السامري أبو الحسن إسحاق الصوري، تحقيق د/أحمد حجازي السقا، طبعة دار الأنصار- القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ٣١ - التوراة - العقل - العلم - التاريخ: د/ بدران محمّد بدران، طبعة دار الأنصار، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٣٢ - جذور البلاء: أ/ عبد الله التل، طبعة المكتب الإسلامي - بيروت.
- ٣٣ - جنايات بني إسرائيل على الدين والمجتمع: د/ محمّد محمود سيد ندا، طبعة دار اللواء - بدون.
- ٣٤ - جهود الإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية في دحض مفتريات اليهود: أ/ سميرة عبد الله بكر بناني - جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٣٥ - جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الأوّل الهجري حتى نهاية القرن السابع الهجري "عرض ونقد": د/ ياسر أبو شبانه الرشيدي "رسالة دكتوراه".
- ٣٦ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: شيخ الإسلام ابن تيمية ت ٧٢٨ هـ، طبعة دار ابن خلدون للتراث - الاسكندرية - بدون، وهذه الطبعة أربعة مجلدات.
- ٣٧ - الجواب الفسيح لما لفته عبد المسيح: للألوسى البغدادي ابن مفسر القرآن ت ١٣١٧ هـ، طبعة دار البيان العربي - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م القاهرة.
- ٣٨ - الجوهر الفريد في رد التثليث وإثبات التوحيد: أ/ أيوب بك صبري بن عبد الله، طبعة المطبعة العامرة - الشرقية - الطبعة الأولى ١٣١٩ هـ القاهرة.
- ٣٩ - دائرة المعارف الكتابية: تأليف وليم وهبة بباي، ط / دار الثقافة - القاهرة - ١٩٩٦ م.
- ٤٠ - مخلّق المسلم: فضيلة الشيخ محمّد الغزالي، طبعة دار الدعوة، الطبعة الثالثة ١١٤١ هـ - ١٩٩٠ م.
- ٤١ - دراسات في التوراة: أ/ عطية إبراهيم الشواقي، طبعة مجمع البحوث الإسلامية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٤٢ - دراسة في الأناجيل الأربعة: أ/ محمّد السعدي، طبعة دار الثقافة بقطر، ط ١ - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٤٣ - دراسات في اليهودية: د/محمود مزروعة، طبعة دار الطباعة المحمدية، القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٤٤ - شبهات النصرارى وحجج الإسلام: أ/محمّد رشيد رضا، طبعة دار المنار - الطبعة الثانية - ١٣٦٧ هـ.
- ٤٥ - العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية: د/ سعد الدين السيد صالح، طبعة دار الصحابة - الامارات - ١٩٩٠ م.
- ٤٦ - الفارق بين المخلوق والخالق: الباحثة جي زادة البغدادي ت ١٣٣٠ هـ، طبعة مكتبة الثقافة الدينية - تعليق د/ أحمد حجازي السقا، طبعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٤٧ - الفكر الديني اليهودي "أطواره ومذاهبه": د/حسن ظاظا، طبعة دار القلم - دمشق، الطبعة الثانية - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٤٨ - فلسطين في الميزان "ميزان العقل والمنطق والتوراة والقرآن": د/عابد توفيق الهاشمي، طبعة مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٤٩ - في مقارنة الأديان "بحوث ودراسات": أ. د/ محمّد عبد الله الشرقاوي، طبعة دار الجليل - بيروت، مكتبة الزهراء - القاهرة - الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ٥٠ - القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: د/ مورييس بوكاي، طبعة دار الفتح للإعلام العربي - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٥١ - قصة الأديان "دراسة تاريخية مقارنة": د/رفقي زاهر، الطبعة الأولى - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ٥٢ - الكتاب المقدس: طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، الإصدار الثالث ٢٠٠١ م الطبعة الأولى.
- ٥٣ - الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف: د/بجي ربيع، طبعة دار الوفاء بالمنصورة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- ٥٤ - الكنز المرصود في قواعد التلمود: د/يوسف نصر الله، طبعة دار القلم - الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٥٥ - الله واحد أم ثالوث؟: د/ محمّد مجدي مرجان، الناشر دار النهضة العربية - القاهرة، ١٩٧٢ م.
- ٥٦ - ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمّد؟: أ/ أحمد ديدات، ترجمة أ/ إبراهيم خليل أحمد - طبعة دار المنار - الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- ٥٧ - محاضرات في مقارنة الأديان: أ/ إبراهيم خليل أحمد، طبعة دار المنار - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- ٥٨ - محاضرات في النصرانية: للإمام أبي زهرة، طبعة دار الفكر العربي - ١٩٦١ م.
- ٥٩ - محمّد - صلى الله عليه وسلم - في التوراة والإنجيل والقرآن: أ/ إبراهيم خليل أحمد، طبعة دار المنار - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- ٦٠ - محمد - صلى الله عليه وسلم - في الكتاب المقدس: د/عبد الأحد داود، ترجمة فهمي شما، مراجعة وتعليق أ/ أحمد محمّد الصديق، طبعة - بدون.
- ٦١ - مدخل لدراسة الأديان: د/صفوت مبارك، طبعة بدون.
- ٦٢ - مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء: أ/ أحمد ديدات، ترجمة على الجوهري، طبعة دار الفضيلة للنشر والتوزيع ١٩٨٩ م.

- ٦٣ - المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل: د/ عبد الكريم الخطيب، طبعة دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.
- المسيحية: د/ أحمد شلبي، طبعة مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثامنة، ١٩٨٤ م.
- ٦٥ - المسيحية الحقبة التي جاء بها المسيح "بين الالتزام والتحرير ودعوة الإسلام": أ/ علاء أبو بكر، طبعة مكتبة وهبة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٦٦ - المسيح في مصادر العقائد المسيحية: ل. م / أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ٦٧ - مشكلات العقيدة النصرانية: د/ سعد الدين السيد صالح، طبعة دار الأرقم للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة ١٩٩٢ م.
- ٦٨ - من دحرج الحجر؟: أ/ أحمد ديدات، ترجمة أ/ إبراهيم خليل أحمد، طبعة دار المنار - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٦٩ - مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمجموعة من علماء المسلمين والنصرانية: طبعة دار الحديث - القاهرة، مكتبة ابن خزيمة بالرياض ١٤١٢ هـ.
- ٧٠ - المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان بين الشيخ ديدات والقس سواجارت: تقدم د/ أحمد حجازي السقا، طبعة مكتبة زهران - القاهرة.
- ٧١ - مناظرة الهند الكبرى في علم مقارنة الأديان بين العلامة رحمة الله الهندي والقس بنندر: تقدم د/ أحمد حجازي السقا، مكتبة الإيمان بالمنصورة.
- ٧٢ - المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل: لأبي الفضل المالكي المسعودي ت ٩٤٢ هـ - تحقيق أ. د/ بكر زكي عوض، مطبعة أولاد عثمان بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ٧٣ - موقف ابن تيمية من النصرانية: د/ مريم عبد الرحمن عبد الله زامل، جامعة أم القرى - مكة المكرمة - طبعة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٧٤ - النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام: ل. م / أحمد عبد الوهاب، طبعة مكتبة وهبة ت الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٧٥ - انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح: أ/ أحمد زكي، طبعة دار الحدائث للطبع والنشر - الطبعة الأولى ١٩٩٥ م.
- ٧٦ - النصرانية تاريخاً وعقيدة وكتباً ومذاهب "دراسة وتحليل ومناقشة": د/ مصطفى شاهين، طبعة دار الاعتصام، بدون.
- ٧٧ - النصرانية والإسلام: المستشار/ عزت محمد الطهطاوى، طبعة مكتبة النور للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٧٨ - النصرانية من التوحيد إلى التثليث: د/ محمد أحمد الحاج، طبعة دار القلم - دمشق - الدار الشامية بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.